Wasit University Repository

Wasit University Repository

repository.uowasit.edu.iq

البِنَاءُ اللُّغَوِيُّ فِي كِتَابِ حِكَمِ النَّبِيِّ الأعظَمِ لمُحَمَّدِ الرِّيشَهرِيِّ

The linguistic structure in the book "The General Wisdom of the Prophet" by Muhammad al-Rishahri

الزُّبيديّ, مُحَمَّد عَليّ كامِل فِزَع

إشراف: أ. د. جَاسِم فرَيّح دَايخ التُّرابِيّ

جامعة واسط — 2026

https://repository.uowasit.edu.iq/handle/123456789/207

https://doi.org/10.31185/uowasit-51

حُمِّل هذا الملف من مستودع جامعة واسط

Downloaded from the Wasit University Repository — repository.uowasit.edu.iq

جُمهُورِيّةُ العُرَاقِ
وِزَارَةُ التّعلِيمِ العَالِي والبَحثِ العِلمِيّ
جَامِعَةُ وَاسِط- كُلّيّةُ التّربِيةِ للعُلُومِ الإنسَانيّةِ
قِسـمُ اللُّغـةِ العـرَبِيّةِ

البِنَاءُ اللُّغَوِيُّ فِي كِتَابِ حِكَمِ النَّبِيِّ الأعظَمِ لِمُحَمَّدِ الرِّيشَهرِيّ

رِسَالةٌ قدَّمَهَا الطّالِبُ

مُحَمَّد عَليّ كامِل فِزَع الزُّبيديّ

إلى مَجْلِسِ كُلِّيَّةِ التَّربِيةِ للعُلُومِ الإنسَانِيَّةِ – جَامِعةُ وَاسِط، وَهِيَ جُزْءٌ مِنْ مُتَطَلَّبَاتِ نَيلِ شَهَادَةِ المَاجستِير في اللُّغَةِ العَرَبِيَّة/ لُغةٌ

بإشراف

أ. د. جَاسِم فرَيّح دَايخ التُّرابِيّ

أ. د. سُعَاد بَدِيع مطير

١٤٤٨هـ ٢٠٢٦ م

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْ أَنْفُسِهِمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ ﴾

(آل عمران: ١٦٤)

صدق الله العليُّ العظيم

إقرار المشرف

نشهدُ أنَّ إعداد هذه الرّسالة الموسومة بـ(البِنَاءُ اللُّغَوِيُّ فِي كِتَابِ حِكَمِ النَّبِيِّ الأعظَمِ لمحَمّدٍ الرِّيشَهرِيّ) لطالِب الماجستير (محمّد عليّ كامِل فِزَع) أُعدَّت بإشرافنا في قسم اللُّغة العربيّة بكلّيّة التّربية/ جامِعة واسِط، وهي جزءٌ من متطلّبات نيل شهادة الماجستير في اللّغة العربيّة وآدابها/ لغة.

إمضاء المشرف الأوّل

أ. د. جَاسِم فرَيّح دايخ

التّاريخ: ٣١/ ٥ / ٢٠٢٦

إمضاء المشرف الثاني

أ. د. سُعَاد بَدِيع مطير

التّاريخ: ٣١ / ٥ / ٢٠٢٦

بناءً على التّوصيات المتوافرة أُرشّح هذه الرّسالة للمناقشة

الإمضاء

أ. د. نهلة عبد الله خلف الوائلي

رئيس قسم اللّغة العربيّة

التّاريخ: ٣١/ ٥ / ٢٠٢٦

بسمِ اللهِ الرّحمنِ الرّحيمِ

(إقرار لجنة المناقشة)

نحن أعضاء لجنة المناقشة الموقعين أدناه: نشهد أنّنا اطّلعنا على الرّسالة الموسومة بـ(البِنَاءُ اللُّغَوِيُّ فِي كِتَابِ حِكَمِ النَّبِيِّ الأعظَمِ لمحمّدٍ الرّيشَهريّ) الّتي أعدّها الطّالب (محمّد عليّ كامِل فِزَع)، وناقشناه في محتوياتها، وفيما له علاقة بها، فوجدناها جديرة بالقبول لنيل شهادة الماجستير في اللُّغة العربيّة / لغة بتقدير (جميد جداً عالٍ).

الإمضاء	الإمضاء	الإمضاء
أ. د أحمد جعفر داود	أ. د غازي مطشّر حمزة	أ.م.د ميعاد مكّي فيصل
(رئيسًا)	(عضوًا)	(عضوًا)
التّاريخ: ٣/ ٨/ ٢٠٢٦	التّاريخ: ٣/ ٨/ ٢٠٢٦	التّاريخ: ٨٩/ ٨/ ٢٠٢٦

الإمضاء	الإمضاء
أ. د. جَاسِم فريّح دايخ	أ. د. سُعَاد بَدِيع مطير
عضوًا ومشرفًا أوّلاً	عضوًا ومشرفًا ثانيًا
التّاريخ: ٣/ ٨/ ٢٠٢٦	التّاريخ: ٣/ ٨/ ٢٠٢٦

أصادقُ على ما جاء في قرار لجنة المناقشة:

الإمضاء

أ. د. محمود حمود عرّاك

عميد كلّية التّربية للعلوم الإنسانيّة

التّاريخ: ٤/ ٨/ ٢٠٢٦

الإهداء

إلى حضرة النبيّ الأعظم محمّد ﷺ

لعليّ أفوز بشفاعته يوم الورود

إلى الإمام الموعود بدولة العدل الإلهيّة القائم المنتظر

لعلّي أكحّل ناظري بنظرةٍ مني إليه

إلى من تمنّى أن يراني في هذا المكان، فقطفته يدُ المنون

وتركني صغيرًا لذاريات الزمان تذرّني

أبّي رحمه الله تعالى

إلى من أحرقت سنين عمرها وأنارت لي عتمتي، الأمُّ الرؤوم

التي تعلّمتُ من ملامح وجهها تقاسيم الحياة ومن صدى كلامِها فهمتُ لغةَ الكلامِ

أُمّي العزيزة

أُهدي عملي هذا

شكرٌ وعرفانٌ

الحمدُ للهِ ربِّ العالمين، والصّلاةُ والسّلامُ على أشرفِ الأنبياءِ والمرسلين، سيّدِنا محمّدٍ، وعلى آلهِ وصحبِهِ أجمعين، أَمَّا بعد:

أتقدّمُ بخالصِ الشّكرِ والتّقديرِ إلى الأستاذين الدّكتور (جَاسِم فريّح التّرابيّ) والدّكتورة (سُعاد بديع مطير)، بوصفهما مشرفين على هذه الرّسالة، لما قدّماه من توجيهٍ علميٍّ رصينٍ، ومتابعةٍ دقيقةٍ، ودعمٍ مستمرٍّ كان له الدّورُ الكبيرُ في إنجازِ هذه الدّراسة.

وأتقدّمُ بوافرِ الشّكرِ والامتنانِ والتّقديرِ إلى قسمِ اللّغةِ العربيّة، متمثّلًا برئيسِ القسم الدّكتورة (نهلة عبدالله خلف)، وأساتذتهِ الأفاضل، الّذين أحاطوني بالرّعايةِ والاهتمامِ في السّنةِ التّحضيريّة من رحلتي الدّراسيّة في كلّيّةِ التّربيةِ للعلومِ الإنسانيّة.

وشكرٌ مُفعمٌ بالحبِّ والعرفانِ الجميلِ أقدّمهُ إلى عائلتي الحبيبة المتمثّلة بـ(والدتي الغالية) الّتي دعمتْني وساندتْني منذُ بدايةِ مشواريِ الدّراسيّ إلى مرحلتي هذه، فلولاها ما وصلتُ إلى ما أنا عليه.

فلا يسعُني – بعد أَن وفّقني اللهُ لإتمامِ هذه الرّسالة – إلّا أن أتقدّمَ بخالصِ الشّكرِ والتّقديرِ لكلِّ من أسهم في إنجازِ هذه الدّراسة، سواءٌ برأيٍ، أم توجيهٍ، أم دعمٍ.

محمّد عليّ كامِل

المحتويات

الموضوع	رقم الصّحيفة
المقدّمة	١-٥
التّمهيد: (اللّغة النّبويّة، ترجمة المصنّف الشّيخ محمّد الرّيشهريّ) أوّلا: اللّغة النّبويّة (خصائصها البلاغيّة وسماتها الأسلوبيّة) ثانيًا: ترجمة المصنّف الشّيخ محمّد الرّيشهريّ	٦-٢٧ ٧-٢٤ ٢٤-٢٧
الباب الأوّل: بناء الكلمة في حِكَمِ النَّبيّ الأعظم	٢٨-١٣٤
الفصل الأوّل: أبنية الأفعال ودلالاتها	٢٩-٧٨
المبحث الأوّل: أبنية الفعل الثّلاثيّ المجرّد ودلالاتها أوّلاً: بناء (فعَل) ودلالاته ثانيًا: بناء (فعِل) ودلالاته ثالثًا: بناء (فعُل) ودلالاته	٣١-٤٤ ٣٢-٣٩ ٣٩-٤١ ٤١-٤٤
المبحث الثّاني: أبنية الفعل الثّلاثيّ المزيد بحرف واحد ودلالاتها أوّلاً: بناء (أفعَلَ) ودلالاته ثانيًا: بناء (فعّل) ودلالاته ثالثًا: بناء (فاعَلَ) ودلالاته	٤٥-٥٦ ٤٥-٤٩ ٤٩-٥٣ ٥٣-٥٦
المبحث الثّالث: أبنية الفعل الثّلاثيّ المزيد بحرفين ودلالاتها أوّلاً: بناء (افتعل) ودلالاته ثانيًا: بناء (انفعل) ودلالاته ثالثًا: بناء (افعَلَّ) ودلالاته رابعًا: بناء (تفعّل) ودلالاته خامسًا: بناء (تفاعَلَ) ودلالاته	٥٧-٧٠ ٥٧-٦١ ٦٢-٦٣ ٦٣ -٦٤ ٦٤-٦٨ ٦٨-٧٠
المبحث الرّابع: أبنية الفعل الثّلاثيّ المزيد بثلاثة أحُرف دلالاتها أوّلاً: بناء (افْعَوْعَلَ) ودلالاته ثانيًا: بناء (استفعل) ودلالاته	٧١-٧٤ ٧١ ٧٢-٧٤
المبحث الخامِس: أبنية الفعل الرّباعيّ المجرّد والمزيد ودلالاتها أوّلاً: بناء الفعل الرُّباعيّ المجرّد ودلالاته ثانيًا: بناء الفعل الرُّباعيّ المزيد ودلالاته	٧٥-٧٨ ٧٥-٧٧ ٧٧-٧٨
الفصل الثّاني: أبنية الأسماء ودلالاتها	٧٩-١٣٤
المبحث الأوّل: أبنية الأسماء المجرّدة والمزيدة أوّلاً: أبنية الاسم الثّلاثيّ المجرّد ثانيًا: الاسم الثّلاثيّ المزيد	٧٩-٨٦ ٨٠-٨١ ٨١-٨٤

ثالثًا: أبنية الاسم الرّباعيّ المجرّد رابعًا: أبنية الاسم الرّباعيّ المزيد	٨٤-٨٥ ٨٥-٨٦
المبحث الثّاني : أبنية المشتقّات دلالاتها أوّلاً: أبنية اسم الفاعل ثانيًا: أبنية اسم المفعول ثالثًا: أبنية الصّفة المشبّهة رابعًا: أبنية المبالغة خامسًا: بناء اسم التّفضيل سادسًا: أبنية اسم الآلة سابعًا: أبنية اسمي الزّمان والمكان	٨٧-١٠٦ ٨٨-٩١ ٩١-٩٤ ٩٤-٩٨ ٩٨-١٠١ ١٠١-١٠٣ ١٠٣-١٠٥ ١٠٥-١٠٦
المبحث الثّالِث : أبنية جموع التّكسير ودلالاتها أوّلاً: أبنية جموع القلّة ثانيًا: أبنية جموع الكثرة ثالثًا: أبنية منتهى الجموع	١٠٧-١١٦ ١٠٩-١١٠ ١١٠-١١٤ ١١٤-١١٦
المبحث الرّابع: أبنية المصادر ودلالاتها أوّلاً: أبنية مصادر الأفعال الثّلاثيّة ثانيًا: أبنية مصادر الأفعال الزّائدة على ثلاثة أحرف ثالثًا: أبنية المصدر الميميّ رابعًا: مصدر المرّة خامسًا: مصدر الهيأة	١١٧-١٣٠ ١١٨-١٢٢ ١٢٣-١٢٥ ١٢٦-١٢٩ ١٢٩-١٣٠ ١٣٠
المبحث الخامس: النّسب والتّصغير أوّلًا: النّسب ثانيًا: التّصغير	١٣١-١٣٤ ١٣١-١٣٣ ١٣٣-١٣٤
الباب الثّاني: بناء الجملة في حِكَمِ النّبيّ الأعظم	١٣٥-٢٤٤
الفصل الأوّل: بناء الجملة الخبريّة	١٤٠-٢٠٦
المبحث الأوّل الجملة الخبريّة المثبتة أوّلاً: الجملة الاسميّة المثبتة ثانيًا: الجملة الفعليّة المثبتة	١٤٠-١٤٨ ١٤٠-١٤٣ ١٤٣-١٤٨
المبحث الثّاني الجملة الخبريّة المنفيّة أوّلاً: ما ينفي الجملة الاسميّة فقط (ليس) ثانيًا: ما ينفي الجملة الفعليّة فقط (لن، لم) ثالثًا: ما ينفي كلتا الجملتين: (ما، لا)	١٤٩-١٦٠ ١٥٠-١٥٢ ١٥٢-١٥٥ ١٥٥-١٦٠
المبحث الثّالث: الجملة الخبريّة المنسوخة أوّلاً: الجملة الاسميّة المنسوخة بالحرفين (لكنّ، كأنَّ) ثانيًا: الجملة الاسميّة المنسوخة بالأفعال النّاقصة (كان وأخواتها)	١٦١-١٧٠ ١٦٣-١٦٨ ١٦٨-١٧٠

المبحث الرّابع: الجملة الخبريّة المؤكّدة أوّلاً : ما يُؤكِّد الجُملة الاسميّة ثانيًا : ما يُؤكِّد الجُملة الفعليّة ثالثًا : ما يُؤكِّد كلتا الجملتَين	١٧١-١٨٧ ١٧٢-١٧٦ ١٧٦-١٧٩ ١٧٩-١٨٧
المبحث الخامس: بناء الجملة الشّرطيّة أوّلاً: الأداة تليها جملتان فعليّتان ماضويّتان ثانيًا: الأداة تليها جملة فعليّة مضارعيّة ثُمّ جملة فعليّة ماضويّة ثالثًا: الأداة تليها جملة فعليّة ماضويّة ثُمّ جملة طلبيّة مقترنة بالفاء رابعاً: الأداة تليها جملة فعليّة مضارعيّة ثُمّ جملة اسميّة مقترنة بالفاء خامسًا: الأداة تليها اسميّة ثُمّ جملة فعليّة ماضويّة	١٨٨-١٩٣ ١٩٠-١٩١ ١٩١-١٩٢ ١٩٢ ١٩٢ ١٩٣
المبحث السّادس: التّقديم والتّأخير والحذف في الجملة الخبريّة أوّلاً : التّقديم والتّأخير ثانيًا : الحذف	١٩٤-٢٠٦ ١٩٤-٢٠٠ ٢٠٠-٢٠٦
الفصل الثّاني : بناء الجملة الطّلبيّة	٢٠٧-٢٤٤
المبحث الأوّل : جملة النّداء أوّلاً: حروف النّداء بين الذّكر والحذف ثانيًا: أنماط المُنادَى	٢٠٨-٢١٥ ٢٠٩-٢١٢ ٢١٢-٢١٥
المبحث الثّاني : جُملة الاستفهام أوّلاً : الجُملة المُصدَّرة بالهمزة ثانيًا : الجُملة المُصدَّرة ب(هل) ثالثًا : الجُملة المُصدَّرة باسم استفهام	٢١٦-٢٢٧ ٢١٨-٢٢١ ٢٢١-٢٢٢ ٢٢٢-٢٢٧
المبحث الثّالث : جُملة الأمر أوّلاً : صيغة فعل الأمر ثانيًا : صيغة لام الأمر المُتَّصِلة بالفعل المضارع ثالثًا : صيغة اسم فعل الأمر رابعًا: المصدر النائب عن فعل الأمر	٢٢٨-٢٣٤ ٢٢٩-٢٣١ ٢٣١-٢٣٢ ٢٣٢-٢٣٤ ٢٣٤
المبحث الرّابع: جمل طلبيّة أخرى أوّلاً: جملة النّهي ثانيًا: جملة العرض والتّحضيض ثالثًا: جملة التّمنّي والتّرجّي رابعًا: جملة الإغراء والتّحذير	٢٣٥-٢٤٤ ٢٣٥-٢٣٦ ٢٣٦-٢٣٧ ٢٣٨-٢٤٣ ٢٤٣-٢٤٤
الباب الثّالث: بناء النّصّ في حِكَمِ النّبيّ الأعظم	٢٤٥-٣٩٩
الفصل الأوّل: معياري الاتّساق والانسجام	٢٥٠-٢٩٨
المبحث الأوّل: معيار الاتّساق أوّلًا: مفهوم الاتّساق النّصّيّ ثانيًا: وسائل الاتّساق النّصّيّة ١- الاتّساق الصّوتيّ (السّجع، الجناس)	٢٥٠-٢٨٧ ٢٥٠-٢٥١ ٢٥٢-٢٨٧ ٢٥٢-٢٥٨

٢- الاتّساق النّحويّ	٢٥٨-٢٧٤
أ- الإحالة	٢٥٩-٢٦٩
ب- الحذف	٢٧٠-٢٧٤
ج- الرّبط	٢٧٤-٢٨٠
٣- الاتّساق المعجميّ	٢٨٠-٢٨٧
أ- التّكرار	٢٨١-٢٨٥
ب- التّضام (المصاحبة المعجميّة)	٢٨٥-٢٨٧
المبحث الثّاني: معيار الانسجام	٢٨٨-٢٩٨
أوّلًا: مفهوم الانسجام النّصّيّ	٢٨٨-٢٨٩
ثانيًا: العلاقات الدّلاليّة	٢٨٩-٢٩٨
١- علاقة الشّرط والجزاء	٢٩٠-٢٩١
٢- علاقة السّؤال والجواب	٢٩١-٢٩٢
٣- علاقة التّفصيل بعد الإجمال	٢٩٢-٢٩٣
٤- علاقة السّبب والنّتيجة	٢٩٣-٢٩٤
٥- علاقة الاستثناء	٢٩٥
٦- علاقة الإضافة	٢٩٥-٢٩٦
٧- علاقة المقابلة	٢٩٦-٢٩٧
٨- علاقة التّمثيل	٢٩٧-٢٩٨
الفصل الثّاني: القصديّة والمقاميّة والمقبوليّة	٢٩٩-٣٦٨
المبحث الأوّل: معيار القصديّة	٢٩٩-٣١١
أوّلاً: مفهوم القصديّة	٢٩٩-٣٠٣
ثانيًا: أشكال القصد وأنواعه	٣٠٣-٣١١
١- المقاصد المباشرة	٣٠٣-٣٠٧
٢- المقاصد غير المباشرة	٣٠٧-٣١١
المبحث الثّاني: معيار المقاميّة (السّياق)	٣١٢-٣٢٠
أوّلاً: مفهوم المقاميّة	٣١٢-٣١٤
ثانيًا: الخصائص الّتي تتعلّق بتحديد السّياق	٣١٥-٣٢٠
المبحث الثّالث: معيار المقبوليّة	٣٢١-٣٢٦
مفهوم المقبوليّة والعوامل الّتي تخضع إليها	٣٢١-٣٢٦
الفصل الثّالث: معياري التّناصّ والإعلاميّة	٣٢٧-٣٦٥
المبحث الأوّل: معيار التّناصّ	٣٢٧-٣٥٤
أوّلاً: مفهوم التّناصّ	٣٢٧-٣٣٠
ثانيًا: أشكال التّناصّ وأنواعه	٣٣٠-٣٥٤
أ- تناصٌّ غير مباشرٍ	٣٣٢-٣٧٢
١- تناصٌّ غير مباشرٍ مع الكتب السّماويّة	٣٣٢-٣٤٢
٢- تناصٌّ غير مباشرٍ مع النّصّ القرآنيّ	٣٤٢-٣٥٠
ب- تناصٌّ مباشرٌ	٣٥٠-٣٥٤

المبحث الثّاني: معيار الإعلاميّة أوّلاً: مفهوم الإعلاميّة ثانيًا: مستويات الإعلاميّة ١- إعلاميّة الدّرجة الأوّلى (المنخفضة) ٢- إعلاميّة الدّرجة الثّانية (المتوسطة) ٣- إعلاميّة الدّرجة الثّالثة (المرتفعة)	٣٥٥-٣٦٥ ٣٥٥-٣٥٩ ٣٥٦-٣٦٨ ٣٥٦-٣٥٧ ٣٥٧ ٣٥٧-٣٦٥
الخاتمة ونتائج الدّراسة	٣٦٦-٣٦٩
فهرس المصادر والمراجع	٣٧٠-٣٩٩
Absferact	A

المقدِّمة

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ

المقدِّمة

وبهِ نستعين

الحمدُ للهِ الّذي جلَّت آلاؤه عن أن تُحاطَ بعدّ، وتعالت كبرياؤه عن أن تشتملَ بحدّ، تاهت في موامي معرفته سابلةُ الأفهام، وغرقت في بحار عزّته سابحةُ الأوهام؛ كلّ ما يخطرُ ببالِ ذوي الأفكار فبمعزلٍ عن حقيقة ملكوته، وجميع ما تعقد عليه ضمائر أوّلي الأبصار فعلى خلاف ما ذاته المقدّسة عليه من نعوت جبروته.

والصّلاةُ على من تبوَّأ من الفصاحة ذِروتها، واقتَعَد من البلاغة مكانَ صَهوَتها، حتّى ظهرت من جبهتِهِ أسرارُ طلعتِها، وتبلَّجَت من بهجتِهِ أَنوارُ زُهرتها. وعلى آلِهِ الطّيّبين أطواد العلم الرّاسخة، ومثاقيل الحِكَم الرّاجحة. صلاةً تُقِيمُ، ولا تَرِيمُ، إنّهُ مُنعمٌ كريمٌ .

أمَّا بعدُ

فيعدُّ الحديث النّبويّ الشّريف المصدر التّشريعيّ الثّاني بعد القرآن الكريم؛ إذ يمثّل هذا المصدر إرثًا دينيًّا، ومنهجًا روحيًّا وأخلاقيًّا في ديننا الحنيف. فضلًا عن ذلك فإنّ كلامه عليه الصّلاة والسّلام يمثّل منجمًا لغويًّا، وإرثًا أدبيًّا، ندُر نظيره في الكلام، فهو دون كلام الخالق وفوق كلام المخلوقين؛ إذ لا يخفى لعربيّ أو لمسلم ما للرّسول (ﷺ) من فصاحةٍ وبيانٍ، فلم ينطق فصيحٌ بالضّاد غيره، ولم يتأتّى لأحدٍ جوامع الكَلِم سواه، فحديثه يتربّع على القمّة العُلا في فصاحةِ العرب وبلاغتهم.

ولمّا كان الحديث النّبويّ أعلى مراتب البيان في العربيّة بعد القرآن الكريم، اتّخذتُ من حِكَمِهِ العظيمة ميدانًا للدّراسة اللّغويّة، محاولًا أن أقتفي الجواهر اللّغويّة القيّمة من هذا الكنز اللّغويّ، وأن أسلّط الضّوءَ على ما تضمّنه هذا الثّراء اللّغويّ من طاقةٍ تعبيريّةٍ، وخصائصَ بلاغيّة، وسمات أسلوبيّةٍ ، زيادة على معرفة ما استعمله الرّسول (ﷺ) في كلامه من تراكيبَ نحويّةٍ، وأساليبَ إنشائيّةٍ، وعباراتٍ قرآنيّةٍ.

فاخترت لهذه الدّراسة كتاب (حِكَمُ النّبيُّ الأعظمُ) لمحمّدِ الريّشهريّ (ت١٤٤٤هـ)؛ إذ جمع هذا الشّيخ الجليل في مصنّفه هذا، حِكَمَ الرّسول (ﷺ) من كتب الحديث المعتبرة، فلم يترك حديثًا حِكَميًّا إلّا وضمّنه في هذا المصنّف. فكان من لطائف الله عزّ وجلّ الّتي تُستحق الشّكر، أن أكرمني لتكون دراستي في رحاب الحديث النّبويّ الشّريف، فكان الشّرف العظيم أن يكون عنوان الدّراسة (البناءُ اللّغويُّ في كتابِ حِكَمِ النّبيّ الأعظمِ لمحمّدِ الرّيشهريّ).

وتسمية هذه الدّراسة بـ(البناء اللّغويّ)، ليست ببدعةٍ في حقل الدّراسات اللّغويّة؛ إذ إنَّ دراساتٍ كثيرةً اتّخذت هذه التّسمية عنوانًا لها، منها (البناءُ اللّغويّ في ديوان الأعشى الكبير)، وهي رسالة ماجستير للباحث ثائر محمّد عبد الأئمّة الدّبّاغ، و(البناء اللّغويّ للشّعر العربيّ الأصمعيّات أنموذجًا) وهي أطروحة دكتوراه للباحث عصام كاظم الغالبيّ، و(البناء اللّغويّ في شعر الحطيئة)، وهي رسالة ماجستير للباحث محمَّد جبّار حدّاد السّاعديّ.

وتقييدًا بلفظ (البناء اللّغويّ) فإنَّ هذه الدّراسة اشتملت على دراسة (بناء الكلمة)، و(بناء الجملة)، و(بناء النّصّ)، فكان البناء اللّغويّ في هذه الدّراسة مفهومًا تدريجيًّا ينطلق من أصغر وحدة لغويّة وهي (الكلمة)، إلى أكبر وحدة لغويّة وهو (النّصّ).

وتناول البنية النّصّيّة في هذه الدّراسة، مختلفٌ عن الدّراسات السّابقة الّتي عنوانها (البناء اللّغويّ)؛ إذ اقتصرت تلك الدّراسات على دراسة (بنية الكلمة) و(بنية الجملة) فقط.

ولم يكن تناول البنية النّصّيّة في هذه الدّراسة تناولًا اعتباطيًّا، وإنَّما هو نظرةٌ لغويّةٌ ينظر فيها الدّرس اللّغويّ الحديث إلى النّصّ بأنَّه كيانٌ لغويٌّ مستقلٌّ يمثّل الوحدة اللّغويّة الأكبر، علاوة على ذلك أنَّ الانتهاء من تناول الجملة وتحليلها النّحويّ، يمهّد الطّريق لبداية جديدة، وهي تناول وتحليل النّصّ؛ كونه يمثّل وحدة لّغويّة أكبر من الجملة، يشمل الكلمة والجملة معًا، ويبحث كيفية انتظام الجمل وتماسكها داخل النّصّ، فكلّ مستوى لغويّ يقوم على المستوى السّابق له.

ولكلِّ ما تقدَّم، ومن أجل التّقيّد بلفظ (البناء) في عنوان الدّراسة، قُسِمتْ هذه الدّراسة على ثلاثة أبوابٍ تسبقهما مقدّمةٌ وتمهيدٌ.

درستُ في الباب الأوّل (بناء الكلمة) في حِكَمِ النّبيّ الأعظم، مُقسِّمًا إيّاه على فصلَين، كان عنوان الفصل الأوّل (أبنية الأفعال ودلالاتها)، درستُ فيه أبنية الفعل الثّلاثيّ المجرَّد والمزيد جميعها، فضلًا عن أبنية الفعل الرّباعيّ المُجرَّد والمزيد، أمَّا الفصل الثّاني من هذا الباب، فكان عنوانه (أبنية الأسماء ودلالاتها)، تناولتُ فيه أبنية الأسماء الثُّلاثيّة والرُّباعيّة مُجرَّدًا كان الاسمُ أو مزيدًا، وأبنية المشتقّات وجموع التّكسير والمصادر والنّسب والتّصغير.

أمَّا الباب الثّاني، فخُصِّص لـ(بناء الجملة) في حِكَمِ النّبيّ الأعظم، وجاء هذا الباب على فصلين، خُصِّص الأوّل منهما لدراسة (بناء الجملة الخبريّة) درستُ فيه الجملة

المُثْبَتــة والمنفيّــة والمنســوخة والمؤكَّــدة، فضــلاً عــن جملــة الشّــرط، والتّقــديم والتّــأخير والحـذف فيهـا، وعُقـد الفصـل الثّـاني فـي (بنـاء الجملـة الطّلبيّـة) ، ضـمَّ جُملـة النّـداء، وجُملـة الاستفهام، وجُملة الأمر، وجُمَلاً طلبيّةً أُخَرَ.

وجـاء البـاب الثّالِـث والأخيـر مخصّصًـا لدراسـة (بنـاء الـنّصّ) فـي حِكَـم النّبـيّ الأعظـم؛ إذ اعتمـدتُ فيـه علـى المعـايير النّصّـيّة لروبـرت دي بوجرانـد، فكـان البـاب مُقسِّـمًا علـى ثلاثـة فصـولٍ، خُصّـص الفصـل الأوّل لمعيـاري (الاتّسـاق والانسـجام)، والفصـل الثّـاني للمعـايير النّصّـيّة المحيطـة بعـالم الـنّصّ وهـي (القصـديّة والمقبوليّـة والمقاميّـة)، والفصـل الثّالِـث مـن هذا الباب عُقِد لتناول معياري (التّناصّ والإعلاميّة) في حِكَمِ النّبيّ الأعظم.

وأمَّـا المـنهج المتّبـع فـي هـذه الدّراسـة، فهـو المـنهج التّحليلـيّ؛ إذ اعتمـدتُ فيـه علـى استقراء المـادّة العلميّـة أوّلاً، ثُـمّ تقسيمها وفـق الخطّـة الموضـوعة لهـذه الدّراسـة، وبعـد ذلـك تناولـتُ الموضـوعات داخـل تضـاعيف الرّسـالة بالمُدارسـةِ والتّحليـلِ للشـواهد المُنتقـاة مـن حِكَمه المباركة .ﷺ .

وقـد اعتمـدتُ فـي هـذه الدّراسـة علـى مجموعـةٍ مـن المصـادر ذوات العلـوم النّافعـة، علـى رأسـها كتـاب سـيبويه، والمقتضـب، وشـرحي الرّضـيّ علـى الشّـافية والكافيـة فنِعمّـا همـا مـن شـرحين شـافيين وكـافيين لباحـث العلـم. أمَّـا فـي معرفـة بعـض المعـاني، فكـان كتـابي الطّـراز المتضـمّن لأسـرار البلاغـة، والمجـازات النّبويّـة، بمثابـة السّـراج الّـذي أَسـيرُ بـه للتّمييـز بـين المعـاني الحقيقـة والمجازيّـة فـي حِكَمـه ﷺ ، وفـي معرفـة معـاني أبنيـة الأفعـال كـان كتـاب أوزان الأفعـال ومعانيهـا حاضـرًا. فضـلاً عـن المراجـع الحديثـة النّحويّـة والصّـرفيّة واللّسانيّة، وغيرها ممّا احتواه الفهرس الخاصّ بذلك.

وبمـنِّ الله عـزّ وجـلّ وفضـله، وببركـة نبيـه الكـريم وآل بيتـه الغـرّ الميـامين اسـتطعت تجـاوز مـا واجهنـي مـن صـعوباتٍ متعـددة، كـان أبرزهـا صـعوبة التّطبيـق فـي بعـض مواضـع الدّراسـة، فضـلاً عـن التّطبيـق فـي الدّراسـة النّصّـيّة، كـوني جديـدَ عهـدٍ لركـوب البحر اللّسانيّ.

وقـد حرصـتُ فـي هـذه الدّراسـة ألّا أكـرّرَ الحـديث فـي أكثـر مـن موضـعٍ إلّا اضـطرارًا، فجـاءت الدّراسـة مشـتملةً علـى مـا يزيـد عـن خمسـةٍ وسـبعين وأربعمئـة حـديثٍ نبـويٍّ مـن حِكَمـه ﷺ . إنَّ هـذه الدّراسـة مـا هـي إلّا خدمـةٌ لحـديث النّبـيّ محمّـد ﷺ، أسـألُ اللهَ أن أنـالَ بهـا شـفاعته يـوم الـورود، ولا أحسـبُها سـوى تمهيـدًا لبنـاء دولـة الإمـام الموعـد بالعـدل الإلهيّ.

ولا يفوتني في هذا المقام إلّا أن أتقدّم بالشّكر الجزيل إلى السّيدين المشرفين أ. د. جاسِم فريّح التّرابيّ، و أ. د. سعاد بديع مطير؛ إذ كانا نِعم من أخذ بيدي إلى نور العلم الوهّاج، فلهما سبق الفضل في اختيار الموضوع خدمةً لحديث النّبيّ محمّد ﷺ، ولهما الفضل الكبير في مراجعة مسودات هذه الدّراسة وتقويم ما جانب الصّواب فيها بالرّأي السّديد والنّصح الكريم، فكانا بذلك أبوين قبل أن يكونا أستاذين. كما أتوجّه بالشّكر إلى مكتبة العتبة العباسيّة المقدّسة؛ لإتاحتها لي ولكلّ الباحثين المصادر العلميّة القيّمة وبشكلٍ مجّانيّ.

وحسبي أنني بذلت في هذا البحث وسعي فإن أصبت فبتوفيقٍ ومنّةٍ من الله جلّ وعلا، وبما بذله معي الأستاذان المشرفان، وإن أخطأت فالكمال للهِ وحده، والعصمة لأهلها، وما أنا إلا طالبُ علمٍ.

وختامًا أدعو الباريَ عزّ و جلّ، قائلًا: "اللّهُمَّ إنّا نَرغَبُ إليك في دولةٍ كريمةٍ، تُعِزُّ بها الإسلامَ وأهلَه، وتُذِلُّ بها النّفاقَ وأهلَه، وتجعلُنا فيها من الدُّعاةِ إلى طاعتِك والقادةِ إلى سبيلِك، وترزقُنا بها كرامةَ الدّنيا والآخِرَة برحمتِكَ يا أرحمَ الرّاحمين".

الباحِثُ

التّمهيد

اللُّغة النّبويّة، وترجمة المصنّف الشّيخ محمّد الرّيشهريّ

التّمهيد

اللُّغة النّبويّة، وترجمة المصنّف الشّيخ محمّد الرّيشهريّ

أوّلًا : اللُّغة النّبويّة (خصائصها البلاغيّة وسماتها الأسلوبيّة)

لم تكن لغة الرّسول الكريم محمّد (ﷺ) مجرّد ألفاظٍ أو عباراتٍ تُتلى على مسامع الآخرين، وإنّما كانت لغةً عُلا ذات بناءٍ مُحكمٍ ومتجانسٍ، تتآلف فيها الأفكار مع الألفاظ، وتتجانس فيها المعاني مع الإيقاع، فتصل الكلمة إلى نفس السّامع وتؤدّي المعنى دون كدرٍ أو عيّ. ولا جرمَ في ذلك فقد مثّلت اللّغة النّبويّة انعكاسًا لمرآة الوحي وامتدادًا لنور المشكاة الإلهيّة، فجاءت لغته (ﷺ) ممتزجةً بين الفطرة الإنسانيّة وصفاء الإعجاز الإلهيّ، ممّا أضفى عليها دقّةً في التّعبير، وقوّةً في التّأثير، حتّى غدت لغته (ﷺ) تمثّل القمّة العُلا في بيان اللّسان العربيّ، لا يترفّع عليها في البلاغة والفصاحة والرّوعة سوى كلام الله عزّ وجلّ.

وإذا كان القرآن الكريم شكّل في لغته المعجزة البيانيّة الخالدة الّتي عصت على أرباب الفصاحة والبلاغة، وخرقت قراطيس أسماعهم، فإنَّ الحديث الشّريف مثّل امتداداً لتلك اللّغة الإعجازيّة، فكان كلامه (ﷺ) متمّمًا ومثبّتًا لمعاني القرآن الكريم، ممّا جعله في قمّة البيان والبلاغة البشريّة، فكلام الخلق كلّهم دون كلامه (ﷺ)، وقاصرين عن بلوغ بيانه، وعاجزين عن إدراك جوامع كَلِمه[1]. "ثُمَّ إن هَذَا الْبَيَان الْعَرَبِيّ كَأَنَّ الله عزّت قدرته مخضه وَألقى زبدته على لِسَان مُحَمَّد عَلَيْهِ أفضل صَلَاة وأوفر سَلام فَمَا من خطيبٍ يقاومه إِلَّا نكص متفكّك الرّجل وَمَا من مصقعٍ يناهزه إِلَّا رَجَعَ فارغ السّجل، وَمَا قُرن بمنطقهِ منطقٌ إِلَّا كَانَ كالبرذون مَعَ الحصان المطهّم، وَلَا وَقع من كَلَامه شيءٌ فِي كَلَام النَّاس إِلَّا أشبه الوضح فِي نقبة الأدهم"[2] .

إنَّ لغة الرّسول محمّد (ﷺ) تحمل خصائصَ وسماتٍ خاصّة تميّز أسلوبه وطرائق أدائه وتراكيبه اللّغويّة وصوره الحسّيّة؛ إذ إنّ كلام النّبيّ (ﷺ) خطابٌ متنوّعٌ بحسب المقام الّذي يُقال فيه، فتارة يخاطب العقل بالحجّة البينة، والنّفس بالتّرغيب أو التّرهيب،

---

(١) ينظر: المجازات النّبويّة، مقدّمة المحقّق: ٧ ، والطّراز المتضمّن لأسرار البلاغة: ٥٠١-٥٠٣.

(٢) الفائق في غريب الحديث: ١/ ١١

وتارة يخاطب القلب بالعاطفة، مستعملًا في كلِّ خطابٍ يوجّهه (ﷺ) للفرد المسلم تراكيب وأساليب متنوّعةً، فيها لغةٌ عاليةٌ، ودقّةٌ متزنةٌ [١].

ومن هنا فإنّ دراسة اللّغة النّبويّة لا تقف عند المستوى الدّينيّ فحسب، وإنّما تتجاوز ذلك إلى تسليط الضّوء على الثّراء اللّغويّ وما يتضمّنه من طاقةٍ تعبيريّةٍ، وسماتٍ أسلوبيّةٍ، وقوّةٍ تأثيريّةٍ تسهم في ترسيخ الأفكار والمعاني في أذهان المتلقّين؛ لذا سنحاول أن نقف عند أبرز خصائص وسمات كلامه (ﷺ)، ونكشف عن عمق وجمال هذه اللّغة الّتي هي امتدادٌ للغة القرآن الكريم.

وأوّلى تلك السّمات هي تميّز كلامه (ﷺ) بالفصاحة والبلاغة؛ ونقصد بالفصاحة خلو الكلام من "ضعف التّأليف، وتنافر الكلمات، والتّعقيد، مع فصاحتها" [٢]، وأمَّا البلاغة، فهي مطابقة الكلام لمقتضى الحال مع شرط فصاحة الألفاظ المستعملة في الكلام، أو هي حُسن التّعبير عن المعاني، مع تمكّن المتكلّم من استعمال التّراكيب المناسبة والأساليب البلاغيّة المختلفة استعمالًا دقيقًا في سياقاتٍ ملائمةٍ لها، مع الحفاظ على جوهر المعنى ووضوحه[٣]، وهاتان الميزتان في حديثه ﷺ المبارك يفوقان ما عُرف عن بلغاء العرب، فهم "وإن هذّبوا الكلام وحذّقوه وبالغوا في إحكامهِ وتجويده، إلّا أنَّ ذلك قد كان منهم عن نظرٍ متقدّمٍ، ورؤيةٍ مقصودةٍ، وكان عن تكلّفٍ يُستعان له أسباب الإجادة الّتي تسمو إليها الفطرة اللّغويّة فيهم" [٤].

فالفصاحة في كلامه (ﷺ) لم تكن عن تكلّفٍ، أو قصدٍ من ورائه تزيين، وإنّما عن فطرةٍ وسرٍّ ربانيّ، فهي مطبوعةٌ في كلامه انطباعًا، لا يشوبها كدرٌ ولا عيٌّ؛ إذ انقادت الفصاحة إليه انقيادًا، واجتمعت إليه دون غيره اجتماعًا، حتّى صار كلامه مثال الفصاحة، وجوهر البلاغة، وصار العلامة الّتي يعرف بها حُسن البيان، والعنوان الدّال على الاتّزان[٥].

---

(١) ينظر: معالم البيان في الحديث النّبويّ (بحث منشور): ٨٦.

(٢) الإيضاح في علوم البلاغة: ٧٤ .

(٣) ينظر: مفتاح العلوم: ٦٥٢ . ٦٥٣ ، والتّلخيص في علوم البلاغة: ١٠ .

(٤) إعجاز القرآن والبلاغة النّبويّة: ٢٨١.

(٥) ينظر: المصدر نفسه: ٢٨٢.

فما أروع ما قاله الجاحظ (٢٥٥هـ) في وصف كلامه (ﷺ): "هو الكلام الذّي قلّ عدد حروفه وكثر عدد معانيه، وجَلَّ عن الصَّنعة، ونُزِّه عن التّكلّف...فكيف وقد عابَ التّشديق، وجانب أصحاب التّقعيب، واستعمل المبسوطَ في موضع البسط، والمقصورَ في موضع القصر، وهَجَر الغريبَ الوحشيّ، ورغِب عن الهجين السُّوقيّ" [١].

إنَّ فصاحة النّبيّ الأعظم وبلاغته، وما يحتويه كلامه من لغةٍ عاليةٍ، ومعانٍ ساميةٍ، لم يتفوّه بها أحدٌ من قبله أو بعده سواءٌ أكانَ من العرب أم من العجم، فلم يستطع أحدٌ من بلغاء العرب أن يبلغها، بل كلّ أرباب الفصاحة والبلاغة عاجزون عن بلوغها وإن تكلّفوا ذلك فهم في محطِّ النّاقص، وكلّ ما يُقال من فصاحةٍ في غيره (ﷺ) تقلٌ عن بلوغ الكمال[٢]. يقول يونس بن حبيب (ت ١٨٢هـ): "ما جاءنا عن أحدٍ من روائع الكَلِم ما جاءنا عن رسول الله" [٣].

إنَّ فصاحة الرّسول (ﷺ) لم تقتصر على أسلوبه العالي، ومعانيه السّاميّة، وتوظيفه الألفاظ لتؤدّي المعاني المناسبة للمقام، وإنَّما تجاوزت فصاحته كلَّ ذلك إلى طريقة أدائه؛ إذ كانت على درجةٍ من الكمال، والخلوّ من العيوب، فكان (ﷺ) ضليع الفمّ، لا يقتصر على تحريك الشّفتين فحسب، وإنّما يستعمل فمّه كلّه إذا تكلّم. يغلب عليه السّكوت الطّويل، لا يتكلّم إلّا لحاجةٍ، وإن تكلّم فلا يسرد في كلامه؛ بل يتمهّل ليفصّل ويبيّن[٤]، كأنّ "منطقه خرزاتٌ نُظِمن"[٥]. فضلًا عن ذلك فقد كان (ﷺ) "جَهِيرَ الصّوت، حَسَنَ النَّغْمة" [٦].

وقد وصفت السّيدة عائشة فصاحة نطقه بقولها: "مَا كَانَ رَسولُ اللهِ (ﷺ) يَسْرُدُ سَرْدَكُمْ هذا، وَلكنَّهُ كَانَ يَتكلَّمُ بِكَلامٍ يُبَيّنهُ فَصْلٍ، يَحْفَظُهُ من جَلسَ إلَيْهِ"[٧]. فلا جرمَ بأن يكون "منطقه (ﷺ) على أتمِّ ما يتّفق في طبيعة اللّغة ويتهيأ لها إحكام الضّبط

(١) البيان والتّبين: ٢/ ١٣.
(٢) ينظر: البيان المحمّديّ: ٧.
(٣) البيان والتّبيين: ٢/ ١٤.
(٤) ينظر: التّصوير الفنّيّ في الحديث النّبويّ: ٢٢ ، والحديث النّبويّ مصطلحه، بلاغته، كتبه: ٥٦.
(٥) الشفا بتعريف حقوق المصطفى: ١٢٥.
(٦) المصدر نفسه: ١٢٥.
(٧) سنن التّرمذيّ: ٦/ ٢٣١.

وإتقان الأداء: لفظٌ مشبعٌ، ولسانٌ بليلٌ، وتجويدٌ فخمٌ، ومنطقٌ عذبٌ، وفصاحةٌ متأديةٌ، ونظمٌ متساوقٌ، وطبعٌ يجمع ذلك كلّه، مع تثبُّتٍ وتحفّظٍ وتبيّينٍ وترسُّلٍ وترتيلٍ" [1].

وهذه الفصاحة الّتي هي من أعذب صور البيان الإنسانيّ هي توفيقٌ وإلهامٌ من عزيزٍ مقتدرٍ[2]؛ إذ كانت فصاحته (ﷺ) بذلك الإلهام الإلهيّ "غايةً لا يدرك مداها، ومنزلةً لا يدانى منتهاها، وكيف لا يكون ذلك وقد جعل الله تعالى لسانه سيفًا من سيوفه يبيّن عنه مراده ويدعو إليه عباده" [3].

فضلاً عن عوامل أخرى أسهمت في علو فصاحته، منها استرضاعه (ﷺ) في قبيلة سعد بن بكر[4]؛ إذ قال: (ﷺ "أَنَا أَعْرَبُ الْعَرَبِ، وَلَدَتْنِي قُرَيْش، ونَشَأْتُ فِي بَنِي سَعْدِ بْنِ بَكْرٍ"[5]. ومنها تشرّبه بلغة القرآن الكريم ومعانيها، تلك اللّغة الإعجازيّة الّتي أعجزت العرب عن بلوغ فصاحتها وبلاغتها.

إنَّ من حِكمة الله تعالى أَنَّه خصَّ رسوله الكريم (ﷺ) برسالته السّماويّة السّمحاء، وأنعم عليه بالبيان المحض، والفصاحة العُلا، والمنطق البيّن، والعصمة من الزّلل والخطل؛ إذ إنَّ "من لوازم هذه الصّورة البيانيّة في هذه الرّسالة أن يكون رسول الله(ﷺ) أفصح العرب وأبلغ من نطق بالضّاد. وأن يكون في الذّروة العليا من البيان الإنسانيّ، فيعطيه الله تعالى جوامع الكَلِم ويختصر له الكلام اختصاراً"[6]، والله تعالى أعلم حيث يضع الفضل كلّه.

إنَّ جوامع الكَلِم الّتي خصّ بها الله تعالى رسوله الأمين، تتمثّل بالإيجاز الّذي يُعَدُّ المظهر البلاغيّ لجوامع الكَلِم، فهو الخصيصة الأسلوبيّة الّتي يتميز بها كلامه ﷺ ، فهذه الخصيصة تعكس لنا عبقريّة البيان النّبويّ؛ كونها الأداة الّتي امتلك بها الرسّول ﷺ ناصية اللّغة، حيث تأديته للمعاني الكثيرة بالألفاظ القليلة، والتّراكيب الموجزة،

(١) إعجاز القرآن الكريم والبلاغة النّبويّة: ٢٩٦-٢٩٧.
(٢) ينظر: المصدر نفسه: ٢٨٣.
(٣) المواهب اللّدنيّة بالمنح المحمّديّة، القسطلانيّ: ١٨-١٩.
(٤) ينظر: سيد المرسلين، جعفر سبحانيّ: ١/ ٢١٦.
(٥) المعجم الكبير، للطبرانيّ: ٦/ ٣٦.
(٦) البيان النّبويّ سمات ونصوص: ٤٩.

المشبّعة بالدّلالات الموسّعة، والوافية للغرض المقصود، وكلّ ذلك من غير كدرٍ أو تكلّفٍ [١].

ولا يؤتى كلّ ذلك إلّا لذوي الحدّة في الذّهن، والإحساس المرهف في البيان، والإدراك الواعي والحَسن لأحوال المخاطبين، وللمقام الّذي يُقال فيه الخطاب. وهذا ممّا اجتمع في كلامه (ﷺ) اجتماعًا على أتمّ ما يكون[٢]، فلم يُعرف عن النّبيّ الأعظم إلاّ "اجتماع الكلام وقلّة ألفاظه، مع اتّساع معناه وإحكام أسلوبه في غير تعقيدٍ ولا تكلّفٍ، ومع إبانة المعنى واستغراق أجزائه" [٣].

ومن الأحاديث المباركة الّتي جاءت بعبارةٍ موجزةٍ حملت دلالاتٍ موسّعةً، ومعانيَ جمّة، قوله (ﷺ) : "كلُّ معروفٍ صدقةٌ"[٤]. فالحديث المبارك "سهل المأخذ، قريب المتناول، موجز العبارة، لو عدّه العاد ... لأحصاه"[٥]؛ إذ إنَّ هذه العبارة الموجزة حملت تكثيفًا دلاليًّا، فقد دلّت ألفاظها المحدودة على معانٍ واسعةٍ، ومثل هذا وغيره كثيرًا من أحاديثه المباركة قلّ نظيرها في كلام باقي البشر[٦]، ولو أراد غير النّبيّ الكريم (ﷺ) أن يعطي ما أعطاه هذا الحديث من معنى لاحتاج أن يبسط الكلام حتّى يفي ما يحمله هذا الحديث من معانٍ واسعةٍ، وهذا هو جوامع الكَلِم، الّذي خُصّ به الرّسول الكريم (ﷺ) من دون غيره.

ومنها قوله (ﷺ) "إنّما الأعمالُ بالنّياتِ، وإنّما لِكُلِّ امرئٍ ما نَوى"[٧]. فالحديث المبارك جاء بعبارةٍ موجزةٍ، أحاطت بالمعاني البليغة، والألفاظ الفصيحة، يعجز فصحاء العرب وبلغائها عن الإتيان بها أو الإحاطة بمحاسن لطائفها.

فالحديث لم يقتصر على اختصار الكلام فحسب؛ وإنّما جاء مكثّفًا دلاليًّا، وهذا هو فحوى (جوامع الكَلِم) وجوهره، أي الجمع بين اختصار الكلام وبين المعاني الموسّعة

---

(١) ينظر: الطّراز المتضمّن لأسرار البلاغة: ٥٤٨ ، والبلاغة النّبويّة: ٢١٩ ، وجواهر البلاغة: ١٩٧.

(٢) ينظر: الحديث النّبويّ مصطلحاته، بلاغته، كتبه: ١٠٦.

(٣) إعجاز القرآن الكريم والبلاغة النّبويّة: ٣٠٠.

(٤) صحيح مسلم: ٢/ ٦٩٧.

(٥) البلاغة النّبويّة: ٢٥٥.

(٦) ينظر: البيان المحمّديّ: ٧١٦-٧١٨.

(٧) حكم النّبيّ الأعظم: ٥/ ١٥٥ ، وينظر: سنن التّرمذيّ: ٣/ ٤٥٧.

والـدّلالات المكثّفـة، فهـذا الحـديث يـدخل فـي أبـوابٍ كثيـرةٍ مـن أبـواب الفقـه؛ نتيجـة للاتّسـاع الدّلاليّ الّذي تضمّنه(١).

قـال أبـو هـلال العسـكريّ (٣٩٥هـ) بعـد أن أورد أحاديـث مباركـة تحمـل إيجـازًا بليغًـا: "فمعـاني هـذا الكـلام أكثـر مـن ألفاظـه، وإذا أردت أن تعـرف صـحّة ذلـك فحُـلّها وابنهـا بنـاءً آخر؛ فإنّك تجدها في أضعاف هذه الألفاظ" (٢).

بيـد أنّ الرّسـول (ﷺ) كـان فـي بعـض المواضـع يسـلك طريـق الإطنـاب، فيطيـل الكـلام إذا رأى المقـام يتطلّـب إطالـةً أكثـر وتوضـيحًا أدقّ؛ ولكـنّ إقـلال الكـلام وإيجـازه هـو السّمة المطّردة على حديثه (ﷺ) (٣).

ولأنَّ الرّسـول (ﷺ) "لـم يـتكلَّم إلّا بكـلامٍ قـد حُـفَّ بالعصـمة"(٤) فقـد خـلا كلامـه(ﷺ) مـن الحشـو، والزّيـادة، والتّكـرار الّـذي لا فائـدةَ لـه؛ لأنَّ كـلّ ذلـك يـؤدّي إلـى ركاكـة الكلام.

أَمَّـا التّكـرارات التّـي عمـد إليهـا الرّسـول الأعظـم (ﷺ)، فقـد جـاء بهـا ليـدلّ علـى التّوكيـد والتّحقيـق، وليقطـع بهـا الطّريـق إلـى التّأويـل، والاخـتلاف والتّضـليل. وهـذا التّكـرار إنَّمـا يعمـد إليـه فـي الموضـوعات أو الأحـداث الخطيـرة، أو عمـل يكـون لـه شـأنٌ عظـيمٌ؛ لـيُحفظ عنه الكلام ويُعقل، ويكون أكثر توضيحاً عن طريق تكراره (٥).

ويبـيّن لنـا الخطـابيّ (٣٨٨هـ) الفائـدة مـن التّكـرار بقولـه: "وإنَّمـا يحتـاج إليـه ويحسـن اسـتعماله فـي الأمـور المهمّـة الّتـي تعظـم العنايـة بهـا ويخـاف بتركـه وقـوع الغلـط والنّسـيان فيها والاستهانة بقدرها" (٦) .

ومـن ذلـك التّكـرار مـا ورد فـي قولـه (ﷺ) : "أَلَا أُنَبِّـئُكُمْ بِـأَكْبَرِ الْكَبَـائِرِ؟ (ثَلَاثًـا) الْإِشْـرَاكُ بِـاللَّهِ، وَعُقُـوقُ الْوَالِـدَيْنِ، وَشَـهَادَةُ الـزُّورِ، (أَوْ قَـوْلُ الـزُّورِ) وَكَـانَ رَسُـولُ (ﷺ) مُتَّكِئًا فَجَلَسَ. فَمَا زَالَ يُكَرِّرُهَا حَتَّى قُلْنَا: لَيْتَهُ سَكَتَ" (٧).

---

(١) ينظر: جامع العلوم والحكم في شرح خمسين حديثًا من جوامع الكلم، ابن رجب الحنبليّ: ١/ ٥٠.

(٢) الصّناعتين (الشّعر والنثر): ١٧٨.

(٣) ينظر: إعجاز القرآن والبلاغة النّبويّة: ٣٠٢.

(٤) البيان والتّبيين: ٢/ ١٣.

(٥) ينظر: البيان النّبويّ سمات ونصوص: ٨١ ، وعبقريّة محمّد: ٧١.

(٦) بيان إعجاز القرآن، للخطابيّ: ٥٢.

(٧) صحيح مسلم: ١/ ٩١.

نلحظ أنَّ التّكرار في الحديث المبارك لم يكن حشوًا لا فائدةَ منه، وإنَّما أدّى وظيفةً بلاغيّةً مقصودةً، ففي التّكرار الأوّل أراد فيه الرّسول (ﷺ) أنَّ يشدّ انتباه المتلقّين لخطورة ما سيقوله، ويثير في نفوسهم نوعاً من التّشويق. وفي الثّاني رسّخ الرّسول الكريم (ﷺ) الفكرة في أذهان المتلقّين، وليدلُّ بتكرارها على الأمر الكبير والخطير وهو (شهادة الزّور) وما لها من نتائج سلبيّة على المجتمع.

وكان الرّسول (ﷺ) يبغض الثّرثرة والتّشدّق في الكلام، ويبغض الإطالة التّي لا فائدةَ فيها، التّي تتجاوز مقدار القصد[١]؛ إذ قال (ﷺ) في بغضه للثّرثرة: "إنَّ أَبْغَضكُمْ إِلَيَّ وَأَبْعَدَكُمْ مِنِّي يَوْمَ القِيامَةِ الثَّرْثارُونَ والمُتَشَدِّقُونَ والمُتَفَيْهِقُونَ" [٢].

إنَّ الألفاظ الّتي يستعملها الرّسول (ﷺ) في حديثه المبارك لم تكن ألفاظًا غريبةً يجهلها المتلقّي أو يواجه عنتًا في فهمها وبيانها؛ بل كانت ألفاظًا عذبةً، سهلة الفهم والحفظ، خاليةً من الغموض وعيوب المبالغة، كما تخلو من الحيلة والزّخرفة، وتصل إلى السّامع دون مشقّةٍ أو عنتٍ؛ لأنَّ الرّسول (ﷺ) يريد أن يبلّغ ويهدي، والهداية والإبلاغ لا تكون بالألفاظ الغريبة والمزخرفة؛ وإنَّما بألفاظٍ سهلةٍ عذبةٍ تترك أثرًا في نفس المتلقّي[٣]، فكانت "ألفاظه (ﷺ) هي السّهلة العذبة"[٤]، الخالية من الغريب والمبهم؛ إذ كان (ﷺ) "يَتَخَيَّرُ فِي خِطَابِهِ وَيَخْتَارُ لِأُمَّتِهِ أَحْسَنَ الْأَلْفَاظِ وَأَجْمَلَهَا، وَأَلْطَفَهَا، وَأَبْعَدَهَا مِنْ أَلْفَاظِ أَهْلِ الْجَفَاءِ وَالْغِلْظَةِ وَالْفُحْشِ"[٥].

لم يكن تخيّر الرّسول (ﷺ) للألفاظ اللّطيفة، والسّهلة العذبة، إلا ليلائم مقام الحال، وليؤدّي بها المعنى بأبهى صورةٍ، فجاءت الألفاظ داخل تضاعيف كلامه (ﷺ) بعيدةً عن التّكلّف أو النّقص، مناسبةً للمقام المقصود، منسجمةً انسجامًا تامًّا مع المعاني[٦]. ولا غريبَ في ذلك، فقد كان (ﷺ) "أفصح العرب لسانًا، وأوضَحَهُمْ بيانًا، وأعذَبَهم

(١) ينظر: البلاغة في السّنّة النّبويّة دراسة تحليليّة في الحديث النّبويّ: ٥١.
(٢) سنن التّرمذيّ: ٤/ ١١٢.
(٣) ينظر: عبقريّة محمّد: ١١٠ ، والبلاغة في السّنّة النّبويّة: ٥٧.
(٤) الصّاحبي: ٣٤.
(٥) زاد المعاد في هدي خير العباد: ٢/ ٣٢٠.
(٦) ينظر: البلاغة في السّنّة النّبويّة: ٥٧.

نُطقًا، وأسَدَّهم لفظًا، وأبيَنَهم لَهجَةً، وأقومَهم حُجةً، وأعرَفَهُم بمواقع الخطاب، وأهدَاهم إلى طُرق الصّواب تأييداً إلهِيّاً، ولُطفاً سماويًّا. وعنايَةً رَبَّانية، ورعايَةً رُوحانيّة" [١].

فمن ذلك قوله (ﷺ): "الجنَّة تحت ظلالِ السّيوف"[٢]، فالألفاظ في الحديث المبارك جزلةٌ، عذبةٌ، موجزةٌ، أدّت المعنى بصورةٍ واضحةٍ دون تكلّفٍ أو عيّ.

علّق القرطبيّ (٦٥٦هـ) على هذا الحديث قائلًا: "هذا من الكلام النّفيس البديع، الّذي جمع ضروب البلاغة من جزالة اللّفظ، وعذوبته، وحسن استعارته، وشمول المعاني الكثيرة، مع الألفاظ المعسولة الوجيزة؛ بحيث تعجز الفصحاء اللُّسُنُ البلغاء عن إيراد مثله، أو أن يأتوا بنظيره وشكله" [٣] .

كما أنَّ الألفاظ الّتي يتخيّرها الرّسول (ﷺ) في كلامه تتميز بالجزالة والقوّة، والرّقة والرّشاقة، والمقام هو الفيصل الّذي يحدّد استعمال الجزل من الرّقيق.

أَمَّا الألفاظ الجزلة، فهي تستعمل في سياقاتٍ تتضمّن أمورًا عظيمةً، فيها من التّهديد والوعيد ما فيها. وأَمَّا الألفاظ الّتي فيها رقّةٌ، فهي تستعمل في سياقاتٍ يرد فيها معنى الرّحمة والبشارة والتّلطّف والتّحنّن [٤].

ومن استعماله (ﷺ) الألفاظ الجزلة قوله (ﷺ): "يا بن آدمَ تُؤتَى كلَّ يومٍ برزقك وأَنتَ تحزَنُ، ويَنْقُصُ كلُّ يومٍ من عمْرِك وأَنتَ تفْرَحُ، أَنت فيما يكفيك وتطلبُ ما يُطغِيك لا بقليلٍ تَقْنَع، ولا من كثيرٍ تشْبَع"[٥]. فتأمّل جزالة الألفاظ وقوّة الأسلوب وسمو البلاغة، البلاغة، الّتي وظفها الرّسول (ﷺ) في حديثه عن التّحذير من الغفلة والانغماس في ملذّات الدّنيا قبل حلول أجل الإنسان.

ومثال الرّقة في الأسلوب قوله (ﷺ): "رحم اللهُ امرءًا تكلّم فغنم، أو سكت فسلم، إنَّ اللّسان أملك شيءٍ للإنسان"[٦]. فانظر الرّقائق في كلامه (ﷺ)؛ إذ استعمل عليه

(١) النّهاية في غريب الحديث والأثر: ١/ ٤.
(٢) صحيح البخاريّ: ٣/ ١١٠١.
(٣) المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم، القرطبيّ: ٣/ ٥٢٥.
(٤) ينظر: الطّراز المتضمّن لأسرار البلاغة: ٥٨.
(٥) بحار الأنوار: ٧٤/ ١٧٠.
(٦) المصدر نفسه: ٧٤/ ١٧٨.

الصّلاة والسّلام ألفاظًا رفيعةً سهلةً، أدّت معنىً سلسًا ورشيقًا، وهو الحثُّ على ضبط اللّسان وعدم التّكلّم إلّا لفائدةٍ يؤجر عليها.

وهذه الألفاظ السّهلة، الرّفيعة، العذبة، منزهةٌ عن التّكلّف الّذي يشوب فصحاء العرب، وأرباب الصّنعة؛ إذ إنَّ ألفاظه (ﷺ) "لا يشوبها كدر العيّ ولا يطمس رونقها التّكلّف ولا يمحو طلاوتها التّفيهق" [١].

فقد عصم الله عزّ وجلّ نبيه الكريم من التّكلّف والصّنعة، فلم "يرغّبه في صنعة الكلام، والتّعبُّد لطلب الألفاظ، والتّكلّف لاستخراج المعاني"[٢]؛ إذ نفى الله جلّ وعلا التّكلّفَ عن نبيه؛ فقال في محكم كتابه العزيز: ﴿وَمَا أَنَا مِنَ الْمُتَكَلِّفِينَ﴾[٣]؛ لأنَّ تكلّف الكلام يضفي على صاحبه استثقالاً، وظلًا من الكراهية، ونفورًا لدى السّامع، حتّى وإن كان المتكلّم ينطق صوابًا[٤]. لذا جاءت عبارات الرّسول الأعظم (ﷺ) خاليةً من التّكلّف والتّقعّر والإغراب، محرّرةً من كلّ قيدٍ، وقد غلب عليها صفة السّهل الممتنع، القريب من الأذهان، الممتع للسّامع [٥].

إنَّ بعد الرّسول (ﷺ) عن التّكلّف والتّشدّق والإغراب منح كلامه (ﷺ) مكانةً رفيعةً، وقبولًا واسعًا لدى النّاس عمومهم؛ لأنَّه "الكلام الّذي ألقَى اللهُ عليه المحبّةَ، وغشَّاهُ بالقَبول، وجمع له بين المهابة والحلاوة، وبَين حُسنِ الإفهام، وقلّة عدد الكلام"[٦].

فالّذين كانوا يستمعون إلى كلامه (ﷺ) "إنَّما كانوا يستمعون إلى كلام نبيّ محبوبٍ مطاعٍ. فهو نافذٌ في نفوسهم بغير حيلةٍ، مستجمعٌ لأسماعهم بغير تشويقٍ"[٧]. وهذا النّفاذ إلى النّفوس، وتشوّق المسامع إليه، هو نتاج العصمة الإلهيّة للنّبيّ (ﷺ)،

---

(١) المجتنى، ابن دريد: ٢.
(٢) إعجاز القرآن والبلاغة النّبويّة: ٣٠٥.
(٣) سورة ص، آية: ٨٦.
(٤) ينظر: البلاغة النّبويّة: ٢٥٥.
(٥) ينظر: المصدر نفسه: ٢٥٥.
(٦) البيان والتّبيين: ٢/ ١٣.
(٧) عبقريّة محمّد: ٧٣.

ونتاج الأسلوب اللّغويّ البيّن الّذي استعمله؛ إذ جمع في ذلك الأسلوب جزالة اللّفظ ووضوح الدّلالة، وبهذا الجمع ملك مفاتيح قلوبهم، ففتح مغاليقها إلى النّور والخير [١].

ثُمّ أنَّ الألفاظ الّتي يستعملها (ﷺ) مساويةٌ للمعنى، فكلُّ لفظٍ قد استعمله في مكانه بدقّةٍ متناهيةٍ من غير إفراطٍ ولا تفريطٍ، فالكلمات الّتي يقتضبها لها مقدارٌ مقصودٌ من المعنى [٢].

ومن ذلك قوله (ﷺ): "ألا أحدّثكم بأحبّكم إليَّ وأقْرَبِكُم مني مجالِسَ يومَ القيامةِ، أحَاسِنكُم أَخلاقاً المُوَطَّؤنِ أَكنافاً الّذينَ يَألَفُونَ ويُؤلَفُونَ، ألا أُخبركم بأبْغَضِكم إليَّ وأبْعَدِكم منّي مجالسَ يومَ القيامة، الثَّرْثَارُونَ المُتَفَيْهِقُونَ"[٣] ، وقد علّق يحى بن حمزة العلويّ (٧٤٩هـ) على هذا الحديث بقوله: "فانظر إلى حُبّه، فما أعدَلَه، وإلى بُغْضِه، ما أقْوَمه، فأعطى المُحَبَّ ما يليقُ به، وأعطى المُبْغِضَ ما يستحقّه، من غير إفراطٍ في الجانبين، ولا تفريطٍ في حقّهما" [٤].

كما أنَّ المعاني الّتي يتضمّنها الحديث المبارك هي معانٍ فخمةٌ. وفخامة المعنى متوقفة على توظيف الألفاظ ذات الدّلالات العميقة في فضاء النّصّ، فعلى قدر فخامة المعنى يكون اختيار الألفاظ الّتي تخدم القصد من وراء النّصّ[٥]، وهذا ما نجده في كلامه (ﷺ)؛ إذ كان كلامه "طرازًا فريدًا جمع بين سمو الغايات، وفخامة المعاني، ووضوح الأفكار، وجمال التّعبير، مع الإيجاز وحسن الاختيار في الألفاظ" [٦].

فمن ذلك قوله (ﷺ): "الدُّنيَا سِجنُ المُؤمِنِ وَجَنَّةُ الكَافِرِ"[٧]، فتأمّل ما للحديث من فخامة المعنى، ودقّة في اختيار الألفاظ، وحسن الرّبط بين هذه المعاني الفخمة والألفاظ الجزلة؛ إذ صوّر لنا الحديث المبارك حقيقة الحياة الدّنيا بصورةٍ بليغةٍ اختزل فيها النّظرة الدّينيّة إلى الحياة الدّنيا الّتي هي دار زوالٍ.

---

(١) ينظر: الحديث النّبويّ مصطلحه، بلاغته، كتبه: ٦٥.

(٢) ينظر: الطّراز المتضمّن لأسرار البلاغة: ٣٤٦ ، وعبقريّة محمّد: ٧١.

(٣) الكامل في اللّغة والأدب: ١/ ٨ ، وينظر: مسند الإمام أحمد ابن حنبل: ٤/ ١٩٣.

(٤) الطّراز المتضمّن لأسرار البلاغة: ٣٤٦.

(٥) ينظر: إعجاز القرآن والبلاغة النّبويّة: ٣٢٩ ، والخصائص البلاغيّة للبيان النّبويّ: ١٩١.

(٦) معالم البيان في الحديث النّبويّ (بحث منشور) : ٧١.

(٧) صحيح مسلم: ٨/ ٢١٠ ، وينظر: حكم النّبيّ الأعظم: ٧/ ٣٤٥.

ومن بين السّمات الّتي يتميّز بها الحديث الشّريف تنوّع تراكيبه اللّغويّة، وصيغه التّعبيريّة، فلم يكن كلامه (ﷺ) على سمتٍ واحدٍ؛ بل تنوّعت تراكيبه وأساليبه بتنوّع المقام، فكانت بين خبرٍ وإنشاءٍ، وأمرٍ ونهي، وشرطٍ واستفهامٍ وغير ذلك من التّراكيب. وهذا التّنوّع يؤدّي وظيفةً دلاليّةً جوهريّةً تسهم في خدمة مقاصد الحديث الشّريف، ويضفي قوّةً بلاغيّةً على أساليبه[١]. فجاء أسلوبه اللّغويّ "مُسدّدَ اللّفظ مُحكمَ الوضع جزلَ التّركيب، متناسبَ الأجزاء في تأليف الكلمات، فخمَ الجملة، واضحَ الصّلة بين اللّفظ ومعناه واللّفظ وضريبه في التّأليف والنّسق...حسنَ المعرِض، بيّنَ الجملة، واضحَ التّفصيل، ظاهرَ الحدود، جيّدَ الرّصف" [٢].

كما أنَّ الأصواتَ داخل كلّ تركيبٍ منسجمةٌ انسجامًا تامًّا، ومتناغمةٌ مع المعنى. فالكلمات الّتي تنتظم في الجملة الواحدة تتمتّع بجرسٍ موسيقيّ بديعٍ وأخّاذٍ، تتناغم فيه الألفاظ مع المعاني، ممّا يترك أثرًا في نفس المتلقّي[٣]. فمن ذلك قوله (ﷺ): "مَن سَلَكَ طَرِيقاً يَلتَمِسُ فيهِ عِلماً سَهَّلَ اللهُ لَهُ بِهِ طَريقاً إلَى الجَنَّةِ"[٤] فتأمّل الحديث الشّريف، ما أجمل موسيقاه الدّاخليّة، وما أروع تناغمها مع المعاني، وما أدقَّ التّرابط بين أجزائه.

ومنها قوله (ﷺ) "إنَّ الله – عزّ وجلّ – يَقْبَلُ تَوبَةَ العَبْدِ مَا لَمْ يُغَرْغِرْ"[٥]. فأصوات فأصوات الفعل (يُغَرْغِرْ) تحاكي خروج الرّوح وغرغرة المحتضر في حنجرته، فالموسيقى الدّاخليّة أسهمت في تصوير المعنى وتقريبه إلى ذهن المتلقّي[٦].

ومن جملة ما يتمايز به الحديث الشّريف هو التّصوير الحسّيّ الموحي والتّشبيه الموضّح؛ إذ تحمل هذه الميزة معنىً فخمًا، وتترك أثرًا بليغًا في نفس المتلقّي، فالرّسول (ﷺ) حين يريد إيصال وتقريب معنى ما، ويريد لذلك المعنى أن يترك أثرًا قويًا في

(١) ينظر: معالم البيان في الحديث النّبويّ (بحث منشور): ١٠٩.
(٢) إعجاز القرآن والبلاغة النّبويّة: ٣٢٥.
(٣) ينظر: الحديث النّبويّ مصطلحه، بلاغته، كتبه: ٩٠-٩١ ، والخصائص البلاغيّة للبيان النّبويّ: ٩٨-١٠١.
(٤) حكم النّبيّ الأعظم: ١/ ٢٣٠.
(٥) رياض الصّالحين: ١٥.
(٦) ينظر: التصوير الفنّيّ في الحديث النّبويّ: ٥٣٥

نفوسهم يعمد إلى استعمال الصّورة الحسّيّة من الحياة اليوميّة للنّاس؛ حتّى يكون المعنى أكثر قربًا إليهم، وأكثر وضوحًا لهم، وأكثر تأثيرًا في نفوسهم[١]. فقد ذكر عبد القاهر الجرجانيّ (٤٧١هـ) أنَّ من بين الأمور الّتي تزيد فخامة المعنى وتجعله أكثر جمالاً، وأكثر تقبّلا لنفوس المتلقّين، وتأثيرًا في مشاعرهم هو التّشبيه [٢].

ومن ذلك التّصوير الحسّيّ قوله (ﷺ): "مَثَلُ الّذي يُعلِّم الخيرَ ولا يَعْمَلُ به، مثلُ السِّراج الّذي يضيء للنّاس ويُحرق نفسه"[٣]. فالرّسول (ﷺ) عمد إلى تصوير الفكرة بعنصرٍ محسوسٍ ومألوفٍ في الحياة اليوميّة للعرب، وهو (السّراج). فجسّد المعنى بمشهدٍ حيّ، سراجٌ يمنح النّور للنّاس؛ بيد أنّه يحترق في الوقت نفسه، فبهذا التّصوير البديع كان المعنى وهو (نفع النّاس وضرّ النّفس) أكثر قوّةً وفخامةً وترسيخًا في أذهان المتلقّين [٤].

ومنها قوله (ﷺ: "رفقًا بالقوارير"[٥]، فهذا الحديث الشّريف من أروع وأجمل صور التّصوير الحسّيّ؛ إذ استبدل الرّسول (ﷺ) لفظة (القوارير) بلفظة (النّساء)، "وهذه استعارة عجيبة؛ لأنّه عليه الصّلاة والسّلام شبّه النّساء في ضعف النّحائز، ووهن الغرائز، بالقوارير الرّقيقة الّتي يوهنها الخفيف، ويصدعها اللّطيف"[٦]؛ إذ إنّ هذا التّصوير الحسّيّ الّذي عمد الرّسول الكريم إليه جعل المعنى يُرى ويُسمع بصورة حسّيّة مرئيّة ملموسة أقرب إلى الذّهن وأكثر تأثيراً في النّفس.

ومن السّمات الّتي ميّزت كلامه (ﷺ) هو الحوار الجيّد، والممتع، والشّيق، الّذي يقوم على ركيزتين أساسيّتين (التّركيز والإيجاز). فالرّسول (ﷺ) اتّخذ الحوار في كلامه أداةً تعليميّةً، يحرّك بها أذهان المتلقّين للموضوع الّذي يروم التّحدّث فيه [٧].

---

(١) ينظر: وحيّ الرّسالة: ٣/ ١٠٨ ، والحديث النّبويّ مصطلحه، بلاغته، كتبه: ٧٢-٧٣.

(٢) ينظر: أسرار البلاغة: ١١٨.

(٣) بحار الأنوار: ٢/ ٣٨.

(٤) ينظر: التّصوير الفنّيّ في الحديث النّبويّ: ٥٥٦.

(٥) بحار الأنوار: ٢٢/ ٢٦٣.

(٦) المجازات النّبويّة: ٤٤.

(٧) ينظر: الحديث النّبويّ مصطلحه، بلاغته، كتبه: ٩٦-٩٧.

ومن طرائق الحوار الّتي كان يعتمد عليها في حواراته عليه الصّلاة والسّلام هو توجيه سؤالًا لأصحابه يستفهم فيه عن أمرٍ ما، ثُمّ يناقشهم في مضمون ذلك الحوار، كما في قوله (ﷺ): "أَتَدْرونَ من المُفْلِسُ، قالوا: المُفْلِسُ فِينا يا رَسولَ الله من لا دِرْهَمَ لهُ ولا مَتاعَ، قال رَسولُ اللهِ (ﷺ): المُفْلِسُ مِن أُمَّتي من يَأْتِي يَوْمَ القِيامةِ بصلاةٍ وصيامٍ وزكاةٍ، ويأْتي قد شتمَ هذا وقَذَفَ هذا، وأكَلَ مَالَ هذا، وسَفكَ دَمَ هذا، وضربَ هذا، فَيَقْعُدُ، فَيَقْتصُّ هذا من حَسناتِه، وهذا من حَسناتِه، فإنْ فَنِيتْ حَسناتُه قَبْلَ أنْ يُقْتصَّ ما عَليْهِ من الخطايا، أُخِذ من خَطاياهُمْ، فَطُرِحَ عَليْهِ، ثُمَّ طُرِحَ في النَّارِ"[1].

فهذا الحديث المبارك أنموذجًا للحوار التّعليميّ بين الرّسول (ﷺ) وأصحابه. فالرّسول لم يبدأ حديثه بتعريف المفلس الحقيقيّ، وإنَّما عمد إلى سؤالهم عن المفلس؛ ليترك مساحةً من التّفكّر حتّى يجيبوا على سؤاله، ثُمّ ينتقل (ﷺ) بعد ذلك ليوضّح ويبيّن معنىً أكثر عمقًا ودقّة من معنى الجواب الّذي ذكروه، كما أنَّ الرّسول (ﷺ) لو ذكر مفهوم المفلس دون أن يستفهمَ عنه، لفقد الحديث السّمة التّعليميّة، ولفقد ميزة إيقاظ الذّهن، ورسوخ المعنى فيه.

وقد يتّبع في حواره (ﷺ) أسلوب الاستثارة والتّشويق، فمن ذلك قوله (ﷺ): "ألا اخبِرُكُم بِشَيءٍ إن أنتُم فَعَلتُمُوهُ تَباعَدَ الشّيطانُ مِنكُم كما تَباعَدَ المَشرِقُ مِن المَغرِبِ؟ قالوا: بَلى، قالَ: الصّومُ يُسَوِّدُ وَجهَهُ، والصَّدَقَةُ تَكسِرُ ظَهرَهُ، والحُبُّ في اللهِ والمُؤازَرَةُ على العَمَلِ الصّالِحِ يَقطَعانِ دابِرَهُ، والاستِغفارُ يَقطَعُ وَتِينَهُ"[2].

نلحظ أنَّ الرّسول قد بدأ كلامه المبارك بأسلوب تشويقٍ وهو (ألا اخبِرُكُم بِشَيءٍ إن أنتُم فَعَلتُمُوهُ تَباعَدَ الشّيطانُ منكم)؛ إذ إنَّ ما يكون سببًا لتباعد الشّيطان، هو مطمعٌ يسعى إليه كلّ مسلمٍ. فجاء الحوار مُستهلّاً باستفهامٍ تشويقيّ، هيأ فيه الرّسول أذهانهم وشدّ انتباههم لسماع ما سيقوله من تقريرٍ. فجاء الحديث المبارك بهذا الأسلوب التّشويقيّ متميّزًا بالدَّقّة الموجزة، وترك التّعمّق والتّوسّع، واتّباع أسلوب استثارة الوجدان الإنسانيّ، مع إعطاء ذلك الوجدان ما يشبعه ويقنعه ويرضيه [3].

---

(١) سنن التّرمذيّ: ٤/ ٤١٩.

(٢) حكم النّبيّ الأعظم: ٣/ ٣٦٣.

(٣) ينظر: البلاغة النبوية: ٢٢٣ .

وممّا تمايز به الحديث الشّريف من سماتٍ بديعيّةٍ وأسلوبيّةٍ، حُسن التّخلّص، وهو "أن يسرد النّاظم والنّاثر كلاهما في مقصدٍ من المقاصد غير قاصدٍ إليه بانفراده، ولكنه سببٌ إليه ثُمّ يخرج فيه إلى كلامٍ هو المقصود، بينه وبين الأوّل عُلْقَةٌ ومناسبة"[١] ، وهذا ما نجده في كلام الرّسول ﷺ حين يتكلّم

ومن ذلك قوله (ﷺ): "إنّكم في زمانِ هدنة، وأن السّير بكم سريع، وقد رأيتم اللّيل والنّهار كيف يبليان كلَّ جديدٍ، ويقربان كلَّ بعيدٍ ويأتيان بكلِّ موعودٍ... فإذا التبست عليكم الأمور كقطع اللّيل المظلم فعليكم بالقرآن فإنَّه شافعٌ مشفّعٌ، وصادقٌ مصدّقٌ، ومن جعله أمامه قاده إلى الجنّة، ومن جعله خلفه ساقه إلى النّار، وهو أوضح دليل إلى خيرِ سبيل"[٢]. فقد علّق يحى بن حمزة العلويّ (٧٤٩هـ) على هذا الحديث المبارك بقوله: "فانظر إلى ما أودعه في هذا الكلام من التخلّص الرّائق، فبينا هو يذكر حال اللّيل والنّهار وحكمهما في المكونات؛ إذ خرج إلى حال القرآن ووصفه، وأنَّه فيه الإيضاح لكلّ مشكلٍ، وبيانٌ لكلّ أمرٍ ملتبسٍ، تخلّص إلى ذكره بأحسن تخلّص" [٣].

ومن جملة ما تتمايز به لغة النّبيّ الأعظم (ﷺ) هي الأصالة والجدّة، الّتي تقوم على ركنين أساسيّين أحدهما خصوصية اللّفظ، والآخر طرافة العبارة. فأمَّا خصوصية اللّفظ، فيقصد بها "دلالته التّامّة على المعنى المراد، ووقوعه الموفّق في الموقع المناسب، وآية مطابقته لمعناه ومبناه أنَّك لا تستطيع أن تبدله ولا أن تنقله" [٤].

وأمَّا طرافة العبارة، فأساسها "الابتكار في حكاية الخبر، وتصوير الفكر، وتقويم الموضوع، وهيهات أن تجد الكلمة المبتكرة الّتي تثير الإعجاب، وتحدث الأثر، وتحرّك الفتنة إلّا إذا وجدت الكلمة الخاصّة الّتي تحدّد الفروق و تجدّد العلاقة وتبعث الحركة" [٥].

---

(١) الطّراز المتضمّن لأسرار البلاغة: ٣٦٠.

(٢) بحار الأنوار: ٧٤/ ١٧٧.

(٣) الطّراز المتضّمن لأسرار البلاغة: ٣٦٥.

(٤) الحديث النّبويّ مصطلحه، بلاغته، كتبه: ١١٦.

(٥) المصدر نفسه: ١١٦.

إنَّ خصوصيّة الألفاظ، وجدّة وطرافة العبارات، يحقّقان السّمة الجوهريّة في الأسلوب حتّى يتّصف بالبلاغة [١]، فقد تجلّت هذه السّمة الجوهريّة "فيما كان ينهجه الرّسول من المذاهب البيانيّة، ويرتجله من الأوضاع التّركيبيّة ويضعه من الألفاظ الاصطلاحيّة... ولتمكّن الأصالة فيه كان يقتضب ويتجوّز ويشتقُّ ويبتدع، فيصبح ما أمضاه من ذلك حسنةً من حسنات البيان، وسراً من أسرار اللّسان، يزيد في ميراث اللّغة" [٢].

إنَّ أصالة الألفاظ وجدّتها تتمثّل بالعبارات البليغة والتّراكيب الجميلة الّتي ارتجلها الرّسول (ﷺ) ولم يسبقه إليها غيره، على أن جدّة تلك العبارات والتّراكيب ليست بألفاظها، وإنّما في استعمال هذه الألفاظ في معنى جديدٍ وبليغٍ، لم تكن العرب تستعمله قبل الرّسول الكريم[٣]. فكلّ كلمةٍ يقتضبها لها مقدارٌ مقصودٌ من المعنى، تخلو من الحيلة والزّخرفة، وتصل إلى السّامع دون مشقّةٍ في فهم المعنى المقصود من اللّفظ [٤].

ومن ذلك قوله (ﷺ) : "لَا يُلْدَغُ الْمُؤْمِنُ مِنْ جُحْرٍ مَرَّتَيْنِ"[٥]، إنَّ المعنى الّذي رسمه الحديث الشّريف والمتمثّل بصورة تكرار اللّدغ من حجرٍ معينٍ، لم يكن مألوفًا لدى العرب، فهذا المعنى مثّل جدّةً وابتكارًا لم يسبقه إليه أحد.

وقوله (ﷺ): "حَمِيَ الْوَطِيسُ"[٦]. ويعني بـ(حمي الوطيس): "حَمَس الحرب، وعِظَم الخطب-مجازٌ-: لأنَّ (الوطيس) في كلامهم حفيرةٌ تحتفر فيوقد فيها النّار للاشتواء...ولا وطيسَ هناك على الحقيقة" [٧].

ومنها وقوله (ﷺ): "وهَلْ يَكُبُّ النَّاسَ في النَّارِ على وُجُوهِهم، أو على مَناخِرِهم إلَّا حَصائِدُ ألسِنَتِهم"[٨]، فقد "شبّه الألسنة وما تمضي فيه من الأحاديث الّتي يؤاخذ بها

(١) ينظر: الخصائص البلاغيّة للبيان النّبويّ: ١٨٣.
(٢) وحيّ الرسالة: ٣/ ١٠٧.
(٣) ينظر: الحديث النّبويّ مصطلحه، بلاغته، كتبه: ١١٦-١١٧.
(٤) ينظر: عبقريّة محمّد: ٧١.
(٥) صحيح البخاريّ: ٥/ ٢٢٧١.
(٦) صحيح مسلم: ٣/ ١٣٩٨.
(٧) المجازات النّبويّة: ٥٩.
(٨) سنن التّرمذيّ: ٤/ ٥٦٨.

بالمناجل الّتي تحصد النّبات من الأرض. وهذا تشبيهٌ بليغٌ عجيبٌ، لم يسمع إلّا من النّبيّ صلّى الله عليه وآله وسلّم"[1].

فهذه الأحاديث المباركة وغيرها من التّراكيب المرتجلة المبتدعة الّتي "لم يُسْبَق إليها، ولا قَدَر أَحدٌ أن يُفْرغ في قالبه عليها"[2]، اشتملت على "المعاني الجمّة، والنّكت العديدة، مع نهاية البلاغة، ووقوعها في الفصاحة أحسن موقع" [3].

كما أنَّ هذه السّمة في كلامه (عليه السلام) يعجز عنها فصحاءُ العربِ، وإن تكلّفوا في الصّناعة، واستدعوا من الألفاظ أجزلها، ومن التّراكيب أحكمها، ومن المعاني أبلغها وأجملها، لن يصلوا لمستوى تلك العبارات وما تحمله من بلاغةٍ بيانيّةٍ محضةٍ؛ لأنَّ كلامه(عليه السلام) قد جمع كلّ الأسرار والدّقائق البيانيّة، على أنّ تلك الأسرار هي الّتي ميّزت كلام النّبوّة، وعَلّقته في مقامٍ انفرد به. وجعلت كلّ فصحاءِ العرب قاصرون في بلوغ ذاك المقام [4].

فضلاً عن أصالة الألفاظ والعبارات، فإنَّ الحديث الشّريف تميز بالأفكار البليغة الّتي تتّسم بالجدّة والقوّة والتّحديد والتّسلسل؛ إذ كان النّبيّ الأعظم يضمّنها في حديثه مع المشركين والمسلمين. فجاءت أفكاره (عليه السلام) شديدة الوضوح، قويّة التّأثير، ومتّسعة المعاني، شاملة الدّلالات، قادرةً على نقل النّاس من الحال الّتي كانوا فيها في الجاهليّة إلى الإسلام. فالمتأمّل في تلك الأفكار العظيمة التّي يتضمنها الحديث النّبويّ الشّريف، من حيث سياقها، وسبكها، وطريقة عرضها، يرى أنّها تزداد استحكامًا وتعاظمًا وإبانةً[5].

إنَّ الأصالة في الأحاديث المباركة، وثراء الأفكار وجدّتها، ما هي إلا تعبيرٌ صادقٌ عن الوحي، ودليلٌ بيّنٌ على أنَّ كلامه توفيقٌ وإلهامٌ من اللهِ عزّ وجلّ، وما كلامه عليه

(١) علم البيان، عبد العزيز عتيق: ١٢١ ، وينظر: المثل السّائر: ٢/ ١١٠.
(٢) الشّفا بتعريف حقوق المصطفى: ١٢٣.
(٣) الطّراز التضمّن لأسرار البلاغة : ٧٩.
(٤) ينظر: البيان النّبويّ سمات ونصوص: ٧٥.
(٥) ينظر: البلاغة النّبويّة: ٢٢٥-٢٢٦.

الصّلاة والسّلام إلّا انعكاسٌ لنور المشكاة الإلهيّة، فالرّسول (ﷺ) لا ينطق عن الهوى إلّا هو وحيٌ يوحى.

إنَّ فصاحة نبينا محمّد (ﷺ)، وبلاغته الجميلة، ومع ما أعطاه الله عزّ وجلّ من جوامع الكَلِم، ما هي إلّا وجهٌ من وجوه الأداء والتّبليغ، "فلم تكن حياة النّبيّ الكريم(ﷺ)- عملاً وقولاً- إلّا ترجمةً صادقةً لقول الله تبارك وتعالى: ﴿وَمَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ﴾[٢]"[١]، فكلُّ ما ذُكر من خصائص بلاغيّةٍ، وسمات أسلوبيّةٍ، وصفاتٍ لكلام الرّسول الأعظم، هي طرقٌ ملتويةٌ تتفرّع من سمةٍ واحدةٍ وهي سمة الإبلاغ؛ إذ إنّها "السّمة الجامعة التّي لا سمةَ غيرها؛ لأنَّها أصلٌ شاملٌ لما تفرَّق من سماتٍ هي منها بمثابة الفروع" [٣].

فقد ذكر العقّاد أنَّ قوله (ﷺ) : (اللّهُمَّ هل بلغت) الّتي رددها غير مرّةٍ في خطبة الوداع "هي لازمةٌ عظيمةُ الدّلالة في مقامها؛ لأنَّها لخصت حياةً كاملةً في ألفاظٍ معدودات. فما كانت حياة النّبيّ كلّها بعملها وقولها وحركتها وسكونها إلّا حياةَ تبليغٍ وبلاغٍ، وما كان لها من فاصلةٍ خاتمةٍ أبلغ من قوله عليه السّلام وهو يجود بنفسه (جلال ربّي الرّفيع فقد بلغت!)"[٤].

إنَّ هذه السّمة تُخرج كلامه (ﷺ) من دائرة الزّمان المحدّد، وتطبعه بطابع الاستمراريّة عبر الزّمن؛ لأنَّ رسالته لم تختصّ بعصرٍ معينٍ، وإنَّما كانت على مرِّ العصور، فبلاغ نبوّته (ﷺ) لا يتبدد، فهو مستمرٌّ عبر الزّمن ولا ينقضي أبدًا [٥].

وما ذُكر من سماتٍ وخصائصَ هو غيضٌ من فيضٍ يزخر بها حديثه الشّريف؛ كونه كلامًا معجزًا كلّ ما زدته فكرًا وتأمّلاً ، زادك معنىً متناميًا. وبعد كلّ ما تقدّم اعلم أنّه " لم يَسمع النّاسُ بكلامٍ قَطّ أعمَّ نفعاً، ولا أقصَدَ لفظًا، ولا أعدلَ وزناً، ولا أجملَ مذهباً، ولا أكرَم مطلباً، ولا أحسنَ موقعاً، ولا أسهل مخرجاً، ولا أفصح معنىً، ولا أبين

(١) سورة النّور، آية: ٥٤.
(٢) البيان النّبويّ سمات ونصوص: ٧٩.
(٣) عبقريّة محمّد: ٦٧.
(٤) المصدر نفسه: ٦٧.
(٥) ينظر: وحي القلم: ٣/ ١٧.

فـي فحـوَى، مـن كلامـه (ﷺ) كثيـراً"[1]. وإنَّ انفـراده (ﷺ) بالبلاغـة العُـلا والبيـان المحض ما هو إلّا حقيقةٌ موثوقةٌ لقوله (ﷺ): "وَأُوتِيتُ جَوَامِعَ الْكَلِمِ" [2].

ثانيًا: ترجمة المصنّف الشّيخ محمّد الرّيشهريّ:

هـو محمّـد محمّـديّ المعـروف بـ(محمّد الرّيشـهريّ)، عـالم ديـن جليـل، وسياسـيّ إيرانـيّ محنّـك، ولـد عـام ١٩٤٦م فـي مدينـة الـرّيّ الإيرانيّـة، إحـدى المـدن الّتـي تقـع بـالقرب مـن العاصـمة طهـران. عـاش طفولتـه فـي كنـفِ أسـرته المتواضـعة، الّتـي تُعَـدُّ مـن الأُسـر المعروفة بالتزامها الدّينيّ [3].

التحـق عـام ١٩٦١م –ومنـذ وقـتٍ مبكّـرٍ مـن شـبابه– بحلقـات العلـم الّتـي تُعقـد فـي الحـوزة العلميّـة بمدينـة قـمّ، فكـان مـن بـين الطّلبـة البـارزين والمعـروفين فيهـا. تعـرّض الرّيشـهريّ فـي حياتـه لمضـايقاتٍ سياسـيّةٍ أبـان حكـم الشّـاة أدّت إلـى هجرتـه الـوجيزة إلـى مـدينتي النّجـف الأشـرف ومشـهد؛ ومـع ظـروف الهجـرة وصـعوبتها لـم يمتنـع عـن الاسـتمرار في تلقّي العلوم الدّينيّة؛ إذ أخذ ينهل العلوم من حوزتي النّجف ومشهد العلميّتين [4].

تتلمـذ الرّيشـهريّ علـى يـدّ علمـاءٍ أجـلاء كـان أبـرزهم السّـيد محمّـد بـاقر الطّباطبـائيّ، والسَّـيد محمّـد رضـا الگلپايگـانيّ، والشّـيخ مرتضـى الحـائريّ، والشّـيخ حسـن الوحيـد الخرسـانيّ، فضـلاً عـن أبـي زوجـه الميـرزا علـيّ المشـكينيّ، وغيـرهم مـن العلمـاء الثّقـات الّـذين نهـل مـنهم العلـوم الدّينيّـة، واكتسـب مـنهم تكوينًـا علميًّـا رصـينًا فـي الفقـه الإسـلاميّ، والأصول، والحديث الشّريف [5].

تميّـز الرّيشـهريّ بنشـاطٍ علمـيٍّ زاخـرٍ بـالعلم والمعرفـة، مطبـوعٍ بطـابعٍ موسـوعيٍّ حـديثيٍّ؛ فقـد كانـت اهتماماتـه العلميّـة تتّجـه صـوب أحاديـث النّبـيّ (ﷺ) وأهـل بيتـه صـلوات الله علـيهم؛ إذ إنَّ نشـاطه يقـوم علـى رصـد تلـك الأحاديـث وتصـنيفها تصـنيفًا موضـوعيًّا مرتبطًـا بالمفـاهيم العقديّـة الإسـلاميّة، والأسـس الأخلاقيّـة والتّربويّـة. فلـم يكـن هدفـه الجمـع

(١) البيان والتّبيين: ٢/ ١٧–١٨

(٢) صحيح مسلم: ١/ ٣٧٢.

(٣) ينظر: منير الجوادين (مجلّة شهريّة تصدر عن العتبة الكاظميّة المقدّسة): ١٠.

(٤) ينظر: مقال منشور على موقع (–حديث نت– موقع تابع لمؤسسة دار الحديث الثّقافيّة) https://hadith.net

(٥) ينظر: مقال منشور على موقع (كوديرست) mhttps://www.goodreads.co

والاستقصاء بقدر ما كان هدفه تنظيم المادّة الحديثيّة تنظيمًا موضوعيًّا يسهّل على الباحثين الوصول والاستفادة من الأحاديث الشّريفة [١].

وقد توّج اهتمامه بالحديث المبارك بتأسيسه مؤسّسة (دار الحديث الثقافيّة)، الّتي تعنى بتنظيم موسوعة الحديث الإسلاميّ، فضلاً عن إنشائه كلّيّة علوم الحديث، فصار بذلك من رواد التّصنيف الموضوعيّ للأحاديث الشّريفة، وأحد أعلام الحوزة العلميّة في مدينة قمّ [٢].

أغنى الريّشهريّ المكتبة الإسلاميّة بالعديد من المصنّفات القيّمة ذوات العلوم النّافعة، الّتي يدور معظمها حول الأحاديث الشّريفة للرّسول (ﷺ) وللأئمة الأطهار (عليهم السّلام)، فضلًا عن كتبٍ في العقائد، والفقه، والتّاريخ الإسلاميّ؛ إذ تزيد تلك المصنّفات عن عشرين مصنّفًا يدور معظمها في مجال الحديث، والعقائد الإسلاميّة والتّاريخ الإسلاميّ فضلاً عن كتبٍ أخرى تتعلّق بالتّراث والتّفسير [٣].

ومن أبرز تلك المصنفات الموسوعيّة الّتي صنّفها الرّيشهريّ (ميزان الحِكمة، حِكَم النّبيّ الأعظم، موسوعة العقائد الإسلاميّة في الكتاب والسّنّة، موسوعة الإمام عليّ عليه السّلام في الكتاب والسّنة والتّاريخ، موسوعة الأحاديث الطبّيّة، منتخب نهج الذّكر، سيرة خاتم المرسلين، تعزيز الأسرة من منظار الكتاب والسّنّة). وغيرها من الكتب الموسوعيّة القيّمة الّتي تُعَدُّ مرجعًا علميًّا وإرثًا فكريًّا للعلماء والفقهاء وطلّاب الحوزات العلميّة [٤].

وأشهر تلك المصنّفات الحديثيّة الموسوعيّة (ميزان الحكمة) الّذي يُعَدُّ من أبرز أعمال الرّيشهريّ الموسوعيّة القيّمة وأشهرها؛ كونها موسوعةً ضخمةً تضمُّ في تضاعيفها الآلاف من الأحاديث الشّريفة؛ إذ لم يكن هذا المصنّف الّذي يقع في أثني عشر مجلدًا كتابًا حديثيًّا تقليديًّا، وإنّما هو موسوعةٌ حديثيّةٌ موضوعيّةٌ، تمثّل محاولةً

(١) ينظر: مقال منشور على موقع (-الشّيعة- موقع علميّ ثقافيّ وعقائديّ) ghttps://ar.al-shia.or

(٢) ينظر: حوار مع آية الله محمّد الرّيشهريّ على موقع (-حديث نت- موقع تابع لمؤسسة دار الحديث الثّقافيّة) https://hadith.net

(٣) ينظر: المصدر نفسه.

(٤) ينظر: مقال منشور على موقع (شبكة الفكر) thttp://alfeker.ne

جادةً لتصنيف الحديث الشّريف تصنيفًا موضوعيًّا[١]. ويمثّل (ميزان الحكمة) مرجعًا مهمًّا في الدّراسات الحوزيّة، لا سيّما الدّراسات الأخلاقيّة والعقديّة [٢].

أمَّا (موسوعة الإمام عليّ عليه السّلام في الكتاب والسّنّة والتّاريخ)، فتُعَدُّ الموسوعة الأوّلى في المكتبة الحوزيّة؛ إذ اهتمّت هذه الموسوعة بدراسة سيرة ومكانة الإمام عليّ عليه السّلام في الإسلام والتّاريخ [٣].

وقد صنّف الرّيشهريّ موسوعةً أخرى وهي (حِكَم النّبيّ الأعظم)، الّتي تُعنى بأحاديث النّبيّ محمد (ﷺ) فقط؛ إذ لم يترك الرّيشهريّ في هذه الموسوعة الحديثيّة قولًا حِكَميًّا للرّسول (ﷺ) إلّا وضمّنه في هذه الموسوعة، فجاءت بسبعةِ أجزاءٍ، وقد تخيّر من هذه الموسوعة أحاديثَ حِكَميّة لتصنيف كتابه الّذي سمّاه (منتخب حِكَم النّبيّ الأعظم).

إنَّ الموضوعات أو المادّة العلميّة الّتي تحتويها هذه المصنّفات الموسوعيّة في تضاعيفها ليست موضوعاتٍ جديدةً يطرحها من بنات أفكاره؛ وإنّما هي أحاديثُ وروايةٌ يجمعها من كتب الحديث الشّريف المعتبرة لدى المذاهب الإسلاميّة جميعها، مرتّبًا تلك الموضوعات ترتيبًا موضوعيًّا وفقًا للمعنى والمفهوم الفكريّ الّذان يتضمّنهما الحديث الشّريف، صارفًا نظره عن التّرتيب التّقليديّ الّذي يقوم على تناول الحديث وفقًا للسّند أو التّاريخ [٤].

فالرّيشهريّ لا يقدّم سلسلةً من الرّواة قبل كلّ حديثٍ كما هو معهودٌ في كتب الحديث، وإنّما يكتفي بالإشارة إلى مصدر الحديث أسفل الصّحيفة، دون الإطالة على القارئ، ممّا يجعل نصوص الحديث الشّريف أقرب للقارئ وتعطيه مساحةً أكبر لتأمّل الحديث، والتّفكّر بمعانيه الدّينيّة والتّربويّة، وهو الهدف الّذي سعى إليه الرّيشهريّ عند اعتماده التّرتيب الموضوعيّ.

---

(١) ينظر: مقال منشور على موقع الموسوعة الحرّة (ويكبيديا) https://ar.wikipedia.org

(٢) ينظر: حوار مع آية الله محمّد الرّيشهريّ على موقع (حديث نت، حديث الشّيعة) ، ومقال منشور على موقع (مكتبة النّرجس) https://www.narjeslibrary.com

(٣) ينظر: مقال منشور على موقع موسوعة الإمامة والولاية (إمامة بيديا) https://ar.imamatpedia.com

(٤) ينظر: مقال منشور على موقع (مكتبة النرجس).

وفي بعض الأبواب نجد الرّيشهريّ يستهلُّ الباب ببحثٍ يمهّدُ فيه للباب الّذي يروم عقده، يتناول فيه مسائلَ فقهيّةً وعقديّةً تخصُّ الباب المعقود، ويلخّص المعنى العامّ الّذي تدلُّ عليه تلك الأحاديث [١].

شغل الرّيشهريّ غيرَ منصبٍ طيلة أيّام حياته، كان أبرزها تولّيه منصب وزارة الاستخبارات والأمن القوميّ الإيرانيّة (١٩٨٤م_١٩٨٩م) وذلك بعد انتصار الثّورة الإسلاميّة في إيران، وفي آخر أيّام حياته شغل منصب الأمين العامّ لمرقد حضرة السّيد عبد العظيم الحسنيّ –عليه السّلام– في طهران [٢].

وبقي أمينًا عامًّا للمرقد الشّريف إلى أن وافته المنيّة عام ٢٠٢٢م _ ١٤٤٤هـ عن عمرٍ ناهز الخمسة والسّبعين عامًا، تاركاً وراءه مصنّفات موسوعيّة فكريّة وعقديّة قيّمة أَغنت في وجودها المكتبة الإسلاميّة [٣].

وقد نعاه السّيد المستطاب آية الله عليّ خامنئيّ (قُدس سرّه)[٤]، والشّيخ ناصِر مكارم الشّيرازيّ[٥]، وعددٌ من المراجع والعلماء، ومتولّو العتبات المقدّسة[٦]. وصلّى على جثمانه السّيد آية الله عليّ خامنئيّ (قُدس سرّه)، ليوارى بعد ذلك الثّرى بجوار مرقد السّيد عبد العظيم الحسنيّ (عليه السّلام)[٧].

---

(١) ينظر: حوار مع آية الله محمّد الرّيشهريّ على موقع (حديث نت، حديث الشّيعة).

(٢) ينظر: مقال منشور على موقع (مركز الإسلام الأصيل للثقافة والإعلام)، https://islamasil.com وموقع الموسوعة الحرّة (ويكبيديا)

(٣) ينظر: منير الجوادين (مجلّة شهريّة تصدر عن العتبة الكاظميّة المقدّسة): ١٠

(٤) ينظر: بيان نعيه في الموقع الإلكترونيّ لمكتب السّيد عليّ الخامنئيّ .irhttps://arabic.khamenei

(٥) ينظر: بيان نعيه في الموقع الإلكترونيّ لمكتب الشّيخ ناصر مكارم الشّيرازيّ https://www.makaremshirazi.net

(٦) ينظر: منير الجوادين (مجلّة شهريّة تصدر عن العتبة الكاظميّة المقدّسة): ١٠

(٧) ينظر: مقال منشور على موقع (مركز الإسلام الأصيل للثّقافة والإعلام)

البَابُ الأوَّلُ

بِنَاءُ الكَلِمَةِ في حِكَمِ النَّبِيِّ الأعظَمِ

الفَصْلُ الأوَّلُ

أبنِيةُ الأفعَالِ ودلالاتها

الفَصْلُ الثّاني

أبنية الأسماء ودلالاتها

البَابُ الأوَّلُ

بِنَاءُ الكَلِمَةِ في حِكَمِ النَّبِيّ الأعظَمِ

الفَصْلُ الأوَّلُ

أبنِيةُ الأفعَالِ ودلالاتها

توطئة:-

أولى اللّغويّون العرب علم الصّرف (علم بنية الكلمة) عنايةً خاصّةً؛ لأنّ هذا العلم "يحتاج إليه جميع أهل العربيّة أتمّ حاجة، وبهم إليه أشدّ فاقة؛ لأنَّه ميزان العربيّة، وبه تعرف أصول كلام العرب من الزّوائد الدّاخلة عليها، ولا يوصل إلى معرفة الاشتقاق إلّا به، وقد يؤخذ جزءٌ من اللّغة كبير بالقياس، ولا يوصل إلى ذلك إلّا من طريق التّصريف"(١) .

إنَّ علم بنية الكلمة يدرس كلَّ ما يتعلّق بذات الكلمة، وما يطرأ عليها من تغيراتٍ في بنيتها الذّاتيّة (وزنها الصّرفيّ) بمعزلٍ عن تركيبها الّذي ترِدّ فيه. ولا تخفى الأهمّيّة الجوهريّة لهذا العلم، فهو يسهم في تحديد الدّلالات والمعاني الّتي يحملها النّصّ في تضاعيفه.

إنَّ الأوزان الصّرفيّة الّتي تمثّل عماد هذا العلم، ما هي إلّا قوالبٌ جامدةٌ، وجثثٌ هامدةٌ، والمعاني والدّلالات الّتي تحملها تلك الأوزان هي من تبعث الرّوح فيها. وهذه المعاني والدّلالات تتغير مع كلِّ زيادةٍ أو نقصٍ يطرأ على الوزن، فاللّفظ "إذا كان على وزنٍ من الأوزان، ثُمّ نُقل إلى وزنٍ آخر أكثر منه، فلا بُدَّ من أن يتضمّنَ من المعنى أكثر ممّا تضمّنه أوّلًا؛ لأنَّ الألفاظَ أدلةٌ على المعاني، وأمثلةٌ للإبانة عنها، فإذا زيّد في الألفاظ أوجبت القسمة زيادة المعاني، وهذا لا نزاعَ فيه لبيانه"(٢) .

إنَّ الموضوع الّذي عُقد من أجله هذا الفصل يتعلّق بدراسة أبنية الأفعال ودلالاتها في حِكَم النّبيّ الأعظم (ﷺ). وقبل الخوض في دراسة هذه الأوزان ودلالاتها، لا بُدَّ من التّعرّف على مفهوم الفعل، فقد حدّه سيبويه (ت١٨٠هـ)، بقوله: "وأمَّا الفعلُ، فأمثلةٌ أُخذتْ من لفظ أحداث الأسماء، وبُنيتْ لما مضى، ولما يكون ولم يقع، وما هو كائنٌ لم ينقطع.

(١) المنصف: ١/ ٢.

(٢) المثل السّائر: ٢/ ١٩٧.

فأمَّا بناء ما مضى، فذَهَبَ وسَمِعَ ومَكُثَ وحُمِدَ. وأمّا بناء ما لم يقع، فإنّه قولك آمِراً: اذهَبْ واقتُلْ واضرِبْ، ومخبراً: يَقْتُلُ ويَذهَبُ ويَضرِبُ ويُقْتَلُ ويُضرَبُ. وكذلك بناء ما لم يَنقطع وهو كائنٌ إذا أخبرتَ"[١] .

نلحظ في الحدِّ الّذي قدّمه سيبويه للفعل، وفي الأمثلة الّتي عرضها، إنَّه اعتمد فيها على حركة عين الفعل في الماضي، فكانت الفتحة في (ذَهَبَ)، والكسرة في (سَمِعَ)، والضّمّة في (مَكُثَ). ومثّل للفعل الّذي لم يسمَّ فاعله بـ(حُمِدَ)، كما يُلاحظ على سيبويه أنَّه جعل فعل الأمر قسمًا مستقلّاً بذاته. وذهب في أصل الفعل مذهب البصريّين القائل بأنّ أصل الفعل هو المصدر (أحداث الأسماء)[٢] .

إنَّ الفعل في العربيّة يُقسم على اعتباراتٍ متعددة، منها ما يتعلّق بالصّيغة فيقسم على ماضٍ ومضارعٍ وأمرٍ، ومنها ما يتعلّق بأحرفِ العلّة فيقسم على صحيحٍ ومعتلٍّ، ومنها ما يتعلّق بأصالة حروفه وزيادتها فيقسم على مجرّدٍ ومزيدٍ، ويقسم أيضًا باعتبار التّعدّي واللّزوم على متعدٍّ ولازمٍ. ويقسم أيضًا على تامٍّ وناقصٍ، وعلى متصرّفٍ وجامدٍ[٣] .

إنَّ مدار البحث في هذا الفصل سيكون في دراسة أبنية الأفعال الثّلاثيّة والرُّباعيّة المجرّدة والمزيدة ودلالتها في حِكَم النّبيّ الأعظم (ﷺ).

(١) الكتاب: ١/ ١٢ ، وينظر: الجمل في النّحو:١٧ ، والحدود في النّحو، الرّمّانيّ: ٦٧ ، وشرح شذور الذهب: ١٢، وجامع الدّروس العربيّة: ١/ ٣٣ ، واللّغة العربيّة معناها ومبناها: ٨٧.

(٢) ينظر: الإنصاف في مسائل الخلاف: ١/ ١٩٠ مسألة رقم٢٨.

(٣) ينظر: شرح المفصّل: ٧/ ٤ ، وارتشاف الضّرب: ١/ ١٥٧ ، وشرح ابن عقيل: ٢/ ٦٥ ، وهمع الهوامع: ٥/ ٢٠-٢١ ، ودروس التّصريف: ٥٤ ، والصّرف الواضح:٩١.

المبحث الأوّل

أبنية الفعل الثّلاثيّ المجرَّد ودلالاتها

حدَّ الصّرفيّون الفعل المجرَّد بأنَّه ما كانت جميع أصوله حروفًا أصليّةً، أي خالٍ من حروف الزّيادة في بنائه ولا يسقط أيّ حرفٍ إلّا لعلّةٍ تصريفيّةٍ فالفعل (رَكَضَ) جميع حروف بنائه أصليّةٌ، ولو طرأَ عليه تغييرٌ من حذفٍ أو زيادةٍ على بنائه الأصليّ لتغيّر معناه ومبناه معًا[1] .

والفعل المجرَّد في لغتنا العربيّة على قسمين، الأوّل هو المجرَّد الثّلاثيّ نحو (نَصَرَ، حَسِبَ، كَرُمَ) وهو ما سنتناوله في تضاعيف هذا المبحث، والثّاني المجرَّد الرّباعيّ نحو (زَلْزَلَ، بَعْثَرَ، قَرْطَسَ) وهذا الضّرب سنتناوله في مبحثٍ مستقلٍّ، أمَّا المجرَّد الخماسيّ، فلا وجودَ له في العربيّة[2]؛ لأنَّ "الزّوائد تلزمها للمعاني، نحو حروف المضارعة، وتاء المطاوعة، وألف الوصل..، فكرهوا أن يلزمَها ذلك على طولِها"[3]. أي أنَّ أصل البناء الخماسيّ كثرة الحروف فيه، وزيادة حروفٍ أخرى تثقل البناء في النّطق؛ ولهذا لا يوجد في أبنية العرب من المجرَّد إلّا الثّلاثيّ والرّباعيّ. والثّلاثيّ أكثر استعمالًا من الرّباعيّ؛ لأنّ حروفه ثلاثةٌ فقط، فهو أخفُّ من غيره من الأبنية.

إنَّ الفعل الثّلاثيّ المجرَّد (فَعَلَ) يُقسَم –بالنّظر إلى وجود أحرف العلّة داخل بنائه أو عدم وجودها– على صحيحٍ ومعتلٍّ. فالصحيح ما كان خاليًا من أحرف العلّة، ويُقسَم على سالمٍ نحو (جَلَسَ، رَكَضَ)، ومهموزٍ نحو (أَمَرَ، زَأَرَ، قَرَأَ)، ومضعّفٍ نحو (شدّ، كرّ، خبّ). أمَّا المعتلّ، فيُقسَم –بحسب موضع حرف العلّة أو عدده داخل البناء– على مثالٍ نحو (يَسَرَ، وَعَدَ)، وأجوفٍ نحو (سَارَ، قَامَ، قَالَ)، ولفيفٍ نحو(وَقَى، طَوَى)، وناقصٍ نحو (رَمَى، رَمَى، عَثَا)، ولكلّ قسمٍ من هذه الأقسام أحكامٌ خاصّةٌ به من حيث الأبواب الّتي يرد فيها، ومن حيث اتّصاله بالضّمائر وتاء التّأنيث السّاكنة، وغير ذلك من الأحكام[4] .

---

(١) ينظر: شرح المفصّل: ٧/ ٣–٤ ، ودروس التّصريف: ٥٤ ، وأبنية الصّرف في كتاب سيبويه: ٣٧٨.

(٢) ينظر: أبنية الصّرف في كتاب سيبويه: ٣٧٧ ، والصّرف العربيّ أحكامٌ ومعانٍ: ٢١.

(٣) المنصف: ١/ ٢٨–٢٩.

(٤) ينظر: ارتشاف الضّرب:١/ ١٥٧–١٦٧ ، وشذا العرف: ٥٩ ، وجامع الدّروس العربيّة: ١/ ٥٣ ، ومختصر الصّرف: ٨٧.

إنَّ للفعل الماضي الثّلاثيّ المجرَّد ثلاثةَ أبنيةٍ (فَعَلَ، فَعِلَ، فَعُلَ)، فحركة الحرف الأوّل في هذه الأبنية الثّلاثة (الفتحة)، وحركة الثّاني هي (الفتحة، الكسرة، الضّمّة)، أمَّا الحرف الأخير، فتلازمه (الفتحة)؛ إذ هي حركة بنائه أبدًا، ما لم يتّصل به ضميرٌ يغيرها. أمَّا علّة الابتداء بالفتحة دون غيرها من الحركات؛ مردّها أنَّ العرب لا تبتدئ بالسّاكن، ولو جعلوا الابتداء بالضّمة والكسرة لأثقلوا بذلك على أنفسهم ثقلين، ثقل الفعل وثقل الضّمّ أو الكسر، ولوقع اللّبس مع الفعل الّذي لم يسمَّ فاعله في حال جعلوا الضّمّة أوّلًا. وعلى هذا لا تكون أبنية الماضي إلّا ثلاثةَ، وهي (فَعَلَ، فَعِلَ، فَعُلَ)[1] .

وسنتناول في هذا المبحث المعاني والدّلالات الّتي جاءت بها أبنية الفعل الثّلاثيّ المجرَّد في حِكَم النّبيّ الأعظم (ﷺ) بالنّظر إلى ماضيه، وهي (فَعَلَ، فَعِلَ، فَعُلَ)؛ لأنّ "النّظر إلى حركة عين الفعل الثّلاثيّ في الماضي يحلُّ كثيرًا من الإشكالات ويجعل دراسة أبواب الثّلاثيّ يسيرةً وسهلةً"[2]؛ ولأنَّ الفعل الماضي يمثّل "منطلقاً أصيلاً لتكوين الأفعال المزيدة والأفعال المضارعة"[3] .

أوّلًا: بناء (فَعَلَ) ودلالته :

يُعَدُّ بناء (فَعَلَ) من أخفّ أبنية العربيّة، وأكثرها استعمالاً، حتّى قال سيبويه: "وليس شيءٌ أكثر في كلامهم من (فَعَلَ)"[4]؛ وعلّة ذلك أنَّ عددَ أصولِهِ ثلاثةُ أحرفٍ، والفتحة الّتي هي أخفُّ الحركات، حركة كلّ أصلٍ من هذه الأصول الثّلاثة؛ لذلك كثُر استعماله والتّصرّف به في كلام العرب، يقول ابن يعيش (ت٦٤٣هـ) في ذلك: "إنّ (فعَل) مفتوح العين يقع على معانٍ كثيرةٍ، لا تكاد تنحصر توسّعًا فيه؛ لخفّة البناء واللّفظ، واللّفظُ إذا خفَّ كثُر استعماله واتّسع التّصرُّف فيه"[5] .

---

(١) ينظر: المنصف: ١/ ٢٣ ، وشرح الرّضي على الشّافيّة: ١/ ٦٧ ، والمغني في تصريف الأفعال: ١١٢-١١٣ ، ودروس التّصريف: ٥٥-٥٦ ، وأبنية الصّرف في كتاب سيبويه: ٣٧٨.

(٢) أوزان الأفعال ومعانيها: ٢٢.

(٣) المغني الجديد في علم الصّرف: ٩٠.

(٤) الكتاب: ٤/ ٣٧.

(٥) شرح المفصّل: ٧/ ١٥٦-١٥٧ ، وينظر: المغني في تصريف الأفعال: ١١٣.

ونتيجة لذلك فإنا نجد كثيراً من المعاني والدّلالات تندرج تحت باب (فَعَلَ)، منها: الجمع، والعطاء، والسّتر، والإعطاء، والإيذاء، والسّير، والحينونة، والهيجان، والإقامة، وغير ذلك من المعاني الّتي لا يفي بها حصر[١] .

وقد أنكر الأستاذ الدّكتور هاشم طه شلاش على بعض اللّغويّين المحدثين إلباسهم أفعال هذا البناء المعنى المعجميّ المحض على إنَّها معانٍ أُكتسبت من البناء، نحو: (حشد)؛ إذ ذكروا دلالة هذا الفعل على الجمع، وهذا المعنى الّذي ذكروه يمثّل المعنى المعجميّ نفسه. ومن ثمّ فإنَّ بعض المعاني الّتي ذكروها "تمثّل معاني الألفاظ أنفسها ولا تمثّل معاني الوزن؛ لأنَّ في معنى الوزن زيادةً لم تكن موجودةً في اللّفظة نفسها، فحين نقول: ... (جزَّ النّخل: أي حان أن يجزّ) فإنَّ وزن (فعَل) قدّم لنا معنى الحينونة والتّوقيت، وهذا المعنى لم يكن موجوداً في اللّفظة نفسها وإنّما جاء من وزن (فعَلَ)"[٢] .

وفي الحقيقة أنّ كلام أ. د. هاشم طه شلاش لا يمكن قبوله كلّه؛ إذ إنَّ الجذر اللّغويّ قد يبقى محافظًا على معناه دون تغيير. فقد ذكر القدامى عددًا من المعاني الّتي يدلُّ عليها (فعَل) حافظ فيها البناء على المعنى المعجميّ، منها دلالته على المنع نحو: (حبس)، ودلالته على الجمع نحو: (حشر، حشد)، وعلى التّفريق نحو: (فصل، قسم)، وهي معانٍ معجميّةٌ محضةٌ، حافظ فيها البناء على المعنى المعجميّ الأصليّ؛ كون الأصل في الألفاظ أن تدلّ على المعنى الموضوع لها[٣]. ومع هذا نجد السّياق قد يمنح بناءَ (فعَل) رداءً جديدًا من المعنى لم يكن موجودًا، كما مثّل له الأستاذ من معنى الحينونة في قولنا: (جزَّ النّخل). وبضمّ الكلام بعضه إلى بعض يمكننا القول: إنَّ معاني (فعَل) لا تنحصر لكثرة استعماله، فلا يمكن لأحدٍ الوقوف عليها كلّها، أو الاجتهاد بقبول أحدها وردّ الآخر، ويبقى السّياق هو الفيصل في تحديد أيّ معنى.

(١) ينظر: شرح الرّضي على الشّافية: ١/ ٧٠ ، وارتشاف الضرب: ١/ ١٦٧-١٦٨ ، ودروس التّصريف:٦١-٦٢.
(٢) أوزان الأفعال ومعانيها: ٤٢.
(٣) ينظر: شرح التّسهيل: ٣/ ٢٩٩ ، وشرح الرّضيّ على الشّافيّة: ١/ ٧٠ ، وارتشاف الضّرب: ١/ ١٦٨.

أمَّا معاني هذا البناء في حِكَم النّبيّ الأعظم (ﷺ)، فهي كثيرةٌ أيضًا، أهمّها:-

١ -**الغَلَبة :**

ومثال ما جاء لهذا المعنى الفعل (قُهِرَ)، في قوله (ﷺ) : "إذا أرادَ الله بِقَومٍ خَيراً. أكثَرَ فُقَهاءَهُم. وأَقَلَّ جُهّالَهُم، فَإذا تَكَلَّمَ الفَقيهُ وَجَدَ أعواناً، وإذا تَكَلَّمَ الجاهِلُ قُهِرَ "[١] .

وهو فعلٌ ماضٍ لم يسمَّ فاعله، والفعل المبني للمعلوم منه (قَهَرَ)، جاء في الصّحاح "[قهر] قَهَرَهُ قَهْراً: غلبه"[٢]. والغَلَبة تكون بين أمرين، يتفوّق أحدهما على الآخر، وهذا ما دلّ عليه الفعل (قُهِرَ) في الحديث المبارك[٣]؛ إذ إنَّ الجاهل يغلبه العلماء بالحجّة والبرهان، فلا يجد من يتّبعه؛ لأنّ المجتمع بكثرة العلماء أصبح واعيًا ورافضًا للجهل، ومتّبعًا للحقّ. وغَلَبة الباطل هنا غلبةٌ معنويّةٌ، تتمثّل بإسقاط حجّته وردّ قوله وعدم اتّباعه[٤] .

٢- الذّهاب بالشّيءِ :

وممّا جاء من الأفعال على هذا المعنى، الفعل (يَمحَقُ)، في قوله (ﷺ): "مَنعُ الخُبزِ يَمحَقُ البَرَكَةَ"[٥]. وهو مضارع الفعل (مَحَقَ) الّذي من معانيه ذهاب الشّيء[٦]، جاء في لسان العرب: "المَحْق: النُّقْصَانُ وَذَهَابُ الْبَرَكَةِ. وَشَيْءٌ مَاحِقٌ: ذَاهِبٌ...تقولُ: مَحَقَهُ اللهُ فامَّحَقَ وامْتَحَقَ أَي ذَهَبَ خَيْرُهُ وَبَرَكَتُهُ"[٧] .

إنَّ استعمال (المَحْق) بدلاً من (الإذهاب)؛ هو للدّلالة على إزالة كلّ أنواع البركة؛ إذ إنَّ (المحق) لا يستعمل إلّا مع الأشياء المتعدّدة، خلافاً لـ(الإذهاب) الّذي يكون مع الشّيء الواحد أو المتعدّد. فلا يجوز أن نقول: (محق الدّرهم)؛ لأنّه شيءٌ واحدٌ، وإنَّما نقول: (محق الدّراهم)، فإن كانت الإزالةُ معنويّةً جاز لنا القول: (محق الدّرهم) إذا أُريد إزالة بركته، وهي إزالةٌ معنويّةٌ لا عينيّة[٨]. فكان (المَحْق) في الحديث المبارك أدقُّ دلالةً ومعنىً من (الإذهاب)؛ لأنَّ أُريد به إزالةٌ معنويّةٌ لكلِّ أنواع البركة.

---

(١) حكم النّبيّ الأعظم: ٣/ ١٧٧ ، وينظر: كنز العمال: ١٠/ ١٣٧.

(٢) الصّحاح تاج اللُّغة وصحاح العربيّة: ٢/ ٨٠١ (قهر).

(٣) ينظر: تسهيل الفوائد وتكميل المقاصد: ١٩٦ ، ودروس التّصريف: ٦٣.

(٤) ينظر: فيض القدير: ١/ ٣٣٦.

(٥) حكم النّبيّ الأعظم: ٧/ ١٣٠.

(٦) ينظر: تهذيب اللّغة: ٤/ ٥٢.

(٧) لسان العرب : ١٣/ ٣٨ (محق).

(٨) ينظر: الفروق اللّغويّة، أبو هلال العسكريّ: ٣٠٥.

كما أنَّ البخل بالخبز الّذي يُعَدُّ طعاماً ضروريًا للنّاس يؤدّي إلى نقص البركة واضمحلالها التّدريجيّ من رزق الإنسان، ومن ثمّ إزالة خيره، لأنَّ "أصل –المحق– تنقيص الشّيء قليلًا قليلًا"[١]. فالقوت يبقى موجودًا كصورةٍ؛ لكن يُذهب ببركته[٢] .

٣– معنى الانغمار:

ومن الشّواهد الواردة من الأفعال في حِكَم النّبيّ الأعظم على هذا المعنى، الفعل (غَمَرَ)، في قوله (ﷺ): "أيُّما رَجُلٍ يَعودُ مَريضاً فَإنَّمَا يَخوضُ فِي الرَّحمَةِ، فَإذا قَعَدَ عِندَ المَريض غَمَرَتهُ الرَّحمَةُ"[٣]، والمعنى الّذي دلّ عليه الفعل (غَمَرَ) في الحديث المبارك هو الانغمار[٤]؛ إذ إنّ (الانغمار) هو التّغطية الكاملة في الماء. ويُقال: غَمَرَ الماءُ الإناءَ، أي: أحاط الماء به، وأصبح مختفياً تحته[٥]، وممّا يعضّد هذا المعنى الفعل (يخوضُ)، و(الخوض) هو المشي في الماء[٦]، فالحديث يبيّن عظيم فضل عيادة المريض وثوابها؛ إذ إنّ عائد المريض يعيش في رحمة الله عزّ وجلّ، وكثرة هذه الرّحمة تغطيه من كلّ جانبٍ، كما يغطي الماء من اغتمر فيه؛ ليصبح مغمورًا برحمته تبارك وتعالى[٧] .

٤– معنى الإعطاء:

ومثاله الفعل (نَحَلَ)، في قوله (ﷺ): "ما نَحَلَ والِدٌ وَلَداً مِن نُحلٍ أفضَلَ مِن أَدَبٍ حَسَنٍ"[٨]. إنَّ (النّحل) مصدر قولنا: نَحَلَ الرّجل ولده مالاً، أي: وهبه مالًا وخصّه بشيءٍ منه[٩]. فالنّحل "العَطِيَّة وَالْهِبَةُ ابتِداءً مِنْ غَيْرِ عِوَضٍ وَلَا اسْتِحْقاقٍ. يُقَالُ: نَحَلَهُ يَنْحَلُهُ نُحْلًا بِالضَّمِّ. والنِحْلَةُ بِالْكَسْرِ: العطيّة"[١٠]. فالفعل (نَحَلَ) في الحديث المبارك حمل الدّلالة

(١) تفسير الآلوسيّ (روح المعاني): ٢/ ٢٨٤.
(٢) ينظر: فتح الباري، ابن حجر العسقلانيّ: ٤/ ٢٦٧.
(٣) حكم النّبيّ الأعظم: ٣/ ٤٥١ ، وينظر: مسند أحمد حنبل: ٢٠/ ١٧٩.
(٤) ينظر: ارتشاف الضّرب: ١/ ١٦٨.
(٥) ينظر: لسان العرب: ١٠/ ١١٦ (غمر).
(٦) ينظر: المصدر نفسه: ٤/ ٢٤٦ (خوض).
(٧) ينظر: شرح فروع الكافي: ٢/ ٩٨.
(٨) حكم النّبيّ الأعظم: ٤/ ١٦٧ ، وينظر: سنن التّرمذيّ: ٤/ ٧٠.
(٩) ينظر: الصّحاح تاج اللُّغة وصحاح العربيّة: ٥/ ١٨٢٦ (نحل).
(١٠) النّهاية في غريب الحديث والأثر: ٥/ ٢٩.

المعجميّة ذاتها وهي الإعطاء[١]؛ إذ عدَّ الحديث المبارك الأدبَ والخلقَ الحسن أجود وأجمل وأجمل عطيةً؛ لأنّ الأدب الحسن أفضلُ من باقي العطايا المعرّضة للزّوال، كما أنَّ الأدب إعطاءٌ مستمرٌّ لا يزول أثره[٢] .

٥- معنى الحركة والتّنقل:

ومن شواهد الأفعال الّتي وردت في حِكَم النّبي الأعظم على هذا المعنى، الفعل (رَمَلَ)، في حديث الطّواف: "دَخَلنا مَكّة عِندَ ارتِفاعِ الضُّحى، فأتَى النَّبِيُّ بابَ المَسجِدِ، فَأَناخَ راحِلَتَهُ. ثُمَّ دَخَلَ المَسجِدَ فَبَدَأَ بِالحَجَرِ. فَاستَلَمَهُ وفاضَت عَيناهُ بِالبُكاءِ، ثُمَّ رَمَلَ ثَلاثًا ومَشى أربَعًا حَتّى فَرَغَ، فَلَمّا فَرَغَ قَبَّلَ الحَجَرَ ووَضَعَ يَدَيهِ عَلَيهِ ومَسَحَ بِهِما وَجهَهُ"[٣] .

نلحظ أنَّ الفعل (رَمَلَ) في الحديث المبارك دلّ على حركةٍ وإسراعٍ في المشي[٤]؛ إذ يُقال: يُقال: رَمَلَ الرّجل رملاً: إذا أسرع في مشيته وهرول دون قفزٍ أو وثب، والهرولة دون المشي وفوق العدو[٥].

٦- بمعنى (أَخَرَ):

ومثال ما جاء لهذا المعنى الفعل (يُنسَأَ)، في قوله عليه الصّلاة والسّلام: "من سَرَّهُ أن يُبسَطَ لَهُ في رِزقِهِ وأن يُنسَأَ لَهُ في أثَرِهِ، فَليَصِل رَحِمَهُ"[٦]. و(يُنسَأَ) مضارع الفعل (نَسَأَ) ومعناه التّأخير، جاء في الصّحاح "أنسأه الله أجَلَهُ ونَسَأَهُ في أجله بمعنى. والنُسْأَةُ بالضّمّ: التّأخير"[٧]، والمعنى بيّن في الحديث فـ(نَسَأَ له في أثره) أي يؤخر في أجله "ويبقى ذكره الطّيّب وثناؤه الجميل مذكورًا على الألسنة"[٨]. ، وهذه البركة في العمر والذّكر الطيّب تكون تكون بصلة الرّحم، وتشريك ذوي القرابات بالخيرات، والزّيارات، وغير ذلك من الأعمال المباركة الّتي تكون فيها صلةٌ للرّحمِ[٩] .

---

(١) ينظر: دروس التّصريف: ٦٣.

(٢) ينظر: فيض القدير: ٥/ ٦٤٢.

(٣) حكم النّبيّ الأعظم: ٦/ ٢٢٨ ، وينظر: المستدرك على الصحيحين: ١/ ٦٢٥.

(٤) ينظر: ارتشاف الضّرب: ١/ ١٦٨.

(٥) ينظر: لسان العرب: ٥/ ٣٢٠ (رَمَلَ).

(٦) حكم النّبيّ الأعظم: ٧/ ١١٥ ، وينظر: صحيح البخاريّ: ٥/ ٢٢٣٢.

(٧) الصّحاح تاج اللُّغة وصحاح العربيّة: ١/ ٧٦ (نَسَأ).

(٨) شرح صحيح البخاريّ، ابن البطّال: ٦/ ٢٠٦.

(٩) ينظر: الكواكب الدّراريّ في شرح صحيح البخاريّ: ٩/ ١٩٦.

٧- معنى السّلب (أزال):

وممّا سُجّل من الأفعال في حِكَمه المبارك على هذا المعنى، الفعل (نَزَعَ)، في قوله (ﷺ): "مَن تَعَلَّمَ العِلمَ رِياءً وسُمعَةً يُريدُ بِهِ الدُّنيا، نَزَعَ اللهُ بَرَكَتَهُ، وضَيَّقَ عَلَيهِ مَعيشَتَهُ، ووَكَلَهُ اللهُ إلى نَفسِهِ؛ ومَن وَكَلَهُ اللهُ إلى نَفسِهِ فَقَد هَلَكَ"(١).

و(نزع) بمعنى (أزال)، يُقال نزع الأمير الوزير عن العمل: إذا أزاله وسلبه ممارسة صلاحياته(٢). فالفعل (نزع) في الحديث المبارك دلّ على المعنى المعجميّ نفسه وهو (السّلب والإزالة)(٣)، فالرّسول (ﷺ قد استعمل هذا الفعل؛ ليدلّ على سلب البركة من العلم الّذي يُطلب كرياءِ وسمعةِ، دون نيّةٍ خالصةٍ للهِ تعالى؛ لأنّ الرّياء يسلب البركة من هذا العلم فلا يُنتفع منه.

٨ - معنى التّحويل:

ومن الشّواهد الواردة من الأفعال على هذا المعنى، الفعل (صَرَفَ)، في قوله (ﷺ): "مَن مَنَعَ مالَهُ مِن الأخيارِ اختِياراً صَرَفَ اللهُ مالَهُ إلَى الأشرارِ اضطِراراً"(٤) .

جاء في لسان العرب "والصَّرْفُ: أَن تَصْرِفَ إِنْسَانًا عَنْ وجْهٍ يُرِيدُهُ إِلَى مَصْرِفٍ غَيْرِ ذَلِك"(٥). نلحظ أنَّ استعمال الفعل (صَرَفَ) دلّ على التّحويل من وجهٍ إلى آخر(٦)، وهذا التّحويل يمثّل عقوبةً لمن يمتنع عن الإنفاق في سبيل الله؛ إذ يتحوّل ماله إلى أشخاصٍ غير صالحين؛ إذ يكون تحويلًا اجباريًّا، أي لا يستطيع الإنسان منعه أو تغيير وجهته.

٩- معنى البلوغ والوصول:

ومن أمثلة الأفعال الّتي اتّخذت هذا المعنى الفعل (جَهَدَ)، في قوله (ﷺ): "إذا سَأَلتَ فَاسأَلِ اللهَ، وإذَا استَعَنتَ فَاستَعِن بِاللهِ عزّ وجلّ؛ فَقَد مَضَى القَلَمُ بِما هُوَ كائِنٌ [إلى يَومِ

---

(١) حكم النّبيّ الأعظم: ٧/ ١٣٦ ، وينظر: بحار الأنوار: ٧٧/ ١٠٠.

(٢) ينظر: لسان العرب: ١٤/ ١٠٦ (نزع).

(٣) ينظر: دروس التّصريف: ٦٣.

(٤) حكم النّبيّ الأعظم: ٤/ ٥٠٨ ، وينظر: بحار الأنوار: ٩٦/ ١٣١.

(٥) لسان العرب: ٧/ ٣٢٩ (صَرَفَ).

(٦) ينظر: تسهيل الفوائد وتكميل المقاصد: ١٩٧ ، ودروس التّصريف: ٦٣.

القِيامَـةِ]: فَلَـو جَهَـدَ النّـاسُ أن يَنفَعـوكَ بِـأمرٍ لَـم يَكتُبـهُ الله لَـكَ لَـم يَقـدِروا عَلَيـهِ، ولَـو جَهَـدوا أن يَضُرّوكَ بِأَمرٍ لَم يَكتُبهُ اللهُ عَلَيكَ لَم يَقدِروا عَلَيهِ"[١] .

جـاء فـي لسـان العـرب "جَهَـدَ دَابَّتَـهُ جَهْـداً وأَجْهَـدَها: بَلَـغَ جَهْـدها وَحَمَّـلَ عَلَيْهَـا فِـي السَّـيْرِ فَـوْقَ طَاقَتِهَـا"[٢]. فالفعـل (جَهَـدَ) فـي الحـديث المبـارك دلّ علـى البلـوغ، وهـو بلـوغ أقصـى الوسـع البشـريّ للسّـعي فـي النّفـع أو الضّـرّ؛ إذ إنّ مهمـا بلـغ ذلـك الجهـد أو السّـعي غايتـه أو منتهـاه، وبلغ طاقته، فلا يستطيع أن يُحقّق نفعًا ولا ضرًّا؛ لأنّ قدر الله غالبٌ على كلِّ جهدٍ بشريٍّ.

١٠- معنى الدّخول في الشّيء:

وممّـا يُستشـهد بـه مـن الأفعـال الـواردة فـي حِكَمـه المباركـة علـى هـذا المعنـى، الفعـل (تَلِـجُ) في قوله (ﷺ) : "أكثَرُ ما تَلِجُ بِهِ أُمَّتيَ النّارَ، الأجوَفانِ: البَطنُ والفَرجُ"[٣] .

وهـو مضـارع الفعـل (وَلَـجَ)، ومعنـاه الـدّخولُ فـي الشّـيء، ويُقـال: وَلَـجَ الرّجـل الـدّار، أي: دخـل فيهـا[٤]. فقـد دلّ الفعـل فـي الحـديث المبـارك علـى الـدّخول الواضـح والثّابـت فـي النّـار، نتيجـةً للـذّنوب المتمثّلـة بأكـل الحـرام وارتكـاب الفـواحش والزّنـا، وهـذه الـذّنوب إذا لـم يسـيطر عليها الإنسان تكون سببًا رئيساً لدخوله النّار.

١١- معنى المنع:

وممّـا جـاء دالّاً علـى هـذا المعنـى الفعـل (عَصَـمَ)، فـي قولـه (ﷺ): "إنَّ (لا إلَـهَ إلَّا الله) كَلِمَـةٌ عَظيمَـةٌ كَريمَـةٌ عَلَـى الله، مَـن قالَهـا مُخلِصـاً استَوجَبَ الجَنَّـةَ، ومَـن قالَهـا كاذِبـاً عَصَـمَ مالَـهُ ودَمَهُ، وكانَ مَصيرُهُ إلَى النَّارِ"[٥] .

جـاء فـي لسـان العـرب: "العِصْـمة فِـي كَـلَامِ الْعَـرَبِ: المَنْـعُ. وعِصْـم الله عَبْـدَه: أَنْ يَعْصِـمَه مِمَّـا يُوبِقُـه. عَصَـمه يَعْصِـمُه عَصْـماً: منَعَـه"[٦]. فقـد دلّ الحـديث علـى المعنـى ذاتـه، وهـو منـع

(١) حكم النّبيّ الأعظم: ٧/ ٨١ ، وينظر: من لا يحضره الفقيه: ٤/ ٤١٣.
(٢) لسان العرب: ٢/ ٣٩٥ (جهد).
(٣) حكم النّبيّ الأعظم: ٤/ ٤٧٥ ، وينظر: الكافي: ٢/ ٧٩.
(٤) ينظر: لسان العرب: ١٥/ ٣٩١ (ولج).
(٥) حكم النّبيّ الأعظم: ١/ ٥٢٢ ، وينظر: التّوحيد، الشّيخ الصّدوق: ٢٣.
(٦) لسان العرب: ٩/ ٢٤٤ (عَصَمَ).

استباحة دمّ ومال من ينطق الشّهادة كاذبًا. فالشّرع حافظ عليهما، ومنع المساس بهما، والتّعرّض إليهما؛ ولكن لم يعصم الله تعالى ذلك المنافق من مصيره في الآخرة[١] .

١٢- معنى الإمهال:

ومثال هذا المعنى الفعل (اغِبّوا)، في قوله (ﷺ): "اغِبّوا فِي العِيادَةِ واربِعوا فِي العِيادَةِ، وخَيرُ العِيادَةِ أخَفُّها"[٢].

وهو الأمر من الفعل (غَبَّ)، قال أحمد بن فارس (ت ٣٩٥هـ): "الْغَيْنُ وَالْبَاءُ أَصْلٌ صَحِيحٌ يَدُلُّ عَلَى زَمَانٍ وَفَتْرَةٍ فِيهِ. مِنْ ذَلِكَ الْغِبُّ، هُوَ أَنْ تَرِدَ الْإِبِلُ يَوْمًا وَتَدَعَ يَوْمًا. وَالْمُغَيَّبَةُ: الشَّاةُ تُحْلَبُ يَوْمًا وَتُتْرَكُ يَوْمًا"[٣]. نلحظ أنّ استعمال الرّسول (ﷺ) الفعل (غَبَّ) الّذي يدلّ على الإمهال، وأداء العمل بين أوقاتٍ منفصلةٍ[٤]؛ هو للحثِّ على زيارة المريض بشكلٍ متقطّعٍ أي: بين وقتٍ وآخر والاعتدال بها، دون إفراطٍ ولا تفريطٍ بغية عدم إرهاق المريض بتكرارها المفرط، مشيرًا إلى أنّ أفضلها هي الزّيارات الخفيفة[٥] .

ثانيًا: بناء (فَعِلَ) ودلالاته:

يُعَدُّ هذا البناء ثاني أبنية الفعل الثّلاثيّ المجرّد في العربيّة، وله بابان: الباب الرّابع كسر فتح (فَعِلَ، يفْعَلَ) وهو الغالب؛ إذ إنَّ كلّ فعلٍ مكسور العين في الماضي مفتوح العين في المضارع يندرج تحت هذا الباب، نحو: ظفِر، عجِل، طرِب[٦]. ويأتي من الباب السّادس كسر كسر (فعِل، يفعِل)، نحو: حسِب، يحسِب، ورِم، يرِم، نعِم، ينعِم[٧] .

إنَّ بناء (فَعِلَ) يأتي لازمًا نحو: ضحِك، لَعِبَ، تَعِبَ، وغيرها من الأفعال الّتي تدلّ على لزومه، ويأتي متعدّيًا نحو: حفِظه، ركِبه، حَمِدَه، وغيرها من الأفعال الّتي تدلّ على تعديته[٨]، ولازم هذا البناء أكثر من متعدّيه[٩] .

---

(١) ينظر: شرح صحيح البخاريّ، الأصبهانيّ: ٣/ ٢٩٨-٢٩٩.

(٢) حكم النّبيّ الأعظم: ٧/ ٣١١ ، وينظر: شعب الإيمان: ٦/ ٥٤٢.

(٣) مقاييس اللّغة: ٤/ ٣٧٩ (غبّ).

(٤) ينظر: أوزان الأفعال ومعانيها: ٢٧٥.

(٥) ينظر: نجاح القاري في شرح صحيح البخاريّ: ١/ ١٨٧-١٨٨.

(٦) ينظر: المنصف: ١/ ٢٠ ، وشرح الرّضي على الشّافيّة: ١/ ٧٢-٧٣ ، والمهذّب في علم التّصريف: ٤٩-٥٠ .

.

(٧) ينظر: شذا العرف: ٦٧ ، والمستقصى في علم التّصريف: ١/ ٢٨٠-٢٨١.

(٨) ينظر: المنصف: ١/ ٢٠ ، ودروس التّصريف: ٥٨-٦١.

(٩) ينظر: شرح الرّضي على الشّافية: ١/ ٧٢.

كما يضمُّ بناء (فَعِلَ) الأفعال الّتي تدلّ على عيبٍ، نحو (عرِج، يعرَج)، أو تدلّ على جمالٍ ظاهرٍ، نحو (حوِر، يحوَر)، أو تدلّ على فرحٍ وسرورٍ، نحو (فرِح، يفرَح)، أو على حزنٍ وغضبٍ، نحو (حزِن، يحزَن، غضِب، يغضَب)، أو على امتلاءٍ، نحو (شبِع، يشبَع)، أو على خلوٍّ، نحو (ضمِئ، يضمَأ)[١]، وغيرها من المعاني الّتي يدلّ عليها هذا البناء[٢] .

وقد ورد عددٌ من المعاني لهذا البناء في حِكَمه (ﷺ)، منها :

١- الوقوع في الأمر:

ومن الأفعال الّتي جرى استعمالها على هذا المعنى، الفعل (أَثِمَ) في قوله (ﷺ): "الذَّنبُ شُؤمٌ على غيرِ فاعِلِهِ، إن عَيّرَهُ ابتُلِيَ، وإنِ اغتابَهُ أَثِمَ، وإن رَضِيَ بهِ شارَكَهُ"[٣] .

جاء في لسان العرب "الإثْم: الذنْبُ ... وأَثِمَ فلان بالكسر يأثَم إثماً ومَأْثَماً، إذا وقع في الإثم، فهو آثِمٌ وأَثيمٌ"[٤]. فالفعل في الحِكمة النّبويّة المباركة دلّ على المعنى ذاته وهو الوقوع الوقوع في الأمر؛ إذ إنَّ اغتياب الشّخص المذنب أو نقل ذنبه لغيره (الغيبة) هو وقوعٌ في الإثمِ وارتكابٌ للمعصية.

٢- معنى الهلاك:

ومن أمثلة الأفعال الّتي اتّخذت هذا المعنى، الفعل (تَعِسَ)، في قوله (ﷺ): "تَعِسَ عَبدُ الدّينارِ وَالدِّرهَمِ! الَّذي إنَّما هِمَّتُهُ دينارٌ أو دِرهَمٌ يُصيبُهُ فَيَأْخُذُهُ"[٥] .

يُقال: تَعِسَ فلانٌ يتعَسُ: إذا انكبّ فعثر على يديه وفمه، وتَعِسَ: هلك[٦]. فالفعل في الحديث المبارك دلّ على انحطاطٍ روحيٍّ وأخلاقيٍّ للإنسان الّذي يجعل كلّ همّه الدّنيا؛ لأنّ الاهتمام بالدّنيا يجرّه إلى الخداع والغشّ. فالرسول (ﷺ) يحذّر من استعباد الإنسان للمال، وذلك بأن يجعلَ الإنسانُ عملَه كلّه في طلب المال حتّى يصير كالعبادة له، وهذا العمل

---

(١) ينظر: الكتاب: ٤/ ١٧ ، والمستقصى في علم التصريف: ١/ ٢٨٠-٢٨١ ، والصّرف العربيّ أحكامٌ ومعانٍ: ٢٣-٢٤.

(٢) ينظر: المغني في تصريف الأفعال: ١١٤ ، وأوزان الأفعال ومعانيها: ٢٨٩-٢٩٣.

(٣) حكم النّبيّ الأعظم: ٤/ ٥٧١.

(٤) لسان العرب: ١/ ٧٤ (أثم).

(٥) حكم النّبيّ الأعظم: ٧/ ١٥٩ ، وينظر: المعجم الأوسط: ٤/ ٢٣٦.

(٦) ينظر: لسان العرب: ٢/ ٣٥ (تعِس).

يـؤدّي بـه إلـى الانحطـاط علـى المسـتوى الـدّينيّ والأخلاقـيّ، وبالتّـالي يحكـم علـى نفسـه بالهلاك[١] .

٣- الإفراط :

ومثـال هـذا المعنـى الفعـل (عَشِـقَ)، فـي قولـه (ﷺ): "أفضَـلُ النّـاسِ مَـن عَشِـقَ العِبـادَةَ فَعانَقَهـا، وأحَبَّهـا بقَلبِـهِ، وباشَـرَها بِجَسَـدِهِ. وتَفـرَّغَ لَهـا، فَهُـو لا يُبـالي عَلـى مـا أصـبَحَ مِـنَ الـدُّنيا: عَلى عُسرٍ أم عَلى يُسرٍ"[٢] .

ومعنـى (العشـق): الإفـراط فـي الحـبّ، يُقـال: عَشِـقَ فـلان: إذا أفـرط فـي الحـبِّ؛ لأنّ العشـق فيـه إفـراطٌ مـن قبـل العاشِـق اتّجـاه معشـوقه، فيـذبل مـن شـدّة الهـوى للمعشـوق[٣]. والإفـراط فـي الحـديث الشّـريف يكـون فـي محبّـة العبـادة حتّـى تصـبح محـورًا رئيسـاً فـي حيـاة الإنسـان، يتعلّـق بهـا قلبـه وروحـه، فيكـون عشـقًا روحانيًّا يبقـى ويسـمو أبـدًا. علـى أنّ شـدّة الاهتمـام بالعبـادة يجـب ألّا تصلَ لدرجة الإسراف، وإنّما تكون تفانٍ في طاعة الله عزّ وجلّ[٤] .

ثالثًا: بناء (فَعُلَ) ودلالاته:

ويمثّـل هـذا البنـاء ثالـث أبنيـة الفعـل الماضـي الثّلاثـيّ المجـرّد. ويجـيء هـذا البنـاء مـن البـاب الخـامِس فقـط؛ لأنَّ هـذا البنـاء الوحيـد الّـذي تُضـم عينـه فـي الماضـي، ويُعَـدُّ هـذا البنـاء مـن أقـلّ الأبنيـة الثّلاثـة اسـتعمالًا[٥] . وأفعـال هـذا البـاب لا تكـون إلّا لازمـةً، وقـد شـذّ عنهـا الفعـل (رحُـب) فقـد جـاء متعـدّياً[٦]. يكثُـر هـذا الـوزن فـي الأفعـال الّتـي تـدلُّ الغرائـزِ، والطّبـائع، والصّـفات اللّازمـة والمسـتقرة، أي الأمـور الجبْليّـة الّتـي تـدوم وتبقـى، ولا تتغيـر بسـهولة، نحـو: صلُب، شرُف، كرُم، لؤُم[٧] .

---

(١) ينظر: إرشاد السّاري لشرح صحيح البخاريّ: ١١/ ١٥٥ ، والكواكب الدّراريّ...: ٢/ ١٥٦.

(٢) حكم النّبيّ الأعظم: ٥/ ١٣٥ ، وينظر: الكافي: ٢/ ٨٥.

(٣) ينظر: لسان العرب: ٩/ ٢٢٤ (عشق).

(٤) ينظر: شرح أصول الكافي: ٨/ ٢٦٢.

(٥) ينظر: الممتع في تصريف الأفعال: ١١٩ ، وتصريف الأسماء والأفعال: ٨٦.

(٦) ينظر: المفتاح في الصّرف: ٣٨ ، والمصباح المنير: ١/ ٢٢٢ (رحب).

(٧) ينظر: شرح المفصّل: ٧/ ١٥٣ ، والصّرف الوافي: ٢٧٦ ، والصّرف العربيّ أحكامٌ ومعانٍ: ٢٤.

ولم يأتِ في العربيّة تحت هذا الباب أجوفٌ يائيٌّ، ولا ناقصٌ يائيٌّ، إلّا (هَيُؤ، نَهُوَ). ولم يأتِ أيضًا فعلٌ مضعّفٌ في هذا الباب؛ لثقل اجتماع الضّمة والتّضعيف؛ ولكن ورد منها بعض الأفعال هي (لبُب، حبُب، عزُز، سرُر، دمُم، فكُك)[١] .

وقد ورد عددٌ من أفعال هذا البناء في حِكَم النّبيّ الأعظم (ﷺ)، دلّت على المعاني الآتية:

١- الصّيرورة:

إنَّ أحاديثه (ﷺ) تضمّنت عددًا من الأفعال الّتي جاءت على هذا البناء، يدور معظمها في معنى الصّيرورة، أي: صار كذا. ومنها الفعل (كَثُرَ) في قوله (ﷺ): "اجعَلوا لِبُيوتِكُم نَصيباً مِنَ القُرآنِ: فَإنَّ البَيتَ إذا قُرِئَ فيهِ تَيَسَّرَ عَلى أهلِهِ، وكَثُرَ خَيرُهُ، وكانَ سُكّانُهُ في زِيادَةٍ، وإذا لَم يُقرَأ فيهِ القُرآنُ ضُيِّقَ عَلى أهلِهِ، وقَلَّ خَيرُهُ، وكانَ سُكّانُهُ في نُقصانٍ"[٢] .

فالفعل (كَثُرَ) دلّ على الصّيرورة من قلّة الخير إلى كثرته، أي: صار البيت ذا خيرٍ كثيرٍ. ومعنى الحديث المبارك أنَّ البيت الّذي تكثر فيه قراءة القرآن يتحوّل فيه الخير إلى مقدارٍ أكبرٍ، ونماءٍ مستمرٍّ؛ بسبب بركة قراءة القرآن الكريم، فمع أنَّ هنالك أعمالٌ كثيرةٌ أفضل إلّا أنّ قراءة القرآن مصدرٌ لكلِّ خيرٍ وبركةٍ[٣] .

وممّا ورد على هذا البناء الفعل (صَغُرَ)، فيما روي عنه (ﷺ): "بَينَما موسى عليه السّلام جالِساً إذ أقبَلَ إبليسُ... قالَ موسى: فَأخبِرْني بِالذَّنْبِ الّذي إذا أذنَبَهُ ابنُ آدَمَ استَحوَذْتَ علَيهِ. قالَ: إذا أعجَبَتهُ نَفسُهُ، واستَكثَرَ عَمَلَهُ، وصَغُرَ فِي عَينِهِ ذَنبُهُ"[٤] .

جاء في لسان العرب: صَغُرَ الشّيء، أيّ: صار صغيرًا[٥]. والمعنى الّذي دلّ عليه الفعل الفعل في الحديث المبارك هو أنَّ الذّنب يتحوّل في عين مرتكبه من كونه ذنبًا كبيراً يجب تجنبه والتّوبة منه والنّدم عليه، إلى شيءٍ صغيرٍ لا قيمةَ له ولا يستحقُّ التّوبة والاستغفار. وهذه الصّيرورة في تغير رؤية الإنسان إلى الذّنب الّذي يرتكبه تُعَدُّ من أخطرِ مراحل الغفلة

(١) ينظر: تسهيل الفوائد وتكميل المقاصد: ١٩٥ ، وشرح الرّضي على الشّافية: ١/ ٧٦ ، ودروس التّصريف: ٥٦ ، وأبنية الصّرف في كتاب سيبويه: ٣٨٥.

(٢) حكم النّبيّ الأعظم: ٧/ ١٠٧ ، وينظر: كنز العمال: ١٥/ ٣٩٣.

(٣) ينظر: منحة الباري في شرح صحيح البخاريّ: ٨/ ٣٠٢.

(٤) حكم النّبيّ الأعظم: ٣/ ٣٦٣ ، وينظر: الكافي: ٢/ ٣١٤.

(٥) ينظر: لسان العرب: ٧/ ٣٥١-٣٥٢ (صغر).

الّتي يصل إليها المذنب؛ لأنّ مرتكبه يعود إليه باستمرار كون قلبه محجوبًا بحجاب الغفلة وعندئذٍ يتمكّن الشّيطان منه[١] .

ومن جملة الأفعال الّتي وردت أمثلة هذا البناء، الفعل (قَصُرَ) في قوله (ﷺ): "فَمَن زَهِدَ في الدّنيا قَصُرَ أمَلُهُ فيها وتَرَكَها لأهلها"[٢]. يُقال: قَصُرَ الشّيءُ قصرًا وقصارةً: صار قصيراً[٣]. ومعنى (قصُر أمله) في الحديث المبارك أي: صار قصيراً. ومعنى التّحوّل والصّيرورة بيّن؛ إذ إنَّ من الطّبعيّ أن يكون الإنسان ذا أملٍ في هذه الدّنيا، يطيل فيها النّظر إلى المستقبل، فإذا تيقّن أنّها دار رحلة وبلاء زهد فيها، وتحوّل نظره فيها إلى القصر بدل الإطالة، ومن ثمّ يصير أمله قصيرًا في الدّنيا؛ لأنَّ الله عزّ وجلّ قد صغّرها وأبغضها هي ومحبيها، فالعاقل من تزوّد فيها لدار الآخرة .

٢- ما دلّ على صفة معينة:

ومن الأفعال الّتي وردت على هذا البناء الفعل (حَسُنَ)، في قوله (ﷺ): "إنَّ شَهرَ رَمَضانَ شَهرٌ عَظيمٌ. يُضاعِفُ اللهُ فيهِ الحَسَناتِ ويَمحو فيهِ السَّيِّئاتِ ويَرفَعُ فيهِ الدَّرَجاتِ، مَن تَصَدَّقَ في هَذَا الشَّهرِ بِصَدَقَةٍ غَفَرَ اللهُ لَهُ، ومَن أحسَنَ فيهِ إلى ما مَلَكَت يَمِينُهُ غَفَرَ اللهُ لَهُ، ومَن حَسُنَ فيهِ خُلُقُهُ غَفَرَ اللهُ لَهُ"[٤].

فـ(حَسُنَ) دلّ على صفةٍ معينةٍ، وهي الإحسان. فالرّسول (ﷺ) استعمل هذا الفعل ليدلّ على صفةٍ واضحةٍ في أخلاق الصّائم في شهر رمضان. فأخلاق الصّائم في شهر رمضان تكون على صفةٍ حسنةٍ أفضل ممّا كانت عليه قبل رمضان؛ لما في هذا الشّهر من عظمةٍ عند الله عزّ وجلّ على سائر الشّهور، فيصير العبد أكثر حلمًا لينال بذلك مغفرة الله تبارك وتعالى.

٢- الإتيان بالشّيء المشتقّ الفعل منه:

وقد ورد لهذا المعنى الفعل (كَرُمَ) في حِكَمته (ﷺ): "ما كَرُمَ عبدٌ على الله إلّا ازْدادَ علَيهِ البلاءُ"[٥]. يُقال: كَرُمَ السّحاب: إذا جاء بالغيث كرمًا[٦]. نلحظ في الحديث المبارك أنَّ

---

(١) ينظر: إرشاد السّاري لشرح صحيح البخاريّ: ٣/ ٣٧٦.

(٢) حكم النّبيّ الأعظم: ٣/ ٣٧٩ ، وينظر: بحار الأنوار: ٧٧/ ٩٣.

(٣) ينظر: لسان العرب: ١١/ ١٨٢-١٨٣ (قصر).

(٤) حكم النبي الأعظم: ٣/ ٥٨١ ، وينظر: عيون أخبار الرّضا: ١/ ٢٦٣ .

(٥) حكم النّبيّ الأعظم: ٣/ ٦٠٢ ، وينظر: بحار الأنوار: ٨١/ ١٩٥.

(٦) ينظر: لسان العرب: ١٢/ ٧٩ (كرم).

أنَّ الفعل قد دلّ على إتيان العبد لحقيقة الكرم، وهذا الإتيان هو لدلالة التّقرّب من الحضرة الإلهيّة، والتّقرّب هذا لا يكون إلّا بالابتلاء؛ إذ إنّ البلاء علامةٌ على قرب العبد من الله تبارك وتعالى؛ فالبلاء يتطلّب الصّبر، والصّبر يطهّر القلب ويرفع من درجة العبد عند الله، ومن ثمّ يكون العبد قد أتى بالكرم حقيقة[1] .

(١) ينظر: حكم النّبيّ الأعظم: ٣/ ٦٣٩.

المبحث الثّاني

أبنية الفعل الثّلاثيّ المزيد بحرف واحد ودلالاته

نعني بالفعل المزيد هو ما زيد على حروف بنائه الأصليّة حرف واحد أو أكثر لغرضٍ ما[١] . وقد حدّه ابن يعيش (ت ٦٤٣هـ) بقوله: "إلحاق الكلمة من الحروف ما ليس منها، إمّا لإفادة معنى كألف ضارب و واو مضروب وإمّا لضرب من التّوسّع في اللّغة نحو ألف حمار و واو عمود وياء سعيد"[٢]. ويُفهم من كلام ابن يعيش أنّ الزّيادة على أصول الفعل الثّلاثيّ تؤدّي فائدتين، الأوّلى معنويّةٌ، وتتمثّل هذه الفائدة بتوسّع المعاني والدّلالات، والثّانية فائدةٌ لفظيّةٌ، تتمثّل بتكاثر ألفاظ اللّغة واتّساعها.

والزّيادة على ضربين أيضًا، الأوّلى تكون بتضعيف أحد أصول الفعل، كتضعيف عينه نحو (طوّف)، أو لامه نحو: (احمرّ). والأخرى تكون بزيادة حرفٍ أو أكثر على أصول الفعل من أحرف الزيادة المجتمعة في عبارة (سألتمونيها)[٣] .

والفعل الثّلاثيّ المزيد بحرفٍ واحدٍ له ثلاثة أبنيةٍ، هي (أفْعَلَ) بزيادة الهمزة في أوّله، و(فَعَّلَ) بتضعيف عينه، و(فَاعَلَ) بزيادة ألف بين فائه وعينه، وكلّ بناءٍ من هذه الأبنية المزيدة يحمل معانيَ ودلالاتٍ مختلفةً لم تكن موجودةً في أصل البناء المجرّد[٤] .

وقد وردت هذه الأبنية في حِكَم النّبيّ الأعظم وحملت دلالاتٍ مختلفةً، وفيما يأتي هذه الأبنية وما فادت من معانٍ في كلامه (ﷺ):

أَوّلًا: بناء (أَفْعَلَ) ودلالاته :

وهذا البناء مزيدٌ بحرفٍ واحدٍ، وهو (الهمزة) في أوّله، ويأتي لمعانٍ كثيرةٍ تختلف باختلاف السّياق اللّغويّ الّذي ترِدُ فيه[٥]. وسنذكر ما ورد من هذه المعاني في حِكَمه (ﷺ):

---

(١) ينظر: المنصف: ١/ ١١ ، وأبنية الصّرف في كتاب سيبويه: ٣٩١ ، والصّرف الكافي: ٤٤.

(٢) شرح المفصّل: ٩/ ١٤١.

(٣) ينظر: شرح تصريف العزي: ٨٣ ، والمغني في تصريف الأفعال: ٦٢-٦٣.

(٤) ينظر: تصريف الأسماء والأفعال: ٩٨ ، ودروس التّصريف: ٧٠.

(٥) ينظر: المفصّل في صنعة الإعراب: ٣٧٣ ، وشرح الرّضي على الشّافية: ١/ ٨٣ ، ودروس التّصريف: ٧١-٧٣، وأوزان الأفعال ومعانيها: ٢٩٤-٣١٢.

١- التّعدية:

تُعَدُّ التّعدية من أشهر معاني هذا البناء[١]. والتّعدية "أن تُضَمِّنَ الفعلَ معنى التّصيير؛ فيصبح الاسمُ الّذي كان فاعلاً في الأصلِ مفعولاً"[٢] .

ومثال ما ورد لهذا المعنى الفعل (أفرغ)، في قوله (ﷺ): "لَن يَعمَلَ ابنُ آدَمَ عَملاً أعظَمَ عِندَ الله تباركَ وتعالى مِن رَجُلٍ قَتَلَ نَبِيّاً أو إماماً...أو أفرَغَ ماءَهُ في امرأةٍ حَرامًا"[٣] .

فالفعل (أفرغ) مزيد بالهمزة، ومجرّده الثّلاثيّ (فَرَغَ) وهو فعل لازم. وهذه الهمزة تسمّى (همزة النّقل)[٤]؛ إذ هي من نقلت الفعل من اللّزوم إلى التّعدية.

٢- الإمهال:

وممّا يُستشهد به من الأفعال الواردة في حِكَمه (ﷺ) على هذا المعنى، الفعل (اربعوا)، في قوله (ﷺ): "اغبَوا فِي العِيادَةِ واربِعوا، إلّا أن يَكونَ مَغلوباً"[٥] .

يُقال: أربعته الحمّى، وذلك أن يُحمَّ الإنسان يومًا، ثُمّ يترك يومين لا يُحمّ، لتعود إليه الحمّى في اليوم الرّابع[٦]، وهذا ما دلّ عليه الفعل (اربِعوا) في الحديث المبارك؛ إذ دلّ على على معنى الإمهال[٧] في عيادة المريض، أي: ترك المريض يومين بعد كلّ عيادةٍ وزيارته في اليوم الرّابع.

٣- إصابة المفعول بأصل الفعل:

ومن الأفعال الّتي استقرّت على هذا المعنى، الفعل (أرمَضَ)، في قوله (ﷺ): " قيلَ لِلنّبيّ (ﷺ): يا رَسولَ اللهِ، ما رَمَضانُ؟ قالَ: أرمَضَ اللهُ فيهِ ذُنوبَ المُؤْمِنينَ وغَفَرَها لَهُم"[٨] .

---

(١) ينظر: الكتاب: ٤/ ٦٠-٦٣ ، شرح الرّضي على الشّافية: ١/ ٨٣ ، والمغني في تصريف الأفعال: ١٢٤ ، والصّرف الوافي: ٢٨٩.

(٢) دروس التّصريف: ٧١.

(٣) حكم النّبيّ الأعظم: ٥/ ١١ ، وينظر: الخصال: ١٢٠.

(٤) ينظر: الخصائص: ١/ ١٠٧.

(٥) حكم النّبيّ الأعظم: ٧/ ٣١١ ، وينظر: بحار الأنوار: ٨١/ ٢٢٢.

(٦) ينظر: لسان العرب: ٥/ ١١٤ (ربع).

(٧) ينظر: أوزان الأفعال ومعانيها: ٣٠١.

(٨) حكم النّبيّ الأعظم: ٦/ ١٥، وينظر: الدر المنثور: ١/ ١٨٣.

يُقال: أرمضَ الحرُّ القومَ: أي: أصابهم بالرّمض، وهو شدّة الحرّ، ورمِضت قدما فلان: أُحرِقت بالرّمضاء[١]. نلحظ أنَّ الفعل في الحديث المبارك قد دلّ على إصابة الذّنوب بمعنى الفعل الأصليّ، وهو الاحتراق بالرّمضاء؛ إذ إنَّ الذّنوب في شهر رمضان يصيبها الله عزّ وجلّ بما يحرقها ويزيلها كما تحرق الرّمضاء ما تقع عليه، حتّى يكون الإنسان بهذا الشّهر المبارك طاهرًا من ذنوبه[٢] .

٤- المبالغة:

ونعني بالمبالغة "الزّيادة في معنى الفعل وتوكيدُه. وتصحّ المبالغة إذا كان المجرّد والمزيد لمعنى واحد"[٣]. وممّا تجري عليه الأفعال في هذا المعنى، الفعل (أحَبَّ)، في حِكمته (ﷺ): "مَن أحَبَّ قَوماً حُشِرَ مَعَهُم"[٤].

فالفعل (أحَبَّ) في قوله (ﷺ) دلّ على المبالغة للفعل (حَبَّ)[٥]. فزيادة الهمزة على بناء بناء الفعل الأصليّ مبالغةٌ وزيادةٌ لمعنى الفعل، فـ(أحبّ) أشتدّ حبّه لهم. وهذه المبالغة في الحبّ الّتي دلّ عليها الفعل تكون سببًا للحشرِ مع القومِ الّذين أحبّهم وتعلّق قلبه بهم.

٥- المنع:

ومثال ما جاء لهذا المعنى الفعل (أمسَكَ)، في قوله (ﷺ): "إنَّ المُؤْمِنَ أخَذَ عَن اللهِ سُبحانَهُ وتَعالى أدَباً حَسَناً؛ إذا وَسَّعَ عَلَيهِ وَسَعَ عَلى نَفسِهِ، وإذا أمسَكَ عَلَيهِ أمسَكَ"[٦]. يُقال: أمسَكَ فلان ماله: أي حبسه ومنعه، وأمسك الرّجل عن الأمرِ كفَّ عنه، وأمسك فلان عن الكلام: سكت، فامتنع عن الكلام[٧]. فقد دلّ الفعل (أمسك) في الحديث الشّريف على المعنى المعجميّ نفسه وهو (المنع).

٦- الصّيرورة:

ومن الأفعال الّتي استقرّت على هذا المعنى، الفعل (أصْفَرَ)، في قوله (ﷺ): "إنَّ أصفَرَ البُيوتِ لَبَيتُ أصْفَرَ مِن كِتابِ اللهِ"[٨] .

---

(١) ينظر: تاج العروس: ١٨/ ٣٦١ (رمض).

(٢) ينظر: عمدة القاري شرح صحيح البخاريّ: ١٠/ ٢٦٦.

(٣) تصريف الأسماء والأفعال: ١١٣

(٤) حكم النّبيّ الأعظم: ٦/ ٤١٤ ، وينظر: المستدرك على الصحيحين: ٣/ ٢٠.

(٥) ينظر: تسهيل الفوائد وتكميل المقاصد: ١٩٨ ، والصّرف الواضح: ١٠٠.

(٦) حكم النّبيّ الأعظم: ٤/ ٣١٠ ، وينظر: شعب الإيمان: ٥/ ٢٥٩.

(٧) ينظر: أساس البلاغة: ٢/ ٢١٣ (مسك).

(٨) حكم النّبيّ الأعظم: ٧/ ١٠٧ ، وينظر: الأمالي، الشّريف المرتضى: ٢/ ٢٧.

يُقال: بيتٌ صَفْرٌ من المتاع: أي: خالٍ من المتاع، وأصْفَرَ الرّجلُ فهو مُصّفرٌ: أي صار فقيرًا خالي اليدين[١]. والفعل (أصْفَرَ) في الحديث المبارك دلّ على الصّيرورة[٢]، و(أصْفَرَ من كتابِ اللهِ) أي: صار صفرًا وخاليًا منه؛ إذ إنَّ البيت يتحوّل بهذا الخلو إلى حالٍ يقلّ فيها الخير وتذهب البركة.

٧- الدّخول في الشّيء:

ويكون الدّخول في المكان نحو: أعرق: أي دخل العراق. ويكون للدّخول في الزّمان أيضًا نحو أمسى، أصبح. وقد ورد ما هو دالٌّ على الدّخول في الزّمان فقط، قوله (ﷺ):"يا أبا ذَرّ، حُبُّ المالِ وَالشَّرَفِ أذهَبُ لِدينِ الرَّجُلِ مِن ذِئبَينِ ضارِبَينِ في زَربِ الغَنّمِ فَأَغارا فيها حَتّى أصبَحا، فَماذا أبقَيا مِنها؟"[٣]. ومعنى (أصبحا): أي دخلا وقت الصّباح[٤] .

٨- بمعنى أصابه كذا:

وممّا يُستشهد به من الأفعال الواردة في حِكَمه (ﷺ) على هذا المعنى، الفعل (أشفَقَ)، في قوله (ﷺ): "الصَّبرُ أربَعُ شُعَبٍ: الشَّوقُ، والشَّفَقَةُ، والزَّهادَةُ، والتَّرَقُّبُ، فَمَنِ اشتاقَ إلى الجَنَّةِ سَلا عنِ الشَّهَواتِ، ومَن أشفَقَ عنِ النّارِ رَجَعَ عنِ المُحَرَّماتِ، ومَن زَهِدَ في الدُّنيا تَهاوَنَ بِالمُصِيباتِ، ومَنِ ارتَقَبَ المَوتَ سارَعَ في الخَيراتِ"[٥] .

إنَّ مفهوم الفعل (أشفَقَ) أي أصابه الإشفاق، والشّفَق الخوف والحذر من أمرٍ ما[٦]. ومعنى (أشْفَقَ عن النّار) أصابه الخوف والحذر من النّار[٧]، فملأ قلبه ذلك الخوف، حتّى أثّر في عمله وسلوكه، فتراجع عن المحرمات، وانصرف عنها.

٩- معنى التّعريض:

والتّعريض، أنّك تجعل "ما كان مفعولاً للثّلاثيّ مُعَرّضاً لأن يكون مفعولاً لأصل الحَدَث، سواء صار مفعولاً له أو لا"[٨] .

---

(١) ينظر: الصّحاح تاج اللُّغة وصحاح العربيّة: ٢/ ٧١٤ (صفر).

(٢) ينظر: شرح الرّضي على الشّافية: ١/ ٨٨ ، وأبنية الصّرف في كتاب سيبويه: ٣١٩.

(٣) حكم النّبيّ الأعظم: ٧/ ١٦١ ، وينظر: بحار الأنوار: ٧٧/ ٨٠.

(٤) ينظر: دروس التّصريف: ٧٢.

(٥) حكم النّبيّ الأعظم: ٤/ ٤٥٠ ، وينظر: كنز العمال: ١/ ٢٨٦.

(٦) ينظر: تاج العروس: ٢٥/ ٥٠٨ (شفق).

(٧) ينظر: أوزان الأفعال ومعانيها: ٣٠٥.

(٨) شرح الرّضي على الشّافيّة: ١/ ٨٨ ، وينظر: المغني في تصريف الأفعال: ١٢٦ ، والتّطبيق الصّرفيّ: ٢٩ .

ومن النّماذج الّتي وردت من الأفعال على هذا المعنى في حِكَمه (ﷺ)، الفعل (أحَلّوا)، في قوله (ﷺ): "ما ظَهَرَ في قَومٍ الرِّبا وَالزِّنا إلّا أحَلّوا بِأَنفُسِهِم عِقابَ اللهِ"(١). نلحظ في الحديث المبارك أنَّ الفعل (أحَلّوا) قد دلّ على معنى التّعريض(٢). و(أحَلّوا بِأَنفُسِهِم عِقابَ اللهِ) أي: عرّضوا أنفسهم لإحلال العقوبة فيهم.

١٠- الدّلالة على أن الفاعل أنال المفعول من الاسم الّذي اشتقّ منه الفعل:

ومن الأفعال الّتي جرى استعمالها على هذا المعنى، الفعل (أطعم)، في قوله (ﷺ): "أيُّما مُؤْمِن أطعَمَ مُؤمناً عَلى جوعٍ أطعَمَهُ اللهُ يَومَ القِيامَةِ مِن ثِمارِ الجَنَّةِ"(٣) .

ومعنى (أطْعَمَ) في قوله (ﷺ) أَنَّ الفاعل أنال الطّعام للمفعول. فالفعل مشتقّ من الاسم ذاته الّذي تناوله المفعول وهو الطّعام(٤) .

ثانيًا: بناء (فَعّلَ) ودلالاته:

وهذا البناء مزيدٌ بحرفٍ واحدٍ، وهو تكرير عين الفعل(٥). والتّضعيف الّذي وقع في عين الفعل هو لزيادة المعنى عن المجرّد. يقول في ذلك ابن جنّي (٣٩٢هـ): "فلمّا كانت الأفعال دليلة المعاني كرّروا أقواها وجعلوه دليلا على قوّة المعنى المحدث به، وهو تكرير الفعل"(٦) .

وقد كثرت المعاني والدّلالات لهذا البناء، سنورد ما جاء منها في حِكَم النّبيّ الأعظم:

١- معنى التّكثير:

يُعَدُّ هذا المعنى من أشهر معاني هذا البناء؛ لأنّه غالبًا ما يستعمل بناء (فعّل) للتّكثير(٧)، وممّا ورد بهذا المعنى الفعلين (فُتّحَت، غُلِّقَت) في قوله (ﷺ): "إذا دَخَلَ شَهرُ رَمَضَانَ فُتّحَت أُبوابُ الرَّحمَةِ، وغُلِّقَت أبوابُ جَهَنَّمَ، وسُلسِلَتِ الشَّياطينُ"(٨) .

فقد دلّ الفعلان (فتّحت، غلّقت) على التّكثير(٩). وأنَّ استعمال الرّسول ( )ﷺ البناء البناء هو للدّلالة على تكثير فتح أبواب الرّحمة، وغلق أبواب جهنّم؛ إذ إنَّ الله عزّ وجلّ يفتح

(١) حكم النّبيّ الأعظم: ٧/ ١٣٢ ، وينظر: مسند أحمد بن حنبل: ٦/ ٣٥٨.
(٢) ينظر: تسهيل الفوائد وتكميل المقاصد: ١٩٨ ، وشذا العرف: ٧٨ ، وأبنية الصّرف في كتاب سيبويه: ٣٩٢.
(٣) حكم النّبيّ الأعظم: ٣/ ٤٤٨ ، وينظر: سنن التّرمذيّ: ٤/ ٤٤٣.
(٤) ينظر: أوزان الأفعال ومعانيها: ٣٠١.
(٥) ينظر: الممتع في التّصريف: ١١٧ ، وشرح الرّضي على الشّافية: ١/ ٩٢ ، والمهذّب في علم التّصريف: ٦٩.
(٦) الخصائص: ٢/ ١٥٧.
(٧) ينظر: شرح الرّضي على الشّافية: ١/ ٩٢ ، والصّرف الواضح: ١٠٠.
(٨) حكم النّبيّ الأعظم: ٦/ ١٨.
(٩) ينظر: ارتشاف الضّرب: ١/ ١٧٤ ، وجامع الدّروس العربية: ١/ ٢١٨.

كلّ أبواب الرّحمة لعباده في هذا الشّهر المبارك؛ ليزدادوا في طاعته وعبادته. ويغلق كلّ أبواب جنّهم؛ حفاظاً على العباد من الوقوع في المعاصي، وتنزيهًا لأنفس الصّوّام من رجس الفواحش[١] .

٢- التّكرار:

ومثال هذا المعنى الفعل (يثَوَّبَ)، في قوله (ﷺ): "حَسبُ المُؤْمِنِ مِنَ الشّقَاءِ وَالخَيبَةِ أن يَسمَعَ المُؤَذّنَ يُثَوّبُ بِالصَّلاةِ فَلا يُجيبَهُ"[٢]. وهو مضارع الفعل (ثوّب)، والتّثويب: تكرار النّداء إلى الصّلاة[٣]، تعظيمًا لها، ودعوةً للمصلين؛ إذ أنَّ تجاهل هذا النّداء المتكرّر يكون سببًا لضياع البركة وشقاء المؤمن[٤] .

٣- اختصار الحكاية:

ومن الأفعال الّتي استقرّت على هذا المعنى، الفعل (كبّر)، في قوله (ﷺ): "إذا نادَى المُنادي فُتِحَت أبوابُ السَّماءِ، وَاستُجيبَ الدُّعاءُ، فَمَن نَزَلَ بِهِ كَربٌ أو شِدَّةٌ فَليَتَحَيَّنِ المُنادِيَ، فَإذا كَبَّرَ كَبّروا، وإذا تَشَهَّدَ تَشَهَّدوا"[٥]. و(كبّر) دلّ على اختصارٍ لحكاية[٦]، وهي اختصار اختصار عبارة (الله أكبر).

٤- الدّعوة إلى الشّيء:

والمثال على هذا المعنى الفعل (نَجّوا)، في قوله (ﷺ): "نَجّوا أنفُسَكُم، اعملوا، وخَيرُ أعمالِكُمُ الصَّلاةُ"[٧]. فالفعل (نَجّوا) الأمر من الفعل الماضي (نَجّا)، ومعناه الدّعوة إلى النّجاة والخلاص[٨]، فالرّسول (ﷺ) استعمل هذه الصّيغة الفعليّة ليدعو للنّجاة وإنقاذ النّفس النّفس من الهلاك والعذاب بالأعمال الصّالحة. وهذا الفعل فيه معنى الحثّ على النّجاة والخلاص أكثر من مجرّدة (نجا).

---

(١) ينظر: إرشاد السّاري لشرح صحيح البخاريّ: ٣/ ٣٥٠-٣٥١.

(٢) حكم النّبيّ الأعظم: ٥/ ٢٣٠ ، وينظر: المعجم الكبير، للطبرانيّ: ٢٠/ ١٨٣.

(٣) ينظر: لسان العرب: ٢/ ١٤٧ (ثوب).

(٤) ينظر: الكواكب الدّراريّ في شرح صحيح البخاريّ: ٥/ ٧-٨.

(٥) حكم النّبيّ الأعظم: ٥/ ٢٢٦ ، وينظر: المستدرك على الصحيحين: ١/ ٧٣١.

(٦) ينظر: المساعد على تسهيل الفوائد: ٢/ ٦٠١.

(٧) حكم النّبيّ الأعظم: ٥/ ٢٤٠.

(٨) ينظر: أوزان الأفعال ومعانيها: ٣٢٢.

٥-الجعل:

ومن أمثلة الأفعال الّتي اتّخذت هذا المعنى الفعلين (تُبَيِّضُ) و(تُطَيِّبُ)، في قوله (ﷺ): "صَلاةُ اللَّيلِ تُبَيِّضُ الوُجوهَ، وتُطَيِّبُ الرّيحَ، وتَجلِبُ الرِّزقَ"[١]. جاء في لسان العرب "بَيّضَ الشّيءَ جعله أبيض"[٢]. نلحظ أنَّ الفعلين في الحديث المبارك دلّا على معنى الجعل[٣]، أي أي أنَّ صلاة اللّيل تجعل وجه المُصلّي أبيض، وتجعل ريحه طيبة.

٦- سرعة إيقاع الفعل:

ومثال هذا المعنى الفعل (عَجّلَ)، في قوله (ﷺ): "ما مِن أحَدٍ يَدعُو اللهَ بِشَيءٍ إلَّا استَجابَ لَهُ: إمّا أن يُعَجِّلَهُ وإمّا أن يُكَفِّرَ عَنهُ مِن خَطاياهُ بِمِثلِ ما دَعا"[٤] .

يُقال: عَجّلَ في الأمرِ: أي أسرع بإنجازه، والعجالة ما تُعجّل من شيءٍ عند إنجازه[٥]. والمعنى الّذي دلّ عليه الفعل (عجّل) في الحديث الشّريف: هو إحداث الفعل بسرعة معجّلة قبل ما هو معتاد. وتعجيل الدّعاء هو الأسرع في استجابة دعوة الدّاعي، أي أَنَّ الله عزّ وجلّ يستجيب الدّعاء، فيظهر أثره فورًا.

٧- المبالغة:

وممّا سُجّل من الأفعال في حِكَمه (ﷺ) على هذا المعنى، الفعل (حَقّر) في قوله (ﷺ): "لا تُحَقِّرَنَّ أحَداً مِنَ المُسلِمينَ، فَإنَّ صَغيرَهُم عِندَ اللهِ كَبيرٌ"[٦] .

الحَقْر الذّلّة والتّصغير، وحقّر الشّيء بالغ في حَقره وتصغيره [٧]. فالرّسول (ﷺ) استعمل الفعل (تحقّر) للدّلالة على المبالغة في إحداث الفعل[٨]؛ إذ إنّه ( ) يأتي المسلم المسلم عن النّظر إلى النّاس باحتقارٍ شديدٍ، واستصغارٍ مذلٍّ لهم.

---

(١) حكم النّبيّ الأعظم: ٧/ ١٠٦ ، وينظر: عوالي اللئالي: ١/ ٣٥٢.

(٢) لسان العرب : ١/ ٥٥١ (بيض).

(٣) ينظر: المستقصى في علم التّصريف: ١/ ٣٢٤ ، وأوزان الأفعال ومعانيها: ٨١.

(٤) حكم النّبيّ الأعظم: ٥/ ٣٨٨.

(٥) ينظر: مقاييس اللّغة: ٤/ ٢٣٧ (عجل).

(٦) حكم النّبيّ الأعظم: ٤/ ٣١٨ ، وينظر: تنبيه الخواطر: ١/ ٣٩.

(٧) ينظر: كتاب العين: ٣/ ٤٣ (حقر).

(٨) ينظر: الصّرف الوافي: ٢٨٠.

٨- العمل بالوقت المشتقّ منه الفعل:

ومن أمثلة هذا المعنى الفعل (يُبَكّر)، في قوله (ﷺ): "إذا أرادَ أحَدُكُمُ الحاجَةَ فَليُبَكّر إلَيها؛ فَإنّي سَأَلتُ رَبّي أن يُبارِكَ لِأُمَّتي في بُكورِها"[١]. يُقال: بَكَرَ الرّجل بُكُورًا خرج باكرًا أوّل النّهار، قبل بزوغ الشّمس[٢]. والبكور والإبكار اسم "يدلّ على الوقت وهو البكرة"[٣]. والفعل (يبكّر) مشتقّ من الاسم الدّال على وقت (البكور) وهو بداية الصّباح[٤] .

٩- العمل بالأصل المشتقّ الفعل منه:

ومن النّماذج الّتي وردت من الأفعال على هذا المعنى في حِكَمه (ﷺ) ، الفعل (حَصِّنوا)، في حِكمته المباركة (ﷺ) : "حَصِّنوا أموالَكُم بِالزَّكاةِ"[٥] .

قال أحمد بن فارس (ت ٣٩٥هـ: "الْحَاءُ وَالصَّادُ وَالنُّونُ أَصْلٌ وَاحِدٌ مُنْقَاس، وَهُوَ الْحِفْظُ وَالْحِيَاطَةُ وَالْحِرزُ. فَالْحِصْنُ مَعْرُوفٌ...وَالْفِعْلُ مِنْ هَذَا حَصُنَ"[٦]. و(حصّن) في الحديث المبارك مزيد بالتّضعيف من الفعل (حَصُنَ) المشتقّ من (الحِصن) وهو المكان المحفوظ من تمكّن الأعداء إليه، والمعنى في الحديث الشّريف احفظوا أموالكم بالصّدقة، فالصّدقة تحصّن المال، وتقيه من الحرام والفساد، وتمنعه من الذّهاب كما يمنع الحصن العدو من اختراقه[٧] .

١٠- الذّكر:

ومن الأفعال الّتي جرى استعمالها على هذا المعنى، الفعل (سمّى)، في قوله (ﷺ): "مَن سَمّى بِاسمي يَرجو بَرَكَتي ويُمني، غَدَت عَلَيهِ البَرَكَةُ وراحَت إلى يَومِ القِيامَةِ"[٨] .

نلحظ في الحديث الشّريف أنَّ الفعل (سمّى) دلّ على الذّكر اللّفظيّ[٩] لاسم النّبيّ (ﷺ) أي ذكر اسم الرّسول (ﷺ) صراحةً، والتّلفظ به. والذّكر هنا يكون بإطلاق اسم الرّسول الكريم على أسماء الأولاد قصدًا لذكر الرّسول وطلبًا للبركة.

---

(١) حكم النّبيّ الأعظم: ٣/ ٤٨٠ ، وينظر: من لا يحضره الفقيه: ٣/ ١٥٧.

(٢) ينظر: لسان العرب: ١/ ٤٦٩-٤٧٠ (بكر).

(٣) الصّحاح تاج اللُّغة وصحاح العربيّة: ٢/ ٥٩٦ (بكر).

(٤) ينظر: شرح الرّضي على الشّافية: ١/ ٩٥ ، والمغني في تصريف الأفعال: ١٣٤.

(٥) حكم النّبيّ الأعظم: ٧/ ١١٨ ، وينظر: المعجم الكبير، للطبرانيّ: ١٠/ ١٢٨.

(٦) مقاييس اللّغة: ٢/ ٦٩ (حصن).

(٧) ينظر: فيض القدير: ٣/ ٥١٣-٥١٤.

(٨) حكم النّبيّ الأعظم: ٣/ ٤٣٨ ، وينظر: أسد الغابة، ابن الأثير: ٢/ ٥٣٥.

(٩) ينظر: أوزان الأفعال ومعانيها: ٣٢٣.

١١- نسبة المفعول إلى أصل الفعل:

ومن النّماذج الّتي وردت من الأفعال على هذا المعنى في حديثه (ﷺ) ، الأفعال التّالية: (يُهَوّدانِهِ، يُنَصّرانِهِ، يُمَجّسانِهِ)، في قوله (ﷺ) : "ما مِن مَولودٍ إلّا يولَدُ عَلَى الفِطْرَةِ، فَأَبَواهُ يُهَوّدانِهِ أو يُنَصّرانِهِ أو يُمَجّسانِهِ"[١] .

فالأفعال: هوّد، ، نصّر، مجّس، دلّت على نسبة المفعول به وهو (الضّمير الهاء العائد على المولود) إلى الأصل المشتقّ الفعل منه[٢]، وهو اليهوديّة، النّصرانيّة، المجوسيّة.

ثالثًا: بناء (فَاعَلَ) ودلالاته:

وهو آخر أبنية الفعل الثّلاثيّ المزيد بحرفٍ واحدٍ، والزّيادة في هذا البناء تكون بزيادة الألف بين فائه وعينه[٣] .

يأتي هذا البناء لمعانٍ متعددة. سنذكر ما ورد منها في حِكَم النّبيّ الأعظم:

١- المشاركة:

نعني بالمشاركة "نسبة معنى الحدث إلى الفاعل والمفعول، أي: اشتراكهما في العمل، واقتسامهما الفاعليّة والمفعوليّة"[٤]؛ إذ يَعُدُّ هذا المعنى من أهمّ معاني هذا البناء، قال سيبويه سيبويه (١٨٠هـ): "اعلم أنّك إذا قلت: فاعلته، فقد كان من غيرك إليك مثل ما كان منك إليه"[٥] .

ومن الشّواهد الواردة من الأفعال على هذا المعنى، في حِكَم النّبيّ الأعظم، قوله (ﷺ): "من واسَى الفَقيرَ من مالِهِ، وأنصَفَ النّاس من نَفسِهِ، فَذْلِكَ المُؤْمِنُ حَقّاً"[٦] .

فالفعل (وَاسَى) دلّ على المشاركة[٧]. فالرّسول (ﷺ) تعمل هذه الصّيغة الدّالة على على المشاركة ليحثّ المؤمنَ الصّالحَ على جعل الفقيرَ شريكًا له فيما رزقه الله تبارك

(١) حكم النّبيّ الأعظم: ١/ ٤٥٦ ، وينظر: صحيح البخاريّ: ٤/ ١٧٩٢.

(٢) ينظر: شرح الرّضي على الشّافية: ١/ ٩٤ ، وشرح تصريف العزّي: ٨٤ ، والصّرف الواضح: ١٠١.

(٣) ينظر: المفصّل في صنعة الإعراب: ٣٧٣ ، وشرح الرّضيّ على الشّافية: ١/ ٩٦ ، مختصر الصّرف: ٨٤ ، وأبنية الصّرف في كتاب سيبويه: ٣٩٥

(٤) تصريف الأسماء والأفعال: ١١٥.

(٥) الكتاب: ٤/ ٦٨.

(٦) حكم النّبيّ الأعظم: ٤/ ٣٣٦ ، وينظر: الكافي: ٢/ ١٤٧.

(٧) ينظر: ارتشاف الضّرب: ١/ ١٧٤ ، وشذا العرف: ٧٨.

وتعالى، عن طريق الزّكاة والصّدقة؛ حتّى يعين الفقير، ويخفّف عنه. فمشاركة الفقير عبء الحياة، وإنصاف النّاس، هي من علامات المؤمن، وغاية الكمال من الإيمان(١) .

٢- الطّلب:

وممّا يُستشهد به من الأفعال الواردة في حكمه (ﷺ) على هذا المعنى، الفعل (يناجي)، في قوله (ﷺ): "إنَّ أحَدَكُم إذا قامَ يُصَلِّي إنَّما يَقومُ يُناجي رَبَّه. فَليَنظُر كَيفَ يُناجيهِ"(٢) .

وهو مضارع الفعل (نَاجَى)، الّذي يدلّ على الطّلب(٣)، ومعنى (يُناجي رَبَّه) أي: يطلب الحاجة والمساعد والنّجاة من الله سبحانه وتعالى سرًّا في صلاته، على أن تكون تلك المناجاة الّتي يرددها بلسانه معبرة عمّا في قلبه، وإلّا كانت مناجاته بعيدة عن القبول(٤) .

٣- بمعنى مجرّده:

وممّا ورد لهذا المعنى الفعل (يُحاسِب)، في قوله (ﷺ): "إنّ الله عزّ وجلّ يُحاسِبُ كلَّ خَلقٍ إلّا مَن أشرَكَ باللهِ، فإنَّهُ لا يُحاسَبُ يَومَ القِيامَ ويُؤْمَرُ بهِ إلى النّارِ"(٥) .

وهو المضارع من (حَاسَبَ)؛ إذ جاء بمعنى ثلاثيّه (حَسَبَ)(٦) الّذي يدلّ على الحساب والمحاسبة، يقال: حسَب المال: أي عدّه وأحصاه(٧) .

ومن أمثلة هذا المعنى الفعل (طَالَبَ)، في قوله (ﷺ): "مَن طالَبَ حَقّاً فلْيَطلُبْهُ في عَفافٍ وافٍ. أو غَير وافٍ"(٨) ؛ إذ هو بمعنى ثلاثيّه (طَلَبَ).

٤- العمل بالأصل المشتقّ الفعل منه:

ومن الأفعال الّتي جرى استعمالها على هذا المعنى، الفعلين (ناواهم، عاداهم)، في قوله (ﷺ): "يَكونُ مِنَّا اثنا عَشَرَ خَليفَةً. يَنصُرُهُم اللهُ عَلى مَن ناواهُم، ولا يَضُرُّهُم مَن عاداهُم"(٩)، عاداهُم"(٩)، ومعنى (ناواهم) أي ناهضهم وعادهم، والنّوء المعاداة(١٠). فالفعل (ناواهم) دلّ

(١) ينظر: شرح أصول الكافي: ٨/ ٣٢٧.
(٢) حكم النّبيّ الأعظم: ٥/ ٢٤٦ ، وينظر: المستدرك على الصحيحين: ١/ ٣١٦.
(٣) ينظر: أوزان الأفعال ومعانيها: ٣٢٦.
(٤) ينظر: إرشاد السّاري في شرح صحيح البخاريّ: ٣/ ٣٦٧.
(٥) حكم النّبيّ الأعظم: ٢/ ٥٤٤ ، وينظر: عيون أخبار الرّضا: ٢/ ٣٤.
(٦) ينظر: شرح تصريف العزّي: ٨٤ ، والصّرف الوافي: ٢٨١ ، والصّرف الواضح: ١٠٢.
(٧) ينظر: كتاب العين: ٣/ ١٤٩ (حسب)
(٨) حكم النّبيّ الأعظم: ٤/ ٤٧٤ ، وينظر: سنن ابن ماجه: ٢/ ٨٠٩.
(٩) حكم النّبيّ الأعظم: ٢/ ٦٣٧ ، وينظر: بحار الأنوار: ٣٦/ ٢٦٩.
(١٠) ينظر: لسان العرب: ١٤/ ٣١٨ (نوأ).

على معنى الأصل الّذي أُشتقّ منه، وهو النّوء ونصب العداء، كذلك الحال في الفعل (عاداهم) الّذي أُشتقّ من العداوة.

٥- العمل بالوقت المشتقّ الفعل منه:

وممّا جاء دالًا على هذا المعنى الفعل (باكروا)، في قوله (ﷺ): "إذا صَلَّيتُمُ الصُّبحَ فَافزَعوا إلَى الدُّعاءِ. وباكِروا في طَلَبِ الحَوائجِ. اللَّهُمَّ بارِك لأُمَّتي في بُكورِها"(١)، وهو الأمر من الفعل (باكَرَ)، المشتقّ من وقت (البكور)، يُقال: بَكَرَ فلان بُكُورًا: أي خرج باكرًا وهو بداية النّهار(٢). فالفعلُ مشتقٌّ من الاسم الّذي دلّ على الوقت. ومعنى الحديث سارعوا إلى طلب الحوائج في البكور؛ وتحديد وقت البكور دون غيره؛ لأنّه وقت مبارك، وتعود هذه البركة لما يحمله هذا الوقت من نشاطٍ للإنسان(٣) .

٦- التّكثير:

ويكون هذا المعنى للتّكثير أيضًا(٤)، وممّا جاء لهذا المعنى الفعل (يُضاعِف) في قوله(ﷺ): "إنَّ يَومَ الجُمُعَةِ سَيِّدُ الأَيَامِ. يُضاعِفُ الله فيهِ الحَسَناتِ، ويَمحو فيهِ السّيئات"(٥) .

وهو مضارع الفعل (ضاعَفَ)، الّذي هو بمعنى (فعّل)(٦)، فيمكننا أن نقول: يضعّف اللهُ الحسناتِ: أي يكثّرها ويضاعفها أكثر ممّا هي عليه. فالرّسول (ﷺ) استعمل هذه الصّيغة ليحثّ على استثمار يوم الجمعة؛ لأنّ الله سبحانه وتعالى يكثّر فيه الحسنات ويقلّل السّيئات. فالصّيغتان (ضاعَفَ و وضعّف) بمعنى واحد وهو التّكثير.

٨- إصابة المفعول بالأصل المشتقّ الفعل منه:

وممّا يُستشهد به من الأفعال الواردة في حِكَمه على هذا المعنى، الفعل (عاقب)، في قوله (ﷺ): "أنَّ رَجُلاً يُقالُ لَهُ جُزءُ أْتَى النَّبِيَّ (ﷺ) فَقَالَ: يا رَسولَ اللهِ، إنَّ أهلي يُغضِبونّي

(١) حكم النّبيّ الأعظم: ٣/ ٤٨٠ ، وينظر: تاريخ بغداد: ١٢/ ١٥٤.
(٢) ينظر: لسان العرب: ١/ ٤٦٩-٤٧٠ (بكر).
(٣) ينظر: إرشاد السّاري في شرح صحيح البخاريّ: ٦/ ٤٣٢.
(٤) ينظر: المستقصى في علم التّصريف: ٣٢٨.
(٥) حكم النّبيّ الأعظم: ٥/ ٤٠١ ، وينظر: الكافي: ٣/ ٤١٤.
(٦) ينظر: الصّرف الواضح : ١٠٢.

فَبِمَ أُعاقِبُهُم؟ فَقالَ: تَعفو، ثُمَّ قالَ الثّانِيَةَ، حَتّى قالَها ثَلاثاً، قالَ: فَإِن عاقَبتَ فَعاقِب بِقَدرِ الذَّنبِ وَاتَّقِ الوَجه"[1] .

إنَّ المفعول في الحديث الشّريف وهو (أهل الرّجل السّائل)، أصيبوا بالأصل المشتقّ الفعل منه، وهي (العقوبة). فالرّسول يعلّمنا عن طريق النّصيحة الّتي قدّمها للرجل السّائل بأن نعتدل في العقوبة إذا كانت العقوبة بديلًا عن العفو. مع الحثّ على مراعاة حقوق المعاقَب الشّرعيّة[2].

(١) حكم النّبيّ الأعظم: ٤/ ٣١٦ ، وينظر: المعجم الكبير: ٢/ ٢٦٩.

(٢) ينظر: فيض القدير: ٢/ ٢٥.

المبحث الثّالِث

أبنية الفعل الثّلاثيّ المزيد بحرفين ودلالاتها

إنَّ للأفعال الثّلاثيّة المزيدة بحرفين خمسةَ أبنيةٍ، هي (انْفَعَلَ، وافْتَعَلَ، افْعَلَّ، تفَاعَل، تَفَعَّل) وكلّ بناءٍ من هذه الأبنية الخمسة يتضمّن معانيَ ودلالات متعددة [١]. وفيما يلي تفصيل هذه الأبنية ودلالاتها:

أوّلاً: بناء (افْتَعَلَ) ودلالاته:

هذا البناء مزيدٌ بهمزة الوصل في أوّله، وتاء الافتعال بين فائه وعينه[٢]، وقد ورد عددٌ من المعاني الّتي تضمّنها هذا البناء في حِكَم النّبيّ الأعظم، وهي :

١- بمعنى (فَعَلَ):

يجيء بناء (افْتَعَلَ) بمعنى مجرّده (فَعَلَ)؛ ولكن بقلّة[٣]، وممّا ورد لهذا المعنى في حِكَمه (ﷺ)، الفعل (اشتَدَّ)، في قوله (ﷺ): "اشتَدَّ غَضَبُ اللهِ عَلى مَن ظَلَمَ مَن لا يَجِدُ ناصِراً غَيرَ اللهِ"[٤].

فالفعل (اشتَدَّ) بمعنى ثلاثيّه (شدَّ)[٥]، قال أحمد بن فارس (ت ٣٩٥هـ): "الشِّينُ وَالدَّالُ أَصْلٌ وَاحِدٌ يَدُلُّ عَلَى قُوّة فِي الشَّيْءِ، وفُرُعُه تَرجِعُ إِلَيهِ"[٦]، واشتدّ غضبه أي: قوي. ومعنى الحديث الشّريف أنّ الله سبحانه وتعالى يغضب غضبًا شديداً على الظّالمين ويصل

(١) ينظر: شرح المفصّل: ٧/ ١٥٩ ، وجامع الدّروس العربيّة: ١/ ٢١٩ ، وأبنية الصّرف في كتاب سيبويه: ٣٩٥-٣٩٩.

(٢) ينظر: المنصف: ١/ ٧٤ ، والمبدع في التّصريف: ١٠٣ ، ومختصر الصّرف:٨٤ ، والصّرف الواضح: ١٠٤.

(٣) ينظر: دروس التّصريف: ٧٧.

(٤) حكم النّبيّ الأعظم: ٥/ ٣٣ ، وينظر: كنز العمال: ٣/ ٥٠٠.

(٥) ينظر: المصنف: ١/ ٧٥.

(٦) مقاييس اللّغة: ٣/ ١٧٩ (شدّ).

هذا الغضب أقصى قوّته، عندما يرى جلّ وعلا العبد يُظلم، ولا يجدُ من ينصره إلّا إيّاه جلّ شأنه[١] .

٢- العمل بالأصل المشتقّ الفعل منه:

ومن الأفعال الّتي جرى استعمالها على هذا المعنى، الفعل (يرتعد)، في قوله (ﷺ): "رَأَيتُ رَجُلاً مِن أمَّتي على الصِّراطِ يَرتَعِدُ كما تَرتَعِدُ السَّعَفَةُ في يَومِ ريحٍ عاصِفٍ، فَجاءَهُ حُسنُ ظَنِّهِ بِاللهِ فَسَكَّنَ رَعدَتَهُ"[٢] .

وهو مضارع الفعل (ارْتَعَدَ)، ومعناه: أصابه الارتعاد وهو الحركة والاضطراب[٣]، فالفعل عمل بالأصل الّذي أُشتقّ منه وهو (الرّعد)، فقد أدّى الصّورة المعجميّة الأصليّة للجذر اللّغويّ دون تغيير. فالحديث يصوّر لنا مشهد المرور على الصّراط تصويرًا رائعًا. وما يصيب العبد من اهتزاز وارتجاف عند مروره على الصّراط، ثُمّ يوضّح لنا الحديث الشّريف بعد ذلك ما يُسكّن ذلك الاضطراب، ألا وهو حُسن الظّنّ بالله تعالى، وحُسن الظّنّ هذا لا يأتي إلّا من الإنسان الصّالح الّذي حسُنت أعماله في دار الدّنيا[٤] .

٣-الاختفاء:

وممّا جاء من الأفعال على هذا المعنى، الفعل (احتَجَبَ)، في قوله (ﷺ): "مَن وَلِيَ مِن أمرِ المُسلِمينَ شَيئاً. فَاحتَجَبَ عَن ضَعَفَةِ المُسلِمينَ، احتَجَبَ اللهُ عَنهُ يَومَ القِيامَةِ[٥] .

يُقال: احتجب الرّجل: أي اكتنَّ وراء حجاب، وتوارى عن الأنظار[٦]؛ إذ دلَّ هذا الفعل على المعنى المعجميّ المحض. ومعنى الحديث الشّريف أنَّ من يولي أمر المسلمين،

---

(١) ينظر: فيض القدير: ١/ ٦٥٩.

(٢) حكم النّبيّ الأعظم: ٥/ ٤٠ ، وينظر: بحار الأنوار: ٧/ ٢٩١.

(٣) ينظر: لسان العرب: ٥/ ٢٤٢ (رعد).

(٤) ينظر: شرح نهج البلاغة، عبّاس الموسويّ: ٤/ ٣٤٤-٣٤٥.

(٥) حكم النّبيّ الأعظم: ٢/ ٦٢٢ ، وينظر: المعجم الكبير: ٢٠/ ١٥٢.

(٦) ينظر: لسان العرب: ٣/ ٥٠ (حجب).

ويتوارى عن أنظار الضّعفاء، ويحتجب عنهم، يحتجب الله عنه في يوم القيامة ولا يرى نور وجهه الكريم. ويبعده عمّا يبتغيه في الدّنيا والآخرة، فيخيّب آماله، ولا يستجيب له[١] .

٤- جعل المفعول على صفة مشتقّة من أصل الفعل :

ومثال هذا المعنى الفعل (احتَقَرَ)، في قوله (ﷺ): "مَن احتَقَرَ صاحِبَ العِلمِ فَقَدِ احتَقَرَني، ومَنِ احتَقَرَني فَهُوَ كافِر"[٢] .

جاء في مقاييس اللّغة "الْحَاءُ وَالْقَافُ وَالرَّاءُ أَصْلٌ وَاحِدٌ، اسْتِصْغَارُ الشَّيءِ. يُقَالُ شَيْءٌ حَقِيرٌ، أَي صَغِيرٌ. وَأَنَا أَحْتَقِرُهُ: أَي أَسْتَصْغِرُهُ"[٣]. نلحظ أنَّ المفعول به وهو (العالم) جُعِل في صفة الاحتقار والاستصغار، وهذه الصّفة مشتقّة من أصل الفعل (حقر). ومعنى الحديث الكلّيّ من استصغر العالِم، وعامله باحتقار، وجعل صفة الحقارة فيه، فهو استحقر مقام النّبوّة؛ لأنّ العلماء ورثة الأنبياء، ومن ثمّ فكلّ من استحقر مقام النّبوّة فهو كافرٌ مطرودٌ من رحمة الله.

٥- البلوغ والوصول:

وممّا تجري عليه الأفعال في هذا المعنى، الفعل (انتَهَى)، في حِكمته (ﷺ): "انتَهَى الإيمانُ إلَى الوَرِع"[٤]. يُقال: انتهى الشّيء: إذا بلغ النّهاية ووصل إلى غاية وبلوغ، ونهاية أي شيء غايته[٥]. ومعنى الحديث المبارك أنّ اكتمال الإيمان ووصوله إلى نقطة نهايته مرتبط بالورع الّذي يُعَدُّ أعلى مراتب الإيمان.

٦- الجمع:

ومثال هذا المعنى الفعلين (يَحتَطِبُ، يَستَقي)، في قوله (ﷺ): "كُنّا نَخرُجُ في الغَزَواتِ مُتَرافِقينَ تِسعَةٌ وعَشرَةٌ، فَنُقَسِّمُ العَمَلَ، فيَقعُدُ بَعضُنا في الرَّحلِ، وبَعضُنا يَعمَلُ لأصحابِهِ يَصنَعُ طَعامَهُم ويَسقِي رِكابَهُم. وطائفةٌ تَذهَبُ إلَى النّبيّ (ﷺ). فاتَّفَقَ في رِفقَتِنا رَجُلٌ يَعمَلُ عَمَلَ ثلاثَةِ نفَرٍ: يَحتَطِبُ، ويَستَقي، ويَصنَعُ طَعامَنا. فَذُكِرَ ذلكَ للنّبيّ (ﷺ). فقالَ:

---

(١) ينظر: عون المعبود: ٨/ ١١٧-١١٨.

(٢) حكم النّبيّ الأعظم: ١/ ٣٣٢ ، وينظر: إرشاد القلوب: ١٦٥.

(٣) مقاييس اللّغة: ٢/ ٩٠ (حقر).

(٤) حكم النّبيّ الأعظم: ٤/ ٢٩٠ ، وينظر: كنز العمال: ٣/ ٤٢٦.

(٥) ينظر: مقاييس اللغة: ٥/ ٣٥٩ (نهي).

ذلكَ رَجُلٌ مِن أهل النّارِ، فَلَقِينا العَدُوَّ فَقاتَلناهُم فَجُرِحَ فَأُخَذَ الرّجُلُ سَهماً فَقتَلَ بهِ نفسَهُ، فقالَ النّبيّ (ﷺ): أَشهَدُ أنّي رسولُ اللهِ وعَبَدُهُ"[١] .

وهما فعلان مضارعان ماضيهما احتطب، استقى. يُقال: احتطب فلان: أي جمع الحطب[٢]، ومثلها الفعل (استقى): أي جلب الماء[٣] .

٧- معنى التّخيُّر:

ومن الأفعال الّتي استقرّت على هذا المعنى، الفعل (اصطَفى)، في قوله (ﷺ): "إنَّ الله عزّ وجلّ اصطَفى مِنَ الكَلامِ أربَعاً: سُبحانَ الله، وَالحَمدُ لله، ولا إلَهَ إلَّا الله، وَالله أكبَرُ"[٤] .

يُقال: اصطفى فلان كذا على كذا: أي اختاره وجعله الصّفوة[٥]. ومعنى الحديث الشّريف الشّريف أنَّ الله عزّ وجلّ فضّل واختار من كلام الآدميين هذه الأذكار الأربعة دون سواها. وهذا التّخيُّر ليس اعتباطًا فهو اختيارٌ قائمٌ على تمييز هذه الأذكار من غيرها وجعلها صفوة الكلام؛ لما فيها من بركة ومنزلة عظيمة عند الله سبحانه وتعالى[٦] .

٨- معنى الإظهار:

وممّا جاء دالاً على هذا المعنى الفعل (اعتَذَرَ)، في قوله (ﷺ): "مَن اعتَذَرَ إلَيهِ أخوهُ بِمَعذِرَةٍ فَلَم يَقبَلْها كانَ عَلَيهِ مِنَ الخَطيئَةِ مِثلُ صاحبِ مَكْسٍ"[٧] .

فالاعتذار هو "رَوْمُ الْإِنْسَانِ إِصْلَاحَ مَا أَنكِرَ عَلَيْهِ بِكَلَامٍ"[٨]. فالفعل (اعتَذَرَ) دلّ على معنى الإظهار[٩]؛ إذ إنَّ الاعتذار في الحديث ليس مجرد طلب العذر، وإنّما هو إظهار العذر وتبيانه إلى من أخطأ في حقّه، فالرّسول (ﷺ) استعمل هذه الصّيغة ليحثّ على

(١) حكم النّبيّ الأعظم: ٥/ ٩٤ ، وينظر: بحار الأنوار: ١٨/ ١١١.
(٢) ينظر: لسان العرب: ٣/ ٢٢٣ (حطب).
(٣) ينظر: مقاييس اللّغة: ٣/ ٨٤-٨٥ (سقى).
(٤) حكم النّبيّ الأعظم: ٣/ ٥٣٦ ، وينظر: مسند أحمد بن حنبل: ١٣/ ٣٨٧.
(٥) ينظر: تاج العروس: ٣٨/ ٤٢٧ (صفو).
(٦) ينظر: فيض القدير: ٢/ ٢٦٦.
(٧) حكم النّبيّ الأعظم: ٧/ ٤٧٩ ، وينظر: كنز العمال: ٣/ ٣٧٨.
(٨) مقاييس اللّغة: ٤/ ٢٥٣ (عذر).
(٩) ينظر: المستقصى في علم التّصريف: ١/ ٣٤١.

إظهار ذلك الاعتذار، فمن لم يقبل الاعتذار كان ذنبه كذنب صاحب المكس[١]، والمكس انتقاص الثّمن من السّلعة عند بيعها، أو أخذ الرّسوم ظلمًا[٢] .

٩- الإغناء عن (فَعَلَ):

ومن النّماذج الّتي وردت من الأفعال على هذا المعنى في حِكَمه (ﷺ)، الفعل (استَلَمَ)، في قوله (ﷺ): "إنَّ رَسولَ اللهِ (ﷺ) استَلَمَ الحَجَرَ فَقَبَّلَهُ. واستَلَمَ الرُّكنَ اليَمَانِيَّ فَقَبَّلَ يَدَهُ"[٣] .

فقد أغنى استعمال الفعل (استَلَمَ) عن قولهم: سَلِم الحجرَ أو قولهم: يَسلَمُ الحجر[٤] .

١٠- التّصرّف والاجتهاد:

ومثال هذا المعنى الفعل (اكتسب)، في قوله (ﷺ): "رَحِمَ اللهُ امرَأً اكتَسَبَ طَيِّباً، وأنفَقَ قَصداً، وقَدَّمَ فَضلاً لِيَومِ فَقرِهِ وحاجَتِهِ"[٥] .

يُقال: اكتسب المال: أي: اجتهد في تحصيل طلبه[٦]. وقد فرّق سيبويه (١٨٠هـ) بين اكتسب ومجرّده، بقوله: "وأمّا كسب، فإنَّه يقول أصاب، وأمّا اكتسب، فهو التّصرّف والطّلب. والاجتهاد بمنزلة الاضطراب"[٧]. إنَّ استعمال الرّسول (ﷺ) الفعل (اكتسب) في هذا الموضع، كان مناسبًا لسياق الكلام؛ لأنّ الرّزق الطّيب الحلال لا يأتي إلّا بعد بذل جهد واجتهاد وتكلّف في طلبه وتحصيله.

١١- مطاوعًا لمجرده (فَعَلَ):

---

(١) ينظر: فيض القدير: ٦/ ٩٤-٩٥.

(٢) ينظر: كتاب العين: ٥/ ٣١٧ (مكس).

(٣) حكم النّبيّ الأعظم: ٦/ ٣٥١ ، وينظر: السّنن الكبرى: ٥/ ١٢٣.

(٤) ينظر: شرح الملوكيّ في التّصريف:٨١-٨٢.

(٥) حكم النّبيّ الأعظم: ٧/ ٣٣ ، وينظر: كنز العمال: ٤/ ٦.

(٦) ينظر: لسان العرب: ١٢/ ٨٧ (كسب).

(٧) الكتاب: ٤/ ٧٤.

وهذا البناء قليلاً ما يكون مطاوعًا لـ(فَعَلَ)، نحو: شويته فاشتوى[١]. ومثال هذا المعنى الفعل (اجتمع)، في قوله (ﷺ): "إذَا اجتَمَعَ لِلطَّعامِ أربَعٌ كَمَلَ: أن يَكونَ حَلالاً، وأن تَكثُرَ عَلَيهِ الأَيدي، وأن يُفتَتَحَ بِاسمِ اللهِ، وَيُختَتَمَ بِحَمِدِ اللهِ"[٢]. ومعنى المطاوعة فيه بيّن؛ إذ يمكن أن يُقال: جمعته فاجتمع.

ثانيًا: بناء (انْفَعَلَ) ودلالاته:

قال سيبويه (١٨٠هـ) في هذا البناء: "هذا باب ما طاوع الّذي فعله على فَعَلَ، وهو يكون على انْفَعَلَ وافْتَعَلَ، وذلك قولك: كسرته فانكسر، وحطمته فانحطم، وحسرته فانحسر، وشويته فانشوى، وبعضهم يقول: فاشتوى"[٣] .

يأتي هذا البناء مزيدًا بهمزة الوصل والنّون في أوّله، ويكون دالاً على المطاوعة في معانيه أغلبها، ويكون هذا البناء في الأفعال الظّاهرة الّتي تقبل الأثر[٤]. ولا يجيء إلّا لازمًا، لازمًا، فلا يتعدّى إلى مفعول؛ لأنّ هذه الأفعال تخبر عمّا تريده من فاعلها[٥] .

والمطاوعة الّتي يدلّ عليها هذا البناء تكون بين فعلين يدلّ أحدهما على تأثير، والثّاني يدلّ على قبول فاعله لذلك التّأثير[٦]. ويسمّي بعض النّحويّين (النّون) الّتي في هذا البناء نون المطاوعة[٧] .

ويشترط النّحويُّون في هذا البناء "أن يكون من الأحداث الظّاهرة الّتي تراها العيون كالكسر والقطع والجذب، فلا يُقال علّمته فانعلم، ولا فهّمته فانفهم"[٨] .

---

(١) وينظر: شرح الملوكيّ في التّصريف: ٨١.

(٢) حكم النّبيّ الأعظم: ٧/ ٣٧١ ، وينظر: بحار الأنوار: ٦٦/ ٤١٢.

(٣) الكتاب: ٤/ ٦٥ ، وينظر: المنصف: ١/ ٧٢ ، والمفصّل في صنعة الإعراب: ٣٧٣.

(٤) ينظر: الأصول في النّحو: ٣/ ١٢٦ ، وشرح المفصّل: ٧/ ١٥٩.

(٥) ينظر: المقتضب: ٢/ ١٠٢.

(٦) ينظر: مغني اللّبيب عن كتب الأعاريب: ٢/ ٥٩٨.

(٧) ينظر: التّطبيق الصّرفيّ: ٣٣.

(٨) المغني في تصريف الأفعال: ١٤٤ ، وينظر: شرح الرّضي على الشّافية: ١/ ١٠٨.

وقد وردت هذه الصّيغة في غير موضعٍ من حِكَمه (ﷺ) ، دلّت أكثرها على المطاوعة، منها الفعل (تَنشَعِبُ)، في قوله (ﷺ) : "رَجَبُ شَهرُ اللهِ الأَصَبُّ. يَصُبُّ اللهُ فيهِ الرَّحمَةَ عَلى عِبادِهِ، وشَهرُ شعبانَ تَنشَعِبُ فيهِ الخَيراتُ. وفي أوَّلِ لَيلَةٍ مِن شَهرِ رَمَضانَ تُغَلُّ المَرَدَةُ مِنَ الشَّياطينِ"(١) .

وهو مضارع الفعل (انشعب). ومعنى المطاوعة فيه بيّن؛ إذ يمكن أن يُقال: شعبته فانشعب، وهو بمعنى تفرُّع الشّيء وتكاثره(٢). والمعنى في الحديث الشّريف أنَّ الله سبحانه وتعالى يكثّر في شهر شعبان الخيرات فتتشعّب وتنتشر فيه وتتعدّد طرق انتشارها، وتتفرّق تشعباتها؛ نتيجة لكثرة خير هذا الشّهر الفضيل.

وقد يدلّ هذا البناء على معنى غير المطاوعة، "كقولك: انحجزَ الرّجل: إذا أتى الحجاز، وانسرب الثّعلب في حجره، وانكرس في الشّيء إذا: دخل"(٣) .

وممّا جاء دالاً على هذا المعنى الفعل (انسَلَخَ)، في قوله عليه الصّلاة والسّلام: "مَنِ انسَلَخَ مِن شَهْرِ رَمَضَانَ وَلَم يُغْفَر لَهُ فَلَا غَفَرَ اللهُ لَهُ"(٤).

فقد دلّ الفعل (انسَلَخَ) على معنى غير المطاوعة، وهو الخروج من شهر رمضان المبارك؛ لأنّ "كلّ شيءٍ خرج من شيءٍ فقد انسلخ منه"(٥). ومعنى الحديث المبارك أنَّ الخروج من هذا الشّهر المبارك دون مغفرةٍ للذّنوب بسبب تفريط العبد باستثمار بركة هذا الشّهر الفضيل لمغفرة ذنوبه؛ يكون سببًا بعدم غفر الله تبارك وتعالى للعبد.

ثالثًا: بناء (افْعَلَّ) ودلالاته:

وهذا البناء زيدت الهمزة في أوّله، وضعّفت اللّام في آخره، ويأتي للدّلالة على العيوب والألوان وإبانة قوّة الفعل(٦). ويأتي أيضًا "للدّلالة على المبالغة في الفعل والاستعاضة بهِ

(١) حكم النّبيّ الأعظم: ٦/ ٢٠ ، وينظر: عيون أخبار الرضا: ٢/ ٧١.
(٢) ينظر: لسان العرب: ٧/ ١٢٥ (شعب).
(٣) ديوان الأدب: ٢/ ٤٢٨ .
(٤) حكم النّبيّ الأعظم: ٦/ ٣٠ .
(٥) جمهرة اللّغة: ١/ ٥٩٨ (سلخ).
(٦) ينظر: شرح الرّضي على الشّافية: ١/ ١١٢ ، وتسهيل الفوائد وتكميل المقاصد: ٢٠٠ ، ومختصر الصّرف: ٨٤ ، والتّطبيق الصّرفيّ: ٣٣.

عن (فَعَلَ)"[١]. وقد يأتي هذا البناء لمعانٍ أخرى غير العيوب والألوان نحو: الفعل (ارقدّ) في العدوِ: بمعنى أسرع[٢] .

إنَّ الصّرفيّين يذكرون مع هذا البناء دائمًا بناء (أفعالَّ)، نحو: أشهابَّ، أبياضَّ؛ لأنّهم يرون أنَّ بناء (افعَلَّ) اختصارٌ منه، و(افْعَلَّ) أكثر من (أفعالَّ) لخفّته[٣] .

وقد ذكر الأستاذ الدّكتور هاشِم طه شلاش ثلاثةَ معانٍ لهذا البناء[٤]. ورد معنيان منها في حِكَم النّبيّ الأعظم (صلى الله عليه وآله وسلم)، الأوّل لزوم صاحب الفعل صفة من الصّفات، ومثال هذا المعنى ما دلّ على لونٍ، وهما الفعلين (ابيَضَّت، اسوَدَّت)، في قوله (صلى الله عليه وآله وسلم): "ابيَضَّت وُجوهٌ وَاسوَدَّت وُجوهٌ، وسَعِدَ أقوامٌ وشَقِيَ آخَرونَ، سَعِدَ أصحابُ الكِساءِ الخَمسَةِ أنَا سَيِّدُهُم، ولا فَخرَ، عِترَتي أهلُ بَيتِي السَّابِقونَ، أُولْئكَ المُقَرَّبونَ، يَسعَدُ مَنِ اتَّبَعَهُم وشايَعَهُم عَلَى ديني ودينِ آبائي"[٥] .

جاء في المصباح المنير: "السَّوَادُ لَوْنٌ مَعْرُوفٌ يُقَالُ سَوِدَ يَسْوَدُ مُصَحَّحًا مِنْ بَابِ تَعِبَ فَالذَّكَرُ أَسْوَدُ وَالْأُنْثَى سَوْدَاءُ وَالْجَمْعُ سُودٌ...وَاسْوَدَّ الشَّيْءُ وَسَوَّدْتُهُ بِالسَّوَادِ تَسْوِيدًا"[٦]. والمعنى الّذي دلّ عليه الفعلان في الحديث الشّريف هو قوّة البياض والسّواد. فالفعل (ابيضّت وجوه) دلّ على قوّة بياض وجوه الصّالحين والمؤمنين، وأنّ هذه الصّفة ملازمة لهم. و(اسودّت وجوه) دلّ أيضاً على قوّة اسوداد وجوه مخالفي الحقّ بعد غضب الله عليهم.

وقد يدلّ هذا البناء على الدّخول في صفة معينة نحو الفعل (احمَرَّ)، في قوله (صلى الله عليه وآله وسلم): "كانَ رسولُ الله (صلى الله عليه وآله وسلم) إذا احمَرَّ البأسُ وأحجَمَ النّاسُ قَدَّمَ أهلَ بَيتِهِ، فَوَقى بِهِم أصحابَهُ حَرَّ السُّيوفِ والأسِنَّةِ"[٧]. و(احمرّ البأسُ) في الحديث المبارك: أي أنّ القتال دخل في حدِّ الغليان، وصار ذا شدّةٍ وهولٍ[٨]. ففي شدّة القتال وهوله، كان الرّسول (صلى الله عليه وآله وسلم) يقدّم أهل بيته بيته ليقي بهم أصحابه، وهذا من أعظم صور الإيثار.

رابعًا: بناء (تَفَعَّل) ودلالاته:

---

(١) أبنية الصّرف في كتاب سيبويه: ٣٩٩ ، وينظر: الصّرف الواضح: ١٠٥.

(٢) ينظر: المغني في تصريف الأفعال: ١٥٦-١٥٧.

(٣) ينظر: شرح الملوكيّ في التّصريف: ٨٤.

(٤) ينظر: أوزان الأفعال ومعانيها: ١٠٣-١٠٦.

(٥) حكم النّبيّ الأعظم: ٢/ ١٧٠ ، وينظر: بحار الأنوار: ٢٢/ ٤٩٤.

(٦) المصباح المنير: ١/ ٢٩٤ (سود).

(٧) حكم النّبيّ الأعظم: ٢/ ٣٣٨ ، وينظر: بحار الأنوار:٣٣/ ١١٥.

(٨) ينظر: لسان العرب: ٣/ ٣١٨ (حمر).

وهذا البناء مزيدٌ بالتّاءِ في أوّله، وتضعيف عينه. وتكون أفعال هذا البناء لازمةً، نحو: تكرّم، وتكون متعدّية، نحو: توسّد[١]. وقد كثُرت دلالات هذا البناء في حِكَم النّبيّ الأعظم، وهي :

١- معنى التّكلّف:

ومن الشّواهد الواردة من الأفعال على هذا المعنى، الفعل (تصّبّر)، في قوله (ﷺ): "مَن يَتَصَبَّرْ يُصَبِّرْهُ الله، ومَن يَستَعفِفْ يُعِفَّهُ اللهُ، ومَن يَستَغنِ يُغنِهِ اللهُ، وما أُعطِيَ عَبدٌ عَطاءً هُو خَيرٌ وأوسَعُ مِن الصَّبرِ"[٢].

و(تصّبّر): أي "حمل نفسه على الصّبر، وتكلّف الصّبر"[٣]. فالفعل (تصبّر) حمل معنى معنى التكلّف[٤]؛ إذ دلّ على بذل جهد أكثر ليكون العبد صابرًا. فالعبد الّذي يكلّف نفسه في في الصّبر، ويحاول جاهدًا أن يلزمها الصّبر؛ ليكون صفةً ثابتةً له، يعينه الله على ذلك. فمن تكلّف في نفسه ليكون صابرًا يمنحه الله الصّبر؛ كون صفة الصّبر جامعةً لمكارم الأخلاق[٥] .

٢- الاتّخاذ:

وممّا ورد في حِكَمه (ﷺ) لهذا المعنى الفعل (تَخَتَّموا) في قوله (ﷺ): "تَخَتَّموا بِالعَقيقِ؛ فَإِنَّهُ مُبَارَكٌ"[٦] .

وهو الأمر من الفعل (تَخَتَّم)، الّذي يدلّ على الاتّخاذ[٧]. يُقال: تختّم فلان بالفضة، وتختّم به: أي لبسه، واتّخذ من الفضة خاتمًا[٨] .

٣- العمل بالوقت المشتقّ منه الفعل:

---

(١) ينظر: المفصّل في صنعة الإعراب: ٣٧١ ، والممتنع في التّصريف: ١١٦ ، ومختصر الصّرف: ٨٥ ، ودروس التّصريف: ٧٧-٧٨.

(٢) حكم النّبيّ الأعظم: ٤/ ٤٥٠ ، وينظر: كنز العمال: ١/ ٢٨٦.

(٣) المعجم الوسيط، نخبة من المؤلفين بمجمع اللّغة العربيّة بالقاهرة: ١/ ٥٠٦ (صبر).

(٤) ينظر: ارتشاف الضّرب: ١/ ١٧٢ ، وتسهيل الفوائد وتكميل المقاصد: ١٩٨.

(٥) ينظر: شرح صحيح البخاريّ: ٣/ ٣٦٦ ، والكواكب الدّراريّ في شرح صحيح البخاريّ: ٢٢/ ٢٢٨.

(٦) حكم النّبيّ الأعظم: ٣/ ٤٩٤ ، وينظر: الكافي: ٦/ ٤٧٠.

(٧) ينظر: المساعد على تسهيل الفوائد: ٢/ ٦٠٢ ، وشذا العرف: ٨٢.

(٨) ينظر: لسان العرب: ٤/ ٢٥ (ختم).

ومن الأفعال الّتي جرى استعمالها على هذا المعنى، الفعل (تسحّروا)، في قوله عليه الصّلاة والسّلام: "تَسَحَّروا وَلَو بِجُرعَةٍ مِن ماءٍ"(١). وماضيه (تسحّر) وهو أكل الطّعام وقت (السَّحَرِ)، وهو وقتٌ قُبيل الفجر(٢). فالفعل اشتقّ من الوقت ذاته وهو قُبيل الفجر، الّذي يُعَدُّ يُعَدُّ من الأوقات المباركة. فالرّسول (ﷺ) يحثُّ الصّائمين على أكل ما تيسر من الطّعام في هذا الوقت المبارك، ويبارك باليسير منه، حتّى وإن كان جرعةَ ماءٍ؛ لكونه يحصل به الإعانة على الصّيام(٣) .

٤- الطّلب:

وممّا يُستشهد به من الأفعال الواردة في حديثه (ﷺ) على هذا المعنى، الفعل (تقدّس)، في قوله (ﷺ): "كَيفَ تُقَدَّسُ أمَّةً لا تَأْخُذُ لِضَعيفِها مِن شَديدِها حَقَّهُ وهُوَ غَيرُ مُتَعتَعٍ"(٤) .

ومعنى (تُقَدَّسُ أمَّةً) أي: تطلب القداسة لتكون مباركةً ومطهّرةً. والاستفهام هنا مجازيّ خرج لغرض النّفي، والمعنى لا يمكن لأمّةٍ ما أن تطلب القداسة، وهي لا تأخذ حقّ الضّعيف وتنصره، دون أن يتعتعَ ذلك الضّعيف: أي "مِنْ غَيْرِ أَن يُصيبه أَذَى يُقْلِقُه ويُزْعِجُه"(٥)، ومن الأفعال الواردة في حكمه (ﷺ)الّتي دلّت على طلب، قوله (ﷺ)إذا "إذا قُمتُ المَقامَ المَحمودَ تَشَفَّعتُ في أصحابِ الكَبائِرِ مِن أُمَّتي. فَيُشَفِّعُنِي اللهُ فيهِم، وَاللهِ لا تَشَفَّعتُ فيمَن آذى ذُرِّيَتي"(٦). ومعنى الطّلب فيه بيّن، فـ(تَشَفَّعتُ): أي طلبت الشّفاعةَ لهم من الله عزّ وجلّ.

٥- حركة واضطراب:

ونجد هذا المعنى متمثّلاً بالفعل (يَتَشَحَّطُ) في قوله (ﷺ): "المُؤَذّنُ المُحتَسِبُ كَالشَّهيدِ يَتَشَحَّطُ في دَمِهِ حَتّى يَفْرُغَ مِن أَذانِهِ، ويَشهَدُ لَهُ كُلُّ رَطبٍ ويابِسٍ، وإذا ماتَ لَم يُدَوَّد في

(١) حكم النّبيّ الأعظم: ٣/ ٤٩٤ ، وينظر: تيسير المطالب: ٣٨٩.
(٢) ينظر: الصّحاح تاج اللّغة وصحاح العربيّة: ٢/ ٦٧٨ (سحر).
(٣) ينظر: عمدة القاري في شرح صحيح البخاريّ: ١٠/ ٣٠١-٣٠٢.
(٤) حكم الّنبيّ الأعظم: ٧/ ٩٦ ، وينظر: السّنن الكبرى: ٦/ ١٥٧.
(٥) لسان العرب: ٢/ ٣٦ (تعع).
(٦) حكم الّنبيّ الأعظم: ٤/ ٦٠١ ، وينظر: بحار الأنوار: ٨/ ٣٧.

قَبرِهِ"[١]، وهو مضارع الفعل (تشحّط)، الّذي يدلّ على حركةٍ واضطرابٍ الشّهيد في دمه. جاء في المخصّص "تشحّط الولد في السّلى اضطرب فيه"[٢]. وتشبيه المؤذّن بهذا الوصف هو لبيان ما يناله المؤذّن من أجرٍ عظيمٍ يضاهي أجر الشّهيد.

٦- اختصار حكاية:

ومما سُجّل من الأفعال في حِكَمه المباركة على هذا المعنى، الفعل (تَشَهَّدَ)، في قوله (ﷺ): "إذا نادَى المُنادي فُتِحَت أبوابُ السّماءِ، وَاستُجيبَ الدُّعاءُ، فَمَن نَزَلَ بِهِ كَربٌ أو شِدَّةٌ فَليَتَحَيّنِ المُنادِيَ. فَإذا كَبَّرَ كَبّروا، وإذا تَشَهَّدَ تَشَهَّدوا"[٣] .

و(تَشَهَّدَ) أي نطق الشّهادتين، وهو قول: أشهد أَنَّ لا إلهَ إلا الله وأشهد أَنَّ محمّدًا رسولُ الله.

٧- بمعنى (استفعل):

وهذا المعنى يكون في الطّلب[٤]. وممّا جاء من الأفعال بمعنى (استفعل) الفعل (تَكَبَّرَ)[٥]، في قوله (ﷺ): "مَن تَواضَعَ للهِ رَفَعَهُ الله، فهُو في نَفسِهِ ضَعيفُ وفي أعيُنِ النّاسِ عَظيمٌ، ومَن تَكَبَّرَ وَضَعَهُ الله. فهُو في أعيُنِ النّاسِ صغيرة وفي نَفسِهِ كَبيرُ"[٦]. ومعنى (تكبّر) أي: استكبر وطلب التّكبّر، وتظاهر به. فالرّسول (ﷺ) يحثُّ على التّواضع، ويحذّر من التّكبّر على النّاس، والغرور والإعجاب بالنّفس؛ لأنّ من تكبّر أهانه اللهُ وحقّره في الدّنيا، وأبغضه بين النّاس.

٨- الجعل:

ومن الأفعال الّتي جرى استعمالها على هذا المعنى، الفعل (تَعَبَّدَ)، في قوله (ﷺ): "فَضلُ الشّابِّ العابِدِ الَّذي تَعَبَّدَ في صباهُ عَلَى الشَّيخِ الَّذي تَعَبَّدَ بَعدَ ما كَبُرَت[٧] سِنُّهُ كَفَضلِ

---

(١) حكم الّنبيّ الأعظم: ٥/ ٢١٧ ، وينظر: المعجم الكبير: ١٢/ ٣٢٢.

(٢) المخصص: ١/ ٥١.

(٣) حكم الّنبيّ الأعظم: ٥/ ٢٢٦ ، وينظر: المستدرك على الصّحيحين: ١/ ٧٣١.

(٤) ينظر: شرح الملوكيّ في التّصريف: ٧٦.

(٥) ينظر: تسهيل الفوائد وتكميل المقاصد: ١٩٩ ، والمغني في تصريف الأفعال: ١٤٢.

(٦) حكم الّنبيّ الأعظم: ٤/ ٥١٨ ، وينظر: كنز العمال: ٣/ ١١٣.

(٧) هكذا وردت، والصّواب (كَبُرَ).

كَفَضلِ المُرسَلينَ عَلى سائِرِ النّاسِ"[١]. ومعنى (تَعَبَّدَ) جعل من نفسهِ عابدًا لله عزّ وجلّ، وألزم نفسه العبادة في شبابه. وتفضيل الشّابّ العابد على غيره كونه "قهر نفسه بكفّها عن لذّاتها وقاسى تجرّع مرارة مخالفة الهوى استحقّ التّفضل على الشّيخ الّذي فقدت فيه دواعي الشّهوة وصار يملك أدبه لكن هذا من قبيل المبالغة والتّرغيب في لزوم العبادة للشّابّ"[٢] .

٩- يأتي هذا البناء لموافقة (فعّل):

وممّا جاء لهذا المعنى في حكمه (ﷺ)، الفعل (تَوَلّى)، في قوله (ﷺ): "وَلَعَنَ اللهُ من سَبَّ والِدَهُ. وَلَعَنَ اللهُ مَن تَوَلّى غَيرَ مَواليهِ"[٣]. فالفعل (تولّى) في الحديث الشّريف موافق للفعل (ولّى)، وموافق لمعناه أيضًا[٤]. وتولّى انتمى إلى أولياء غير مواليه جاعلًا ولاءه لهم وارتباطه بهم، وكلّ من عمل ذلك فهو ملعون[٥] .

١٠- الإغناء عن (فَعَلَ):

ومن النّماذج الّتي وردت من الأفعال على هذا المعنى في حَكِمه الشّريفة، الفعل (تكَلَّمَ)، في قوله (ﷺ) : "من تكَلَّمَ في القرآنِ برأيه فَأصابَ فَقَد أخطأ"[٦]. فالفعل (تكلّم) أغنى عن (كَلَم)، وحلّ مكانه في المعنى[٧]. والمعنى الّذي أراده الرّسول (ﷺ) في هذا الحديث المبارك هو أنّ من يتّخذ رأيه طريقًا لتفسير القرآن الكريم أو يقول قولًا دون علمٍ، أو دون رجوعٍ إلى العلماء والفقهاء، حتّى وأن أصاب بما قاله فهو مخطئ وعليه أثم؛ لأنّه فسّر القرآن الكريم بالاعتماد على رأيه من دون برهانٍ أو حجّةٍ شرعيّة[٨] .

١١- ويأتي هذا البناء لمطاوعة (فَعّلَ):

ونجد هذا المعنى متمثلًا بالفعل (تَعَلَّمَ)، في قوله (ﷺ): "خَيرُكُم مَن تَعَلَّمَ القرآنَ وعَلَّمَهُ"[٩]. فالعلاقة بين (علّم) و(تعلّم) علاقة مطاوعة[١٠]. فالفعل (تعلّم) يدلّ على قبول

---

(١) حكم النّبيّ الأعظم: ٤/ ٢٤٠ ، وينظر: كنز العمال: ١٥/ ٧٧٦.

(٢) فيض القدير: ٤/ ٥٦٧.

(٣) حكم النّبيّ الأعظم: ٧/ ٥١٧ ، وينظر: مسند أحمد بن حنبل: ٥/ ٢٦.

(٤) ينظر: ارتشاف الضّرب: ١/ ١٧٢.

(٥) ينظر: فيض القدير: ٦/ ١٤٤.

(٦) حكم النّبيّ الأعظم: ٢/ ٤٠٠ ، وينظر: بحار الأنوار: ٩٢/ ١١١.

(٧) ينظر: المساعد على تسهيل الفوائد: ٢/ ٦٠٢.

(٨) ينظر: الجواهر الحسان في تفسير القرآن: ١/ ١٣٨.

(٩) حكم النّبيّ الأعظم: ٢/ ٣٨٨ ، وينظر: كنز العمال: ١/ ٥٢٥.

(١٠) ينظر: الصّحاح تاج اللُّغة وصحاح العربيّة: ٥/ ١٩٩١ (علم).

المفعول به لأثر الفعل (علّم)[١]؛ إذ هو استجابةٌ للتّعليم الّذي يدلّ عليه الفعل (علّم). والمعنى في الحديث الشّريف أنَّ من قَبِلَ تعليم القرآن الكريم، وفهم معانيه وتدبّره، وعلّمه لغيره، ونشر علومه، فهو خيرُ النّاسِ؛ لأنّه تعلّم كلام الله وهو خيرُ كلامٍ[٢].

خامسًا: بناء (تفاعَلَ) ودلالاته:

وهذا البناء الخامِس والأخير من أبنية الفعل الثّلاثيّ المزيد بحرفين، والزّيادة في هذا البناء تكون بالتّاء في أوّله، والألف بين فائه وعينه، ويكون ولازمًا نحو: تقادم، ومتعدّيًا نحو: تجاوز[٣]. وقد وردت أفعال من هذا البناء في حِكَم النّبيّ الأعظم تحمل معانيَ عديدة، منها:

منها:

١-التّشارك :

يدلّ بناء (تفاعَلَ) على الاشتراك بالفاعليّة؛ إذ يشترك الفاعِل والمفعول معًا بمعنى الفعل[٤]. يقول سيبويه (١٨٠هـ) في هذا البناء: "وأمّا تفاعَلت، فلا يكون إلّا وأنت تريد فعل اثنين فصاعدًا"[٥]. ومن الأمثلة الّتي يستشهد بها دليلاً في هذا المعنى الفعلين (تَحابُّوا، وتَهادَوا)، في قوله (ﷺ): "لا تَزالُ أُمَّتي بِخَيرٍ ما تَحابُّوا، وتَهادَوا، وأدَّوُا الأَمانَةَ، وَاجتَنَبُوا الحَرامَ، ووَقَّرُوا الضَّيفَ، وأقامُوا الصَّلاةَ، وآتَوُا الزَّكاةَ؛ فَإِذا لَم يَفعَلوا ذَلِكَ ابتُلوا بِالقَحطِ وَالسِّنينَ"[٦] .

ومعنى (تَحابُّوا) أي: تشاركوا بإظهار الحبّ والتّراحم فيما بينهم، وأحبّ بعضهم بعضًا. و(تهادوا) تشاركوا الهدايا فيما بينهم، دلالةً على مشاركة مشاعر المودّة بينهم.

ومن الأمثلة الأخرى الدّالة على هذا المعنى الفعل (يَتَحاسَدوا)، في قوله (ﷺ): "أخوَفُ ما أخافُ عَلى أُمَّتي أن يَكثُرَ لَهُمُ المالُ فَيَتَحاسَدوا ويَقتَتِلوا"[٧] .

وهو مضارع الفعل (تحاسَد)، الّذي يدلّ على التّشارك في الحسد. يُقال: تحاسد القوم: أي تشاركوا في الحسد فحسد بعضهم بعضًا[١]. فالرّسول ( )ﷺر من التّشارك في الحسد؛ الحسد؛ لأنّه عدوانٌ داخليّ يقود أبناء المجتمع الواحد إلى التّفرقة والتّشتت.

---

(١) ينظر: شرح الرّضي على الشّافية: ١/ ١٠٤ ، وتسهيل الفوائد وتكميل المقاصد: ١٩٨.

(٢) ينظر: فيض القدير: ٣/ ٦٦٥.

(٣) ينظر: الممتع في التّصريف: ١١٦ ، وأبنية الصّرف في كتاب سيبويه: ٤١٤ ، والصّرف الواضح: ٨٥.

(٤) ينظر: شرح تصريف العزّي: ٨٥ ، وتسهيل الفوائد وتكميل: ١٩٩ ، وتصريف الأسماء والأفعال: ١١٧ ، ودروس ودروس التّصريف: ٧٩.

(٥) الكتاب: ٤/ ٦٩.

(٦) حكم النّبيّ الأعظم: ٧/ ١٣٦ ، وينظر: عيون أخبار الرضا: ٢/ ٢٩.

(٧) حكم النّبيّ الأعظم: ٧/ ١٦٢ ، وينظر: تنبيه الخواطر: ١/ ١٣٥.

٢- الطّلب:

وممّا سُجّل من الأفعال في حديثه (ﷺ) على هذا المعنى، الفعل (تَقاضى)، في وصية رسول الله إلى الإمام عليّ (عليه السّلام)، في قوله (ﷺ): "إذا تَقاضى إلَيكَ رَجُلان فلا تَقضِ لِلأوّلِ حتّى تَسمَعَ مِن الآخَرِ؛ فإنَّكَ إذا فَعلتَ ذلكَ تَبَيَّنَ لكَ القضاءُ"(٢) .

يُقال تقاضى إليه رجلان: أي استقضيا إليه، وطلبا منه أنّ يقضي ويقطع في الأمر(٣). وهو المعنى نفسه الّذي دلّ عليه الفعل (تقاضى) في الحديث الشّريف، فـ(تقاضى إليك) طلب كلُّ واحدٍ منهما أن تحكم بينهما وتقضي النّزاع بينهم (٤) .

٣- مطاوعة (فاعل):

ومن شواهد هذا المعنى الفعل (تباعَد)، في قوله عليه أفضل الصّلاة والسّلام: "ألا أُخبِرُكُم بِشَيءٍ إن أنتُم فَعَلتُمُوهُ تَباعَدَ الشَّيطانُ مِنكُم كما تَباعَدَ المَشرِقُ مِن المَغرِبِ؟ قالوا: بَلى، قالَ: الصَّومُ يُسَوِّدُ وَجهَهُ، والصَّدَقَةُ تَكسِرُ ظَهرَهُ، والحُبُّ في اللهِ والمُؤازَرَةُ على العَمَلِ الصّالِحِ يَقطَعانِ دابِرَهُ، والاستِغفارُ يَقطَعُ وَتِينَهُ"(٥) .

ومعنى المطاوعة فيه بيّنٌ؛ إذ يمكن أن نقول: باعدته فتباعد. والمعنى الكلّيّ للحديث الشّريف أنّ الشّيطان يتباعد عن الإنسان تباعدًا شديدًا، يستحيل أن يلتقي طرفاه. وهذا البعد يكون نتيجة الأعمال الصّالحة الّتي ذكرها الحديث من صومٍ وصدقةٍ وغيرها، فلا يستطيع أن يوسوس له لوجود هذه الأعمال الصّالحة الّتي تمنع الوسواس.

---

(١) ينظر: المعجم الوسيط: ١/ ١٧٢ (حسد).

(٢) حكم النّبيّ الأعظم: ٦/ ٥٦٢ ، وينظر: من لا يحضره الفقيه: ٣/ ١٣.

(٣) ينظر: لسان العرب: ١١/ ٢١٠ (قضي).

(٤) ينظر: شرح الملوكيّ في التّصريف: ٧٩.

(٥) حكم النّبيّ الأعظم: ٣/ ٣٦٣ ، وينظر: بحار الأنوار: ٦٩/ ٣٨٠.

المبحث الرّابِع

أبنية الفعل الثّلاثيّ المزيد بثلاثةِ أحرفٍ ودلالاتها

إنَّ للفعل الثّلاثيّ المزيد بثلاثةِ أحرفٍ أربعةَ أبنيةٍ، هي: (افْعَالّ) نحو: ابْهَارّ، احْمَارّ. و(افْعَوَّلَ) نحو: اخْرَوَّطَ، اجْلَوَّذ. و(اسْتَفْعَلَ) نحو: اسْتَخْرَج، اسْتَغْشَى. و(افْعَوْعَلَ) نحو: اغْدَوْدَنَ، احْقَوْقَفَ. وكلّ هذه الأبنية تدلّ على القوّة في معنى الفعل، سوى بناء (اسْتَفْعَلَ)؛ إذ يغلب عليه معنى الطّلب[1]. ولم يرد في حِكَم النّبيّ الأعظم فعلٌ على بناء (افْعَالّ)، ولا بناء (افْعَوَّلَ). وفيما يلي تفصيل بالبنائين اللّذان وردا في حِكَمه المباركة:

أوّلاً: بناء (افْعَوْعَلَ) ودلالاته:

ويكون هذا البناء مزيداً بالألف والواو وتكرير العين، نحو: اخشوشن، اغدودن وغيرها من الأفعال [2]. قال سيبويه (١٨٠هـ) في هذا البناء: "باب افْعَوْعَلَت وما هو على مثاله ممّا لم نذكره قالوا: خشن، وقالوا: اخشوشن. وسألت الخليل فقال: كأنّهم أرادوا المبالغة والتّوكيد، كما أنّه إذا قال: اعشوشبت الأرض فإنّما يريد أن يجعل ذلك كثيرًا عامًّا"[3].

---

(١) ينظر: شرح الرّضيّ على الشّافية: ١/ ٦٧ ، ودروس التّصريف: ٨١ ، ومختصر الصّرف: ٨٥ ، والتّطبيق الصّرفيّ: ٣٥.

(٢) ينظر: الممتع في التّصريف: ١١٨ ، وشرح الرّضي على الشّافية: ١/ ١١٢ ، المغني في تصريف الأفعال: ١٥٥.

(٣) الكتاب: ٤/ ٧٥ ، وينظر: تسهيل الفوائد وتكميل المقاصد: ٢٠٠.

ولـم يـردّ مـن أفعـال هـذا البنـاء إلّا الفعـل (اغرورقـت)، فـي قولـه (ﷺ): "بَينَمـا نَحـنُ عِنـدَ رَسـولِ اللهِ (ﷺ) ؛ إذ أقبَـلَ فِتيَـةٌ مِـن بَنـي هاشِـمٍ. فَلَمَـا رآهُـمُ النَّبِـيُّ (ﷺ) اغْرَورَقَـت عَينـاهُ وتَغَيَّـرَ لَونُـهُ. قـالَ: فَقُلـتُ: مـا نَـزالُ نَـرى فـي وَجهِـكَ شَـيئًا نَكرَهُـهُ! فَقـالَ: إنّـا أهـلُ بَيـتٍ اِختـارَ اللهُ لَنَا الآخِرَةَ عَلَى الدُّنيا، وإنَّ أهلَ بَيتي سَيَلقَونَ بَعدي بَلاءً وتَشريدًا وتَطريدًا..."[١] .

والمعنـى الّـذي دلّ عليـه الفعـل فـي الحـديث الشّـريف هـو الكثـرة والمبالغـة فـي حـدوث الفعـل[٢]. واغرورقـت عينـاه امـتلأت بالـدّموع امـتلاءً شـديدًا لدرجـة قريبـة مـن الانهيـال، فالفعـل مبالغة في حدث الامتلاء، ودلالة على عمق التّأثير الكبير في نفس النّبيّ الأعظم (ﷺ).

ثانيًا: بناء (اسْتَفْعَلَ) ودلالاته:

وهـذا البنـاءُ مزيـدٌ بـالهمزة والسّـين والتّـاء فـي أوّلـه[٣]. والسّـين لا تكـون زائـدةً إلّا فـي هـذا البناء. وهو أكثرُ استعمالًا من الأبنية الأربعة المزيدة بحرفين [٤] .

يـأتي هـذا البنـاء لمعـانٍ ودلالات مختلفـة؛ ولكـن يغلـب عليـه معنـى الطّلـب، ومعنـى الإصـابة، وغيـر هـذين المعنيـين يحفـظ ولا يقـاس غيـره عليـه مـن المعـاني[٥]. أمَّـا فـي حِكَـم النّبـيّ الأعظم، فقد تنوّعت دلالات ومعاني هذا البناء، منها:

١- لموافقة الثّلاثيّ المجرَّد:

وممّـا ورد مثـالاً لهـذا المعنـى الفعـل (اسـتَغنى)، فـي قولـه (ﷺ): "مَـن سَـألَنا أعطَينـاهُ، ومَـنِ اسـتَغنى أغنـاهُ اللهُ"[٦]. فالفعـل (اسـتَغنى) موافـق للثّلاثيّـة المجـرَّد (غَنِـي)[٧]، والاسـتغناء فـي الحـديث الشّـريف هـو اسـتغناء عـن السّـؤال، وكـلّ شـيءٍ اسـتغنيت عنـه رميتـه ولـم تلتفـت إليـه[٨].

---

(١) حكم النّبيّ الأعظم: ٣/ ١٦٧ ، وينظر: سنن ابن ماجه: ٢/ ١٣٦٦.

(٢) ينظر: ارتشاف الضّرب: ١/ ١٨٩.

(٣) ينظر: والمنصف: ١/ ٧٧ ، والمفصّل في صنعة الإعراب: ٣٧٤ ، وأبنية الصّرف في كتاب سيبويه: ٤١٥.

(٤) ينظر: المنصف: ١/ ٧٧.

(٥) ينظر: شرح المفصّل: ٧/ ١٦١ ، وشرح الرّضي على الشّافية: ١/ ١١١-١١٢ .

(٦) حكم النّبيّ الأعظم: ٧/ ٤١٥ ، وينظر: الكافي: ٢/ ١٣٨.

(٧) ينظر: المنصف: ١/ ٧٧ ، وشرح المفصّل: ٧/ ١٦١.

إليه[١]. فمن غَنِيَ بنفسه عن سؤال النّاس أو مدّ يدّه إليهم، أغناه الله بفضله، وأعطاه ما يحتاجه، وجعله ذا غنى ظاهرٍ أو معنويّ، والأخير أعظم الغنى[٢] .

٢- الطّلب:

جاء في المخصّص "أَنّ أصل استفعَلْت الشّيءَ فِي معنى طلبته واستدعيته وَهُوَ الْأَكْثَر"[٣]. وممّا يظهر هذا المعنى في حِكَمه (ﷺ) الفعل (يَستَعفِفْ)، في قوله (ﷺ): "مَن يَتَصَبَّرْ يُصَبِّرْهُ الله، ومَن يَستَعفِفْ يُعِفَّهُ الله، ومَن يَستَغنِ يُغنِهِ الله، وما أُعطِيَ عَبدٌ عَطاءً هُو خَيْرٌ وأوسَعُ مِن الصَّبرِ"[٤] .

وهو مضارع الفعل (استعفف) الّذي بمعنى الطّلب[٥] ومعنى الاستعفاف في الحديث الشّريف "طَلَبُ العَفَافِ وَهُوَ الكَفُّ عَنِ الْحَرَامِ وَالسُّؤَالِ مِنَ النَّاس، أَي مَنْ طَلَبَ العِفَة وتكلّفها أَعطاه اللَّهُ إِيَّاهَا، وَقِيلَ الاسْتِعفَاف الصّبر والنَّزاهة عَنِ الشَّيءِ"[٦] .

٣- للإغناء عن (فَعّلَ):

ويسمّى اختصار حكاية الشّيء[٧]. وممّا جاء دالاً دلالةً واضحةً على هذا المعنى الفعل (استرجع)، في قوله (ﷺ): "إنَّ أهلَ المُصيبَةِ لَتَنْزِلُ بِهِمُ المُصيبَةُ فَيَجزَعُونَ فَيَمُرُّ بِهِم مارٌ مِنَ النّاسِ فَيَستَرجِعُ فيكونُ أعظَمَ أجراً مِن أهلِها"[٨]. واسترجع أي قال: (إنّا لله وإنّا إليه راجعون). فقد أغنى (استرجع) عن (رجّع)[٩] .

٤- يجيء بمعنى (أَفْعَلَ):

وممّا يُظهر هذا المعنى الفعل (استَجَابَ)، في قوله (ﷺ): "إنَّ فِي الجُمُعَةِ لَساعَةً، ما دَعَا اللهَ فيها عَبدٌ مُؤْمِنٌ بِشَيءٍ إلَّا استَجَابَ اللهُ لَهُ"[١٠] .

---

(١) ينظر: لسان العرب: ١٠/ ١٣٥ (غنا).
(٢) ينظر: شرح أصول الكافي: ٨/ ٤٠٨.
(٣) المخصص: ٤/ ٣١١.
(٤) حكم النّبيّ الأعظم: ٤/ ٤٥٠ ، وينظر: كنز العمال: ٣/ ٢٧٥.
(٥) ينظر: المساعد على تسهيل الفوائد: ٢/ ٦٠٦ ، والصّرف الواضح: ١٠٨.
(٦) لسان العرب: ٩/ ٢٩٠ (عفف).
(٧) ينظر: المساعد على تسهيل الفوائد: ٢/ ٦٠٦.
(٨) حكم النّبيّ الأعظم: ٣/ ٥٩٨ ، وينظر: بحار الأنوار: ٨٢/ ١٣٢.
(٩) ينظر: ارتشاف الضّرب: ١/ ١٨٠.
(١٠) حكم النّبيّ الأعظم: ٥/ ٤٠٢ ، وينظر: مسند أحمد بن حنبل: ١٢/ ٦٢.

جاء في الصّحاح أجاب فلان إجابة، واستجاب إليه استجابة، هي بمعنى واحد[١] .

٥- للإغناء عن المجرَّد:

وممّا سُجّل من الأفعال في حديثه المبارك على هذا المعنى، الفعل (استحيا)، في قوله (ﷺ): "رَحِمَ اللهُ عَبداً استَحيا مِن رَبِّهِ حَقَّ الحَياءِ؛ فَحَفِظَ الرَّأْسَ وما حَوى، وَالبَطنَ وما وَعى، وذَكَرَ القَبرَ وَالبِلىٰ، وذَكَرَ أنَّ لَهُ فِي الآخِرَةِ مَعاداً"[٢]. فقد أغنى الفعل (استحيا) عن مجرّده (حَيِيَ)[٣].

٦- بمعنى الحصول على الشّيء:

ممّا يُجسّد هذا المعنى الفعل (يُستَشفىٰ)، في الحديث النّبويّ المبارك : "قيلَ لَهُ: يا رَسولَ اللهِ رُقىً يُستَشفى بِها، هَل تَرُدُّ مِن قَدَرِ اللهِ ؟ فَقَالَ: إنَّهَا مِن قَدَرِ اللهِ"[٤] .

وهو مضارع الفعل (استشفى)، الّذي يدلّ على معنى نيل الشّفاء. ومعنى الحديث الشّريف أنَّ الرّقى الّتي هي أدعية وتعويذات تخلو من الشّرك بالله، يستعملها النّاس ليحصلوا عن طريقها على الشّفاء[٥]، هي من أقدار الله تعالى، فالمرض والشّفاء والبحث عن العلاج كلّها أقدار قدّرها الله سبحانه وتعالى على البشر، وأنّ كلّ عملٍ كبيرٍ أمّ صغيرٍ يقع ضمن نطاق القدر.

---

(١) ينظر: الصّحاح تاج اللُّغة وصحاح العربيّة: ١/ ١٠٤ (جوب).

(٢) حكم النّبيّ الأعظم: ٢/ ٤٧٥ ، وينظر: بحار الأنوار: ٧١/ ٣٣٦.

(٣) ينظر: المساعد على تسهيل الفوائد: ٢/ ٦٠٦.

(٤) حكم النّبيّ الأعظم: ٥/ ٣٣٣ ، وينظر: بحار الأنوار: ٥/ ٨٧.

(٥) ينظر: مقاييس اللّغة: ٢/ ٤٢٦ (رقى) ، ومن أمثلة هذه الرّقى "أعوذ بالله من شرّ كلّ تالج ومالج" ينظر لسان العرب: ١٥/ ٣٩٢ (ولج).

المبحث الخامِس

أبنية الفعل الرّباعيّ المجرّد والمزيد ودلالاتها

أوّلاً: بناء الفعل الرُّباعيّ المجرّد ودلالاته:

ذكر النّحويّون للفعل الرّباعيّ المجرّد بناءً واحدًا فقط وهو (فَعْلَلَ) ومضارعه (يُفَعْلِلَ). والأفعال الّتي تنضوي تحت هذا الباب تارة يكون الفعل فيها لازمًا نحو: حَشْرَجَ، عَرْبَدَ، خَزْعَلَ، لَعْثَمَ وغيرها من الأفعال، وتارة أخرى يكون الفعل فيها متعدّيًا، والأفعال المتعدّية في هذا الباب هي الغالبة نحو: بَعْثَرَه، رَعْبَلَه، دَحْرَجَه، ودَعْثَرَه وغيرها[1]. وقد يكون الفعل في هذا البناء مرتجلاً نحو : قَلْقَلَ، زَلْزَلَ، سَلْسَلَ[2] .

وعلّة مجيء الفعل الرّباعيّ المجرّد على بناءٍ واحدٍ؛ لأنّ بناء الرّباعيّ أكثر حروفًا من الثّلاثيّ ممّا يجعل هذا البناء ثقيلًا، لذا التزموا الفتح في حروفه طلبًا للخفّة، وجعلوا الحرف الثّاني ساكنًا كراهةَ توالي الحركات، ودفعًا للأسقاطاتِ النّحويّة على هذا البناء[3] .

---

(١) ينظر: الكتاب: ٤/ ٧٧-٧٨ ، وشرح المفصّل: ٧/ ١٦٢ ، وارتشاف الضّرب: ١/ ١٨٠ ، وشرح الرّضيّ على الشّافية: ١/ ١١٣.

(٢) ينظر: الأبنية الصّرفيّة في كتاب سيبويه: ٣٨٩.

(٣) ينظر: شرح تصريف العزي: ٨٢ ، وهمع الهوامع: ٦/ ١٩ ، ودروس التّصريف: ٦٥ في الهامش.

إنَّ الفعل الرّباعيّ يُشتقُّ من بعض أسماء الأشياء (الرّباعيّة وغير الرّباعيّة)، ليُعطي دلالات ومعانٍ جديدة، منها ما يدلّ على أنّ الاسم المأخوذ منه آلة للإصابة به نحو: عَصْفَرْتُه وقَحْزَنْتُه: أي ضربته بالعصفران والقحزنة. ومنها ما يدلّ على ظهور الشّيء الّذي أُخذ الفعل منه نحو: بَرْعَمَتِ الشّجرة: أي ظهر برعمها. ومنها ما يدلّ على اتّخاذ ذلك الاسم المشتقّ منه الفعل نحو: دَخْرَصْتُ الثّوبّ: أي اتّخذتُ دِخْرِيصًا. ومنها ما يدلّ على مشابهة المفعول للاسم المشتقّ الفعل منه نحو: عَقْرَبَتْ هند صُدغها: أي جعلته ملتويًا كالعقرب. ومنها ما يدلّ على إصابة ما أُخذ منه الفعل نحو: غَلْصَمْتُه: أي أصبت غلصمته. ومنها ما يدلّ على جعل الاسم المأخوذ منه في المفعول نحو: عَصْفَرْتُ الثّوبَ: أي صبغته بالعُصفر، ونحو: كَزْبَرَ الطّعام: أي وضع فيه الكُزبر[١]. وقد يدلّ هذا البناء على غير ما ذُكر من هذه المعاني[٢] .

وقد يشتقّ هذا البناء من أسماء الأصوات، نحو: شَأْشَأ فلان بالغنم: إذا دعاها لتشرب أو لتأكل. وفَأْفَأ الرّجل فأفأةً إذا أكثر من الفاء في كلامه. وسَأْسَأ فلان بالحمار: إذا زجره أو دعاه ليشرب الماء[٣] .

ويشتقُّ أيضًا عند اختصار حكاية ما، نحو: (جَعْفَلَ): أي قال جعلني الله فداك، و(حَمْدَل): أي قال: الحمدلله ربّ العالمين، و(حَوْقَل): إيّ قال: لا حولَ ولا قوةَ إلّا بالله. ويسمى النّحويّون هذا الضرب (النّحت)[٤] .

والفعل الرّباعيّ المجرّد على ضربين، الأوّل مضعّف وهو "ما كان (فاؤه) و(لامه) الأوّلى من نوعٍ واحدٍ، و(عينه) و(لامه) الثّانية من نوعٍ آخر"[٥]. والضّرب الثّاني غير مضعّف، وهو "ما لم تكن (فاؤه) و(لامه) الأوّلى من نوع، و(عينه) و(لامه) الثّانية من نوعٍ آخر"[٦] .

فمثال ما ورد من الضّرب الأوّل في حِكَم النّبيّ الأعظم، الفعل (لَجْلَجَ) في رواية أمّ سلمى لوصيته (ﷺ) للصّلاة : "كانَ مِن آخِر وَصيَّةِ رَسولِ اللهِ (ﷺ) (الصَّلاةَ الصَّلاةَ

(١) ينظر: ارتشاف الضّرب: ١/ ١٨٠ ، والمغني في تصريف الأفعال: ١٢٢-١٢٣.
(٢) ينظر: أوزان الأفعال ومعانيها: ٣٤٧-٣٤٨.
(٣) ينظر: دروس التّصريف: ٢١.
(٤) ينظر: ارتشاف الضّرب: ١/ ١٨٠ ، وجامع الدّروس العربيّة: ١/ ٢٢١.
(٥) الأبنية الصّرفيّة في كتاب سيبويه: ٣٨٩.
(٦) المصدر نفسه: ٣٨٩.

وما مَلَكَت أيمانُكُم) حَتّى جَعَلَ نَبيّ الله (ﷺ) يُلَجلِجُها في صَدرِهِ، وما يَفيضُ بِها لسانُهُ"[١]، ومعنى (يُلَجلِجُها): أي صار يردّد الوصية بالصّلاة ويكرّرها. و(ما يفيض به لسانه) يعني ما يبيّن بها في كلامه، أي لم يقدر على أن يتكلّم بها[٢]. جاء في لسان العرب "اللَّجْلجةُ: ثِقَلُ اللِّسانِ، ونَقْصُ الكلامِ، وأَن لَا يَخْرُجَ بَعْضَهُ فِي أَثر بَعْضٍ...واللَّجْلَجةُ والتَّلَجْلُج: التَّرَدُّدُ فِي الْكَلَامِ"[٣] .

ومن الشّواهد الّتي ورد بها فعل رباعيّ مضعّف، الفعل (سُلسِلَ)، في قوله (ﷺ): "إذا دَخَلَ شَهرُ رَمَضانَ فُتّحَت أبوابُ الرَّحمَةِ. وغُلّقَت أبوابُ جَهَنَّمَ، وسُلسِلَتِ الشَّياطينُ"[٤]. والمعنى الّذي يدلّ عليه الفعل في الحديث الشّريف هو تكبيل الشّياطين بالسّلاسل وتقيدها من الحركة في شهرِ رمضانَ[٥] .

ثانيًا: بناء الفعل الرُّباعيّ المزيد ودلالاته:

وهو على ضربين: الأوّل مزيدٌ بحرفٍ واحدٍ، نحو: تَسَرْبَل، تَدَحْرَج، تَبَعْثَر. والثّاني مزيدٌ بحرفين نحو: افْرَنْقَعَ، احْرَنْجَمَ، اقْشَعَرّ، اكْفَهَرّ، اطْمَانّ[٦] .

١- الفعل الرّباعيّ المزيد بحرفٍ واحدٍ:

وهو فعلٌ مزيدٌ بالتّاء في أوّله وله بناءٌ واحدٌ فقط (تَفَعْلَلَ) ومضارعه (يَتَفَعْلَلُ)، ويدلّ على مطاوعة مجرّده في بعض صوره، ولا يكون إلّا لازماً، نحو: سَرْوَلْتُه فتَسَرْوَل، بَعْثَرْتُه فتَبَعْثَر[٧] .

ومثال ما ورد لهذا البناء الفعل (تَضَعضَعَ)، في قوله (ﷺ): "مَن أتى غَنِياً فَتَضَعضَعَ لَهُ. ذَهَبَ ثُلُثَا دينِهِ"[٨]. و(تَضَعضَعَ) دلّ على المطاوعة، ومعناه: تذلّل للغني وخضع له؛ لأنّ الضّعضعة "الخضوع والتّذلُّل"[١] .

---

(١) حكم النّبيّ الأعظم: ٥/ ٢٤٤ ، وينظر: مسند أحمد بن حنبل: ٤٤/ ٨٤.

(٢) ينظر: مسند أحمد بن حنبل: ٤٤/ ٨٤ في الهامش.

(٣) لسان العرب: ١٢/ ٢٤٠ (لجج).

(٤) حكم النّبيّ الأعظم: ٦/ ١٨.

(٥) ينظر: كشف المشكل من حديث الصحيحين: ٣/ ٤٠٩.

(٦) ينظر: دروس التّصريف: ٨٤.

(٧) ينظر: المقتضب: ٢/ ١٠٣ ، وارتشاف الضّرب: ١/ ١٨١ ، وجامع الدّروس العربيّة: ١/ ٢٢٤.

(٨) حكم النّبيّ الأعظم: ٣/ ٣٥٦ ، وينظر: بحار الأنوار: ٧٣/ ١٧٠.

ومن الأفعال المضعّفة الّتي وردت في حِكَمه (ﷺ) المباركة، الفعل (تَزَحزَحَ)، في قوله (ﷺ): "إنَّ مِن حَقِّ المُسلِمِ عَلَى المُسلمِ إذا أرادَ الجُلوس إليه أن يَتَزَحزَحَ لَهُ"[٢]. ومعنى المطاوعة فيه بيّن؛ إذ إنَّ (تَزَحزَحَ) في الحديث المبارك: أي يتنحّى عن مكانه لأخيه المسلم، موسعًا له في مجلسه ذلك[٣] .

٢- الفعل الرّباعيّ المزيد بحرفين:

والمزيد من الرّباعيّ له بناءان:-

أ- (افْعَنْلَلَ) :- وهذا البناء مزيدٌ بالألف في أوّله، والنّون بعد العين، وهذا البناء هو لمطاوعة مجرّده (فَعْلَلَ) نحو حَرْجَمْتُ الأبلَ فاحْرَنْجَمَت[٤]. ولم أجد أفعال تندرج تحت هذا البناء في حكمه (ﷺ) ؛ كون هذا البناء من الأبنية الثّقيلة الّتي لم يشتهر استعمالها في لغة العرب.

ب- (افْعَلَلَّ) :- وهذا البناء مزيدٌ بالألف في أوّله، وحرف من جنس لامه في آخره (أي تضعيف لامه الثّانية) نحو : ادْلَهَمّ اللّيل: إذا اشتدّ سواده. واشْمَعَلّ القوم: إذا تفرّقوا[٥]. ومن شّواهد هذا البناء في حَكِم النّبيّ الأعظم، الفعل (اطْمَأَنَّ)، في قوله (ﷺ): "البِرُّ ما سَكَنَت إلَيهِ النَّفسُ، واطمَأنَ إلَيهِ القَلبُ، والإثمُ ما لَم تَسكُن إلَيهِ النَّفسُ، ولَم يَطمَئنَّ إلَيهِ القَلبُ، وإن أفتاكَ المُفتُونَ"[٦] .

جاء في الصّحاح "اطْمَأَنَّ الرّجل اطمِئناناً وطَمَأنينَةً، أي سكن وهو مُطْمَئِنٌّ إلى كذا"[٧]. ومعنى الحديث الشّريف أن من سكن إليه قلبه واطمأنت له نفسه فذلك هو البرّ، والإثم خلاف ذلك.

---

(١) كتاب العين: ١/ ٧٢ (ضع).
(٢) حكم النّبيّ الأعظم: ٤/ ٤٩٥ ، وينظر: مكارم الأخلاق: ٢٥.
(٣) ينظر: أساس البلاغة: ١/ ٤١٠ (زح زح).
(٤) ينظر: المغني في علم الصّرف :١٧٢.
(٥) ينظر: المهذّب في علم التّصريف: ٧٥.
(٦) حكم النّبيّ الأعظم: ٤/ ٢٩٢ ، وينظر: مسند أحمد بن حنبل: ٢٩/ ٢٧٨.
(٧) الصّحاح تاج اللُّغة وصحاح العربيّة: ٦/ ٢١٥٨ (طمن).

ومن جملة شواهد هذا البناء الفعل (اِشمَأَزَّ)، في قوله (ﷺ): "ما بالُ أقوام إذا ذُكِرَ عِندَهُم آلُ إبراهيمَ فَرِحوا وَاستَبشَروا، وإذا ذُكِرَ عِندَهُم آلُ مُحَمَّدٍ اِشمَأَزَّت قُلوبُهُم؟! وَالَّذِي نَفسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ، لَو أَنَّ عَبدًا جاءَ يَومَ القِيامَةِ بِعَمَلِ سبعينَ نَبِيًّا ما قَبِلَ الله ذلِكَ مِنهُ حَتّى يَلقاهُ بِوَلايَتي ووَلايَةِ أهل بَيتي"[1] .

والشّمز والاشمئزاز "نفور النّفس من الشّيء تكرهه"[2]. وهو المعنى الّذي دلّ عليه الفعل في الحديث المبارك؛ إذ إنَّ البعض من هم في مجلس رسول الله (ﷺ) ينفر عند ذكر آل محمّد.

الفَصْلُ الثَّانِي

أَبْنِيةُ الأَسْمَاءِ وَدَلَالَاتها

المبحث الأوَّل

أبنية الأسماء المجرَّدة والمزيدة

الاسم المجرَّدة والاسم المزيد:

الاسم هو "كلمة تدلّ على معنى من غير اختصاصٍ بزمان دلالة البيان"[3]، أي أنّ الاسم يدلّ في كيانه على معنى مجرّد من الزّمان.

يقسّم الاسم على ضربين: مجرّد ومزيد. فالمجرّد هو ما لا زوائدَ في بنائه، أي تكون جميع حروف بنائه أصليّة[4]. وأصل الأسماء المجرّدة في كلام العرب تكون على ثلاثة أضرب: ثلاثيّة، ورباعيّة، وخماسيّة. والأسماء الثّلاثيّة أكثر وأعمّ الأضرب الثّلاثة في الكلام. والاسماء الرّباعية المجرّد أقلّ منه. وأمّا الخماسيّة المجرّد، فهي أقلّ من الضّربين الأوّلين[5]. ولا يوجد اسم في العربية أقلّ من ثلاثة أحرف[6]، وقد ذكر ذلك الخليل بقوله: "الاسم لا يكون أقلَّ من ثلاثةِ أحرف. حرف يُبتَدَأُ به. وحرف يحشى به الكلمة، وحرف يُوقَفَ عليه"[7]. وقد أقرّ سيبويه (ت١٨٠هـ) بأنَّ الاسم المتمكّن في لغة العرب لا يكون إلّا

(١) حكم النّبيّ الأعظم: ٣/ ١٢٣ ، وينظر: بحار الأنوار: ٢٧/ ١٢٧.

(٢) لسان العرب: ٧/ ١٩٣ (شمز).

(٣) الحدود في النّحو: ٦٧ ، وينظر: التّعريفات: ٢٤ ، وشرح الحدود للفاكهيّ: ٩٢- ٩٤.

(٤) ينظر: المنصف: ١/ ١١ ، والصّرف الكافي: ٤٦.

(٥) ينظر: أبنية الصّرف في كتاب سيبويه: ١٣٥ ، وتصريف الأسماء والأفعال: ٦١.

(٦) ينظر: الممتع في التّصريف: ٥١.

(٧) كتاب العين: ١/ ٤٩. وينظر: شرح الملوكيّ في التّصريف: ٢٤.

على ثلاثةِ أصولٍ، يقول في ذلك: "ليس في الدّنيا اسمٌ أقلّ عدداً من اسمٍ على ثلاثة أحرفٍ، ولكنَّهم قد يحذفون ممّا كان على ثلاثةٍ حرفاً وهو الأصل له، ويردونه في التّحقير والجمع"(١) .

وأمَّا المزيد من الأسماء، فهو إلحاق البناء الأصليّ بعض الحروف ليست من جنس بنائه الأصليّ، وهذه الزّيادة تكون لأغراض منها توليد ألفاظٍ جديدةٍ وهو الغالب، أو لإفادة معنى جديد(٢). وتكون الزّيادة في أبنية الثّلاثيّ أكثر منها في الرّباعيّ والخماسي، "وإنّما كثُر التّصرّف في الثّلاثيّ بالزّيادة لكثرته، وقلّ في الخماسيّ لقلّته"(٣) .

وبعد استقراء حِكَم النّبيّ الأعظم (ﷺ) وما فيها من أسماء، لم أجد للاسم الخماسيّ المزيد مثالًا، أَمَّا الاسم الخماسيّ المجرّد، فورد مثالٌ واحدٌ في حِكَمه (ﷺ)، وهو (الزَّبَرجَدَ)، في قوله (ﷺ): "يا عَليُّ: خَلَقَ اللهُ الجَنَّةَ مِن لَبِنَتَينِ: لَبِنَةٍ مِن ذَهَبٍ وَلَبِنَةٍ مِن فِضَّةٍ ، وَجَعَلَ حيطانَها الياقوتَ، وَسَقفَها الزَّبَرجَدَ، وَحَصاءَها اللُّؤلؤَ، وَتُرابَها الزَّعفَرانَ والمِسكَ الأَذفَرِ"(٤) .

لذا سنتناول في هذا المبحث دراسة أبنية الأسماء في حِكَمه (ﷺ) مقتصرًا على الأسماء الثّلاثيّة المجرّدة والمزيدة، والأسماء الرّباعيّة المجرّدة والمزيدة. أمَّا أبنية المشتقّات والمصادر والجموع في حِكَمه (ﷺ)، فأتناول كلّ منها في مبحثٍ خاصٍّ بها.

أوَّلًا: الاسم الثّلاثيّ المجرَّد:

إنَّ للاسم الثّلاثيّ المجرّد اثني عشرَ وزنًا، فالأصل الأوّل من كلّ بناءٍ يكون مفتوحًا أو مضمومًا أو مكسورًا ولا يكون ساكناً؛ لأنَّ العرب لا تبتدأ بالسّاكن، أمَّا الحرف الثّاني، فتتعاقب عليه الحركات الأربع(٥). "فالأسماء الثّلاثيّةُ تكون على عشرة أمثلة: – فَعْلٌ، وَفَعَلٌ، وَفَعَلٌ، وَفَعِلٌ، وفَعُلٌ ،وَفِعْل، وَفِعِلٌ، وفِعَلٌ، وَفُعْلٌ، وفُعُل، وفُعَلٌ"(٦). أمّا الوزنانِ اللّذان أُهملا، أُهملا، فهما (فُعِل – فِعُل)، ومردّ إسقاط هذين البنائين، هو لثقل الانتقال من الثّقيل إلى الثّقيل(٧). ولم ترد هذه الأوزان كلّها في حِكَمه المباركة، وسأذكر ما ورد منها، وهي:

١– بناء **(فَعْل)** بفتح الفاء، وسكون العين:

---

(١) الكتاب: ٣/ ٣٢٢.

(٢) ينظر: شرح المفصّل: ٩/ ١٤١.

(٣) المصدر نفسه: ٦/ ١١٥.

(٤) حكم النّبيّ الأعظم: ٧/ ٥٧٠ ، وينظر: مكارم الأخلاق: ٤٣٥.

(٥) ينظر: الممتع في التّصريف: ٥١ ، والصّرف العربيّ أحكامٌ ومعانٍ: ٣٥–٣٦.

(٦) المصنّف: ١/ ١٨.

(٧) ينظر: الأصول في النّحو: ٣/ ١٨١ ، وشرح الرّضي على الشّافية: ١/ ٣٥–٣٦.

ومن أمثلة ما ورد من أسماء في حِكَمه المباركة على هذا البناء (الجَهْلُ)، في قوله ﷺ: "الجَهْلُ رَأْسُ الشَّرِّ كُلِّهِ"(١) .

٢- بناء **(فِعْل)** بكسر الفاء، وسكون العين:

ومن أمثلته (الرِّفْق)، في قوله (ﷺ): "إنَّ اللهَ رَفيقٌ يُحِبُّ الرِّفْقَ"(٢) .

٣-بناء **(فُعْل)** بضمّ الفاء، وسكون العين:

ومن شواهد الأسماء الواردة في حِكَمه (ﷺ) على هذا البناء (الفُحْشَ)، في قوله (ﷺ): "إنَّ الفُحْشَ لوكانَ مِثالاً لَكانَ مِثالَ سَوءٍ"(٣) .

٤- بناء **(فَعَل)** بفتح الفاء والعين معًا:

ومثال هذا البناء (الأَمَلُ)، في قوله (ﷺ): "إنَّمَا الأَمَلُ رَحِمَةٌ مِنَ اللهِ لِأُمَّتي. لَولَا الأَمَلُ ما أرضَعَت امٌّ وَلَداً. ولا غَرَس غارِس شَجَراً"(٤) .

٥- بناء **(فُعَل)** بضمّ الفاء، وفتح العين:

وممّا سُجّل من أسماء في حكمه (ﷺ) على هذا الشّكل الصّرفيّ (شُعَب)، في قوله (ﷺ): "وُدُّ المُؤمِنِ لِلمُؤمِنِ فِي اللهِ مِن أعظَمِ شُعَبِ الإيمانِ"(٥) .

٦- بناء (فَعِل) بفتح الفاء، وكسر العين:

ومثال هذا البناء (الوَسِخ)، في قوله (ﷺ): "إنَّ الله يُبغِضُ الوَسِخَ وَالشَّعثَ"(٦)

٧- بناء **(فَعُل)** بفتح الفاء، وضمّ العين:

ومن الوارد من الأسماء على هذه الصّيغة (الرَّجُلُ) "الرَّجُلُ على دينِ خَليلِهِ. فَليَنظُر أحَدُكُم مَن يُخالِلُ"(٧) .

٨- بناء **(فُعُل)** بضمّ الفاء والعين معًا:

وممّا يُستشهد به من الأسماء الواردة في حكمه (ﷺ) على هذا الوزن (الخُلُق)، في قوله (ﷺ): "ما شَيءٌ أبغَضُ إلَى اللهِ عزّ وجلّ مِنَ البُخلِ، وسوءِ الخُلُقِ"(١) .

---

(١) حكم النّبيّ الأعظم: ٧/ ١٢ ، وينظر: بحار الأنوار: ٧٧/ ١٧٥.

(٢) حكم النّبيّ الأعظم: ٢/ ٢٠٨، وينظر: صحيح مسلم: ٤/ ٢٠٠٣.

(٣) حكم النّبيّ الأعظم: ٥/ ١٦ ، وينظر: الكافي: ٢/ ٣٢٤.

(٤) حكم النّبيّ الأعظم: ٣/ ٤٠٥ ، وينظر: تاريخ بغداد: ٢/ ٥٢.

(٥) حكم النّبيّ الأعظم: ٦/ ٤٣٩ ، وينظر: الكافي:٢/ ١٢٥.

(٦) حكم النّبيّ الأعظم: ٢/ ٢٣٣ ، وينظر: شعب الإيمان: ٥/ ١٦٨.

(٧) حكم النّبيّ الأعظم: ٦/ ٤٢٤ ، وينظر: بحار الأنوار: ٧٤/ ١٩٢.

ثانيًا: الاسم الثّلاثيّ المزيد :

إنَّ للاسم الثّلاثيّ المزيد أبنيةً كثيرةً، تختلف تبعًا لعدد الحروف المزيدة في كلّ بناء، أو تبعًا لتغيّر حركته. فالزّيادة قد تكون حرفًا واحداً، أو حرفين، أو ثلاثةَ حروفٍ، أو أربعةَ حروفٍ، أو خمسةَ حروفٍ[٢]. وسأذكر هذه الأبنية مشيراً إلى الحروف المزيدة في كلّ بناء دون تقسيم الأبنية إلى أقسام طلبًا للسّهولة وتجنّباً للتّعقيد :

١- بناء **(أَفْعَل)** بزيادة الهمزة في أوّله :

وممّا سُجّل من أسماء في حِكَمِهِ (ﷺ) على هذا الشّكل الصّرفيّ، (أَبْتَرُ)، في قوله (ﷺ): "كُلُّ أمرٍ ذي بالٍ لا يُبدَأُ فيهِ بِحَمدِ اللهِ وَالصَّلاةِ عَلَيَّ فَهُوَ أقطَعُ أبْتَرٌ مَمحوقٌ مِن كُلِّ بَرَكَةٍ"[٣]. والأَبْتَر: كلّ أمرٍ قام به إنسانٌ ما، فانقطع من الخير أثر ذلك الأمر[٤] .

٢- بناء **(فِعال)** بكسر الفاء، وزيادة ألف بين عينيه ولامه:

ومن أمثلة هذا البناء (الجِهاد) في قوله (ﷺ): "لَمَا سُئلَ عَن أفضَلِ الإيمانِ: الهِجرَةُ، قِيلَ: وما الهِجرَةُ؟ قالَ: أن تَهجُرَ السُّوءَ. قِيلَ: فأيّ الهجرَةِ أفضَلُ؟ قالَ: الجِهادُ"[٥] .

٣- بناء **(فُعال)** بضمّ الفاء، وزيادة ألف بين عينيه ولامه:

ومن الألفاظ الّتي وردت على هذا الوزن (الجُذام)، في قوله (ﷺ): "كُلُوا الزَّيتَ وَادَّهِنوا بِهِ؛ فَإِنَّ فيهِ شِفاءً مِن سَبعينَ داءً، مِنهَا الجُذامُ"[٦] .

٤- بناء **(فَعال)** بفتح الفاء، وزيادة ألف بين عينيه ولامه:

ومن الأسماء الّتي وردت في حِكَمه (ﷺ)، وتجري على هذا الوزن (الدَّوَاءُ)، في قوله (ﷺ): "ما طُلِبَ الدَّواءُ بِشَيءٍ أفضَلَ مِن شَربَةِ عَسَلٍ"[٧] .

٥- بناء **(فَيْعَل)** مزيد بالياء بين فائه وعينه. مع فتح عينه:

---

(١) حكم النّبيّ الأعظم: ٢/ ٢٣٥ ، وينظر: بحار الأنوار: ١٦/ ٢٣١.
(٢) ينظر: الممتع في الصّرف: ٥٧ ، وتصريف الأسماء والأفعال: ٦٧.
(٣) حكم النّبيّ الأعظم: ٣/ ٤٤٣ ، وينظر: كنز العمال: ١/ ٥٥٨.
(٤) ينظر: لسان العرب: ١/ ٣٠٩ (بتر).
(٥) حكم النّبيّ الأعظم: ٤/ ٥٥٥ ، وينظر: كنز العمال: ١/ ٢٦.
(٦) حكم النّبيّ الأعظم: ٣/ ٤٨٢ ، وينظر: كنز العمال: ١٠/ ٤٨.
(٧) حكم النّبيّ الأعظم: ٣/ ٤٨٩ ، وينظر: كنز العمال: ١٠/ ٢٠.

ومن أمثلة ما ورد من أسماء على هذا الوزن (خَيْبَرُ)، في قوله (ﷺ) عندما أصبح في خيبر: "الله أكبَرُ الله أكبرُ خَرِبَت خَيْبَرُ. إنّا إذا نَزَلنا بساحَةِ قَومٍ فَساءَ صَباحُ المُنذَرِينَ"(١).

٦- بناء **(فَيْعِل)** مزيد بالياء بين فائه وعينه، مع كسر عينه:

ومن الشّواهد الّتي وردت من الأسماء في حِكَمه (ﷺ) على هذا الصيغة (سَيِّدُ)، في قوله (ﷺ): "شَهرُ رَمَضانَ سَيِّدُ الشَّهورِ"(٢). و(سَيِّد) على زنة (فَيْعِل)، وأصلها (سَيْوِد) وقلبت الواو ياءً وأدغمت الياء في الياء(٣) .

٧- بناء **(فُعُوْل)** مزيد بالواو بين عينه ولامه:

ومن أمثلة الأسماء الّتي اتّخذت هذا البناء (خُلُوف)، قوله (ﷺ) في وصف الصّائمين في شهر رمضان المبارك: "فَإنَّ خُلُوفَ أفواهِهِم – حينَ يُمسونَ – عِندَ اللهِ عزّ وجلّ أطيَبُ مِن ريحِ المِسكِ"(٤) .

٨- بناء **(فَعْلاء)** بزيادة الألف والهمزة، مع فتح الفاء:

وممّا يُستشهد به من الأسماء الواردة في حِكَمه (ﷺ) على هذا الوزن (حَلْوَاءَ)، في قوله (ﷺ): "مَن لَقَّمَ أخاهُ لُقمَةً حَلواءَ ولَم يَكُن ذَلِكَ مَخافَةً مِن شَرِّهِ، ولا رَجاةً لِخَيرِه صَرَفَ اللهُ عَنهُ سَبعينَ بَلوى فِي القِيامَةِ"(٥) .

٩- بناء **(فِعْلاء)** بزيادة الألف والهمزة وكسر الفاء:

ومثال هذا البناء (سِيماءَ)، في قوله (ﷺ) الّذي يصف به الإمام عليّ عليه السّلام: "إنّ الله زَيَّنَكَ بزِينَةٍ لَم يُزَيِّنِ العِبادَ بِشَيءٍ أحَبَّ إلى اللهِ مِنها، ولا أبلَغَ عِندَهُ مِنها: الزُّهدُ في الدّنيا، وإنَّ اللهَ قد أعطاكَ ذلكَ، وجَعَلَ الدّنيا لا تَنالُ مِنكَ شيئاً، وجَعَلَ لَكَ سِيماءَ تُعرَفُ بها"(٦) .

١٠- بناء **(فُعَّال)** بضمّ الفاء وزيادة التّضعيف والألف:

---

(١) حكم النّبيّ الأعظم: ٦/ ٣٢٥ ، وينظر: كنز العمال: ١٠/ ٤٦٥.

(٢) حكم النّبيّ الأعظم: ٦/ ١٣ ، وينظر: بحار الأنوار: ٤٠/ ٥٤.

(٣) ينظر: شرح المفصّل: ١٠/ ٦٥.

(٤) حكم النّبيّ الأعظم: ٦/ ٢٧ ، وينظر: بحار الأنوار: ٩٦/ ٣٦٤.

(٥) حكم النّبيّ الأعظم: ٣/ ٤٤٨ ، وينظر: تاريخ بغداد: ٤/ ٨٥.

(٦) حكم النّبيّ الأعظم: ٤/ ٣٠٢ ، وينظر: بحار الأنوار: ٤٠/ ٣١٨.

وممّا يُستشهد به على هذا البناء (الكُرّاثُ)، في قوله (ﷺ): "سَنامُ البُقولِ ورَأْسُهَا الكُرّاثُ"(١) .

١١- بناء **(فَعْلان)** بفتح الفاء وزيادة الألف والنّون:

ومن أمثلة ما ورد من أسماء على هذا البناء (رَيان)، في قوله (ﷺ): "إنَّ لِلجَنّةِ باباً يُدعى الرَّيَّانَ لا يَدخُلُ مِنهُ إلَّا الصَّائمونَ"(٢) .

١٢- بناء **(فِعْلان)** بكسر الفاء وزيادة الألف والنّون:

وممّا سُجّل من أسماء في حِكَمه (ﷺ)على هذا الشّكل الصّرفيّ، (الغِيلانُ)، في قوله (ﷺ): "إذا تَغَوَّلَت لَكُمُ الغِيلانُ، فَأَذْنوا بِأَذانِ الصَّلاةِ"(٣)

والغيلان "هي جنسٌ من الجنِّ والشّياطين، كانت العرب تزعم أنّ الغُول في الفلوات تتراءى للنَّاس فتتغوّل تغوّلاً: أي: تتلوّن تلوّناً في صورٍ شتّى فتَغَولهم أي: تضلّهم عن الطّريق وتهلكهم"(٤).

١٣- بناء **(فاعُول)** بزيادة الألف والواو:

ومن الأسماء الّتي تنتظم في هذا البناء الصّرفيّ (باسور)، في قوله (ﷺ): "عَلَيكُم بِهذِهِ الشَّجَرَةِ المُبارَكَةِ زَيتِ الزَّيتونِ فَتَداوَوا بِهِ: فَإِنَّهُ مَصَحَّةً مِنَ الباسورِ"(٥) .

١٤- بناء **(فَيْعَال)** بزيادة الألف والياء:

ومن الألفاظ الّتي تندرج تحت هذا البناء (القِيْرَاطُ)، في قوله (ﷺ): "الدّينارُ كَنزَ، وَالدِّرهَمُ كَنزٌ، وَالقِيْرَاطُ كَنزً"(٦) .

١٥- بناء **(فاعِلاء)** بزيادة الألف بين فائه وعينه، وزيادة ألف وهمزة في آخره:

ومن أمثلة ما ورد من أسماء على هذا البناء (السَّابِياءِ)، في قوله (ﷺ): "تِسعَةُ أعشارِ الرُّزْقِ فِي التِّجارَةِ، وَالجُزءُ الباقي فِي السَّابِياءِ"(٧). والسَّابِيَاء: الغنم والمواشي، ونتاجهما(٨) .

١٦- بناء **(مفاعيل)** بزيادة الميم والألف والياء:

---

(١) حكم النّبيّ الأعظم: ٣/ ٤٨٥ ، وينظر: بحار الأنوار: ٦٦/ ٢٠٤.

(٢) حكم النّبيّ الأعظم: ٢/ ٥٦١ ، وينظر: بحار الأنوار: ٩٦/ ٢٥٢.

(٣) حكم النّبيّ الأعظم: ٥/ ٢٢٢ ، وينظر: بحار الأنوار: ٨٤/ ١٦٢.

(٤) النّهاية في غريب الحديث والأثر: ٣/ ٣٩٦.

(٥) حكم النّبيّ الأعظم: ٣/ ٤٨٢ ، وينظر: المعجم الكبير: ١٧/ ٢٨١.

(٦) حكم النّبيّ الأعظم: ٧/ ١٤٩ ، وينظر: الدّر المنثور: ٣/ ٢٣٣.

(٧) حكم النّبيّ الأعظم: ٣/ ٤٧٢ ، وينظر: بحار الأنوار: ٦٤/ ١١٨.

(٨) ينظر: لسان العرب: ٦/ ١٦٦ (سبي).

وهو من أبنية جمع التّكسير، وممّا يُستشهد به على هذا البناء (مفاتيح)، في قوله (ﷺ): "نَحنُ أهلَ البَيتِ مَفاتيحُ الرَّحمَةِ، ومَوضِعُ الرِّسالَةِ، ومُختَلَفُ المَلائِكَةِ، وَمعدِنُ العِلمِ"(١).

ثالثًا: أبنية الاسم الرّباعيّ المجرّد:

اختلف النّحويّون في وجود الاسم الرّباعيّ والخماسيّ، فقد ذهب سيبويه (١٨٠هـ) وجَمهور النّحويّين إلى أَنَّ الرّباعيّ والخماسيّ صنفان مستقلّان عن الثّلاثيّ، بينما يرى الكسائيّ (١٨٩هـ) والفرّاء (٢٠٧هـ) أَنَّهما من الثّلاثيّ المزيد(٢) .

إنَّ الاسم الرّباعيّ المجرّدة "يحتمل ثمانية وأربعين بناءً، يسقط منها ثلاثة لتعذّر التقاء السّاكنين في العين واللّام الأوّلى، فيبقى خمسة وأربعون. غير أنَّ العرب أهملوا من الباقي تسعةً وثلاثين، واستخدموا ستّةً فقط"(٣). وهذه الأبنية السّتّة الّتي ذكرها النّحويّون خمسةٌ منها منها متّفقٌ عليها بين جمهور العلماء، وهي (فَعْلَل نحو: عَنْبَر، وفِعْلِل نحو: الزِّبْرِج ، وفُعْلُل نحو البُرْثُن، وفِعْلَل نحو: دِرْهَم، وفِعَلّ نحو: هِبَجْر)(٤)، وواحدٌ مختلفٌ فيه وهو (فُعْلَل) نحو: نحو: (جُخْدَبٌ)، فقد زاده الأخفش على أبنية الرّباعيّ المجرّد(٥). ولم ترد في حِكَم النّبيّ الأعظم من هذه الأبنية السّتّة إلّا ما يلي:

١- بناء **(فَعْلَل)** بفتح الفاء واللّام الأوّلى وسكون العين:

ومثال هذا البناء (زَمزَمَ)، في قوله (ﷺ): "خَيْرُ ماءٍ عَلَى وَجهِ الأَرْضِ ماءُ زَمزَمَ"(٦) .

٢- بناء **(فُعْلُل)** بضمّ الفاء واللّام وسكون العين:

ومن المستعمل من الأسماء في هذا البناء (لُؤْلُؤ)، في قوله (ﷺ): "دَخَلتُ الجَنَّةَ فَرَأَيتُ فيها جَنابِذَ مِن لُؤْلُؤٍ. فَقُلتُ: لِمَن هَذِهِ يا جِبرِيلُ؟ قالَ: لِلمُؤَذِّنينَ وَالأئِمَّةِ مِن أُمَّتِكَ"(٧).

٣- بناء **(فِعْلَل)** بكسر الفاء وسكون العين وفتح اللّام:

ومن أمثلة الأسماء الّتي وردت على هذا البناء (دِرهَم)، في قوله (ﷺ): "أَقَلُّ ما يَكونُ في آخِرِ الزَّمانِ أخٌ يوثقُ بِهِ، أو دِرهَمٌ مِن حَلالٍ"(١) .

---

(١) حكم النّبيّ الأعظم: ٣/ ١١٢ ، وينظر: فرائد السّمطين: ١/ ٤٤.

(٢) ينظر: شرح الرّضي على الشّافية: ١/ ٤٧.

(٣) تصريف الأسماء والأفعال: ٦٤.

(٤) ينظر: الكتاب: ٤/ ٢٨٨-٢٨٩ ، والمنصف: ١/ ٢٥ ، وشرح المفصّل: ٦/ ١٣٦.

(٥) ينظر: شرح الرّضي على الشّافية: ١/ ٤٧-٤٨.

(٦) حكم النّبيّ الأعظم: ٣/ ٤٨٨ ، وينظر: المعجم الكبير: ١١/ ٨٠.

(٧) حكم النّبيّ الأعظم: ٥/ ٢١٦-٢١٧ ، وينظر: كنز العمال: ٧/ ٦٨٢.

رابعًا : أبنية الاسم الرّباعيّ المزيد:

إنَّ الاسم الرّباعيّ المزيد أمّا أن يكون مزيداً بحرفٍ واحدٍ، أو حرفين، أو ثلاثةِ أحرفٍ[٢].

وممّا ورد من أبنية الاسم الرّباعيّ المزيد في حِكَمه (ﷺ) ما يلي:

١- بناء **(فَعْلال)** بفتح الفاء وزيادة الألف بين اللّامين:

وهذا البناء لا يكون إلّا في الاسم الرّباعيّ المضعّف[٣]. ومن الأسماء الّتي جرى استعمالها على هذا البناء الصّرفيّ (سَفْسافَ)، في قوله (ﷺ): "إنّ الله يُحِبُّ مَعالِيَ الأخْلاقِ ويَكْرَهُ سَفْسافَها"[٤] .

٢- بناء **(فِعْلال)** بكسر الفاء وزيادة الألف بين اللّامين:

ومن شواهد هذا البناء (قِنطار)، في قوله (ﷺ): "مَن أقرَضَ مَلهوفاً فَأْحسَنَ طَلِبَتَهُ استَأنَفَ العَمَلَ وأعطاهُ اللهُ بِكُلِّ دِرهَمٍ ألفَ قِنطارٍ مِن الجَنَّةِ"[٥] .

٣- بناء **(فَعْلَلان)** بسكون العين، وفتح الفاء واللّام الأوّلى، وزيادة الألف والنّون بعد اللّامين:

ومن أمثلة الأسماء الواردة في حِكَمه (ﷺ) الّتي اتّخذت هذا البناء (زعفزان)، في قوله (ﷺ): "مَن جُرِحَ في سَبِيلِ اللهِ جاءَ يَومَ القِيامَةِ رِيحُهُ كَرِيحِ المِسكِ وَلَونُهُ لَونُ الزَّعْفَرَانِ، علَيهِ طابَعُ الشُّهَداءِ"[٦] .

٤- بناء **(فَعْلَلُوت)** بسكون العين، وفتح الفاء واللّام الأوّلى، وضمّ اللّام الثّانية، وزيادة الواو والتّاء: ومثال هذا البناء (عَنكبوت)، في قوله (ﷺ): " عِشرونَ خَصلَةً تورِثُ الفَقرَ...تَركُ بُيوتِ العَنكَبوتِ فِي المَنزِلِ"[٧] .

ذكر ابن جنّي (٣٩٢هـ) أنَّ التّاء في (عنكبوت) زائدةٌ، وعُلِم بزيادتها بالنّظر إلى (عَنْكَبٌ) و(عَنْكَبَاءُ) لا بالنّظر إلى جمعه على (عناكِب)[٨]، وتابعه بذلك ابن يعيش (٦٤٣هـ)[١]. أمَّا الواو في (عنكبوت)، فهي زائدة كونها صحبت أربعة حروف مقطوع بأصالتها[٢] .

---

(١) حكم النّبيّ الأعظم: ٧/ ٣٥ ، وينظر: بحار الأنوار: ٧٧/ ١٥٧.

(٢) ينظر: تصريف الأسماء والأفعال: ٧٧.

(٣) ينظر: الممتع في التّصريف: ١٠٦.

(٤) حكم النّبيّ الأعظم: ٤/ ٢٩٩ ، وينظر: كنز العمال: ٣/ ١٠.

(٥) حكم النّبيّ الأعظم: ٤/ ٤٨٦ ، وينظر: بحار الأنوار: ٧٧/ ٣٦٨.

(٦) حكم النّبيّ الأعظم: ٦/ ٣١٢ ، وينظر: كنز العمال: ٤/ ٤٠٨.

(٧) حكم النّبيّ الأعظم: ٧/ ١٣٨-١٣٩ ، وينظر: بحار الأنوار: ٧٦/ ٣١٥.

(٨) ينظر: المنصف: ١/ ١٤٩.

٥- بناء **(فَعالِيل)** بفتح الفاء، وكسر اللّام الأوّلى، وزيادة الألف والياء:

وهذا البناء لا يكون في أبنية الاسم الرّباعيّ المزيد إلّا إذا كان جمع تكسير[٣]. ومن المستعمل من الأسماء في هذا البناء (قَنادِيل)، في قوله (ﷺ): "إنَّ البلاء يَتَعَلَّقُ بَين السَّماء وَالأَرض مِثل القَناديل، فَإذا سَأَلَ العَبدُ رَبَّهُ العَافِيَةَ صَرَفَ اللهُ تَعالَى البَلاءَ عَنهُ وقَد أُبرِمَ لَهُ إبراماً"[٤] .

المبحث الثّاني

أَبنيــةُ المشتقّاتِ

يُعدُّ الاشتقاق الرّحم الّذي عن طريقه تتولّد ألفاظ اللّغة، وتستمرّ دورة حياتها. والاشتقاق هو "إنشاء فرعٍ من أصلٍ يدلُّ عليه"[٥]، أو هو "أَخْذُ صيغةٍ من أخرى مع اتّفاقهما معنى ومادّة أصليّة وهيئة تركيب لها ليدلّ بالثّانية على معنى الأصل بزيادةٍ مفيدةٍ لأجلها اختلفا حروفًا أو هيئةً كضارب من ضرب"[٦]. فلولا الاشتقاق لأصاب اللّغة العقم، وتوقّفت حياتها، وانتهت بنفاد وانحصار ألفاظها.

اختلف النّحويّون حول أصل الاشتقاق باختلاف أدلتهم. فذهب البصريّون إلى أَنَّ المصدرَ أصلُ الاشتقاقِ في العربيّة. وذهب الكوفيّون إلى أَنَّ الفعلَ هو الأصلُ[٧]. إنّ الخلافاتِ النّحويّة في أغلبها هي خلافاتٌ عقيمةٌ، لا يمكن التّوصّل معها إلى رأي يغلب

---

(١) ينظر: شرح المفصّل: ٥/ ١٣١.

(٢) ينظر: الممتع في التّصريف: ١٩٥.

(٣) ينظر: المصدر نفسه: ١٠٨.

(٤) حكم النّبيّ الأعظم: ٥/ ٣٣٧ ، وينظر: بحار الأنوار: ٩٣/ ٢٩٥.

(٥) الممتع في التّصريف: ٤٢.

(٦) المزهر: ١/ ٢٧٥.

(٧) ينظر: الإنصاف في مسائل الخلاف: ١/١٩٠ مسألة رقم: ٢٨.

ويـردّ الـرّأي الآخـر؛ إذ إنّ الفـريقين كليهمـا جـاء بحجـجٍ تـرجّح رأيـه وتفنّـد الـرّأي المقابـل؛ ومـع هذه الحججِ يصعب علينا قبول أحدهما وردّ الآخر[١] .

إنَّ الاشـتقاق يكـون علـى خمسـةِ أضـربٍ: الاشـتقاق الأكبـر، الاشـتقاق الكبيـر، والقلـب اللّغوي، النّحت، الاشتقاق الأصغر[٢] .

ومـا يهمّنـا فـي دراسـتنا مـن هـذه الأنـواع الخمسـة هـو الاشـتقاق الأصـغر أو الصّـغير؛ إذ حـدّه ابـن جنّـي (٣٩٢هـ) بقولـه: "فالصّـغير مـا فـي أيـدي النّـاس وكتـبهم، كـأن تأخـذ أصـلًا مـن الأصـول فتتقـرّاه فتجمـع بـين معانيـه، وإن اختلفـت صـيغه ومبانيـه. وذلـك كتركيـب "س ل م"، فإنّـك تأخـذ منـه معنـى السّـلامة فـي تصـرّفه؛ نحـو: سـلم ويسـلم وسـالم وسـلمان وسـلمى والسّـلامة والسّليم: اللّديغ، أطلق عليه تفاؤلًا بالسّلامة...فهذا هو الاشتقاق الأصغر"[٣] .

وقـد عـدّد الزّمخشـريّ (٥٣٨هـ) المشـتقّات بقولـه: "الأسـماء المتصـلة بالأفعـال هـي ثمانيـةُ أسـماء: المصـدر. اسـم الفاعـل، اسـم المفعـول، الصّـفة المشـبّهة، اسـم التّفضـيل، واسـما الزّمـان والمكان، اسم الآلة"[٤] .

وسـنتناول بالدّراسـة فـي هـذا المبحـث المشـتقّات جميعًـا، إلّا أبنيـة المصـادر بمـا فيهـا (المـرّة، الهيئة، الميميّ) فستُدرَس في مبحثٍ خاصّ بها.

وفيما يأتي أبنية المشتقّات الواردة في حِكَمه (ﷺ):

أوّلاً: أبنية اسم الفاعل:

هـو الوصـف الّـذي يشـتقّ مـن الفعـل المضـارع، ليـدلّ علـى مـن قـام بالفعـل أو تعلّـق بـه[٥]، يحمـل اسـم الفاعـل معنـى التّجـدّد والحـدوث، فكلمـة (نـائِم) تـدلّ علـى الحـدث (المصـدر) وهـو (النّوم)، وعلى الفاعل وهو الّذي يقوم بالنّوم، وعلى الحدوث وهو التّغيّر[٦] .

---

(١) ينظر تلك الحجج: التّذييل والتّكملة في شرح كتاب التّسهيل، أبو حيّان الأندلسيّ: ٧/ ١٣٤ ، وهمع الهوامع: ٣/ ٩٥.

(٢) ينظر: المهذّب في علم التّصريف: ١٩٦-٢٠٣.

(٣) الخصائص: ٢/ ١٣٦.

(٤) المفصّل في صنعة الإعراب: ٢٧٤.

(٥) ينظر: شرح المفصل: ٦/ ٦٨ ، وارتشاف الضّرب: ٢/ ٥٠٩ ، وتسهيل الفوائد وتكميل المقاصد: ١٣٦.

(٦) ينظر: الخصائص: ٣/ ١٠٣ ، والصّرف العربيّ أحكامٌ ومعانٍ: ٩٥.

وبقيد (التّجدّد والحدوث) يخرج عن اسم الفاعل الصّفة المشبّهة؛ لأنّ اسم الفاعل يتشابه مع الصّفة المشبّهة في أنّ كلّ منهما يدلُّ على ذاتٍ موصوفةٍ بحدثٍ معين قامت به؛ ولكن الصّفة المشبّهة تختلف عن اسم الفاعل في أنَّ الموصوفَ بها قائمٌ على وجه الثّبوت والدّوام، والموصوف باسم الفاعل متجدد بتجدد الأزمنة. ومع كون اسم الفاعل أثبت من الفعل إلّا أنَّ الصّفة المشبّهة أثبت منه؛ لأنّ لا يمكن الانفكاك عنها، فاسم الفاعل (نائِم) يمكن الانفكاك من صفة النّوم إلى صفةٍ أخرى نحو (صاحٍ). أمَّا الصّفة المشبّهة، فلا يمكن الانفكاك عنها، فالطّول في (طويل) أو القصر في (قصير)؛ لايمكن الانفكاك عنهما؛ لأنّها صفاتٌ أكثر ثبوتًا[١] .

يُصاغ اسم الفاعل من الفعل الثّلاثيّ المجرّد المبني للمعلوم على زنة (فَاعِل)، ومن غير ذلك على زنة مضارعه مع إبدال حرف المضارعة ميمًا مضمومةً وكسر ما قبل الآخر[٢] .

وقد وردت صيغة (فاعِل) من الثّلاثيّ كثيرًا في حِكَم النّبيّ الأعظم، منها (صائِم، قائِم)، في قوله (ﷺ): "إنَّ الرَّجَلَ لَيُدرِكُ بالحِلْمِ دَرَجةَ الصّائِم القائِم، وإنَّهُ لَيُكْتَبُ جَبّارًا ولا يَمْلكُ إلّا أهلَ بَيتِه"[٣] .

فجاء اسم الفاعل (صائِم، قائِم) من الفعلين الأجوفين (صام) و (قام)، وقد دلّا على التّجدّد في الحدث؛ إذ يمكن الانفكاك معهما إلى صفةٍ أخرى.

ومن تلك الأمثلة الّتي وردت على زنة (فاعِل) ودلّت على التّجدّد في الحدث، (السّائِل) في قوله (ﷺ): "لا تَقطَعوا على السّائِل مَسألَتَهُ فلَولا أنَّ المَساكينَ يَكذِبُونَ ما أَفلَحَ مَن رَدَّهُم"[٤] .

وممّا ورد من اسم فاعل في حديثه (ﷺ)، قوله عليه الصّلاة والسّلام: "الطّاهِرُ النّائمُ كالصّائمِ القائمِ"[٥]. فالحديث المبارك تضمّن أسماء فاعلين (الطّاهر، النّائم، الصّائم، القائم) القائم) والطّاهر والنّائم من الفعلين (طهُر) (نام). و(طاهر) أقرب إلى الصّفة المشبّهة منه

(١) ينظر: شرح شذور الذّهب: ٢٠٦-٢٠٧ ، وجامع الدّروس العربيّة: ١/ ١٧٨ و١/ ١٩١ ، ومعاني الأبنية في العربيّة:٤١.

(٢) ينظر: تسهيل الفوائد وتكميل المقاصد: ١٣٦ ، والمهذّب في علم التّصريف: ٢٢٩.

(٣) حكم النّبيّ الأعظم: ٥/ ١٠٠-١٠١ ، وينظر: كنز العمال: ٣/ ١٢٩.

(٤) حكم النّبيّ الأعظم: ٧/ ٤١٦ ، وينظر: الكافي: ٤/ ١٥.

(٥) حكم النّبيّ الأعظم: ٥/ ١٧٥ ، وينظر: كنز العمال: ٩/ ٢٧٧.

إلى اسم الفاعل؛ لدلالته على الثّبوت؛ ولأنّ اسم الفاعل الّذي يدلّ على التّجدّد والحدوث، لا يُشتقّ من (فعُل) إلّا قليلاً[١]، ويجوز أن تُصاغ الصّفة المشبّهة من باب (فعُل) على زنة فاعِل؛ لقصد الثّبات والدّوام[٢] .

أمّا اشتقاق (اسم الفاعِل) من غير الثّلاثيّ المجرّد، فإنّه يُصاغ على زنة مضارعه مع إبدال حرف المضارعة ميمًا مضمومة وكسر ما قبل الآخر[٣]، ولذلك تعدّدت أبنية اسم الفاعل بتعدّد أبنية الفعل المزيد.

وسأورد تلك الأبنية المشتقّة من غير الثّلاثيّ المجرّد في حِكَم النّبيّ الأعظم، مكتفيًا بمثالٍ لكلّ بناءٍ:

١- **مُفْعِل:** وهذا البناء يكون من (أفعل)، وتحذف الهمزة للتخفيف عند صياغة اسم الفاعل منه حملًا على حذف همزة المضارع في هذا الموضع[٤]. ومثال ما جاء على هذا البناء (مُخلِص)، في قوله (ﷺ): "من قالَ : «لا إلهَ إلَّا الله» مُخلِصاً دَخَلَ الجَنَّةَ. وإخلاصُهُ أَن تَحجُزَه «لا إلهَ إلّا الله» عَمّا حَرَّمَ اللهُ عزّ وجلّ"[٥]. و(مُخلِص) اسم فاعل من الفعل (أخلص) المزيد بالهمزة في أوّله.

٢- **مُفَعِّل:** وممّا ورد من أمثلة على هذا البناء (المُكَذِّبُ)، في قوله (ﷺ): "خَمسَةٌ لَعَنتُهُم وكُلُّ نَبِيّ مُجابٍ: الزّائِدُ في كتابِ اللهِ، وَالتّارِكُ لِسُنَّتي. وَالمُكَذِّبُ بِقَدَرِ اللهِ. وَالمُستَحِلُّ مِن عِترَتي ما حَرَّمَ الله، وَالمُستَأثِرُ بِالفَيءِ وَالمُستَحِلَّ لَهُ"[٦]. وهو اسم فاعل من الفعل (كذّب) المزيد بالتّضعيف. إنَّ استعمال اسم الفاعل من (فعّل) الدّال على التّكثير[٧]؛ هو للدّلالة على أنَّ (المُكذِّب) من يُكثِر تكذيب قدر الله سبحانه وتعالى. وجزاء هذا المكذّب لعنةٌ من الله ورسوله.

٣- **مُفاعِل:** ومثال هذا البناء (المُهاجِرُ)، في قوله (ﷺ): "المُهاجِرُ مَن هَجَرَ السُّوءَ"[٨]. و(المُهاجِرُ) اسم فاعل من الفعل (هاجر) المزيد بالألف بين فائه وعينه. و(هاجر) أقوى دلالة من مجرّده (هجر)؛ إذ يحمل دلالة المشاركة والمبالغة في الهجرة[١] .

---

(١) ينظر: المفصّل في صنعة الإعراب: ٢٩٣ ، وشرح ابن عقيل: ٣/ ٦٢ ، ومعاني الأبنية في العربيّة: ٤٥.

(٢) ينظر: جامع الدّروس العربيّة: ١/ ١٩١ ، والمهذّب في علم التّصريف: ٢٥٣-٢٥٦.

(٣) ينظر: أبنية الصّرف في كتاب سيبويه: ٢٦٥.

(٤) ينظر: المهذّب في علم التّصريف: ٣٢٦ ، والتّطبيق الصّرفي:٦٧.

(٥) حكم النّبيّ الأعظم: ١/ ٥٢٢ ، وينظر: التّوحيد، الشّيخ الصّدوق: ٢٣.

(٦) حكم النّبيّ الأعظم: ٤/ ٥٧٩ ، وينظر: الكافي: ٢/ ٢٩٣.

(٧) ينظر: ارتشاف الضّرب: ١/ ١٧٤ ، وجامع الدّروس العربيّة: ١/ ٢١٨.

(٨) حكم النّبيّ الأعظم: ٤/ ٥٥٥ ، وينظر: كنز العمال: ١٦/ ٦٥٦.

٤- **مُتَفَعِّل:** ومن شواهد هذا البناء (المُتَشَحّطِ)، في قوله (ﷺ): "لِلمُؤَذّنِ فيما بَينَ الأَذانِ وَالإِقامَةِ مِثْلُ أجرِ الشَّهيدِ المُتَشَحّطِ بِدَمِهِ فِي سَبِيلِ اللهِ"[٢]. وهو اسم فاعل من الفعل (تشحّط) المزيد بالتّاء في أوله وتضعيف عينه. واسم الفاعل (المُتَشَحّطِ) من المزيد أكثر مبالغة من المجرّد. كما أنَّ من معاني (التّفعّل) هو تكرارُ العملِ مع مهلةٍ في الزّمن[٣]، وهذا المعنى ملائمٌ لما للمؤذّن من أجرٍ بين الآذان والإقامة.

٥- **مُفْتَعِل:** ومن الألفاظ الواردة على هذا البناء في حِكَمه (ﷺ) (المُقتَتِلينَ) جمع (المُقْتَتِل)، في قوله (ﷺ): "إنّما يَبعَثُ اللهُ المُقتَتِلينَ علَى النِّيّاتِ"[٤]. و(المُقْتَتِل) هو اسم فاعل من الفعل (اقْتَتَلَ) المزيد بالهمزة في أوّله وتاء الافتعال بين فائه وعينه. وباب (الافتعال) من معانيه التّصرّف والاجتهاد في حصول الفعل كما هو الحال في (المُقتَتِلينَ)؛ إذ دلّ على التّكلّف والاجتهاد في الاقتتال، أكثر ممّا لو استعمل (مُقاتِلين)[٥].

٦- **مُسْتَفْعِل:** ومثاله (مُستَغفِر)، في وصفه (ﷺ) ليالي رمضان: "ونادى مُنادٍ فِي السَّماءِ كُلَّ لَيلَةٍ إلَى انفِجارِ الصُّبحِ: يا باغِيَ الخَيرِ هَلُمَّ! ويا باغِيَ الشَّرِّ انتَهِ! هَل مِن مُستَغفِرٍ يُغْفَرُ لَهُ؟ هَل مِن تائِبٍ يُتابُ عَلَيهِ؟ هَل مِن سائِلٍ فَيُعطى؟ هَل مِن داعٍ فَيُستَجابُ لَهُ؟..."[٦]. وهو اسم الفاعل من الفعل (استغفر) المزيد بالهمزة والسّين والتّاء. فقد دلّ (مُستَغفِر) على طلب الاستغفار لأنّ "أصل استفعَلْت الشّيءَ فِي معنى طلبته واستدعيته"[٧] .

٧- **مُتَفَعْلِل:** وممّا جاء على هذا البناء (مُتَوَضِّئُ)، في قوله (ﷺ): "لا يُؤَذّنُ إلَّا مُتَوَضِّئُ"[٨]. وهو اسم الفاعل من الفعل (توضّأَ) المزيد بالتّاء والتّضعيف. واستعمال اسم الفاعل (مُتَوَضِّئُ) أثبت للصفة من لو استعمل الفعل (يتوضّأَ)، فقد دلّ على أنّ صفة الوضوء ثابتةٌ وملازمةٌ للمؤذّن.

٨- **مُفَعِّل:** وممّا ورد من أمثلة على هذا البناء (مُجَخِّي)، في قوله (ﷺ): "تُعرَضُ الفِتَنُ علَى القُلوبِ كالحَصيرِ عُوداً عُوداً...حتّى تَصيرَ على قَلبَين. على أبيضَ مثلِ الصَّفا فلا تَضُرُّهُ فِتنَةُ ما دامَتِ السماواتُ والأرضُ، والآخَرُ أسوَدُ مُربادّاً كَالكُوزِ مُجَخِّياً، لا يَعرفُ

---

(١) ينظر: شذا العرف: ٧٨.

(٢) حكم النّبيّ الأعظم: ٥/ ٢١٤ ، وينظر: بحار الأنوار: ٨٤/ ١٤٧.

(٣) ينظر: المحيط في أصوات العربيّة ونحوها وصرفها: ١/ ١٨١.

(٤) حكم النّبيّ الأعظم: ٥/ ١٥٦ ، وينظر: كنز العمّال: ٤/ ٣٣٦.

(٥) ينظر: شرح الرّضي على الشّافية: ١/ ١١٠.

(٦) حكم النّبيّ الأعظم: ٦/ ١٩ ، وينظر: تاريخ بغداد: ١/ ٢٨٤.

(٧) المخصّص: ٤/ ٣١١.

(٨) حكم النّبيّ الأعظم: ٥/ ٢٢٣ ، وينظر: سنن التّرمذيّ: ١/ ٢٥٣.

مَعروفـاً ولا يُنكِـرُ مُنكَـراً إلّا مـا أشـرِبَ مِـن هَـواءُ"[١]. و(مُجَجِّـي) اسـم فاعـل مـن الفعـل (ججّـى) المزيـد بتضـعيف عينـه. و(المججّـي) هـو المائـل والمنحنـي عـن الاعتـدال والاسـتقامة[٢]. وهـذه الدّلالـة الّتـي يحملهـا اسـم الفاعـل (مُجَجِّـي) ثابتـةٌ وملازمـةٌ للكـوز الّـذي شُـبّه بـه القلـب الأسـود؛ لتقبّله الفِتن.

ثانيًا: أبنية اسم المفعول:

هـو اسـمٌ مشـتقٌّ يسـتعمل للدّلالـة علـى مـن وقـع عليـه أثـر الفعـل، أو هـو الوصـف الّـذي يـدلّ علـى مـن وقـع عليـه أثـر ذلـك الفعـل[٣]. أو هـو "صـفةٌ تُؤخـذُ مـن الفعـل المجهـول، للدّلالـة علـى حدَثٍ وقع على الموصوف بها على وجه الحدوث والتَّجدُّد، لا الثّبوتِ والدَّوامِ"[٤] .

أمَّـا مـن حيـث دلالتـه علـى الحـدوث والثّبـوت، فـلا يختلـف عـن اسـم الفاعـل. فـإذا قـيس بالفعـل، دلّ علـى الثّبـوت. فـتُفهم صـيغة مفعـول أحيانًـا علـى أنَّهـا حالـةٌ ثابتـةٌ لصـاحبها، نحـو قولـك: (هـو منصـور)، جوابًـا لمـن سـأل: هـل سينتصـر علـيٌّ علـيهم؟ أي أنَّ هـذه الوصـف ثابـتٌ لـه. وإذا قـيس بالصّـفة المشـبّهة، دلّ علـى الحـدوث. فـتُفهم صـيغة مفعـول علـى أَنَّهـا حـدثٌ وقـع الآن أو فـي زمـنٍ معـيّن، نحـو قولـك: (هـو مغلـوب)، جوابًـا لمـن سـأل: أتظـنّ سـعيدًا سـيُغلب؟! أي أنَّ هذا الوصف قد تمّ، وشبه ثابتٌ له[٥] .

يُصـاغ اسـم المفعـول مـن الفعـل الثّلاثـيّ المجـرّد علـى زنـة (مَفْعُـول)[٦]، وبـه "سُـمّيَ لكثـرة مـا يجـيء علـى هـذا الـوزن"[٧]. ومـن غيـر ذلـك علـى زنـة مضـارعه مـع إبـدال حـرف المضـارعة ميمًا مضمومةً وفتح ما قبل الآخر[٨] .

وهـذه الفتحـة الّتـي تظهـر قبـل الحـرف الأخيـر فـي هـذا البنـاء هـي مـن تُميّـز بـين اسـم الفاعـل والمفعـول المشـتقّ مـن غيـر الثّلاثـيّ المجـرّد، يقـول سـيبويه (١٨٠هـ) فيهـا: "ولـيس بـين الفاعـل

(١) حكم النّبيّ الأعظم: ٣/ ٣٨٣ ، وينظر: التّرغيب والتّرهيب: ٣/ ٢٣١.

(٢) ينظر: لسان العرب: ٢/ ١٩٤ (جخا).

(٣) ينظر: الكتاب: ٤/ ٣٤٨ ، والمقتضب: ١/ ٢٣٨ ، وكافية ابن الحاجب: ١٤١ ، والمهذّب في علم التّصريف: ٢٤٣.

(٤) جامع الدّروس العربيّة: ١/ ١٨٢.

(٥) ينظر: معاني الأبنية في العربيّة: ٥٢.

(٦) ينظر: ارتشاف الضّرب: ٢/ ٥١٠.

(٧) الصّرف الواضح: ١٦٥.

(٨) ينظر: كافية ابن الحاجب: ١٤١ ، والمهذّب في علم التّصريف: ٢٤٤.

والمفعول في جميع الأفعال الّتي لحقتها الزّوائد إلّا الكسرة الّتي قبل آخر حرف والفتحة، وليس اسم منها إلّا والميم لاحقته أَوّلاً مضمومة"[١] .

وقد وردت صيغة (مَفْعُول) من الثّلاثيّ كثيرًا في حِكَم النّبيّ الأعظم، منها (مَعْقُود) في قوله (ﷺ): "الخَيلُ مَعقودٌ في نَواصيهَا الخَيرُ إلى يَومِ القِيامَةِ"[٢]. نلحظ في الحديث المبارك أنَّ اسم المفعول (معقود) الّذي اشتقّ من الفعل (عقد)، قد دلّ على ثبوت صفة الخير في الخيل. واستعمال (معقود) أدقّ وأثبت من لو استعمل الفعل (عقد)؛ لأنَّ اسم المفعول إذا قيس بالفعل دلّ على ثبوت الصّفة في الموصوف أكثر من الفعل. و(معقود في نواصيها الخير) أي: موثوقٌ بإحكام، وملازمٌ لها[٣] .

ومن تلك الأمثلة الّتي وردت على زنة مَفْعُول (موعود) في قوله (ﷺ): "إنّكُم في زَمانِ هُدنَةٍ، وإنّ السَّيرَ بِكُم سَريعٌ، وقد رَأيتُمُ اللَّيلَ والنَّهارَ يُبليانِ كُلَّ جَديدٍ، ويُقَرِّبانِ كُلَّ بَعيدٍ، ويَأْتِيانِ بكُلِّ مَوعودٍ، فَأعِدُّوا الجِهادَ لِبُعدِ المِضمارِ"[٤]. جاء اسم المفعول في الحديث المبارك المبارك من الفعل المثال المعتل بالواو(وعد).

إنَّ سياق الحديث يتكلّم عن سرعة الزّمن واقتراب الآجال، فكان اسم المفعول نكرةً عامّةً تدلُّ على شمول كلّ ما هو آتٍ ومنتظر في الحال والاستقبال. و(موعود) أدلّ على ثبوت ما وعد به الإنسان من خيرٍ وشرٍّ، فلو استعمل الفعل موضع اسم المفعول: وقيل (يأتيان بكلِّ ما وعدتم به) لدلّ المعنى على التّجدُّد والحدوث وعدم ثبات ما وعد به الإنسان.

أمَّا أبنية اسم المفعول من غير الثّلاثيّ المجرّد، فقد ورد عددٌ من هذه الأبنية، منها:

١- **مُفَعَّل:** ومثال هذا البناء المفرد من (مُكَحَّلِينَ)، وهو (مُكَحَّل)، في قوله (ﷺ): "يَدخُلُ أهلُ الجنّةِ جُرْداً مُرْداً مُكَحَّلِينَ"[٥]. و(مُكَحَّل) اسم مفعول من الفعل (كحّل) المزيد بتضعيف العين. إنَّ استعمال صيغة (فعّل) في وصف أهل الجنّة دلّ على المبالغة والتّعظيم في وصفهم، وثبات هذه الصّفة في أهل الجنّة أكثر ممّا لو استعمل الفعل (كحّلوا).

---

(١) الكتاب: ٤/ ٢٨٢.

(٢) حكم النّبيّ الأعظم: ٣/ ٤٧٤ ، وينظر: الكافي: ٥/ ٤٨.

(٣) ينظر: لسان العرب: ٩/ ٣١١ (عقد).

(٤) حكم النّبيّ الأعظم: ٢/ ٣٨٤ ، وينظر: بحار الأنوار: ٧٧/ ١٣٤.

(٥) حكم النّبيّ الأعظم: ٢/ ٥٦٥ ، وينظر: كنز العمال: ١٤/ ٤٧٧.

٢- **مُفاعَـل:** وممّـا ورد علـى هـذا البنـاء (مُعاهَـد)، فـي قولـه (ﷺ): "ألا مَـن ظَلَـمَ مُعاهَـداً، أو انتَقَصَـهُ، أو كَلَّفَـهُ فَـوقَ طاقَتِـهِ، أو أخَـذَ مِنـهُ شَـيئاً بِغَيـرِ طيـبِ نَفـسٍ. فَأنـا حَجيجُـهُ يَـومَ القِيامَـةِ"[١]. و(مُعاهَـد) اسـم مفعـول مـن الفعـل (عاهـد) المزيـد بـالألف بـين فائـه وعينـه. والأصـل فـي هـذا البنـاء أن يـدلّ علـى المشـاركة، واسـتعمال الرّسـول (ﷺ) اسـم المفعـول (مُعاهَـد) بـدلاً مـن اسـتعمال (أهـل الذّمّـة) أدلُّ وأثبـتُ لمعنـى المشـاركة؛ لأنّ العهـد لا يكـون إلّا مشـاركة بـين اثنـين وأكثر[٢].

٣- **مُؤْتَمَـل:** ومثالـه (مُـؤْتَمَن)، فـي قولـه (ﷺ): "الإمـامُ ضـامِنٌ وَالمُـؤَذّنُ مُـؤْتَمَنٌ، اللَّهُـمَّ أرشِـدِ الأَئمَـةَ وَاغْفِـر لِلْمُـؤَذّنينَ"[٣]. وهـو اسـم مفعـول مـن الفعـل (ائـتمن) المزيـد بـالهمزة فـي أوّلـه وتـاء الافتعال بين فائه وعينه.

٤- **مُسْـتَفْعَل:** وممّـا سُـجّل لهـذا البنـاء (مسـتعان)، فـي مناجاتـه (ﷺ): "اللَّهُـمَّ إنّـي أسـألُكَ بِاسمِكَ يـا حَنّـانُ، يـا مَنّـانُ، يـا دَيّـانُ، يـا بُرهـانُ، يـا سُـلطانُ، يـا رِضـوانُ، يـا غُفرانُ، يـا سُـبحانُ، يـا مُسـتَعانُ، يـا ذَا المَـنِّ وَالبَيـانِ"[٤] و(مسـتعان) اسـم مفعـول مـن الفعـل (اسـتعان) المزيـد بـالهمزة والسّين والتّاء.

وقـد وردت صـيغٌ سـماعيّةٌ لاسـم المفعـول، تـؤدّي مـا يؤدّيـه اسـم المفعـول؛ لكنّهـا ليسـت علـى أبنيته[٥]، منها:

١- **فَعيـل:** هـذا البنـاء يسـتوي فيـه المـذكّر والمؤنّـث، وهـو يحمـل فـي دلالاتـه اسـم المفعـول[٦]. ومثـال مـا ورد فـي حِكَمـه (ﷺ)، علـى هـذا البنـاء، (قتيـل)، فـي قولـه (ﷺ): "يـا أيّهـا النّـاس، أيُقتَـلُ قَتيـلٌ وأنـا بَـينَ أظهُـرِكُم لا يُعلَـمُ مَـن قَتَلَـهُ؟! لـو أنّ أهـل السـماءِ والأرض اجتَمَعُـوا علـى قتـلِ رجّـلٍ مُسـلمٍ لَعَـذَّبِهُم الله بـلا عَـددٍ ولا حسـابٍ"[٧]. فـ(قتيل) فـي الحـديث الشّـريف بمعنـى (مقتـول). (مقتـول). وبنـاء (قتيـل) أثبـت لصـفة القتـل مـن (مقتـول)؛ لأنَّ (فَعيـل) تـدلُّ علـى معنـى أقـرب

(١) حكم النّبيّ الأعظم: ٧/ ٩٤ ، وينظر: كنز العمال: ٤/ ٣٦٤.

(٢) ينظر: ارتشاف الضّرب: ١/ ١٧٤ ، و "المُعَاهَدُ: الذِّمّيُّ. وأَهلُ العهدِ: أَهل الذِّمَّةِ، فإذا أَسلموا سَقَطَ عَنْهُمُ اسْمُ الْعَهْدِ" لسان العرب: ٩/ ٤٤٩ (عهد).

(٣) حكم النّبيّ الأعظم: ٥/ ٢١٥ ، وينظر: مسند أحمد بن حنبل: ١٢/ ٨٩.

(٤) حكم النّبيّ الأعظم: ٦/ ١٣٠ ، وينظر: البلد الأمين: ٤٠٢.

(٥) ينظر: جامع الدّروس العربيّة: ١/ ١٨٤.

(٦) ينظر: الكتاب: ٣/ ٦٤٧ ، وشرح ابن عقيل: ٢/ ٦٤ .

(٧) حكم النّبيّ الأعظم: ٥/ ٩١ ، وينظر: كنز العمّال: ١٥/ ٣٣.

إلى الثّبوت، أي أنَّ وصف القتل قد وقع على صاحبه وصار وصفًا ثابتًا له، ولأنَّ صيغة (مقتول) تدلُّ على الحال والاستقبال، و(قتيل) لا تستعمل صفة مشبهة إلّا إذا اتّصف القتيل بصفة القتل[١] .

٢- **فَعُول:** ومن الأسماء الّتي وردت على هذا البناء (رسول)، في قوله (ﷺ): "أنَا رَسولُ الله (ﷺ) إلَى النّاسِ أجمَعينَ، ولكِن سَيَكونُ مِن بَعدي أئمّةً عَلَى النّاسِ مِنَ الله مِن أهلِ بَيتي، يَقومونَ فِي النّاسِ فَيُكَذَّبونَ، ويَظلِمُهُم أئمَّةُ الكُفرِ وَالضَّلالِ وأشياعُهُم..."[٢]. فـ(رسول) في حديثه (ﷺ) بمعنى (مُرْسَل)[٣].

ثالثًا: أبنية الصّفة المشبّهة:

الصّفة المشبّهة هي وصفٌ يشتقُّ من الفعل الثّلاثيّ اللّازم أو مصدره، نحو: كريم من كَرُمَ، ليدلّ على اتّصاف حدثٍ معينٍ بالموصوف بها بصفةٍ ثابتةٍ ودائمةٍ[٤] .

وسمّيت بالصّفة المشبّهة؛ لأنّها تشبه اسم الفاعل؛ إذ إنّها تذكّر وتؤنّث وتثنّى وتجمع بالواو والنّون والألف والتّاء كما هو الحال في اسم الفاعل[٥]. وهي أيضًا "تجري على الموصوفين بها في إعرابها جَرْي أسماء الفاعلين"[٦]. ولكنها مختلفة عن اسم الفاعل في عدم عدم "جريانها على أفعالها في الحركات والسّكنات وعدد الحروف"[٧]، وتختلف عنه أيضًا في في أنَّها "لازمة وظاهرها الاستمرار"[٨] .

ولكنّ هذا الثّباتَ نسبيٌّ يختلف من صيغةٍ إلى أخرى، فقد تفيد "الثّبوت والاستمرار نحو: أبكم...وأسمر...وطويل...وقد تدلُّ على وجهٍ قريبٍ من الثّبوت في نحو: نحيف...وكريم وجواد. وهي لا تدلُّ على الثّبوت في نحو: ظمآن وغضبان وريان"[٩] .

---

(١) ينظر: معاني الأبنية في العربيّة: ٥٣-٥٤.

(٢) حكم النّبيّ الأعظم:٣/ ١٥٧ ، وينظر: الكافي: ١/ ٢١٥.

(٣) ينظر: معاني الأبنية في العربيّة: ٦٠.

(٤) ينظر: كافية ابن الحاجب: ١٤١ ، والمساعد على تسهيل الفوائد: ٢/ ٢١٠ ، وجامع الدّروس العربيّة: ١/ ١٨٥ ١٨٥ ، والصّرف الواضح: ١٧٨.

(٥) ينظر: المقتصد في شرح الإيضاح: ١/ ٥٣٢ ، وتوضيح المقاصد والمسالك: ٢/ ٨٧٥.

(٦) شرح المفصّل: ٦/ ٨١.

(٧) المصدر نفسه: ٦/ ٨١.

(٨) شرح الرّضي على الشّافية: ١/ ١٤٩ ، وينظر: الصّرف الواضح: ١٨١.

(٩) معاني الأبنية في العربيّة: ٦٧.

أمَّا اشتقاقها، فهي تشتقُّ من الفعل الثّلاثيّ اللّازم فقط، من الباب الرّابِع (فعِل) أو من الباب الخامِس (فعُل)[١]. وعند اشتقاقها من غير الثّلاثيّ يجب موازنتها باسم الفاعل من غير الثّلاثيّ مع شرط وهو أن تكون دالةً على الثّبوت والدّوام[٢] .

أمَّا ما ورد من أبنية للصّفة المشبّهة في حِكَم النّبيّ الأعظم، فهو كالآتي:

١- أفعل الّذي مُؤنّثه فَعلاء:

وهذا البناء يكون في الأسماء الدّالة على حليةٍ أو لونٍ أو عيبٍ[٣]. وممّا ورد دالاً على لون في حِكَمه (ﷺ)، (أسود، أبيض، سوداء، بيضاء)، في قوله (ﷺ): "تُعرَضُ الفِتَنُ علَى القُلوبِ كالحَصير عُوداً عُوداً، فأيُّ قَلبٍ أشربَها نُكِتَت فيهِ نُكتَةٌ سَوداءُ، وأيُّ قَلبٍ أنكَرَها نُكِتَت فيهِ نُكتَةً بَيضاءُ، حتّى تَصيرَ على قَلبَينِ. على أبيضَ مثلِ الصَّفا فلا تَضُرُّهُ فِتنَةُ ما دامَتِ السّماواتُ والأرضُ، والآخَرُ أسوَدُ مُربادّاً كَالكُوزِ مُجَخِّياً؛ لا يَعرفُ مَعروفاً ولا يُنكِرُ مُنكَراً إلّا ما أُشرِبَ مِن هَواهُ"[٤] .

و(أسود مربادّ) "يريد اربداد القلب من حيث المعنى لا الصّورة، فإنَّ لون القلب إلى السّواد ما هو"[٥]. والكوز المُجَخِي هو الكوز المائل عن الاعتدال والاستقامة، أي أنّ النّور الإيمانيّ الإيمانيّ يخرج من القلب الأسود كما يخرج الماء من الكوز عند ميلانه[٦]. كما أَنَّ صفاتِ الألوانِ الّتي ذُكرت هي صفاتٌ ثابتةٌ لا تزول[٧] .

وأمَّا ما كانت دلالته على عيب، فمثاله (أجذَم)، في قوله (ﷺ): "إنَّه لا يَقتَطِعُ رَجُلٌ مالاً إلّا لَقِيَ الله عَزَّ وجلّ يومَ القِيامَةِ وهو أجذَمُ"[٨]. واستعمال (أجذم) الدّال على عيبٍ في وصف من يقتطع المال هو للدّلالة على أنَّ هذه الصّفة ثابتةٌ فيه لا تزول يوم القيامة، ومن ثمّ فإنَّ ثبوت هذه الصّفة يوم القيامة يعني أنَّه مطرودٌ من رحمة الله.

---

(١) ينظر: شرح ابن عقيل: ٣/ ٦٥ ، وجامع الدّروس العربيّة: ١/ ١٨٥-١٨٦.

(٢) ينظر: شرح ابن عقيل: ٣/ ٦٥.

(٣) ينظر: شرح الرّضي على الشّافية: ١/ ١٤٣-١٤٤ ، والمهذّب في علم التّصريف: ٢٥٤.

(٤) حكم النّبيّ الأعظم: ٣/ ٣٨٣ ، وينظر: التّرغيب والتّرهيب: ٣/ ٢٣١.

(٥) النّهاية في غريب الحديث والأثر: ٢/ ١٨٣.

(٦) ينظر: النّهاية في غريب الحديث والأثر: ١/ ٢٤٢.

(٧) ينظر: شذا العرف: ١٢٥.

(٨) حكم النّبيّ الأعظم: ٦/ ٥٤٢ ، وينظر: كنز العمّال: ١٠/ ٦٣٧.

٢- **فَعيـل:** وممّـا ورد علـى هـذا البنـاء (شَـهيد)، فـي قولـه (ﷺ): "مَـن قُتِـلَ دونَ مالِـهِ فَهُـوَ بِمَنزِلَـةِ شَـهيدٍ"[١]. وبنـاء (شَـهيد) فـي الحـديث الشّـريف دلّ علـى الوصـف الثّابـت للموصـوف بالشّهادة[٢] .

٣- **فَعُـول:** وممّـا جـاء مـن الأسـماء علـى هـذا الـوزن (طَهُـورٌ)، قولـه (ﷺ): "إذا كـانَ أحـدُكُم صـائِمًا فَليُفطِـر عَلَـى التَّمـرِ، فَـإن لَـم يَجِـدِ التَّمـرَ فَعَلَـى المـاءِ؛ فَـإِنَّ المـاءَ طَهُـورٌ"[٣]. و(الطَّهُـور) فـي الحـديث الشّـريف صـفةٌ مشـبّهةٌ للمـاء؛ لأنَّ الطّهـارة ثابتـةٌ فـي المـاء علـى وجـه الـدّوام والاستمرار. وقد تكون هذه الصّفة مشحونةً بالمبالغـةً فـي وصـف المـاء بالطّهـارة؛ كونـه طـاهرًا في نفسه ومطهّرًا لغيره[٤] .

٤- **فَعْـل:** ومـن الألفـاظ الـواردة فـي حكمـه (ﷺ)علـى هـذا البنـاء (فَـظّ)، فـي قولـه (ﷺ): "عَلَيكَ بِالرِّفقِ وَالقَولِ السَّديدِ. ولا تَكُ فَظّاً ولا غَليظاً"[٥] .

٥- **فَعِـل:** ويكـون هـذا البنـاء فـي الأمـور المكروهـات عمومًـا كـالوجع، ومـا يعسـر أمـره. ويتّسـم أيضـاً بأنَّـه ممّـا يحصـل وسـرعان مـا يـزول[٦]. يقـول سـيبويه (١٨٠هـ) فـي ذلـك: "هـذا بـاب مـا جـاء مـن الأدواء علـى مثـال وَجِـعَ يَوجَـع وَجَعـاً وهـو وَجِـعٌ، لتقـارب المعـاني"[٧]. ومثـال هـذا البنـاء (هَـرِم)، فـي قولـه (ﷺ): "لَـو أنَّ رَجُـلاً جُـرَّ عَلـى وَجهِـهِ مِـن يَـومَ وُلِـدَ إلـى يَـوم يَمـوتُ هَرِمـاً فـي طاعَـةِ اللهِ عزّ وجلّ لَحَقَّـرَ ذلـكَ يَـومَ القِيامَـةِ. وَلَـوَدَّ أنَّـهُ يُـرَدُّ إلَـى الـدّنيا كَيمـا يَـزدادَ مِـنَ الأجر والثَّواب"[٨] .

٦- **فُعْـل:** وممّـا ورد فـي حديثـه (ﷺ) علـى هـذا البنـاء (الفُحْـش)، فـي قولـه (ﷺ): "مـا كـانَ الفُحْشُ في شَيءٍ إلّا شانَهُ، ولا كانَ الحياءُ في شَيءٍ قَطُّ إلّا زانَهُ"[٩].

---

(١) حكم النّبيّ الأعظم: ٧/ ٩٦ ، وينظر: الكافي: ٧/ ٢٩٦.
(٢) ينظر: معاني الأبنية في العربيّة: ٨٥-٨٦.
(٣) حكم النّبيّ الأعظم: ٦/ ٨٧ ، وينظر: كنز العمال: ٨/ ٥٠٩.
(٤) ينظر: كتاب الطّهارة، أبو القاسم الخوئيّ: ٣/ ٥٩.
(٥) حكم النّبيّ الأعظم: ٤/ ٣١٥ ، وينظر: بحار الأنوار: ١٨/ ١٠٤.
(٦) ينظر: شرح الرّضي على الشّافية: ١/ ١٤٣-١٤٤ ، ومعاني الأبنية في العربيّة: ٧٢-٧٤.
(٧) الكتاب: ٤/ ١٧.
(٨) حكم النّبيّ الأعظم: ٥/ ١٥٠ ، وينظر: كنز العمال: ١٥/ ٧٨٨.
(٩) حكم النّبيّ الأعظم: ٤/ ٣٩١ ، وينظر: بحار الأنوار: ٧١/ ٣٣٤.

٧- **فَعَـل:** ومثالـه (حَسَـن)، فـي قولـه (ﷺ): "العَـدلُ حَسَـنٌ ولكـنْ فـي الأُمَـرَاءِ أحسَـنُ، السَّـخاءُ حَسَنٌ ولكنْ في الأغْنِياءِ أحسَنُ، الوَرَعُ حَسنٌ ولكنْ في العُلَماءِ أحسَنُ"(١) .

٨- **فُعُـل:** وممّـا سُـجّل علـى هـذا الـوزن الصّـرفيَ (جُنُـب)، فـي قولـه (ﷺ): "عِشـرونَ خَصـلَةً تـورِثُ الفَقـرَ: أوَّلُهَـا القِيـامُ مِـنَ الفِـراشِ لِلبَـولِ عُريانـاً، وَالأَكـلُ جُنُبـاً، وتَـركُ غَسـلِ اليَـدَينِ عِنـدَ الأَكلِ، وإهانَةُ الكَسرَةِ مِنَ الخُبزِ..."(٢) .

٩- **فَعْـلان الّـذي مؤنثّـه فَعْلَـى:** إنَّ هـذا البنـاء يكـون مـن البـاب الرّابـع (فعِـل-يفعَـل)، ويـدلّ فـي الغالـب علـى حـرارة البـاطن أو امـتلاء(٣).يقـول سـيبويه (١٨٠هـ) فـي هـذا البنـاء : "أَمَّـا مـا كـان مـن الجـوع والعطـش فإنَّـه أكثـر مـا يبنـى فـي الأسـماء علـى فَعْـلان"(٤). وقـد يـدلُّ أيضًـا علـى الحـدوث والتّجـدّد فـي الصّـفات؛ ولكـن زوالهـا يكـون قلـيلاً(٥). ومثـال مـا دلّ علـى حـرارة البـاطن وخلـوٍّ (ضـمآن)، فـي قولـه (ﷺ): "إنَّ الله تَعـالى جَعَـلَ قُـرَّةَ عَينـي فِـي الصَّـلاةِ، وحَبّبهـا إلَـيَّ كَمـا حُبِّـبَ إلَـى الجـائِعِ الطَّعـامُ، وإلَـى الظَّمـآنِ المـاءُ"(٦). و (الظَّمـآنِ) صـفة مشـبّهة؛ لكنهـا تـدلّ على التّجدّد وزوالها يكون شيئًا فشيئاً(٧).

ومثـال مـا دلّ علـى امـتلاء (ريّـان)، فـي قولـه (ﷺ): "إنَّ لِلجَنّـةِ بابـاً يُـدعى الرَّيَّـانَ لا يَـدخُلُ مِنهُ إلَّا الصَّائمونَ"(٨) .

١٠- **فُعْـلان:** ومـن الأسـماء فـي حِكَمـه (ﷺ) الّتـي اسـتقرّت علـى هـذا البنـاء (عُريـان)، فـي قولـه (ﷺ): "الإسـلامُ عُريـانٌ، فَلِباسُـهُ الحَيـاءُ وزينَتـهُ الوَقـارُ ومُروءَتُـهُ العَمَـلَ الصَّـالِحُ وعِمـادُهُ الوَرَعُ. ولِكُلّ شَيءٍ أساس، وأساس الإسلامِ حَبُّنا أهلَ البَيتِ"(٩) .

١١- **فَعّـال:** ومثـال هـذا البنـاء (جَبّـان)، فـي قولـه (ﷺ) الّـذي يصـف فيـه فائـدة السّـفرجل: "يُجِمُّ الفُؤادَ، ويُسَخِّي البَخيلَ، ويُشَجِّعُ الجَبان"(١).

---

(١) حكم النّبيّ الأعظم: ٤/ ٣٠٠ ، وينظر: كنز العمال: ١٥/ ٨٩٦.

(٢) حكم النّبيّ الأعظم: ٧/ ١٣٨ ، وينظر: بحار الأنوار: ٧٦/ ٣١٥.

(٣) ينظر: شرح الرّضي على الشّافية: ٢/ ١٤٥.

(٤) الكتاب: ٤/ ٢١.

(٥) ينظر: شذا العرف: ١٢٥ ، ومعاني الأبنية في العربيّة: ٨٠.

(٦) حكم النّبيّ الأعظم: ٥/ ٢٤١ ، وينظر: بحار الأنوار: ٨٢/ ٢٣٢.

(٧) ينظر: معاني الأبنية في العربيّة: ٦٧

(٨) حكم النّبيّ الأعظم: ٢/ ٥٦١ ، وينظر: بحار الأنوار: ٩٦/ ٢٥٢.

(٩) حكم النّبيّ الأعظم: ٣/ ١٢٩ ، وينظر: الكافي: ٢/ ٤٦.

رابعًا : أبنية المبالغة:

لم يضع النّحويّون القدامى حدًّا واضحًا ومستقلّاً لمفهوم صيغة المبالغة، وإنّما ارتبط هذا المفهوم ارتباطًا وثيقًا باسم الفاعل؛ إذ إنَّ صيغة المبالغة لا تختلف عن اسم الفاعل إلّا من حيث دلالتها على الكثرة والمبالغة، وهذا ما قاله سيبويه (١٨٠هـ): "وأجروا اسمَ الفاعِل، إذا أرادوا أن يبالِغوا في الأمر، مُجراه إذا كان على بناء فاعِل، لأنّه يريد به ما أراد بفاعل من إيقاع الفعل، إلاّ أنّه يريد أن يُحدَّثَ عن المبالغة"(٢). وإلى مثل هذا أشار المبرّد (٢٨٥هـ) بقوله: "اعلم أنّ الاسم من (فَعل) على (فاعل)؛ نحو قولك: ضرب فهو ضارِب...فإن أردت أن تُكثِّر الفعل كان للتّكثير أبنية: فمن ذلك (فَعَّال) تقول: رجل قَتَّال، إذا كان يُكثر القَتْل. فأَمَّا قاتِلٌ، فيكون للقليل والكثير؛ لأَنَّه الأَصلُ"(٣) .

وأمَّا عند المحدثين، فكان المفهوم أكثر وضوحًا واستقرارًا، فقد حدّه الشّيخ مصطفى الغلاييني بقوله: "ألفاظٌ تدلُّ على ما يدُلُّ عليه اسمُ الفاعل بزيادة وتسمّى: صيغَ المُبالغة"(٤). وحدّها الدّكتور عبد الهادي الفضليّ بقوله: "هي الأوزان أو الهيئات الّتي يحوّل إليها اسم الفاعل إذا أُريد به الدّلالة على الكثرة والمبالغة في اتّصاف الذّات بالحدث"(٥). ويُفهم ممّا سُطر أن الفائدة من صيغ المبالغة هو التّكثير في حدث اسم الفاعل.

أمَّا أشهر أبنيتها المتفق عليها بين القدامى والمحدثين، فهي: فَعَّال نحو: مَنَّان، فَعولٌ نحو: صَبور، فَعِل نحو: حَذِر، مِفْعال نحو: مِهْذار، فَعِيل نحو: عَلِيم(٦). وقد نقل السّيوطيّ (٩١١هـ) في المزهر عن ابن خالويه (٣٧٠هـ) أبنيةً أُخر، مشيرًا إلى أنّ هنالك اثنا عشرَ بناءً للمبالغة في كلام العرب(٧) .

وفي الواقع أنَّ حصر أبنية صيغة المبالغة في العربيّة أمرٌ ليس باليسير، فقد ذكرت الأستاذة الدّكتورة خديجة الحمدانيّ أن أبنية المبالغة في كلام العرب تزيد على ثمانين بناءً، تقول في ذلك معقّبةً على العدد الّذي نقله السّيوطيّ عن ابن خالويه: "فمن خلال تتبّعنا

---

(١) حكم النّبيّ الأعظم: ٧/ ٢٥٨ ، وينظر: بحار الأنوار: ٦٦/ ١٦٦.

(٢) الكتاب: ١/ ١١٠.

(٣) المقتضب: ٢/ ١٢٢.

(٤) جامع الدّروس العربيّة: ١/ ١٩٣.

(٥) مختصر الصّرف: ٥٩.

(٦) ينظر: الكتاب: ١/ ١١٠ ، والمهذّب في علم التّصريف: ٢٣٨.

(٧) ينظر: المزهر: ٢/ ٢٤٣.

لصيغ المبالغة في لسان العرب وجدنا عددها أكثر من ذلك بكثير؛ إذ كانت تزيد على الثّمانين صيغةً"[١] .

أمَّا ما ورد من أبنية صيغ المبالغة في حكمه المباركة، فهو الآتي:

١- **فَعَّال:** وتدلُّ هذه الصّيغة على تكرار الفعل، والاستمرار عليه، وملازمة الحدث، والإعادة والتّجديد[٢]. وهذه الصّيغة "لم تسْتَعْمل إِلَّا حَيْثُ يُمكن الْكَثْرَة، فَلَا يُقَال موَّات، وَلَا قتَّال زيدًا بِخِلَاف قتَّال النَّاس"[٣]، ومثال فَعَّال (جَوَّاظ)، في قوله ( ):ﷺأَدُلُّكُم على أهل الجنّةِ؟! الجنّةِ؟! كلُّ ضعيفٍ مُستضعَفٍ لو أقسَمَ على اللهِ لَأبرَّهُ. ألَا أُدُلُّكُم على أهلِ النّارِ؟! كلُّ مُتَكبّرٍ جَوَّاظٍ"[٤]. و(الجوّاظ) هو الّذي جمع ومنع[٥]. وقد دلّ هذا البناء على كثرة القيام بجمع المال ومنعه، حتّى صار (الجوّاظ) حرفته وصنعته جمع المال[٦] .

٢- **فَعُول:** وتكون هذه الصّيغة لمن دام منه الفعل، أو يكون عادةً منه؛ لكثرة مداومته على فعله[٧]. وممّا جاء من الأسماء على هذا الوزن (الكَذوبُ)، في قوله ( ): ﷺمُ الخَطايا الخَطايا اللِّسانُ الكَذوبُ"[٨]. و(كَذُوبُ) مبالغةٌ في الكذب، و(لسان كذوب) قد اعتاد على الإكثار من الكذب حتّى صار الكذب عادةً ملازمةً له. واستعمال (كَذُوبُ) في هذا الموضع أدقّ من استعمال (كاذِب) أو (كذّاب)؛ لأنَّ في (كاذب) قد يكون الكذب مرّةً أو مرتين، وفي (كذّاب) يكون الكذب حرفةً له. أَمَّا (كَذُوب)، فكان أنسب للدّلالة على المبالغة في صفة اللّسان الّذي يلازم الكذب[٩].

---

(١) أبحاث صرفيّة، خديجة الحمدانيّ: ٢٠٤.

(٢) ينظر: المقتضب: ٣/ ١٦١ ، وشرح الرّضي على الشّافية: ٢/ ٨٤-٨٥ ، وهمع الهوامع: ٥/ ٨٧ ، ومعاني الأبنية في العربيّة: ٩٤-٩٦.

(٣) همع الهوامع: ٥/ ٨٧.

(٤) حكم النّبيّ الأعظم: ٢/ ٥٦٥ ، وينظر: صحيح البخاريّ: ٦/ ٢٤٥٢.

(٥) ينظر: معجم ديوان الأدب: ٣/ ٣٥٧.

(٦) ينظر: مفاتيح الغيب(تفسير الرازيّ) : ٣٠/ ١٣٨.

(٧) ينظر: معجم ديوان الأدب: ١/ ٨٥ ، والمعجم المفصّل في علم الصّرف: ٥٧٠.

(٨) حكم النّبيّ الأعظم: ٥/ ١٠٨ ، وينظر: كنز العمّال: ٣/ ٦١٩.

(٩) ينظر: معاني الأبنية في العربيّة: ١٠٠.

٣- **مِفْعـال:** وتكـون هـذه الصّـيغة صـفةً لمـن اعتـاد الفعـل، أو دام منـه الشّـيء، أو يجـري علـى غيـر عـادةٍ فيـه[١]. وممّـا ورد علـى هـذه الصّـيغة فـي حِكَـم النّبـيّ الأعظـم، (مِـدرار) فـي قولـه (ﷺ): "إيّـاكُم أن تَشَـمُّوا الخُبـزَ كَمـا تَشَـمُّهُ السِّـباعُ؛ فَـإنَّ الخُبـزَ مُبـارَكٌ. أرسَـلَ الله عـزّ وجـلّ لَـهُ السَّـماءَ مِـدراراً. ولَـهُ أنبَـتَ الله المَرعـى، وبِـهِ صَـلَّيتُم، وبِـهِ صُـمتُم، وبِـهِ حَجَجـتُم بَيـتَ رَبّكُـم"[٢]. فبنـاء (مِـدرار) هـو مبالغـةٌ دلّ علـى مداومـة إحـداث الفعـل ألا وهـو مداومـة إرسـال المطـر مـن السّماء.

٤- **فَعيـل:** وهـذا البنـاء مشـتركٌ بـين الصّـفة المشـبّهة وصـيغة المبالغـة، ويـدلّ علـى تكـرار الفعـل حتّـى يصـبح كأنَّـه سـجيّةٌ وطبـعٌ ثابـتٌ فـي صـاحبه[٣]. ومثـال هـذا البنـاء لفظـة (كَـريمُ)، الـواردة فـي قولـه (ﷺ): "إنَّ رَبَّكُـم حَيِـيٌّ كَـريمُ، يَسـتَحيي أن يَرفَـعَ العَبـدُ يَدَيـهِ فَيَرُدَّهُمـا صِـفراً لا خَيـرَ فيهمـا"[٤]. وبنـاء (كَـريمُ) فـي المبالغـة دلّ علـى تكـرار الكـرم مـن الله عـزّ وجـلّ، والمبالغـة فـي العطاء دون نفاد أو نهاية. فـ(كَريمُ) مبالغة في كونه ذا كرمٍ.

٥- **فِعِّيـل:** وهـذه الصّـيغة هـي "لِمـن دام منـه الفعـلُ، نحـو: (رَجِـلٌ سِـكِّير)...ولا يقـال ذلـك لمـن فَعَـل الشّـيء مـرّة أو مَـرَّتين، حتّـى يكثـرَ منـهُ أو يكـونَ لـه عـادةٌ"[٥]. ومـن أمثلـة ذلـك فـي حديثـه المبـارك (صِـدِّيق)، فـي قولـه (ﷺ): "علَـيكُم بِالصِّـدقِ؛ فـإنَّ الصِّـدقَ يَهـدِي إلـى البِـرِّ، وإنَّ البِـرَّ يَهـدِي إلـى الجَنَّـةِ، ومـا يَـزالُ الرَّجُـلُ يَصـدُقُ ويَتَحَـرَى الصِّـدقَ حتَّـى يُكتَـبَ عنـدَ اللهِ صِـدِّيقاً"[٦]. فـ(صِدِّيق) هـو المولـعُ فـي الصّـدق، و(الصِـدِّيق) "مُبَالَغَـةٌ فِـي كَوْنِـهِ صَـادِقًا وَهُـوَ الَّـذِي يَكُـونُ عَادَتُهُ الصِّدْقَ لِأَنَّ هَذَا الْبِنَاءَ يُنْبِئُ عَنْ ذَلِكَ"[٧] .

خامسًا: بناء اسم التّفضيل:

---

(١) ينظر: أدب الكاتب: ٢٢٠.

(٢) حكم النّبيّ الأعظم: ٣/ ٤٨٣ ، وينظر: الكافي: ٦/ ٣٠٣.

(٣) ينظر: معاني الأبنية في العربيّة: ١٠٢.

(٤) حكم النّبيّ الأعظم: ٥/ ٣٨٠ ، وينظر: المعجم الكبير: ١٢/ ٣٢٣.

(٥) أدب الكاتب: ٢٢٠.

(٦) حكم النّبيّ الأعظم: ٤/ ٤٥٢ ، وينظر: كنز العمّال: ٤/ ٣٤٦.

(٧)مفاتيح الغيب(تفسير الرازيّ): ٢١/ ٢٢٣.

اسم التّفضيل هو "الوصف المصوغ على أَفْعَل دالًا على زِيَادَتِهِ في محل بالنسبة إلى محل آخر"(١)، أو هو "الاسم المَصُوغ من المصدر للدّلالة على أنَّ شيئين اشتركا في صفةٍ وزاد أحدهما على الآخر في تلك الصّفة"(٢)، ويسمّى الّذي زاد تلك الصّفة (المفضّل)، ويسمّى الآخر (المفضّل عليه)(٣). يشتقّ اسم التّفضيل من الفعل الثّلاثيّ المجرّد أو مصدره على وزن واحد وهو (أفْعَل) ومؤنّثه (فُعْلَى)(٤) .

وأفاض علماؤنا قديمًا وحديثًا في بيان شروط صياغته، فقد ذكروا أنّه يُصاغ ممّا صيغ منه فعل التّعجّب؛ إذ إنّه لا يشتقُّ إلّا من فعلٍ ثلاثيّ، تامٍّ، متصرّفٍ، مثبتٍ غير منفي، مبني للمعلوم، قابلٍ للتفاوت والمفاضلة، غير دالٍّ على لونٍ أو عيبٍ(٥) .

واسم التّفضيل باعتبار اللّفظ ثلاث حالاتٍ، منها ما هو مجرّدٌ من (أل) والإضافة، ومنها ما يكون محلّى بـ(أل)، والحالة الأخيرة يكون مضافًا(٦)، وقد وردت كلّها في حِكَمه ﷺ.

فإذا كان مجرّدًا من (أل) والإضافة، وجب مجيء (من) الجارّة بعد اسم التّفضيل(٧)، ومثال ذلك ما ورد في دعائه (ﷺ): "يا أَكرَمَ مِن كُلِّ كَريمٍ، وأَرَأَفَ مِن كُلِّ رَؤُوفٍ، وأعطَفَ مِن كُلِّ عَطوفٍ"(٨). فأسماء التّفضيل الواردة في الحديث الشّريف، جاءت مجرّدةً من (أل) والإضافة، وقد وردت (من) الجارّة بعدها.

وقد تحذف (من) لفظًا لا معنى، كما في قوله (ﷺ): "عَجِبتُ لِمَن يَشتَرِي المَمالِيكَ بِمالِهِ ثُمَّ يُعتِقُهُم كَيفَ لا يَشتَرِي الأحرارَ بِمَعروفِهِ ؟! فَهُوَ أعظَمُ ثوابًا"(٩)، فورد اسم التّفضيل (أعظم) مجرّدًا من (أل) والإضافة، وحُذف المفضّل عليه مع (من) الجارّة، وفُهم بدلالة السّياق، وتقديره: (أعظم منه ثوابًا). ومن المفيد أن نشير إلى أنّ المفضّل وهو (شراء

(١) ارتشاف الضّرب: ٥/ ٢٣١٩.
(٢) شذا العرف: ١٢٧.
(٣) ينظر: الصّرف الوافي: ١٤٦ ، والمهذّب في علم التّصريف: ٢٦٠.
(٤) ينظر: شرح المفصّل: ٦/ ٩٢.
(٥) ينظر: ارتشاف الضّرب: ٥/ ٢٣١٩ ، والمساعد على تسهيل الفوائد: ٢/ ١٦٦ ، وشرح الأشمونيّ: ٢/ ٣٨٣-٣٨٤ ، والتّطبيق الصّرفيّ: ٨٠-٨١.
(٦) ينظر: المساعد على تسهيل الفوائد: ٢/ ١٦٧ ، وشذا العرف: ١٢٩-١٣١.
(٧) ينظر: شذا العرف: ١٢٧.
(٨) حكم النّبيّ الأعظم: ٢/ ١٢ ، وينظر: بحار الأنوار: ٨٩/ ٣٧٤.
(٩) حكم النّبيّ الأعظم: ٣/ ٥٨٤ ، وينظر: تحف العقول: ٢٠٤.

الأحـرار)، والمفضّـل عليـه وهـو (عتـق المماليـك)، قـد اشـتركا فـي معنـى واحـد، وهـو الأجـر والثّواب؛ ولكن فُضّل أحدهما على الآخر[١] .

ومثـال مـا يكـون محلّـى بـ(أل)، (الأكثـرون)، الـوارد فـي الحـديث المبـارك:- "اِنتَهَيـتُ إلـى رَسـولِ اللهِ (ﷺ) وهُـوَ يَقـولُ فـي ظِـلِّ الكَعبَـةِ: هُـمُ الأَخسَـرونَ ورَبِّ الكَعبَـةِ! هُـمُ الأَخسَـرونَ ورَبِّ الكَعبَةِ!...فَقُلتُ: مَن هُم – بِأبّي أنتَ وأُمّي! – يا رَسولَ اللهِ؟ قالَ: الأكثَرونَ أموالاً..."[٢] .

ومثـال مـا كـان مضـافًا، قولـه (ﷺ): "إنّ أقـرَبَكُم مِنّـي غَـدًا وأوجَـبَكُم عَلَـيَّ شَـفاعَةً: أصـدَقُكُم لِسـانًا، وأدّاكُـم لِلأمانَـةِ، وأحسَـنكُم خُلُقـا، وأقـرَبُكُم مِـنَ النّـاسِ"[٣]. نلحـظ فـي الحـديث المبـارك أنَّ أسماء التّفضـيل الـواردة فيـه كلّهـا مضـافة إلـى ضـمير المخاطـب الكـاف، وقـد يـرد اسـم التّفضـيل محـذوف الهمـزة؛ وذلـك لكثـرة الاسـتعمال[٤]. وممّـا ورد مـن أسـماء تفضـيل فـي حِكَمـه (ﷺ) محذوفـة الهمـزة (خَيرٌ ـ شـرّ)، ف(خيـرٌ) فـي قولـه (ﷺ): "الفَقـرُ خَيـرٌ للمـؤمِنِ مِـنَ الغِنـى"[٥]. فقد دلّ (خيـر) علـى التّفضـل بـين صـفتين مختلفتـين (الفقـر والغنـى). أيّ أن صـفة الفقـر أفضـل للمؤمن من صفة الغنى.

و(شَـرّ)، فـي قولـه (ﷺ): "إنَّ شـرَّ النّـاسِ مَنزِلَـةً عِنـدَ الله يَـومَ القيامَـةِ عـالِمٌ لا يُنتَفَـعُ بِعلمِـهِ، وَمَـن طَلَـبَ عِلمًـا ليَصـرِفَ بِـهِ وُجـوهَ النَّـاسِ إليـهِ لَـم يَجِـد ريـحَ الجَنَّـةِ"[٦]. وأصـل (شَـرّ) هـو (أَشْـرّ) (أَشْرّ) "ولا يقال أَشَرُّ النّاسِ إلّا في لغة رديئة"[٧] .

سادساً: أبنية اسم الآلة:

اسـم الآلـة "هـو اسـمٌ مَصُـوغٌ مـن مصـدر ثلاثـيّ، لمـا وقـع الفعـل بواسـطته"[٨]. ويسـمّي سـيبويه سـيبويه (١٨٠هـ) هـذا البـاب "مـا عالجـت بـه"[٩]. يتميـز اسـم الآلـة بأنَّـه يقـوم بـدورٍ جـوهريّ فـي

(١) ينظر: المساعد على تسهيل الفوائد: ٢/ ١٧٠.
(٢) حكم النّبيّ الأعظم: ٧/ ١٧١ ، وينظر: صحيح البخاريّ: ٧/ ٢٤٤٧.
(٣) حكم النّبيّ الأعظم: ٢/ ٥٥١ ، وينظر: بحار الأنوار: ٦٩/ ٣٨١.
(٤) ينظر: ارتشاف الضّرب: ٥/ ٢٣٢٠ ، وشذا العرف: ١٢٨.
(٥) حكم النّبيّ الأعظم: ٦/ ٦١٥ ، وينظر: بحار الأنوار: ٧٢/ ٥٦.
(٦) حكم النّبيّ الأعظم: ٧/ ٥٩٧ ، وينظر: مكارم الأخلاق: ٤٦٠.
(٧) الصّحاح تاج اللُّغة وصحاح العربيّة: ٢/ ٦٩٥ (شرر).
(٨) شذا العرف: ١٣٥ ، وينظر: وجامع الدّروس العربيّة: ١/ ٢٠٤ ، وأبنية الصّرف في كتاب سيبويه: ٢٩٠ .
(٩) الكتاب: ٤/ ٩٤.

إيجاز الدّلالة المعنويّة؛ إذ "يؤدّي باللّفظة المنفردة ما لا يؤدّيه غيره إلّا بالكلمات المتعدّدة"(١) .

ذكر القدامى ثلاثةَ أوزانٍ قياسيّة مطّردة لاسم الآلة، هي: مِفْعَال، مِفْعَلة، مِفْعَل(٢). وزاد المحدثون أوزانًا أخرى؛ بسبب شيوعها، ومواكبة اللّغة للتّطور الحاصل. وهذه الأوزان هي : (فاعِلة) نحو: ضاغِطة، و(فاعُول) نحو: ساطور، و(فِعَال) نحو: قِناع، و(فَعَّال) نحو: جَرّار، و(فَعَّالة) نحو: سمّاعة، و(فِعِيل) نحو: سِكِين(٣).

أمَّا ما ورد من هذه الأبنية في حِكَم النّبيّ الأعظم، فقد ورد وزنان من المجموعة الأولى، وهما (مِفْعَال، مِفْعَلَة)، ووزنٌ واحدٌ من المجموعة الثّانية وهو (فِعَال)، وهذه الأوزان هي:

١- مِفْعَال:

وممّا جاء من أسماء الآلات على هذا البناء في حِكَمه (ﷺ)، (المِنشارِ)، في قوله (ﷺ): "إيّاكَ أن تُشرِكَ بِاللهِ طَرفَةَ عَينٍ وإن نُشِرتَ بِالمِنشارِ، أو قُطّعتَ، أو صُلِبتَ، أو أُحرقتَ بِالنّارِ"(٤) . و(منشار) اسم آلة مشتقّ من الفعل الثّلاثيّ (نشر).

و(المكيال، الميزان)، في قوله (ﷺ): "خَمسٌ إذا أدرَكتُموهُنَّ فَتَعَوَّذوا بِاللهِ عزّ وجلّ مِنهُنَّ:...ولَم يَنقُصُوا المِكيالَ وَالميزانَ إلّا أُخِذوا بِالسِّنينَ وشِدَّةِ المَؤونَةِ وجَورِ السُلطانِ..."(٥). السُلطانِ..."(٥). وهما اسما آلة من الفعلين (كال، وزن).

و(المفتاح) في قوله (ﷺ): "نَحنُ أهلَ البَيتِ مَفاتيحُ الرَّحمَةِ، ومَوضِعُ الرّسالَةِ، ومُختَلَفُ المَلائِكَةِ، وَمعدِنُ العِلمِ"(٦) و(مفاتيح) جمعٌ لاسم الآلة (مفتاح)، المشتقّ من الفعل (فتح).

٢- مِفْعَلَة:

ولم يرد هذا البناء في حِكَمه (ﷺ) إلّا مُعَلّاً، ومثاله (المِرآة)، في قوله (ﷺ): "المُؤْمِنُ مِرآةٌ لِأَخِيهِ المُؤْمِنِ؛ يَنصَحُهُ إذا غابَ عَنهُ، ويُمِيطُ عَنهُ ما يَكرَهُ إذا شَهِدَ، ويُوَسِّعُ لَهُ في المَجلِسِ"(١). وأصل مرآة: مِرْأَيَة، فأعلّت الياء ألفًا.

---

(١) النّحو الوافي: ٣/ ٣٣٣.

(٢) ينظر: الكتاب: ٤/ ٩٤-٩٥ ، وشرح الرّضيّ على الشّافية: ١/ ١٨٦. وارتشاف الضّرب: ٢/ ٥٠٧-٥٠٨.

(٣) ينظر: الصّرف الواضح: ٢٠٨ ، والمهذّب في علم التّصريف: ٢٧٥.

(٤) حكم النّبيّ الأعظم: ٤/ ٥٥٠ ، وينظر: بحار الأنوار: ٧٧/ ١٠٧.

(٥) حكم النّبيّ الأعظم: ٢/ ١٣٩-١٤٠ ، وينظر: الكافي: ٢/ ٣٧٣.

(٦) حكم النّبيّ الأعظم: ٣/ ١١٢ ، وينظر: فرائد السّمطين: ١/ ٤٤.

٣- **فِعَال :**

ومثال هذا البناء، (سِراج)، في قوله (ﷺ): "لِكلِّ شَيءٍ سِراج، وسِراج قَلبِ المُؤْمِنِ الصَّلَواتُ الخَمس"[٢] .

وقد يكون اسم الآلة جامدًا، غير مشتقٍّ من الفعل، ولا يُضبط بوزنٍ خاصٍّ[٣]، نحو: سيف، رمح، وفأس، درع، وغيرها. وممّا ورد في حِكَمه (ﷺ) (السّيف)، في قوله (ﷺ): "فِتنَةُ اللِّسانِ أَشَدُّ مِن ضَربِ السّيف"[٤] .

و(الرّمح)، في قوله (ﷺ): "إنّ الرجَلَ لَيَدنُو مِن الجَنَّةِ حتّى ما يكونُ بينَهُ وبينَها إلا قِيدُ رُمحٍ، فيَتَكلَّمُ بالكَلِمَةِ فَيَتباعَدُ مِنها أَبعَدَ مِن صَنعاءَ"[٥]. و(فأس)، في قوله (ﷺ): "مَن وَلِيَ عَشرَةً فَلَم يَعدِلْ فيهِم جاءَ يَومَ القِيامَةِ ويَداهُ ورِجلاهُ ورَأْسُهُ في ثَقبِ فَأسٍ"[٦]. و(درع)، في قوله (ﷺ): "مَثَلُ الّذي يَعمَلُ السَّيّئاتِ ثُمّ يَعمَلُ الحَسَناتِ كمَثَلِ رجُلٍ علَيهِ درعٌ ضَيِّقَةٌ قد خَنَقتهُ، فكُلّما عَمِلَ حَسَنةً انتَقَضَت حَلقَةٌ ثُمّ أخرى حتّى يَخرُجَ إلى الأرض"[٧]. وجميع ما ذكر اسمُ آلةٍ جامدٍ غيرِ مشتقٍّ، ولا يُضبط بوزنٍ محدّد.

سابعًا: أبنية اسمي الزّمان والمكان:

اسمي الزّمان والمكان "هما اسمان مشتقّان من المصدر مبدوءان بميمٍ زائدةٍ، للدّلالة على زمان وقوع الفعل أو مكانه"[٨]

يُصاغ اسمي الزّمان والمكان من الفعل الثّلاثيّ وغيره. أمَّا اشتقاقه من الثّلاثيّ المجرّد، فيكون على وزنين[٩]، وهما:

١- **مَفْعَل :**

وهو بناءٌ قياسيٌّ يكون في كلّ فعلٍ معتلّ اللّام مطلقًا، أو الفعل الأجوف الواويّ، وفي كلّ فعلٍ ثلاثيّ مفتوح العين أو مضمومها في المضارع[١٠]. ومن الأسماء الّتي وردت على هذا

---

(١) حكم النّبيّ الأعظم: ٦/ ٥٤٥ ، وينظر: بحار الأنوار: ٧٤/ ٢٣٣.

(٢) حكم النّبيّ الأعظم: ٥/ ٢٥٢.

(٣) ينظر: شذا العرف: ١٣٥.

(٤) حكم النّبيّ الأعظم: ٧/ ٥١١ ، وينظر: بحار الأنوار: ٧١/ ٢٨٦.

(٥) حكم النّبيّ الأعظم: ٧/ ٤٩٦ ، وينظر: التّرغيب والتّرهيب: ٣/ ٥٣٧.

(٦) حكم النّبيّ الأعظم: ٤/ ٣٣٤ ، وينظر: بحار الأنوار: ٧٥/ ٣٤٥.

(٧) حكم النّبيّ الأعظم: ٤/ ٧٩ ، وينظر: كنز العمال: ٤/ ٢٤٣.

(٨) الصّرف الواضح: ٢٠٢ ، وينظر: أبنية الصّرف في كتاب سيبويه: ٢٨٧.

(٩) ينظر: شذا العرف: ١٣٣.

(١٠) ينظر: تصريف الأسماء والأفعال: ١٧٢.

البناء في حِكَم النّبيّ الأعظم، (مَخْرَج) في قوله (ﷺ): "مَن لَزِمَ الإِسْتِغْفارَ جَعَلَ اللهُ لَهُ مِن كُلِّ ضيقٍ مَخْرَجاً، ومِن كُلِّ هَمٍّ فَرَجاً، ورَزَقَهُ مِن حَيثُ لا يَحتَسِبُ"(١). و(مَخْرَج) هو اسم مكان الخروج، من الفعل الثّلاثيّ (خرج).

ومن شواهد هذا البناء (مَركَبُ)، في حكمته ﷺ المباركة: "القَناعَةُ مُلكٌ لا يَزولُ. وهِيَ مَركَبُ رِضَا اللهِ تَعالى، تَحملُ صاحِبَها إلى دارِهِ"(٢). وهو اسم مكان المركب، من الفعل (ركب).

٢- **مَفْعِل** :

ويُصاغ هذا البناء من كلِّ فعلٍ ثلاثيّ مسكور العين في المضارع، وكلّ فعلٍ ثلاثيّ صحيح اللّام(٣)، قال سيبويه (١٨٠هـ): "أمَّا ما كان من (فعَل يفعِل) فإنَّ موضع الفعل (مَفْعِل)، وذلك قولك: هذا مَحْبِسنا، ومَضْرِبنا، ومَجْلِسنا، كأنَّهم بنوه على بناء (يفعِل)، فكسروا العين كما كسروها في (يفعِل)"(٤). ومثال هذا البناء (مَجْلِس)، في قوله (ﷺ إذا "إذا أتى أحدُكُم مَجْلِسًا فلْيَجلِسْ حيثُ ما انتهى مجلسُهُ"(٥). وهو اسم مكان المجلس، من الفعل (جلس).

أمَّا معتلّ الفاء بالواو، فقال سيبويه (١٨٠هـ) فيه: "فكلّ شيءٍ كان من هذا (فعَل) فإنَّ المصدر منه من بنات الواو والمكان يبنى على (مَفْعِل) وذلك قولك للمكان: المَوْعِد، والمَوْضِع، والمَوْرِد"(٦). ومثال هذا البناء (مَولِدُ)، في قوله (ﷺ):"يا أبا ذَرّ، مَن أحَبَّنا أهلَ البَيتِ فَليَحمَدِ اللهَ عَلى أوَّلِ النِّعَمِ. قالَ: يا رَسولَ اللهِ، وما أوَّلُ النِّعَمِ؟ قالَ: طيبُ الوِلادَةِ، إنَّهُ لا يُحِبُّنا إلّا مَن طابَ مَولِدُهُ"(٧). فـ(مولد) اسم مكان من الفعل المثال الواويّ الصّحيح الآخَر الآخَر (ولد).

وقد وردت أسماء مكانٍ على زنة (مَفْعِل)، مشتقّة من فعلٍ مضموم العين في المضارع، وورد مخالفًا للقياس الّذي يوجب فيها فتح العين (مَفْعَل)(٨)، ومن ذلك (المَسجِدِ)، في قوله (

(١) حكم النّبيّ الأعظم: ٣/ ٤٤٤ ، وينظر: سنن ابن ماجه: ٢/ ١٢٥٤.
(٢) حكم النّبيّ الأعظم: ٣/ ٤٤٢ ، وينظر: بحار الأنوار: ٧١/ ٣٤٩.
(٣) ينظر: أبنية الصّرف في كتاب سيبويه: ٢٨٧.
(٤) الكتاب: ٤/ ٨٧.
(٥) حكم النّبيّ الأعظم: ٧/ ٣٨٧ ، وينظر: بحار الأنوار: ١٦/ ٢٤٠.
(٦) الكتاب: ٤/ ٩٢ ، وينظر: ارتشاف الضّرب: ٢/ ٥٠٢.
(٧) حكم النّبيّ الأعظم: ٣/ ١٣٢ ، وينظر: بحار الأنوار: ٢٧/ ١٤٦.
(٨) ينظر: ارتشاف الضّرب: ٢/ ٥٠٢-٥٠٣.

(ﷺ): "فَطوبى لِمَن أجابَ داعِيَ اللهِ ومَشى إلَى المَسجِدِ، ولا يُجيبُهُ ولا يَمشي إلى المَسجِدِ إلَّا مُؤْمِنٌ مِن أهلِ الجَنَّةِ"[١]. وهو من الفعل (سجَد- يسجُد) من الباب الأوّل والقياس على ذلك يوجب أن يكون (مَسْجَد)؛ لأنّه مضموم العين في المضارع. ذكر سيبويه (١٨٠هـ) أنَّ كسر العين يُراد به اسم لأيّ بيتٍ من بيوت الله تبارك وتعالى. وأمَّا فتحها، فالمراد منه موضع السّجود، قال في ذلك: "وأَمَّا المسجد، فإنَّه اسم للبيت، ولسْتَ تريد به موضع السّجود، وموضع جبهتك، لو أردت ذلك لقلت: مَسْجَد"[٢] .

أمَّا صياغتهما من غير الثّلاثيّ، فيصاغ على وزن اسم المفعول من غير الثّلاثيّ، أي على زنة مضارعه مع إبدال حرف المضارعة ميمًا مضمومةً وفتح ما قبل الآخر[٣]. وقد وردت له أبنيةٌ كثيرةٌ في العربيّة[٤]. وما ورد منها في حِكَم النّبيّ الأعظم، (المُصَلَّى)، على زنة (مُفَعَّل)، في قوله (ﷺ): "مَن صامَ رَمَضانَ وخَتَمَهُ بِصَدَقةٍ: وغَدا إلَى المُصَلَّى بِغُسلٍ، رَجَعَ مَغفوراً لَهُ"[٥]. و(المصلّى) اسم مكانٍ من الفعل (صَلَّى- يُصَلِّي).

المبحث الثّالِث

أبنيـة جموع التّكسير

الجمع هو "صيغةٌ مبنيةٌ للدّلالة على العدد الزّائد على الاثنين"[٦]. والجموع في العربيّة تقسّم على ضربين، جمع التّصحيح وجمع تكسير[٧] .

فأمَّا جمع التّصحيح، فهو الجمع الّذي سلِم فيه بناء مفرده عند الجمع، أي لا يصيبه شيءٌ من التّغيير، إلّا عند الإعلال. ودلّ هذا الجمع على اثنين أو أكثر، بزيادة الواو والنّون، أو الألف والتّاء في آخره[٨]. وهذا الجمع على ضربين[٩] :

---

(١) حكم النّبيّ الأعظم: ٥/ ٢٢٨-٢٢٩ ، وينظر: بحار الأنوار: ٨٤/ ١٥٤.

(٢) الكتاب: ٤/ ٩٠ ، وينظر: إصلاح المنطق: ١٢١ ، وشرح المفصّل: ٦/ ١٠٨ ، وارتشاف الضّرب: ٢/ ٥٠٣ .

(٣) ينظر: الصّرف الكافي: ٢٤٩.

(٤) ينظر: أبنية الصّرف في كتاب سيبويه: ٢٨٧-٢٨٨.

(٥) حكم النّبيّ الأعظم: ٦/ ١٦ ، وينظر: المعجم الأوسط: ٦/ ٥٧.

(٦) أسرار العربيّة، ابن الأنباريّ (٥٧٧هـ): ٤٨ ، وينظر: شرح المقدّمة الجزوليّة، للشّلوبين: ١/ ٣١٢ ، وأبنية الصّرف الصّرف في كتاب سيبويه: ٢٩٢.

(٧) ينظر: جموع التّصحيح والتّكسير في اللّغة العربيّة، عبد المنعم سيد عبد العال: ٧.

(٨) ينظر: تصريف الأسماء والأفعال: ١٩٠-١٩١ ، والتّطبيق الصّرفيّ: ٩٥.

(٩) ينظر: شرح المفصّل: ٥/ ٦١.

الأوّل: جمع مذكر سالم: يستعمل هذا الجمع للذّكور العاقلين وما يُلحق به، ويدلّ على اثنين أو أكثر عند اللّغويّين. ويدلّ على أكثر من اثنين عند النّحويّين. ويكون هذا الجمع بزيادةٍ في آخر الاسم المفرد[١]، وهذه الزّيادة تكون بـ(واو ونون) في حال الرّفع، وياء ونون في حال النّصب والجرّ[٢] .

الثّاني: جمع المؤنّث السّالم: هو "ما دلَّ على أكثر من اثنين، بزيادة ألف وتاء على مفرده، كفاطمات وزينبات"[٣]. ذكر ابن هشام الأنصاريّ (٧٦١هـ) أنَّ بعض العلماء يسمّون هذا الجمع بـ(ما جُمع بالألف والتّاء)؛ وذلك لأنّ هذا الجمع لم يكن مختصًّا بالمفرد المؤنّث فقط، نحو: جمع (هند): (هندات)؛ بل قد يكون جمعًا لمذكّر أيضًا نحو: جمع (طلحة): (طلحات)، وقد يكون جمعًا لمذكّر غير عاقل نحو: (حَمَّام): (حمّامات)[٤] .

إنَّ بناء جمع التّصحيح لا يصيب مفرده تغيير، سوى الزّيادة الّتي تكون في آخره؛ لذا فضّلت ألّا أخوض في بحثه؛ لأنّ بناء مفرده هو نفسه بناء جمعه، مع الزّيادة في آخره الّتي أشرنا إليها.

وأمَّا جمع التّكسير، فهو "كلّ جمعٍ تغيّر فيه نظم الواحد، وبناؤه يكون لمن يعقل ولما لا يعقل"[٥]. ويدلُّ هذا الجمع "على أكثر من اثنين...وهو جمعٌ عامٌّ يشمل الاسم مذكّراً ومؤنّثًا"[٦]. وهذا التّغيير الّذي يطرأ في صورة المفرد، إمَّا تغيير تقديريّ (غير ظاهرٍ)، وإمَّا تغيير لفظيّ (ظاهر)[٧]. والتّغيير الأوّل (التّقديريّ) تبقى صورته واحدة في المفرد والجمع دون أن يتغيّر شكلها نحو كلمة (فُلْك)، الّتي تستعمل أحياناً للمفردة وأحياناً للجمع، فيكون وزن المفرد على وزن (قُفْل)، ويكون وزن الجمع على وزن (أُسْد): جمع أسد[٨]. أمَّا التّغيير

(١) ينظر: اللّمع في العربيّة: ٢٥ ، وجموع التّصحيح والتّكسير في اللّغة العربيّة: ٧-٨.
(٢) ينظر: شرح قطر النّدى وبلّ الصّدى: ٤٩.
(٣) شذا العرف: ١٤٧.
(٤) ينظر: شرح قطر النّدى وبلّ الصّدى: ٥٠-٥١.
(٥) اللّمع في العربيّة: ٢٧ ، وينظر: شرح الحدود للفاكهيّ: ١١٦.
(٦) الصّرف الواضح: ٢٤٧.
(٧) ينظر: أبنية الصّرف في كتاب سيبويه: ٢٩٢.
(٨) ينظر: المهذّب في علم التّصريف: ١٦٥.

الثّاني اللّفظيّ (الظّاهر)، فقد فصّل الأشمونيّ (٩٢٩هـ) الكلام بذكر أنواع التّغيير اللّفظيّ الّذي يحدث للاسم المفرد؛ إذ ذكر ستّة أقسام له، هي[١] :

١- ما تمّ بزيادة عليه، نحو: صِنو: صِنوان.

٢- ما كان تغييره بنقصٍ في بنائه، نحو: تُهْمَة: تُهَم.

٣- ما كان تغييره بتبديل ضبطه، نحو: أَسَد: أُسْد.

٤- ما كان تغييره بزيادةٍ واختلافٍ في ضبطه، نحو: رَجُل: رِجَال.

٥- ما تمّ تغييره بنقصٍ وتبديلٍ في ضبطه، نحو: رَسُول: رُسُل.

٦- ما تمّ بالزّيادة والنّقص والتّبديل في ضبطه، نحو: غُلام: غِلْمان.

ويفهم ممّا سُطّر أنه لا بُدَّ أن يصيب بناء المفرد تغيير عند جمعه جمع تكسير.

ويقسّم جمع التّكسير بالنّظر إلى المعدود، على ضربين[٢] :

الأوّل: جمع القلّة:

وهذا الجمع يدلُّ على عددٍ قليلٍ يكون من ثلاثة إلى عشرة، وأبنيته الغالبة أربعة، هي: (أَفْعُل) نحو: أَسْيُف، و(أَفْعَال) نحو: أَثْوَاب، و(فِعْلة) نحو: صِبْية، و(أَفْعِلَة) نحو: أَرْغِفَة[٣] .

أَرْغِفَة[٣] .

الثّاني: جمع الكثرة:

وهذا الجمع يدلُّ على ما زاد على عشرة إلى غير نهاية[٤]، أمَّا أوزانه القياسيّة، فقد أوصلها سيبويه (١٨٠هـ) إلى اثنين وأربعين بناءً فضلًا عن السّماعيّة[٥] .

قد يُستعمل من هذه الجموع جمعًا على بناءٍ خاصّ بأحد الضّربين (القلّة أو الكثرة)، ويُراد به تارة جمع قلّة، وتارة أخرى جمع كثرة، مع كون أنَّ هذه الصّيغة خاصّة بضربٍ واحدٍ فقط. فيستعمل جمع القلّة في القلّة والكثرة، نحو جمع (رَجُل) تجمع على (أَرْجُل) على زنة (أَفْعُل). وقد يستعمل جمع الكثرة في الكثرة والقلّة، نحو: (رِجال) على زنة (فِعَال). وقرينة السّياق هي من تحدّد نوع هذا الجمع، أقلّة هو أم كثرة[٦] .

---

(١) ينظر: شرح الأشمونيّ: ٣/ ٦٦٩ ، وجموع التّصحيح والتّكسير في العربيّة: ٢٧.

(٢) ينظر: النّحو الوافي: ٤/ ٦٢٧.

(٣) ينظر: الكتاب: ٣/ ٦١٨ ، المفصّل في صنعة الإعراب: ٢٣٥ ، والصّرف العربيّ أحكامٌ ومعانٍ: ١٥٨-١٥٩.

(٤) ينظر: أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك: ٤/ ٣٠٧.

(٥) ينظر: أبنية الصّرف في كتاب سيبويه: ٢٩٢-٢٩٨.

(٦) ينظر: شرح ابن عقيل: ٤/ ٥٢ ، وجموع التّصحيح والتّكسير في العربيّة : ٣١.

ولأنَّ هذا المبحث يُعنى بأبنية جموع التّكسير في حِكَمه (ﷺ)، لذا فإنّ البحث سيكون على ثلاثة أضرب، هي:

أوّلاً: أبنية جموع القلّة.

ثانيًا: أبنية جموع الكثرة.

ثالثًا: أبنية مُنتهى الجموع.

أولاً: أبنية جموع القلّة:

١- **أَفْعُل :**

وهذا البناء مقيسٌ في كلِّ اسمٍ ثلاثيّ صحيح الفاء والعين، غير مضعّفٍ، على وزن (فَعْل)، وكذلك في كلِّ اسمٍ رباعيَ مؤنّث بلا علامة[١]. ومن الجموع الّتي تنتظم في هذا البناء (أنْفُس)، في قوله (ﷺ): "أيُّما رَجُلٍ استَعمَلَ رَجُلاً عَلى عَشَرَةِ أنْفُسٍ. عَلِمَ أنَّ فِي العَشَرَةِ أفضَلَ مِمَّن استَعمَلَ؛ فَقَد غَشَّ اللهَ وغَشَّ رَسولَهُ"[٢]. وهو جمع (نَفْس).

٢- **أَفْعال :**

ويطّرد في هذا البناء كلّ ما لم يطّرد فيه (أفْعُل)[٣]. ومن الجموع الّتي استقرّت على هذا البناء، (الأَعْمَار)، في قوله (ﷺ): "صِلَةُ الرَّحِمِ وحُسنُ الخُلُقِ وحُسنُ الجِوارِ؛ يَعمُرنَ الدِّيارَ، ويَزِدنَ فِي الأَعْمَار"[٤]. وهو جمع (عُمْر) على زنة (فُعْل).

٣- **أَفْعِلَة:**

وممّا يطّرد في هذا البناء، كلّ اسمٍ مفردٍ مذكّرٍ رباعيّ قبل آخره حرف مدّ، وكذلك يطّرد هذا البناء في (فعَال) بفتح الفاء أو كسرها[٥]. ومثال ما ورد في حِكَمه (ﷺ) (أَئمَّة)، في قوله (ﷺ): "ثلاثٌ لا يَغِلُّ عَلَيهنَّ قَلبُ امرئٍ مُسلمٍ: إخْلاصُ العَمَلِ للهِ، والنَّصيحَةُ لأئمَّةِ المُسلمينَ، واللُّزومُ لجَماعَتِهِم"[٦]. وهو جمع (إمام) على زنة (فِعال)، وهو اسمٌ رباعيٌّ مذكّرٌ عينه ولامه من جنسٍ واحدٍ، والمضعّف المفكوك لا يجيءُ إلّا على (أَفْعِلَة) في الكثرة والقلّة[٧] .

---

(١) ينظر: شرح الرّضي على الشّافية: ٢/ ٩٠ ، وشذا العرف: ١٥٥.

(٢) حكم النّبيّ الأعظم: ٢/ ٦١٨ ، وينظر: كنز العمّال: ٦/ ١٩.

(٣) ينظر: المهذّب في علم التّصريف: ١٦٩.

(٤) حكم النّبيّ الأعظم: ٣/ ٤٣٦ ، وينظر: الكافي: ٢/ ١٥٢.

(٥) ينظر: جامع الدّروس العربيّة: ٢/ ٣٤ ، والصّرف الواضح: ٢٥٢.

(٦) حكم النّبيّ الأعظم: ٥/ ١٦٠ ، وينظر: بحار الأنوار: ٢٧/ ٦٧.

(٧) ينظر: شرح الرّضي على الشّافية: ٢/ ١٢٧.

٤- **فِعْلَة:**

ذكر ابن عقيل (٧٦٩هـ) أنَّ بناء (فِعْلَة) لم يطّرد في شيء[١]. ونقل ابن هشام الانصاريّ (٧١٦هـ) عن ابن السّرّاج (٣١٦هـ) أنَّ بناء (فِعْلَة) هو اسم جمع[٢]. وأمر المفرد في هذا الجمع موقوفٌ على السّماع[٣]. ومن الجموع الّتي جرى استعمالها على هذا النّمط الصّرفيّ في حِكَم النّبيّ الأعظم، (صِبيَةِ)، في قوله (ﷺ): "جاءَ رَجُلٌ إلَى النَّبِيّ (ﷺ) فَشَكَا إلَيهِ الجوعَ، فَبَعَثَ رَسولُ اللهِ (ﷺ) إلى بُيوتِ أزواجِهِ، فَقُلنَ: ما عِندَنا إلَّا الماءُ. فَقَالَ رَسولُ اللهِ (ﷺ): مَن لِهَذَا الرَّجُلِ اللَّيلَةَ؟ فَقالَ عَلِيُّ بنُ أبي طالِبٍ(ع): أُنَا لَهُ يا رَسولَ الله. وأتى فاطِمَةَ(ع) فَقالَ: ما عِندَكِ يَابنَةَ رَسولِ اللهِ؟ فَقالَت: ما عِندَنا إلّا قوتُ الصِّبيَةِ، لكِنَّا نُؤثِرُ ضَيفَنا..."[٤]، و(صبية) في الحديث المبارك جمع (صَبي).

ثانيًا: أبنية جموع الكثرة:

١- **فُعُل:**

ويجري هذا البناء في جميع الأوصاف الّتي على زنة (فَعول) بمعنى (فاعِل)، وفي كلِّ اسمٍ رباعيّ غير معتلّ الآخر، مذكّرًا كان أو مؤنّث، قبل آخره حرفُ مدٍّ[٥]. ومن شواهد هذا البناء في حِكَمه (ﷺ) (صُحُفُ)، في قوله (ﷺ): "نَزَلَت صُحُفُ إبراهيمَ في أوَّلِ لَيلةٍ مِن شَهرِ رَمَضانَ...وأُنزِلَ القُرآنُ في ثَلاثٍ وعِشرينَ مِن شَهرِ رَمَضانَ"[٦]. وهو جمع (صحيفة). (صحيفة). وقد أشار سيبويه (١٨٠هـ) إلى قلّة مجيء الاسم أو الصّفة الّتي على زنة (فعيلة) جمعًا على (فُعُل)؛ إذ قال: "وربَّما كسروه [يعني فعيلة] على (فُعُل)، وهو قليلٌ، قالوا: سفينةٌ وسُفُنٌ، وصحيفةٌ وصُحُفٌ، شبّهوا ذلك بقليبٍ وقُلُبٍ"[٧] .

٢- **فُعَل :**

وينتظم تحت هذا البناء كلِّ اسمٍ على زنة (فُعْلَة). وكذلك في كلِّ وصفٍ على زنة (فُعْلى) مؤنّث (أفعَل)[٨]. ومن الجموع الّتي جرى استعمالها على هذا البناء، (تُرَع)، في قوله قوله (ﷺ): "ما بَينَ بَيتي ومِنبَري رَوضَةٌ مِن رِياضِ الجَنَّةِ، ومِنبَري عَلى تُرعَةٍ مِن تُرَعِ

(١) ينظر: شرح ابن عقيل: ٤/ ٥٤.

(٢) ينظر: أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك: ٤/ ٣١٢.

(٣) ينظر: جموع التّصحيح والتّكسير في العربيّة: ٤٢ ، وجامع الدّروس العربيّة: ٢/ ٣٥.

(٤) حكم النّبيّ الأعظم: ٤/ ٣٦٣-٣٦٤ ، وينظر: بحار الأنوار: ٤١/ ٣٤.

(٥) ينظر: الكتاب: ٣/ ٦٣٧ ، والتّطبيق الصّرفيّ:٩٨.

(٦) حكم النّبيّ الأعظم: ٦/ ١٤ ، وينظر: الكافي: ٢/ ٦٢٩.

(٧) الكتاب: ٣/ ٦١٠.

(٨) ينظر: شذا العرف: ١٥٨ ، وجامع الدّروس العربيّة: ٢/ ٣٦-٣٧ .

الجَنَّـةِ وقَـوائِمُ مِنبَـري رَبَـت فِـي الجَنَّـةِ"[١]. و(تُـرَع) فـي الحـديث الشّـريف جمـع (تُرعَـة) علـى زنـة (فُعْلَة).

٣- **فِعَل:**

ويشـيع هـذا البنـاء فـي كـلّ اسـمٍ تـامٍّ[٢] علـى زنـة (فِعْلَـة)[٣]. وممّـا جـاء علـى هـذا البنـاء، (الـنِّعَمِ)، فـي قولـه (ﷺ): "إنَّ لله أقوامـاً يَختَصُّـهُم بِـالنِّعَمِ لِمَنـافِعِ العِبـادِ، ويُقِرُّهـا فـيهم مـا بَذَلوها؛ فَإِذا مَنَعُوا نَزَعَها عَنهُم فَحَوَّلَهَا إِلَى غَيرِهِم"[٤]. و(النِّعَمِ) جمع (نِعمَة) .

٤- **فُعَّال:**

ويطّـرد هـذا الجمـع فـي كـلِّ وصـفٍ علـى زنـة (فاعِـل) صـحيحي الـلّام، ويـدلُّ علـى تكثيـر القيـام بالفعـل والمبالغـة فيـه، لا لتكثيـر القـائمين بـه[٥]. ومـن أمثلـة الجمـوع الّتـي اتّخـذت هـذا البنـاء، (تُجَّـار) و(صُـنَّاع)، فـي قولـه (ﷺ): "وَيـلٌ لِتُجَـارِ أُمَّتـي مِـن لا وَاللهِ وَبَلـى واللهِ، ووَيـلٌ لِصُـنّاعِ أُمَّتـي مِـن اليَـومِ وغَـدٍ"[٦]. وهمـا جمـع لـ(تاجِر) و(صـانِع) علـى زنـة (فاعِـل). وقـد دلّ جمعهما على الإكثار من القيام بفعل التّجارة والصّناعة.

٥- **فَعَلَة:**

ويطّـرد هـذا البنـاء فـي كـلّ وصـفٍ عاقـلٍ علـى زنـة (فاعـل)، بشـرط أن يكـون غيـر معتـلّ الـلّام[٧]. ومـن الجمـوع الّتـي وردت فـي حِكَمـه (ﷺ) علـى هـذا البنـاء، (فَجَـرَة) و(بَـرَرَة)، فـي قولـه (ﷺ): "إنَّ القَـومَ لَيَكونـونَ فَجَـرَةً ولا يَكونـونَ بَـرَرَةً، فَيَصِـلونَ أرحـامَهُم فَتَنمـي أمـوالَهُم وتَطـولُ أعمـارُهُم، فَكَيـفَ إذا كـانوا أبـراراً بَـرَرَةً"[٨]. وهمـا جمـع (فـاجِر، بـارّ) علـى زنـة (فاعِـل). وهـذا البنـاء يختلـف عـن سـابقه (فُعَّـال) فـي كونـه يخلـو مـن التّكثيـر والحركـة الّتـي فـي (فُعَّـال).

---

(١) حكم النّبيّ الأعظم: ٢/ ٥٦٧ ، وينظر: الكافي: ٤/ ٥٥٤.

(٢) يُراد بالاسم التّامّ: أيّ لم يحذف من أصوله شيء.

(٣) ينظر: جموع التّصحيح والتّكسير في العربيّة: ٤٥.

(٤) حكم النّبيّ الأعظم: ٣/ ٤٩٨ ، وينظر: تاريخ بغداد: ٩: ٤٥٩.

(٥) ينظر: معاني الأبنية في العربيّة: ١٣٠ ، والتّطبيق الصّرفيّ: ١٠١ .

(٦) حكم النّبيّ الأعظم: ٧/ ١٠٢ ، وينظر: من لا يحضره الفقيه: ٣/ ١٦٠.

(٧) ينظر: الكتاب: ٣/ ٦٣١ ، وشرح الرّضي على الشّافية: ٢/ ١٥٥-١٥٦ ، والصّرف الواضح: ٢٥٥.

(٨) حكم النّبيّ الأعظم: ٣/ ٤٣٣ ، وينظر: الكافي: ٢/ ١٥٥.

فـ((فَجَرَة) و(بَـرَرَة) اسـمٌ لهـذين الصّـنفين مـن النّـاس. فلـو اسـتعمل (فُجَّـار) لـدلّ المعنـى علـى كثرة القيام بعمل الفجور والفسوق[١] .

٦- **فُعُول** :

ويطّـرد فـي هـذا البنـاء، كـلّ اسـمٍ ثلاثـيّ مفتـوح الفـاء مكسـور العـين (فَعِـل)، والاسـم الثّلاثـيّ السّـاكن العـين المُثلّـث الفـاء[٢]. وممّـا سُـجّل مـن الجمـوع فـي حديثـه (ﷺ) علـى هـذا البنـاء، (قُلُـوب). فـي قولـه (ﷺ): "لِكُـلِّ شَـيءٍ مَعـدِنٌ، ومَعـدِنُ التَّقـوى قُلُـوبُ العـارِفينَ"[٣]، وهـو جمـع (قَلْب) على زنة (فَعْل).

٧- **فَعْلَى:**

وينـتظم فـي هـذا البنـاء كـلّ جمـعٍ يـدلُّ علـى آفـةٍ أو هـلاكٍ، أو توجّـعٍ، أو نقـصٍ، مفـرده علـى زنـة (فَعِيـل) الّـذي بمعنـى مفعـول، وقـد حُملـت عليـه أوزان أخـرى دلّـت كلّهـا علـى آفـةٍ أو هـلاكٍ[٤]. ومثـال مـا ورد مـن جمـعٍ علـى زنـة (فَعْلَـى)، (صَـرْعى)، فـي قولـه (ﷺ) حـين سُـئل عـن أوليـاء الله الّـذين لا خـوف علـيهم ولا هـم يحزنـون: "فقـال: الَّـذينَ نَظَـروا إلـى بـاطِنِ الـدُّنيا حـينَ نَظَـرَ النّـاسُ إلـى ظاهِرِهـا فَـاهتَمُوا بِآجِلِهـا حـينَ اهـتَمَّ النّـاسُ بِعاجِلِهـا...نَظَـروا إلـى أهلِهـا صَـرعى قَـد حَلَّـت بِهِـمُ المَـثُلاتُ، فَمـا يَـرَونَ أمانًـا دونَ مـا يَرجـونَ، ولا خَوفًـا دونَ مـا يَجِـدونَ"[٥]. فـ(صرعى) فـي الحـديث المبـارك جمـع (صَـرِيع) علـى زنـة (فَعِيـل). فاسـتعمال (صَـرْعى) فـي هذا المقام مناسباً لما أصـابهم مـن بـلاء حـبّ الـدّنيا؛ إذ إنَّـه لـم يجمـع (صـريع) علـى بنـاء آخـر، وإنّما على (فَعْلَى) لتشنيع حبّ الدّنيا وترك الآخرة[٦] .

ومـن الأوزان الّتـي حُملـت علـى هـذا الـوزن (فاعِـل)، ومثالـه (هَلْكَـى)، فـي قولـه (ﷺ): "العُلَمـاءُ كُلُّهُـم هَلْكَـى إلّا العـامِلينَ، والعـامِلونَ كُلُّهُـم هَلْكَـى إلّا المُخْلِصـينَ. والمُخْلِصـونَ علـى خَطَرٍ"[٧]. ومفرده (هالِك) على زنة (فاعِل).

---

(١) ينظر: معاني الأبنية في العربيّة: ١٣٢.

(٢) ينظر: التّصحيح والتّكسير في اللّغة العربيّة: ٥٢ ، ويراد بـ(مُثلّث الفاء): أي بفتح الفاء أو بضمّها أو بكسرها.

(٣) حكم النّبيّ الأعظم: ١/ ٥٠٩ ، وينظر: المعجم الكبير: ١٢/ ٢٣٤.

(٤) ينظر: أوضح المسالك إلى ألفية: ٤/ ٣١٣-٣١٤ ، والمهذّب في علم التّصريف: ١٧٥.

(٥) حكم النّبيّ الأعظم: ٤/ ٤١٨ ، وينظر: بحار الأنوار: ٧٧/ ١٨١.

(٦) ينظر: معاني الأبنية في العربيّة: ١٤٠-١٤٣.

(٧) حكم النّبيّ الأعظم: ٥/ ١٦٠ ، وينظر: تنبيه الخواطر: ٢/ ٤٣٧.

٨- **فِعْلان:**

ويطّرد هذا البناء في صيغٍ متعددة، منها (فَعَل)[١]. ومثاله (جِيران)، في قوله (ﷺ): "أمَّا علامةُ الخائنِ فأربَعةٌ: عِصْيانُ الرَّحمنِ، وأذى الجِيرانِ، وبُغْضُ الأقرانِ، والقُربُ إلى الطُّغْيانِ"[٢]، وهو مفرد (جَارٌ) على زنة (فَعَل).

وقد ورد هذا البناء مسموعًا في غير ما ذكره الصّرفيّون[٣]، ومثال ما كان مسموعًا (صِبيانَ)، في قوله (ﷺ): "بَيتٌ لا صِبيانَ فيهِ لا بَرَكَةَ فيهِ"[٤]، وهو مفرد (صَبيّ).

٩- **فِعَال:**

ويجري هذا البناء في كثيرٍ من الأسماء والصّفات الّتي لا تخضع لقياسٍ معين[٥]. وممّا ورد منها في حِكَمه (ﷺ)، (ضِعاف)، في قوله (ﷺ): "كانَ رسولُ الله (ﷺ) جالِساً مَعَ أصحابِهِ ذاتَ يَومٍ فَنَظَر إلى شابٍّ ذي جَلَدٍ وقُوَّةٍ قَد بَكَرَ يَسعى فَقالوا: وَيحَ هذا لَو كانَ شَبابُهُ وجَلَدُهُ في سَبيلِ اللهِ تَعالى؟ فَقالَ (ﷺ) لا تَقولوا هذا...إن كانَ يَسعى عَلى أبَوَينِ ضَعيفَينِ أو ذُرِّيَةٍ ضِعافٍ لِيُغنِيهُم ويَكفِيَهُم فَهُوَ في سَبيلِ اللهِ"[٦]، وهو جمع (ضَعِيف) على زنة (فَعِيل) ومؤنّثه (ضعيفة).

١٠- **فُعَلاء:**

ويستعمل هذا البناء جمعًا في كلّ وصفٍ لمذكّرٍ عاقلٍ على زنة (فَعِيل)، صحيح اللّام غير مضعّف، وأكثر ما يجيء به هذا البناء للدّلالة على السّجايا والغرائز[٧]، ومن أمثلته (الضُّعَفاءُ)، في قوله (ﷺ): "ألَا أُنبِّئُكَ بأهل الجنّةِ؟ الضُّعَفاءُ المَغْلوبونَ"[٨] وهو جمع (ضعيف) على زنة (فَعِيل).

---

(١) ينظر: أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك: ٤/ ٣١٩ ، وشذا العرف: ١٦١.

(٢) حكم النّبيّ الأعظم: ٤/ ٦٥٢ ، وينظر: بحار الأنوار: ١/ ١٢٢.

(٣) ينظر: المهذّب في علم التّصريف: ١٧٩.

(٤) حكم النّبيّ الأعظم: ٣/ ٤٦٧ ، وينظر: كنز العمّال: ١٦/ ٢٧٤.

(٥) ينظر تلك الأسماء والصّفات في: أوضح المسالك إلى ألفيّة ابن مالك: ٤/ ٣١٥ ، وجموع التّصحيح والتّكسير في العربيّة: ٥٠-٥٢ ، والصّرف الواضح: ٢٥٦ ، والتّطبيق الصّرفيّ: ١٠١.

(٦) حكم النّبيّ الأعظم: ٤/ ٢٤١-٢٤٢ ، وينظر: المحجّة البيضاء: ٣/ ١٤٠.

(٧) ينظر: شرح الرّضي على الشّافية: ٢/ ١٥٧-١٥٨ ، وشذا العرف: ١٦٢.

(٨) حكم النّبيّ الأعظم: ٢/ ٥٦٥ ، وينظر: كنز العمال: ١٤/ ٤٧٩.

وهذا البناء يختلف عن سابقه (فِعَال)، بأنَّه يكون مختصًّا في الأمور المعنويّة. أمَّا بناء (فِعَال)، فيكون مختصًّا بالأمور المادّيّة. فـ(ضِعاف) في الحديث المبارك السّابق هو للضّعف المادّيّ، و(الضُّعَفاءُ) في هذا الحديث الشّريف للضّعف المعنويّ[١] .

ثالثًا: أبنية منتهى الجموع:

صيغة منتهى الجموع هي "كلّ جمع تكسير بعد ألف تكسيره حرفان، أو ثلاثة أحرف، بشرط أن يكون أوسط هذه الثّلاثة حرفًا ساكنًا"[٢] وهذه الجموع هي أيضًا من أبنية الكثرة[٣]. الكثرة[٣]. وفيما يأتي ما ورد من هذه الأبنية في حِكَم النّبيّ الأعظم:

١- فَعَائِل:

ويستعمل هذا البناء جمعًا لكلِّ رباعيّ مؤنّث اسمًا كان أو صفة، قبل آخره حرف مدّ زائد[٤]. ومثال ما ورد في حِكَمه المباركة، (الكَبائِرِ)، في قوله (ﷺ): "تَعليمُ العِلمِ كَفّارَةُ الكَبائِرِ"[٥]. و(الكَبائِرِ) جمعٌ محوّلٌ من الوصفيّة إلى الأسميّة. فـ(الكَبائِرِ) اسم لكبار الذّنوب، أمَّا الوصفيّة منها، فتكون (كِبار) على زنة (فِعال)[٦] .

٢- فَوَاعِل:

وهذا البناء قياسيٌّ في صيغٍ متعددة ، منها (فاعِلة) اسمًا أو صفة[٧]. وممّا سُجّل من جموعٍ في حِكَمه (ﷺ) على هذا البناء، (جَوارِحُ)، في قوله (ﷺ): "أمّا عَلامَةُ المُخْلِصِ، فَأَربَعة: يَسلَمُ قَلبُهُ، وتَسلَمُ جَوارِحُهُ، ويَذُلُّ خَيْرَهُ. وَكَفَّ شَرَّهُ"[٨]. وهو جمع (جارِحة) على زنة (فاعِلة). و(جوارح) أقرب إلى الأسميّة منها إلى الوصفيّة؛ لأنَّ هذا البناء ينتظم تحته كلّ جمعٍ تحوّل من الصّفات إلى أسماء أو قريب من الاسماء، كما هو الحال في (جارحة) و (جوارح)[٩] .

٣- مَفَاعِل:

---

(١) ينظر: معاني الأبنية في العربيّة: ١٤٦-١٤٧.

(٢) النّحو الوافيّ: ٤/ ٢٠٨.

(٣) ينظر: المهذّب في علم التّصريف: ١٧٢.

(٤) ينظر: شرح المفصّل: ٥/ ٤٤ ، وارتشاف الضّرب: ١/ ٤٥٤-٤٥٥ ، وشذا العرف: ١٦٣.

(٥) حكم النّبيّ الأعظم: ١/ ٢٩٦.

(٦) ينظر: معاني الأبنية في العربيّة: ١٤٩.

(٧) ينظر: المساعد على تسهيل الفوائد: ٣/ ٤٥٠ ، وأوضح المسالك إلى ألفيّة ابن مالك: ٤/ ٣٢٠ ، والمهذّب في علم التّصريف: ١٨١.

(٨) حكم النّبيّ الأعظم: ٥/ ١٦٢ ، وينظر: بحار الأنوار: ١/ ١٢١.

(٩) ينظر: معاني الأبنية في العربيّة: ١٣٦-١٣٧.

وممّا يطّرد في هذا البناء، كلّ اسمٍ أو صفةٍ مبدوءان بميمٍ زائدةٍ سواء أكان مذكّرًا أم مؤنّثًا[١]. ومن أمثلة الجموع الّتي اتّخذت هذا البناء، (مَجارِيَ)، في قوله (ﷺ): "إنَّ الشَّيطانَ لَيَجري مِنِ ابنِ آدَمَ مَجرَى الدَّمِ: فَضَيِّقوا مَجارِيَهُ بِالجوعِ"[٢]. و(مَجارِيَ) جمع (مجرى).

٤- **فَعَالِل:**

وهذا البناء يكون جمعًا للاسم الرّباعيّ والخماسيّ، مجرّدين ومزيدًا فيهما[٣]. وممّا يُستشهد به من الجموع الواردة في حديثه الشّريف على هذا البناء، (بَلاقِعَ)، في قوله (ﷺ): "إنَّ قَطيعَةَ الرَّحِمِ وَاليَمينَ الكاذِبَةَ لَتَذَرانِ الدِّيارَ بَلاقِعَ مِن أهلِها"[٤] و(بَلاقِعَ) جمع (بَلْقع). والبلقع: هو المكان الخالي الّذي لا شيءَ فيه[٥]. ومثله (جَمَاجِم) وهو جمع (جُمْجُمَة)[٦] .

٥- **أَفَاعِل:**

ويطّرد هذا البناء في صيغٍ مختلفةٍ، منها الثّلاثيّ المزيد [٧]. ومثال ما ورد في حِكَم النّبي الأعظم، (أكابِرِ)، في قوله (ﷺ): "البَرَكَةُ مَعَ أكابِرِكُم أهلِ العِلمِ"[٨]. وهو جمع (أَكْبَر) المزيد بحرفٍ واحدٍ، على زنة (أَفْعَل) صفة للتّفضيل.

٦- **فَعَالَى:**

ويكون هذا البناء جمعًا لـ(فَعْلاء) اسمًا أو صفةً لا مذكّرَ لها[٩]. ومن الجموع الّتي تنتظم في هذا البناء (العَذَارَى)، في قوله (ﷺ): "إيّاكُم وأولادَ الأَغنِياءِ وَالمُلوكِ المُردَ! فَإنَّ فِتنَتَهُم أشَدُّ مِن فِتنَةِ العَذَارَى في خُدورِهِنَّ"[١٠]. وهو جمع (عَذْراء) على زنة (فَعْلاء).

٧- **فَعَالِيل:**

---

(١) ينظر: الصّرف الواضح: ٢٦٢.

(٢) حكم النّبيّ الأعظم: ٦/ ٣٥ ، وينظر: تنبيه الخواطر:١/ ١٠٩.

(٣) ينظر: شرح الرّضي على الشّافية: ٢/ ١٨٣ ، والمهذّب في علم التّصريف: ١٨٤-١٨٥.

(٤) حكم النّبيّ الأعظم: ٧/ ١٢٩ ، وينظر: بحار الأنوار: ٧٤/ ٩٤.

(٥) ينظر: لسان العرب: ١/ ٤٨٨ (بلقع).

(٦) ينظر: حكم النّبيّ الأعظم: ٣/ ٤٩١ ، والسّنن الكبرى: ٦/ ٢٢٩.

(٧) ينظر تلك الصّيغ في : أوضح المسالك إلى ألفيّة ابن مالك: ٤/ ٣٢٣ ، وشذا العرف: ١٦٦ ، وجموع التّصحيح والتّكسير:٦٧ ، والمهذّب في علم التّصريف: ١٨٥-١٨٦ ، والتّطبيق الصّرفيّ: ١٠٦-١٠٧.

(٨) حكم النّبيّ الأعظم: ٣/ ٤٦٨ ، وينظر: كنز العمّال: ١٠/ ١٧٤.

(٩) ينظر: الصّرف الواضح: ٢٦٣ ، والمهذّب في علم التّصريف: ١٨٣-١٨٤.

(١٠) حكم النّبيّ الأعظم: ٧/ ١٦٢ ، وينظر: الكافي: ٥/ ٥٤٨.

ويجمع على هذا البناء الاسم الرّباعيّ إذا كان مزيدًا بحرف علّة، ساكن قبل آخره[١]. ومثال هذا البناء (السَّلاطينُ)، في قوله (ﷺ): "إذا ظَهَرَ في أُمَّتي عَشرُ خِصالٍ اِبتَلاهُمُ اللهُ بِعَشَرَةٍ:...إذا جارَتِ السَّلاطينُ ابتَلاهُمُ الله بِالعَدُوِّ"[٢]. و(سلاطين) وهو جمع (سلطان).

٨- **مَفَاعِيل:**

وممّا يطّرد في هذا البناء كلّ اسمٍ أوّله ميم زائدة، مع شرط وجود حرف مدّ قبل آخره[٣]. ومن الوارد من الجموع على هذا البناء، (مَثاقيلُ)، في قوله (ﷺ): "يَنزِلُ فِي الفُراتِ كُلَّ يَومٍ مَثاقيلُ مِن بَرَكَةِ الجَنَّةِ"[٤]. و(مَثاقيلُ) جمع (مثقال).

المبحث الرّابِع

أبنية المصادر ودلالاتها

المصدر هو "كلّ اسمٍ دلَّ على حدثٍ، وزمانٍ مجهولٍ، وهو وفعله من لفظٍ واحدٍ، والفعل مشتقّ من المصدر"[٥]. أو هو "اسم الحدث الجاري على الفعل"[٦]

(١) ينظر: المستقصى في علم التّصريف: ٢/ ٨٢٦.
(٢) حكم النّبيّ الأعظم: ٧/ ١٣٨ ، وينظر: معدن الجواهر، أبو الفتح الكراجكيّ: ٧٢-٧٣.
(٣) ينظر: جامع الدّروس العربيّة: ٢/ ٥١.
(٤) حكم النّبيّ الأعظم: ٣/ ٤٨٨ ، وينظر: تاريخ بغداد: ١/ ٥٥.
(٥) اللّمع في العربيّة: ٤٤.
(٦) كافية ابن الحاجب: ١٣٧-١٣٨.

يُعَدّ سيبويه (١٨٠هـ) أوّل من استعمل مصطلح (المصدر) في كتابه؛ إذ قال :"هذا بابُ ما يكون المصدرُ فيه توكيداً لنفسه نصباً"[١]. وقد استعمل سيبويه والنّحويّون من بعده مصطلحات مرادفة لمصطلح (المصدر)، وهي: الحدث، واسم الفعل، واسم المعنى، والحدثان[٢] .

والمصدر يدلُّ على الحدث مجرّدًا من الزّمن، يقول في ذلك ابن يعيش (٦٤٣هـ): "المصادر لا تدلُّ على الزّمن من جهة اللّفظ، وإنَّما الزّمان من لوازمها وضروراتها"[٣]. وهذا التّجرّد من الزّمن هو الّذي يميز الفعل عنه.

إنَّ مصادر الأفعال تتنوّع وتختلف بحسب تنوّع أفعالها، فلكلّ ضربٍ من الأفعال مصادرٌ خاصّةٌ بها، وهذه المصادر على ضربين: قياسيّة وسماعيّة. فالقياسيّة الّتي لها ضوابطٌ تُضبط بها، وتكون في الأفعال الرّباعيّة والخماسيّة والسّداسيّة. أمَّا الأفعال الثّلاثيّة، فكلّ مصادرها سماعيّة[٤]. فـ"ليس لمصادر المضاعف، ولا للثّلاثيّ كلمةُ قياسٍ تحمل عليه، إنَّما ينتهي فيه إلى السّماع والاستحسان"[٥]. والسّماع في مصادر الفعل الثّلاثيّ يعود لكثرة عددها، وعدم اطّرادها تحت قياسٍ معينٍ، فلا يمكن معرفتها إلّا بالرّجوع إلى المعاجم وكتب اللّغة[٦]. ومع هذا فقد يكون لبعض الأفعال الثّلاثيّة المجرّدة مصادر قياسيّة، يمكن أن تُضبط عن طريقها[٧] .

والعلّة في كثرة المصادر وتعدّدها تعود إلى اختلاف اللّهجات العربيّة، وإلى اختلاف دلالات الألفاظ ومعانيها، والأخير هو علّة رئيسة في اختلاف المصادر وتعدّدها[٨] .

وضع الصّرفيّون ضوابط وقواعد يمكن عن طريقها معرفة كثير من مصادر الأفعال الثّلاثيّة وغير الثّلاثيّة، دون الرّجوع إلى كتب المعاجم واللّغة[٩]. لذا سنتناول في هذا المبحث

---

(١) الكتاب: ١/ ٣٨٠.

(٢) ينظر: الكتاب: ١/ ٣٤-٣٥ ، والمقتضب: ٣/ ٢١٤.

(٣) شرح المفصّل: ١/ ٢٣.

(٤) ينظر: الكتاب: ٤/ ٧-٩ ، والتّبصرة والتّذكرة: ٢/ ٧٨٥ ، وأوضح المسالك: ٢/ ٢٦٠-٢٦١ ، وأبنية الصّرف في في كتاب سيبويه: ٢٠٨ ، والصّرف، حاتم صالح الضّامن: ١٢٦-١٢٧.

(٥) المزهر: ٢/ ٩٩.

(٦) ينظر: شرح المفصّل: ٦/ ٤٣.

(٧) ينظر: أبنية الصّرف في كتاب سيبويه: ٢١١.

(٨) ينظر: معاني الأبنية في العربيّة: ١٧-١٨.

(٩) ينظر: ارتشاف الضّرب: ٢/ ٣٨٣ ، والتّطبيق الصّرفيّ: ٥٨.

المبحث ما جاء في حِكَم النّبيّ الأعظم من تلك المصادر، سواء القياسيّة أم السّماعيّة. ولمّا كان هذا المبحث مخصّصًا لدراسة أبنية المصادر، كان لا بُدَّ من تقسيم هذا المبحث على مصادر الأفعال الثّلاثيّة، ومصادر الأفعال غير الثّلاثيّة، ثمّ المصدر الميميّ، فمصدري المرَّة والهيئة.

أوّلاً: أبنية مصادر الأفعال الثّلاثيّة:

إنَّ أبنية مصادر الأفعال الثّلاثيّة تجيءُ على "أمثلة كثيرة بزوائد، وغير زوائد، وذلك أنَّ مجازها مجازُ الأسماء، والأسماء لا تقع بقياس، وإنَّما استوت المصادر الّتي تجاوزت أفعالُها ثلاثة أحرفٍ فجرت على قياسٍ واحدٍ؛ لأنَّ الفعل منها لا يختلف، والثّلاثة مختلفة أفعالها الماضية والمضارعة؛ فلذلك اختلفت مصادرها"[١]. وقد بيّنت الأستاذة الدّكتورة خديجة زبار الحمدانيّ عن طريق إحصائها لهذه الأبنية في لسان العرب، أنّ أبنية مصادر الأفعال الثّلاثيّة بلغت تسعة وستون بناءً[٢]. أمَّا ما ورد منها في حِكَم النّبيّ الأعظم، فهو على النّحو النّحو الآتي:

١- **فَعْل:**

ويغلب هذا البناء في كلّ فعلٍ ثلاثيّ متعدٍّ على زنة (فَعَلَ) أو (فَعِل) نحو: قَتَلَ قَتْلًا و حَمِد حَمْدًا[٣]. ويعدّ القدامى هذا البناء أصلَ المصادرِ كلِّها، قال سيبويه (١٨٠هـ): "قالوا: الجَوْلَ والغَلْيَ مع فجاءوا به على الأصل"[٤]. ونقل رضي الدّين الاستراباذيّ (٦٨٦هـ) عن سيبويه الرّأي نفسه القائل بأنّ "أصل مصادر جميع الثّلاثيّ متعدّيًا كان أو لازمًا (فَعْل) ببناء الوحدة"[٥] .

وممّا جاء من المصادر على هذا البناء (سَقْيَ) و(وسَتْرَ)، في قوله (ﷺ): "يا محمّدُ، لَو كانَت عِبادَتُنا على وَجهِ الأرضِ لَعَمِلْنا ثَلاثَ خِصالٍ: سَقْيَ الماءِ لِلمُسلِمينَ، وإغاثةَ أصحابِ العِيالِ، وسَتْرَ الذّنوبِ"[٦]. وهما مصدرا الفعل (سَقَى) و(سَتَرَ).

٢- **فُعْل :**

---

(١) المقتضب: ٢/ ١٢٢ ، وينظر: شرح المفصّل: ٦/ ٤٣.

(٢) ينظر: المصادر والمشتقّات في معجم لسان العرب، خديجة زبار الحمدانيّ (أطروحة دكتوراه): ٢٨٨.

(٣) ينظر: الكتاب: ٤/ ٥.

(٤) ينظر: الكتاب: ٤/ ١٥ ، وينظر أيضًا قول المبرّد: المقتضب: ٢/ ١٢٥.

(٥) شرح الرّضي على الشّافية: ١/ ١٧٩.

(٦) حكم النّبيّ الأعظم: ٥/ ١٣٧ ، وينظر: تنبيه الخواطر: ١/ ٤٧.

وهو من الأبنية السّماعيّة[١]، الّتي أشار سيبويه إليها بقوله: "وقد جاء من مصادر ما ذكرنا على (فُعْلٍ)، وذلك نحو: الشُرْب والشُّغْل"[٢]. وممّا ورد على هذا البناء في حِكَمِه (ﷺ)، (بُغْضُ، قُرْبُ)، في قوله عليه الصّلاة والسّلام: "أمّا علامةُ الخائنِ، فأربَعةٌ: عِصْيانُ الرَّحمْنِ، وأذى الجِيرانِ، وبُغْضُ الأقرانِ، والقُرْبُ إلى الطُّغْيانِ"[٣] .

٣- **فِعَال :**

وهذا البناء من الأبنية السّماعيّة[٤]. وقد يكون قياسيًّا من باب (فَعَلَ) إذا دلّ على امتناع[٥]، ومن أمثلة المصادر الّتي اتّخذت هذا البناء ودلّت على امتناع، (صِيامِ)، في قوله قوله (ﷺ): "طَلَبُ العِلمِ يَوماً خَيرٌ مِن صِيامِ ثَلاثَةِ أشهُرٍ"[٦]. وهو مصدر الفعل الأجوف (صام).

وقد ورد أيضًا مصدرٌ آخر للفعل الأجوف في قوله (ﷺ): "علَيكُم بقيامِ اللّيلِ؛ فإنّهُ دَأْبُ الصالِحِينَ قَبلَكُم، وإنَّ قيام اللّيلِ قَربَةٌ إلى اللهِ، ومَنهاةٌ عنِ الإثمِ"[٧]. و(قِيام) مصدر الفعل الأجوف (قام- يقوم).

٤- **فُعَال:**

وهذا البناء يأتي مصدرًا دالّاً على صوتٍ أو داءٍ، من باب (فَعَلَ) اللّازم[٨]. ومن المصادر الّتي تنتظم في هذا البناء (بُكاء)، في قوله (ﷺ): "بُكاءُ المؤمنِ مِن قَلبِهِ، وبُكاءُ المُنافِقِ مِن هامَتِهِ"[٩]. و(بُكاء) هو مصدر الفعل (بكى-يبكي).

٥- **فُعُول:**

ويغلب مجيء المصدر من (فَعَل) اللّازم على (فُعُول)[١٠]، قال رضي الدّين الاستراباذيّ (٦٨٦هـ): "وفَعَل اللّازم على فُعُول نحو: دخل دُخُول"[١]. ومن المستعمل من الأسماء في

(١) ينظر: أدب الكاتب: ٤١٨ ، وأبنية الصّرف في كتاب سيبويه: ٢٢٧ ، والصّرف: ١٢٨-١٢٩.

(٢) الكتاب: ٤/ ٦.

(٣) حكم النّبيّ الأعظم: ٤/ ٦٥٢ ، وينظر: بحار الأنوار: ١/ ١٢٢.

(٤) ينظر: أبنية الصّرف في كتاب سيبويه: ٢٣٣.

(٥) ينظر: المقتضب: ٢/ ١٢٤ ، وارتشاف الضّرب: ٢/ ٤٨٥ ، وشرح ابن عقيل: ٣/ ٥٧ ، والصّرف الواضح: ١٢٣.

(٦) حكم النّبيّ الأعظم: ١/ ٢٢٤ ، وينظر: كنز العمّال: ١٠/ ١٣١.

(٧) حكم النّبيّ الأعظم: ٥/ ٣٠٦ ، وينظر: كنز العمّال: ٧/ ٧٩٠.

(٨) ينظر: الكتاب: ٤/ ١٤ ، ومعجم ديوان الأدب: ١/ ٨٥.

(٩) حكم النّبيّ الأعظم: ٥/ ١٢٨ ، وينظر: كنز العمّال: ١/ ١٦٩.

(١٠) ينظر: الكتاب: ٤/ ٩ ، والمقتضب: ٢/ ١٢٥ ، وشرح الرّضيّ على الشّافية: ١/ ١٥٦.

هذا البناء (سُرور)، في قوله (ﷺ): "أَحَبُّ الأعمالِ إلى اللهِ سُرورٌ تُدخِلُهُ عَلَى المُؤْمِنِ، تَطرُدُ عَنهُ جَوعَتَهُ أو تَكشِفُ عَنهُ كُربَتَهُ"[٢] و(سُرورٌ) مصدر الفعل (سَرَّ).

٦- **فَعُول:**

وهو من الأبنية السّماعيّة القليلة في كلام العرب. ولم يرد في كلام العرب على (فَعُول) سوى خمسة أمثلة هي: (الوَضوء، القَبول، الطَّهور، الوَلوع، الوَقود)[٣]. وقد ورد منها في حِكَم النّبيّ الأعظم ثلاثةُ أمثلةٍ، هي: (القَبول، الوَضُوء، الطَّهور).

قال سيبويه في (القَبول): "إنَّ عليَّ لفلان لَقبولًا، فهذا مفتوح"[٤]. ومثاله في حِكَم النّبيّ الأعظم، قوله (ﷺ): "البُكاءُ مِن خَشيَةِ اللهِ مِفتاحُ الرَّحمَةِ، وعَلامَةُ القَبولِ، وبابُ الاجابَةِ"[٥]. وهو مصدر الفعل (قَبِلَ).

ومثال (الوَضُوءِ)، في قوله (ﷺ): "في الوَضُوءِ إسرافٌ، وفي كُلِّ شيءٍ إسرافٌ"[٦]. و(الوَضُوء) مصدر الفعل (وضّأ). إنَّ مع أهمّيّة الوضوء ومكانته في الإسلام، فهو يُعَدّ الطّريق الممهّد للقاء الله عزّ وجلّ، إلّا أنّ الحديث يوجّه المسلم إلى تجنّب الإسراف حتّى مع الوضوء؛ لأنَّ كلَّ فعلٍ زائدٌ "على تحصيل حقيقة ذلك الفعل واجبًا كان أم مندوبًا أم مباحًا وزائدًا على تحصيل كمالاته إسراف"[٧]. وليس بمعنى أنّ الوضوء هو بحدّ ذاته إسرافٌ – والله ورسوله أعلم.

ومثال (الطَّهُور)، في قوله (ﷺ): "إنّ الله قَد أثنى عَلَيكُم فِي الطَّهُور خَيرًا، فَما طَهورُكُم هذا؟ قالوا: نَتَوَضَّا لِلصَّلاةِ، ونَغْتَسِلُ مِنَ الجَنابَةِ، ونَستَنجي بِالماءِ. قالَ: هُوَ ذاكَ فَعَلَيكُم بِهِ"[٨]. و(الطَّهُور) مصدر الفعل اللّازم (طهُر).

والطَّهور من الألفاظ المختلف فيها بين العلماء، فجمهور العلماء يرى أنَّ (الطَّهُور) اسم لما يتطهّر به، فهو آلةٌ للتّطهير كالسّحور والفطور والوقود، وهذا مذهب ثعلب (٢٩١هـ).

---

(١) شرح الرّضي على الشّافية: ١/ ١٥٦.

(٢) حكم النّبيّ الأعظم: ٥/ ١٤٨ ، وينظر: الكافي: ٢/ ١٩١.

(٣) ينظر: التّبصرة والتّذكرة: ٢/ ٧٦٤.

(٤) الكتاب: ٤/ ٤٢.

(٥) حكم النّبيّ الأعظم: ٥/ ٣٥٤ ، وينظر: إرشاد القلوب: ٩٨.

(٦) حكم النّبيّ الأعظم: ٥/ ٢٥ ، وينظر: كنز العمّال: ٩/ ٣٢٥.

(٧) بيان السّعادة في مقامات العبادة، سلطان محمّد (سلطان عليّ شاه): ٢/ ١٧٦.

(٨) حكم النّبيّ الأعظم: ٢/ ٢٠٩-٢١٠ ، وينظر: المستدرك على الصّحيحين: ٢/ ٣٦٥.

وذهب بعضُهم إلى أنَّ (الطَّهُور) صفةٌ، نحو قولنا: ماءٌ طَهُورٌ، أي: طاهرٌ ومطهّرٌ[١]. والمعنى الأوّل (اسم لما يتطّهر به) هو الرّاجح في الحديث الشّريف؛ إذ إنَّ السّياق العامّ هو استفهامٌ عن الشّيء الّذي يتطهّرون به للصّلاة والجنابة، أي: آلة التّطهير، وهذا التّطهّر لا يكون إلّا في الماء؛ لأنّ صفةَ الطّهارةِ ثابتةٌ فيه، فهو طاهرٌ في نفسه ومطهّرٌ لغيره[٢] .

٧- فَعيل:

وهذا البناء يدلّ على صوتٍ أو سيرٍ لمصدر من باب (فَعَل) اللّازم[٣]. وممّا يُستشهد به من المصادر الواردة في حديثه المبارك على هذا البناء الصّرفيّ، (الرَّحيلَ)، في قوله (ﷺ): "يا معشرَ المسلمينَ، شَمِّروا فإنَّ الأمرَ جِدٌّ، وتأهَّبوا فإنَّ الرَّحيلَ قريبٌ، وتَزَوّدوا فإنَّ السَّفَرَ بَعيدٌ، وخَفِّفوا أَثْقَالَكُم، فإنَّ وراءَكُم عَقَبةً كَؤُودا لا يَقْطَعُها إلّا المُخِفُّونَ"[٤]. وهو مصدر مصدر الفعل (رَحَلَ).

٨- فَعَالَة:

ويطّرد في هذا البناء كلّ فعلٍ مضموم العين في الماضي[٥]. وقد نصّ سيبويه (١٨٠هـ) على قياسيّة هذا المصدر من الفعل (فَعُل)؛ إذ قال: "أمَّا ما كان حُسناً أو قُبحاً فإنَّه ممّا يبنى فِعْله على فَعُل يفعُل؛ ويكون المصدر فَعَالًا وفَعَالةً...وذلك قولك: قَبُح يقبُحُ قَبَاحةً"[٦]

ومن شواهد المصادر الّتي جاءت على هذا البناء، (الطَّهارَة)، الواردة الحديث الشّريف "أنَّهُ (ﷺ) شَكا إلَيهِ رَجُلٌ قِلَّةَ الرِّزْقِ، فَقالَ (ﷺ): ادِمِ الطَّهارَةَ يَدُم عَلَيْكَ الرِّزْقُ. فَفَعَلَ الرَّجُلُ ذَلِكَ فَوُسِّعَ عَلَيهِ الرِّزْقُ"[٧]. و(الطَّهارَة) مصدر الفعل (طهُر).

ويكون هذا البناء أيضًا مصدرًا للفعل الثّلاثيّ من باب (فَعِل)[٨]، ومثاله في حِكَم النّبي الأعظم (القَنَاعَة) في حكمته المباركة: "القَنَاعَةُ بَرَكَةٌ"[٩]. و(القَنَاعَة) مصدر الفعل (قَنِعَ).

٩- فِعَالَة :

---

(١) ينظر: الكشّاف : ٤/ ٣٥٥-٣٥٦ ، ومفاتيح الغيب(تفسير الرازيّ): ٢٣/ ٢٢٦ ، والبحر المحيط في التّفسير: ٨/ ١١٥.

(٢) ينظر: كتاب الطّهارة، أبو القاسم الخوئيّ: ٣/ ٥٩.

(٣) ينظر: الكتاب: ٤/ ١٤ ، وأدب الكاتب: ٤١٧ ، وشرح الأشمونيّ: ٢/ ٣٤٨.

(٤) حكم النّبيّ الأعظم: ٤/ ٢٦١ ، وينظر: بحار الأنوار: ٧٧/ ١٨٦.

(٥) ينظر: المقتضب: ٢/ ١٢٦ ، وأبنية الصّرف في كتاب سيبويه: ٢١٧.

(٦) الكتاب: ٤/ ٢٨.

(٧) حكم النّبيّ الأعظم: ٧/ ١٠٩ ، وينظر: عوالي اللئالي: ١/ ٢٦٨.

(٨) ينظر: أدب الكاتب: ٤١٨ ، وارتشاف الضّرب: ٢/ ٤٨٤.

(٩) حكم النّبيّ الأعظم: ٧/ ١٠٠ ، وينظر: جامع أحاديث الشّيعة: السّيد البروجرديّ: ٨/ ٤٦٥.

وهذا البناء يكون دالًا على ولايةٍ أو حرفةٍ من أبواب الفعل الثّلاثيّ[١]. وممّا ورد في حِكَمه (عليه السلام) على هذا البناء، (العِبادَة)، في حديثه الحِكَميّ المبارك: "السَّكِينَةُ زينَةُ العِبادَةِ"[٢]. و(العِبادَةِ) مصدر الفعل الثّلاثيّ (عَبَدَ).

١٠- فِعْلان :

وهو من الأبنية السّماعيّة أيضًا[٣] ومثاله (كِتْمانُ)، في قوله (عليه السلام) كِتْمانُ البائِعِ عَيبَ عَيبَ ما باعَهُ غِشٌ"[٤]. و(كِتْمانُ) مصدر الفعل (كتَم).

١١- فَعْلَة:

وهذا البناء من الأبنية السّماعيّة؛ إذ سُمع بأبواب متعددة، منها باب (فَعِل)[٥]. وأشار إليه إليه سيبويه (١٨٠هـ) بقوله: "وقالوا: الفَعْلَة نحو الرَّحمَة واللَّقية"[٦]. ومن أمثلة المصادر الّتي الّتي اتّخذت هذا البناء (الرَّحمَةِ)، في الحديث المبارك: "الدُّعاءُ مفتاحُ الرَّحمَةِ"[٧]، و(الرَّحمَةِ) و(الرَّحمَةِ) مصدر الفعل (رحِم).

ثانيًا: أبنية مصادر الأفعال الزّائدة على ثلاثةِ أحرفٍ:

إنَّ مصادر الأفعال غير الثّلاثيّة "تجري على سَنَنٍ لا يختلف، وقياسٍ واحدٍ مطّردٍ في غالب الأمر وأكثره؛ وذلك لأنَّ الفعل بها لا يختلف، والثّلاثيّة مختلفة أفعالها الماضية والمضارعة فلاختلاف الثّلاثيّة اختلفت مصادرها ولعدم اختلاف ما زاد منها على الثّلاثة جرت على منهاجٍ واحدٍ لم يختلف"[٨].

وقد ورد عددٌ من أبنية مصادر الأفعال المزيدة في حِكَم النّبيّ الأعظم، فيما يأتي تفصيلها:

---

(١) ينظر: معجم ديوان الأدب: ١/ ٨٦ ، والمقرّب: ٢/ ١٣١ ، وشرح الأشمونيّ: ٢/ ٣٤٨.
(٢) حكم النّبيّ الأعظم: ٥/ ١٣٧ ، وينظر: بحار الأنوار: ٧٧/ ١٣١.
(٣) ينظر: أبنية الصّرف في كتاب سيبويه: ٢٣٥.
(٤) حكم النّبيّ الأعظم: ٧/ ٥٤.
(٥) ينظر: أبنية الصّرف في كتاب سيبويه:٢٣٠.
(٦) الكتاب: ٤/ ٨.
(٧) حكم النّبيّ الأعظم: ٥/ ٣٣٦ ، وينظر: الكافي: ٤/ ٣٠٦.
(٨) شرح المفصّل: ٦/ ٤٧ ، والتّبصرة والتّذكرة: ٢/ ٧٧٢.

١- **إفْعال:**

ويطّرد هذا البناء مصدرًا لكلّ فعلٍ ثلاثيّ مزيد بالهمزة[١]. ومن المصادر الّتي تنتظم في هذا البناء، (إطعام، إطياب)، في قوله (ﷺ) عندما سُئل عن أفضل الأعمال: "إطعامُ الطَّعامِ، وإطيابُ الكَلامِ"[٢]. وهما مصدر الفعلين المزيدين بالهمزة في أوّلها (أطعم، أطيب).

أطيب).

٢- **مُفَاعَلَة :**

وهو مصدر الفعل الثّلاثيّ المزيد بحرفٍ واحدٍ على زنة (فاعَلَ)، وهو مزيدٌ بالألف بعد فائه[٣]. وممّا ورد في حِكَم النّبيّ الأعظم على هذا البناء (مُجالَسَةُ)، في قوله (ﷺ): "ثلاثةٌ مُجالَسَتُهُم تُميتُ القَلْبَ: مُجالَسَةُ الأنذالِ، ومُجالَسَةُ الأغنياءِ، والحديثُ مَع النِّساءِ"[٤]. وهو مصدر الفعل الثّلاثيّ المزيد بالألف (جَالَس).

٣- **تَفْعيل :**

وهذا البناء يكون مصدرًا لكلِّ فعلٍ ثلاثيّ مزيد بتضعيف عينه (فَعَّل)[٥]. ومن أمثلة المصادر الّتي اتّخذت هذا البناء، (التَّسبيحُ، التَّهليلُ، التَّكبيرُ)، في قوله (ﷺ): "امَّتي عَلى ثَلاثَةِ أصنافٍ: صِنفٌ يُشَبَّهونَ بِالأَنبِياءِ، وصِنفٌ يُشَبَّهونَ بالمَلائِكَةِ، وصِنفٌ يُشَبِّهونَ بِالبَهائِمِ. فَأَمَّا الّذينَ يُشَبَّهونَ بِالأَنبِياءِ، فَهِمَّتُهُمُ الصَّلاةُ وَالزَّكاةُ. وأَمَّا الَّذينَ يُشَبَّهونَ بِالمَلائِكَةِ، فَهِمَّتُهُمُ التَّسبيحُ وَالتَّهليلُ وَالتَّكبيرُ. وأَمَّا الَّذينَ يُشَبَّهونَ بِالبَهائِمِ، فَهِمَّتُهُمُ الأَكلُ وَالشُّربُ وَالنَّومُ"[٦]. وهذه المصادر المذكورة هي مصادر للأفعال التّالية المزيدة بالتّضعيف: سبّح، هلّل، كبّر.

٤- **افتِعال :**

---

(١) ينظر: المقتضب: ٢/ ٩٩ ، والتّبصرة والتّذكرة: ٢/ ٧٧٤ ، وشذا العرف: ١١٦.

(٢) حكم النّبيّ الأعظم: ٥/ ١٤٧ ، وينظر: بحار الأنوار: ٧١/ ٣١٢.

(٣) ينظر: الكتاب: ٤/ ٨٠ ، وارتشاف الضّرب: ١/ ٤٩٩، والصّرف الواضح: ١٢٨.

(٤) حكم النّبيّ الأعظم: ٣/ ٣٨٤ ، وينظر: الخصال: ١٢٥.

(٥) ينظر: شرح المفصّل: ٦/ ٤٨ ، وشرح الرّضي على الشّافية: ١/ ١٩٤ ، وشذا العرف: ١١٦.

(٦) حكم النّبيّ الأعظم: ٣/ ٢٤٧ ، وينظر: جامع الأخبار، محمّد السّبزواريّ: ٢٧٠.

ويجيءُ هذا البناء مصدرًا للفعل الثّلاثيّ المزيد بالهمزة والتّاء[١]. وممّا سُجّل من المصادر في حِكَمه (ﷺ) على هذا البناء، (اقتطاع)، في قوله (ﷺ): "إنَّ الله إذا أرادَ بِقَومٍ نَماءً رَزَقَهُمُ القَصدَ وَالعَفافَ، وإذا أرادَ الله بِقَومٍ اقتطاعاً فَتَحَ عَلَيهِم بابَ خِيانَةٍ"[٢] وهو مصدر الفعل (اقتطع) المزيد بالهمزة والتّاء.

٥- **انفِعال:**

وهذا البناء يكون مصدرًا للفعل الثّلاثيّ المزيد بالهمزة والنّون[٣]. ومن المصادر الّتي وردت على هذا البناء (انفِجارِ)، في قوله (ﷺ): "إذا كانَ أوَّلُ لَيلَةٍ مِن رَمَضانَ...نادى مُنادٍ فِي السَّماءِ كُلَّ لَيلَةٍ إلَى انفِجارِ الصُّبحِ: يا باغِيَ الخَيرِ هَلُمَّ! ويا باغِيَ الشَّرِّ انتَهِ..."[٤]. وهو مصدر الفعل (انفجر) المزيد بالهمزة والنّون.

٦- **تَفَاعُل :**

وهذا البناء مصدر الفعل الثّلاثيّ المزيد بالتّاء والألف على زنة (تَفَاعَل)[٥]. ومثال هذا البناء (التَّكاثُرَ)، في قوله (ﷺ): "ما أخشى عَلَيكُمُ الفَقرَ، ولَكِن أخشى عَلَيكُمُ التَّكاثُرَ"[٦]. و(التَّكاثُرَ) مصدر الفعل (تكاثر) المزيد بالتّاء والألف.

٧- **تَفَعُّل :**

ويطّرد هذا البناء في كلِّ فعلٍ ثلاثيّ مزيد بالتّاء وتضعيف العين[٧]. وقد بيّن سيبويه (١٨٠هـ) قياسيّة هذا البناء في (تفعَّل)، بقوله "وأمَّا مصدر (تَفَعَّلت) فإنَّه (التَّفَعُّل)، جاءوا فيه بجميع ما جاء في (تفعَّل)، وضمُّوا العين لأنّه ليس في الكلام اسمٌ على (تفعَّلِ)، ولم يلحقوا الياء فيلتبس بمصدر (فعَّلتُ) ولا غير الياء؛ لأنّه أكثر من (فعَّلتُ)، فجعلوا الزّيادة عوضاً من ذلك"[٨]. ومما سُجّل من المصادر على هذا الشّكل الصّرفيّ (التَّبَقُّر)، في قوله (

---

(١) ينظر: الكتاب: ٤/ ٧٨-٧٩ ، وأدب الكاتب: ٤٢٠.

(٢) حكم النّبيّ الأعظم: ٧/ ١٢٩ ، وينظر: الدّر المنثور: ٣/ ١٢.

(٣) ينظر: التّبصرة والتّذكرة: ٢/ ٧٧٣ ، وشذا العرف: ١١٦-١١٧.

(٤) حكم النّبيّ الأعظم: ٦/ ١٩ ، وينظر: تاريخ بغداد: ١/ ٢٨٤.

(٥) ينظر: الكتاب: ٤/ ٨١ ، وشرح المفصّل: ٦/ ٤٩.

(٦) حكم النّبيّ الأعظم: ٧/ ١٦٢ ، وينظر: مسند أحمد بن حنبل: ١٤/ ٤٤٠.

(٧) ينظر: الكتاب: ٤/ ٧٩ ، وأدب الكاتب: ٤٢٠.

(٨) الكتاب: ٤/ ٧٩.

(ﷺ): "نَهى عَنِ التَّبَقُّر فِي الأَهلِ وَالمالِ"(١). وهو مصدر الفعل (تبقّر) المزيد بالتّاء وتضعيف القاف. و(التّبقّر) هو التّوسّع والإكثار(٢) .

٨- **افْعِلال** :

وهو مصدر الفعل الثّلاثيّ المزيد بالهمزة وتضعيف اللّام (افْعَلّ)(٣). ومما سُجّل من مصادر على هذا الشّكل الصّرفيّ، (ازوِرار)، في قوله (ﷺ):"ما مِن صاحبِ كَنزٍ لا يُؤَدّي زَكاةَ كَنزه إلّا جيءَ بِكَنزِهِ يَومَ القِيامَةِ فَيُحمى بِهِ جَنبُهُ وجَبينُهُ؛ لِعُبوسِهِ وَازوِرارِهِ وجَعلِ السَّائِلِ وَالسَّاعي وَراءَ ظَهرِهِ"(٤) و(ازوِرار) مصدر الفعل (ازورّ) المزيد بالهمزة في أوّله وتضعيف اللّام. وفي المصدر فُكّ الادغام في آخر الفعل، مع كسر الحرف الثّالِث، وزيّدت ألف قبل آخره، فضلاً عن زيادة همزة الوصل في أوّله(٥) .

ومعنى (الازوِرار) هو الميل والانحراف عن الشّيء والعدول عنه(٦)، ومثالها في القرآن الكريم، قوله تعالى: ﴿ وَتَرَى الشَّمْسَ إِذَا طَلَعَت تَّزَاوَرُ عَن كَهْفِهِمْ ذَاتَ الْيَمِينِ ﴾(٧) .

٩- **فَعْلَلَة:**

وهذا البناء مصدرٌ قياسيٌّ في كلِّ فعلٍ رباعيّ مجرّد (فَعْلَلَ)(٨)، وممّا ورد في حديثه (ﷺ) على هذا البناء الصّرفيّ، (طَنطَنَة)، في قوله (ﷺ): "لا تَنظُرُوا إلى كَثرَةِ صلاتِهِم وصَومِهِم وكَثرَةِ الحَجِّ والمَعروفِ وطَنطَنَتِهِم باللّيلِ، ولكنِ انظُرُوا إلى صدقِ الحَديثِ وأداءِ الأمانَةِ"(٩). و(طَنطَنَة) مصدر الفعل الرّباعيّ المجرّد (طَنْطَنَ).

ثالثًا: أبنية المصدر الميميّ:

إنَّ النّحويّين القدامى أغلبهم لم يضعوا حدًّا للمصطلح المصدر الميميّ؛ ولكن نجدهم قد تطرّقوا إلى بنائه وكيفيّة اشتقاقه. فهذا سيبويه(١٨٠هـ) يوضّح لنا الكيفيّة الّتي يُشتقُّ بها

---

(١) حكم النّبيّ الأعظم: ٧/ ١٤٥ ، وينظر: مسند أحمد بن حنبل: ٧/ ٢٤٤.

(٢) ينظر: النّهاية في غريب الحديث والأثر: ١/ ١٤٤ ، ولسان العرب: ١/ ٤٥٩ (بقر).

(٣) ينظر: الكتاب: ٤/ ٧٨-٧٩ ، وشرح المفصّل: ٦/ ٤٩.

(٤) حكم النّبيّ الأعظم: ٧/ ١٤٧ ، وينظر: جامع أحاديث الشّيعة: ٨/ ١٦.

(٥) ينظر: ارتشاف الضّرب: ٢/ ٤٩٥ ، والمهذّب في علم التّصريف: ٢٢٤.

(٦) ينظر: لسان العرب: ٦/ ١١٠-١١١ (زور).

(٧) سورة الكهف، آية: ١٧.

(٨) ينظر: شرح المفصّل: ٦/ ٤٨ ، والصّرف الواضح: ١٣١-١٣٢.

(٩) حكم النّبيّ الأعظم: ٤/ ٤٥١ ، وينظر: عيون أخبار الرّضا: ٢/ ٥١.

المصدر الميميّ، يقول في ذلك: "فإذا أردت المصدر بنيته على (مَفْعَلٍ)، وذلك قولك: إنَّ في ألف درهم لَمَضْرَبًا؛ أيّ لَضَرْبًا. قال الله عزّ وجلّ ﴿ أَيْنَ الْمَفَرُّ ﴾[1] يريد: أين الفرار"[2] .

واستمر النّحويُّون على ترديد ما قاله إمامهم في النّحو، حتّى جاء ابن هشام (٧٦١هـ) فكان أوّل من أدخل هذا المصطلح في الاستعمال النّحويّ في حديثه عن المصدر؛ إذ قال: "ما بُديء بميمٍ زائدةٍ لغير المفاعلة، كالْمَضْرِبِ والْمَقْتَل؛ وذلك لأنَّه مصدر في الحقيقة، ويسمّى المصدرَ الميميَّ، وإنَّما سَمَّوْهُ أحياناً اسم مصدر تَجَوُّزاً"[3] .

أَمَّا عند المحدثين، فكان الأمر مختلفاً؛ إذ كان مصطلح المصدر الميميّ أكثر وضوحًا، وراح بعضهم يلتمس الفروق الدّلاليّة بين المصدر الميميّ والمصدر الاعتياديّ. فمن حيث المفهوم الاصطلاحيّ حدّه بعضُهم بأَنَّه "اسمٌ يدلُّ على الحدث، وأوّله ميم زائدة، وليس على وزن (مُفَاعَلة) ... وهو كالمصدر الأصليّ في معناه واستعماله، ولا يخالفه إلاّ في صورته اللّفظيّة"[4] .

وأَمَّا من حيث دلالته، فيرى الدّكتور فاضل السّامرائيّ أنَّه يختلف عن المصدر الاعتياديّ في المعنى ولا يطابقه؛ معللاً ذلك باختلاف أبنيتهما؛ إذ يرى أنّ المصدر الميميّ يحمل معه عنصرُ الذّات بخلاف المصدر الاعتياديّ الّذي هو حدثٌ مجرّدٌ من كلّ شيءٍ[5]، مستشهدًا على ذلك بما ذكره الرّاغب الأصفهانيّ (٤٢٥هـ) عند تفريقه بين (التّوبة) و(المتاب)، فالأخير دلّ على ترك قبيح الأعمال، والتّحري عن جميلها. في حين دلّ المصدر الاعتياديّ (التّوبة) على ترك الذّنب وعدم المعاودة إليه [6] .

ومنهم من يرى أنّ المصدر الميميّ هو أقوى دلالةً من المصدر الاعتياديّ، وهذه القوّة الدّلاليّة تعود لوجود الميم بداية المصدر[7].

---

(١) سورة القيامة، آية: ١٠.

(٢) الكتاب: ٤/ ٨٧ ، وينظر: المقتضب: ٢/ ١١٨-١٢١ ، والأصول في النّحو: ٣/ ١٤١ ، وشرح المفصّل:٦/ ٥٣، وشرح الرّضي على الشّافية: ١/ ١٦٨ ، وارتشاف الضّرب: ٢/ ٥٠٢.

(٣) شرح شذور الذّهب: ٢١١ ، وينظر: همع الهوامع: ٥/ ٧٧.

(٤) تصريف الأسماء والأفعال: ١٤٥ ، وينظر: أبنية الصّرف في كتاب سيبويه: ٢٢١ ، والصّرف الكافي: ١٥٢ ، والمهذّب في علم التّصريف: ٢٨١ ، والصّرف الوافي:٧٢.

(٥) ينظر: معاني الأبنية في العربيّة: ٣١-٣٣.

(٦) ينظر: مفردات ألفاظ القرآن:١٦٩.

(٧) ينظر: الضّياء في تصريف الأسماء: ٦٦-٦٧ ، والصّرف الواضح: ١٣٩.

وما ذُكر من فروقٍ دلاليّة هي في محطِّ الصّواب؛ إذ إنّ هذه الميم هي زيادةٌ وقوَّةٌ في المعنى، فالعرب لا تزيد في أبنيتها إلّا لمعنى جديد يختلف عمّا في مجرّد البناء الأصليّ ولهذا قالوا: كلّ زيادةٍ في المبنى هي زيادةٌ في المعنى. ولو كان كالمصدر الاعتياديّ لما جاءوا بالميم.

وللمصدر الميميّ من الفعل الثّلاثيّ بناءان قياسيّان، هما:

١- مَفْعَل:

وهذا البناء مطّرد في كلِّ فعلٍ ثلاثيّ مجرّد على ألّا يكون مثالًا واويًّا تحذف فاؤه عند المضارع[١]. ومن أمثلة ما ورد في حديثه الشّريف على هذا البناء (مَآبَ)، في قوله (ﷺ): "إخواني مِن اولي العَزم مِنَ الرُّسُلِ قَد صَبَروا عَلى ما هُوَ أشَدُّ مِن هذا، فَمَضَوا عَلى حالِهِم، فَقَدِموا عَلى رَبِّهِم، فَأَكرَمَ مَآبَهُم"[٢]. و(مَآبَ) مصدر ميميّ من الفعل الثّلاثيّ (آبَ).

إنَّ الفرق بين المصدر الميميّ (مآب) والمصدر الاعتياديّ (إياب)، أنَّ الأخير يدلّ على حدث الرّجوع فقط[٣]. أمَّا (مآب)، فهو حسن المرجع الّذي يصير إليه العبد في دار الآخرة، و(فَأَكرَمَ مَآبَهُم) في الحديث الشّريف، أي: أكرم مصيرهم ومنقلبهم، وذلك الإكرام يكون بالجنّة[٤] .

وقد ورد في حِكَمه (ﷺ) مصدر ميميّ على زنة (مَفْعَلَة)، وهذا المصدر يدلّ على سبب كثرة الفعل[٥]. ومثال ما ورد في حِكَم النّبيّ الأعظم على هذا البناء، (مَجبَنَة) و(مَبخَلَة) و(مَحزَنَة)، في قوله (ﷺ "الوَلَدُ ثَمَرُ القَلبِ، وإنَّهُ مَجبَنَةٌ مَبخَلَةٌ مَحزَنَةٌ"[٦]. فكلٌّ فكلٌّ من (مَجبَنَة) و(مَبخَلَة) و(مَحزَنَة) مصدٌر ميميّ، ومعنى الحديث المبارك: إنّ مع

(١) ينظر: شرح الرّضي على الشّافية: ١/ ١٦٨ ، وتصريف الأسماء والأفعال: ١٤٥.

(٢) حكم النّبيّ الأعظم: ٤/ ٥٢ ، وينظر: بحار الأنوار: ٧٣/ ٢٠٩.

(٣) ينظر: لسان العرب: ١/ ٢٥٧ (أوب).

(٤) ينظر: مجاز القرآن، أبو عبيدة : ١/ ٣٧٧.

(٥) ينظر: شرح الرّضي على الشّافية: ١/ ١٦٢ ، وارتشاف الضّرب: ٢/ ٥٠٥ ، ومعاني الأبنية في العربيّة: ٣٤-٣٥.

(٦) حكم النّبيّ الأعظم: ٤/ ١٣٢ ، وينظر: التّوحيد، الشّيخ الصّدوق: ٣٨٨.

مجيء الولد يزداد همّ أبيه ونصبه، فيكون الولد مظنّة الجبن والبخل؛ لأنّ الرّجل يكون بخيلاً يحبّ بقاء المال لولده، وجبانًا يتخلّف عن الحرب؛ لأنَّه يحبّ البقاء عنده ولده(١).

٢- **مَفْعِل:**

وهذا البناء قياسيّ يطّرد في كلّ فعلٍ ثلاثيّ مثال واويّ، صحيح آخره، تحذف فاؤه في المضارع(٢).

ومثال ما ورد لهذا البناء (مَوعِد)، في قوله ﷺ بعد أن صلّى على شهداء أحد: "إنّي بَينَ أيديكُم فَرَطٌ ، وأنَا عَلَيكُم شَهيدٌ ، وإنَّ مَوعِدَكُمُ الحَوضُ ، وإنّي لَأَنظُرُ إلَيهِ مِن مَقامي هذا ، وإنّي لَستُ أخشى عَلَيكُم أن تُشرِكوا ، ولكِنّي أخشى عَلَيكُمُ الدُّنيا أن تَنافَسوها"(٣). و(موعِد) مصدر ميميّ من الفعل المثال (وعَد_ يعِدُ).

وقد ورد مصدرٌ ميميٌّ على هذا البناء من الفعل الأجوف اليائيّ، في قوله المبارك: "إنّ لا إله إلّا اللهُ " كَلِمَةٌ عظيمَةٌ كَريمَةٌ على الله عزّ وجلّ ، مَن قالَها مُخْلِصا اسْتَوجَبَ الجَنّةَ ، ومَن قالَها كاذِبًا عَصَمَتْ مالَهُ ودمَهُ ، وكانَ مَصيرُهُ إلى النّارِ"(٤) . نلحظ أنَّ المصدر الميميّ (مصير) من الفعل (صار_ يصير).

وفي مجيء المصدر من الفعل الأجوف اليائيّ ثلاثة مذاهب، الأوّل فتح العين، وهو القياس، والثّاني أنت بالخيار بين الفتح والكسر، والثّالث الاقتصار على السّماع، وقد رجّح أبو حيّان (٧٤٥هـ) الرّأي القائل بالسّماع(٥).

أَمَّا اشتقاق المصدر الميميّ من الأفعال غير الثّلاثيّة، فهو كاشتقاق اسم المفعول واسمي الزّمان والمكان؛ إذ يُشتقّ على زنة مضارعه مع إبدال حرف المضارعة ميمًا مضمّومة وفتح ما قبل الآخر(٦).

---

(١) ينظر: ارتشاف الضّرب: ١/ ٥٠٥ في الهامش، المساعد على تسهيل الفوائد: ٢/ ٦٣٧ ، وحاشية الصّبّان: ٢/ ٤٧١ في الهامش.

(٢) ينظر: ارتشاف الضّرب: ٢/ ٥٠٢ ، أبنية الصّرف في كتاب سيبويه: ٢٢١.

(٣) حكم النّبيّ الأعظم: ٧/ ١٦٥ ، وينظر: صحيح البخاري: ٤/ ١٤٨٦.

(٤) حكم النبي الأعظم: ٢/ ٥٥٤ ، وينظر: التّوحيد، الشّيخ الصّدوق: ٢٣ .

(٥) ينظر: ارتشاف الضّرب: ١/ ٥٠١ ، والمساعد على تسهيل الفوائد: ٢/ ٦٣٣.

(٦) ينظر: الكتاب: ٤/ ٩٢ ، وشرح الرّضيّ على الشّافية: ١/ ١٧٤ ، التّطبيق الصّرفيّ: ٦٣.

ومثال ما ورد من مصدر ميميّ اشتقّ من فعل غير ثلاثيّ ،(المُنتَهى)، في قوله (ﷺ): "إنَّ رسول اللهِ صلى الله عليه وآله اغْتَمَّ، فَأَمَرَهُ جَبَرَئيلُ عليه السّلام أن يَغسِلَ رَأْسَهُ بِالسِّدرِ، وكانَ ذلِكَ سدرًا مِن سِدرَةِ المُنتَهى"(١). على زنة (مُتْفَعَل) وهو من الفعل (انتهى) المزيد بالهمزة والتّاء.

رابعاً: مصدر المرّة:

لم يضع النّحويّون القدامى حدًّا لمصدر المرّة؛ ولكنهم تطرّقوا لطريقة صياغته، وأوّل من ذكره سيبويه؛ إذ قال: "وإذا أردت المرّة الواحدة من الفعل جئت به أبداً على فَعْلَةٍ على الأصل، لأنَّ الأصل فَعل"(٢). وقد أجمع العلماء من بعد سيبويه (١٨٠هـ) بأنَّ إذا أريد بيان مصدر المرّة جيء به على (فَعْلَة)(٣) .

أمَّا عند اللّغويّين المحدثين، فقد حدّوا مصدر المرّة بأنَّه "اسمٌ مصوغٌ من المصدر الأصليّ، للدّلالة على حدوث الفعل مرّة واحدة. نحو: ضربتُ الأرض ضربة...إنَّه يتضمّن معنى المصدر الأصليّ وهو الحدث. ومعنى مصدر التّوكيد، ومعنى خاصّاً، هو عدد حدوث الفعل"(٤) .

وقد ورد مصدر المرّة في حِكَمه (ﷺ) كثيرًا، منها (زَلَّة)، في قوله (ﷺ): "احذَروا زَلَّةَ العالِمِ، فَإِنَّ زَلَّتَهُ تكَبكِبُهُ فِي النّارِ"(٥). فالمصدر (زَلَّةَ) دلّ على حدوث الفعل مرّة واحدة فقط؛ فقط؛ ليدلُّ على أنّ الوقوع في الزّلل ولو كان لمرّة واحدة فأنَّه يؤدّي بالعالِم إلى النّار؛ لأنّ زلّة العالِم تعني فساد المجتمع كلّه.

---

(١) حكم النّبيّ الأعظم: ٧/ ٢٣٨ ، وينظر: من لا يحضره الفقيه: ٦/ ٥٠٥.

(٢) الكتاب: ٤/ ٤٥ ، وينظر: الأصول في النّحو: ٣/ ١١٠.

(٣) ينظر: المقتضب: ٣/ ٣٧٢ ، وشرح المفصّل: ٦/ ٥٦ ، وشرح الرّضي على الشّافية: ١/ ١٨٠ ، وتوضيح المقاصد: ٢/ ٨٦٨.

(٤) تصريف الأسماء والأفعال: ١٤٢-١٤٣ ، وينظر: شذا العرف: ١١٩ ، وجامع الدّروس العربيّة: ١/ ١٧٥ ، والصّرف الواضح: ١٤٥ ، والمهذّب في علم التّصريف: ٢٧٨.

(٥) حكم النّبيّ الأعظم: ١/ ٣٤٤ ، وينظر: كنز العمّال: ١٠/ ١٣٥.

ومّما ورد أيضًا في حِكَم النّبيّ الأعظم (دَعوَةَ)، في قوله (ﷺ): "أوصي الشّاهِدَ مِن أمَّتي والغائبَ أن يُجِيبَ دَعوَةَ المُسلِمِ ولَو على خَمسَةِ أميالٍ؛ فإنّ ذلكَ مِن الدِّينِ"[١]. فقد استعمل المصدر (دَعوَة) ليدلُّ على حدوث الفعل مرّة واحدة.

ومنها (سَجْدَة) في قوله (ﷺ): "إنّ رسول اللهِ صلّى اللهُ عليه وآله كانَ في سَفَرٍ يَسِيرُ على ناقَةٍ لَهُ؛ إذ نَزَلَ فَسَجَدَ خَمسَ سَجَداتٍ، فلَمّا أن رَكِبَ قالوا: يا رسولَ الله، إنّا رَأيناكَ صَنَعتَ شيئًا لَم تَصنَعْهُ! فقالَ: نَعَم، استَقبلَني جَبرَئِيلُ (عليه السّلام) فَبَشّرَني ببشاراتٍ مِنَ اللهِ عزّ وجلّ، فَسَجَدتُ لله شُكرًا لِكُلّ بُشرى سَجدَةً"[٢]. فالمصدر (سَجدَة) دلّ على حدوث الفعل مرّة واحدة لكلّ بُشرى تلقّاها (ﷺ) من جبرائيل عليه السّلام.

خامسًا: مصدر الهيئة:

ذكر النّحويّون القدامى صيغته وطريقة اشتقاقه؛ ولكن دون أن يضعوا حدًّا له[٣]. أمّا المحدثون، فقد حدّوه بأنّه "المصدر الّذي يؤتى به للدّلالة على هيئة وقوع الحدث"[٤]. وله بناءٌ واحدٌ وهو (فِعْلَة)[٥] .

ومن أمثلة ما ورد في حِكَم النّبيّ الأعظم (القِتلَة) و(الذِّبحَة)، في قوله (ﷺ): "إذا قَتَلتُم فَأحسِنوا القِتلَةَ، وإذا ذَبَحتُم فَأحسِنُوا الذِّبحَةَ"[٦]. فـ(القِتلَةَ) و(الذِّبحَةَ) هما مصدرا هيئة من الفعلين (قتَل) و(ذبَح)، يبينان هيئة الفعل أو الحدث عند وقوعه.

ومن أمثلته (مِيتَة)، في قوله (ﷺ): "حِجَجٌ تَتْرى وعُمَرٌ نَسقاً. تَدفَعُ مِيتَةَ السّوءِ وعَيلَةَ الفَقرِ"[٧]. و(مِيتَة) مصدر هيئة للفعل (مات)، دلّ على هيئة الموت عند وقوعه.

---

(١) حكم النّبيّ الأعظم: ٧/ ٤٧٣ ، وينظر: الكافي: ٦/ ٢٧٤.

(٢) حكم النّبيّ الأعظم: ٤/ ٤٤٤ ، وينظر: الكافي: ٢/ ٩٨.

(٣) ينظر: الكتاب: ٤/ ٤٤ ، وشرح الرّضي على الشّافية: ١/ ١٨٠ ، شرح المفصّل: ٦/ ٥٧ ، وارتشاف الضّرب: ٢/ ٥٠٤ ، وتوضيح المقاصد: ٢/ ٨٦٨.

(٤) أبنية الصّرف في كتاب سيبويه: ٢٢٥.

(٥) ينظر: الكتاب: ٤/ ٤٤ ، وشذا العرف: ١١٩ ، والصّرف الواضح: ١٤٧.

(٦) حكم النّبيّ الأعظم: ٦/ ٥٤٨-٥٤٩ ، وينظر: كنز العمّال: ٥/ ٣٩٢.

(٧) حكم النّبيّ الأعظم: ٧/ ١٠٩ ، وينظر: كنز العمّال: ٥/ ٩.

المبحث الخامِس

النّسب والتّصغير

أوّلا: النّسب:

إنَّ لهذا الباب تسميتين عند النّحويّين هما: باب النّسب وباب الإضافة، وقد جمع سيبويه (١٨٠هـ) بينهما فقال: "هذا باب الإضافة، وهو باب النّسبة"[١] .

والنّسب هو "إلحاق آخر الاسم ياء مشدّدة مسكور ما قبلها، للدّلالة على نسبة شيء إلى آخر"[٢]. هو أحد أساليب الإيجاز في اللّغة العربيّة؛ إذ يحقّق إيجازًا بليغًا، عند طريق نسب شيئًا لآخر، فإذا أردنا نسبة شخص إلى (الموصل) نقول: موصلِيّ بدلاً من أن نقول: هذا منسوبٌ إلى الموصل، أو هذا موصلِيّ[٣]. أَمَّا المنسوب، فهو "الاسم الملحق بآخره ياء مشدّدة مكسور ما قبلها ليدلُّ على نسبته إلى الاسم المجرّد منها"[٤] .

إنَّ الاسم المنسوب تصيبه تغيرات ثلاثة: لفظيّة، ومعنويّة، وحكميّة. فأمَّا اللّفظيّة، فتتمثّل بزيادة الياء آخر الاسم. أمَّا التّغيير المعنويّ، فيتمثّل بصيرورة المنسوب إليه اسمًا للمنسوب، فالزّيادة اللّفظيّة البسيطة (زيادة الياء)، ولّدت لنا زيادة معنويّة كبيرة. وأمَّا التغيير الأخير، فهو التّغيير الحكميّ، الّذي يتمثّل برفع ما بعد الاسم المنسوب على الفاعليّة، نحو هاشِم قيسِيٌّ أبوه[٥] .

ومن المفيد أن نشير إلى أنَّ الاسم الّذي تُضاف له ياء النّسب يعدُّ مؤولًا بالمشتقّ فهو يتضمّن معنى المشتقّ ألا وهو (المنسوب إلى كذا)[٦]، وإلى مثل هذا أشار أبو عليّ الفارسيّ الفارسيّ (٣٧٧هـ) بقوله: "ويصيرُ الاسمُ لِلَحاقِ الياءين له صفَةً للّذي تَنْسُبُه إليهِ بعد أنْ لم

(١) الكتاب: ٣/ ٣٣٥ ، وينظر: الأصول في النحّو: ٣/ ٦٣ ، والمقتضب: ٣/ ١٣٣.

(٢) جامع الدّروس العربيّة: ٢/ ٧١ ، وينظر: تصريف الأسماء والأفعال: ٢٣٤ ، والتّطبيق الصّرفيّ: ١١٧ ، والصّرف العربيّ أحكامٌ ومعانٍ: ٢٠٣.

(٣) ينظر: النّحو الوافي: ٤/ ٧١٣.

(٤) الصّرف الواضح: ٢٩٢.

(٥) ينظر: شذا العرف: ١٨١ ، والصّرف الواضح: ٢٩٢ ، والنّحو الوافي: ٤/ ٧١٣.

(٦) ينظر: النّحو الوافي: ٤/ ٧١٤.

يَكـنْ كـذلكَ"[١]. والغـرض مـن النّسـب هـو "التّخصـيص ببيـان وطـن المنسـوب أو القبيلـة أو مدينته أو عمله أو جنسه أو غير ذلك"[٢] .

إنَّ مـا ورد فـي حِكَـم النّبـيّ الأعظـم مـن الأسـماء المنسـوبة كـان أغلبـه قياسـيّاً، ومـن أمثلتـه (ذِمّـيّ)، فـي قولـه (ﷺ): "مَـن شَـهِدَ شـهادَةَ زُورٍ علـى رجُـلٍ مُسـلمٍ أو ذِمّـيّ أو مَـن كـانَ مِـنَ النّـاسِ، عُلّـقَ بِلِسـانِهِ يـومَ القيامـةِ، وهُـو مَـع المنـافِقِينَ فـي الـدَّرَكِ الأسـفَلِ مِـنَ النـارِ"[٣] و(ذِمّـيّ) منسوب إلى (أهل الذّمة)، وهم أهل الدّيانات الأخرى اليهوديّة والنّصرانيّة.

ومـن الأسـماء المنسـوبة فـي حديثـه (ﷺ) (عربـيّ) و(عجمِـيّ)، فـي قولـه (ﷺ): "لا فَضـلَ لِلعَرَبـيّ علَـى العَجَمـيّ ولا للأحمَـرِ علَـى الأسـوَدِ إلّا بـالتّقوى"[٤]. و(عربـيّ) منسـوب إلـى (العرب)، و(العَجَميّ) منسوب إلى (العجم) وهم الأقوام غير العرب.

ومـن جملـة تلـك الأسـماء المنسـوبة (يهـودِيّ)، فـي الحـديث الشّـريف: "إنَّ يَهودِيّـا حَلَـبَ لِلنَّبـيّ صـلّى الله عليـه وآلـه ناقَـةً، فَقـالَ: " اللّهُـمَّ جَمَلَـهُ " ، فَاسـوَدَّ شَـعرُهُ"[٥] و (يهـودِيّ) منسـوبٌ إلـى اليهود.

ومثلـه (نَصـرانِيٌّ)، فـي قولـه (ﷺ): "قَـدِمَ المَدينَـةَ رَجُـلٌ نَصـرانِيٌّ مِـن أهـلِ نَجـرانَ، وكـانَ فيـهِ بَيـانٌ ولَـهُ وَقـارٌ وهَيبَـةٌ، فَقيـلَ: يـا رَسـولَ الله، مـا أعقَـلَ هـذَا النَّصـرانِيّ؟! فَزَجَـرَ القائِـلَ وقـالَ: مَـه! إنَّ العاقِلَ مَن وَحّدَ الله وعَمِلَ بِطاعَتِهِ"[٦] و(نَصرانِيٌّ) منسوبٌ إلى (نَصْرَان).

ومـن الـوارد مـن الأسـماء المنسـوبة فـي حِكَمـه المباركـة (الفارِسـيّ)، فـي قولـه (ﷺ): "كنّـا جُلُوسـا عِنـد النبـيّ صـلّى الله عليـه وآلـه حـينَ انزِلَـت سُـورَةُ الجُمُعَـةِ، فَتَلاهـا، فلَمَـا بَلَـغَ ﴿وَءَاخَـرِينَ مِنْهُـمْ لَمَّـا يَلْحَقُـوا بِهِـمْ﴾[٧] قـالَ لَـهُ رجُـلٌ: يـا رسـولَ الله، مَـن هـؤلاءِ الّـذينَ لـم يَلحَقُـوا بِنـا ؟ فَوَضَـعَ يَـدَهُ يَـدَهُ علـى رَأسِ سـلمانَ الفارِسـيّ وقـال: والّـذي نفسـي بيَـدِهِ لـو كـانَ الإيمـانُ بالثُّريّـا لَنالَـهُ رِجـالٌ مِـن

(١) التّكملة: ٢٥٣.
(٢) المهذّب في علم التّصريف: ٣٤٣.
(٣) حكم النّبيّ الأعظم: ٦/ ٥٧٠ ، وينظر: بحار الأنوار: ١٠٤/ ٣١٠.
(٤) حكم النّبيّ الأعظم: ٤/ ٢٨٤ ، وينظر: بحار الأنوار: ٢٢/ ٣٤٨.
(٥) حكم النّبيّ الأعظم: ٥/ ٥٢٤ ، وينظر: المصنّف، ابن أبي شيبة: ٦/ ١٥٠.
(٦) حكم النّبيّ الأعظم: ١/ ١٤١ ، وينظر: بحار الأنوار: ٧٧/ ١٥٨.
(٧) سورة الجمعة، آية:٣.

هـؤلاءِ"[١]. و(الفارِسـيّ) هـو المنسـوب إلـى بـلاد فـارس، ومثلـه (نجرانـيّ) و(إعرابـيّ)، فـي قولـه (ﷺ): "كنـتُ أمشـي مَـع رسـولِ اللهِ صـلّى الله عليـه وآلـه وعلَيـهِ بُـردٌ نَجرانـيٌّ غَلـيظُ الحاشِـيَةِ، فأدرَكَـه أعرابـيٌّ فجَذَبَـهُ بِردائِـهِ جَذبَـةً شَـديدَةً، فنَظَـرتُ إلـى صَـفحَةِ عُنـقِ رسـولِ اللهِ صـلّى الله عليـه وآلـه، وقَـد أثَـرَ بهـا حاشِـيَةُ الـرِّداءِ مِـن شِـدَّةِ جَذبَتِـهِ. ثُـمّ قـالَ : يـا محمّـدُ، مُـرْ لـي مـن مـالِ اللهِ الّـذي عِنـدَكَ، فالتَفَـتَ إلَيـهِ فضَـحِكَ ثُـمّ أمَـرَ لَـهُ بعَطـاءٍ"[٢]. و(نجرانـيّ) هـو المنسـوب إلـى مدينـة نجران. و(إعرابيّ) هو المنسوب إلى الأعراب وهم سكان البادية[٣] .

ثانيًا: التّصغير:

التّصـغير هـو "عبـارة عـن تغييـر الاسـم ليـدلّ علـى صـغر المسـمّى وقلّـة أجزائـه"[٤]. أو هـو "تغيّر لغويّ يختصّ بالأسماء دون الأفعال والحروف. وتظهر صورته في البنية والهيئة"[٥] .

ذكـر النّحويّـون فـي مصـنّفاتهم فوائـد وأغـراض التّصـغير[٦]، أبرزهـا الإيجـاز؛ إذ يُعَـدُّ هـذا البـاب أحـد أسـاليب الإيجـاز فـي اللّغـة العربيّـة، فقولنـا: رُجَيْـل، هـو أكثـر إيجـازًا مـن قولـك: رجـلٌ صغيرٌ أو حقيرٌ[٧]. أمَّا أبنيته، فهي ثلاثة أبنيةٍ، هي : فُعَيْل، فُعَيْعِل، فُعَيْعِيْل[٨] .

ومـن أمثلـة مـا ورد فـي حِكَمـه (ﷺ) مـن الألفـاظ المصـغّرة، (حُسَـين)، فـي قولـه (ﷺ): "كـانَ رَسـولُ اللهِ صـلّى الله عليـه وآلـه يُقَبّـلُ الحَسَـنَ وَالحُسَـينَ"[٩]. و(حُسَـين) علـى زنـة (فُعَيْـل) هو تصغير (حَسن). والغرض من هذا التّصغير هو التّحبيب[١٠] .

---

(١) حكم النّبيّ الأعظم: ٣/ ٢٦٥ ، وينظر: سنن التّرمذيّ: ٥/ ٥٠٣.

(٢) حكم النّبيّ الأعظم: ٢/ ٣٢٨ ، وينظر: التّرغيب والتّرهيب: ٣/ ٤١٨.

(٣) ينظر: الصّحاح تاج اللُّغة وصحاح العربيّة: ١/ ١٧٨ (عرب).

(٤) نتائج الفكر في النّحو، السّهيليّ (٥٨١هـ) : ٧٠ ، وينظر: المقتضب: ٢/ ٣٦ ، والتّكملة: ٤٩٦ ،وشرح الرّضي على الشّافية: ١/ ١٨٩ ، وشرح المفصّل: ٥/ ١١٣ ، ارتشاف الضّرب: ١/ ٣١٥ .

(٥) علم الصّرف الصّوتيّ: ٣٩٤.

(٦) ينظر: شرح المفصّل: ٥/ ١١٣ ، وشرح الرّضي على الشّافية: ١/ ١٩٠ ، توضيح المقاصد: ٣/ ١٤١٩ ، وشرح وشرح الشّافية: ١/ ١٩٠ ، وشذا العرف: ١٧٢ .

(٧) ينظر: شرح الرّضي على الشّافية: ١/ ١٩٢.

(٨) ينظر: الكتاب: ٣/ ٤١٥ ، وأوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك: ٤/ ٣٢٥ ، وأبنية الصّرف في كتاب سيبويه: ٣٤١ ، والصّرف الواضح: ٢٧٤.

(٩) حكم النّبيّ الأعظم: ٦/ ٤٤٢ ، وينظر: بحار الأنوار: ٤٣/ ٢٨٢.

(١٠) ينظر: الصّرف الحديث في بيان القرآن والحديث: ٥٢.

ومن الشّواهد الواردة من الأسماء المصغّرة في حِكَم النّبيّ الأعظم، (كُذَيبَة)، في قوله (ﷺ): "إنّ الكِذبَ لَيُكتَبُ حتّى يُكْتَبَ الكُذَيبَةُ كُذَيبَةً"(١) و(كُذَيبَة) على زنة (فُعَيْلَة) هو تصغير تصغير (كِذبة). والغرض من هذا التّصغير هو تقليل الذّات(٢) .

ومن الأحاديث الشّريفة الّتي تضمّنت أكثر من لفظٍ مصغّرٍ، قوله (ﷺ): "لا يَقولَنَّ أحَدُكُم لِلمَسجِدِ مُسَيجِدٌ؛ فَإِنَّهُ بَيتُ اللهِ، يُذكَرُ اللهُ فيهِ، ولا يَقولَنَّ أحَدُكُم مُصَيحِفٌ؛ فَإِنَّ كِتابَ اللهِ أعظَمُ مِن أن يُصَغَّرَ، ولا يَقولَنَّ أحدُكُم عَبدي وأمَتي؛ كُلَّكُم عِبادٌ وإماءٌ، ولا يَقولَنَّ لِلرَّجُلِ رُوَيجِلٌ، ولا للمَرأَةِ مُرَيَّةٌ"(٣) .

فقد تضمّن الحديث أربعة ألفاظٍ مصغّرةٍ، أوّلها (مُسَيجِدٌ) على زنة (فُعَيْعل) و(مُسَيجِدٌ) تصغير (مَسْجِد) وهو اسم مزيد بالميم. واللّفظ الثّاني (مُصَّيحِفٌ) تصغير (مُصحَف). والثّالث (رُوَيجِلٌ) على زنة (فُعَيْعِل) وهو تصغير (رَجُل). والرّابع والأخير هو (مُرَيَّةٌ) على زنة (فُعَيْلَة) وهو تصغير (امرأَة) وأصل(مُرَيَّةٌ) هو (مُرَيْوَة)؛ إذ اجتمعت الياء والواو في كلمةٍ واحدةٍ، والسّابق منهما ساكن، فقُلبت الواو ياءً، وأدغمت الياء بالياء، فصارت (مُرَيَّةٌ).

ومن جملة الأحاديث الشّريفة الّتي تضمّنت ألفاظًا مصغّرةً، الحديث الّذي يصف صلاة رسول الله (ﷺ): "يُصَلِّي رَكعَتَي الفَجرِ قُبَيلَ الفَجرِ وعِندَهُ وبُعَيدَهُ، ثُمَّ يُصَلِّي رَكعَتَي الصُّبحِ –وهُوَ الفَجرُ– إذَا اعتَرَضَ الفَجرُ وأضاءَ حَسَّنًا. فَهِذِهِ صَلاَة رَسولِ اللهِ (ﷺ) الَّتِي قَبَضَهُ الله عزّ وجلّ عَليها"(٤) نلحظ أنّ الحديث الشّريف تضمّن لفظتين مصغّرتين، هما (قُبَيلَ) و(وبُعَيدَ)، وهاتان اللّفظتان تصغير (قبل) و(بعد). والغرض من هذا التّصغير هو التّقريب في الزّمان(٥).

(١) حكم النّبيّ الأعظم: ٥/ ١١١ ، وينظر: بحار الأنوار: ٧٢/ ٢٥٨.
(٢) ينظر: شذا العرف: ١٧٢.
(٣) حكم النّبيّ الأعظم: ٤/ ٣٠٩ ، وينظر: سير أعلام النّبلاء: ١٤/ ٥٤٦.
(٤) حكم النّبيّ الأعظم: ٥/ ٣٠١ ، وينظر: من لا يحضره الفقيه: ١/ ٢٧٧.
(٥) ينظر: شرح الرّضي على الشّافية: ١/ ١٩٠.

الباب الثّاني

بناء الجملة في حِكَمِ النّبيّ الأعظم

الفَصْلُ الأوّل

بناء الجملة الخبريّة

الفَصْلُ الثّاني

بناء الجملة الطّلبيّة

البَابُ الثّانيُ

بِنَاءُ الجُملَةِ في حِكَمِ النَّبيّ الأعظَمِ

توطئة

إنَّ مصطلح (الجملة) لم يكن شائعًا كمصطلحٍ نحويّ عند سيبويه (١٨٠هـ)، وعلماء النّحو الّذين عاصروه. فسيبويه نفسه يستعمل مصطلح (الكلام) في مواضع متعددة يريد بها الجملة، وقد يستعمل المصطلح ذاته في مواضع لا يريد بها الجملة؛ وإنَّما يريد بها معانٍ لغويّة أخرى كالنّثر واللّغة والحديث، وهذا الأمر طبعيّ؛ لأنَّ القواعد النّحويّة كانت في طور التّقعيد ولم تصل المصطلحات النّحويّة إلى مرحلة النّضج والاستقرار(١) .

بيد أنَّ د. فتحي عبد الفتّاح الدّجنيّ قد أشار إلى أنّ أوَّل من استعمل مصطلح (الجملة) صراحةً هو المبرّد (٢٨٥هـ)، فقد ووضع للجملة حدًّا اصطلاحيًّا دون أن يغوص في تفاصيلها(٢). يقول المبرّد في ذلك: "هذا بَاب الفاعل وَهُوَ رَفْع وَذَلِكَ قَوْلك قَامَ عبدُ الله وَجلسَ زيدٌ وإنَّما كَانَ الْفَاعِل رفعًا؛ لأَنَّه هُوَ وَالْفِعْل جملةٌ يحسن عَلَيْهَا السُّكُوت، وَتجب بهَا الفائدةُ للمخاطب"(٣). على أنَّ مصطلح (الجملة) الّذي قال به المبرّد لم يغلب على مصطلح (الكلام)؛ إذ استمر النّحويّون في المرحلة الّتي تلت سيبويه والمبرّد على استعمال المصطلحين كليهما في الدّلالة على الجملة أو الكلام(٤). فابن جنّي (٣٩٢هـ) لم يفرّق بين المصطلحين؛ إذ حدّ الكلام بأنَّه: "كلّ لفظٍ مستقلٍّ بنفسه مفيدٍ لمعناه، وهو الّذي يسمّيه النّحاة الجمل"(٥) .

ولم يفرّق عبد القاهر الجرجانيّ (٤٧١هـ) أيضًا بين المصطلحين؛ إذ يقول: "اعلم أنَّ الواحد من الاسم والفعل والحرف يسمّى كلمة، فإذا ائتلف منها اثنان فأفادا نحو: "خرجَ زيدٌ"، سُمّي كلامًا وسُمّي جملة"(٦) .

---

(١) ينظر: بناء الجملة العربيّة:٢١-٢٣، ومدخل إلى دراسة الجملة العربيّة: ١٧.

(٢) ينظر: الجملة العربيّة نشأةً وتطوراً وإعرابًا: ٢١.

(٣) المقتضب: ١/ ١٤٦.

(٤) ينظر: بناء الجملة العربيّة: ٢٣.

(٥) الخصائص: ١/ ١٨.

(٦) الجمل، عبد القاهر الجرجانيّ: ٤٠.

وتابع الزّمخشريّ (٥٣٨هـ) القول القائل بترادف المصطلحين، يقول في ذلك: "الكلام هو المُركّب من كلمتين أُسندت إحداهما إلى الأخرى، وذلك لا يتأتّى إلّا في اسمين كقولك: زيدٌ أخوك، وبشرٌ صاحبك، أو في فعلٍ واسمٍ نحو قولك: ضُرِب زيدٌ، وانطلقَ بكرٌ، وتسمّى الجملة"[١] .

أمَّا النّحويّون الّذين فرّقوا بين (الجملة والكلام)، فقد كان تفريقهم للمصطلحين قائمًا على معيارين، الأوّل الإسناد الأصليّ، والثّاني الفائدة. فابن مالك (٦٧٢هـ) حدّ الكلام بأنّه "ما تضمّن من الكلم إسنادًا مفيدًا مقصودًا لذاته"[٢] وأشار بقوله: (لذاته)؛ ليخرج ما كان من الجمل المقصودة لغير ذاتها أي الجمل غير المستقلّة، كالجملة الواقعة خبرًا أو صلّة أو نعتًا أو حالاً، فمثال الجملة الواقعة صلّة للموصول قولك: جاءت الّتي وجهها حسنٌ، فالجملة مقصودة لغير ذاتها؛ لأنَّ الإسناد في هذه الجملة هو لتوضيح الاسم الموصول[٣] .

وإلى مثل هذا ذهب رضيّ الدّين الاستراباذيّ (٦٨٦هـ)، بقوله: "والفرق بين الجملة والكلام، أنّ الجملة ما تضمَّن الإسناد الأصليّ سواء كانت مقصودة لذاتها أو لا... والكلام ما تضمّن الإسناد الأصليّ وكان مقصودًا لذاته؛ فكلّ كلامٍ جملة ولا ينعكس"[٤] .
ينعكس"[٤] .

أَمَّا ابن هشام الأنصاريّ (٧٦١هـ)، فقد فرّق بين المصطلحين على أساس الفائدة، يقول في ذلك: "الكلام: هو القَوْلُ المفيدُ بالقَصْد. والمراد بالمفيد: ما دلّ على معنى يحسن السّكوت عليه. وبالجملة عبارة عن الفعل وفاعله كـ(قَام زَيْدٌ) والمبتدأ والخبر كـ(زَيْدٌ قَائِمٌ) وما كان بمنزلة أحدهما...وبهذا يظهر لك أَنَّهما ليسا بمترادفين...والصّواب أَنَّها أعَمُّ منه؛ إذ شرطه الإفادة، بخلافها، ولهذا تسمعهم يقولون: جملة الشّرط، جملة الجواب، جملة الصّلة، وكلّ ذلك ليس مفيداً، فليس بكلام"[٥] .

---

(١) المفصّل في صنعة الإعراب: ٢٣.

(٢) تسهيل الفوائد وتكميل المقاصد: ٣.

(٣) ينظر: المساعد على تسهيل الفوائد: ١/ ٥ ، وحاشية الصّبّان: ١/ ٣٣.

(٤) شرح الرّضيّ على الكافية: ١/ ٣٣.

(٥) مغني اللّبيب عن كتب الأعاريب: ٢/ ٤٣١.

ويُفهم ممّا سُطّر بأنَّ الجملة هي أعمُّ من الكلام؛ لأنّ الجملة يشترط فيها الأسناد فقط سواء أفادت أم لم تفد، وسواء أكانت مقصودةً لذاتها أم لغيرها. والكلام يشترط فيه الإفادة والإسناد وكونه مقصوداً لذاته.

إنَّ الجملة في العربيّة تتألّف من ركنين أساسيّين هما المسند والمسند إليه، ولا يمكن الاستغناء عن أي ركنٍ منهما، ولا تأليف جملة من غيرهما لفظًا أو تقديراً؛ لأنّهما عمدتا الكلام. والمسند إليه لا يكون إلّا اسمًا وهو المبتدأ والفاعل. والمسند قد يكون اسمًا أو فعلًا، وهو الفعل والخبر(١) .

أمَّا أقسام الجملة، فتقسم بحسب الضّوابط الّتي ينظر إليها في ذلك التّقسيم، فتقسم على اسميّةٍ وفعليّةٍ بالنّظر إلى كونها مبدوءةً باسمٍ أو فعلٍ. وتقسم على منفيّةٍ أو مثبتةٍ بالنّظر إلى تضمّنها النّفي أو الإثبات، وتارة أخرى بحسب الإخبار والطّلب وهكذا باقي التّقسيمات(٢) .

وأمَّا أنواعها، فمختلفٌ فيها بين النّحويّين. فالزّمخشريّ (٥٣٨هـ) يرى أنّها أربعة أضرب: فعليّة، اسميّة، وشرطيّة، وظرفيّة(٣). ونسب ابن يعيش (٦٤٣هـ) هذه القسمة إلى أبي عليّ الفارسيّ (٣٧٧هـ) بقوله : "اعلم أنّه قسم الجملة إلى أربعةِ أقسام: فعليّة، واسميّة، وشرطيّة، وظرفيّة، وهذه قِسمَةُ أبي عليّ، وهي قسمةٌ لفظيّةٌ"(٤).

بيد أنّ ابن يعيش يوجِز قسمة أبي عليّ الفارسيّ، ويرى أنّ الجملة في العربيّة على ضربين فقط فعليّة وأسميّة. أمَّا الجملة الشّرطيّة، فهي من قبيل الجملة الفعليّة لأنَّ كِلتا جملتي الشّرط (الشّرط والجزاء) مكوّنة من فعلٍ وفاعلٍ. أمَّا الجملة الظّرفيّة فهي للخبر الّذي تقديره (استقرّ) وهو فعلٌ وفاعلٌ(٥).

ويرى د. فاضل السّامرائيّ أنَّ الجملة الشّرطيّة إمَّا تكون جملة فعليّة وإمَّا تكون جملة اسميّة، والضّابط الّذي يحدّد أحد الضّربين (اسميّة أو فعليّة) هو طرفي الإسناد، فإن

(١) ينظر: الكتاب: ١/ ٢٣ ، والأصول، تمام حسّان: ١٢١ ، والجملة العربيّة تأليفها وأقسامها: ١٣.
(٢) ينظر: مدخل إلى دراسة الجملة العربيّة: ٢٣-٢٤ ، والجملة العربيّة تأليفها وأقسامها: ١٥٧.
(٣) ينظر: المفصّل في صنعة الإعراب: ٤٤.
(٤) شرح المفصّل: ١/ ٨٨.
(٥) ينظر: المصدر نفسه: ١/ ٨٨.

كـان فعـلًا نحـو: (أيَّ رجـلٍ تكـرمْ أكـرمْ) فالجملـة فعليّـة. وإن كـان اسـمًا نحـو: (أيُّ رجـلٍ يحضـر أحضـر معـه) فالجملـة أسـميّة. وأمَّـا الجمـل المبـدوءة بحـرف شـرط نحـو: (إنْ زرتَني أكرمتُك) فهي جملٌ فعليّة، وفي نحو: (لولا عليٌ لهلِك عمر) اسميّة[١] .

أمَّـا الجملـة الظّرفيّـة نحـو: (أعنـدك زيـدٌ؟)، فقـد خـالف أ.د فاضـل السّـامرائيّ فيهـا مـا ذهـب إليـه النّحويّـون. وذهـب إلـى أَنَّ "(زيـداً) مبتـدأ مـؤخّر لا فاعـل بـدليل أَنَّـه يصـحّ أن تـدخل عليـه النّواسـخ فتقـول: (أإنَّ عنـدك زيـدًا؟) ولـو كـان فـاعلًا لـم يصـحّ دخـول (إنَّ) عليـه ولا انتصـابه. وتقـول (أظنّنـتُ عنـدك زيـدًا؟) ولـو كـان فـاعلًا لـم ينتصـب، وتقـول (أكان عندك زيد؟)، فزيد اسم (كان) لا فاعل، وإذا كان فاعلًا فأين أسم كان؟"[٢] .

إنَّ مـا ذكـره ابـن يعـيش والسّـامرائيّ مـن تقسـيمٍ للجملـة علـى ضـربين (اسـميّة، وفعليّـة)، أمـرٌ مستحسـنٌ؛ إذ يـدفع التّقسـيم عـن دائـرة التّعقيـد عنـد اللّجـوج فـي أبـواب النّحـو، ويجعـل أبواب النّحو وموضوعاته أكثر سهولةً عند دراستها.

وهـذه الأنـواع مـن الجملـة نجـدها تكـاد تنضـوي تحـت نـوعٍ واحـدٍ هـو الجُملـة الخبريّـة، ويُقابلهـا الجُملـة الانشـائيَّة والطّلبيَّـة. ومـن أجـل الإحاطـة بهـذه الأنـواع مـن الجمـل قسّـمتُ هـذا البـاب علـى فصـلين، الأوَّل للجملـة الخبريّـة مقسّـمًا إيّاهـا علـى ضـربين رئيسـين (الاسـميّة والفعليّـة)، عاقـدًا مبحثًـا مسـتقلّاً بالجملـة الشّـرطيّة. والفصـل الثّـاني هـو للجملـة الطّلبيّـة مقسـمًا إيّاهـا علـى مجموعـة أقسـام (جملـة النّـداء، جملـة الاسـتفهام، جملـة الأمـر، وجمـل طلبيّـة أخـرى). أمَّـا الانشـاء غيـر الطّلبـيّ كالتّعجـب، والمـدح والـذّم، فلـم أجـد لـه فـي حِكَـم النّبـيّ الأعظـم مـا يسـاعد علـى النّهـوض بدراسـته؛ إذ إنَّ مـا ورد منـه قليـلٌ جـدًّا قياسـاً بالجمل الطّلبيّة الإنشائيّة.

(١) ينظر: الجملة العربيّة تأليفها وأقسامها: ١٦٠-١٦١.

(٢) المصدر نفسه: ١٦٠.

الفَصْلُ الأوّلُ

بِنَاءُ الجُملَةِ الخَبَرِيَّة

المبحث الأوّل

الجملة الخبريّة المثبتة

أوّلًا: الجملة الاسميّة المثبتة:

الجملة الاسميّة في أبسط تعريفاتها، هي الجملة الّتي يكون فيها الرّكن الإسناديّ المتصدّر اسمًا، وهذا الاسم هو المرتكز والمحور الّذي لا بُدَّ من وجوده لإطلاق مصطلح (الجملة الاسميّة) على أيّة جملةٍ تتصدّر باسم[١] .

إنَّ الجملة في العربيّة تقوم على عنصرين أساسيّين هما المسند والمسند إليه، وهما عمدتا الجملة كما أشرنا إلى ذلك، ولا تنعقد أيّة جملةٍ من دونهما. وفي الجملة الاسميّة يكون المبتدأ مسندًا إليه، والخبر هو المسند[٢]. يقول في ذلك سيبويه (١٨٠هـ): "فالمبتدأ كلّ اسم ابتُدئ ليُبنى عليه كلامٌ. والمبتدأ والمبني عليه رفعٌ. فالابتداء لا يكون إلّا بمبنيّ عليه، فالمبتدأ الأوّل والمبنيّ ما بعده عليه فهو مسنَد ومسنَد إليه"[٣]. وقد علّل الاستراباذيّ (٦٨٦هـ) اختصاص المسند إليه بالاسم دون غيره، بقوله: "لأنَّ المسند إليه مخبر عنه إمَّا في الحال أو الأصل"[٤]. أمَّا الخبر، فحدّه ابن السّرّاج (٣١٦هـ) بقوله: " الاسم الّذِي هو خبر المبتدأ وهو الّذِي يستفيده السّامع ويصير به المبتدأ كلاماً، وبالخبر يقع التّصديق والتّكذيب"[٥] .

إنَّ المبتدأ لم يُطلق عليه مبتدأ؛ لكونه أوَّل ما يُتلفّظ به في الكلام، وكذلك الخبر لم يسمَّ خبرًا لكونه يخبر عن المبتدأ أو بسبب تأخّره عن المبتدأ؛ وإنّما يسمّى المبتدأُ مبتدأً؛ لأنَّه المسند إليه المعنى والمثبّتُ له، والخبرُ خبرًا؛ لأنَّه المسند الّذي يُثبّتُ به المعنى،

---

(١) ينظر: مُغني اللّبيب عن كتب الأعاريب: ٢/ ٤٣٣ ، والجملة الاسميّة، د. عليّ أبو مكارم: ١٧.

(٢) ينظر: الأصول، تمام حسّان: ١٢١.

(٣) الكتاب: ٢/ ١٢٦ ، وينظر: الأصول في النّحو: ١/ ٥٨ ، اللّمع في العربيّة: ٢٩ ، وأوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك: ١/ ١٨٤ ، ومعاني النّحو: ١/ ١٤٩.

(٤) شرح الرضيّ على الكافيّة: ١/ ٣٩.

(٥) الأصول في النّحو: ١/ ٦٢.

فعندما تقول: (خالدٌ مُنطلِقٌ)، فإنَّ الانطلاق قد ثبت لخالد وأُسند معنى الانطلاق إليه، والعلاقة بين المسند والمسند إليه تسمّى الإسناد(١).

ومن المفيد أن نشير إلى أنّ الجملة الاسميّة أدلّ على الثّبوت من الجملة الفعليّة، ففي قولنا: (زيدٌ خطيبٌ) هي جملة اسميّة دلّت على الثّبوت، بينما قولنا: (زيدٌ يخطبُ) جملة فعليّة تدلّ على التّجدّد والحدوث(٢). يقول الخطيب القزوينيّ (٧٣٩هـ) في ذلك: "وأمَّا كونه، يعني المسندَ، فعلًا فللتَّقييد بأحد الأزمنة الثَّلاثة على أخصر ما يكون مع إفادة التَّجدّد، وأمَّا كونه اسمًا فلإفادة عدمِ التَّقييد والتّجدّد"(٣) .

والمبتدأ والخبر اللّذان نحن بصددهما، هما جوهر البنية الأساسيّة للجملة الأسميّة؛ إذ إنَّ لهما وظيفتين نحويّتين "تمثّلان العلاقة النّحويّة بين العناصر الّتي تشغل هذه الوظائف وكلّ تعريفات النّحاة للمبتدأ قامت على إدراكهم للبنية الأساسيّة، وشروط شغل العنصر لتلك الوظيفة، وكذلك السّمات التّركيبيّة للعنصر الَّذِي يشغل تلك الوظيفة والأحكام المترتبة على شغله لها"(٤) .

وقد تعدّدت أنماط الجملة الاسميّة المثبتة في حِكَم النّبيّ الأعظم؛ تبعًا لتنوّع البنية الأساسيّة للجملة الاسميّة (المبتدأ أو الخبر)، وفيما يلي تفصيلٌ بالأنماط الّتي وردت في حِكَمه (ﷺ) :

١- المبتدأ والخبر معرفتان:

إنَّ الأصل في المبتدأ أن يكون معرفة "ولو قلت: رجلٌ ذاهبٌ لم يَحسن حتَّى تُعرِّفه بشيءٍ فتقولَ: راكبٌ من بني فلانٍ سائرٌ"(٥). أمَّا أصل الخبر، فهو "أن يكون نكرةً؛ لأنَّه لأنَّه محكوم به، والمحكوم به ينبغي أن يكون نكرةً؛ لأنَّه إنْ كان معرفة كان معلومًا للمخاطَب، فلا يكون للحكم فائدةٌ "(٦). وعند مجيئهما معرفتين أنت بالخيار فيهما أن

---

(١) ينظر: دلائل الإعجاز: ١٨٩.

(٢) ينظر: الجملة العربيّة تأليفها وأقسامها: ١٦٢.

(٣) الإيضاح في علوم البلاغة، الخطيب القزوينيّ: ١/ ١٧٧ ، وينظر: دلائل الإعجاز: ١٧٤ ، وفي النّحو العربيّ نقد وتوجيه: ٤١-٤٢.

(٤) بناء الجملة في السّيرة النّبويّة لابن هشام، عبد الغنيّ شوقي موسى الأدبعيّ (أطروحة دكتوراه): ٤٥.

(٥) الكتاب: ١/ ٣٢٩.

(٦) شرح الأنموذج في النّحو، الزّمخشريّ: ٢٩.

شئت تجعل أحدهما المبتدأ والآخر خبرًا[١]. ومن صور هذا النّمط في حِكَم النّبيّ الأعظم، قوله (ﷺ): "السَّكِينَةُ زينَةُ العِبادَةِ"[٢]. ففي الحديث الشّريف ورد المبتدأ معرفة (السَّكِينَةُ) وهو اسم مُعرّف بـ(الـ) التّعريف، والخبر معرفة (زينَةُ العِبادَةِ) معرّف بالإضافة؛ لأنّه مضافٌ إلى معرفة.

٢- المبتدأ معرفة والخبر نكرة:

إنَّ أصل المبتدأ في كلام العرب كما أشرنا قبل قليل أن يكون معرفة والخبر نكرة، يقول في ذلك سيبويه (١٨٠هـ): "وأَحسنْه إذا اجتمع نكرة ومعرفة أن يُبتدأ بالأعرف؛ وهو أصلُ الكلام"[٣] .

وممّا ورد على هذا النّمط في حديثه المبارك، قوله (ﷺ): "النّاسُ مَعادِنٌ؛ خِيارُهم فِي الجاهلِيَّةِ خِيارُهُم فِي الإسلامِ إذا فَقِهوا"[٤]. نلحظ في هذا الحديث الشّريف أنَّ المبتدأ ورد معرفةً، وهو (النّاسُ). وورد خبره نكرة (مَعادِنٌ) لتحقيق الفائدة من الإخبار. ولو قال (ﷺ): (النّاسُ المَعادِنٌ) لتوهّم المتلقّي كون (المعادن) صفةً وليس إخبارًا.

٣- المبتدأ معرفة والخبر جملة فعليّة:

عندما يكون الخبر جملة فلا بُدَّ أن يكون هنالك رابطًا يربط الخبر (الجملة) بالمبتدأ؛ حتّى لا يلتبس الأمرُ فتفهم الجملة الواقعة خبر على أنَّها جملة مستقلّة[٥] .

وممّا يُستشهد به على هذا النّمط، حكمته المباركة (ﷺ): "الأَمانَةُ تَجلِبُ الرِّزْقَ"[٦]؛ إذ ورد المبتدأ في الحديث الشّريف معرفة وهو (الأَمانَةُ)، وخبره الجملة الفعليّة المضارعيّة (تَجلِبُ الرِّزْقَ). والرّابط بين الخبر (الجملة) والمبتدأ هو الضّمير المستتر في (تَجلِبُ) العائد على (الأَمانَةُ). و"تفيد الجملة الفعليّة الاستمرار التّجدّديّ

(١) ينظر: اللمع في العربيّة: ٢٩.
(٢) حكم النّبيّ الأعظم: ٥/ ١٣٧ ، وينظر: بحار الأنوار: ٧٧/ ١٣١.
(٣) الكتاب: ١/ ٣٢٨ ، وينظر: الأصول في النّحو: ١/ ٦٥.
(٤) حكم النّبيّ الأعظم: ١/ ١٢٩ ، وينظر: صحيح البخاريّ: ٣/ ١٢٣٨.
(٥) ينظر: بناء الجملة العربيّة: ١٠٦.
(٦) حكم النّبيّ الأعظم: ٧/ ١١٦ ، وينظر: الكافي: ٥/ ١٣٣.

شيئًا فشيئًا بحسب المقام، وبمعونة القرائن...بشرط أن يكون الفعل مضارعًا"[١] ، وهذا ما أفادته الجملة الفعليّة في الحديث الشّريف.

٤- المبتدأ نكرة والخبر جملة فعليّة:

ومثال وقوع الجملة الفعليّة خبر لمبتدأ نكرة، قوله (ﷺ): " ثَلاثَةٌ لا يَنظُرُ اللهُ إلَيهِم...وَالمُزَكّي سِلعَتَهُ بِالكَذِبِ"[٢]. ففي الحديث الشّريف ورد المبتدأ (ثلاثة) وهو نكرة، والجملة الفعليّة المنفيّة (لا يَنظُرُ اللهُ إلَيهِم) في محل رفع خبر للمبتدأ.

٥- المبتدأ معرفة والخبر شبه جملة:

إنَّ شبه الجملة لا بُدَّ من تعلّقها "بالفعل، أو ما يُشبهه، أو ما أُوِّلَ بما يُشبهه، أو ما يُشير إلى معناه؛ فإن لم يكن شيء من هذه الأربعة موجوداً قُدِّرَ"[٣]. ويرى ابن السّرّاج (٣١٦هـ) أنَّه لا داعيَ لوجود التقدير؛ بل الاكتفاء بقول : إنَّ الجارَّ والمجرور أو الظّرف هو في موضع رفع الخبر[٤]. وهو رأيٌ صائبٌ؛ لأنّ الأصل هو عدم التّقدير ما دام هنالك ما يحلُّ محلّه، وهو الجارُّ والمجرور والظّرف، فيكون ترك التّقدير أولى من اللّجوء إليه.

ومن أبرز ما يمثّل هذا النّمط في حديثه (ﷺ)، قوله عليه الصّلاة والسّلام "مَثَلُ المؤمنِ كمَثَلِ العَطّارِ، إن جالَستَهُ نَفَعَكَ، وإن ماشَيتَه نَفَعَكَ، وإن شارَكتَهُ نَفَعَكَ"[٥]. ففي ففي الحديث الشّريف ورد المبتدأ معرّفة (مَثَلُ المؤمنِ)، والخبر شبه جملة (كمَثَلِ العَطّارِ).

ثانيًا: الجملة الفعليّة المثبتة:

الجملة الفعليّة هي القسم الثّاني من الجملة الخبريّة في العربيّة. وكما بيّنا في الجملة الاسميّة أنَّ الاسم هو المحور والمرتكز الّذي تقوم عليه الجملة الاسميّة. كذلك هو الفعل في الجملة الفعليّة؛ إذ يُعدُّ المحور والمرتكز الّذي يميّز الجملة الفعليّة عن غيرها[٦] .

---

(١) جواهر البلاغة، أحمد الهاشميّ: ٧٣.

(٢) حكم النّبيّ الأعظم: ٧/ ٥٠ ، وينظر: تفسير العياشيّ : ١/ ١٧٩.

(٣) مغني اللّبيب عن كتب الأعاريب: ٢/ ٤٩٩.

(٤) ينظر: الأصول في النحو: ١/ ٦٣

(٥) حكم النّبيّ الأعظم: ٤/ ٧٠ ، وينظر: كنز العمال: ١/ ١٤٧.

(٦) ينظر: اللّمع في العربيّة: ٢٣ ، ومفتاح العلوم: ٢٢٥-٢٢٦.

حـدّها ابـن هشـام (٧٦١هـ) بأنَّهـا الجملـة "الّتـي صَـدْرُها فعـل، كقـامَ زيـدٌ، وضُـرِب اللّـصُّ"[١]. وأطلـق عليهـا د. محمّـد إبـراهيم عبـادة (المركـب الفعلـيّ) نـاظرًا إلـى العناصـر الّتـي تتكـوّن منهـا الجملـة الفعليّـة، يقـول فـي ذلـك: "ونريـد بـه الهيئـة التّركيبيّـة المبـدوءة فـي الأصـل بفعـلٍ تـامٍّ، سـواء أكـان مبنيـاً للمجهـول أم مبنيـاً للمعلـوم، وسـواء أكـان متعـدّياً أم لازمـاً، وهـذه الهيئـة التّركيبيّـة هـي المعروفـة بالجملـة الفعليّـة"[٢]. وقـد تحـدّث سـيبويه (١٨٠هـ) عـن الفعـل، فقـال: "وأمَّـا الفعـل، فأمثلـةٌ أُخـذتْ مـن لفـظ أحـداث الأسـماء، وبُنيـتْ لمـا مضـى، ولمـا يكـون ولـم يقـع، ومـا هـو كـائن لـم ينَقطـع. فأمَّـا بنـاء مـا مضـى، فـذَهَبَ وسَـمِعِ ومِكُـث وحُمِـدَ. وأمَّـا بنـاء مـا لـم يقـع، فإنّـه قولـك آمـراً: اذهَـب واقتُـل واضـرِب، ومخبـراً: يَقْتُـلُ ويَـذهَبُ ويَضـرِبُ ويُقْتَـلُ ويُضـرَبُ. وكـذلك بنـاء مـا لـم يَنقطـع وهـو كـائن إذا أخبرتَ"[٣] .

مـن المعلـوم أنّ للفعـل الصّـدارة فـي الجملـة الفعليّـة، فـإن تقـدّم علـى صـدارة الفعـل حـرفٌ أو فضـلةٌ، فـلا عبـرةَ لهـا؛ إذ تبقـى الجملـة فعليّـة نحـو: (هـل سـافرَ محمـدٌ؟) (قـد قـامَ علـيّ) فهذه جملٌ فعليّةٌ محضةٌ ولا تأثير للحروف عليها[٤] .

أمَّـا الأفعـال النّاقصـة الّتـي تتصـدر بعـض الجملـة نحـو: (كـان علـيّ قائمًـا)، فمختلـفٌ فيهـا، فهـي عنـد ابـن هشـام جملـةٌ اسـميّةٌ[٥]، وعنـد السّـامرائيّ جملـةٌ فعليّـةٌ[٦]. وذهـب بعضُـهم إلـى أنَّ هـذا الضّـرب مـن الجمـل هـو فـي الأصـل جملـةٌ اسـميّةٌ؛ ولكنهـا تحوّلـت إلى جملة فعليّة، واصطلحوا على تسميتها بـ(الجمل الفعليّة المحوّلة)[٧].

---

(١) مغني اللّبيب عن كتب الأعاريب: ٢/ ٤٣٣.

(٢) الجملة العربيّة مكوناتها- أنواعها- تحليلها: ٤١.

(٣) الكتاب: ١/ ١٢.

(٤) ينظر: الجملة العربيّة تأليفها وأقسامها: ١٥٧.

(٥) ينظر: مغني اللّبيب عن كتب الأعاريب: ٢/ ٤٣٣-٤٣٤.

(٦) ينظر: الجملة العربيّة تأليفها وأقسامها: ١٥٨.

(٧) ينظر: بناء الجملة العربيّة في ديوان النّابغة الذّبيانيّ(رسالة ماجستير)، عبد الجليل عبيد حسين العانيّ:٤٠ ، ، والجملة الخبريّة في مجموعات الشّعر العربيّ القديم، المفضّليات والأصمعيّات (أطروحة دكتوراه)، مجهد جيجان الدّليميّ: ٧٦-٧٧.

"والجملة الفعليّة أكثر الجمل شيوعًا في الاستعمال، بل التّعبير بالفعل أساس التّعبير في العربيّة"(١) ولمّا كانت الأفعال أكثر شيوعًا في الاستعمال، تنوّعت أنماط الجمل الفعليّة في الكلام، وتعدّدت وتباينت تبعًا للفعل المُتصدّرة بها.

أمَّا أنماط الجملة الفعليّة المثبتة الواردة في حِكَم النّبيّ الأعظم، فهي كالآتي:

١- الجملة الفعليّة ذات الفعل المبنيّ للمعلوم:

أ- الجملة الفعليّة ذات الفعل اللّازم:

يقول الزّمخشريّ (٥٣٨) في الفعل اللّازم: "وغير المتعدّي ضرب واحد وهو ما تخصّص بالفاعل كذهب زيدٌ ومكثَ وخرجَ ونحو ذلك"(٢). وعلامة الفعل اللّازم بأنَّه "لا يُبنى منه اسم مفعول، ولا يصحّ السّؤال عنه بأيّ شيءٍ وقع"(٣). ومن العلامات الّتي ذُكرت في تمييزه من المتعدّي، ما ذكره السّيوطيّ (٩١١هـ): "مَا لَا يبني منه مفعول تَامّ أَيّ بغير حرف جرّ"(٤) .

ومن الشّواهد الواردة في حِكَمه (ﷺ) على هذا النّمط من الجمل، قوله (ﷺ): "إذا ظَهَرَتِ البِدَعُ في أُمّتي فلْيُظهر العالِمُ علمَهُ. فمَن لَم يَفعلْ فعَلَيهِ لَعنةُ اللهِ"(٥). ورد في الحديث المبارك الفعل (ظَهَرَ) وهو فعلٌ ماضٍ لازم، وفاعله (البدعُ)، وقد اكتفى الفعل به في أداء المعنى دون الحاجة إلى مفعولٍ به. وقد يكون هذا الفعل متعدّيًا، وعندئذٍ لا يتعدّى إلّا بحرف الجرّ نحو: (ظهرَ القائدُ بالجيشِ إلى أرضِ المعركةِ)(٦) .

ب- الجملة الفعليّة ذات الفعل المتعدّي إلى مفعولٍ واحدٍ:

يقول سيبويه (١٨٠هـ) في هذا الباب: "هذا باب الفاعل الّذي يَتعدّاه فعلُه إلى مفعولٍ وذلك قولك: ضَرَبَ عبدُ الله زيداً...وانتصب زيدٌ؛ لأنَّه مفعول تعدّى إليه فعلُ

(١) في النّحو العربيّ قواعد وتطبيق: ١٢٥.
(٢) المفصّل في صنعة الإعراب: ٣٤١ ، وينظر : الأصول في النّحو: ١/ ١٦٩ ، وشرح المفصّل: ١/ ٦٢.
(٣) شرح جمل الزّجّاجيّ: ١/ ٢٧٣ ، وينظر: شرح ابن عقيل: ٢/ ٦٦-٦٧.
(٤) همع الهوامع: ٥/ ١٠.
(٥) حكم النّبيّ الأعظم: ٤/ ٦٢٠ ، وينظر: الكافي: ١/ ٥٤.
(٦) ينظر: معجم الأفعال المتعدّية بحرف: ٢٢٦.

الفاعل"[١]. والفعل المتعدّي يكون على أضربٍ ثلاث متعدٍّ إلى مفعولٍ واحدٍ ومتعدٍّ إلى مفعولين، وإلى ثلاثة مفاعيل[٢] .

ومن أمثلة مجيء الفعل متعدّيًا إلى مفعول واحد في حِكَم النّبيّ الأعظم، قوله (ﷺ): "لَمّا خَلَقَ اللهُ تعالى الإيمانَ، قالَ: اللّهُمَّ قَوِّني، فَقَوّاهُ بحُسنِ الخُلقِ والسّخاءِ"[٣]. فالفعل (خَلَقَ) متعدٍّ إلى مفعول به واحد وهو (الإيمانَ).

وقد يكون الفعل متعدّيًا بإحدى وسائل التّعدية، كالهمزة والتّضعيف. ومثال الفعل المتعدّي بالهمزة، قوله (ﷺ): "لَن يَعمَلَ ابنُ آدَمَ عَملاً أعظَمَ عِندَ اللهِ تباركَ وتعالى مِن رَجُلٍ قَتَلَ نَبيّاً أو إماماً، أو هَدَمَ الكَعبَةَ الّتي جَعَلَها الله عزّ وجلّ قِبلَةً لِعِبادِهِ. أو أفرَغَ ماءَهُ في امرَأةٍ حَراماً"[٤]. فقد ورد الفعل (أفرَغَ) متعدّيًا بالهمزة إلى مفعوله (ماءَ).

أمّا مثال الفعل المتعدّي بالتّضعيف، قوله عليه الصّلاة والسّلام: "حَصِّنوا أموالَكُم بِالزَّكاةِ" فالفعل (حَصِّنوا) أصله (حصُن) وهو فعلٌ لازمٌ تعدّى بتضعيف العين إلى مفعوله (أموالكم).

ت- الجملة الفعليّة ذات الفعل المتعدّي إلى مفعولين:

وهذا الضّرب الثّاني من ضروب الفعل المتعدّي، وسمّاه سيبويه (١٨٠هـ) "هذا باب الفاعل الّذي يَتعدّاهُ فعلُه إلى مفعولين فإن شئت اقتصرتَ على المفعول الأوّل وإن شئت تعدّى إلى الثّاني كما تعدى إلى الأوّل"[٥]. والفعل المتعدّي إلى مفعولين، قد يكون متعدّيًا إلى مفعولين أصلهما مبتدأ وخبر، كظنَّ وأخواتها، وقد يكون متعدّيًا إلى مفعولين ليس أصلهما مبتدأ وخبر[٦] .

---

(١) الكتاب: ١/ ٣٤.

(٢) ينظر: الأصول في النّحو: ١/ ١٧٧ ، والمفتاح في الصّرف: ٥٦ ، والمفصّل في صنعة الإعراب: ٣٤١ ، وتسهيل الفوائد: ٨٣

(٣) حكم النّبيّ الأعظم: ٤/ ٢٩٥ ، وينظر: المحجّة البيضاء: ٥/ ٩٠.

(٤) حكم النّبيّ الأعظم: ٥/ ١١ ، وينظر: بحار الأنوار: ٧٩/ ٢٠.

(٥) الكتاب: ١/ ٣٧ ، وينظر: شرح المفصّل: ٧/ ٦٢.

(٦) ينظر: شرح ابن عقيل: ٢/ ٦٦.

وممّا يُستشهد به على هذا النّمط من الجمل، قوله (ﷺ): "تَجِدونَ النّاسَ مَعادِنَ؛ فخِيارُهُم في الجاهِلِيَّةِ خِيارُهُم في الإسلامِ إذا فَقِهوا"(١). فقد ورد في الحديث الشّريف الفعل (تَجِدونَ) متعدّيًا إلى مفعولين أصلهما مبتدأ وخبر، الأوّل (النّاسَ) والثّاني (معادنَ).

وما ورد من مثال للفعل المتعدّي إلى مفعولين ليس أصلهما مبتدأ وخبر، قوله (ﷺ): "لَمّا سَمِعَ رَجُلاً يَسألُ اللهَ الصَّبرَ: سَألتَ اللهَ البَلاءَ، فَاسألْهُ المُعافاةَ"(٢). ففي الحديث المتقدّم وردت الأفعال (يسألُ، سألتَ، اسالْ) متعدّية إلى مفاعيل ليس أصلهما مبتدأ وخبر. فالمفعول به الأوّل للفعل (يَسألُ) لفظ الجلالة (الله) والثّاني (الصّبرَ). ومفعولي الفعل (سألتَ) لفظ الجلالة (الله) و(البلاءَ). أمّا الفعل الأخير (اسالْ)، فالمفعول الأوّل (الضّمير المتّصل الهاء) والثّاني (المعافاةَ). والمفاعيل الّتي ذُكرت كلّها ليس أصلها مبتدأ وخبر.

٢- الجملة الفعليّة ذات الفعل المبنيّ للمجهول:

أطلق المبرّد (٢٨٥هـ) على الفعل المبني للمجهول، "باب المفعول الّذي لا يُذكَر فاعله"(٣). ووصفه ابن جنّي (٣٩٢هـ)، بقوله: "اعلم أَنَّ المفعول به في هذا الباب يرتفع من حيث يرتفع الفاعل؛ لأنَّ الفعل قبل كلِّ واحدٍ منهما حديث عنه، ومسند اليه، وذلك قولك: ضُرِب زيدٌ، وشُتم بكرٌ"(٤). وقد افترض ابن الأنباريّ (٥٧٧هـ) في أسراره أسئلةً، وأجاب عنها، تدور في معظمها حول مفهوم الفعل المبني للمجهول وتسميته والعلّة في رفعه، ولا مجالَ لتفصيل ذلك هنا(٥).

أ- الجملة الفعليّة ذات الفعل المتعدّي إلى مفعولٍ واحدٍ في الأصل:

إنَّ الفعل إذا كان متعدّيًا إلى مفعولٍ واحدٍ في الأصل، بعد بنائه للمجهول يصير فعلًا لازمًا. وممّا يندرج تحت هذا النّمط من الجمل، قوله (ﷺ): "يُحشَرُ النّاسُ على

(١) حكم النّبيّ الأعظم: ٣/ ٣٦٨ ، وينظر: صحيح مسلم: ٤/ ١٩٥٨.
(٢) حكم النّبيّ الأعظم: ٣/ ٦٢٨ ، وينظر: كنز العمّال: ٢/ ٦٢٧.
(٣) المقتضب: ٤/ ٥٠ ، وينظر: الجمل في النّحو: ٧٦.
(٤) اللّمع في العربيّة: ٣٥.
(٥) ينظر: أسرار العربيّة: ٨٨.

نِياتهم"[١]. فالفعل (يُحشَرُ) في الحديث المبارك فعلٌ مضارعٌ مبنيٌّ للمجهول، و(النّاس) نائب فاعل له، وهو في الأصل مفعولٌ به للفعل قبل بنائه للمجهول. وغياب الفاعل في الحديث الشّريف أبلغ من من ذكره؛ لأنَّ الغرض الّذي بُني الفعل للمجهول من أجله يتعلّق بيوم القيامة، وهو يومٌ مجهولٌ تحديده عند البشر، فضلاً عن كون الفاعل وهو الله سبحانه وتعالى معلومًا عند المخاطبين، فلا حاجةَ لإظهاره.

ب- الجملة الفعليّة ذات الفعل المتعدّي إلى مفعولين في الأصل:

وممّا يُستشهد به على هذا النّمط، قوله (ﷺ) الّذي يذكر فيه أصناف النّاس عند مرورهم على الصّراط يوم القيامة: "فمِنهُم مَن يَمضِي علَيهِ كَلَمحِ البَرقِ، ومِنهُم مَن يَمضِي علَيهِ كَمَرّ الرِّيحِ، ومِنهُم مَن يُعطى نُوراً إلى مَوضِعِ قَدَميهِ، ومِنهُم مَن يَحبُو حَبوًا، وتَأْخُذُ النارُ مِنهُ بِذُنوبٍ أصابَها"[٢] .

نلحظ أنَّ الفعل المبني للمجهول في الحديث المبارك (يُعطى) تعدّى إلى مفعولين، الأوّل منهما الضّمير المستتر الّذي يعود على من يمرُّ على الصّراط يوم القيامة؛ إذ صار الضّمير نائبًا عن الفاعل، والثّاني هو (نورًا) الّذي بقي محافظًا على موقعه الإعرابيّ.

ت- الجملة الفعليّة النائب فيها عن الفاعل شبه جملة:

قد ينوب الظّرف أو الجارّ والمجرور عن نائب الفاعل، عند بناء الفعل للمجهول، وحذف فاعله، وعدم وجود مفعولٍ به ينوب عن الفاعل[٣]. ومثال ما ورد في حِكَم النّبيّ الأعظم على هذا النّمط، دعاؤه (ﷺ): "يا مُنيرُ، يا مُبينُ، يا رَبِّ، اكفِني شَرَّ الشُّرورِ، وآفاتِ الدُّهورِ، وأسألُكَ النِّجاةَ يَومَ يُنفَخُ فِي الصورِ"[٤]. فالفعل (يُنفَخُ) في الحديث الشّريف مبنيٌّ للمجهول، وقد نابت شبه الجملة (في الصّورِ) عن الفاعل. وبناء الفعل الّذي لم يسمَّ فاعله في هذا الموضع من الحديث الشّريف أبلغ من لو بُنيّ للمعلوم؛ لأنّ هذا الموضع يصف أهوال يوم العرض الأكبر؛ إذ لا مجالَ لظهور الفاعل في ذلك المشهد المرعب الّذي تهلع له كلّ البشريّة.

---

(١) حكم النّبيّ الأعظم: ٥/ ١٥٦ ، وينظر: كنز العمّال: ٤/ ٣٣٦.

(٢) حكم النّبيّ الأعظم: ٢/ ٥٣١ ، وينظر: بحار الأنوار: ٨/ ٧٠.

(٣) ينظر: أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك: ١٣٧-١٣٨.

(٤) حكم النّبيّ الأعظم: ٣/ ٦٢٨ ، وينظر: بحار الأنوار: ٣٦/ ٢٠٧.

المبحث الثّاني

الجملة الخبريّة المنفيّة

النّفي "عبارة عن الإخبار عن ترك الفعل"[١]. وهو بابٌ من أبواب المعنى، وأسلوبٌ لغويٌّ مهمٌّ، تستدعيه مناسبات الكلام، ويلجأ إليه المتحدِّث لنقض وإنكار شيءٍ ما يدور في ذهن المتلقّي[٢]. والغاية الّتي يسعى إليها المتكلّم عن طريق لجوئه إلى النّفي هي "إخراج الحكم في تركيبٍ لغويٍّ مثبتٍ إلى ضدّه، وتحويل معنى ذهنيّ من الإيجاب والقبول إلى حكمٍ يخالفه"[٣] .

ويُعدُّ النّفي عارضًا من العوارض اللّغويّة الّتي تتعرّض له بنية الجملة العربيّة، فيفيد عدم ثبوت نسبة المنسد للمسند إليه في الجملة العربيّة، سواء أكانت الجملة فعليّة أم اسميّة. فالنّفي في جملة: (محمّد لم يحضر) يتّجه في حقيقته إلى المسند، وهو الجملة الفعليّة الواقعة في محل رفع خبر، أمَّا المسند إليه فلا ينفى. والحال ذاتها في الجملة الفعليّة، فالنفي لا بُدَّ أن يتّجه إلى المسند وهو الفعل نحو: لم يحضر عليّ[٤] .

إنَّ أدوات النّفي الّتي تنفي الجمل في العربيّة كثيرةٌ، ومبثوثةٌ في كتب النّحويّين، وهي (غير، ليس، ما، لا، لم، لمّا، لن، إنْ، لات)؛ إذ إنَّ النّحويّين لم يدرسوا هذه الأدوات في بابٍ محدّدٍ، وإنّما تشتّت تلك الأدوات في أبوابٍ متفرّقة بحسب عملها، فدرسوا (ليس) مع كان وأخواتها، وألحقوا بها بعض الأدوات الّتي تعمل عملها كـ(ما، إنْ، لا) العاملة عمل كان. ودرسوا (لم، لمّا) في جوازم الفعل المضارع، والأداة (لن) دُرست مع نواصب الفعل المضارع. أمَّا (لا) النّافية للجنس، فقد أُلحقت بـ(إنَّ) وأخواتها؛ لمضارعتها (إنَّ) في العمل[٥] .

---

(١) التعريفات: ٢٤٠.

(٢) ينظر: في النّحو العربيّ نقد وتوجيه: ٢٤٦.

(٣) في التّحليل اللّغويّ، خليل أحمد عمايرة: ١٥٤.

(٤) ينظر: بناء الجملة العربيّة: ٢٨٠.

(٥) ينظر: النّحو العربيّ نقد وبناء: ٨٢-٨٣ ، في النّحو العربيّ نقد وتوجيه: ٢٤٧-٢٤٨.

والنّفي في العربيّة يقسم على ضربين، الأوّل نفيٌ ظاهرٌ (صريحٌ)، وهو لا يكون إلّا بأداةٍ من الأدوات الّتي ذُكرت. والثّاني نفيٌ ضمنيٌّ، يُفهم عن طريق السّياق الّذي يرد فيه دون الحاجة إلى استعمال أداة نفي[١] .

وسأقتصر على دراسة الضّرب الأوّل، وهو النّفي الظّاهر (الصّريح)؛ كونه يتعلّق بالبنية السّطحيّة للجملة، الّتي هي في مدارُ بحثنا؛ لذا سأوزّع الأدوات الّتي وردت في حِكَم النّبيّ الأعظم، على ثلاثة أنواع:

أوّلًا : ما ينفي الجملة الاسميّة فقط.

ثانيًا: ما ينفي الجملة الفعليّة فقط.

ثالثًا: ما ينفي كلتا الجملتين.

أوّلًا : ما ينفي الجملة الاسميّة فقط: (ليس)

(ليس) من الأدوات الّتي تختصّ بنفي الجملة الاسميّة. ضمَّها النّحويّون مع (كان وأخواتها)؛ كونها تعمل عملها في رفع المبتدأ ونصب الخبر. وقد اُختلِف فيها كباقي موضوعات النّحو؛ إذ إنّها لم تكن محلَ اتّفاقٍ بين النّحويّين. فقد اُختلِف في كونها فعلًا أم حرفًا، واختلفوا أيضًا في إلحاقها بـ(كان وأخواتها)[٢] .

أمَّا أصلها، فقد نُقل عن الخليل(١٧٠هـ)، والفرّاء(٢٠٧هـ) أنَّ أصل (ليس) هو (لا أيس)، يقول الخليل: "معناه (لَا أَيْسَ) فطُرِحَتِ الْهَمْزَةُ وأُلْزِقَت اللَّامُ بِالْيَاءِ"[٣]. واستدلَّ الفرّاء على هذا الأصل، بأنَّ العرب تقول: "ائتِنِي بِهِ مِنْ حَيْثُ أَيْسَ ولَيْس، وجِيء بِهِ مِنْ أَيْسَ ولَيْسَ أَي: مِنْ حَيْثُ هُوَ ولَيْسَ هُو"[٤] .

وأمَّا الخلاف في كونها فعلاً أو حرفًا، فقد ذهب سيبويه (١٨٠هـ) إلى أنّها فعل بدليل اتّصالها بالضّمائر نحو: لستُ، لسنا...، وتابعه على هذا عددٌ من النّحويّين[٥].

---

(١) ينظر: بناء الجملة العربيّة: ٢٨٢.

(٢) ينظر: في النّحو العربيّ نقد وتوجيه: ٢٥٧-٢٦٠.

(٣) كتاب العين : ٧/ ٣٠٠ (ليس).

(٤) لسان العرب: ٦/ ٢١٢ (ليس).

(٥) ينظر: الكتاب: ١/ ٥٧ ، والمقتضب: ٤/ ٨٧ ، وشرح المفصّل: ٧/ ١١١ ، ومغني اللّبيب عن كتب الأعاريب: ١/ ٣٢٣.

بيد أنَّ ابن السّرّاج (٣١٦هـ)، وأبا عليّ الفارسيّ (٣٧٧هـ) ذهبا إلى أنَّ (ليس) حرف بمنزلة (ما)[١] .

وأمَّا نفيها، فهي تنفي مضمون الجملة في الحال، بشرط ألّا تُقيّد بزمنٍ محدّدٍ. فإن قُيّدت بزمن، فهي أسيرةٌ ذلك القيد الزّمنيّ، سواء كان ماضيًّا أم حالًا أم مُستقبلًا[٢]. وعن إلحاقها بباب (كان وأخواتها)، يرى أ. د. مهديّ المخزوميّ أنّ من الخلط عدّ (ليس) مع الأفعال النّاقصة؛ كونها لا صلةَ تربطها بهذا الأفعال سوى عملها في الجملة الاسميّة، فـ(ليس) نفيٌ، و(كان) إثبات. و(كان) فعلٌ، و(ليس) فعلٌ جامدٌ وشاذٌ عن بقيّة الأفعال[٣]. وهو رأيٌ صائبٌ مستحسنٌ، نظر فيه المخزوميّ بمنظارٍ دلاليٍّ محضٍ، أجاد فيه؛ إذ إنَّ العلاقة الّتي جمع فيها النّحويّون (ليس) بـ(كان) علاقةٌ إعرابيّةٌ، لا علاقة دلاليّة.

أَمَّا أنماط الجملة الاسميّة المنفيّة بـ(ليس) الواردة في حِكَم النّبيّ الأعظم، فهي كالتّالي:

١- اسمها معرفة وخبرها شبه جملة:

ومن الشّواهد الواردة في حِكَمه (ﷺ) على هذا النّمط، قوله (ﷺ): "لَيس البِرُّ في حُسنِ اللِّباسِ والزِّيّ، ولكنَّ البِرَّ في السَّكِينَةِ والوَقارِ"[٤]. فوردت أداة النّفي (ليس) واسمها معرفة (البرّ) معرفًا بـ(ال) التّعريف، وخبرها شبه جملة من الجارّ والمجرور (في حُسنِ اللِّباسِ والزّيّ).

٢- اسمها وخبرها معرفة:

ومن أبرز ما يمثّل هذا النّمط في حديثه المبارك، قوله (ﷺ): "لَيسَ البَيانُ كَثرَةَ الكَلامِ، ولكِن فَصلٌ في ما يُحِبُّ الله عزّ وجلّ"[٥]. فاسم ليس (البيان) وهو اسمٌ معرفةٌ، وخبرها (كثرةَ الكلامِ) وهو اسمٌ معرفةٌ أيضًا، معرّف بالإضافة.

---

(١) ينظر: الأزهيّة في علم الحروف: ١٩٥ ، وشرح قطر النّدى: ٢٨. شرح ابن عقيل: ١/ ١٢٢.

(٢) ينظر: مغني اللّبيب عن كتب الأعاريب: ١/ ٣٢٣ ، والجملة الاسميّة: ١٠٦-١٠٧ ، وبناء الجملة العربيّة: ٢٨٥ ، ومعاني النّحو: ٢٥٠-٢٥١.

(٣) ينظر: في النّحو العربيّ نقد وتوجيه: ٢٦٠.

(٤) حكم النّبيّ الأعظم: ٤/ ٥١٣ ، وينظر: كنز العمّال: ٣/ ٢٥٢.

(٥) حكم النّبيّ الأعظم: ٤/ ١١٤ ، وينظر: كنز العمّال: ١٠/ ١٩٢.

٣- اسمها ضمير مستتر وخبرها مجرور بالباء الزّائدة:

ومن أمثلة هذا النّمط، قوله (صلى الله عليه وآله وسلم): "إيّاكُم وتَخَشُّعَ النِّفاقِ، وهُو أنْ يُرى الجَسَدُ خاشِعاً والقَلبُ لَيس بخاشعٍ"[١]. فاسم ليس في الحديث المبارك ضميرٌ مستترٌ، تقديره (هو) يعود على (القلب)، وخبرها (بخاشعٍ) وهو خبر ليس مجرور لفظًا منصوب محلًا.

٤- اسمها معرفة وخبرها يكون مصدرًا مؤولًا:

ومن أمثلة هذا النّمط، قوله (صلى الله عليه وآله وسلم): "لَيسَ الجِهادُ أن يَضرِبَ بِسَيفِهِ في سَبيلِ اللهِ؛ أنَّمَا الجِهادُ مَن عالَ والِدَيهِ وعالَ وَلَدَهُ، فَهُوَ في جِهادٍ. ومَن عالَ نَفسَهُ يَكُفُّها عَنِ النَّاسِ فَهُوَ في جِهادٍ"[٢]. نلحظ في الحديث المبارك قد وردت (ليس)، وورد اسمها معرفة (الجِهادُ)، وخبرها المصدر المؤول من (أن والفعل المضارع)، وتقدير المصدر (ضربًا)، أيْ: (ليس الجِهادُ ضربًا).

ثانيًا: ما ينفي الجملة الفعليّة: (لن، لم)

١- لَنْ :

(لن) من جملة أدوات النّفي المختصّة بالدّخول على الجملة الفعليّة المضارعيّة فقط دون غيرها؛ إذ تنفي الفعل المضارع وتحوّل دلالة الفعل من الحال إلى الاستقبال. أمَّا تأثيرها الإعرابيّ، فهي تنصب الفعل المضارع[٣] .

و(لن) هي الأخرى الّتي لم تسلم من الخلاف بين النّحويّين؛ إذ اُختلِف فيها أهي مركّبة أم بسيطة؟، فالخليل (١٧٠هـ) يرى أنَّ (لن) مركّبة من (لا أنْ)، وحُذِفت من هذا التّركيب الألف والهمزة تخفيفًا؛ لكثرة استعمالها في الكلام، فصارت (لن) حرفًا واحدًا[٤]. ويرى الفرّاء (٢٠٧هـ) أنَّ (لن) أصلها (لا)، ثمّ أُبدلت الألف نونًا[٥]. بيد أنَّ سيبويه وجمهور النّحويّين، يرون أنّ (لن) بسيطة، وحرف بذاتها، لا تركيبَ فيها[٦] .

---

(١) حكم النّبيّ الأعظم: ٥/ ١٦٦ ، وينظر: بحار الأنوار: ٧٧/ ١٦٤.

(٢) حكم النّبيّ الأعظم: ٧/ ١٦ ، وينظر: كنز العمّال: ٤/ ٦٠٧.

(٣) ينظر: الكتاب: ٤/ ٢٢٠ ، ومغني اللّبيب عن كتب الأعاريب: ١/ ٣١٢.

(٤) ينظر: الكتاب: ٣/ ٥.

(٥) ينظر: مغني اللّبيب عن كتب الأعاريب: ١/ ٣١٣.

(٦) ينظر: الكتاب: ٣/ ٥ ، والمقتضب: ٢/ ٨.

أَمَّا دلالتها في النّفي، فهي "لتأكيد ما تعطيه (لا) من نفي المستقبل تقول: لا أبرحُ اليوم مكاني فإذا وكّدت وشدّدت قلت: لن أبرحَ اليوم مكاني"[١]. وذهب الزّمخشريّ (٥٣٨هـ) إلى أنَّها تدلّ على التّأبيد، وأنّ نفيها مستمرٌ ولا يتحوّل للإثبات[٢]، وأنكر الاستراباذيّ (٦٨٦هـ) في أنَّ (لن) للتّأبيد[٣]. وردّ ابن هشام (٧٦١هـ) دعوى الزّمخشريّ، بقوله: "ولو كانت للتّأبيد لم يقيد منفيها باليوم في ﴿فَلَنْ أُكَلِّمَ الْيَوْمَ إِنْسِيًّا﴾[٤] ولكان ذكر الأبد في ﴿وَلَنْ يَتَمَنَّوْهُ أَبَداً﴾[٥] تكراراً، والأصلُ عدمُه"[٦].

وممّا ورد من جمل فعليّة منفيّة بـ(لن) في حِكَم النّبيّ الأعظم، قوله (ﷺ): "تَفَكّروا في خَلقِ الله ولا تَفَكّروا فِي الله؛ فَإنَّكُم لَن تُقَدِّروا قَدرَهُ"[٧]، وقوله (ﷺ): "لَن يَشبَعَ المُؤمِنُ مِن خَيرٍ يَسمَعُهُ حَتّى يَكونَ مُنتَهاهُ الجَنَّةَ"[٨] .

نلحظ أنَّ أداة النّفي (لن) في الحديث الشّريف الأوّل دخلت على الفعل المضارع (تُقَدِّروا)، وقد نصبته بحذف النّون؛ لأنّه من الأمثال الخمسة. وخلّصته للاستقبال، ونفيها أكثر توكيدًا من لو أُستعمِلت (لا) في موضعها، وقد أفادت التّابيد في الحديث الشّريف؛ إذ دلّت على استمرار النّفي؛ لأنّ كلّ البشرِ عاجزون عن إدراك حقيقة وقدر الله عزّ وجلّ، ولا سبيلَ لأحدٍ منهم على إدراكها.

أمَّا في الحديث المبارك الثّاني، فقد دخلت (لن) على الفعل المضارع (يشبع) ونفت (الشّبع) في المستقبل نفيًا مؤكّدًا. ولم تدلّ على التّأبيد في الحديث الشّريف الثّاني؛ لأنّ الشّبع من الخير ينتهي بدخول المؤمن الجنّة، فالنّفي مستمر إلى زمنٍ محدّدٍ لا مطلقًا.

---

(١) المفصّل في صنعة الإعراب: ٤٠٧ ، وينظر: معاني النّحو: ٣/ ٣٦٠.

(٢) ينظر: الكشّاف: ٢/ ٢٢١.

(٣) ينظر: شرح الرّضيّ على الكافية: ٤/ ٣٨.

(٤) سورة مريم، آية: ٢٦.

(٥) سورة البقرة، آية: ٩٥.

(٦) مغني اللّبيب عن كتب الأعاريب: ١/ ٣١٦ ، وينظر: معاني النّحو: ٣/ ٣٥٩ ، والبلاغة العربيّة أُسسها وعلومها...: ١/ ١٩٣.

(٧) حكم النّبيّ الأعظم: ١/ ٥١٥ ، وينظر: تنبيه الخواطر: ١/ ٢٥٨.

(٨) حكم النّبيّ الأعظم: ٣/ ٥٨٠ ، وينظر: سنن التّرمذيّ: ٤/ ٦٢٠.

و نستشفّ من دلالة النّفي في الحديثين المباركين، أنّ (لن) قد يكون نفيها تأبيدًا، وعند ذلك يستمرُّ النّفي دون أن يتحوّل للإثبات. وقد لا يكون تأبيدًا. والّذي يحدّد تأبيدها من عدمه هو السّياق، ودلالة القرائن المتوافرة في النّصّ.

٢- لَمْ :

وهي حرف نفي وقلب وجزم مختصّ بالدّخول على الفعل المضارع فقط. درسها النّحويّون في جوازم الفعل المضارع الّتي تجزم فعلًا واحدًا، يقول سيبويه (١٨٠هـ): "هذا باب ما يعمل في الأفعال فيجزمها، وذلك: لَمْ، ولمّا، واللّام الّتي في الأمر، وذلك قولك: ليفعل، ولا في النّهي"(١) .

ويرى الخليل أنَّ (لم) مركّبةٌ من لامٍ و(ما)، يقول في ذلك: "اللاّم مفصولةٌ من الميم، إنّما هي لامٌ ضمّت إلى (ما)، ثمّ حُذفت الألف"(٢) .

أمَّا تأثيرها الدّلاليّ، فهي تقوم بقلب دلالة الفعل المضارع إلى الماضي(٣). ويرى د. فاضل السّامرائيّ أنَّ النّفي بـ(لَمْ) قد يكون "منقطعاً أي انتفى حدوث الفعل في وقت ما، ثم أنقطع النّفي، وذلك نحو قولك: (لم يحفظ محمدُ القصيدةَ أمس، وإنّما حفظها اليوم). وقد يكون النّفي متّصلاً إلى زمن المتكلّم، نحو (لم يعد خالدٌ من سفره إلى اليوم)، وقد يكون مستمرًا لم ينقطع ولا ينقطع وذلك نحو قوله تعالى: ﴿ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ﴾(٤)"(٥) .

وقد ورد دخول (لَمْ) على الفعل المضارع في حِكَم النّبيّ الأعظم، في مواضع متعددة، منها قوله (ﷺ): "مَن وَلِيَ مِن أمرِ المُسلِمينَ شَيئاً، لَم يَنظُرِ اللهُ لَهُ في حاجَةٍ، حَتّى يَنظُرَ في حاجاتِهِم ويُؤَدّيَ إلَيهم حُقوقَهُم"(٦). نلحظ في الحديث المبارك أنّ أنّ الفعل (ينظرِ) فعلٌ مضارعٌ مجزومٌ بـ(لم)، وقد حُرِك بالكسر؛ منعًا لالتقاء ساكنين. وأمَّا دلالة نفيها في الحديث الشّريف، فنفيها متّصل إلى زمن المتكلّم.

---

(١) الكتاب: ٣/ ٨ ، وينظر: شرح الرّضيّ على الكافية: ٤/ ٨١ ، وجامع الدّروس العربيّة: ١/١٨٤.

(٢) كتاب العين: ٨/ ٣٢١ (لم).

(٣) ينظر: شرح المفصّل: ٨/ ١١٠ ، ومغني اللّبيب عن كتب الأعاريب: ١/ ٣٠٥.

(٤) سورة الإخلاص، آية: ٣.

(٥) معاني النحو: ٤/ ١٨٩.

(٦) حكم النّبيّ الأعظم: ٢/ ٦٢٢-٦٢٣ ، وينظر: تاريخ بغداد: ٦/ ٧٦.

وفي قوله (ﷺ): "يا حَيُّ الَّذي يَرزُقُ كلَّ حيّ، يا حيّا لَم يَرِثِ الحَياةَ مِن حَيّ، يا حَيُّ الَّذي يُحيِي المَوتى، يا حَيُّ يا قَيومُ لا تَأْخُذُهُ سِنَةُ ولا نَومَ"(١). وردت (لم) في الحديث الشّريف، وقد دخلت على الفعل المضارع (يَرِثِ). ونفيها مستمرٌّ وثابتٌ دون انقطاع، فلا ينقطع أبدًا، وهذان الحديثان يؤكّدان صحّة ما ذهب إليه السّامرائيّ.

ثالثًا: ما ينفي كِلتا الجملتين: (ما، لا)

١- (ما)

تُعَدُّ (ما) من حروف النّفي الّتي تدخل على كِلتا الجملتين: الاسميّة، والفعليّة. فأمَّا الّتي يكون دخولها على الجملة الاسميّة، فهي على ضربين: الأوَّلى مهملةٌ قياسًا على لغة تميم، والثّانية عاملةٌ عمل (ليس) قياسًا على لغة أهل الحجاز(٢)، وقد ذكر النّحويّون شروط متعددة لعملها(٣). ويرى المبرّد (٢٨٥هـ) أنَّ سبب حمل (ما) النّافية على (ليس)؛ لأنَّه " لم يكن بين نفيهما فصلٌ البتّة، حتّى صارت كلُّ واحدةٍ تُغني عن الأخرى لذلك أجروها مجراها"(٤). و(ما) الدّاخلة على الجمل الاسميّة سواء أكانت عاملةً عاملةً أم كانت مهملةً فهي تفيد "نفي المعنى عن الخبر في الزّمن الحالي عند الإطلاق"(٥). وذكر أ. د. مهديّ المخزوميّ أنَّ الأصل في عمل الحرف أن يكون مختصًّا، كحروف الجزم، وحروف النّصب، و(ما) لم تختصّ بشيءٍ واحدٍ؛ ولهذا يرى الأفضل عدم إعمالها(٦) .

وقد ورد دخول (ما) على الجملة الاسميّة في حِكَم النّبيّ الأعظم، في دعائه (ﷺ) حين يفتتح الصّلاة بعد التّكبير: "وَجَّهتُ وَجهيَ لِلّذي فَطَرَ السَّماواتِ والأَرضَ حَنيفًا وما

(١) حكم النّبيّ الأعظم: ١/ ٥٩١ ، وينظر: البلد الأمين: ٤٠٨.

(٢) ينظر: الكتاب: ١/ ٦٠ و ٤/ ٢٢١ ، والمقتضب: ٤/ ١٨٩ ، والأصول في النّحو: ٢/ ٢١٠.

(٣) ينظر تلك الشّروط في : المقتضب: ٤/١٨٨-١٨٩ ، ومعاني النّحو للرّمانيّ: ٨٨ ، وشرح المفصّل:١/ ١٠٨ ، والجنى الدّاني في حروف المعاني: ٣٢٣ ، وشرح ابن عقيل: ١/ ١٤٠ ، وجامع الدّروس العربيّة: ١/ ٢٩٢.

(٤) المقتضب: ٤/ ١٨٨.

(٥) النّحو الوافي: ١/ ٥٩٣.

(٦) ينظر: في النّحو العربيّ نقد وتوجيه: ٢٤٩.

أنَـا مِـنَ المُشـركينَ..."[١]. ففـي الحـديث الشّـريف دخلـت (مـا) علـى الجملـة الاسـميّة؛ إذ دخلـت علـى معرفـة وهـو الضّـمير (أنـا)، وخبرهـا شـبه الجملـة (مـن المشـركين). و(مـا) فـي هـذا الموضـع تحمـل الـوجهين، العمـل أو الإهمـال، ويـرى عبّـاس حسـن "الّـذي يحسـن الأخـذ بـه فـي عصـرنا هـو الإعمـال؛ لأنَّـه اللّغـة العاليـة، لغـة القـرآن وأكثـر العـرب، ولا داعـي للأخـذ باللّغـة الأخـرى –وهـي صـحيحةٌ أيضًـا– يجـوز الأخـذ بهـا، منعًـا للبلبلـة وتعـدّد الآراء من غير فائدة"[٢] .

وقـد وردت (مـا) نافيـة مهملـة فـي حِكَمـه (ﷺ) لإخـلال أحـد شـروط إعمالهـا، وهـو ألّا يتقـدّم خبرهـا علـى اسـمها. ففـي قولـه (ﷺ): "مـا لِلنُّفَسـاءِ عِنـدِي شِـفاءٌ مِثـلُ الرُّطَـبِ، ومـا لِلمَـريضِ مِثْـلُ العَسَـلِ"[٣]. نلحـظ أنَّ الخبـر (للنفسـاء، للمـريض) ورد متقـدّمًا علـى اسـمها (شـفاء، مثـلُ العسـل)، فأهملـت عـن العمـل، ولـم تعمـل فـي المبتـدأ والخبـر شـيئًا سـوى نفـت اتّصاف الخبر بالمبتدأ.

أمّـا الّتـي تـدخل علـى الجملـة الفعليّـة، فهـي نافيـةٌ غيـر عاملـة. فـإذا دخلـت علـى الفعـل المضـارع نفتـه، وخلّصـه للحـال، يقـول سـيبويه (١٨٠هـ) فـي ذلـك: "وأَمَّـا (مـا)، فهـي نفـيٌ لقولـه: هـو يفعَـلُ إذا كـان فـي حـال الفعـلِ، فتقـول: مـا يفعـلُ"[٤]. وإذا دخلـت علـى الجملـة الفعليّة الماضويّة، فإنَّ الفعل يبقى على معناه في المضيّ[٥] .

ومـن شـواهد نفيهـا للفعـل المضـارع فـي حِكَـم النّبـيّ الأعظـم، قولـه (ﷺ): "مـا أخـافُ عَلـى أُمَّتِـي الفَقـرَ، ولكِـن أخـافُ عَلَـيهِم سـوءَ التَّـدبيرِ"[٦]. فـ(ما) فـي الحـديث المبـارك، قـد دخلت على فعل مضارع (أخافُ) مُخلّصة معناه للحال.

أمَّـا مثـال نفيهـا للفعـل الماضـي، ففـي قولـه (ﷺ): "مـا تَجَـرَّعَ عَبـدٌ جُرعَـةً أفضَـلَ عِنـدَ اللهِ مِـن جُرعَـةِ غَـيظٍ كَظَمَهـا للهِ ابتِغـاءَ وَجـهِ اللهِ"[٧]، وفـي قولـه (ﷺ): "مـا أخْلَـصَ عَبـدٌ

(١) حكم النّبيّ الأعظم: ٥/ ٢٥٨ ، وينظر: سنن التّرمذيّ: ٦/ ٤٣.
(٢) النّحو الوافي: ١/ ٥٩٤.
(٣) حكم النّبيّ الأعظم: ٤/ ١٤٠ ، وينظر: كنز العمّال: ١٠/ ٤٤.
(٤) الكتاب: ٤/ ٢٢١.
(٥) ينظر: الكتاب: ٣/ ١١٧ ، ورصف المباني: ٣١٣.
(٦) حكم النّبيّ الأعظم: ٧/ ١٣ ، وينظر: عوالي اللّئالي: ٤/ ٣٩.
(٧) حكم النّبيّ الأعظم: ٥/ ٦٢ ، وينظر: كنز العمّال: ٣/ ١٣٠ .

لله عزّ وجلّ أربَعينَ صباحاً إلّا جَرَتْ يَنابِيعُ الحِكمَةِ مِن قَلبِهِ على لِسانِهِ"[١]. فقد دخلت (ما) في الحديثين المباركين على فعلٍ ماضٍ (تَجَرَّعَ، أخْلَصَ)، ونفت الفعلين مع بقاءِ معنى المضيّ عليهما.

٢- (لا)

تُعَدُّ (لا) من بين أكثر حروف العربيّة تنوّعًا؛ لذا عُقِدت لها أبوابًا في كتب النّحو ضمّت في تضاعيفها أنواع (لا) وشروط إعمالها[٢]. وهذه الكثرة في التّنوّع والاستعمال يعود لشموليتها في النّفي؛ إذ إنّها تنفي ما بعدها نفيًا شاملًا مستغرقًا[٣]. و(لا) تدخل على الجملتين، الاسميّة والفعليّة، فأَمَّا الّتي تختصُّ بالدّخول على الجملة الاسميّة، فهي على ضربين: الأوّلى (عاملةٌ عمل ليس)، والثّانية (نافيةٌ للجنس).

فأَمَّا الّتي تعمل عمل (ليس)، فإعمالها قليلٌ[٤]، وهي غيرُ عاملةٍ عند الأخفش (٢٢٣هـ) والمبرّد(٢٨٥هـ)[٥]. وعند إعمالها تعمل بالشّروط نفسها الّتي اشترطها النّحويّون في إعمالها (ما)، ويزاد على تلك الشّروط أن يكون اسمها وخبرها نكرتين[٦]، ويجوز بها النّفي مطلقًا، سواء نفي الوحدة أو نفي الجميع[٧]. ولم يرد شاهدٌ عليها في حِكَم النّبيّ الأعظم.

أمَّا (لا) الّتي تعمل عمل (إنَّ)، فتسمّى بـ(لا النّافية للجنس)؛ كونها تنفي جميع أفراد الجنس الواحد دون احتمال[٨]، وتسمّى أيضًا بـ(لا التّبرئة)[٩]؛ "لأنَّها تفيد تبرئة المتكلّم

(١) حكم النّبيّ الأعظم: ٥/ ١٦٣ ، وينظر: عيون أخبار الرّضا: ٢/ ٦٩.

(٢) ينظر: الكتاب: ٢/ ٢٧٤ ، والمقتضب: ٤/ ٣٥٧ ، والأصول في النّحو: ١/ ٣٧٩ ، وشرح ابن عقيل:٢/ ٣ ، والجنى الدّاني: ٢٩٠ ، ومغني اللّبيب: ١/ ٢٦٤.

(٣) ينظر: في النّحو العربيّ نقد وتوجيه: ٢٤٩.

(٤) ينظر: الكتاب: ٢/ ٢٩٥-٢٩٦.

(٥) ينظر: المقتضب: ٤/ ٣٥٩-٣٦٠ ، شرح المفصّل: ١/ ١٠٩ ، وشرح التّصريح: ١/ ٢٦٧.

(٦) ينظر: شرح المفصّل: ١/ ١٠٨ ، ورصف المباني: ٢٦٢، وشرح التّصريح: ١/ ٢٦٧ ، وجامع الدّروس العربيّة: ١: ٢٩٤.

(٧) ينظر: النّحو الوافي: ١/ ٦٨٧.

(٨) ينظر: شرح ابن عقيل: ٢/ ٣.

(٩) ينظر: الأزهيّة في علم الحروف: ١٤٩ ، ومغني اللّبيب عن كتب الأعاريب: ١/ ٢٦٤ ، وشرح التّصريح: ١/ ٣٣٦.

للجنس وتنزيهه إيَّاه عن الاتّصاف بالخبر"[1]. والتّسمية الأوّلى أكثر استعمالًا بين النّحويّين من الثّانية.

تدخل (لا) النّافية للجنس على الجملة الاسميّة فقط، وتعمل عمل (إنَّ) كما ذكرنا؛ إذ تنصب المبتدأ وترفع الخبر، والعلّة في حمل (لا النّافية للجنس) على (إنَّ) تعود لمضارعتها لها من أربعةِ أوجهِ: "أحدُها أنَّ كلاً منهما يدخل على الجُملة الاسميَّة، والثّاني أنَّ كلاً منهما للتّأكيد، فـ(لا) لتأكيد النّفي، و(إنّ) لتأكيد الإثبات، والثّالث أنَّ (لا) نقيضة (إنَّ)، والشّيء يُحمَل على نقيضه كما يُحمَل على نظيره، والرّابع أنَّ كلاّ منهما له صدر الكلام"[2] .

أمَّا نفيها، فيراد به "التّنصيص على استغراق النّفي للجنس كلّه"[3]، يقول المبرّد (٢٨٥هـ): "إذا قلت: (لا رجلَ في الدّار) لم تَقْصِد إلى رجلٍ بعينه، وإنَّما نفيت عن الدّار صَغيرَ هذا الجنس وكَبيره...أَلا ترى أَنَّ المعرفة لا تقع ها هنا؛ لأَنَّها لا تدلُّ على الجنس، ولا يقع الواحد منها في موضع الجميع"[4] .

ومن أمثلة الجملة الاسميّة المنفيّة بـ(لا النّافية للجنس)، قوله (صلى الله عليه وآله وسلم): "لا كبيرَ مع الاستِغفارِ، ولا صغيرَ مع الإصرار"[5]. ففي الحديث الشّريف دخلت (لا النّافية للجنس) للجنس) على الجملة الاسميّة، فكان اسمها (كبيرَ، صغيرَ) وهو مبنيٌّ على الفتح، وخبرها يجوز أنَّ يكون شبه الجملة (مع الاستغفار، مع الإصرار) أو محذوفٌ متعلّقٌ بشبه الجملة، تقديره: (موجود)، وأمَّا (لا) الّتي تدخل على الجملة الفعليّة المضارعيّة أو الماضويّة، فهي حرفُ نفي غيرُ عاملٍ؛ كونها لا تؤثّر من النّاحية الإعرابيّة في الفعل الواقع بعدها. أمَّا من النّاحية الدّلاليّة، فهي تنفي المستقبل فقط عند دخولها على الفعل

(١) جامع الدّروس العربيّة: ١/ ٣٢٩.
(٢) شرح التّصريح: ١/ ٣٣٦.
(٣) شرح ابن عقيل: ٢/ ٣.
(٤) المقتضب: ٤/ ٣٥٧.
(٥) حكم النّبيّ الأعظم: ٤/ ٥٦١ ، وينظر: بحار الأنوار: ٧٣/ ٣٥٥.

المضارع[١]، يقول سيبويه(١٨٠هـ): "وإذا قال: (هو يفعلُ)، ولم يكن الفعل واقعاً، فنفيه (لا يفعلُ)"[٢] .

وقد وردت (لا) النّافية داخلة على الجملة الفعليّة المضارعيّة في حِكَم النّبيّ الأعظم في مواضع متعددة، منها في قوله (ﷺ): "اغتَنِموا دُعاءَ ضَعَفَةِ أُمَّتي؛ فَإِنَّهُ يُستَجابُ لَهُم فيكُم. ولا يُستَجابُ لَهُم في أَنفُسِهِم"[٣]. ففي الحديث الشّريف دخلت (لا) النّافية على الفعل المضارع (يُستَجابُ) ودلالةُ الاستقبالِ فيه واضحةٌ.

أمَّا (لا) الّتي تدخل على الفعل الماضي، فدخولها قليلٌ جدًا[٤]، وعند دخولها على الفعل الماضي يجب تكرارها تميزًا لها من (لا) الّتي تدخل على الفعل الماضي وتفيد الدّعاء[٥] .

وقد وردت (لا) داخلة على فعلٍ ماضٍ ولم تتكرّر، في قوله: (ﷺ) "إنَّ للهِ مائِدَةً عَلَيها ما لا عينٌ رَأَت، ولا أُذُنٌ سَمِعَت، ولا خَطَرَ عَلى قَلبِ بَشَرٍ، لا يَقعُدُ عَلَيهَا إلَّا الصَّائِمونَ"[٦]. فـ(لا) النّافية دخلت على فعلٍ ماضٍ (خَطَرَ)، وقد وردت (لا) داخلة على فعلٍ ماضٍ وقد دلّت على الدّعاء، وذلك في دعائه (ﷺ) على معاوية : "لا أشبَعَ اللهُ بطنَهُ!"[٧] .

وبعد دراسة الجمل الاسميّة والفعليّة المثبتة والمنفيّة في حِكَم النّبيّ الأعظم، يتّضح لنا أنَّ الجمل المنفيّة قليلةٌ في حِكَم النّبيّ الأعظم قياسًا بالجمل الاسميّة والفعليّة المثبتة.

كما أنّ الغالب على الجمل الخبريّة في حِكَمه (ﷺ) هي الجملُ الممتدّةُ والمتفرّعةُ، أي الجمل غير البسيطة، الّتي لا تقتصر على المسند والمسند إليه. فالجمل التّي كيانها اللّغويُّ بسيطٌ، الّتي تكون "غير موصوفةٍ بأنَّها كبرى أو صغرى"[٨] ولا ترتبط بغيرها

(١) ينظر: الأزهيّة في علم الحروف: ١٥٠.
(٢) الكتاب: ٤/ ١١٧ و ٤/ ٢٢٢.
(٣) حكم النّبيّ الأعظم: ٥/ ٤٧٤.
(٤) ينظر: رصف المباني: ٢٥٩.
(٥) ينظر: الأزهيّة في علم الحروف: ١٦٧ ، والجنى الدّاني: ٢٩٧ ، بناء الجملة العربيّة: ٣٠٣.
(٦) حكم النّبيّ الأعظم: ٦/ ٣٧ ، وينظر: المعجم الأوسط: ٩/ ١٧٠.
(٧) حكم النّبيّ الأعظم: ٥/ ٥٤٩ ، وينظر: وينظر: بحار الأنوار: ٣٣/ ١٩٠.
(٨) الجملة العربيّة تأليفها وأقسامها: ١٦٩.

ارتباطًا إسناديًّا نحو قوله (صلى الله عليه وآله وسلم): "السكينةُ زينةُ العبادةِ"[1] قليلةٌ قياسًا بالجمل الممتدّة الّتي بينها علاقة إسناديّة.

فالأحاديث المباركة حين تبتدأ بجملةٍ اسميّةٍ تتفرّع هذه الجملة إلى فعليّة أو شرطيّة أو إنشائيّة، فإن وجدت جملة بسيطة مع تلك الجمل، فهي تتضافر معها لإتمام المعنى. ومردُّ ذلك هو أنَّ الأحاديث المباركة الّتي تتّسم بكونها ذات جملٍ بسيطةٍ هي في أصلِها جملٌ مجذوذةٌ من تراكيب لغويّة ممتدّة، كأن تكون مجذوذةٌ من خطبه (صلى الله عليه وآله وسلم) المباركة؛ إذ إنَّ تلك الخطب بطبيعة حالها هي تراكيبٌ لغويّةٌ ذات جملٍ ممتدّةٍ ومتفرّعة، تنتظم بداخلها جملٌ بسيطةٌ.

(١) حكم النّبيّ الأعظم: ٥/ ١٣٧ ، وينظر: بحار الأنوار: ٧٧/ ١٣١.

المبحث الثّالِث

الجملة الخبريّة المنسوخة

الجملة الخبريّة المنسوخة هي الجملة الّتي تتصدّر بناسِخٍ فعليّ أو حرفيّ، وهذا النّاسِخ لا يدخل إلّا على جملةٍ اسميّةٍ، محدثًا تغييرًا إعرابيًّا في طرفي الإسناد فيها، وتغيّر حُكم المنسد أو المنسد إليه بين الرّفع والنّصب.

والنّواسخ بحسب الصّيغة أو التّكوين اللّفظيّ، تكون على ثلاثةِ أضربٍ "(أفعال) مثل: كان وأكثر أخواتها، و(أسماء) وهي المشتقّات من مصادر تلك الأفعال الّتي يمكن الاشتقاق منها، مثل مصادر كان، وأصبح، وأمسى.... فيقال: كون كائِن...و(حروف) مثل: (ما) الحجازيّة من أخوات كان.... ومثل (إنّ) وأخواتها"[1] .

وقد أشار سيبويه (١٨٠هـ) إلى مفهوم النّسخ، والعمل الّذي يقوم به النّاسخ عند دخوله على الجملة الاسميّة، بقوله: "وكذلك هذه الحروف، منزلتها من الأفعال. وهي أنّ، ولكنّ، وليت، ولعلّ، وكأنّ. وذلك قولك: إنَّ زيدًا منطلقٌ، وإنَّ عمرًا مسافرٌ، وإنَّ زيدًا أخوك. وكذلك أخواتها. وزعم الخليل أنَّها عملت عملين: الرّفعَ والنّصب، كما عملت كان الرّفع والنّصب حين قلت: كأنَّ أخاك زيدٌ"[2]. فهذه النّواسخ تعمل في الجملة الاسميّة، وتغيّر في صورتها الأساسيّة، وفي حُكم طرفي الإسناد فيها.

اصطلح النّحويّون قديمًا وحديثاً على تسميّة هذا الضّرب من الجمل بـ(الجملة المنسوخة) أو (نواسخ الابتداء)، وهاتان التّسميتان هما الشّائعتان في الاستعمال النّحويّ[3] .

بيد أنّ بعض المحدثين عدلوا عن هذا المصطلح إلى مصطلحات أخرى، فهذا د. عليّ أبو المكارم ينظر إلى هذا الضّرب من الجمل بمنظارٍ دلاليّ محضٍ، ليسمّيها بـ(الجملة المقيّدة)، ويعلّل عدوله هذا، بأنَّ مصطلح النّسخ قد ارتبط "في تصوّر النّحاة بالتّغيّر الّذي يصيب الحالة الإعرابيّة دون التفات إلى بقيّة صور التّغيير الّتي تلحق

(١) النّحو الوافي: ١/ ٥٤٥ في الهامش.

(٢) الكتاب: ٢/ ١٣١ ، وينظر: توضيح المقاصد: ١/ ٤٩٢ ، وأوضح المسالك إلى ألفيّة ابن مالك: ١/ ٢٣١.

(٣) ينظر: شرح ابن عقيل: ١/ ١٢٢ ، والنّحو الوافي: ١/ ٥٤٣.

الجملة الاسميّة"[١]. ويصطلح أ. د. مهديّ المخزوميّ على تسميتها بـ"أفعال الكينونة أو الوجود"[٢] .

والبعض الآخر يرى أنّ هذا الضّرب من الجمل يبقى جملة اسميّة حتّى مع دخول النّواسخ؛ لأنّ النّاسِخ لا يشكّل عنصرًا تكوينيًا في الجملة سوى أنّه يضيف عليها دلالة الزّمن دون تغيير في علاقة الإسناد[٣].

ونلفى بعض الباحثين اصطلح تسمية (الجملة الفعليّة المحوّلة) على الجمل المنسوخة بالأفعال النّاسخة[٤]؛ إذ يرون "أنَّ هذا الضّرب من الجمل هو في الأصل جملة اسميّة؛ ولكنها تحوّلت إلى جملة فعليّة"[٥]

وعلى خلاف ذلك اصطلح أ. د. عصام كاظم الغالبيّ على تسميتها بـ(الجملة الاسميّة المنسوخة بالأفعال النّاقصة) جامعًا بهذا المصطلح بين التّسميتين؛ إذ يرى أنَّ هذا الضّرب من الجمل اسميّة في الأصل، وتصدّر الفعل النّاقص عليها، هو تصدّرٌ عارضٌ ليس بأصل. كما لا يفضّل الغالبيّ تسميتها بالجملة الفعليّة المحوّلة؛ لأنّ مصطلح الجملة الفعليّة لا يطلق إلّا على الجملة المكوّنة من فعلٍ وفاعل؛ لأنّهما طرفي الإسناد اللّذان يكوّنان هذا الكيان اللّغويّ (الجملة الفعليّة)، ولا فاعلَ في الجملة المنسوخة بالفعل النّاقص. فضلاً عن هذا فإنّ الغالبيّ ردّ دعوى من ادّعى أنّ اسم (كان) مُشابه للفاعل، بأنَّه لا دليلَ يؤيده، وما ذلك الادعاء إلّا من باب المشابهة بالعلامة الإعرابيّة[٦] .

---

(١) الجملة الاسميّة: ٧٥.

(٢) في النّحو العربيّ نقد وتوجيه: ١٧٦.

(٣) ينظر: بناء الجملة العربيّة: ١٢٣-١٢٤.

(٤) ينظر: بناء الجملة العربيّة في ديوان النّابغة الذّبيانيّ (رسالة ماجستير)، عبد الجليل عبيد حسين العانيّ:٤٠ ، والجملة الخبريّة في مجموعات الشّعر العربيّ القديم، المفضّليات والأصمعيّات (أطروحة دكتوراه)، مجهد جيجان الدّليميّ: ٧٦-٧٧.

(٥) صفحة ١٤٦ من الدّراسة الحالية.

(٦) ينظر: البناء اللّغويّ للشعر العربيّ الأصمعيّات أنموذجًا (أطروحة دكتوراه)، عصام كاظم الغالبيّ: ٢٣٢.

وتسمية الغالبيّ هي الأقرب لوصف هذا الضّرب من الجمل؛ لأنَّ أصل المسند إليه في هذه الجمل هو اسم؛ ولكن دخول العارض (الأفعال النّاقصة) أَصبغ هذه الجمل بصبغة الفعليّة، فالجمع بين التّسميتين هو الصّواب.

وانطلاقًا ممّا سبق بيانه قُسّم هذا المبحث على ضربين: الأوّل للجملة الاسميّة المنسوخة بالحرف، وسنتناول فيه (لكنَّ) و(كأَنَّ)، أمَّا الحروف النّاسخة الأخرى فسيُدرس كلّ منها في موضعه بحسب معناه، والآخر للجملة الاسميّة المنسوخة بالأفعال النّاسخة (كان وأخواتها)، أَمَّا (ليس) فدُرست في الجملة الخبريّة المنفيّة.

أوّلًا: الجُملة الاسميّة المنسوخة بالحرفين (لكنَّ، كأَنَّ):

١- (لكِنَّ):

هو حرفٌ مشبّه بالفعل، يختصُّ بالدّخول على الجمل الاسميّة دون غيرها، فيعمل في المبتدأ النّصب، ويبقي على الخبر الرّفع[١]. يصف ابن يعيش (٦٤٣هـ) (لكنَّ) بقوله: "أَمَّا (لكنّ)، فحرفٌ نادرُ البناءِ لا مثالَ له في الأسماء والأفعال، وألفه أصلٌ؛ لأنَّا لا نعلم أحدًا يؤخذ بقوله ذهب إلى أنَّ الالفات في الحروف زائدة"[٢] .

و(لكنَّ) من الحروف الّتي اُختلِف فيها من حيث دلالتها، ومن حيث أصلها. فجمهور نحويّي البصرة يرون أنَّ (لكنَّ) بسيطة، لا تركيبَ فيها، وجمهور نحويّي الكوفة يرون أنَّها مركّبة من (لا) و(إنَّ) مع زيادة الكاف غير التّشبيهيّة عليها، وحذفت الهمزة من هذا التّركيب للتّخفيف[٣]، ولكلّ رأي من هذه الآراء ما يُحسّنه لدى النّحويّين، فرجّحوا رأيًا وردّوا آخرَ[٤]، وقال الفرّاء (٢٠٧هـ) أصل (لكنَّ) هو (إنَّ) "فزيدت على (إنَّ) لام وكاف، فصارتا جميعًا حرفًا واحدًا"[٥]. بيد أنَّ ابن هشام (٧٦١هـ) نقل عن الفرّاء قوله بأنَّ "أصلها (لكِنْ أَنّ)، فطُرحت الهمزة للتّخفيف، ونون لكنْ للسّاكنين"[٦] .

---

(١) ينظر: الكتاب: ٢/ ١٣١ ، ومغني اللّبيب عن كتب الأعاريب: ١/ ٣٢٠.

(٢) شرح المفصّل: ٨/ ٧٩.

(٣) ينظر: نتائج الفكر: ٢٠٠، وشرح المفصّل: ٨/ ٧٩ ، ومغني اللّبيب عن كتب الأعاريب: ١/ ٣٢١ ، وشرح التّصريح: ١/ ٢٩٤.

(٤) قال السّهيليّ (٥٨١هـ) عن رأي الكوفيّين :(أصح القولين) نتائج الفكر:٢٠٠ ، وهو عند ابن يعيش (قولٌ حسنٌ): شرح المفصّل ٨/ ٧٩ ، ونعت خالد الأزهريّ رأي البصريّين بـ(الأصح) شرح التّصريح: ١/ ٢٩٤.

(٥) معاني القرآن للفرّاء: ١/ ٤٦٥.

(٦) مغني اللّبيب عن كتب الأعاريب: ١/ ٣٢١.

أمَّا من حيث دلالتها، فذهب فريق من النّحويّين إلى أنّها تفيد الاستدراك، وهو المذهب المشهور، والاستدراك هو إعطاء الجملة الّتي بعدها حُكمًا مناقضًا للجملة الّتي قبلها، ويستدرك بها أيضًا في الأحوال أغلبها بعد النّفي، كقولنا: ما جاءني سعيدٌ لكنَّ عمرو[1] .

وزاد آخرون معنى التّوكيد مستدلّين على ذلك بأنّها كحرف التّوكيد (إنَّ)[2]، وهذا المعنى لوّح إليه سيبويه (١٨٠هـ) بقوله: "ولكنَّ المثقلة في جميع الكلام بمنزلة إنَّ"[3] ؛ إذ يحمل قول سيبويه العمل والدّلالة معًا. ومثال التّوكيد قولنا: (لو جاء عليّ أكرمته لكنّه لم يجئ)، يقول خالد الأزهريّ (٩٠٢هـ) معقّبًا على مثل هذه الجملة: "فهذا يدلُّ على امتناع المجيء؛ لأنّ (لو) إذا دخلت على مثبت نفته، فإذا أردت توكيده قلت: (لكنّه لم يجئ) فأكّدت ب(لكنّ) ما أفادته (لو) من الامتناع"[4] .

أمَّا أنماط الجملة الاسميّة المنسوخة بها في حِكَم النّبيّ الأعظم، فهي كالتّالي:-

١- اسمها وخبرها معرفتان:

ومن صور هذا النّمط، قوله (ﷺ): "ألا إنَّهُ قد دَبَّ إلَيكُم داءُ الأُمَمِ مِن قَبْلِكُم وهُو الحَسدُ، لَيس بحالِقِ الشَّعرِ، لكنَّهُ حالِقُ الدِّينِ"[5]. ففي الحديث الشّريف دخل الحرف النّاسِخ (لكنَّ) على الجملة الاسميّة، وجاء اسمها معرفة وهو الضّمير المتّصل بها (الهاء). أمَّا خبرها، فجاء مُعرّف بالإضافة وهو (حالِقُ الدّينِ).

٢- اسمها معرفة وخبرها نكرة:

وممّا يندرج تحت هذا النّمط، قوله (ﷺ) عندما سألته السّيدة عائشة عن الجهاد: "يا رسولَ اللهِ، نَرَى الجِهادَ أفضَلَ العَمَلِ، أفلا نُجاهِدُ؟ قالَ: لا، لكنَّ أفضَلَ الجِهادِ حَجٌّ مَبرورٌ"[6]. فاسم (لكنّ) في الحديث الشّريف ورد اسم معرفة، مُعرّف بالإضافة وهو (أفضلَ الجهادِ)، وخبرها نكرة (حجٌّ) موصوفة بـ(مبرورٌ).

---

(١) ينظر: المقتضب: ٤/ ١٠٧ ، معاني الحروف للرّمانيّ: ١٣٣ ، تسهيل الفوائد: ٦١ ، الجنى الدّاني: ٦١٥.

(٢) ينظر: المقرّب: ١/ ١٠٦.

(٣) الكتاب: ٢/ ١٤٣.

(٤) شرح التّصريح: ١/ ٢٩٤.

(٥) حكم النّبيّ الأعظم: ٤/ ٦٣٦ ، وينظر: بحار الأنوار: ٧٠/ ٢٥٣.

(٦) حكم النّبيّ الأعظم: ٦/ ٢٠٨ ، وينظر: صحيح البخاريّ: ٢/ ٥٥٣.

٣- اسمها معرفة وخبرها جملة فعليّة:

ومن الشّواهد الواردة في حِكَمه (ﷺ) على هذا النّمط، ما ورد في الحديث المبارك الآتي: "إنَّ ناقَتَهُ [النَّبِيّ ﷺ] افتُقِدَت، فَأرجَفَ المُنافقونَ، فقالوا: يُخبرُنا بأسرارِ السَّماءِ ولا يَدرِي أينَ ناقَتُهُ! فَسَمِعَ ﷺ ذلكَ فقالَ: إنّي وإن أُخبِرْكُم بِلَطائفِ السَّماءِ لكنِّي لا أعلَمُ مِن ذلكَ إلّا ما عَلَّمَني الله..."[(١)]. فالحرف النّاسِخ (لكنَّ) ورد اسمه معرفة وهو (الياء) الضّمير المتّصل بها، أَمَّا الخبر، فورد جملة فعليّة مضارعيّة منفيّة (لا أعلمُ).

وفي ضوء ما تمّ عرضه من شواهد نلحظ أنَّ (لكنَّ) لم تُفد التّوكيد في حِكَمه (ﷺ) وإنَّما أفادت الاستدراك. ونلحظ أيضًا أنَّ اسمها ورد تارة ضميرًا متصلًا بها، وتارة أُخرى اسمًا ظاهرًا.

وقد تخفّف (لكنَّ) لتصبح (لكنْ) بعد حذف إحدى نونيها، وجَمهور النّحويّين يوجبون بطلان عملها؛ لزوال اختصاص (لكنْ) بالجملة الاسميّة. بيد أنَّ يونس بن حبيب (١٨٢هـ) والأخفش نُقِل عنهما جواز إعمالها مخفّفة[(٢)] .

وقد بيّن السّهيليّ (٥٨١هـ) العلّة وراء إهمالها، بقوله: "إنّما لما كانت مركبةً من (لا) و(إنَّ) ثمّ حذفت الهمزة اكتفاء بكسر (الكاف)، بقي عمل (إنّ) لبقاء العلّة الموجبة للعمل، وهي فتح آخرها، وبذلك ضارعت الفعل، فلما حذفت النّون المفتوحة وقد ذهبت الهمزة للتّركيب، ولم يبقَ إلّا النّون السّاكنة وجب إبطال حكم العمل بذهاب طرفيها، وارتفاع علّة المضارعة للفعل"[(٣)] . وهذا القولٌ مستحسنٌ، يعضّد المذهب القائل بأنّها مركبةٌ.

وقد ورد في حِكَم النّبيّ الأعظم نمطان تصدّرا بـ(لكنْ) المخفّفةً من الثّقيلة، ولم تعمل في النّمطين كليهما. وأَمَّا النّمطان، فهما:

---

(١) حكم النّبيّ الأعظم: ٢/ ٣٧٩ ، وينظر: بحار الأنوار: ١٨/ ١٠٩.

(٢) ينظر: المقتضب: ٤/ ١٠٨ ، معاني الحروف للرّمانيَ: ١٣٣ ، والجنى الدّاني: ٥٨٦ ، وأوضح المسالك إلى ألفيّة ابن مالك: ١/ ٣٨١ ، وشرح قطر النّدى: ١٥٣ ، وشرح التّصريح: ١/ ٣٣٥ ، وهمع الهوامع: ٢/ ١٨٨.

(٣) نتائج الفكر: ٢٠١ .

١- المبتدأ معرفة والخبر جملة اسميّة:

ومن أمثلة هذا النّمط، قوله (ﷺ) بعد مروره من دار حمزة في واقعة أحد: "لكنْ حمزةُ لا بَواكِيَ لَهُ، فَآلَى أهلُ المَدينةِ أن لا يَنُوحُوا على مَيّتٍ ولا يَبكُوهُ حتّى يَبدَؤوا بحمزةَ فَيَنُوحُوا علَيهِ ويَبكُوهُ"(١). نلحظ في الحديث المبارك أنَّ (لكنْ) وردت مخفّفة من الثّقيلة ولم تعمل في المبتدأ والخبر، فالمتبدأ (حمزةُ) ورد مرفوعًا، وخبره الجملة الاسميّة المنسوخة بـ(لا النّافية للجنس) (لا بواكيَ له).

٢- المبتدأ نكرة والخبر شبه جملة:

وممّا ورد على هذا النّمط في حديثه (ﷺ)، قوله عليه الصّلاة والسّلام : "لَيسَ البَيانُ كَثرَةَ الكَلامِ. ولكِن فَصلٌ في ما يُحِبُّ الله عزّ وجلّ"(٢) فقد وردت (لكنْ) مخفّفة من الثّقيلة ولم تعمل في الجملة الاسميّة شيئًا؛ إذ بقي المبتدأ (فصلٌ) مرفوعًا، وخبره شبه الجملة (في ما يحبّ الله).

وقد وردت (لكنْ) في حديثه (ﷺ) مخفّفةً من الثّقيلة داخلة على جملة فعليّة ، في قوله (ﷺ): "إنَّ اللهَ لَم يَبعَثني مُعَنِّتًا ولا مُتَعَنِّتًا، ولَكِن بَعَثَني مُعَلِّماً مُيَسِّراً"(٣)؛ إذ دخلت على الجملة الفعليّة الماضويّة، وهذا الشّاهد يؤيد صحّة الرّأي القائل بـ(إهمالها)؛ كون المخفّفة لم تختصّ بالجملة الاسميّة فقط، والأصل في الحروف العاملة أنّ تتخصّص.

٢- (كأنَّ):

وهي حرفٌ ناسِخٌ مشبّهٌ بالفعل، تعمل في الجملة الاسميّة عملين: النّصب والرّفع، كما عملت (إنَّ) النّصب والرّفع. و(كأنَّ) كباقي الحروف العاملة لم تكن محل اتّفاقٍ بين النّحويّين، سواء في أصلها أو في دلالتها. ففي أصلها يقول سيبويه (١٨٠هـ): "سألت الخليل عن كأنَّ، فزعم أنهَّا (إنَّ)، لحقتها الكاف للتّشبيه، ولكنهَّا صارت مع (إنَّ) بمنزلة كلمة واحدة"(٤). أي أنّ (كأنَّ) مركّبة من حرفين (الكاف) و(إنَّ) ولكنّ

(١) حكم النّبيّ الأعظم: ٧/ ٤٦٢ ، وينظر: من لا يحضره الفقيه: ١/ ١٨٣.
(٢) حكم النّبيّ الأعظم: ٤/ ١١٤ ، وينظر: كنز العمّال: ١٠/ ١٩٢.
(٣) حكم النّبيّ الأعظم: ٤/ ١١٤ ، وينظر: صحيح مسلم: ١٠/ ١١٠٤.
(٤) الكتاب: ٣/ ١٥١.

حرفٍ منهما دلالته، فالكاف للتّشبيه وقد قدّموه في بداية الجملة عنايةً واهتمامًا للتّشبيه؛ إذ إنَّ أصل الجملة قبل تقديم الكاف، هو قولنا: (إنَّ زيدًا كالأسد)، وقد فُتحت همزة (إنَّ) بعد التّقديم؛ لأنّ (إنَّ) المكسورة لا يسبقها حرف جرّ، ولا تكون إلّا في أوّل الجملة[١]. وهذا القول هو الرّاجح بين جَمهور النّحويّين[٢].

وذهب بعض النّحويّون إلى أنّها مبسّطة لا تركيبَ فيها؛ لأنَّ الأصل في الألفاظ أن تكون بسيطةً، أمَّا التّركيب، فهو طارئ فيها، فلا ضرورةَ للقول بالتّركيب، مع وجود الأصل[٣] .

أمَّا دلالتها، فهي عند سيبويه (١٨٠هـ) للتّشبيه[٤]، وعند ابن جنّي (٣٩٢هـ) للتّشبيه المؤكّد[٥]، والمعنى الأخير راجحٌ لديّ، حملاً على أصل الجملة؛ إذ إنَّ أصل جملة (كأنَّ زيدًا أسدٌ)، مؤكّدةً بـ(إنَّ)، فضلاً عن التّشبيه الّذي قُدِّم عنايةً به. فلا يمكن القول بالتّشبيه دون التّوكيد.

أمَّا ورودها في حِكَم النّبيّ الأعظم، فهو قليلٌ، قياسًا بباقي أخواتها في باب (إنَّ وأخواتها). ومن شواهد أنماط الجملة الاسميّة المنسوخة بها في حِكَم النّبيّ الأعظم:

١- اسمها معرفة وخبرها شبه جملة:

وممّا يُستشهد به على هذا النّمط، قوله (صلى الله عليه وآله وسلم): "إنَّ المؤمنَ لَيَرى ذَنبَهُ كَأَنَّهُ تحتَ صَخرَةٍ يَخافُ أن تَقَعَ علَيهِ. والكافِرَ يَرى ذَنبَهُ كأَنَّه ذُبابٌ مَرَّ على أنفِهِ"[٦]. فقد وردت (كأنَّ) في الحديث المبارك واسمها (الهاء) الضّمير المتّصل بها، وخبرها شبه الجملة (تحت صخرةٍ)، ووردت أيضًا على نمط ثانٍ في الحديث الشّريف، وهو (اسمها معرفة وخبرها نكرة موصوفة)، فاسمها (الهاء) الضّمير المتّصل بها، وخبرها النّكرة (ذُبابٌ) الموصوف بالجملة الفعليّة الماضويّة المصدّرة بالفعل (مرَّ).

---

(١) ينظر: شرح المفصّل: ٨/ ٨١.

(٢) ينظر: الأصول في النّحو: ١/ ٢٧٨ ، ومغني اللّبيب عن كتب الأعاريب: ١/ ٢١٥.

(٣) ينظر: الخصائص: ١/ ٣٨١ ، ورصف المباني: ٢٠٨-٢٠٩ ، ومغني اللّبيب عن كتب الأعاريب: ١/ ٢١٥.

(٤) ينظر: الكتاب: ٣/ ١٥١.

(٥) ينظر: الخصائص: ١/ ٣٨١ ، وشرح التّصريح: ١/ ٢٩٤.

(٦) حكم النّبيّ الأعظم: ٤/ ٥٥٨ ، وينظر: بحار الأنوار: ٧٧/ ٧٧.

٢- اسمها معرفة وخبرها جملة فعليّة:

ومن أبرز ما يمثّل هذا النّمط في حِكَمه المباركة، قوله (صلى الله عليه وآله وسلم): "اِعمَل لِدُنياكَ كَأَنَّكَ تَعيشُ أبَدًا، وَاعمَل لآخِرَتِكَ كَأَنَّكَ تَموتُ غَداً"[١]. نلحظ في الحديث الشّريف أنَّ الحرف النّاسِخ (كأنَّ) ورد بموضعين، وفي الموضعين كليهما جاء اسمه معرفة، وهو الضّمير الكاف المتّصل بها، وخبرها جملة فعليّة مضارعيّة (تعيش، تموت).

ثانيًا: الجملة الاسميّة المنسوخة بالأفعال النّاقصة (كان وأخواتها):

الأفعال النّاقصة هي الأفعال الّتي تدخل على الجملة الاسميّة، وتعمل الرّفع في أحد طرفي الإسناد، ألا وهو (المسند إليه)، ولا يكتمل معناها دون عمل النّصب في الطّرف الآخر وهو (المسند)[٢] .

وتسمّى هذه الأفعال بـ"الأفعال النّاقصة وأفعال العبارة"[٣]، والعلّة في تسميتها بالأفعال النّاقصة تعود إلى أنَّها مختلفة عن الفعل الحقيقي في الدّلالة على معنى وزمان معينين، فالأفعال النّاقصة "لا تدلّ على حدثٍ بل تفيد الزّمان مجرّدًا من الحدث"[٤] وقصورها في الدّلالة على الحدث هو من ألصق بها هذه التّسمية[٥] .

إنَّ نفي الحدث عن الأفعال النّاقصة لم يجد مساحةً من القبول عند بعض النّحويّين، ولم يكن مستساغًا لهم؛ إذ يرى الاستراباذيّ (٦٨٦هـ)، أنَّ هذه العلّة في تسميتها ليست بشيءٍ من الصّحّة "لأنَّ (كان) في نحو: كان زيدٌ قائمًا، يدلّ على الكون الّذي هو الحصول المطلق، وخبره يدلّ على الكون المخصوص، وهو كون القيام، أي حصوله"[٦].

ولم يكن الخلاف على دلالاتها فحسب، فقد اختلفوا في مرفوع هذه الأفعال ومنصوبها، فجَمهور البصريّين يرون أنّ الاسم المرفوع بعدها هو مرفوع بها، حملًا على عمل الفعل التامّ، وزعم الفرّاء (٢٠٧هـ) أنّ المرفوع بـ(كان أو إحدى أخواتها) رُفِع

---

(١) حكم النّبيّ الأعظم: ٢/ ٤٧٣ ، وينظر: بحار الأنوار: ٤٤/ ١٣٩.

(٢) ينظر: شرح المفصّل: ٧/ ٨٩ ، والنّحو الوافي: ١/ ٥٤٣ ، والفعل زمانه وأبنيته: ٥٦-٥٧.

(٣) شرح المفصّل: ٧/ ٨٩.

(٤) المصدر نفسه: ٧/ ٩٧.

(٥) ينظر: المقتضب: ٣/ ٩٧ ، والأصول في النّحو: ١/ ٨٢ ، واللّمع في العربيّة: ٣٦ ، وشرح التّسهيل: ١/ ٣٢٠.

(٦) شرح الرّضيّ على الكافية: ٤/ ١٨١-١٨٢ ، وينظر: شرح التّسهيل: ١/ ٣٢٠-٣٢٣.

لشبهه بالفاعل. أمَّا الكوفيّون، فيرون أنّ الاسم المرفوع بعد كان باقٍ على موقعه الإعرابيّ، وهو رفعه بالابتداء قبل دخول الفعل النّاسِخ، أَمَّا منصوب هذه الأفعال، فهو خبرٌ مشبّهٌ بالمفعول، وهذا مذهب الجَمهور، وهو عند الفرّاء (٢٠٧هـ) منصوبٌ تشبيهًا له بالحال، وعدّه نحويّو الكوفة حالًا[١] .

وهذه الأفعال هي : (كان –وهي أم الباب–، ظلّ، بات، دام، انفك، فتئ، زال، برح، ليس، صار، أمسى، أضحى، أصبح) ولكلّ فعلٍ من هذه الأفعال دلالة خاصّة به[٢] .

وأنماط الجملة المنسوخة بهذه الأفعال في حِكَم النّبيّ الأعظم متنوّعة بتنوّع المبتدأ والخبر، وهي:

١– اسم الأفعال النّاقصة وخبرها معرفتان:

وممّا ورد على هذا النّمط في حِكَمه (ﷺ)، قوله عليه الصّلاة السّلام: "مَن كُنتُ مَولاهُ فَعَليٌّ مَولاهُ"[٣]. نلحظ في الحديث المبارك وردت كان ناقصةً محوجةً إلى خبر ليتمّ معناها، فاسمها ورد معرفة، وهو (التّاء) الضّمير المتّصل بها، وخبرها (مولاه) المعرّف بإضافته إلى الهاء. ودلّت (كان) في الحديث على الزّمان مجرّدًا من الحدث.

٢– اسمها معرفة وخبرها نكرة:

وممّا يُستشهد به على هذا النّمط، قوله ( )ﷺ: "النّاسِ مُرُوّةً مَن كانَ كاذِباً"[٤]. كاذِباً"[٤]. نلحظ في الحديث المبارك أنَّ (كان) النّاقصة قد دخلت على الجملة الاسميّة، الاسميّة، فكان اسمها ضميرًا مستترًا تقديره (هو) يعود على الاسم الموصول (من)، وخبرها (كاذِباً) وهو نكرة. وقد دلّت (كان) على اتّصاف اسمها (الضّمير المستتر) بمعنى خبرها اتّصافًا مجرّدًا دون أن يتقيد بزمنٍ محدّدٍ كالمساء أو الصّباح[٥] .

وقد ورد على هذا النّمط الفعل النّاقص (أمسى). وهذا الفعل ذكر النّحويّون فيه ثلاثة معانٍ، الأوَّل اقتران مضمون الجملة بوقت خاصّ، والثّاني الدّخول بالوقت وعندئذ تكون

---

(١) ينظر: معاني القرآن للفرّاء: ١/ ٢٨١ ، والأصول في النّحو: ١/ ٨٢ ، والتّبصرة والتّذكرة: ١/ ١٨٥ ، وارتشاف الضّرب: ٣/ ١١٤٦.

(٢) ينظر: المقتضب: ٣/ ٩٧ ، وشرح المفصّل: ٧/ ١٠٦ ، والنّحو الوافي: ١/ ٥٤٥–٥٤٦.

(٣) حكم النّبيّ الأعظم: ٣/ ١٥ ، وينظر: المستدرك على الصّحيحين: ٣/ ١١٨.

(٤) حكم النّبيّ الأعظم: ٥/ ١١٣ ، وينظر: بحار الأنوار: ٧٢/ ٢٥٩.

(٥) ينظر: النّحو الوافي: ١/ ٥٤٨.

تامّـة، والثّالِـث أن تكـون بمعنـى صـار[1]، والمعنـى الأخيـر هـو الـذّي دلّ عليـه الفعـل النّـاقص (أمسـى) فـي دعائـه (ﷺ) يـوم عرفـة: "اللّهُـمّ إنّـي أعـوذُ بِـكَ مِـنَ الفَقـرِ، ومِـن تَشَـتُتِ الأمـرِ، ومِـن شَـرّ مـا يَحـدُثُ بِاللّيـلِ والنّهـارِ. أمسـى ظُلمـي مُسـتَجيرًا بِعَفـوكَ، وأمسـى خـوفي مُسـتَجيرًا بِأمانِـكَ..."[2]. فاسـم الفعـل النّاسِـخ هـو (ظُلمـي، خـوفي) وخبـره نكـرة (مُستَجيرًا، مُستَجيرًا).

٣- اسمها نكرة وخبرها شبه جملة مقدّم:

ومـن صـور هـذا الـنّمط، حكمتـه (ﷺ) المباركـة: "إن كـانَ فـي شَـيءٍ شُـؤمٌ، فَفِـي اللّسـانِ"[3]. فقـد دخلـت كـان فـي الحـديث الشّـريف علـى الجملـة الاسـميّة، وكـان اسـمها (شُـؤمٌ) مـؤخّرًا وجوبًـا؛ لأنّـه نكـرة لا مسـوّغ لهـا إلّا تقـديم الخبـر عليهـا[4]، وخبـر كـان المقـدّم وجوبًا هو (في شَيءٍ).

(١) ينظر: شرح المفصّل: ٧/ ١٠٣-١٠٤.

(٢) حكم النّبيّ الأعظم: ٦/ ٢٣٣ ، وينظر: الكافي: ٤/ ٤٦٤.

(٣) حكم النّبيّ الأعظم: ٣/ ٦٢١ ، وينظر: الكافي: ٢/ ١١٦.

(٤) ينظر: شرح ابن عقيل : ١/ ١١٢.

المبحث الرّابِع

الجملة الخبريّة المؤكّدة

إنَّ التّوكيد في الدّرس اللّغويّ لدى القدامى من النّحويّين لم يشكّل موضوعًا مستقلّاً في دراستهم، ولم يُشبع دراسة، سواءٌ في أساليبه أو في ما يتضمّنه من معنى عامّ؛ إذ إنَّ جلَّ اهتمام النّحويّين منصبٌ في العامل، فقد شكّل الأخير نفوذًا في الدّرس النّحويّ على حساب المعاني والدّلالات. فالزّمخشريّ (٥٣٨هـ) مثلاً، لا يتعدّى حدود التّوكيد اللّفظيّ، وكذلك الاستراباذيّ (٦٨٦هـ)، كما أنّ ابن مالك (٦٧٢هـ) وشُرّاح ألفيّته وكلّ من جاء من بعدهم استمرّوا على ترديد ما قاله الزّمخشريّ والاستراباذيّ[١]. أمَّا في كتب البلاغة، فالأمر مختلفٌ؛ إذ حُظي التّوكيد بدراسةٍ مستفيضةٍ لأنواعه وأساليبه ومعانيه، وسُلِّط الضّوء عليه في كتب البلاغة بشكلٍ مفصّل[٢] .

والتّوكيد في مفهومه العامّ "هو لفظٌ يراد به تمكين المعنى في النّفس، أو إزالة الشكّ عن الحديث، أو المحدّث عنه"[٣]. ويُراد بـ(تمكين المعنى في النّفس) التّوكيد اللّفظيّ الّذي يكون بتكرار ألفاظ أو جمل أو حروف، ويُراد بـ(إزالة الشكّ عن الحديث) توكيد المصدر، أمَّا (إزالة الشكّ عن المحدّث عنه)، فهو توكيد بألفاظٍ أقرّها النّحويّون، وهي (عين، نفس، كلّ...)[٤] .

أمَّا الأغراض الّتي وضِع لها التّوكيد، فهي واحدةٌ من ثلاثة أشياء: "أحدها: أن يدفع المتكلّم ضرر غفلة السّامع عنه، وثانيها: أن يدفع ظنّه بالمتكلّم الغلط،... والغرض الثّالث: أن يدفع المتكلّم عن نفسه ظنّ السّامع به تجوّزًا"[٥]. ومن حيث الفائدة، يقول ابن الأنباريّ (٥٧٧هـ) في أسراره: "الفائدة في التّوكيد التّحقيق وإزالة التّجوّز في الكلام، لأنّ من كلامهم المجاز؛ ألا ترى أنّهم يقولون: (مررتُ بزيدٍ) وهم يريدون المرور بمنزله

---

(١) ينظر: في النّحو العربيّ نقد وتوجيه: ٢٣٤-٢٣٦.

(٢) ينظر: البلاغة العربيّة أُسسها، وعلومها، وفنونها: ١/ ١٧٨-١٩٣.

(٣) المقرّب: ١/ ٢٣٨ ، وينظر: شرح الحدود للفاكهيّ: ٢٥٦.

(٤) ينظر: الكتاب: ١/ ٣٧٧ ، والأصول في النّحو: ٢/ ١٩-٢٠ ، والمقرّب: ١/ ٢٣٨-٢٣٩ ، وشرح شذور الذّهب: ٢٢٠-٢٢١ ، وفي النّحو العربيّ قواعد وتطبيق: ١٩٤.

(٥) شرح الرّضيّ على الكافية: ٢/ ٣٥٧-٣٥٨ ، وينظر: معاني النّحو: ٤/ ١٥٢-١٥٥.

ومحلـه، ... فـإذا قلـت: (مـررتُ بزيـدٍ نفسـهِ) زال هـذا المجـاز"[١]. وهـذا ابـن يعـيش (٦٤٣هـ) أيضًـا يبـيّن لنـا الفائـدة بقولـه: "فائـدة التّأكيـد تمكـين المعنـى فـي نفـس المخاطـب، وإزالة الغلط في التّأويل"[٢] .

إنَّ الدّراسـة فـي هـذا المبحـث، لا تتنـاول التّوكيـد الّـذي يعـدّه النّحويّـون مـن (التّوابـع)؛ وإنَّمـا تتنـاول بالدّراسـة أدوات التّوكيـد الدّاخلـة علـى الجملـة الخبريّـة؛ إذ إنَّ بعـض هـذه الأدوات تكـون مختصّـةً بالجملـة الاسـميّة، وبعضـها الآخـر مختصّـةً بالجملـة الفعليّـة، ومنهـا مـا يؤكّـد الجملتـين كلتيهمـا، وفيمـا يـأتي تفصـيل كـلّ ضـربٍ مـن هـذه الضّـروب الثّلاثة:-

أوّلًا: ما يؤكّد الجملة الاسميّة:

١- إنَّ وأَنَّ:

حـرفٌ مشـبّهٌ بالفعـل يـدخل علـى الجملـة الاسـميّة فقـط، ويعمـل النّصـب فـي المبتـدأ، والرّفـع فـي الخبـر، والفائـدة الّتـي يـؤتى بـ(إنَّ وأَنَّ) لأجلهـا هـي توكيـد الجملـة الاسـميّة الّتـي تـدخل عليهـا[٣]؛ إذ تُعـدُّ (إنَّ) "أداة لتوكيـد النّسـبة فـي الجمـل...ولا تتّصـل إلّا بالمسـند إليه"[٤] .

والعلّـة وراء تسـمية هـذه الحـروف بـ(الحروف المشـبّهة بالفعـل)، هـي لمضـارعة هـذه الحـروف الفعـل مـن خمسـةِ أوجـهٍ، أوّلهـا الـوزن؛ إذ إنَّ هـذه الحـروف تشـابه الفعـل فـي الـوزن، لا سـيّما الفعـل الماضـي. والثّـاني البنـاء، فهـي تضـارع الفعـل الماضـي بالبنـاء، فكلاهمـا مبنـيٌّ علـى الفـتح. والوجـه الثّالـث، إنَّ الفعـل و(أنَّ) كليهمـا يقتضـيان اسـمًا. والرّابـع مـن هـذه الوجـوه، هـو جـواز اتّصـال (إنَّ) بنـون الوقايـة، كمـا يتّصـل الفعـل بهـا. والخـامس والأخيـر، تحمـل (إنَّ) فـي دلالتهـا معنـى قريـب مـن معنـى الفعـل، فهـي تفيـد التّوكيد وهو معنى فعليّ[٥] .

---

(١) أسرار العربيّة: ٢٨٣.

(٢) شرح المفصّل: ٣/ ٤٠.

(٣) ينظر: المقتضب: ٢/ ٣٤٠ ، والأصول في النّحو: ١/ ٢٤٣-٢٤٤ ، والجنى الدّاني في حروف المعاني: ٣٩٣.

(٤) في النّحو العربيّ نقد وتوجيه: ٢٣٧.

(٥) ينظر: الإنصاف في مسائل الخلاف: ١/ ١٥٩ مسألة رقم:٢٤ ، وشرح المفصّل: ١/ ١٠٢.

أمَّا المبتدأ والخبر اللّذان تدخل عليهما (إنَّ)، فقد اشترط النّحويّون فيهما ما اشترطوه في المبتدأ والخبر اللّذان تدخل عليهما (كان وأخواتها)[١] .

ووردت (إنَّ وأَنَّ) بأنماط مختلفة في حِكَم النّبيّ الأعظم، وتقترب هذه الأنماط في شبهها لدرجة كبيرة من أنماط الجملة الاسميّة المثبتة، والجملة الاسميّة المنسوخة بالأفعال النّاقصة؛ إذ إنّ كلّ هذه الأنواع من الجمل تعتمد المبتدأ والخبر، اللّذان يشكّلان طرفي الإسناد في الجملة الاسميّة. وهذه الأنماط هي كالتّالي:

أ- اسمها وخبرها معرفتان:

ومن أمثلة هذا النّمط، قوله (ﷺ): "إيّاكُم وَالظّنَّ؛ فَإِنَّ الظّنَّ أكذَبُ الحَديثِ"[٢]. نلحظ في الحديث المبارك دخلت (إنَّ) مكسورة الهمزة على الجملة الاسميّة، فجاء اسمها معرفة وهو (الظّنَّ)، وخبرها جاء معرفة أيضًا، مُعرّف بالإضافة (أكذَبُ الحَديثِ).

ب- اسمها معرفة وخبرها نكرة:

ومن الشّواهد الواردة في حديثه (ﷺ) على هذا النّمط، قوله (عليه الصّلاة والسّلام): "إنّي عَدلٌ لا أشهَدُ إلّا على عَدلٍ"[٣]. فاسم (إنَّ) في الحديث الشّريف معرفة، وهو (الياء) الضّمير المتّصل بها، وخبرها (عدلٌ) وهو اسم نكرة.

ت- اسمها معرفة وخبرها جملة فعليّة مقترنة باللّام:

اشترط النّحويّون في الجملة الفعليّة الواقعة خبر لـ(إنّ) والمقترنة بلام التّوكيد، أن تكون جملة فعليّة مضارعيّة، ومنعوا دخول هذه اللّام على الجملة الفعليّة الماضويّة؛ لعدم مضارعتها الاسم[٤] .

ومن أبرز ما يمثّل هذا النّمط في حِكَمه (ﷺ)، قوله (عليه الصّلاة السّلام): "اتَّقُوا الذّنوبَ فإنّها مَمْحَقَةً للخَيراتِ، إنَّ العبدَ لَيُذنِبُ الذّنبَ فَيَنسى بهِ العِلمَ الّذي كانَ قد

(١) ينظر: الجملة الاسميّة: ١٣٥-١٣٦.
(٢) حكم النّبيّ الأعظم: ٦/ ٤٢٣ ، وينظر: صحيح البخاريّ: ٥/ ٢٢٥٤.
(٣) حكم النّبيّ الأعظم: ٦/ ٥٧٠ ، وينظر: كنز العمّال: ٧/ ١٣.
(٤) ينظر: شرح المفصّل: ٩/ ٢٥.

عَلِمَـهُ"[١]. وردت (إنَّ) مكسـورة الهمـزة فـي الحـديث المبـارك فـي موضـعين، ومحـل الشّـاهد علـى هـذا الـنّمط فـي الموضـع الثّـاني؛ إذ ورد اسـمها معرفـة وهـو (العبـدَ)، أمَّـا خبرهـا، فكـان جملة فعليّة مضارعيّة دخلت عليها اللّام المزحلقة.

ث- اسمها معرفة وخبرها جملة فعليّة:

وممّـا ينـدرج تحـت هـذا الـنّمط، حكمتـه المباركـة (ﷺ): "إنَّ اللهَ تَعـالى يُحِـبُّ الشَّـابَّ التَّائِـبَ"[٢]. فاسـم (أنَّ) معرفـة هـو لفـظ الجلالـة، وخبرهـا الجملـة الفعليّـة المضـارعيّة (يُحِـبُّ الشَّابَّ التَّائِبَ).

ج- اسمها معرفة وخبرها شبه جملة:

ومـن صـور هـذا الـنّمط، قولـه (ﷺ): "إنَّ المُـؤمِنَ لِلمُـؤمِنِ كالبنيـانِ يَشـدُّ بَعضُـه بَعضًـا"[٣]، فقـد وردت (إنَّ) مكسـورة الهمـزة فـي الحـديث الشّـريف، واسـمها معرفـة وهـو (المُؤمِنَ)، وخبرها شبه الجملة (لِلمُؤمِنِ).

ح- اسمها مصدر مؤول وخبرها شبه جملة مقدّم:

وممّـا يُستشـهد بـه علـى هـذا الـنّمط، قولـه (ﷺ): "إنَّ مِـن أشـراطِ السّـاعَةِ أنْ يُرفَـعَ العِلـمُ، ويَثبُـتَ الجَهـلُ"[٤]. فقـد ورد اسـم (إنَّ) فـي الحـديث المبـارك مـؤخّرًا، وهـو المصـدر المـؤول مـن (أنْ)، والفعـل المضـارع (يُرفَـعَ)، وتقـديره المصـدر (رفـعَ العلـمِ). أمَّـا الخبـر المقدّم، فهو شبه الجملة (مِن أشراطِ السّاعَةِ).

٢- ضمير الفصل:

ضـمير الفصـل هـو ضـميرٌ "يتوسّـط بـين المبتـدأ والخبـر قبـل العوامـل وبعـدها، صـيغة مرفـوع منفصـل مطـابق للمبتـدأ يسـمّى فصـلًا؛ ليفصـل بـين كونـه نعتًـا أو خبـرًا"[٥]. يُعَـدُّ سيبويه (١٨٠هـ) أوّل من استعمل هذا المصطلح؛ إذ عقد لـه بابًـا تحـت عنـوان "هـذا بـاب ما يكون فيه هو وأنت وأنا ونحن وأخواتهن فصلًا"[٦].

---

(١) حكم النّبيّ الأعظم: ٤/ ٥٦١ ، وينظر: بحار الأنوار: ٧٣/ ٣٧٧.

(٢) حكم النّبيّ الأعظم: ٢/ ٢٠٣ ، وينظر: المحجّة البيضاء: ٧/ ٧.

(٣) حكم النّبيّ الأعظم: ١/ ٤٢٢ ، وينظر: صحيح البخاريّ: ١/ ١٨٢.

(٤) حكم النّبيّ الأعظم: ١/ ١٨٦ ، وينظر: صحيح البخاريّ: ١/ ٤٣.

(٥) شرح الرّضيّ على الكافيّة: ١/ ٤٥٥ ، وينظر: المساعد على تسهيل الفوائد: ١/ ١١٩.

(٦) الكتاب: ٢/ ٣٨٩.

وتسمية هذا الضّمير بـ(ضمير الفصل) هي التّسمية الّتي اصطلح عليها البصريّون، وسبب هذه التّسمية؛ إنَّ هذا الضّمير يفصل بين المبتدأ والخبر، أو بين النعت والخبر. أمَّا نحويّو الكوفة، فيسمّونه بـ(العماد)؛ لكونه يُعتمد عليه في توضيح الفائدة، ويسّموه أيضًا بـ(الدّعامة)؛ لكونه يؤكّد الكلام ويقويه[١]. أمَّا الفائدة الّتي يأتي بها ضمير الفصل، فهي "الدّلالة على أنَّ الوارد بعده خبر لا صفة، والتّوكيد، وإيجاب أنَّ فائدة المسند ثابتة للمسند إليه دون غيره"[٢] .

وقد ورد ضمير الفصل مؤكّدًا في حِكَم النّبيّ الأعظم، في قوله (ﷺ) للإمام عليّ (عليه السّلام) لمّا سأله عن قوله تعالى: ﴿فَتَلَقَّىٰ آدَمُ مِن رَّبِّهِ كَلِمَاتٍ﴾[٣]، قال (ﷺ): "سُبحانَكَ لا إله إلا أنتَ، عَمِلتُ سوءًا وظَلَمتْ نَفسي، فَتُب عَلَيَّ إنَّكَ أنتَ التَّوّابُ الرّحِيمُ"[٤]. فضمير الفصل الّذي أُكِد به المعنى في الحديث الشّريف هو (أنت)؛ إذ توسّط بين اسم (إنَّ) الضّمير المتّصل بها وهو (الكاف)، وخبرها (التّوّاب). وقد جاء موافقًا لما ذكره النّحويّون من شروط؛ إذ ورد ضميرًا منفصلاً من ضمائر الرّفع، متوسّطًا بين معرفتين، ومتوسّطًا أيضًا بين المبتدأ والخبر، أو ما كان داخلًا عليهما كـ(إنَّ وأخواتها)[٥] .

٣- لام الابتداء:

هي لامٌ مفتوحةٌ تدخل على المبتدأ، لغرض توكيد مضمون الجملة الدّاخلة عليها توكيدًا حقيقيًّا، مزيلًا للشكِّ. كما وتُعَدُّ من بين أكثر اللّامات تصرّفًا في العربيّة. وهذه اللّام لا عملَ لها من النّاحية الإعرابيّة[٦] .

---

(١) ينظر: شرح المفصّل: ٣/ ١١٠ ، وشرح الرّضيّ على الكافية: ١/ ٤٥٦ ، وارتشاف الضَرب: ٢/ ٩٥١ ، وهمع الهوامع: ١/ ٢٣٥.

(٢) الكشاف: ١/ ١٦١ ، وينظر: شرح المفصّل: ٣/ ١١٠.

(٣) سورة البقرة، آية: ٣٧.

(٤) حكم النّبيّ الأعظم: ١/ ٥٦٧ ، وينظر: بحار الأنوار: ٧٧/ ٦٥.

(٥) ينظر: شرح المفصّل: ٣/ ١١٠.

(٦) ينظر: اللّامات للزّجّاجيّ: ٧٣ ، ومعاني الحروف للرّمانيّ: ٥١ ، وشرح المفصّل: ٩/ ٢٥ ، والجنى الدّاني الدّاني في حروف المعاني: ١٢٨ ، وارتشاف الضّرب: ٣/ ١٢٦٢.

وممّا ورد في حِكَم النّبيّ الأعظم من جملة مؤكّدة بهذه اللّام، في قوله (ﷺ): "لأَنَا فِي فِتنَةِ السَّرّاءِ أخوَفُ عَلَيكُم مِن فِتنَةِ الضَّرّاءِ؛ إنَّكُم قَدِ ابتُليتُم بِفِتنَةِ الضَّرّاءِ فَصَبَرتُم، وإنَّ الدُّنيا خَضِرَةٌ حُلوَةٌ"(١). ففي الحديث الشّريف دخلت (لام الابتداء) على المبتدأ (أنا)؛ لتؤكّد مضمون الجملة الاسميّة الدّاخلة عليها.

ثانيًا: ما يؤكّد الجملة الفعليّة:

١- (قد)

وهو حرفٌ مهملٌ، لا عملَ له من النّاحية الإعرابيّة، يختصُّ بالدّخول على الجملة الفعليّة (المضارعيّة والماضويّة)، وعند دخوله على الجملة الفعليّة الماضويّة يشترط النّحويّون فيه أن يكون الفعل متصرّفًا. أمّا عند دخوله على الجملة الفعليّة المضارعيّة، فيُشترط في الفعل أن يكون مجرّدًا من حروف الجزم، والنّصب، وحروف التّنفيس(٢) .

ومن حيث المعنى والإفادة، فتفيد (قد) التّحقيق، والتّوقّع، والتّقريب، عند دخولها على الفعل الماضي. وعند دخولها على الفعل المضارع، فتفيد التّوقّع، والتّحقيق، والتّقليل، والتّكثير(٣)، وممّا ورد في حِكَم النّبيّ الأعظم مؤكّدًا بـ(قد)، قوله (ﷺ): "إنَّ الله تَعالى قَد تَكَفَّلَ لِطالِبِ العِلمِ بِرِزقِهِ خَاصَّةً عَمّا ضَمِنَهُ لِغَيرِهِ"(٤). فـ(قد) في الحديث الشّريف دخلت على الفعل الماضي (تَكَفَّلَ)، واستعمال (قد) مع الفعل دلّ على توكيد وتحقيق تكفّل الله عزّ وجلّ برزق طالب العلم.

ومثال دخولها على الفعل المضارع، قوله (ﷺ): "يا رسولَ اللهِ هل يَسرِقُ المؤمنُ؟ قال: قد يكونُ ذلكَ، قالَ: فهل يَزني المؤمنُ؟ قالَ: بلى وإن كَرِهَ أبو الدَّرداءِ. قالَ: هَل يكذِبُ المؤمنُ؟ قالَ: إنّما يَفتَرِي الكذبَ مَن لا يُؤمِنُ، إنَّ العَبدَ يَزِلُّ الزَّلَّةَ ثُمّ يَرجِعُ إلى رَبِّهِ فَيَتوبُ، فَيُتوبُ اللهُ علَيهِ"(٥). فالمتأمّل للحديث الشّريف يجد (قد) دخلت

(١) حكم النّبيّ الأعظم: ٧/ ١٦٣ ، وينظر: مسند أبي يعلى: ٢/ ١١٥.
(٢) ينظر: معاني الحروف للرّمانيّ: ٩٨ ، ورصف المباني: ٣٩٢ ، والجنى الدّاني في حروف المعاني: ٢٥٤.
(٣) ينظر: المفصّل في صنعة الإعراب: ٤٣٣ ، ورصف المباني: ٣٩٢ ، الجنى الدّاني في حروف المعاني: ٢٥٩ ، ومغني اللّبيب عن كتب الأعاريب: ١/ ١٩٤-١٩٧.
(٤) حكم النّبيّ الأعظم: ٧/ ٩٠ ، وينظر: كنز العمّال: ١٠/ ١٣٨.
(٥) حكم النّبيّ الأعظم: ٥/ ١٠٩ ، وينظر: كنز العمّال: ٣/ ٨٧٤.

علـى الفعـل المضـارع (يكـونُ)، وهنـا أفـادت معنـى التّوقّـع، أيْ أنَّ وقـوع المـؤمن فـي أمـر السّرقة، توقّعًا وليس توكيدًا، فهو ربّما يقع في أمر السّرقة أو لا يقع.

٢- نونا التّوكيد:

وهمـا حرفـان مختصّـان بالـدّخول علـى الجملـة الفعليّـة الّتـي فعلهـا فعـل مضـارع وأمـر، أمَّـا الفعـل الماضـي، فـلا تـدخل عليـه؛ لأنّـه فعـل قـد وقـع وتحقّـق، ويفيـدان عنـد دخولهمـا على المضارع والأمر التّوكيد؛ ولهذا أُصطلح على تسميتهما بـ(نوني التّوكيد)[١] .

عقـد لهمـا سـيبويه (١٨٠هـ) بابًـا فـي كتابـه، قـائلًا فيـه: "هـذا بـاب النّـون الثّقيلـة والخفيفـة، اعلـم أنَّ كـلّ شـيءٍ دخلتـه الخفيفـة فقـد تدخلـه الثّقيلـة. كمـا أنَّ كـلَّ شـيء تدخلـه الثّقيلـة تدخلـه الخفيفـة"[٢]. وقـد اختلـف النّحويّـون أيُهمـا أصـلٌ، الخفيفـة أم الثّقيلـة؟، فـذهب البصـريّون إلـى أنّ كليهمـا أصـلٌ. وقـال الكوفيّـون: إنَّ الثّقيلـة هـي أصـلٌ، والخفيفـة فـرعٌ منهـا[٣]. وكلاهمـا يفيـد التّوكيـد؛ بيـد أنّ التّوكيـد بالثّقيلـة أبلـغُ وأشـدُّ، وهـذا قـول الخليـل (١٧٠هـ) رحمه الله [٤] .

وهـذه النّـون عنـد توكيـدها الفعـل المضـارع، يكـون التّوكيـد إمَّـا واجبًـا، وإمَّـا جـائزًا. وعنـد دخولهـا علـى فعـل الأمـر تؤكّـده مطلقًـا دون شـرطٍ أو قيـد. واشـترط النّحويّـون شـروطًا يجـب توافرها في الفعل المضارع حتّى يكون توكيده وجوبًا، وهذه الشّروط هي[٥]:

١- أن يكون الفعل مثبًا غير منفي.

٢- أن يكـون الفعـل المضـارع واقعًـا فـي جـواب قسـم غيـر مفصـولٍ عـن لام القسـم بفاصـلٍ ما.

٣- أن يكون الفعل المضارع دالًا على الاستقبال.

---

(١) ينظر: شرح المفصّل: ٩/ ٣٧ ، ومعاني النّحو: ٤/ ١٥٥.

(٢) الكتاب: ٣/ ٥٠٨ ، وينظر: المقتضب: ٣/ ١١ ، والأصول في النّحو: ٢/ ١٩٩ ، والمقرّب: ٢/ ٧٣.

(٣) ينظر: الإنصاف في مسائل الخلاف: ٢/ ٥٣٨ مسألة رقم ٩٤.

(٤) ينظر: الجنى الدّاني في حروف المعاني: ١٤١ ، ومغني اللّبيب عن كتب الأعاريب: ٢/ ٣٩١.

(٥) ينظر: الكتاب: ٣/ ٥٠٩ ، والأصول في النّحو: ٢/ ٢٠٨ ، وشرح المفصّل: ٩/ ٣٩-٤٠ ، وشرح ابن عقيل: ٣/ ١٤٠.

ومن أمثلة الفعل المضارع الّتي توافرت فيه هذه الشّروط في حِكَم النّبيّ الأعظم، قوله (ﷺ) قُبيل غزوة خيبر: "لَأُعطِيَنَّ الرّايَةَ اليومَ رَجَلًا يُحِبُّ اللهَ ورسولَهُ، ويُحِبُّه اللهُ ورسولُهُ"[١]. فالفعل (لَأُعطِيَنَّ) واجب التّوكيد؛ لكونه جاء مثبتًا متّصلاً بلام القسم دالًا على الاستقبال. والفعل أكثر توكيدًا؛ لأنَّه أُكِد بالنّون الثّقيلة.

وأمَّا جواز توكيد الفعل المضارع بهذه النّون، فقد اشترط النّحويّون أن يكون مسبوقًا بطلب أو يُسبق بـ(إمَّا)[٢]. فمثال ما ورد من فعل جائز التّوكيد في حديثه المبارك، قوله (ﷺ): "لا يَقِفَنَّ أحَدُكُم مَوقِفاً يُضرَبُ رَجُلٌ فيهِ سَوطاً ظُلماً؛ فإنَّ اللَّعنَةَ تَنزِلُ عَلَى مَن حَضَرَهُ حَيثُ لَم يَدفَعوا عَنهُ"[٣]. فالفعل المضارع (يَقِفَنَّ) الواردة في الحديث الشّريف جائز التّوكيد؛ لأنّه قد سُبق بطلبٍ أداته (لا) النّاهية.

٣- المصدر:

وهو اسمٌ يكون منصوبًا مكمِلًا للجملة الفعليّة، مؤكّدًا لعاملها، مبينًا لنوعه أو عدده[٤]. يسمّيه سيبويه (١٨٠هـ) (الحَدَث أو الحَدَثَان أو المصدر)[٥]، ويسمّى أيضًا عند النّحويّين أغلبهم بـ(المفعول المطلق)؛ "لصدق (المفعول) عليه غير مقيّدٍ بحرف جرّ ونحوه"[٦] .

وما يهمّنا في معرِض بحثنا هذا هو التّوكيد؛ إذ يكون المفعول المطلق مؤكّدًا لعامله، وهذا التّوكيد هو "المصدر الّذي هو مضمون الفعل بلا زيادة شيءٍ عليه، من وصفٍ، أو عددٍ، وهو في الحقيقة تأكيد لذلك المضمون"[٧] .

---

(١) حكم النّبيّ الأعظم: ٦/ ٣٢٦ ، وينظر: مسند أحمد بن حنبل: ٢/ ١٦٨.

(٢) ينظر: شرح المفصّل: ٩/ ٣٩-٤٠ ، وشرح ابن عقيل: ٣/ ١٤٠ ، والمهذّب في علم التّصريف: ١١٥ ، والصّرف العربيّ أحكامٌ ومعانٍ: ٦١.

(٣) حكم النّبيّ الأعظم: ٥/ ٤٨ ، وينظر: كنز العمّال: ٥/ ٣٩٧.

(٤) ينظر: المفصّل في صنعة الإعراب: ٥٥ ، وشرح المفصّل: ١/ ١١٠ ، وشرح التّصريح على التّوضيح: ١/ ٤٩٠.

(٥) ينظر: الكتاب: ١/ ٣٤-٣٥ ، و ١/ ٢٢٨ ، و ١/ ٣١١ .

(٦) شرح ابن عقيل: ٢/ ٧٦.

(٧) شرح الرّضيّ على الكافية: ١/ ٢٩٨.

وممّا ورد في حِكَم النّبيّ الأعظم من مصدر دلّ على التّوكيد، قوله (ﷺ): "قامَ أعرابِيٌّ إلى رسولِ اللهِ ﷺ فَقالَ: يا رَسولَ اللهِ، أكَلَتنَا الضَّبُعُ. قالَ: غَيرُ ذلِكَ أخوَفُ لي عَلَيكُم؛ الدُّنيا إذا صُبَّت عَلَيكُم صَبًّا، فَيا لَيتَ أُمّتي لا يَلبَسونَ الذَّهَبَ"(١). فالمصدر (صَبًّا) جاء توكيدًا لعامله الفعل (صُبَّت).

ثالثًا: ما يؤكّد كلتا الجملتين (الفعليّة والاسميّة)

١- (القصر)

القصر هو "تخصيص شيء بشيء وحصره فيه بطريق مخصوص"(٢). ويعدُّ القصر من جملة الأساليب الّتي يهدف بها المتكلّم لتثبيت وتوكيد غرضٍ ما في ذهن المتلقّي، كما ويعدّ من أبلغ وأقوى طرائق التّوكيد؛ لما يحمله من قوّة دلاليّة تثبّت وتؤكّد ما يريده المتكلّم(٣)، ويجري القصر على الجملتين الاسميّة والفعليّة، أمَّا في الجملة الاسميّة، فيُقصر المبتدأ على الخبر أو العكس. وأمَّا الجملة الفعليّة، فيكون القصر فيها بين الفعل والفاعل، وبين المفعول والفاعل وبين المفعولين. ويجري أيضًا على كلّ ذي طرفين، كالحال وصاحبه، والصّفة والموصوف بها(٤) .

ولأسلوب القصر طرفان، هما: المقصور: وهو الشّيء المخصّص، والمقصور عليه: وهو الشّيء المخصّص به(٥). وللقصر طرائقٌ كثيرةٌ، أشهرها: القصر بالنّفي والاستثناء، والاستثناء، والقصر بـ(إنَّما)، والقصر بالعطف بـ(لا، بل، لكن)، والقصر بتقديم ما حقّه التّأخير(٦) .

وسأقتصر في دراسة هذا الأسلوب بوصفه ممّا يؤكّد كلتا الجملتين على الطّريقين الأوّليين، وفيما يأتي أنماط كلّ من الجملتين في حِكَم النّبيّ الأعظم:

أمَّا الجملة الاسميّة المؤكّدة بالنّفي والاستثناء، فمن أنماطها:

---

(١) حكم النّبيّ الأعظم: ٧/ ١٦٣ ، وينظر: مسند أحمد بن حنبل: ٣٥/ ٤٣٣.

(٢) التّعريفات: ١٤٧.

(٣) ينظر: في النّحو العربيّ قواعد وتطبيق: ٢١٠.

(٤) ينظر: مفتاح العلوم: ٥٠٧ ، والإيضاح في علوم البلاغة: ١/ ٢١٣.

(٥) ينظر: التّعريفات: ١٤٧ ، جواهر البلاغة: ١٧٩.

(٦) ينظر: الإيضاح في علوم البلاغة: ١/ ٢١٥ ، وجواهر البلاغة: ١٨٠.

أ- النّفي بـ(ليس) والحصر بـ(إلّا):

ومن الشّواهد على هذا النّمط من البناء، قوله (ﷺ): "لَيسَ لِلحَجَّةِ المَبرورَةِ ثَوابٌ إلَّا الجَنَّةَ"(١). ففي الحديث الشّريف وردت أداة النّفي (ليس)، وأداة الاستثناء (إلّا)، وهذا الأسلوب هو أسلوب قصر أفاد التّوكيد. فقد أكّد الرّسول (ﷺ) عن طريق هذا التّركيب اللّغويّ أنَّ الجنّة هي جزاءٌ للحجّة المبرورة.

ب- النّفي بـ(ما) والحصر بـ(إلّا):

ومن نماذج هذا النّمط، قوله (ﷺ): "ما كانَ الفُحشُ في شيءٍ قَطُّ إلّا شانَهُ، ولا كانَ الحَياء في شيءٍ قَطُّ إلّا زانَهُ"(٢). فقد استعمل الرّسول (ﷺ) النّفي بـ(ما) والاستثناء بـ(إلّا)؛ لتأكيد بأنَّ وجود الفحش في الأعمال هو شينٌ وقبحٌ على تلك الأعمال، وأنَّ الحياء هو زينةٌ وحسنٌ لها.

وأمَّا الجملة الفعليّة المؤكّدة بالنّفي والاستثناء، فمن أنماطها:

أ- النّفي بـ(لا) والحصر بـ(إلّا):

ومن أبرز ما يمثّل هذا النّمط في حِكَمه (ﷺ)، قوله عليه الصّلاة والسّلام: "إنّ في الجَنَّةِ دارًا يُقالُ لَها: دارُ الفَرَحِ، لا يَدخُلُها إلّا مَن فَرَّحَ يَتامَى المُؤْمنينَ"(٣). ورد التّوكيد في الحديث الشّريف بـ(النّفي والاستثناء)، فقد قصر (ﷺ) الفعل (يدخل) على الفاعل وهو الاسم الموصول (من). أي قصر الدّخول لتلك الدّار على الشّخص الّذي يفرّح يتامى المؤمنين.

ب- النّفي بـ(لم) والحصر بـ(سوى):

ومن أمثلة هذا النّمط، الحديث الشّريف الآتي: "عن جَبرئيل (عليه السّلام) لَمّا سألَهُ النّبيُّ (ﷺ)عنِ التَّوكُّلِ علَى اللهِ: العِلمُ بأنّ المَخلوقَ لا يَضُرُّ ولا يَنفَعُ. ولا يُعطي ولا يَمنَعُ، واستِعمالُ اليَأْسِ مِن الخَلقِ، فإذا كانَ العَبْدُ كذلكَ لَم يَعمَلْ لأحَدٍ سِوَى اللهِ، وَلَم

(١) حكم النّبيّ الأعظم: ٦/ ٢٠٩ ، وينظر: عوالي اللّئالي: ١/ ٤٢٧.
(٢) حكم النّبيّ الأعظم: ٥/ ١٦ ، وينظر: بحار الأنوار: ٧٩/ ١١١.
(٣) حكم النّبيّ الأعظم: ٧/ ٦٢٨ ، وينظر: كنز العمّال: ٣/ ١٧٠.

يَـرْجُ وَلَـم يَخَـفْ سِـوَى اللهِ، ولَـم يَطمَـعْ فـي أَحَـدٍ سِـوَى اللهِ، فهـذا هُـو التَّوكُّـلُ"[١]. نلحـظ أنَّ القصـر الـوارد فـي الحـديث المبـارك كـان بـ(لم)، وأداة الاسـتثناء (سـوى)؛ إذ تكـرّر هـذا القصـر ثـلاث مـرّاتٍ فـي فضـاء الحـديث، أفـاد فـي كـلّ مـرّةٍ التّوكيـد بـأنَّ العمـل والتّوكـل لا يكون سوى لله وحده.

ج- النّفي بـ(ما) والحصر بـ(إلّا):

ومـن نمـاذج هـذا الـنّمط، قولـه (ﷺ): "مـا سَـبَّحَ الحـاجُّ مـن تَسـبيحَةٍ...إلّا بُشِّـرَ بِهـا تَبشـيرَةً"[٢]. ففـي الحـديث الشّـريف دخلـت (مـا) النّافيـة علـى الفعـل (سـبّح)، وجـاءت أداة الاسـتثناء (إلّا) فـي سـياقها، وهـذا التّركيـب مـن النّفـي والاسـتثناء أكّـد مضـمون الجملـة الفعليّـة، وبـيّن أنَّ البشـرى مـن الله تعـالى، هـي جـزاءٌ لكـلّ تسـبيحةٍ يسـبّحها الحـاجّ فـي الحجّ.

أمَّـا (إنَّمـا) الّتـي تسـتعمل فـي القصـر، فهـي لتوكيـد مضـمون الجملـة الدّاخلـة عليهـا، فمـن شـواهد قصـر الجملـة الاسـميّة بهـا، قولـه (ﷺ): "إنّمـا البَخيـلُ حَـقُّ البَخيـلِ الّـذي يَمنـعُ الزَّكـاةَ المَفروضـةَ فـي مالِـهِ. ويَمنـعُ البائِنَـةَ فـي قومِـهِ، وهُـو فيمـا سِـوى ذلـكَ يُبـذِّرُهُ"[٣]. ومـن شـواهد قصـر الجملـة الفعليّـة بـ(إنَّما)، قولـه (ﷺ): "إنَّمـا نَصَـرَ اللهُ هـذهِ الأُمَّـةَ بضُعفائها بِدعوَتِهِم وصَلاتِهِم وإخلاصِهم"[٤] .

٢- (القسم)

هـو أسـلوبٌ لغـويٌّ يـؤتى بـه لتوكيـد وتقويـة معنـى ومضـمون الجملـة، وإزالـة الشّـكّ والظّـنّ عنهـا، ويفيـد أيضًـا إثـارة شـعور المتلقّـي، وتحريـك مـا بداخلـه؛ لقبـول الكـلام، والتّفاعـل معـه[٥]. والفائـدة مـن القسـم هـي "توكيـدٌ لكلامـك"[٦]. وتأكيـدٌ للـ"الجملة الخبريّـة وتحقيقهـا عند السّامع"[٧] .

---

(١) حكم النّبيّ الأعظم: ٤/ ٥٢٠ ، وينظر: بحار الأنوار: ٧٧/ ٢٠.

(٢) حكم النّبيّ الأعظم: ٦/ ٢٠٩-٢١٠ ، وينظر: التّرغيب والتّرهيب: ٢/ ١٦٣.

(٣) حكم النّبيّ الأعظم: ٤/ ٦١٥ ، وينظر: بحار الأنوار: ٧٣/ ٣٠٦.

(٤) حكم النّبيّ الأعظم: ٥/ ١٦٠ ، وينظر: المحجّة البيضاء: ٨/ ١٢٥.

(٥) ينظر: شرح المفصّل: ٩/ ٩٠ ، والنّحو الوافي: ٢/ ٤٧٧ ، والتّراكيب اللّغويّة في العربيّة: ٢٣٧.

(٦) الكتاب: ٣/ ١٠٤.

(٧) الإتقان في علوم القرآن: ٢/ ٢٨٣.

وأسلوب القسم في العربيّة على ضربين: الأوّل (قسمٌ ظاهرٌ أو صريحٌ)، يكون بألفاظ القسم أو أحد حروفه. والثّاني (مضمرٌ غيرُ ظاهرٍ)، وتدلّ عليه اللّام الموطئة للقسم أو يدلُّ عليه معنى معين نحو: (عاهدت الله) و(شهد الله)[1] .

أمَّا أدوات القسم، فقد بيّنها سيبويه (١٨٠هـ) بقوله: "وللقسم والمقسم به أدواتٌ في حروف الجرّ، وأكثرها الواو، ثمَّ الباء، يدخلان على كلِّ محلوفٍ به. ثمَّ التّاء، ولا تدخل إلّا في واحدٍ، وذلك قولك: والله لأفعلنّ: وبالله لأفعلنّ، ﴿ وَتَاللَّهِ لَأَكِيدَنَّ أَصْنَامَكُمْ﴾"[2][3] .

ولعلّ من المفيد ذكره أنَّ أسلوب القسم لا يختصُّ بجملةٍ دون أخرى، فهو يدخل على الجملتين كلتيهما (الاسميّة والفعليّة). أمَّا ألفاظ القسم المستعملة لتوكيد الجمل في الحديث الشّريف، فهي كالآتي:

أ- القسم بلفظ الجلالة:

ومن نماذج هذا القسم، قوله (ﷺ)، بعد ما سأله الإمام عليّ (عليه السّلام) عن عدم المؤاخاة بينه وبين أحد، فقال له (ﷺ): "وَاللهِ يا عَلِيُّ. ما حَبَستُكَ إلَّا لِنَفسي، أما تَرضى أن تَكونَ أخي وأَنَا أخوكَ، وأنتَ أخي فِي الدُّنيا وَالآخِرَةِ..."[4].

فالمُقسم به في الحديث الشّريف وهو لفظ الجلالة، قد ورد مجرورًا بحرف القسم (الواو)، ويُعَدُّ الواو أكثر حروف القسم استعمالًا في العربيّة[5]. والقسم في الحديث المبارك هو لتوكيد مضمون الجملة الفعليّة (ما حَبَستُكَ إلَّا لِنَفسي). فاجتمع توكيدان القسم والقصر بالنّفي والاستثناء.

أمَّا ما ورد من توكيد للجملة الاسميّة بلفظ الجلالة، فمثاله في قوله (ﷺ): "وَاللهِ لَو أَنَّ المُتَواضِعَ في قَعر بِئرٍ لَبَعَثَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ إلَيهِ ريحاً تَرفَعُهُ فَوقَ الأَخيارِ في دَولَةِ

(١) ينظر: معاني النّحو: ٤/ ١٦٠-١٦١.

(٢) سورة الأنبياء، آية: ٥٧ .

[3] الكتاب: ٣/ ٤٩٦ ، وينظر: شرح الرّضيّ على الكافية: ٤/ ٣٠٠.

(٤) حكم النّبيّ الأعظم: ٦/ ٤٥٣ ، وينظر: بحار الأنوار: ٧٥/ ٤٤٤.

(٥) ينظر: الكتاب: ٣/ ٤٩٦-٤٩٧ ، والمقتضب: ٢/ ٣١٨-٣١٩.

الأَشرارِ"[1]. فالمُقسم به الوارد في الحديث الشّريف هو لفظ الجلالة، وهو مجرور بحرف القسم (الواو)، والقسم في الحديث الشّريف هو توكيدٌ لمضمون الجملة الاسميّة المنسوخة بحرف التّوكيد (أنَّ).

ب- القسم بـ(والّذي نفس محمّد بيده، والّذي نفسي بيده):

وهذه الصّورة اللّغويّة القسميّة هي ممّا تميز به الحديث الشّريف؛ إذ اتّسمت بالجدّة وارتبطت بالأسلوب اللّغويّ للرسول الكريم (ﷺ). وممّا يُستشهد به على هذه الصّورة قوله (ﷺ): "وَالَّذي نَفسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ. ما تَوادَّ اثنانِ فَفُرِّقَ بَينَهُما إلَّا بِذَنبٍ يُحدِثُهُ أحَدُهُما"[2]. استعمل الرّسول (ﷺ) حرف القسم الواو والمُقسم به (الَّذي نَفسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ)، فجاء القسم صريحًا؛ ليؤكّد الجملة الفعليّة (ما توادَّ اثنان).

ومثال القسم الآخر، قوله (ﷺ): "أفشُوا السَّلامَ بَينَكُم تَحابُّوا، وَالَّذي نَفسي بِيَدِهِ، لا تَدخُلُوا الجَنَّةَ حَتّى تَراحَموا"[3]. فقد أكّد القسم الظّاهر بـ(وَالَّذي نَفسي بِيَدِهِ) الجملةَ الفعليّة (لا تَدخُلُوا الجَنَّةَ حَتّى تَراحَموا).

ت- القسم بـ(ربّ الكعبة):

وهذا القسم لم يتكرّر في حِكَمِ النّبيّ الأعظم سوى مرّة واحدة، في حديثه (ﷺ) المروي عن أبي ذرٍ (رضي الله عنه)، قوله "اِنتَهَيتُ إلى رَسولِ اللهِ (ﷺ) وهُوَ يَقولُ في ظِلِّ الكَعبَةِ: هُمُ الأَخسَرونَ ورَبِّ الكَعبَةِ! هُمُ الأَخسَرونَ ورَبِّ الكَعبَةِ! قُلتُ: ما شَأني؟ أيُرى فِيَّ شَيءٌ، ما شَأني؟ فَجَلَستُ إلَيهِ وهُوَ يَقولُ، فَمَا استَطَعتُ أن أسكُتَ، وتَغَشّاني ما شاءَ الله، فَقُلتُ: مَن هُم - بِأَبي أنتَ وأُمّي!- يا رَسولَ اللهِ؟ قالَ: الأَكثَرونَ أموالاً"[4]. فقد أكد القسم الظّاهر المجرور بواو القسم (وربِّ الكعبة)، مضمون الجملة الاسميّة السّابقة عليه (هم الأخسرون).

---

(١) حكم النّبيّ الأعظم: ٧/ ٥٧٥ ، وينظر: مكارم الأخلاق: ٤٣٨.

(٢) حكم النّبيّ الأعظم: ٦/ ٤٢٣ ، وينظر: مسند أحمد بن حنبل: ٩/ ٢٥٩.

(٣) حكم النّبيّ الأعظم: ٦/ ٤٠٧ ، وينظر: المستدرك على الصّحيحين: ٤/ ١٨٥.

(٤) حكم النّبيّ الأعظم: ٧/ ١٧١ ، وينظر: صحيح البخاريّ: ٦/ ٢٤٤٧.

ث- القسم بـ (ايم الله):

ومن شواهد استعمال هذه النّمط من القسم في حِكَم النّبيّ الأعظم، الحديث الشّريف الآتي: "خَرَجَ عَلَينا رَسولُ اللهِ (ﷺ) ونَحنُ نَذكُرُ الفَقرَ ونَتَخَوَّفُهُ، فَقالَ: الفَقرَ تَخافونَ؟! وَالَّذي نَفسي بِيَدِهِ لَتُصَبَّنَّ عَلَيكُمُ الدُّنيا صَبّاً حَتّى لا يُزيغَ قَلبَ أَحَدِكُم إزاغَةً إلّا هِيَه! وَايمُ اللهِ، لَقَد تَرَكتُكُم عَلى مِثلِ البَيضاءِ، لَيلُها ونَهارُها سَواءٌ"[1]. نلحظ أنَّ القسم في الحديث المبارك ورد صريحًا بـ(ايم الله) وقد أكّد الجملة الفعليّة (تَرَكتُكُم). ولا يفوتنا أن ننبّه على التّوكيدات الواردة في الحديث الشّريف؛ إذ تضمّن الحديث الشّريف أكثر من توكيدٍ، منها ما هو ظاهرٌ ومنها ما هو مضمرٌ، فأمثلة الظّاهر (والّذي نفسي بيده)، و(نون التّوكيد) في (لَتُصَبَّنَّ)، والمصدر (صبًّا)، والقصر (بالنّفي والاستثناء). وأمَّا المضمر فمثاله اللّام في الفعل (لَتُصَبَّنَّ)، (وفي (لقد).

٣- (الحروف الزّائدة)

ليس معنى الحروف الزّائدة أنَّها لا أثرَ لها في الجملة، أو أنّها مجرّدة من أي معنى، وإنَّما الحروف الزّائدة تحمل دلالات متعدّدة، فهي تؤثّر في وجودها على مضمون الجملة. ففي قولنا: (ما محمّدٌ بكاذبٍ) أكثر توكيدًا وتأثيرًا في معنى الجملة العامّ من قولنا: (ما محمّدٌ كاذبًا)، فحرف (الباء) هو من أوجد هذه المفارقة الدّلاليّة بين الجملتين[2] .

ذكر الزّركشيّ (٧٩٤هـ) أنّ النّحويّين يرفضون إطلاق مصطلح الزّيادة في الدّراسات القرآنيّة، ويفضّلون استعمال مصطلح (التّوكيد) بدلًا من ذلك. وذكر أيضًا أنّ بعضهم يستعمل مصطلح (الصّلة) أو (المُقحم)[3] .

والحروف الزّائدة تدخل على الجملتين الفعليّة والاسميّة، وقد وردت جملة من الحروف الزّائدة في حِكَم النّبيّ الأعظم مؤكّدةً للجملتين، منها (الباء)، وتزاد (الباء) في سياق النّفي "لتوكيد النّفي وتقويته...وقد كثُر دخولها على مسند الجملة المنفيّة"[4]. ومن

(١) حكم النّبيّ الأعظم: ٧/ ١٦٣-١٦٤ ، وينظر: سنن ابن ماجه: ١/ ٤.

(٢) ينظر: النّحو الوافي: ٢/ ٤٥٠.

(٣) ينظر: البرهان في علوم القرآن: ٣/ ٧٠.

(٤) في النّحو العربيّ نقد وتوجيه: ٢٤١ ، وينظر: معاني الحروف للرّمانيّ: ٤٠ ، والنّحو الوافي: ١/ ٧٠.

أمثلة دخولها على جملة منفيّة، قوله (ﷺ): "ألا إنَّهُ قد دَبَّ إلَيكُم داءُ الأُمَمِ مِن قَبْلِكُم وهُو الحَسدُ. لَيس بحالِقِ الشَّعْرِ، لكنَّهُ حالِقُ الدِّينِ"(١). ففي الحديث الشّريف دخل حرف (الباء) على خبر ليس (حالِق)، وقد أفادت توكيد معنى النّفي؛ إذ إنَّ الثّابت في (الباء) تزاد للتّوكيد في خبر ليس، يقول سيبويه (١٨٠هـ): "وقد تكون باء الإضافة بمنزلتها في التّوكيد، وذلك قولك: ما زيد بمنطلقٍ، ولستُ بذاهبٍ، أراد أن يكون مؤكّداً حيث نفى الانطلاق والذّهاب"(٢). فضلاً عن (الباء) فالحديث الشّريف تضمّن توكيدين آخرين، هما التّوكيد بـ(إنَّ)، والتّوكيد بـ(قد).

ومن الحروف الزّائدة للتّوكيد في حِكَم النّبيّ الأعظم (مِنْ)، وقد اشترط نحويّو البصرة في زيادتها شرطين، الأوّل: أن يكون مجرورها نكرةً، والثّاني: أن تكون مسبوقةً بنفي أو شبهه كالنّفي أو الاستفهام. أمَّا نحويّو الكوفة، فيجوّزون دخولها على جملةٍ مثبتةٍ مع الاحتفاظ بشرط تنكير مجرورها(٣) .

ومن شواهد زيادتها في أحاديثه (ﷺ) الحديث الآتي: "سُئل رَسولُ اللهِ (ﷺ): أرَأَيتَ أدوِيَةً نَتَداوى بِها. ورُقىً نَسترَقي بِها، وتُقىً نَتَّقيها. هَل تَرُدُّ مِن قَدَرِ اللهِ شَيئاً؟ قالَ: هِيَ مِن قَدَرِ اللهِ"(٤). نلحظ أنَّ (من) الواردة في الحديث الشّريف زائدةٌ للتّوكيد، دخلت على المفعول به (قدر الله)، وقد سُبقت باستفهام تمثّله الأداة (هل).

وقد وردت (من) الزّائدة داخلة على اسم (ليس) في قوله (ﷺ): "تَحَفَّظوا مِنَ الأَرضِ فَإِنَّها أمُّكُم، وإِنَّهُ لَيس مِن أحَدٍ عامِلٍ عَلَيها خَيراً أو شَرّاً إلَّا وهِيَ مُخبِرَةٌ"(٥). فاسم (ليس) في الحديث الشّريف (أحد)، وقد ورد مؤكّدًا بـ(من) الزّائدة. ووردها في سياق النّفي من المواضع الّتي ذكرها النّحويّون للحُكم عليها بالزّيادة(٦) .

---

(١) حكم النّبيّ الأعظم: ٤/ ٦٣٦ ، وينظر: بحار الأنوار: ٧٠/ ٢٥٣.

(٢) الكتاب: ٤/ ٢٢٥.

(٣) ينظر: شرح المفصّل: ٨/ ١٢-١٣ ، ورصف المباني: ٣٢٤ ، ومغني اللّبيب: ١/ ٣٥٣-٣٥٤ ، وشرح ابن عقيل: ٣/ ٩.

(٤) حكم النّبيّ الأعظم: ٧/ ٢٢١ ، وينظر: سنن ابن ماجه: ٢/ ١١٣٧.

(٥) حكم النّبيّ الأعظم: ٣/ ٢٨٥ ، وينظر: المعجم الكبير للطّبرانيّ: ٥/ ٦٥.

(٦) ينظر: معاني الحروف للرّمانيّ: ٩٧.

ومن جملة الحروف الزّائدة الواردة في حِكَمِ النّبيّ الأعظم، حرف (الكاف)، فقد ذكر النّحويّون أنَّ من أنواع الكاف أنّ تكون زائدةً للتّوكيد؛ إذ يمكن حذفها والاستغناء عنها دون الإخلال بمعنى الجملة[١]. ومثالها في حِكَم النّبيّ الأعظم ما ورد في دعائه (ﷺ) في شهر رمضان المبارك: "يا مَن كانَ ويَكونُ ولَيسَ كَمِثلِهِ شَيءٌ، يا مَن لا يَموتُ ولا يَبقى إلّا وَجهُهُ الجَبّارُ، يا مَن يُسَبِّحُ الرَّعدُ بِحَمدِهِ وَالمَلائِكَةُ مِن خيفَتِهِ..."[٢].

فـ(الكاف) الزّائدة في الحديث الشّريف دخلت على خبر (ليس)، فأكّدة مضمون الجملة المنفيّة الدّاخلة عليها. يقول الرّمانيّ (٣٨٤هـ) معلّقًا على موضع زيادتها: "والمعنى ليس مثله شيء. ولا يجوز أن تكون غير زائدةٍ؛ لأنّه يصير كفرًا، وذلك أنَّه يكون إثبات مثل، ونفي التّشبيه عن ذلك المثل، ويصير كأنّه قال: ليس مثل مثله شيء"[٣] .

وممّا جاء من الحروف الزّائدة في حِكَمه (ﷺ)، حرف النّفي (لا)؛ إذ يُزاد بعد النّفي أو النّهي. ومثال ما ورد منها في الحديث النّبويّ، قوله (ﷺ): "صِفَتي: أحمَدُ المُتَوَكِّلُ. لَيسَ بِفَظٍّ ولا غَلِيظٍ. يَجزي بِالحَسَنةِ الحَسَنَةَ، ولا يُكافِئُ السَّيئةَ..."[٤]. ففي الحديث الشّريف وردت (لا) زائدة لتوكيد النّفي الوارد بـ(ليس). وأسهمت (الواو) الّتي سبقت (لا)، إسهامًا جوهريًّا؛ إذ أدّت معنى دلاليّ مميز، فهي أشركت الاسمين (فظّ وغليظ) بمعنى النّفي. وأمَّا (لا)، فقد أضفت قوّةً وتوكيدًا للمعنى النّفي[٥] .

وأخر الحروف الزّائدة الّتي سنتناولها، الحرف (إن)؛ إذ يكون زائدًا للتّوكيد بعد (ما)[٦]، ومثال (إن) الزّائدة في حِكَم النّبيّ الأعظم، قوله (ﷺ): "إنّي تارِكٌ فيكُمُ

(١) ينظر: رصف المباني: ٢٠١ ، ومغني اللّبيب عن كتب الأعاريب: ١/ ٢٠٣.
(٢) حكم النّبيّ الأعظم: ٦/ ١٠٥ ، وينظر: بحار الأنوار: ٩٨/ ٢٦.
(٣) معاني الحروف للرمانيّ: ٤٨.
(٤) حكم النّبيّ الأعظم: ٣/ ٢٢٠ ، وينظر: المعجم الكبير للطبرانيّ: ١٠/ ٨٩.
(٥) ينظر: رصف المباني: ٢٧٣.
(٦) ينظر: رصف المباني: ١٠٩ ، ومغني اللّبيب عن كتب الأعاريب: ١/ ٣٢ ، وفي زيادة (إن) بعد (ما) خلاف، فالكوفيّون قالوا: إنّها بمعنى (ما)، وجاءت (إن) لتأكيد النّفي. ويقول البصريّون: إنّها زائدةٌ للتّوكيد. ينظر: الإنصاف في مسائل الخلاف: ٢/ ٥٢٢ مسألة رقم٨٩. وقد وصف المراديّ (٧٤٩هـ) رأي الكوفيّين بـ(الفاسد) ينظر: الجنى الدّاني: ٢١٠.

الثَّقَلَينِ، ما إن تَمَسّكتُم بِهِما لَن تَضِلُّوا، كِتابَ اللهِ، وعِترَتي أهلَ بَيتي، فَإِنَّهُما لَن يَفتَرقا حَتّى يَرِدا عَلَيَّ الحَوضَ"[1]. فـ(إن) في الحديث الشّريف زائدةٌ، أفادت توكيد الجملة الفعليّة الواقعة بعدها.

وبعد تناولنا لأسلوب التّوكيد في حِكَم النّبيّ الأعظم، نستشفُ بأنَّه أسلوبٌ واضحٌ وجليٌّ، استعمله الرّسول (ﷺ) لتوجيه كلامه إلى أمّةٍ يغلب عليها الجهل بأمور الدّين الجديد. وأنَّ استعمال هذا الأسلوب يجسّد لنا حرص النّبيّ (ﷺ) على تبليغ رسالته، وأدائها بأدّق صورة؛ لأنّ أسلوب التّوكيد يضفي طابعًا مميزاً للكلام، يتمثّل بإبعاد الكلام عن دائرة الشّكّ، وتقرّبه من دائرة اليقين والثّقة الثّابتة.

وقد تنوّعت صورة التّوكيد الّتي استعملها الرّسول (ﷺ) وكثرت شواهدها في حِكَمه (ﷺ)، وسجّلت حضورًا بارزًا؛ إذ كان بعضها ممّا استعملته العرب، وبعضها الآخر كان يتميز بالجدّة وارتبط باللّغة النّبويّة، فلم يستعمله أحدٌ من قبله (ﷺ) ولا بعده.

(١) حكم النّبيّ الأعظم: ٣/ ١٢ ، وينظر: بحار الأنوار: ٣٧/ ١٢٨.

المبحث الخامِس

بنـاءُ جملـةِ الشّـرطِ

مـن المعلـوم أنّ الجملـة العربيّـة علـى ضـربين: اسـميّة وفعليّـة، وتصـنيفها علـى هـذين الضّـربين هـو الأشـهر عنـد جمهـور النّحـويّين، وهـو تصـنيفٌ قـائمٌ علـى معيـارين مهمّـين، الأوّل: العنصر النّحويّ المتصدّر الجملة، والثّاني التّركيب الإسناديّ فيها[١] .

وذهـب بعضُـهم إلـى تصـنيفٍ أكثـر مـن ذلـك؛ إذ صُـنفت الجملـة إلـى ثلاثـة أو أربعـة أضـربٍ. ومـن هـؤلاء النّحـويّين الزّمخشـريّ (٥٣٨هـ)، فقـد ذكـر أنّ الجملـة فـي العربيّـة علـى أربعـة أضـربٍ: (اسـميّة، وفعليّـة، وظرفيّـة، وشـرطيّة)[٢]. وذكـر ابـن هشـام (٧٦١هـ) أنّها ثلاثة أضرب: اسميّة، وفعليّة، وظرفيّة[٣] .

ومـا يهمّنـا فـي معـرِض بحثنـا هـذا هـو جملـة الشّـرط، الّتـي عـدّها ابـن يعـيش (٦٤٣هـ) وابـن هشـام (٧٦١هـ) جملـةً فعليّـةً، كونهـا مركّبـة مـن جملتـين فعليّتـين، الأوّلـى جملـة الشّرط، والثّانية جملة جزاء الشّرط[٤] .

إنَّ المتتبّـع لأسـلوب الشّـرط فـي كتـب النّحـويّين الأوائـل يلحـظ أنّهـم لـم يتنـاولوا هـذا الأسـلوب فـي بـابٍ مسـتقلٍّ؛ كونـه يمثّـل نمطًـا خاصًّـا مـن الجمـل؛ بـل كـان تنـاولهم لـه ضـمن أبـواب جـزم الفعـل المضـارع، فقـد درسـوا أدوات الشّـرط الجازمـة وفقًـا لنظريّـة العامـل، فدرسـوا معهـا طائفـة مـن الأدوات والجمـل الّتـي لا علاقـةَ لهـا بـالجوازم، ولا تـرتبط بهـا دلاليًّـا، فكانـت نظـرتهم معياريّـة شـموليّة لهـذا الأسـلوب، فـإن واجههـم مـا هـو مخـالف لنظرتهم المعياريّة، سلكوا طرق التّأويل والتّقدير[٥] .

---

(١) ينظر: النّحو الوافي: ١/ ١٦ ، والجملة العربيّة مكوناتها، أنواعها، تحليلها : ١٣٣.

(٢) ينظر: المفصّل في صنعة الإعراب: ٤٤.

(٣) ينظر: مغني اللّبيب عن كتب الأعاريب: ٢/ ٤٣٣.

(٤) ينظر: شرح المفصّل: ١/ ٨٨ ، ومغني اللّبيب عن كتب الأعاريب: ٢/ ٤٣٣.

(٥) ينظر: علم اللّغة بين التّراث والمناهج الحديثة: ٦٩-٧٠ ، والجملة الشّرطيّة مبناها ومعناها قراءة في التّراث النّحويّ، محمّد أبو العزّ عبده (بحث منشور): ١٢٩-١٣٠.

ومعنى الشّرط "هو وقوع الشّيء لوقوع غيره"[١]، أو هو "تعليق شيء بشيء بحيث إذا وجد الأوّل وجد الثّاني"[٢]. وجملة الشّرط هي "الجُملة المُركَّبة تركيبًا شرطيًّا، أي: المُكوَّنة من أداة شرط أيًّا كانت ومن جملتَي الشّرط والجواب"[٣]، ومن هذا يتّضح لنا أنّ الجملة الشّرطيّة تتكون من ثلاثة أركان، الأوّل أداة الشّرط، والثّاني جملة فعل الشّرط، والثّالث جملة جزاء الشّرط[٤]، "وقد يحذف بعض هذه الأركان من جملها حذفاً لفظيًّا؛ ولكنها تظلّ مقدرة في سياقها وموقعها لأنَّها أسس البناء الّذي لا يتمّ إلّا بها"[٥] .

أمَّا أدوات الشّرط، فهي "كلمٌ وضعت لتعليق جملة بجملة"[٦]. وتقسّم من حيث أصلها أصلها ونوعها إلى "حُرُوف وَهِيَ (إِنْ) وَأَسمَاء مُضَمَّنَة مَعْنَاهَا ثُمَّ مِنهَا مَا لَيسَ بظرف كـ(من) وَ(مَا) وَ(أَيٌّ) وَ(مَهْمَا) وَأَسْمَاء هِيَ ظُرُوفٌ (أَينَ) و(أينما) و(متى) و(حيثما) و(إذما)"[٧] .

أمَّا من حيث عملها، فتُقسم على جازمة وغير جازمة، فالجازمة هي (إنْ، إذما، أيّ، أنّى، حيثما، متى، أيّان، مهما، من، أين، ما)[٨]، وغير الجازمة هي "تلك الأدوات الّتي الّتي تقوم بالرّبط بين شيئين أحدها يترتب على الآخر فهذه الأدوات تستدعى إذن جملة شرطيّة كاملة...لكن هذه الأدوات لا تجزم الأفعال لا في الشّرط ولا في الجواب...وهي (لو- لولا- إذا- كلّما- لمّا: الحينيّة)"[٩] .

إنَّ هذه الأدوات تقوم بعمل أساسيّ وجوهريّ في ربط جملتي الشّرط والجزاء، مكوّنةً بذلك أسلوبًا ومعنىً جديدين، لم يكونا موجودين؛ إذ إنّ "الشّيئين إذا خُلطا حدث لهما حكم ومعنى لم يكن لهما قبل أن يمتزجا"[١٠] .

---

(١) المقتضب: ٢/ ٤٥.

(٢) التعريفات: ١٠٨.

(٣) بناء الجملة العربيّة في ديوان النّابغة الذّبيانيّ (رسالة ماجستير): ٢٠٦.

(٤) ينظر: في النّحو العربيّ نقد وتوجيه: ٢٨٤.

(٥) معجم المصطلحات النّحويّة والصّرفيّة، محمّد سمير نجيب البديّ: ٩٦.

(٦) ارتشاف الضّرب: ٤/ ١٨٦٢.

(٧) البرهان في علوم القرآن: ٢/ ٣٥٩ ، وينظر: شرح ابن عقيل: ٤/ ١٤.

(٨) ينظر: شرح التّسهيل : ٣/ ٣٨٦ ، والنّحو الوافي: ٤/ ٤٢١.

(٩) النّحو المصفّى، محمّد عيد : ٣٩٠-٣٩١.

(١٠) سرّ صناعة الإعراب: ١/ ٣٠٦ ، وينظر: معاني الحروف للرّمانيّ: ١٦٨.

كما تعمل هذه الأدوات بجعل جملة الشّرط بطرفيها (الجزاء والشّرط) جملة واحدة، لها كيانها المستقلّ الّذي لا يقبل الانشطار؛ لأنّ جزئيها كليهما يعبّران عن مضمونٍ واحدٍ، وأفكار لا يمكن تجزئتها[١]. فطرفي الشّرط (الشّرط والجزاء) -إن صحّ لنا التّشبيه- كطرفي الإسناد في الجملة الاسميّة والفعليّة، فوجود الشّرط يقتضي وجود الجواب، فـ(الشّرط والجزاء) عمدتا الكلام في جملتهم ذات الكيان المستقلّ، والاقتصار على أحدهما يعني عدم وجود فائدة من تلك الجملة. وجملتي الشّرط والجزاء قد تكونان "جملتين فعليّتين، أو جملتين، أحدهما فعليّة، والأخرى اسميّة"[٢] .

ولمّا كانت جملة الشّرط جملةً واحدةً متكوّنةً من جملتين أساسيّتين (فعل الشّرط) و(جزاء الشّرط)، فقد تنوّعت أنماط هاتين الجملتين بتنوّعهما، وممّا ورد من هذه الأنماط في حِكَم النّبيّ الأعظم ما يلي:

١- الأداة تليها جملتان فعليّتان ماضويّتان:

اشترط جمهور النّحويّين في أفعال الشّرط الّتي تقع من الفعل الماضي أن تدلَّ على معنى الاستقبال؛ لأنّ دلالة الشّرط على الاستقبال هي الأصل[٣]. يقول في ذلك المبرّد المبرّد (٢٨٥هـ): "يجوز أن تقع الأفعال الماضيّة في الجزاء على معنى المستقبلة؛ لأنَّ الشّرط لا يقع إلَّا على فعلٍ لم يقع. فتكون مواضعُها مجزومة، وإن لم يتبيّن فيها الإعراب"[٤] .

وممّا ورد على هذا النّمط في حِكَمه (ﷺ)، قوله (عليه الصّلاة السّلام): "الذَّنبُ شُؤمٌ على غيرِ فاعِلِهِ، إن عَيَّرَهُ ابتُلِيَ، وإنِ اغتابَهُ أثِمَ، وإن رَضِيَ بهِ شارَكَهُ"[٥] .

نلحظ في الحديث الشّريف أنَّ أداة الشّرط (إن) وهي "أمّ أدوات الشّرط"[٦] قد تصدرت الجمل الشّرطيّة الواردة ثلاث مراتٍ في فضاء الحديث الشّريف، وفعل الشّرط

---

(١) ينظر: دلائل الإعجاز: ٢٨٦ ، وفي النّحو العربيّ نقد وتوجيه: ٢٨٦.

(٢) المقرّب: ١/ ٢٧٤ ، وينظر: شرح ابن عقيل: ٤/ ١٧-١٩.

(٣) ينظر: الأصول في النّحو: ٢/ ١٥٨ ، والمقرّب: ١/ ٢٧٤ ، ورصف المباني: ١٠٤.

(٤) المقتضب: ٢/ ٤٩.

(٥) حكم النّبيّ الأعظم: ٤/ ٥٧١ ، وينظر: كنز العمّال: ٣/ ٧٠.

(٦) الجنى الدّاني في حروف المعاني: ٢٠٨ ، وينظر: معاني الحروف للرّمانيّ: ٧٤ ، والتّراكيب اللّغويّة في العربيّة: ٢٢٣.

فـي المواضـع الثّلاثـة ورد ماضـيًّا (عَيَّرَهُ، اغتابَـهُ، رَضِـيَ)، وأمَّـا جـواب الشّـرط (ابتُلِـيَ، أثِـمَ، شارَكَهُ) ورد ماضيًّا أيضًا، وهذه الأفعال مبنيةٌ في محل جزم.

ومـن أمثلـة الشّـرط الّـذي ورد بجملتـين ماضـويَّتين، قولـه (ﷺ): "مَثَـلُ النّـاظِرِ فِـي القَـدَرِ كَالنّـاظِرِ فـي عَـينِ الشَّـمسِ، كُلَّمَـا اشـتَدَّ نَظَـرُهُ فيهـا ذَهَـبَ بَصَـرُهُ"[١]. فـأداة الشّـرط فـي الحـديث الشّـريف (كلّمـا) المكوّنـة "مـن (كـلّ) المعربـة بالنّصـب علـى الظّرفيّـة و(مـا) المصـدريّة المبنيّـة"[٢]، وهـي أداةُ شـرطٍ غيـرُ جازمـةٍ. دخلـت علـى الفعـل الماضـي (اشـتَدَّ)، وجوابه (ذَهَبَ)، وكلاهما في محل جزم.

وقـد تعـرّض النّقـاد اللّغويّـون لمسـألة تكـرار (كلّمـا) فـي أمـاليّ بعـض الكُتَّـاب، فـذهبوا إلـى منـع تكرارهـا؛ "لأنَّ تكـرار (كلّمـا) أسـلوبٌ خـارجٌ علـى الـنّمط العربـيّ"[٣]. ومـذهبهم القائـل بـالمنع جـاء موافقًـا لمـا ورد فـي الحـديث الشّـريف، فـ(كلّما) لـم تتكـرّر فـي الحـديث النّبويّ، وهذا يدلّ على أنّ عدم تكرارها أسلوبٌ فصيحٌ لا غبارَ عليه.

٢- الأداة تليها جملة فعليّة مضارعيّة ثمّ جملة فعليّة ماضويّة:

ذكـر جمهـور النّحـويّين أنّ مجـيء فعـل الشّـرط فعـلًا مضـارعًا، وجـزاؤه فعـلًا ماضـيًا قليـلٌ[٤]. وحصـر بعضـهم هـذا الـنّمط مـن الجملـة الشّـرطيّة بالشّـعر، وهـو عنـدهم مـن ضـروب الضّـرائر الشّـعريّة، ونسـب السّـيوطيّ (٩١١هـ) الـرّأي القائـل بـ(الضّرورة) لسـيبويه (١٨٠هـ) وجمهور النّحويّين[٥] .

فالمـذهب القائـل بحصـره بالضّـرورة الشّـعريّة غيـر صـحيحٍ، ويفنّـده حـديث رسـول الله (ﷺ): "مَـن يَقُـم لَيلَـةَ القَـدرِ إيمانًـا وَاحتِسـابًا غُفِـرَ لَـهُ مـا تَقَـدَّمَ مِـن ذَنبِـهِ"[٦]. نلحـظ فـي الحـديث المبـارك أنَّ أداة الشّـرط (مـن) قـد دخلـت علـى فعـل الشّـرط (يَقُـم) وهـو فعـلٌ مضـارعٌ، أمَّـا جـزاء الشّـرط، فـورد فعـلًا ماضـيًا (غُفِـرَ) مبنيًّـا فـي محـل جـزم. وهـذا يـدلُّ علـى

---

(١) حكم النّبيّ الأعظم: ٢/ ٩٤.

(٢) التّراكيب اللّغويّة في العربيّة: ١٩٩.

(٣) معجم الصّواب اللّغويّ، أحمد مختار عمر: ١/ ٦٢٣ ، وينظر: اللّغة والحضارة، إبراهيم السّامرائي: ١١٨ ، وتذكرة الكاتب، أسعد داغر: ١٠٢.

(٤) ينظر: المقرّب: ١/ ٢٧٥ ، وأوضح المسالك إلى ألفيّة ابن مالك: ٤/ ٣٢٢ ، وشرح ابن عقيل: ٤/ ١٧.

(٥) ينظر: همع الهوامع: ٤/ ٣٢٢.

(٦) حكم النّبيّ الأعظم: ٦/ ١٨٩ ، وينظر: صحيح البخاريّ: ١/ ٢٢.

أنّ هذا النّمط الشّرطيّ أسلوبٌ فصيحٌ في العربيّة، ولعلّ ما ذهب إليه النّحويّون من أنّه محصورٌ في الشّعر يعود لاستقرائهم النّاقص للنّصوص اللّغة، ولموقفهم من الاستشهاد بالحديث الشّريف.

٣- الأداة تليها جملة فعليّة ماضويّة ثمّ جملة طلبيّة مقترنة بالفاء:

ذكر النّحويّون أنّ جواب الشّرط إذا كان جملةً طلبيّةً يجب أن يقترن بالفاء؛ لتحقيق الاقتران بين فعل الشّرط وجزاء الشّرط[١]. وقد بيّن الاستراباذيّ (٦٨٦هـ) العلّة في اختيار الفاء، من دون غيرها؛ إذ يقول: " لمناسبته للجزاء معنىً؛ لأنَّ معناه: التّعقيب بلا فصلٍ، والجزاء متعقّب للشرط كذلك، هذا إلى خفتها لفظاً"[٢] .

ومن نماذج هذا النّمط، قوله (ﷺ): "إنَّ مَجوسَ هذِهِ الأُمَّةِ المُكَذِّبونَ بِأَقدارِ اللهِ تَعالى. إن مَرِضوا فَلا تَعودوهُم، وإن ماتوا فَلا تَشهَدوهُم، وإن لَقيتُموهُم فَلا تُسَلِّموا عَلَيهِم"[٣]. ففي الحديث الشّريف تصدّرت (إن) الجمل الشّرطيّة في ثلاثةِ مواضعَ، وفعل الشّرط في هذّه المواضع (مَرِضوا، ماتوا، لَقيتُموهُم). وجواب الشّرط الجملة الطّلبيّة (فَلا تَعودوهُم، فَلا تَشهَدوهُم، فَلا تُسَلِّموا) وقد اقترن الجواب بالفاء، وبهذا الاقتران حقّقت الفاء دلالة الرّبط بين فعل الشّرط وجزاء الشّرط.

٤- الأداة تليها جملة فعليّة مضارعيّة ثمّ جملة اسميّة مقترنة بالفاء:

قيّد النّحويّون مواضع يجب أن يقترن جزاء الشّرط فيها بالفاء، ومن هذه المواضع أن يكون الجزاء جملة اسميّة[٤]. ومن صور هذا النّمط، قوله ( )ﷺ: "مَن لَم يُؤمِن بِالقَدَرِ بِالقَدَرِ خَيرِهِ وشَرِّهِ فَأَنا مِنهُ بَرِيٌ"[٥]. نلحظ في الحديث الشّريف أن أداة الشّرط (من) تصدّرت الشّرط، وفعل الشّرط فعل مضارع (يُؤمِن)، ورد منفيًّا بـ(لم). وجزاء الشّرط الجملة الاسميّة المقترنة بالفاء (فَأَنا مِنهُ بَرِيءٌ)، وهي في محل جزم جزاء الشّرط.

---

(١) ينظر: شرح شذور الذّهب: ١٨١-١٨٢ ، وشرح ابن عقيل: ٤/ ١٩.

(٢) شرح الرّضيّ على الكافية: ٤/ ١١٠.

(٣) حكم النّبيّ الأعظم: ٢/ ٨١ ، وينظر: سنن ابن ماجه: ١/ ٣٥.

(٤) ينظر: شرح الرّضيّ على الكافية: ٤/ ١٠٩-١١٠ ، وشرح ابن عقيل: ٤/ ١٩.

(٥) حكم النّبيّ الأعظم: ٢/ ٨١ ، وينظر: مسند أبي يعلى: ١١/ ٢٨٩.

٥- الأداة تليها جملة اسميّة ثمّ جملة فعليّة ماضويّة:

ومن الشّواهد على هذا النّمط من البناء، قوله (ﷺ): "اللَّهُمَّ بارِك لَنا فِي الخُبز. ولا تُفَرِّق بَينَنا وبَينَهُ؛ فَلَولَا الخُبزُ ما صَلَّينا ولا صُمنا، ولا أدَّينا فَرائِضَ رَبِّنا"[١]. نلحظ في الحديث الشّريف تصدّرت (لولا) جملة الشّرط (لولا الخبزُ) وهي جملة اسميّة، أمَّا جزاء الشّرط، فورد فعلًا ماضيًا منفيًّا بـ(ما).

إنَّ الاسم المرفوع الواقع بعد (لولا) مختلفٌ فيه، فمذهب البصريّين أنّه مرفوعٌ بالابتداء، وخبره محذوف تقديره (موجود)، ومذهب الكوفيّين فيه أنَّه مرفوعٌ بها، وهي في الأصل نائبةٌ عن فعلٍ حُذف للتّخفيف، وتقديره (لو لم يمنعني...)، ولو ظهر الفعل لرفع هذا الاسم[٢] .

وبعد تناول أسلوب الشّرط وأنماطه الواردة في حِكَم النّبيّ الأعظم، يتّضح لنا أنَّ استعمال الرّسول (ﷺ) لأسلوب الشّرط كان ملائمًا لأهداف الحديث الشّريف الدّينيّة. فالرّسول (ﷺ) لم يكن يوجّه الفرد المسلم توجيهًا مباشراً لتجنّب أمرٍ ما، أو للإقبال على أخر، وإنَّما يوضّح حقيقة الأمور أو حكمها العامّ بصورةٍ شرطيّةٍ؛ لأنَّ كلّ عمل يقوم به المسلم يرتبط بجراء. فاستعمال الشّرط والاتكاء عليه يتيح للفرد مساحة من التّفكير، ويمنحه حرية الاختيار. ولأنَّ أسلوب الشّرط يربط السّبب بالنّتيجة، استعمله الرّسول (ﷺ) حتّى يبيّن أن كلّ فرد يعلم بنتيجة عمله، فلا حجّةَ أمامه بعد ذلك.

(١) حكم النّبيّ الأعظم: ٦/ ٦٠٥ ، وينظر: الكافي: ٥/ ٧٣.

(٢) ينظر: الإنصاف في مسائل الخلاف: ١/ ٦٠ مسألة رقم: ١٠.

المبحث السادِس

التّقديم والتّأخير والحذف في تراكيب الجملة الخبريّة

أوّلًا: التّقديم والتّأخير

يُعَدُّ التّقديم والتّأخير أسلوبًا من أساليب العربيّة، يطرأ على التّرتيب المعتاد للجملة العربيّة، محدثًا تغييرًا في ترتيبها الأساسيّ؛ إذ يقدّم ما حقّه التّأخير، ويؤخّر ما حقه التّقديم، دون أن يغيّر الوظيفة النّحويّة للمتقدّم أو المتأخّر، فهو يعتمد على العلامة الإعرابيّة، الّتي تُعَدُّ السّراج الّذي تُكتشف به الرّتبة الأصليّة للكلمات داخل كلّ تركيب(١) .

إنَّ التّقديم والتّأخير في تراكيب الجملة قد يكون اعتباطيًا في كلام المتحدّث، فيأتي به المتكلّم دون أن يشعر بذلك. وقد يكون عن قصدٍ يسعى إليه المتكلّم سعيًا. وفي الحالتين كلتيهما يحقّق إبرازًا للمعنى في الجزء المتقدّم أو المتأخّر في تلك الجملة. ويحقّق أيضًا أغراضًا ونكتًا بلاغيّة لم تكن موجودةً في الجملة قبل تغيير ترتيبها الأساسيّ. فالمتكلّم إذا "أراد أن يخصّ شيئًا باهتمام السّامع أو القارئ، قدّمه، وفاجأه به، وليقع ذلك في نفس سامعه أو قارئه موقعًا ثابتًا"(٢) .

وهذا الأسلوب من الموضوعات الّتي يهتمّ بها (علم المعاني)؛ إذ إنّ للبلاغين باعًا طويلًا في هذا الباب، فقد ذكروا خصائصه، ومميزاته، والأغراض الّتي يؤتى بها. بيد أننا نجد إمام النّحويّين قد تحدّث في هذا الأسلوب، مشيرًا إلى أصالته وكثرته في الاستعمال العربيّ، يقول في ذلك: "فإن قدّمتَ المفعولَ وأخَّرتَ الفاعل جرى اللّفظُ كما جرى في الأوّل، وذلك قولك: ضَرَبَ زيداً عبدُ الله؛ لأنّك إنَّما أردت به مُؤخّرا ما أردت به مقدَّمًا، ولم تُرد أن تَشغلَ الفعل بأوَّلَ منه وإنْ كان مؤخّراً في اللّفظ. فَمن ثَمَّ كان حدّ اللّفظ أن يكون فيه مقدَّما، وهو عربيٌّ جيِّدٌ كثيرٌ، كأنّهم إنَّما يقدّمون الّذي بيانه أهمّ لهم وهم ببيانه أغنى، وإن كانا جميعاً يُهِمّانِهم ويَعْنِيانهم"(٣) .

---

(١) ينظر: التّطوّر النّحويّ للّغة العربيّة: ١٣٤ ، وينظر: في النّحو العربيّ نقد وتوجيه: ٧٢-٧٣.

(٢) التّراكيب اللّغويّة في العربيّة: ١٢٩.

(٣) الكتاب: ١/ ٣٤.

أمّا البلاغيون، فكانوا أكثر اهتمامًا بهذا الأسلوب، كما أوضحنا قبل قليلٍ، فقد تحدّث عنه عبد القاهر الجرجانيّ (٤٧١هـ) في كتابه المسّمى بـ(دلائل الإعجاز)، وأسهب في عرض دلالاته والنّكات البلاغيّة الّتي يتضمّنها، يقول في وصف هذا الباب: "بابٌ كثيرُ الفوائد، جَمُّ المَحاسن، واسعُ التّصرُّف، بعيدُ الغاية، لا يَزالُ يَفْتَرُّ لك عن بديعةٍ، ويُفْضي بكَ إلى لَطيفةٍ، ولا تَزال تَرى شِعراً يروقُك مسْمَعُه، ويَلْطُف لديك موقعُه، ثم تنظرُ فتجدُ سببَ أَنْ راقكَ ولطفَ عندك، أن قُدِّم فيه شيءٌ، وحُوِّل اللّفظُ عن مكانٍ إلى مكان"[١].

والتّقديم والتّأخير في العربيّة يكون في تراكيب الجملتين الاسميّة والفعليّة. وفيما يلي أنماط التّقديم والتأخير في الجملتين كلتيهما:

١- التّقديم والتّأخير في الجملة الاسميّة:

قد مرّ بنا سابقًا أنّ الجملة الاسميّة تتكون من ركنين أساسيين هما المسند إليه وهو (المبتدأ)، والمسند وهو (الخبر). والتّرتيب الطّبعيّ للجملة الاسميّة أنَّ يتقدّم فيها المسند إليه (المبتدأ) على المسند (الخبر). بيد أنَّ هنالك مواضع في العربيّة يتقدّم فيها الخبر على المبتدأ وجوبًا أو جوازًا، ولكلّ موضع من هذه المواضع مسوّغ ذكره النّحويّون في طيات كتبهم، وقد ورد في حِكَم النّبيّ الأعظم، عددٌ من الشّواهد الّتي تضمّنت تقديم الخبر على المبتدأ؛ إذ جاء التّقديم فيها وفق الأنماط الآتية:

أ- الخبر شبه جملة مُقدّم والمبتدأ نكرة غير مخصّصة:

ومن أمثلة هذا النّمط، قوله (ﷺ): "لِكُلِّ شَيءٍ مَعدِنٌ، ومَعدِنُ التَّقوى قُلوبُ العارِفينَ"[٢]. نلحظ في الحديث المبارك قدّم الرّسول (ﷺ) الخبر شبه الجملة (لكلِّ) على المبتدأ (معدن)، وهذا التّقديم واجبٌ؛ لئلا يتوهّم السّامع عند تأخير الخبر (الجملة أو شبه الجملة) بأنَّه صفةٌ لا خبر للمبتدأ النّكرة غير المخصّصة[٣] .

(١) دلائل الإعجاز: ١٠٦.

(٢) حكم النّبيّ الأعظم: ١/ ٥٠٩ ، وينظر: المعجم الكبير، للطّبرانيّ: ١٢/ ٢٣٤.

(٣) ينظر: شرح قطر النّدى: ١٢٤ ، و النّحو الوافي: ١/ ٥٠١.

ب- الخبر شبه جملة مقدّم والمبتدأ نكرة مخصّصة:

ومن نماذج هذا النّمط، قوله (ﷺ): "لِلمُؤمِنِ في كُلِّ يَومٍ دَعوَةٌ مُستَجابَةٌ"(١). نلحظ في الحديث الشّريف تقدّم الخبر وهو شبه الجملة من الجارّ والمجرور (للمؤمن)، على المبتدأ (دعوة) وهو نكرةٌ مخصّصةٌ بالوصف (مُستَجابَة)، ووصف النّكرة بهذا الوصف أخرجها من دائرة الشّيوع إلى دائرة التّخصيص. والتّقديم في الحديث الشّريف جائزٌ غير واجب(٢) .

ت- الخبر شبه جملة مقدّم جوازًا والمبتدأ معرفة:

وممّا ورد على هذا النّمط في حِكَمه (ﷺ)، قوله (عليه الصّلاة السّلام): "مِن سَعادَةِ المَرءِ المُسلمِ المَسكَنُ الواسِعُ"(٣). فالرّسول (ﷺ) قدّم الخبر شبه الجملة من الجارّ والمجرور (من سعادةِ المرءِ المسلمِ) على المبتدأ المعرفة (المسكنُ)، وهذا التّقديم جائزٌ؛ لكون المبتدأ اسمًا معرفةً صالحةً للابتداء بها(٤). والتّقديم هنا هو للتّخصيص، ولشدّ انتباه المتلقّي، ودفع الوهم عن ذهنه(٥). ولأنَّ الكلمات "تقتفي في نظمِها آثارَ المعاني، وتُرتِّبها على حسبِ ترتب المعاني في النّفس"(٦)؛ قدّم الرّسول (ﷺ) معنى (السّعادة) في بداية الجملة الاسميّة، وأخبر بها أوّلًا قبل كلِّ شيء.

ث- الخبر شبه جملة مقدّم وجوبًا والمبتدأ مضافًا إلى ضمير يعود على بعض الخبر:

ومن صور هذا النّمط، قوله (ﷺ): "افتَخَرتِ الجَنَّةُ وَالنّارُ، فَقالَتِ النّارُ: يا رَبِّ، يَدخُلُنِي الجَبَابِرَةُ وَالمُتَكَبِّرونَ وَالمُلوكُ والأشرافُ، وقالَتِ الجَنَّةُ: أي رَبِّ، يَدخُلُنِي الضُّعفَاء وَالفُقَراء وَالمَساكينُ، فَيَقولُ الله تَبارَكَ وتَعالى لِلنّارِ: أنتِ عَذابِي أُصيبُ بِكِ مَن أشاء، وقالَ لِلجَنَّةِ: أَنتِ رَحمَتي وَسِعَت كلَّ شَيء، ولِكلِّ واحِدَةٍ مِنكُما مِلؤُها"(٧). نلحظ

---

(١) حكم النّبيّ الأعظم: ٥/ ٤٥٤ ، وينظر: كنز العمّال: ١/ ١٦٥.

(٢) ينظر: كافية ابن الحاجب: ٣٦ ، وأوضح المسالك إلى ألفيّة ابن مالك: ١/ ٢١٥ ، والنّحو الوافي: ١/ ٥٠١.

(٣) حكم النّبيّ الأعظم: ٧/ ٤٢٥ ، وينظر: الكافي: ٦/ ٥٢٦.

(٤) ينظر: شرح التّصريح على التّوضيح: ١/ ٢١٣.

(٥) ينظر: معاني النّحو: ١/ ١٥٠.

(٦) دلائل الإعجاز: ٤٩.

(٧) حكم النّبيّ الأعظم: ٧/ ٤٠٩ ، وينظر: مسند أحمد بن حنبل: ١٧/ ١٦٣.

فـي الحـديث المبـارك أنَّ تقـديم الخبـر وهـو شـبه الجملـة (لكـلّ واحـدةٍ) تقـديمٌ واجـبٌ؛ كـون المبتدأ (مِلؤُهـا) اشـتمل علـى ضـميرٍ يعـود علـى الخبـر، فـلا يجـوز تـأخير الخبـر؛ لـئلا يعـود الضّمير على متأخّرٍ لفظًا ورتبةً[1] .

٢- التّقديم والتّأخير في سياق الجملة الفعليّة:

إنَّ الجملـة الفعليّـة فـي نظامهـا العـامّ وترتيبهـا الطّبعـيّ تتكـوّن مـن ركنـين: الفعـل وهـو الـرّكن الأوّل (المسـند)، والفاعـل وهـو الـرّكن الثّـاني (المسـند إليـه). وقـد تكتفـي الجملـة بهـذين الـرّكنين، وقـد لا تكتفـي، فتطـول بـذكر بعـض الفضـلات كـالمفعول بـه، والحـال، وغيرهـا، لتُكمِـل بالفضـلة معنـى الجملـة ومضـمونها. بيـد أنَّ فـي مواضـع يتقدّم المفعـول بـه علـى الفاعـل، أو علـى الفعـل والفاعـل معًـا؛ لأغـراضٍ دلاليّـةٍ وبلاغيّـةٍ يسـعى المـتكلّم لإيصالها لذهن المتلقّي.

وقـد ورد التّقـديم والتّـأخير فـي تراكيـب الجملـة الفعليّـة فـي حِكَـم النّبـيّ الأعظـم وفقًـا للأنماط الآتية:

أ- تقديم المفعول به:

ولـه حـالاتٌ متعـددةٌ، منهـا أن يتقدّم المفعـول بـه وجوبًـا علـى الفاعـل. فقد ذكـر النّحويّـون مواضـعَ يكـون فيهـا المفعـول بـه متقدّم وجوبًـا علـى الفاعـل وحـده، ومـن هـذه المواضـع أن يكـون الفاعـل محصـورًا بـ(إنَّما)، وأن يتّصـل بالفاعـل ضـميرٌ يعـود علـى المفعـول بـه، وأن يكـون المفعـول بـه ضـميرًا متّصـلاً بالفعـل ويكـون الفاعـل اسمًـا ظـاهرًا. وغيـرُ مـا ذُكـر يكـون التّقديم جائزًا[2] .

وممّـا يُستشـهد بـه علـى هـذا الـنّمط، حكمتـه المباركـة (ﷺ): "لَمّـا قـالَ لَـهُ رجُـلٌ: احـبُّ أن يَرحَمَنـي رَبّـي: ارحَـمْ نَفسَـكَ، وارحَـمْ خَلـقَ الله، يَرحَمـكَ اللهُ"[3]. ففـي الحـديث الشّـريف قـدّم الرّسـول (ﷺ) المفعـول بـه وهـو (الضّـمير المتّصـل الكـاف) فـي (يَرحَمـكَ) علـى

(١) ينظر: شرح الرّضي على الكافية: ١/ ٢٦١ ، وأوضح المسالك إلى ألفيّة ابن مالك: ١/ ٢١٥ ، وشرح قطر النّدى: ١٢٤-١٢٥.

(٢) ينظر: الخصائص: ١/ ٢٩٥ ، وشرح ابن عقيل: ٢/ ٤٣-٤٥ ، والجملة الفعليّة، عليّ أبو المكارم: ٩٤-٩٩

(٣) حكم النّبيّ الأعظم: ٧/ ٤١١ ، وينظر: كنز العمّال: ١٦/ ١٢٨.

الفاعل (لفظ الجلالة)، وهذا التّقديم واجبٌ؛ لكون الفاعل اسمًا ظاهرًا، وكون المفعول به ضميرًا قد اتّصل بالفعل. يقول سيبويه (١٨٠هـ) في مثل هذا الضّرب من التّقديم: "وهو عربيٌّ جيِّدٌ كثيرٌ، كأنّهم إنّما يقدّمون الّذي بيانه أهمّ لهم وهم ببيانه أغنى"(١) .

ومنها أن يتقدّم المفعول به على الفعل والفاعل؛ إذ إنَّ هنالك مواضع يجب أن يتقدّم المفعول به عليهما معًا. ومن المواضع الّتي يجب أن يتقدّم المفعول به أن يكون واقعًا في جواب (أمَّا) ولم يفصل فاصلٌ بين (أمّا) وجوابها المقترن بـ(الفاء)، وأن يكون من الألفاظ الّتي لها الصّدارة في الكلام، وأن يكون المفعول به ضميرًا منفصلًا لو تأخّر لوجب اتّصالهما(٢) .

ومن الشّواهد الّتي تقدّم فيها المفعول به وجوبًا على الفعل وفاعله، قوله (ﷺ): "اوحيَ إلى بَعضِ الأنبِياءِ: قُل لِلَّذينَ يَتَفَقَّهونَ لِغَيرِ الدّينِ...ويَطلُبونَ الدُّنيا بِعَمَلِ الآخِرَةِ...وقُلوبُهُم كَقُلوبِ الذِّئابِ...: إيّايَ يُخادِعونَ؟! ولأتيحَنَّ لَكم فِتنَةً تَذَرُ الحَكيم حَيرانَ"(٣). نلحظ في الحديث الشّريف أن المفعول به ضميرٌ منفصلٌ (أيّاي)، وقد تقدّم على فعله (يخادعون)، وتقديمه هنا واجبٌ؛ كونه ضمير نصبٍ منفصلٍ. وتأخيره يوجب اتّصاله بالفعل ليكون (يخادعوني).

ب- تقديم الجارّ والمجرور:

ولهذا التّقديم أنماطٌ متعددةٌ في حِكَم النّبيّ الأعظم، منها أن يقدّم الجارُّ والمجرور على الفاعل، أو على الفعل والفاعل معاً، أو يتقدّما على المفعول به. أو يتقدّما على الفعل المبني للمجهول ونائبه. وسنقتصر على ذكر تقدّمهما على الفاعل، والمفعول به فقط؛ تجنّبًا للإطالة؛ ولكون الأغراض الدلاليّة هي ذاتها في الضّروب كلّها. ولعلّ من المفيد ذكره أن الأغراض من تقديم شبه الجملة لا تختلف عن غيرها من ضروب التّقديم الأخرى؛ إذ يدور معظمها حول العناية والاهتمام.

ومثال تقديم الجارّ والمجرور على الفاعل، قوله (ﷺ): "إنَّ أهلَ المُصيبَةِ لَتَنزِلُ بِهِمُ المُصيبَةُ فَيَجزَعُونَ فَيَمُرُّ بهم مارٌّ مِنَ النّاسِ فَيَستَرجِعُ فيكونُ أعظَمَ أجراً مِن

(١) الكتاب: ١/ ٣٤.

(٢) ينظر: شرح ابن عقيل: ٢/ ٤٣ في الهامش.

(٣) حكم النّبيّ الأعظم: ٤/ ٥٩ ، وينظر: بحار الأنوار: ١/ ٢٢٤.

أهلِها"[١]. نلحظ في الحديث الشّريف أن شبه الجملة من الجارِّ والمجرور (بهم) المكرّرة في موضعين، قد تقدّمت على الفاعل في الموضع الأوّل (المصيبة)، وفي الموضع الثّاني (مارٌّ). وهذا التّقديم هو للاهتمام والعناية بشبه الجملة.

ومثال تقدّمهما على المفعول به، قوله (ﷺ): "إذا أرادَ الله بِأهلِ بَيتٍ خَيرًا فَقَّهَهُم فِي الدّينِ، ورَزَقَهُمُ الرِّفقَ في مَعايِشِهِم، وَالقَصدَ في شَأنِهِم، ووَقَّرَ صَغيرُهُم كَبيرَهَم، وإذا أرادَ بهم غَيرَ ذلِكَ تَرَكَهُم هَمَلاً"[٢]. فشبه الجملة (بهم) في الحديث المبارك، تقدّمت على المفعول به (غيرَ ذلك)، وقد قدّم الرّسول (ﷺ) شبه الجملة للعناية بها.

ت- تقديم الظّرف:

وتقديم الظّرف لا يختلفُ عن سابقه، فهو يقدّم على الفاعل، وعلى الفعل والفاعل والمفعول. ومثال تقدّمه على المفعول به، قوله (ﷺ): "إنَّ الدُّنيا لَو عَدَلَت عِندَ اللهِ عَزّ وَجَلَّ جَناحَ بَعوضَةٍ لَما سَقى الكافِرَ مِنها شَربَةً مِن ماءٍ"[٣]. نلحظ في الحديث الشّريف أنَّ الظّرف (عند) مقّدم على المفعول به (جناحَ بعوضةٍ). وتقديم الظّرف في الحديث الشّريف هو للعناية بالمتقدّم.

ث- تقديم جواب الشّرط على أداة الشّرط وجملة الشّرط:

من المعلوم بأنَّ التّرتيب الأساسيّ والمعتاد للجملة الشّرطيّة، هو أنها تتكوّن من أداة الشّرط المتصدّرة، ثمّ يليها فعل الشّرط، ثمّ جواب الشّرط. وقد يتغيّر هذا التّرتيب فيتقدّم الجواب على جملة أداة الشّرط وفعلها، وقد وردت شواهد على ذلك في حِكَم النّبيّ الأعظم، منها قوله (ﷺ): "لا يَتَمَنَّيَنَّ أحَدُكُمُ المَوتَ لِضُرٍّ نَزَلَ بِهِ. فَإن كانَ لابُدَّ مُتَمَنِّياً لِلمَوتِ فَلَيَقُل: اللَّهُمَّ أحيِنِي ما كانتِ الحَياةُ خَيراً لي. وتَوَفَّني إذا كانَتِ الوَفاةُ خَيراً لي"[٤]. نلحظ في الحديث الشّريف أن جواب الشّرط ورد متقدّمًا (تَوَفَّني) وهو جملةٌ طلبيّةٌ لم تقترن بالفاء، وقد تقدّم على الأداة (إذا) وفعل الشّرط (كانت). كما نلحظ أنَّ

(١) حكم النّبيّ الأعظم: ٧/ ٤٥٩ ، وينظر: بحار الأنوار: ٨٢/ ١٣٢.
(٢) حكم النّبيّ الأعظم: ٤/ ٥٦٦ ، وينظر: كنز العمّال: ١٠/ ١٣٧.
(٣) حكم النّبيّ الأعظم: ٧/ ٥٧٦ ، وينظر: مكارم الأخلاق: ٤٣٩.
(٤) حكم النّبيّ الأعظم: ٥/ ٣٩٥ ، وينظر: صحيح البخاريّ: ٥/ ٢٣٣٧.

تقدّم جواب الشّرط كان مع فعلٍ ماضٍ، وهذا يؤكّد صحّة ما اشترطه المبرّد (٢٨٥هـ) من أنَّه يجوز تقديم جواب الشّرط إن كان فعل الشّرطِ فعلًا ماضيًا[١] .

وقد ينشطر جواب الشّرط إلى شطرين، أحدهما يتقدّم على أداة الشّرط، والآخر بعد أداة الشّرط، ويسمّى هذا الانشطار بـ(الاكتناف)، وحدّه د. مالك المطلبيّ بأنَّه "انشطار جملة جواب الشّرط إلى شطرين يحيطان بالأداة وجملة الشّرط"[٢] .

ومثال ما ورد في حِكَم النّبيّ الأعظم من انشطارٍ لجواب الشّرط، قوله (ﷺ): "احسِنوا إذا وُلّيتُم، وَاعفوا عَمّا مَلَكتُم"[٣]. فجواب الشّرط قد انشطر شطرين، وأحاط بأداة الشّرط (إذا)، وجملة الشّرط (ولّيتُم). فالشّطر الأوّل (احسنوا)، والشّطر الثّاني (اعفوا عمّا ملكتم). وكان الأصل أن يكون (إذا وليتُ، احسنوا واعفوا عمّا ملكتم)؛ ولكن تقدم جزءٌ من جواب الشّرط، وهو الّذي يتضمّن معنى (الإحسان)؛ إذ إنَّ هذا التّقديم هو لغرض العناية والاهتمام؛ ولشدِّ ذهن المتلقّي وتحفيزه لمعرفة باقي أجزاء الكلام والله أعلم.

ثانيًا: الحذف

يُعَدُّ الحذف من الظّواهر اللّغويّة المتجذّرة والرّاسخة في اللّغة العربيّة، وهو سمةٌ أسلوبيّةٌ تميزت بها لغتنا العريقة. والحذف هو "إسقاط كلمة للاجتزاء عنها بدلالة غيرها من الحال أو فحوى الكلام"[٤]. أو هو "إِسْقَاطُ جُزْءِ الْكَلَامِ أَوْ كُلِّهِ لِدَلِيلٍ"[٥] .

وقد تطرّق النّحويّون والبلاغيّون لهذا الأسلوب في مصنفاتهم بدءًا من سيبويه (١٨٠هـ)، الّذي عقد بابًا للحذف يقول فيه: "هذا باب ما يكون في اللّفظ من الأعراض اعلم أنّهم ممّا يَحذفون الكلم وإن كان أصلُه في الكلام غير ذلك، ويحذفون ويعوّضون، ويَستغنون بالشّيء عن الشّيء الّذي أصله في كلامهم أن يستعمل"[٦] .

---

(١) ينظر: المقتضب: ٢/ ٦٦.

(٢) في التّركيب اللّغويّ للشّعر العراقيّ المعاصر: ٣١٥.

(٣) حكم النّبيّ الأعظم: ٢/ ٦٢١ ، وينظر: كنز العمّال: ٦/ ٦.

(٤) النّكت في إعجاز القرآن للرّمّانيّ: ٧٦ ، وينظر: الحدود في النّحو للرّمّانيّ: ٧٠، وينظر: التّعريفات: ٧٥.

(٥) والبرهان في علوم القرآن: ٣/ ١٠٢.

(٦) الكتاب: ١/ ٢٤-٢٥ ، وينظر: باب لحذف الفعل لكثرة استعماله ١/ ٢٨٠.

وامتدح ابن جنّي (٣٩٢هـ) هذا الأسلوب اللّغويّ بوصفه إيّاه بالشّجاعة، فعقد بابًا في خصائصه سمّاه "باب في شجاعة العربيّة"[١]. ووصفه الجرجانيّ (٤٧١هـ) بقوله: "هو بابٌ دقيقُ المَسْلك، لطيفُ المأخذ، عجيبُ الأَمر، شبيهٌ بالسِّحْر، فإنّكَ ترى به تَرْكَ الذِكْر، أَفْصَحَ من الذكْرِ، والصّمتَ عن الإفادةِ، أَزْيَدَ للإفادة، وتَجدُكَ أَنْطَقَ ما تكونُ إذا لم تَنْطِقْ، وأَتمَّ ما تكونُ بياناً إذا لم تُبْن، وهذه جملة قد تنكرها حتّى تخبر، وتدفعها حتّى تنظر"[٢] .

والحذف قد يقع في الحركة، أو الحرف، أو المفردة، أو الجملة، يقول في ذلك ابن جنّي (٣٩٢هـ): "قد حذفت العرب الجملة والمفرد والحرف والحركة، وليس شيءٌ من ذلك إلّا عن دليلٍ عليه"[٣]. وقد ذكر يحيى بن حمزة العلويّ (٧٤٥هـ) أنَّ "الإيجاز بحذف المفردات أوسعُ مجالاً من حذف الجمل؛ لأنَّ المفردات أخفُّ في الاستعمال، فلهذا كثُر فيها"[٤] .

وقد اشترط ابن هشام (٧٦١هـ) في الحذف شروطًا متعددة، أهمّها وجود دليل معنويّ أو مقالي يدلُّ على المحذوف، على ألّا يكون الدّليل المذكور مخالفًا للدّليل المحذوف، وألّا يكون المحذوف من النّصّ كالجزء، وألّا يكون المحذوف مؤكّدًا؛ لأنّ التّوكيد إطالةٌ للنّصّ والحذف إيجازٌ له. ومن الشّروط الّتي أشترطها ألّا يؤدّي الحذف إلى اختصار المختصر، وألّا يكون المحذوف عاملًا ضعيفاً ولا عوضًا عن شيء، ومن أهمّ ما اشترطه ألا يكون الحذف مؤدّيًا إلى تهيئة العامل للعمل أو قطعه عن العمل، أو يهيئ العامل الضّعيف للعمل مع إمكان إعمال العامل القوي[٥] .

وخلاصة ما سُطّر أنَّ هذا النّمط الأسلوبيّ يهدف إلى اختصار الكلام وإيجازه دون الإخلال في التّركيب النّحويّ للنّصّ، مع شرط أن يكون هنالك قرينةً أو دليلًا في سياق النّصّ يُفهم عن طريقها المحذوف، سواءٌ أكان هذا الدّليل أو القرينة معنويّة أم مقاليّة

(١) الخصائص: ٢/ ٣٦٠.
(٢) دلائل الإعجاز: ١٤٦.
(٣) الخصائص: ٢/ ٣٦٠.
(٤) الطّراز المتضمّن لأسرار البلاغة: ٢٥٠.
(٥) ينظر: مغني اللّبيب عن كتب الأعاريب: ٢/ ٦٩٢-٧٠٠.

وإلّا كان الحذف عبثًا، مؤدّيًا إلى عقم في فهم النّصّ، وعندئذ يكون النّص لا فائدةَ ترجى منه.

إنَّ الحديث النّبويّ الشّريف غنيٌ بهذه السّمة الأسلوبيّة، وقد أشرنا سلفًا إلى أن أبرز ما يميّز الحديث الشّريف هو الإيجاز القائم على الحذف؛ إذ إنّ "اجتماع الكلام وقلّة ألفاظه، مع اتّساع معناه وإحكام أسلوبه في غير تعقيدٍ ولا تكلّف، ومع إبانة المعنى واستغراق أجزائه...شيء لم يعرف في هذه اللّغة لغيره قوله (ﷺ)"[1].

والحذف يقع في الجملتين الفعليّة والاسميّة معًا، وفيما يلي أنماط الجملتين كلتاهما في حِكَم النّبيّ الأعظم :

١- الحذف في الجملة الاسميّة:

لما كانت الجملة الاسميّة تتكون من مسند إليه وهو المبتدأ، والمسند وهو الخبر اللّذان يمثّلان عمدتا الكلام في الجملة الاسميّة، فإنَّ الحذف في الجملة الاسميّة يشمل أحد هذين الرّكنين الأساسيين، وفيما يلي حذف كلّ منهما في حِكَم النّبيّ الأعظم:

أ- حذف المبتدأ:

ذكر النّحويّون أن المبتدأ قد يُحذف في بعض المواضع. منها أن يكون جوابًا لاستفهامٍ صريحٍ، أو يقع بعد فاء جواب الشّرط، أو هنالك قرينة تدلُّ عليه، أو يكون واقعًا بعد فاء جواب الشّرط، أو جملة القول، أو يكون الخبر صفةً دالةً عليه. والحذف إمَّا واجبًا، وإمَّا جائزًا[2] .

ومثال ما ورد من حذف المبتدأ في حِكَمه (ﷺ): "لَمَّا سُئِلَ ما بِرُّ الحَجِّ؟ -: إطعامُ الطَّعامِ وطيبُ الكَلامِ"[3]. نلحظ في الحديث الشّريف أنَّ المبتدأ قد حُذِف، وأُبقِي على الخبر (إطعامُ الطَّعامِ)، وتقدير المبتدأ (برُّ الحجِّ). وهذا الضّرب جائز في اللّغة؛

(١) إعجاز القرآن الكريم والبلاغة النّبويّة: ٣٠٠.

(٢) ينظر: الكتاب: ٢/ ١٣٠ ، والمقتضب: ٤/ ١٢٩ ، كافية ابن الحاجب: ٤١-٤٢ ، وشرح ابن عقيل: ١/ ١١٩ ، ومغني اللّبيب عن كتب الأعاريب: ٢/ ٧٢٣-٧٢٤ ، وشرح الرّضيّ على الكافيّة: ١/ ٢٧٢.

(٣) حكم النّبيّ الأعظم: ٦/ ٢٤٧ ، وينظر: المستدرك على الصّحيحين: ١/ ٦٥٨.

لوجود قرينة في سياق الحديث دلّت على المبتدأ المحذوف، وهو سؤال السّائل عن (برّ الحجّ). وقد ذكر ابن هشام (٧٦١هـ) أن المبتدأ يكثر حذفه في جواب الاستفهام[١] .

ومثال حذف المبتدأ وجوبًا، قوله (ﷺ): "بِئسَ العَبدُ المُحتَكِرُ، إن أرخَصَ اللهُ تعالى الأسعارَ حَزِنَ، وإن أغلاها اللهُ فَرِحَ"[٢]. فالمبتدأ في الحديث الشّريف محذوفٌ تقديره (هو) وخبره (المحتكرُ)، أي: (هو المحتكرُ)، وحذفه واجبٌ؛ لكونه مخصوص فعل الذّم (بئس)[٣] .

ب- حذف الخبر:

وحذف الخبر هو الآخر، قد يُحذف وجوبًا أو جوازًا، وقد ذكر النّحويّون مواضع لكلا الحذفين[٤]. ومن مواضع حذفه في حِكَم النّبيّ الأعظم، قوله (ﷺ): "إنَّمَا الأَمَلُ رَحمَةٌ مِنَ اللهِ لِأُمَّتي. لَولَا الأَمَلُ ما أرضَعَت امٌّ وَلَدًا، ولا غَرَسَ غارِسٌ شَجَراً"[٥]. فـ(الأملُ) الواردة في الموضع الثّاني من الحديث الشّريف مبتدأ، وخبره محذوف وجوبًا تقديره (موجود) أو (كائن)، أي: (لولا الأملُ موجودٌ...).

ومن حذف الخبر وجوبًا، أن يُحذف مع الجملة القسميّة، ومثال ذلك، قوله (ﷺ): "وَاللهِ لَرَدُّ دانَقٍ مِن حَرامٍ أفضَلُ عِندَ اللهِ عزّ وجلّ مِن سَبعينَ حَجَّةً مَبرورَةً"[٦]. نلحظ في الحديث المبارك أنَّ الخبر محذوفٌ وجوبًا، وتقديره (يميني) أو (قسمي). والعلّة وراء حذفه وجوبًا؛ لعدم وجود فائدة من ذكره في النّصّ؛ فالعرب "تحذف الكلمة إذا كان ذكرها يؤدّي إلى العبث لوضوحها، وظهورها لا يزيد المخاطَب شيئًا"[٧] .

---

(١) ينظر: مغني اللّبيب عن كتب الأعاريب: ٢/ ٧٢٣.

(٢) حكم النّبيّ الأعظم: ٧/ ٣٨ ، وينظر: كنز العمال: ٤/ ٩٧.

(٣) ينظر: شرح ابن عقيل: ١/ ١١٩ ، ومغني اللّبيب عن كتب الأعاريب: ٢/ ٦٩١.

(٤) ينظر: كافية ابن الحاجب: ٤١-٤٣ ، وشرح ابن عقيل: ١/ ١١٥-١١٨ ، ومغني اللّبيب عن كتب الأعاريب: ١/ ٢٢٥.

(٥) حكم النّبيّ الأعظم: ٣/ ٤٠٥ ، وينظر: تاريخ بغداد: ٢/ ٥٢.

(٦) حكم النّبيّ الأعظم: ٧/ ١٨٩ ، والدّانق: هو سُدس الدّرهم والدّينار، ينظر: لسان العرب: ١٠/ ١٠٥ (دنق).

(٧) معاني النّحو: ١/ ٣٠٤.

٢- الحذف في الجملة الفعليّة:

إنَّ الحذف في الجملة الفعليّة يكون في عناصرها الإسناديّة (الفعل والفاعل)، أو في عناصرها غير الإسناديّة (الفضلات). وقد تعددّت أنماط الحذف في الجملة الفعليّة، ومن هذه الأنماط:

أ- حذف الفعل والفاعل والمفعول به الأوّل:

ومن نماذج هذا النّمط، قوله (ﷺ): "اللّهُمَّ إنّي أسألكَ عِلماً نافِعاً، ورِزقاً واسعاً"(١). نلحظ في الحديث الشّريف أنَّه قد حُذِف الفعل والفاعل والمفعول به الأوّل، وأبقى المفعول به الثّاني (رزقًا). والتّقدير (وأسالك رزقًا واسعًا). والحذف في الحديث الشّريف للإيجاز؛ إذ أضفى على النّصّ رونقًا جماليًّا، وأدّى المعنى دون الحاجة إلى تكرار المحذوف، فأبعد النّصّ عن الرّتابة والملل من التّكرار.

ب- حذف الفعل والفاعل، وبقاء المفعول به:

ومن الشّواهد على هذا النّمط من البناء، قوله (ﷺ): "سُئل رَسولُ اللهِ (ﷺ): أرَأَيتَ أدِويَةً نَتَداوى بِها، ورُقىً نَسترَقي بِها، وتُقىً نَتَّقيها. هَل تَرُدُّ مِن قَدَرِ اللهِ شَيئاً؟ قالَ: هِيَ مِن قَدَرِ اللهِ"(٢). نلحظ في الحديث المبارك قد حُذف الفعل والفاعل وأبقي المفعول به (رُقىً، تُقىً)، والتّقدير في كلا الموضعين (ورأيتُ) بدلالة ما قبله عليه؛ إذ إنَّ السّامع على علمٍ به، ممّا دفع المتكلّم للاستعانة بالحذف؛ تجنبًا من إعادة الفعل وفاعله؛ لأنّ "إذا طال الكلام كان الحذف أجمل"(٣) .

ت- حذف أداة الشّرط، أو جوابه:

قد يقع الحذف في تركيب الجملة الشّرطيّة على الأداة أو على الأداة والفعل معًا أو على جواب الشّرط؛ أذ "تُدرس قضية الحذف في التّركيب الشّرطيّ عن طريق عرض احتمال الحذف في كلّ جزءٍ من أجزاء التّركيب في الجملة الشّرطيّة"(٤) .

---

(١) حكم النّبيّ الأعظم: ١/ ٣٢٤ ، وينظر: الكافي: ٤/ ٢٥٠.

(٢) حكم النّبيّ الأعظم: ٧/ ٢٢١ ، وينظر: سنن ابن ماجه: ٢/ ١١٣٧.

(٣) الكتاب: ٢/ ٣٨.

(٤) النّحو العربيّ، إبراهيم بركات: ٥/ ٤٦٧ ، وينظر: شرح ابن عقيل: ٤/ ٢٠-٢١.

والحذف في تراكيب الجملة الشّرطيّة في حِكَم النّبيّ قليلٌ جدًا، قياسًا بالتّراكيب والأنماط الأخرى. فمثال ما ورد من حذفٍ للأداة في حِكَم النّبيّ الأعظم، قوله (ﷺ): "جواباً لِمَن قالَ: أُحِبُّ أن تُستَجابَ دَعوَتي: اجتَنِبِ الحَرامَ تُستَجَب دَعوَتُكَ"[1]. نلحظ في الحديث الشّريف وجود فعل أمر (تجنب)، وقد عُلّق به الفعل المضارع (تُستَجَب) فانجزم به.

وفي مثل هذه الحال يرى عددٌ من النّحويّين أنّ الفعل المضارع مجزومٌ بأداة محذوفة هي وفعلها[2]، وعلى هذا يكون تقدير قول الرّسول (ﷺ) (اجتنب الحرامَ فإنَّك إنْ تجتنبه تُستجب دعوتك). بيد أنّ المبرّد (٢٨٥هـ) على خلاف ذلك؛ إذ يرى "أنَّ جوابَ الأمرِ والنَّهي ينجزمُ بالأمرِ والنَّهي كما ينجزمُ جوابُ الجزاءِ بالجزاءِ، وذلك لأنَّ جوابَ الأمرِ والنَّهي يَرجع إلى أنْ يكونَ جوابًا صحيحًا"[3] .

ومثال حذف جواب الشّرط قوله (ﷺ): "إنَّ رَجُلاً جاءَهُ المَوتُ في زَمانِ رَسولِ الله (ﷺ)، فَقالَ رَجُلٌ: هَنيئاً لَهُ ماتَ ولَم يُبتَلَ بِمَرَضٍ. فَقالَ رَسولُ اللهِ (ﷺ): وَيَحَكَ، وما يُدريكَ لَو أنَّ اللهَ ابتَلاهُ بِمَرَضٍ يُكَفِّرُ بِهِ مِن سَيِّئاتِهِ"[4]. نلحظ في الحديث المبارك تكوّنت جملة الشّرط من أداة الشّرط (لو)، وقد دخلت على جملةٍ اسميّةٍ منسوخةٍ بـ(أنَّ)، وقد اُختلِف في إعراب (أنَّ) ومعموليها في مثل هذه الحال، فذهب الكوفيّون إلى أنّها ومعموليها في موضع رفع فاعل لفعلٍ محذوفٍ تقديره (ثبتَ)، وذهب البصريّون إلى أنّها ومعموليها مبتدأٌ، وخبره محذوف تقديره (ثابت) وهو مذهب سيبويه[5] .

وما يهمّنا أنّ جواب الشّرط هنا أنَّه قد حُذف لعلم المتلقّي به وتقديره: (لو أنّ الله ابتلاه بمرضٍ يُكفّر به سيئاته، لكان أفضل له). يقول سيبويه (١٨٠هـ) في ذلك: "سألت

(١) حكم النّبيّ الأعظم: ٥/ ٤٣٦ ، وينظر: كنز العمّال: ١٦/ ١٢٩.

(٢) ينظر: الكتاب: ٣/ ٩٣-٩٤ ، والأصول في النّحو: ٢/ ١٦٨ ، وشرح المفصّل: ٧/ ٤١ ، والمقرّب: ١/ ٢٧٢.

(٣) المقتضب: ٢/ ١٣٣.

(٤) حكم النّبيّ الأعظم: ٣/ ٦٠٩ ، وينظر: الموطأ، مالك بن أنس: ٢/ ١١٩.

(٥) ينظر: شرح المفصّل: ٢/ ٢٩١ ، الجنى الدّاني في حروف المعاني: ٢٨٠ ، وشرح ابن عقيل: ٤/ ٢٣ ، والبرهان في علوم القرآن: ٤/ ٣٦٩.

الخليل عن قوله جلَّ ذكره: ﴿حَتَّى إِذا جاؤُها وَفُتِحَتْ أَبوابُها﴾[1] أين جوابها؟ وعن قوله جلّ وعلا: ﴿وَلَوْ يَرَى الَّذِينَ ظَلَمُوا إِذْ يَرَوْنَ الْعَذابَ﴾[2] ﴿وَلَوْ تَرى إِذْ وُقِفُوا عَلَى النّارِ﴾[3] فقال: إنَّ العرب قد تترك في مثل هذا الخبر الجواب في كلامهم، لعلم المخبر لأيّ شيءٍ وضع هذا الكلام"[4] .

ويمكن أن تكون (لو) في الحديث الشّريف للتمنّي، عندئذ لا تحتاج إلى جواب؛ ولكن الشّرط أقوى وأبيّن في سياق الحديث، فحاشا الرّسول (ﷺ) أن يتمنّى البلاء بالمرض لأحدٍ.

(١) سورة الزّمر، آية: ٧٣.

(٢) سورة البقرة، آية: ١٦٥.

(٣) سورة الأنعام، آية: ٢٧.

(٤) الكتاب: ٣/ ١٠٣.

الفَصْلُ الثّانيُ

بِنَاءُ الجُملَةِ الطّلَبيّةِ

توطئة

إنَّ الجملة العربيّة تنقسم وفقاً لمعناها على ضربين: جملة خبريّة، وجملة طلبيّة، والخبر "إمّا أن يحتمل التَّصدِيقَ والتّكذيب، أو لا؛ فإن احتَمَلَهُمَا فهو الخبر، نحو: (قَامَ زيدٌ) و(مَا قَامَ زيدٌ)، وإن لم يحتملهما، فإمّا أن يتأخّر وُجُودُ معناه عن وجود لفظه، أو يَقْتَرِنَا؛ فإن تَأَخَّرَ عنه فهو الطَّلَبُ، نحو: (اضرِب) و(لا تَضرِب) و(هَلْ جَاءَكَ زَيْدٌ؟)، وإن اقترنا فهو الإنشاء"(١) .

وقد بيّن د. صالح الظّالميّ الفرق بين الجملتين، وهو أنَّ الجملة الخبريّة تسهم في الكشف عن معنى ما موجود في الخارج، وهذا المعنى الّذي يتكلّم به المتحدّث يحتمل الصّدق والكذب. أمَّا الجملة الإنشائيّة، فهي من تسهم في إيجاد معنى لم يكن له أثرٌ موجودٌ قبل التكلّم به، نحو قولنا: (اركض)، فهي لا تفيد ايجاد طلب الرّكض، فالمعنى هذا لم يكن موجودًا وقت التكلّم بالجملة، كما بيّن أيضًا أنّ هذا الفرق محلُ اتّفاقٍ بين علماء النّحو والبلاغة فضلاً عن الأصوليّين(٢).

والإنشاء هو "كلّ كلامٍ لا يحتمل الصّدق أو الكذب"(٣)، والإنشاء الّذي تتألف منه الجملة الطّلبيّة على ضربين: (طلبيٌّ) و(غير طلبيّ)، والإنشاء غير الطّلبيّ، هو "ما لا يستدعي مطلوبًا غير حاصل وقت الطّلب، ويكون بصيغ المدح والذّم، وصيغ العقود، والقسم، والتّعجّب، والرّجاء"(٤). أمَّا الإنشاء الطّلبيّ، فهو "ما يستدعي مطلوبًا غير حاصلٍ وقت الطّلب؛ لامتناع تحصيل الحاصل"(٥). وهو ما نتناوله في مباحث هذا الفصل.

(١) شرح شذور الذّهب: ٢١ ، وينظر: مفتاح العلوم: ٥٢٣ ، واللّغة العربيّة معناها ومبناها: ٣٦٣.

(٢) ينظر: تطوّر دراسة الجملة العربيّة بين النّحويّين والأصوليّين: ١٢٠.

(٣) الجملة العربيّة تأليفها وأقسامها: ١٧٠.

(٤) جواهر البلاغة: ٧٩.

(٥) الإيضاح في علوم البلاغة: ١/ ٢٢٧.

المبحث الأوّل

جُملةُ النّـداءِ

يُعَدُّ أسلوب النّداء من الأساليب الإنشائيّة الطّلبيّة المستعملة في كلام العرب. وهو أسلوبٌ يلجأ إليه المتكلّم من أجل إقبال المخاطَب أو المتلقّي إليه، أو لشدّ انتباه المخاطَب لأمرٍ ما. يُعدّ سيبويه (١٨٠هـ) أوّل من عرض لهذا الأسلوب اللّغويّ في مدونته النّحويّة (الكتاب)؛ إذ وصف النّداء بالنّظر إلى موقعه الإعرابيّ، قائلًا فيه: "اعلم أن النّداء، كلّ اسمٍ مضاف فيه فهو نصبٌ على إضمار الفعل المتروك إظهارُه"(١) .

أمَّا مفهومه الاصطلاحيّ العامّ، فهو "التّصويت بالمُنادى لِيعطف على المُنادِي"(٢)، أو هو "طلب إقبال المدعوّ على الدّاعي بحرفٍ ناب مناب (أدعو)"(٣). والغرض منه هو "لتنبيه المُخاطَب؛ لِيصغيَ إلى ما يجيء بعده من الكلام المُنادَى له، فأنت تلجأ إلى النّداء؛ لتنبيه المُخاطَب وعطفه عليك، حتَّى تختصَّه من بين النّاس بأمرك، أو نهيك، أو استفهامك، أو خبرك"(٤) .

وأسلوب النّداء من حيث تركيبه العامّ، يتكوّن من المتكلّم وهو (المُنادي)، ومستقبل النّداء وهو (المنادى)، وجواب النّداء الّذي يتمثّل بالجملة الّتي أنشئ من أجلها النّداء(٥). النّداء(٥). أمَّا من حيث تركيبه النّحويّ، فهو يتكوّن من ركنين أساسيّين، الأوّل (أداة النّداء)، والثّاني (المنادى)(٦). ولغرض الإحاطة بهذا الأسلوب اللّغويّ في حِكَم النّبيّ الأعظم؛ قُسِم هذا المبحث على شقّين. الأوّل يتناول أدوات النّداء، والثّاني أنماط المنادى الواردة في حِكَمه (ﷺ)، وهو كما يأتي:

---

(١) الكتاب:٢/ ١٨٢ ، وينظر: المقتضب: ٤/ ٢٠٢ ، والمفصّل في صنعة الإعراب: ٦٠.

(٢) شرح المفصّل: ٨/ ١١٨.

(٣) الإتقان في علوم القرآن: ٣/ ٢٨١ ، وينظر: حاشية الصّبّان: ٣/ ١٩٧.

(٤) أساليب الطّلب بين النّحويّين والبلاغيّين: ٢١٨ ، وينظر: في النّحو العربيّ نقد وتوجيه: ٣٠١.

(٥) ينظر: النّحو العربيّ: ٤/ ٤-٦.

(٦) ينظر: في النّحو العربيّ نقد وتوجيه: ٣٠٤.

أوّلًا: حروف النّداء بين الذّكر والحذف:

إنَّ لكلّ أسلوبٍ لغويّ أدواته الّتي يتميز بها عن غيره، وأسلوب النّداء كغيره من الأساليب اللّغويّة له أدواته الّتي أنماز بها، وهي (يا، وأيا، وهيا، والهمزة، وأيْ)، وتختلف هذه الأدوات من حيث استعمالها للنّداء، فتستعمل (أيا، هيا) لنداء البعيد، و(الهمزة، أيْ) لنداء القريب، و(يا) تستعمل لنداء القريب والبعيد معًا، و(يا) أكثر الأنواع استعمالًا في الكلام[١]. وتستعمل "هذه الأدوات في مواضعَ تقتضي رفع الصّوت ومدّه لتنبيه المخاطَب أو المنادى، وليس لها كما يبدو من استعمالاتها وظيفةٌ أخرى"[٢] .

أمَّا ورود هذه الأدوات في حِكَم النّبيّ الأعظم، فلم ترد هذه الأدوات كلّها، فما ورد منها (يا، وأيْ). و(يا) هي الأكثر حضوراً في حديثه المبارك (ﷺ)، ومن أمثلة استعمالها في الحديث الشّريف، قوله (ﷺ): "يا أبا ذَرٍّ، إذا أرادَ الله بِعَبدٍ خَيرًا فَقَّهَهُ فِي الدّينِ، وزَهَّدَهُ فِي الدُّنيا، وبَصَّرَهُ بِعيوبِ نَفسِهِ"[٣] .

فقد استعمل الرّسول (ﷺ) في حديثه مع أبي ذرٍّ أداة النّداء (يا) تعظيمًا له، وتأكيدًا لما ذكره في وصيته لأبي ذرٍّ رضوان الله عليه؛ إذ إنَّ "أَصلُ النِّدَاءِ بِـ(يَا) أَن تَكُونَ لِلبَعِيدِ حَقِيقَةً أَو حُكمًا وَقَد يُنَادَى بِهَا القَرِيبُ لِنُكَتٍ:...مِنهَا قَصدُ تَعظِيمِ شَأنِ المَدعُوِّ"[٤] .

أمَّا أداة النّداء (أيْ)، الّتي تستعمل لنداء القريب[٥]، فقد وردت في مواضعَ متعددة في في حِكَمه الشّريفة (ﷺ)، ومن تلك المواضع، قوله (ﷺ): "الصِّيامُ وَالقُرآنُ يَشفَعانِ لِلعَبدِ يَومَ القِيامَةِ؛ يَقولُ الصِّيامُ: أي رَبِّ، مَنَعتُهُ الطَّعامَ وَالشَّهَواتِ بِالنَّهارِ؛ فَشَفِّعني فيهِ، وَيقولُ القُرآنُ: مَنَعتُهُ النَّومَ بِاللَّيلِ: فَشَفِّعني فيهِ قال: فَيُشَفَّعانِ"[٦]. نلحظ في الحديث

---

(١) ينظر: الكتاب: ٢/ ٢٢٩ ، والمقتضب: ٤/ ٢٣٣-٢٣٥ ، والأصول في النّحو: ١/ ٣٢٩ ، وشرح الرّضيّ على الكافية: ٤/ ٤٢٥ ، ومعاني النحّو: ٤/ ٣٢١.

(٢) في النّحو العربيّ نقد وتوجيه: ٣٠٢.

(٣) حكم النّبيّ الأعظم: ٣/ ٥٦٥ ، وينظر: بحار الأنوار: ٧٣/ ٥٥.

(٤) الإتقان في علوم القرآن: ٣/ ٢٨٢.

(٥) ينظر: شرح المفصّل: ٨/ ١١٨ ، ومفتاح العلوم: ٢٤٦.

(٦) حكم النّبيّ الأعظم: ٦/ ٤٦ ، وينظر: مسند أحمد بن حنبل: ١١/ ١٩٩.

الحديث المبارك قد استعمل الرّسول (ﷺ) أداة النّداء (أيْ) على لسان حال (الصّيام) عند مناجاته الله عزّ وجلّ.

وقد تحذف أداة النّداء تخفيفًا وإيجازًا للكلام؛ إذ إنّ ممّا تميزت به اللّغة النّبويّة هو الإيجاز، وتأدية المعنى دون الحاجة إلى الإكثار بالكلام، وهذا ما نجده في النّداء، فالأداة تُحذف لفظًا، ويبقى عملها.

ومثال حذف أداة النّداء، ما ورد في قوله (ﷺ): "يا سَلمانُ، أكثِر أن تَقولَ: رَبِّ اقضِ عَنِّي الدَّينَ، واغنِني مِنَ الفَقرِ"[1]. ففي الحديث المبارك حُذفت أداة النّداء في الحديث الشّريف، وأُبقي المُنادى وهو (ربِّ)، وهو منادى مضاف إلى (ياء المتكلّم)، وقد ذهب جمهور النّحويّين إلى جواز حذف أداة النّداء، إذا كانت في غير نداء لفظ الجلالة، واسم الجنس، والمندوب، والمستغاث، والمتعجّب منه، والنّكرة غير المقصودة، ففي هذه المواضع الّتي ذُكرت لا يجوز حذف حرف النّداء[2]. وما قاله النّحويّون جاء موافقًا لما ورد في الحديث المبارك.

ومن شواهد حذف أداة النّداء في حديثه (ﷺ): "لَمّا شَكَا إلَيهِ أبو سَعيدٍ الخُدرِيُّ حاجتَهُ: اصبر أبا سَعيدٍ، فَإنَّ الفَقرَ إلى مَن يُحِبُّني مِنكُم أسرَعُ مِنَ السَّيلِ عَلى أعلَى الوادي، ومِن أعلَى الجَبَلِ إلى أسفَلِهِ"[3]. ففي الحديث المبارك حُذفت أداة النّداء، وأُبقي المنادى بعدها (أبا سَعيدٍ) وهو منادى مضاف. فالمقام يتطلّب إيجازًا واختصارًا للكلام، كون المقام يدور حول شكوى حاجة أبي سعيد الخدريّ للرّسول (ﷺ)، فلا مجال للإطالة، وإنَّما إسعافه فيما يسد حاجته. كما أنَّ قرب أبي سعيدٍ من الرّسول قربٌ مادّيٌّ، فلا يحتاج إلى واسطة لندائه[4] .

وقد كثُر حذف أداة النّداء مع النّكرة المقصودة (أيّها) في الحديث الّشريف، ومن ذلك قوله (ﷺ): "ما مِن صَلاةٍ يَحضُرُ وَقتُها إلّا نادى مَلَكٌ بَين يَدَي اللهِ: أيُّهَا النّاس،

(١) حكم النّبيّ الأعظم: ٧/ ١١٠ ، وينظر: المعجم الكبير، للطّبرانيّ: ٦/ ٢٣٣.
(٢) ينظر: الأصول في النّحو: ١/ ٣٢٩.
(٣) حكم النّبيّ الأعظم: ٣/ ١٣٥ ، وينظر: مسند أحمد بن حنبل: ١٧/ ٤٧٢.
(٤) ينظر: معاني النّحو: ٤/ ٣٢٥.

قومـوا إلـى نيـرانِكُمُ الَّتـي أوقَـدتُموها عَلـى ظُهـورِكُم فَأَطفئوهـا بِصَـلاتِكُم"[١]. نلحـظ فـي الحـديث المبـارك أنَّ أداة النّـداء قـد حُـذفت تخفيفـاً وإيجـازًا للكـلام، وحـذفها لـم يـؤثّر علـى الـنّصّ، ولـم يواجـه المتلقّـي مشـقّةً وعنتًـا فـي فهـم الكـلام؛ للدّلالـةِ السّـياق عليهـا، ولعلـمِ المتلقّي بها.

ولا يفوتنـا أن ننبّـه إلـى النّـداء بلفظـة (اللّهُـمَّ)، الّتـي هـي فـي معنـى الـدّعاء، فقـد جعلهـا الخليـل (١٧٠هـ) رحمـه الله فـي بـاب النّـداء، يقـول سـيبويه (١٨٠هـ): "قـال الخليـل رحمـه الله: (اللّهُـمَّ) نـداءٌ والمـيمُ هـا هنـا بـدلٌ مـن (يـا)، فهـي هـا هنـا فيمـا زعـم الخليـل رحمـه الله آخـرَ الكلمـة بمنزلـة (يـا) فـي أوّلهـا، إلّا أنَّ المـيم هـا هنـا فـي الكلمـة كمـا أن (نـون) المسـلمين فـي الكلمـة بُنيـت عليهـا. فـالميم فـي هـذا الاسـم حرفـان أولُهمـا مجـزومٌ، والهـاء مرتفعـةٌ؛ لأنَّـه وقـع عليهـا الإعـراب"[٢]. فيمـا يـرى الكوفيّـون أنّ المـيم ليسـت بعـوضٍ عـن (يـا) النّـداء، والأصـل فـي (اللّهُـمَّ): (يـا الله أمّنـا بخيـر) وقـد حُـذف بعـض الكـلام طلبًـا للتّخفيف[٣] .

والنّـداء بـ(اللّهُمَّ) محـوجٌ إلـى فضـلِ تأمّـل، فقـد ذكـر محمّـد حسـن آل ياسـين بـأنّ هـذه اللّفظـة هـي مـن بقايـا اللّفظـة السّـاميّة (إلـوهيم)، والّتـي تعنـي (الآلهـة) فـي اللّغـة العبريّـة، والياء والمـيم هـي علامـة جمـع، والاسـتعمال يريـد بهـا لفـظ الجلالـة (الله)، وعلامـة الجمـع هـي للدّلالـة علـى التّعظـيم. وهـو خـلافٌ لمـا ذهـب إليـه الكوفيّـون والبصـريّون[٤]. وممّـا يعضّـد مـا ذكـره آل ياسـين أنـه لـم يـرد فـي العربيّـة علـمٌ منـادى حُـذفت منـه أداة النّـداء وعُوِض عنها في آخره بميمٍ.

وهذا يـدفعنا للقـول بـأنَّ لفظـة (اللهُمَّ) تمثّـل نـداءً تامًّـا قائمًـا بذاتـه، ورد علـى هـذه الصّـورة الّتـي لا مثيلَ لهـا فـي كـلام العـرب. فلـم يُحـذف منهـا شـيئًا، ولـم يعـوّض فيهـا شـيئًا، ومـن ثـمّ فهي ليست بحاجةٍ إلى تقدير أداة نداء.

---

(١) حكم النّبيّ الأعظم: ٥/ ٢٧٨ ، وينظر: بحار الأنوار؛ ٨٢/ ٢٠٩.

(٢) الكتاب: ٢/ ١٩٦ ، وينظر: شرح المفصّل: ٢/ ١٦.

(٣) ينظر: الإنصاف في مسائل الخلاف: ١/ ٢٧٩-٢٨٣ مسألة رقم (٤٧).

(٤) ينظر: الدّراسات اللّغويّة عند العرب حتّى نهاية القرن الثّالث: ٤٨٢، ومعاني النّحو: ٤/ ٣٢٦ ، ومناهج البحث اللّغويّ بين التّراث والمعاصرة: ١٨٤.

وقد وردت كثيرًا في حكم النّبيّ الأعظم، لا سيّما في سياق الدّعاء، ومثالها قوله ﷺ : "اللّهُمَّ إنّي أعوذُ بِكَ مِن وَعثاءِ السَّفَرِ وكَآبَةِ المُنقَلَبِ، والحَورِ بَعدَ الكَورِ، ودَعوَةِ المَظلومِ، وسُوءِ المَنظَرِ في الأهلِ والمالِ والوَلَدِ"(١) .

ثانيًا: أنماط المنادى

اختلف النّحويّون في العامل في المنادى، فذهب جمهور النّحويّين إلى أنّ العامل في المنادى هو الحرف نفسه؛ إذ ينوب الحرف عن الفعل الّذي يُقدّره النّحويّون بـ(أُنادي، أدعو). وذهب البعضُ الآخر إلى أنَّه منصوبٌ بالفعل المحذوف وليس بهذه الحروف(٢) .

أمَّا من حيث بنيته اللّغويّة، فقسّمه ابن السّرّاج (٣١٦هـ) على ثلاثة صورٍ "مفرد، ومضاف، ومضارع للمضاف بطوله"(٣). وقسّمه آخرون على خمسة صور (العلم المفرد، النّكرة المقصودة، النّكرة غير المقصودة، المضاف، والمضارع للمضاف) (٤). ويبنى المنادى على ما يرفع به إن كان المنادى علمًا مفردًا، ونكرةً مقصودةً، أمَّا إن كان نكرةً غيرَ مقصودةٍ، أو مضافًا، أو مضارعًا للمضاف، فإنَّه يُنصب(٥). وقد وردت هذه الصّور جميعها في حِكَم النّبيّ الأعظم، سوى النّكرة غير المقصودة، فلم يرد شاهدٌ عليها. ولعلّ عدم وروده في كلامه (ﷺ) عائدًا إلى أنَّ نداء الرّسول موجّه إلى أفراد محدّدين ومعروفين لدى السّامع، فليس من الحكمة أن يوجّه (ﷺ) نداءً لأشخاصٍ غير محدّدين وغير معروفين لدى من يسمعه، والله أعلم.

وفيما يأتي الأنماط الّتي وردت في حكم النّبيّ الأعظم:

١- العلم المفرد:

ويراد بالعلم المفرد "ما ليس مضافًا، ولا شبيهًا بالمضاف...فيشمل المفرد الحقيقيّ، ويشمل مثناه وجمعه"(٦). والحُكم الإعرابيّ لهذا الضّرب من صور المنادى البناء على

---

(١) حكم النّبيّ الأعظم: ٥/ ٥٩٢ ، وينظر: سنن التّرمذيّ: ٦/ ٦٢.

(٢) ينظر: المقتضب: ٤/ ٢٠٢ ، وتسهيل الفوائد وتكميل المقاصد: ٧٩ ، وكافية ابن الحاجب: ٥٠-٥١ ، وشرح الرّضيّ على الكافية: ١/ ٣٤٦ ، والتّراكيب اللّغويّة في العربيّة: ٢٩٠.

(٣) الأصول في النّحو: ١/ ٣٢٩ ، وينظر: اللّمع في العربيّة: ٧٩.

(٤) ينظر: شرح ابن عقيل: ٣/ ١١٧ ، والنّحو الوافي: ٤/ ٩ ، النّحو العربيّ: ٤/ ١٢-١٧.

(٥) ينظر: الجمل في النّحو: ١٤٧ ، وشرح ابن عقيل: ٣/ ١١٧.

(٦) النّحو الوافي: ٤/ ٩ ، وينظر: شرح الرّضيّ على الكافية: ١/ ٣٤٩.

ما يُرفع به[١]. وقد علّل رضيّ الدّين الاستراباذيّ (٦٨٦هـ): قولهم (يرفع)، بقوله: "إنَّما قال ما يرفع به ليكون أعمّ من قوله: يُبنى على الضّمّ"[٢]. والمنادى العلم في بعض أحواله يكون مرخّمًا بحذف آخره[٣]، ولم أعثر على هذه الصّورة من المنادى في حِكَم النّبيّ الأعظم، وقد كثُر ورود المنادى علمًا مفردًا في حِكَم النّبيّ الأعظم، ومن شواهده، قوله (ﷺ): "يا عَلِيُّ، أربَعُ خِصالٍ مِنَ الشَّقاوَةِ: جُمودُ العَينِ، وقَساوَةُ القَلبِ، وبُعدُ الأَمَلِ، وحُبُّ البَقاءِ"[٤]. نلحظ في الحديث المبارك استعمال أداة النّداء (يا) وهي الأكثر الأكثر استعمالاً من غيرها. أمَّا المنادى (عليُّ) فجاء علمًا مفردًا مبنيًّا على الضّمّ. وجملة جواب النّداء هي الجملة الاسميّة (أربَعُ خِصالٍ مِنَ الشَّقاوَةِ...).

٢- نكرة مقصودة:

ويُقصد بها "النّكرة الّتي يزول إبهامها وشيوعها بسبب ندائها"[٥]، والمنادى هنا يكون "غير معروف الاسم؛ لكنه مقصود بالنّداء لذاته دون غيره...فالمنادى منه معيّنٌ فهو نكرةٌ، تعرّفت بالنّداء، وذلك بقصد نداء ذات معينة منه"[٦]. وحُكمها الإعرابيّ كسابقها، فهي تُبنى على الضّمّ[٧] .

ومن الشّواهد الّتي تمثّل هذا النّمط من المنادى، قوله (ﷺ): "يَقولُ اللهُ: ابنَ آدَمَ! مُلكي مُلكي، ومالي مالي، يا مِسكينُ! أينَ كُنتَ حَيثُ كانَ المُلكُ ولَم تَكُن؟! وهَل لَكَ إلّا ما أكَلتَ فَأَفنَيتَ، أو لَبِستَ فَأَبلَيتَ، أو تَصَدَّقتَ فَأَبقَيتَ؟! إمّا مَرحومٌ بِهِ وإمّا مُعاقَبٌ عَلَيهِ..."[٨]. فالمنادى في الحديث الشّريف (مِسكينُ) وهو اسمٌ نكرةٌ، اكتسب التّعريف عند طريق ندائه بـ(يا)، فصار نكرةٌ مقصودةٌ (مخصّصةٌ). وحُكمها البناء على الضّمّ في محل نصبٍ.

---

(١) ينظر: كافية ابن الحاجب: ٥٠.

(٢) شرح الرّضيّ على الكافية: ١/ ٣٤٩.

(٣) ينظر: الكتاب: ٢/ ٢٣٩ ، وشرح الرّضيّ على الكافية: ١/ ٣٩٣ ، ومعاني النّحو: ٢/ ٣٣٤.

(٤) حكم النّبيّ الأعظم: ٢/ ١٨١ ، ، وينظر: من لا يحضره الفقيه: ٤/ ٣٦٠.

(٥) النّحو الوافي: ٤/ ٢٥ ، وينظر: أساليب الطّلب بين النّحويّين والأصوليّين: ٢٧٠.

(٦) النّحو العربيّ: ٤/ ١٤ ، وينظر: الكتاب: ٢/ ١٩٩ ، والمقتضب: ٤/ ٢٠٥.

(٧) ينظر: الأصول في النّحو: ١/ ٣٣٠ ، وشرح ابن عقيل: ٣/ ١١٧.

(٨) حكم النّبيّ الأعظم: ٧/ ٦١ ، وينظر: بحار الأنوار: ٧١/ ٣٥٦.

٣- المنادى المضاف :

وهو المنادى الّذي أُضيف إلى ما بعده إضافةً تتمّم معناه، أي أنّه منقطعُ الإفادة دون إضافته إلى ما بعده، وحُكمه النّصب بالفتحة، أو حركة تنوب عنها[١] .

وأختلف النّحويّون في ناصب المنادى، فالخليل (١٧٠هـ) رحمه الله يرى أنّه نُصِب لطول المضاف حين طال الكلام، يقول سيبويه (١٨٠هـ) نقلًا عن الخليل: "زعم الخليل رحمه الله أَنَّهم نصبوا المضافَ نحو: (يا عبدَ الله) و(يا اخانا)، والنّكرة حين قالوا: (يا رجلاً صالحاً)، حين طال الكلام، كما نصبوا: (هو قبلَك) و(هو بعدَك). ورفعوا المفردَ كما رفعوا (قبلُ وبعدُ) وموضعهما واحد، وذلك قولك: يا زيدُ ويا عمرو. وتركوا التّنوين في المفرد كما تركوه في قبلُ."[٢]. وقد وصف أ. د. مهديّ المخزوميّ كلام الخليل بأنَّه بأنَّه "إصابةٌ ووجاهةٌ، واحتكامٌ إلى الاستعمال، وانتهاجٌ لغويّ في معالجة موضوعات النّحو ومسائله"[٣]. أمَّا سيبويه (١٨٠هـ) والمبرّد (٢٨٥هـ)، فيران أنَّه منصوبٌ على الفعل المتروك إظهاره، فقولنا: يا أميرَ المؤمنين، تقديره: أدعو أميرَ المؤمنين[٤] .

ومن شواهد المُنادى المُضاف في حِكَم النّبيّ الأعظم، قوله (ﷺ): "أبا ذَرٍّ، لا يُسبَقُ بَطيءٌ بِحَظِّهِ، ولا يُدرِكُ حَريصٌ ما لَم يُقَدَّر لَهُ. ومَن اعطِيَ خَيرًا فَالله عزّ وجلّ أعطاهُ، ومَن وُقِيَ شَرًّا فَإِنَّ الله وَقاهُ"[٥]. نلحظ في الحديث الشّريف أنّ أداة النّداء حُذفت تخفيفًا للكلام، وأُبقي على المُنادى وهو (أبا ذرٍّ)، فالمُنادى (أبا) منصوب بالألف؛ كونه من الأسماء السّتّة، وقد أُضيف إلى معرفة (ذرٍّ) وهو مجرور بالكسرة لإضافته.

وقد ورد المنادى مضافًا إلى ياء المتكلّم، في قوله (ﷺ): "قالَ إبليسُ: يا رَبِّ، لَيسَ أحَدٌ مِن خَلقِكَ إلّا جَعَلتَ لَهُ رِزقًا ومَعيشَةً، فَما رِزقي؟ قالَ: ما لَم يُذكَر عَلَيهِ اسمي"[٦]. فالمنادى في الحديث الشّريف (ربِّ) ورد مضافًا إلى ياء المتكلّم المحذوفة،

---

(١) ينظر: اللّمع في العربيّة: ٧٩ ، والنّحو الوافي: ٤/ ٣١.

(٢) الكتاب: ٢/ ١٨٢-١٨٣ ، وينظر: شرح الرّضي على الكافية: ١/ ٢٥٦.

(٣) في النّحو العربيّ نقد وتوجيه: ٣٠٦.

(٤) ينظر: الكتاب: ٢/ ١٨٢-١٨٣ ، والمقتضب: ٤/ ٢٠٢.

(٥) حكم النّبيّ الأعظم: ٧/ ٨٣ ، وينظر: بحار الأنوار: ٧٧/ ٧٦.

(٦) حكم النّبيّ الأعظم: ٧/ ٣٥٣ ، وينظر: حلية الأولياء: ٨/ ١٢٦.

وقد دلّ الكسر على حذفها، وحذفها هو الأجود في الكلام، من بقائها[١]. وقد ذكر سيبويه (١٨٠هـ) العلّة وراء حذفها، بقوله: "ياء الإضافة لا تثبت مع النّداء كما لم يثبت التّنوين في المفرد؛ لأنَّ ياء الإضافة في الاسم بمنزلة التّنوين؛ لأنَّها بدل من التّنوين...وصار حذفها هنا لكثرة النّداء في كلامهم، حيث استغنوا بالكسرة عن الياء"[٢] .

٤- المنادى المضارع للمضاف:

ويسمّيه ابن السّرّاج (٣١٦هـ) بـ"المضارع للمضاف بطوله"[٣]. والمقصود به "هو كلّ ما كان عاملًا فيما بعده نصبًا أو رفعًا"[٤]. أو هو "كلّ مُنادى جاء بعد معمولٍ يتمّم يتمّم معناه، سواءٌ أكان هذا المعمول مرفوعًا بالمنادى، أم منصوبًا به، أم مجرورًا بالحرف – لا بالإضافة– والجارّ والمجرور متعلّقان بالمنادى، أم معطوفًا على المنادى قبل النّداء، أم نعتًا، أيضًا"[٥] .

وهذا المنادى يكون مضارعًا للمضاف، أي يكون في صورته اللّغويّة مركّبًا من مضافٍ ومضافٍ إليه، بيد أنّه فُصل بينهما بفاصلٍ منع الإضافة، وهذا الفاصل واحدٌ ممّا يلي: (التّنوين، حرف الجرّ، ونونا التّثنية والجمع، وأداة التّعريف –سوى في مواضع–، وحرف العطف)، وحُكم المنادى المضارع للمضاف نصبه بالفتحة، أو ما ينوب عنها[٦] .

ومثال ما ورد في حِكَم النّبيّ الأعظم على هذه الصّورة من صور المنادى، قوله(ﷺ): "يا شاهِدًا غَيرَ غائِبٍ، يا قَريبًا غَيرَ بَعيدٍ"[٧]. نلحظ في الحديث المبارك أنَّ النّداء تكوّن من ركنين، الأوّل أداة النّداء (يا) المكرّرة في موضعين. والثّاني المنادى (شاهِدًا، قريبًا)، وهو منادى مضارعٌ للمضاف. والمعمول الّذي تمّم معناه (غيرَ غائب، غيرَ بعيد) وهو منصوب به. وهذا يفسّر لنا أنَّ ما قعّده النّحويّون من قواعد وضوابط للمنادى المضارع للمضاف جاءت موافقةً لما ورد في الحديث الشّريف.

---

(١) ينظر: المقتضب: ٤/ ٢٤٥.

(٢) الكتاب: ٢/ ٢٠٩.

(٣) الأصول في النّحو: ١/ ٣٤٤.

(٤) اللّمع في العربيّة: ٧٩.

(٥) النّحو الوافي: ٤/ ٣٢.

(٦) ينظر: النّحو العربيّ: ٤/ ١٧-١٨.

(٧) حكم النّبيّ الأعظم: ١/ ٦٢٤، وينظر: البلد الأمين ٦٠٤.

المبحث الثّاني

جُملةُ الاستفهامِ

الاستفهام بمفهومه العامّ هو معنى من معاني الطّلب، يمثّل أسلوبًا لغويّاً يلجأ إليه المتكلّم للاستعلام عمّا في ضمير المخاطَب، ويمثّل أيضًا طلبًا إنشائيًّا لفهم صورة ما في الذّهن[١] .

وقد يسمّيه بعض اللّغويّين في استعمالاتهم اللّغويّة بـ(الاستخبار)، فهو عندهم مصطلحٌ مرادفٌ للاستفهام؛ إذ يعبّران هذان المصطلحان عن مفهومٍ واحدٍ. فابن فارس (٣٩٥هـ) سوّى بين المصطلحين، يقول في ذلك: "الاستخبارُ طلب خُبْر ما ليس عند المستخبِر، وهو الاستفهام"[٢]. والحال نفسها عند الجرجانيّ (٤٧١هـ)؛ إذ يقول: "(الاستفهامَ) استخبارٌ، والاستخبارَ هوُ طَلَبٌ منَ المُخاطَب أن يُخْبرك"[٣] .

وذكر ابن يعيش (٦٤٣هـ) أنَّ "الاستفهام والاستعلام والاستخبار بمعنى واحدٍ. فالاستفهام: (مصدر استفهمتُ)، أي: طلبت الفهمَ وهذه السّين تفيد الطّلب، وكذلك الاستعلام والاستخبار مصدرا (استعملتُ) و(استخبرتُ)"[٤] .

وقد فرّق بعض النّحويّين بين المصطلحين؛ إذ ذكر الرّمانيّ (٣٨٤هـ) في حدوده أنّ مصطلح (الاستخبار) يفيد معنى طلب الخبر، والاستفهام يفيد معنى طلب الفهم[٥]. وفرّق الزّركشيّ (٧٩٤هـ) بين المصطلحين بالنّظر إلى سبق أحدهما في الكلام، يقول في ذلك: "الِاستِخبَارَ مَا سُبِقَ أَوَّلًا، وَلَم يُفهَم حَقَّ الفَهمِ، فَإِذَا سَأَلَت عَنهُ ثَانِيًا كَانَ استفهَامًا"[٦] .

---

(١) ينظر: التّعريفات: ١٨ ، وينظر: الطّراز المتضمّن لأسرار البلاغة: ٥٣٢ ، وفي التّحليل اللّغويّ: ١٠٥.

(٢) الصّاحبي: ١٨٦.

(٣) دلائل الإعجاز: ١٤٠.

(٤) شرح المفصّل: ٨/ ١٥٠.

(٥) ينظر: الحدود في النّحو، الرّمّانيّ: ٧٣.

(٦) البرهان في علوم القرآن: ٢/ ٣٢٦ ، وينظر: الصّاحبي: ١٨٦.

ومـا ذكـره الرّمّـانيّ عـين الصّـواب، فطلـب الخبـر مختلـفٌ عـن طلـب الفهـم، إذ إنَّ المصـطلحين يشـتركان بمعنـى واحـد وهـو (الطّلـب)؛ ولكنهمـا يختلفـان مـن حيـث أداء ذلـك المعنى.

وللاسـتفهام أدواتـه الّتـي تميـز بهـا عـن بقيـة الأسـاليب اللّغويّـة وهـي: "الهمـزة، وهـل، ومـا، ومـن، وأيّ، وكـم، وكيـف، وأيـن، وأنَّـى، ومتـى، وأيّـان...وهـذه الكلمـات ثلاثـة أنـواعٍ: أحـدها يخـتصّ طلـب حصـول التّصـوّر، وثانيهـا يخـتصّ طلـب حصـول التّصـديق، وثالثهـا لا يخـتصّ"[١]. وهـذه الأدوات كلّهـا أسـماء مـا خـلا (الهمـزة وهـل) فهمـا حرفـان لا محـلَ لهما من الإعراب، وهذه الأسماء مبنيّةٌ كلّها سوى (أيّ) فإنّها معربة[٢] .

ولهـذه الأدوات صـدارتها علـى جملتهـا، يقـول الزّمخشـريّ (٥٣٨هـ): "للاسـتفهام صـدر الكـلام لا يجـوز تقـدم شـيء ممّـا فـي حيـزه عليـه لا تقـول ضـربت أزيـداً ومـا أشـبه ذلـك"[٣]. والعلّـة فـي تلـك الصّـدارة هـو أن تـؤدّي معنـى الاسـتفهام الّـذي وضـعت مـن أجلـه؛ وليكـون كـلّ جـزءٍ فـي الجملـة داخـلًا فـي حيـز الاسـتفهام؛ ولأنّ تأخيرهـا عـن صـدر الجملـة يفقـدها دلالتها الاستفهاميّة[٤] .

يقسّـم أسـلوب الاسـتفهام فـي نظـر البلاغيّـين والنّحـويّين بحسـب الطّلـب علـى ثلاثـةِ ضروب[٥] :

الأوّل: مـا يُطلـب بـه (التّصـديق) مـرّة، والتّصـوّر مـرّة أخـرى، ويكـون هـذا الضّـرب بـ(الهمزة فقط).

الثّاني: ما يُطلب به (التّصديق) فقط، ويكون بـ(هل) فقط.

الثّالث: يُطلب به (التّصوّر) فقط، ويكون بأسماء الاستفهام فقط (بقية الأدوات).

---

(١) مفتاح العلوم: ٥٣١ ، وينظر: التّراكيب اللّغويّة في العربيّة: ١٤.

(٢) ينظر: النّحو العربيّ: ١/ ٤٢١.

(٣) المفصّل في صنعة الإعراب: ٤٣٨.

(٤) ينظر: شرح المفصّل: ٨/ ١٥٥ ، وشرح الرّضيّ على الكافية: ٤/ ٣٣٦ ، والتّراكيب اللّغويّة في العربيّة: ١٩.

(٥) ينظر: مفتاح العلوم: ٥٣١ ، وجواهر البلاغة: ٨٧.

لذا سيكون تناولنا للجملة الاستفهاميّة في حِكَم النّبيّ الأعظم على ضوء هذا التّقسيم، وفيما يلي أنماط كلّ جملة مصدّرة بأداة من تلك الأدوات:

أوّلًا: الجملة المصدّرة بهمزة الاستفهام:

تستعمل الهمزة حرفًا غيرَ عاملٍ للاستفهام، تميز هذا الحرف دون غيره من أدوات الاستفهام خصائص جوهريّة متعددة، جعلته أكثر استعمالًا من غيره، فهو يستعمل للتّصديق والتصوّر، ويدخل على الحرف والاسم والفعل، وعلى المثبت والمنفي[١]؛ لذا أطلق عليها النّحويّون "أمّ هذا الباب والغالبة عليه"[٢]. فضلاً عن الاستفهام فقد تستعمل (الهمزة) في معانٍ أخرى، وفقًا للسّياق الّذي ترد فيه، ومن هذه المعاني: التّسوية، والإنكار، والتّقرير، والتّوبيخ، والتّعجّب، والاستبطاء، والأمر، وغيرها من المعاني[٣] .

وأوّلى الخصائص الّتي أشرنا إليها، هي أنّها تستعمل للتّصديق والتّصوّر، ويراد بالتّصديق أن يكون الاستفهام "عن نسبة المسند إلى المسند إليه أو عن مضمون الجملة، فإذا استفهمتَ المخاطَب بقولك: (هل جاءَ زيدٌ؟)...إنَّما تُستفهم عن صحّة وقوع مضمون الجملة، أو عن صحّة نسبة المسند إلى المسند إليه"[٤] .

وقد وردت الهمزة للتصديق متصدّرة الجملة الاستفهاميّة في غير موضعٍ من حِكَم النّبيّ الأعظم، ومن تلك المواضعَ، قوله (ﷺ): "أَتَدرونَ لِمَ سُمِّيَ شَعبانُ شَعبانَ؟ لأَنَّهُ يَتَشَعَّبُ مِنهُ خَيرٌ كَثيرٌ لِرَمَضانَ، وإنَّما سُمِّيَ رَمَضانُ رَمَضانَ: لأَنَّهُ تُرمَضُ فيهِ الذُّنوبُ – أي تُحرَقُ–"[٥] .

نلحظ في الحديث المبارك أنَّ الهمزة تصدّرت الجملة الفعليّة المضارعيّة، والاستفهام في الحديث الشّريف غير حقيقي، فالرّسول (ﷺ) لا يُستفهم عن شيءٍ مجهولٍ، وإنَّما جاء بالاستفهام في بداية الحديث؛ لتشويق المتلقّين، وشدّ انتباههم لما سيذكره من فضلٍ عظيمٍ لشهري شعبان ورمضان.

---

(١) ينظر: معاني الحروف للرمّانيّ: ٣٢ ، وشرح الرّضيّ على الكافية: ٤/ ٤٤٦ ، والجنى الدّاني: ٣٠

(٢) شرح المفصّل: ٨/ ١٥١ ، وينظر: في النّحو العربيّ نقد وتوجيه: ٢٦٥.

(٣) ينظر: مغني اللّبيب عن كتب الأعاريب: ١/ ٢٣ ، ومعاني النّحو: ٤/ ٢٣٢.

(٤) أساليب الطّلب عند النّحويّين والبلاغيّين: ٣١٥ ، وينظر: مفتاح العلوم: ٥٣١.

(٥) حكم النّبيّ الأعظم: ٦/ ١٥ ، وينظر: كنز العمّال: ٨/ ٥٩١.

ومن جملة شواهد الهمزة الّتي ترد للتّصديق، قوله (ﷺ): "لَن تُؤمِنوا حَتّى تَحابُّوا. أفَلا أدُلُّكُم عَلَى ما تَحابُّوا عَلَيهِ؟ قالوا: بَلى يا رَسول اللهِ. قالَ: أفشُوا السَّلامَ بَينَكُم تَحابُّوا. وَالَّذي نَفسي بِيَدِهِ، لا تَدخُلُوا الجَنَّةَ حَتّى تَراحَموا"(١). فالهمزة في الحديث الشّريف دخلت على جملة فعليّة مضارعيّة منفيّة، والاستفهام في الحديث الشّريف للتّقرير، يقول رضي الدّين الاستراباذيّ (٦٨٦هـ): "إذا دخلت الهمزة على النّافي، فلمحض التّقرير، أيْ حمل المخاطب على أن يقرَّ بأمرٍ يعرفه"(٢). وقد كان جواب الصّحابة بـ(بلى) "وبَلى إيجاب لما بعد النّفي"(٣)، ومعنى جوابهم: بلى دُلّنا على ما نتحابُّ عليه.

وقد تدخل الهمزة على الجملة الاسميّة، كما في الحديث المبارك التّالي: "جاءَ رَجُلٌ إلى النّبيّ ﷺ قالَ: يا رسولَ اللهِ، أفِي المالِ حَقٌّ سِوَى الزَّكاةِ؟ قالَ: نَعَم، على المُسلمِ أن يُطعِمَ الجائعَ إذا سَألَهُ ويَكسُوَ العارِيَ إذا سَألَهُ. قالَ: إنّهُ يَخافُ أن يَكونَ كاذِبًا، قالَ: أفلا يَخافُ صدقةً؟"(٤). نلحظ أنَّ الهمزة في الحديث الشّريف وردت في موضعين، الأوّل منهما تصدّرت فيه الجملة الاسميّة (في المالِ حقٌّ). وفي الموضع الثّاني تصدّرت الجملة الفعليّة المضارعيّة المنفيّة (أفلا يخاف).

ففي الموضع الأوّل كان الاستفهام حقيقياً؛ كون السّائل يستفهم عن شيءٍ مجهولٍ في ذهنه. وفي الموضع الثّاني خرج الاستفهام إلى غرض الإنكار التّوبيخيّ(٥). التّوبيخيّ(٥). فالرّسول ﷺاستعمل الاستفهام لإنكار اعتذار الرّجل عن التّصدّق خوفًا من أن يكون السّائل كاذبًا. فأنكر الرّسول ذلك عليه، وحثّه على تجنّب ضياع الأجر.

ومن تلك الخصائص الّتي تتميز بها الهمزة، تتصدّرها على أحرف العطف (الفاء، الواو، ثمّ)، فقد ذكر النّحويّون أنَّ "الأصل في ذلك تقديم حرف العطف على الهمزة؛

(١) حكم النّبيّ الأعظم: ٦/ ٤٠٧ ، وينظر: المستدرك على الصّحيحين: ٤/ ١٨٥.
(٢) شرح الرّضيّ على الكافية: ٤/ ٤٤٧.
(٣) المفصّل في صنعة الإعراب: ٤١٥.
(٤) حكم النّبيّ الأعظم: ٧/ ٤١٧ ، وينظر: بحار الأنوار: ٧٥/ ٤٦١.
(٥) ينظر: معاني الحروف للرّمّانيّ: ٣٢.

لأنّها من الجمل المعطوفة؛ لكن راعوا أصالة الهمزة في استحقاق التّصدير"[١]. وتدخل (الهمزة) أيضًا على الجمل المنفيّة[٢]. وقد وردت هاتان الخصيصتان في الحديث المبارك التّالي: "مَرَّ رسولُ اللهِ (ﷺ) على رَجُلٍ واضِعٍ رِجلَهُ على صَفحَةِ شاةٍ وهُو يُحِدُّ شَفرَتَهُ، وهي تَلحَظُ إلَيهِ بِبَصَرِها، قالَ: أفلا قَبلَ هذا؟ أوَتُرِيدُ أن تُميتَها مَوتَتَين؟"[٣]. نلحظ في الحديث الشّريف قد وردت الهمزة في موضعين، في الأوّل منهما تصدّرت على حرف العطف (الفاء)، وتدخلت على جملة فعليّة منفيّة بـ(لا)، وقد أفادت معنى التّعجب[٤]. وفي الموضع الثّاني تصدّرت على حرف العطف (الواو)، وخرج الاستفهام في هذا الموضع لغرض التّوبيخ[٥] .

أمَّا الاستفهام الّذي يكون للتّصوّر، فيكون فيه نسبة المسند إلى المسند إليه معروفة لدى المستفهم؛ لكنّه يستفهم عن مفردٍ طالبًا تعيينه، نحو (متى جاء عليّ؟)، فمضمون الجملة، ونسبة المسند إلى المسند إليه معروفان عند المستفهم؛ بيد أنّه يجهل وقت مجيئه، لذا يكون الجواب بتعيين وقتٍ معينٍ[٦] .

ومثال ما وردت فيه الهمزة للتّصوّر في حِكَم النّبيّ الأعظم، في وصيته (ﷺ) لأبي ذرٍّ: "يا أبا ذرٍّ، لا يكونُ الرّجُلُ مِن المُتَّقينَ حتّى يُحاسِبَ نَفسَهُ أشَدَّ مِن مُحاسَبَةِ الشَّريكِ لِشَريكِهِ، فيَعلَمَ مِن أينَ مَطْعَمُهُ، ومِن أينَ مَشرَبُهُ، ومِن أينَ مَلبَسُهُ؟ أمِن حِلٍّ ذلكَ، أم مِن حَرامٍ؟"[٧]. فالهمزة الواردة في الحديث الشّريف هي للتّصوّر، ونلحظ في الحديث الشّريف ورود (أم) المعادلة في سياقها. فقد ذكر النّحويّون أنّ المستفهم عنه يستحسن أن يكون بعد (أم) مباشرةً[٨] .

---

(١) الجنى الدّاني في حروف المعاني: ٣١.

(٢) ينظر: شرح الرّضي على الكافية: ٤/ ٤٤٧ ، وشرح المفصّل: ٨/ ١٥١.

(٣) حكم النّبيّ الأعظم: ٦/ ٥٤٩ ، وينظر: التّرغيب والتّرهيب: ٢/ ١٥٦.

(٤) ينظر: معاني الحروف للرّمانيّ: ٣٣.

(٥) ينظر: معاني النّحو: ٤/ ٢٣٤.

(٦) ينظر: جواهر البلاغة: ٨٨ ، وأساليب الطّلب بين النّحويّين والبلاغيّين: ٣١٥.

(٧) حكم النّبيّ الأعظم: ٤/ ٢٨٧ ، وينظر: كنز العمّال: ٣/ ٦٩٩.

(٨) ينظر: الكتاب: ٣/ ١٦٩-١٧١ ، ومغني اللّبيب عن كتب الأعاريب: ١/ ٢٢.

ويجوز حذف همزة الاستفهام للتّخفيف إذا دلّ عليها دليل[١]. وقد وردت الهمزة محذوفة في قوله (ﷺ): "أفضَلُ النّاسِ مَن عَشِقَ العِبادَةَ، فَعانَقَها وأحَبَّها بِقَلبِهِ وباشَرَها بِجَسَدِهِ وتَفَرَّغَ لَها، فَهُوَ لا يُبالي عَلى ما أصبَحَ مِنَ الدُّنيا عَلَى عُسرٍ أم عَلى يُسرٍ؟"[٢]. نلحظ أنَّ الاستفهام الوارد في الحديث المبارك استفهامٌ حُذفت أداته للتّخفيف، للتّخفيف، وهي الهمزة، وقد دلّت (أم) المعادلة على حذفها، وتقديرها (أعلى عُسرٍ أم عَلى يُسرٍ؟). والهمزة هنا للتّسوية؛ إذ إنَّ "همزة التّسوية لا يراد بها الاستفهام الحقيقي، بل هي وما بعدها على معنى الخبر"[٣] .

ثانيًا: الجُملة المُصدّرة بـ(هل):

تُعدُّ (هل) من الحروف الهوامل[٤]، وهي حرف الاستفهام المُناظِر للهمزة؛ بيد أنّها أقلُّ تصرفًا في الاستعمال، فالهمزة تدخل في مواضعَ لا تدخلها (هل)، كما أنَّ (هل) لا تكون إلّا للتّصديق، أي أنَّ الاستفهام بها يكون فقط لمضمون الجملة، فلا يُستفهم بها للتّصوّر[٥] .

ويُستفهم بـ(هل) عن الجملة الاسميّة والفعليّة، وقد ورد الاستفهام بها في تراكيب لغويّة متعددة في حِكَم النّبيّ الأعظم. ومثال الاستفهام بها عن الجملة الاسميّة، قوله (ﷺ) : "كانَ رَسولُ الله (ﷺ) إذا صَلّى بِالنّاسِ الغَداةَ، أقبَلَ عَلَيهِم بِوَجهِهِ فَقالَ: هل فيكم مَريضٌ أعودهُ؟ فَإن قالوا: لا، قالَ: فَهَل فيكُم جِنازَةٌ أتبَعها؟"[٦]. نلحظ (هل) في الحديث المبارك أنَّها تكرّرت في موضعين، وفي كليهما كان الاستفهام حقيقيًا عن مضمون الجملة الاسميّة.

أمَّا دخولها على الجملة الفعليّة في حِكَم النّبيّ الأعظم، فمثاله في قوله (ﷺ): "ما مِن صَباحٍ ولا رَواحٍ إلا وبِقاعُ الأرض تُنادي بَعضُها بَعضًا: يا جارَةُ، هَل مرَّ بِكِ

(١) ينظر: المفصّل في صنعة الإعراب: ٤٣٨ ، وشرح المفصّل: ٨/ ١٥٤.
(٢) حكم النّبيّ الأعظم: ٧/ ٤٨٦ ، وينظر: الكافي: ٢/ ٨٣.
(٣) معاني النّحو: ٤/ ٢٣٣ ، وينظر: مغني اللّبيب عن كتب الأعاريب: ١/ ٢٤-٢٥.
(٤) ينظر: معاني الحروف للرّمانيّ: ١٠٢.
(٥) ينظر: الكتاب: ٤/ ٢٢٠ ، وشرح المفصّل: ٨/١٥١-١٥٢ ، وشرح الرّضيّ على الكافية: ٤/ ٤٤٧ ، ومغني اللّبيب عن كتب الأعاريب: ٢/ ٤٠٣.
(٦) حكم النّبيّ الأعظم: ٧/ ٣٠٧ ، وينظر: كنز العمّال: ٧/ ٥٠.

صـالِحٌ صَـلّى عَلَيـكِ أو ذَكَـرَ الله؟ فَـإن قالَـت: نَعَـم، رَأت لَهـا بِـذلِكَ فَضـلًا"[١]. نلحـظ أنَّ حـرف الاسـتفهام (هـل) فـي الحـديث الشّـريف دخـل علـى جملـةٍ فعليّـةٍ ماضـويّةٍ (مـرَّ)، والاستفهام هنا حقيقيٌ.

ومثـال دخولهـا علـى جملـةٍ فعليّـةٍ مضـارعيّةٍ، قولـه (ﷺ): "سُـئِلَ النَّبِـيُّ (ﷺ): هَـل يَأكُـلُ الشَّـيطانُ مَـعَ الإنسـانِ؟ فَقـالَ: نَعَـم، مائِـدَةٌ لَـم يُذكَر "بِسـمِ اللهِ" عَلَيهـا يَأكُـلُ الشَّـيطانُ مَعَهُـم، ويَرفَـعُ الله البَرَكَـةَ عَنهـا"[٢]، فـ(هل) فـي الحـديث المبـارك دخلـت علـى جملـةٍ فعليّـةٍ مضـارعيّةٍ (يأكـلُ). ويـرى سـيبويه (١٨٠هــ) وعـددٌ مـن البلاغيّـين أنَّ حـرف الاسـتفهام (هـل) عنـد دخولـه علـى فعـل مضـارع فـإنَّ الفعـل يتخصّـص معـه للاسـتقبال، ممّـا دفـع بعضهم للقول بأنّ لها تأثيرًا معنويًّا في الفعل[٣] .

ثالثًا: الجملة المتصدّرة باسم استفهام:

أسماء الاستفهام هـي "كنايـاتٌ حُملـت علـى الهمـزة وهـل، ويُسـتفهم بهـا عـن المفـرد اسـمًا كـان أو جملـة، وهـي: مَـن، مـا، وأيّ، وكيـف، وأيـن، وأيَّـان، ومتـى، وأنَّـى، وكـم الاسـتفهاميّة. وهـذه الاسـماء جميعهـا مبنيّـة إلّا (أيًّـا) فإنّهـا معربـةٌ"[٤]. والعلّـة وراء بنـاء هـذه هذه الأسماء هي لتضمّنها معنى الهمزة[٥] .

وهـذه الأسـماء لهـا الصّـدارة فـي الكـلام كمـا بيّنـا، فهـي "لا تكـون مفعـولاً بـه، ولا مفعـولاً فيـه مـن فعـل قَبلَهـا بـل مـن فعـلٍ بَعـدَها إلاّ (مـاذا)، فـإنَّهم قـالوا فيهـا : (فعلـتَ مـاذا)، ولا تكـون مبتـدأ إلاّ مُقـدَّمًا علـى الخبـر، ولا خبـرًا إلاّ مُقـدَّمًا علـى المبتـدأ، ولا حـالاً إلاّ مُقـدَّمًا على صاحبه، ولا مفعولاً مُطلقًا إلاّ مُقدَّمًا على عامله"[٦] .

وقـد وردت هـذه الأسـماء فـي حِكَـم النّبـيّ الأعظـم كلّهـا مـا خـلا (أيَّـان) لـم تـرد، وفيمـا يلي الأدوات الّتي وردت في حِكَمه المباركة:

---

(١) حكم النّبيّ الأعظم: ٥/ ٢٥٠ ، وينظر: بحار الأنوار: ٨٢/ ٢٣٤.

(٢) حكم النّبيّ الأعظم: ٧/ ٣٥٣ ، وينظر: بحار الأنوار: ٩٢/ ٢٥٨.

(٣) ينظر: الكتاب: ٣/١٧٥-١٧٦ ، ومفتاح العلوم: ٥٣٢ ، وأساليب الطّلب بين النّحويّين والبلاغيّين: ٣٦٩.

(٤) التّراكيب اللّغويّة في العربيّة: ١٩.

(٥) ينظر: المقرّب: ١/ ٢٨٩ ، وشرح المفصّل: ٢/ ٤١.

(٦) التّراكيب اللّغويّة في العربيّة: ١٩ ، وينظر: النّحو العربيّ: ٤/ ٤٤٤.

١- (مَنْ):

اسم استفهام مبنيّ على السّكون، تستعمل للسّؤال عن كلِّ ما هو عاقلٌ، وهي لا تستعمل إلّا للتّصوّر[١]. يقول السّكّاكيّ (٦٢٢هـ): "وأمَّا (مَنْ)، فالسّؤال عن الجنس من ذوي العلم، تقول: مَنْ جبريلٌ؟ بمعنى أبشرٌ هو أم ملكٌ أم جنّيٌ"[٢] .

وقد وردت في حِكَم النّبيّ الأعظم الجملة الاستفهاميّة مصدّرةً بـ(مَنْ)، ومثالها قوله (ﷺ): "الدّينُ النَّصيحَةُ، قُلنا: لِمَن؟ قالَ لله، ولكِتابِهِ، وَلِرَسولِهِ، ولأَئمَّةِ المُسلِمينَ، وعامَّتِهِم"[٣]. نلحظ أنَّ اسم الاستفهام الوارد في الحديث الشّريف هو (من)، وقد أُستعمِل للسّؤال عن العاقل. ويُعرب هنا في محلِ جرٍ بحرف الجرّ (اللّام).

٢- (ما):

ذكرها سيبويه (١٨٠هـ) ضمن أدوات الاستفهام؛ إذ قال: "وعلى هذا الحدِّ[٤] يجري ما، ومتى، وكيف، وكم، وأين"[٥]. أمَّا استعمالها، فهي "لذات غير الآدميّين، ولصفات الآدميّين"[٦]، ومثال ورودها في حِكَمه (ﷺ)، ما ورد في الحديث الشّريف التّالي: "كانَ النَّبيُّ (ﷺ) إذا بَلَغهُ عَنِ الرَّجُلِ الشَّيءُ، لَم يَقُل: ما بالُ فُلانٍ يَقولُ؟ ولكِن يَقولُ: ما بالُ أقوامٍ يَقولونَ كَذا وكَذا ؟!"[٧]. نلحظ في الحديث الشّريف أنَّ الرّسول (ﷺ) استفهم بها عن صفة الشّيء العاقل استفهامًا مجازيًّا خرج لغرض الإنكار التّوبيخيّ. أمَّا إعرابها، فهي في محلِ رفع مبتدأ.

٣- أنّى:

ذكر سيبويه (١٨٠هـ) (أنَّى) ضمن أدوات الاستفهام بقوله: "و(أنَّى) تكون في معنى كيف وأين"[٨]. و(أنَّى) هي اسم استفهام تستعمل للسّؤال عن الحال وتكون بمعنى (كيف)، والمكان وتكون بمعنى (أين)، والزّمان وتكون بمعنى (متى)[٩] .

---

(١) ينظر: الكتاب: ٤/ ٢٢٨ ، ومغني اللّبيب عن كتب الأعاريب: ١/ ٣٣٠ ، ومعاني النّحو: ٤/ ٢٦٧.

(٢) مفتاح العلوم: ٥٣٥.

(٣) حكم النّبيّ الأعظم: ٢/ ٦٣٢ ، وينظر: صحيح مسلم: ١/ ٧٤.

(٤) يُريد به الاستفهام.

(٥) الكتاب: ٣/ ١٧٥ ، وينظر: النّحو العربيّ: ٤٤٩/٤-٤٥٠.

(٦) المقتضب: ٤/ ٦٣ ، وينظر: اللّمع في العربيّة: ١٥٠.

(٧) حكم النّبيّ الأعظم: ٤/ ٣١٦ ، وينظر: شعب الإيمان: ٦/ ٢٦٥-٢٦٦.

(٨) الكتاب: ٤/ ٢٣٥.

(٩) ينظر: اللّمع في العربيّة: ١٥٠ ، وشرح الرّضيّ على الكافية: ٣/ ٢٠٢-٢٠٣ ، ، والتّراكيب اللّغويّة في العربيّة: ٢٦.

وهـذه الأداة مـن أقـلّ الأدوات حضـورًا فـي حِكَمـه (ﷺ)؛ إذ لـم تـرد إلّا بمعنـى (كيـف، وأيـن). ومـن الجمـل الّتـي تصـدّرتها (أنَّـى) بمعنـى (كيـف)، قولـه (ﷺ): "الرَّجُـلُ يُطيـلُ السَّـفَرَ أشـعَثَ أغبَـرَ يَمُـدُّ يَدَيـهِ إِلَـى السَّـماءِ: يـا رَبِّ يـا رَبِّ، ومَطعَمُـهُ حَـرامٌ، ومَشـرَبُهُ حَـرامٌ، ومَلبَسُـهُ حَـرامٌ، وغُـذِّيَ بِـالحَرامِ، فَـأَنّى يُسـتَجابُ لِـذٰلِكَ"[1]. نلحـظ فـي الحـديث الشّـريف الشّـريف اسـتعمل الرّسـول (ﷺ) أداة الاسـتفهام (أنَّـى) وهـي هنـا بمعنـى (كيـف)؛ إذ تعـرب فـي محـل نصـب حـال. وأنَّ الاسـتفهام فـي الحـديث الشّـريف مجـازيٌّ غرضـه النّفـي أي: لا يُسـتجاب لـه ذلـك. وقـد يُحمـل المعنـى المجـازيّ فـي الحـديث المبـارك علـى غـرض التّعجب.

ومثـال مجيئهـا بمعنـى (أيـن)، قولـه (ﷺ): "يَجـيءُ الرَّجُـلُ يَـومَ القِيامَـةِ ولَـهُ مِـنَ الحَسَـناتِ كَالسّـحابِ الرُّكـامِ أو كَالجِبـالِ الرّواسـي، فَيَقـولُ: يـا رَبِّ، أنّـى لـي هـذا ولَـم أعمَلهـا ؟! فَيَقـولُ: هـذا عِلمُـكَ الَّـذي عَلَّمتَـهُ النّـاسَ يُعمَـلُ بِـهِ مِـن بَعـدِكَ"[2]. فأسـم الاسـتفهام (أنَّـى) فـي الحـديث الشّـريف بمعنـى (أيـن)، أي: مـن أيـن لـي هـذا؟! ، وهـي فـي هـذا الموضـع فـي محل نصب مفعول فيه ظرف مكان. والاستفهام هنا مجازيٌّ خرج لغرض التّعجّب.

٤- أَينَ:

وهـي اسـم اسـتفهام مـبهم، خـاصّ للاسـتفهام عـن الامكـان، وذكـر النّحويّـون أنّـه لا يسـتعمل إلّا لهـذا الغـرض، قـال سـيبويه (١٨٠هـ): "ونظيـرُ مَتَـى مـن الأَمـاكن: (أَيـنَ) ولا يكـون (أَيـنَ) إلاَّ للأَمـاكن، كمـا لا يكـون مَتَـى إلاّ للأَيّـام"[3]، ومثـال مـا ورد فـي حِكَـم النّبـيّ الأعظـم مـن اسـتعمال اسـم الاسـتفهام (أيـن)، قولـه (ﷺ): "يَقـولُ البـلاءُ كُـلَّ يَـومٍ: إلـى أيـنَ أتَوَجَّـهُ؟ فَيَقـولُ الله تَعـالى: إلـى أحبـابي وأُولـي طـاعَتي، أبلـو بِـكَ أخبـارَهُم، وأختَبِـرُ بِـكَ صَـبرَهُم، وأُمَحِّـصُ بِـكَ ذُنـوبَهُم، وأرفَـعُ بِـكَ دَرَجـاتِهِم"[4]. فـ(أين) فـي الحـديث الشّـريف أُستعمِلت للاستفهام عن المكان، وهي في محل نصب مفعول فيه ظرف مكان.

---

(١) حكم النّبيّ الأعظم: ٥/ ٤٣٦ ، وينظر: صحيح مسلم: ٢/ ٧٠٣.

(٢) حكم النّبيّ الأعظم: ٤/ ٢١ ، وينظر: بحار الأنوار: ٢/ ١٨.

(٣) الكتاب: ١/٢١٩-٢٢٠ ، وينظر: شرح المفصّل: ٧/ ٤٥ ، ومفتاح العلوم: ٥٣٧.

(٤) حكم النّبيّ الأعظم: ٢/ ٢٤٤ ، وينظر: كنز العمّال: ٣/ ٣٤١.

٥- متى:

وهي اسم استفهام يستعمل للسّؤال عن الزّمان، سواءٌ أكان ماضيًّا أم مستقبلًا، وهي بمعنى (أيٌّ حينٍ)، واستعمالها للاستفهام عن الزّمان يُغني عن استعمال أسماء الزّمان جميعها[١]. ومثال ما ورد من شاهد استعملت فيه (متى) أداة للاستفهام، قوله (ﷺ): "حتّى متى تَرعَوُونَ عن ذِكرِ الفاجِرِ؟! اهتِكُوهُ حتّى يَحذَرَهُ النّاسُ"[٢]. نلحظ أنّ اسم الاستفهام الوارد في الحديث الشّريف هو (متى)، وقد استفهم به الرّسول (ﷺ) عن الزّمان استفهامًا مجازيًّا خرج لغرض التّوبيخ. وتعرب (متى) في الحديث المبارك في محل جرّ بحرف الجرّ (حتّى).

٦ -كم:

وهي اسمٌ يُستفهم به عن العدد المبهم، وتمييزها لا يكون إلّا نكرةً مفردًا منصوبًا، وقد يكون مجرورًا حين تدخل (الباء) عليها، نحو: (بكم درهمٍ سعر القماش؟)[٣]. اختلف جَمهور النّحويّين في أصل (كم)، فذهب نحويّو البصرة إلى أنّ (كم) مفردةٌ لا تركيبَ فيها؛ لكون الإفراد هو الأصل. وذهب نحويّو الكوفة إلى أنّها مركّبة من (كاف) التّشبيه، و(ما) الاستفهاميّة، فصارت (كما)، وحُذِفت الألف منها؛ لكثرة الاستعمال، فصارت (كم)[٤] .

ومثال ما ورد في حديثه المبارك، قوله ﷺ : "إنَّ اللهَ إذا أدخَلَ أهلَ الجَنَّةِ الجَنَّةَ، وأهلَ النّارِ النّارَ، قالَ: يا أهلَ الجَنَّةِ، كَم لَبِثتُم فِي الأَرضِ عَدَدَ سِنينَ؟ قالوا: لَبِثنا يَوما أو بَعضَ يَومٍ. قالَ: لَنِعمَ مَا اتَّجَرتُم في يَومٍ أو بَعضِ يَومٍ، رَحمَتي ورِضواني وجَنَّتِي، امكُثوا فيها خالِدينَ مُخَلَّدينَ"[٥]. فالاستفهام الوارد في الحديث الشّريف هو استفهامٌ عن عددٍ مبهمٍ، أُستعملت فيه أداة الاستفهام (كم)، وتمييزها محذوف تقديره (يوماً) بدلالة السّياق عليه.

---

(١) ينظر: الكتاب: ٤/ ٢٣٣ ، شرح المفصّل: ٧/ ٤٥ ، وشرح الرّضيّ على الكافية: ٣/ ٢٠٤.

(٢) حكم النّبيّ الأعظم: ٥/ ٧٨ ، وينظر: كنز العمّال: ٣/ ٥٩٦.

(٣) ينظر: الجمل في النّحو: ١٣٤-١٣٥ ، وشرح المفصّل: ٥/ ١٢٦ ، والتّراكيب اللّغويّة في العربيّة: ٢٦-٢٧.

(٤) ينظر: الإنصاف في مسائل الخلاف: ١/ ٢٤٣-٢٤٦ مسألة رقم (٤٠) ، ومغني اللّبيب عن كتب الأعاريب: ١/ ٢١٠.

(٥) حكم النّبيَ الأعظم: ٣/ ٥٢٦ ، وينظر: الدّرّ المنثور: ٥/ ١٧.

٧- كيف:

وهي اسم استفهام يجري مجرى الظّروف، ويكون بمعنى (على أيّةِ حالٍ)، يستعمل للاستفهام عن الأحوال العامّة[١]. و(كيف) محل خلاف بيّن سيبويه (١٨٠هـ) وبين الأخفش والسّيرافيّ (٣٦٨هـ)، فهي عند سيبويه ظرفٌ وموضعها عنده النّصب دائمًا. وعند الأخفش والسّيرافيّ اسمٌ غيرُ ظرفٍ، وموضوعها عندهما الرّفع مع المبتدأ، والنّصب مع غيره[٢]. وقد ردّ الأستاذ الدّكتور هادي نهر القول القائل بظرفيتها، بقوله: "أمَّا كونها ظرفًا، فغير مقبولٍ؛ إذ إنَّها ليست زماناً أو مكاناً؛ ولكنها تفسّر بقولك: (على أيّ حالٍ)؛ لكونها سؤالًا عن الأحوال العامّة. ولهذا سمّيت ظرفاً، ولأنَّها في تأويل الجارّ والمجرور. فتسميتها ظرفاً من باب المجاز"[٣] .

ومثال ما ورد منها في حِكَم النّبيّ الأعظم، قوله (ﷺ): "كيف أنتم بَعدي إذا شَبِعتُم مِن خُبزِ البُرّ وَالزّيتِ، وأكَلتُم ألوانَ الطَّعامِ ولَبِستُم أنواعَ الثِّيابِ؛ فَأَنتمُ اليَومَ خَيرُ أم ذاكَ؟ قُلنا: ذاكَ. قالَ: بَل أنتمُ اليَومَ خَيرٌ"[٤]. فقد وقع بعد اسم الاستفهام اسمًا معرفة (أنتم)، فتعرب في هذا الموضع في محل رفع خبر مقدّم وجوبًا على رأي الأخفش والسّيرافيّ، والضّمير المنفصل بعدها مبتدأ مؤخّر.

وقد وردت (كيف) في محل نصب في قوله (ﷺ): "كيفَ يُقَدِّسُ اللهُ قَومًا لا يُؤخَذُ لِضَعيفِهِم مِن شَديدِهِم؟!"[٥]. نلحظ أنَّ اسم الاستفهام الوارد في الحديث الشّريف (كيف)، يعرب في هذا الموضع في محل نصب حال باتّفاق النّحويّين. والاستفهام في الحديث الشّريف خرجت عن معناه الحقيقيّ إلى معنى مجازيّ دلّ فيه على النّفي، أي: لا يقدّس الله قومًا.

٨- أيّ:

وهذا الاسم يتميز دون غيره من أسماء الاستفهام بكونه معربًا، مُلازمًا للإضافة معنى ولفظًا، يستفهم به عمّا يُميّز أحد المشاركين في أمرٍ يعمّها[٦].

---

(١) ينظر: الكتاب: ٢/ ١٢٨ ، والمفصّل في صنعة الإعراب: ٢١٧ ، تسهيل الفوائد وتكميل المقاصد: ٢٤٢.

(٢) ينظر: مغني اللّبيب عن كتب الأعاريب: ١/ ٢٣٠-٢٣١.

(٣) التّراكيب اللّغويّة في العربيّة: ٢٣.

(٤) حكم النّبيّ الأعظم: ٧/ ١٨٣ ، وينظر: شعب الإيمان: ٧/ ٢٨٣.

(٥) حكم النّبيّ الأعظم: ٦/ ٥٠٤ ، وينظر: عوالي اللّئاليّ: ١/ ٣٧١.

(٦) ينظر: الكتاب: ٢/ ٣٩٨ ، ومفتاح العلوم: ٥٣٥-٥٣٦ ، والنّحو الوافي: ٣/ ١٠٤ ، والتّراكيب اللّغويّة في العربيّة: ٢١.

قال المبرّد (٢٨٥هـ): "إنَّ (أيًّا) يُسأل بها عن شيءٍ من شيءٍ، تقول: أيُّ القوم زيدٌ؟ فزيدٌ واحدٌ منهم، وأيُّ بنيك أحبّ إليك؟"(١). أمَّا استعمالها، فتحدّده الإضافة، فهي بحسب ما تُضاف إليه، فـ"إن أضفتها إلى الزّمان فهي زمان، وإن أضفتها إلى المكان فهي مكان، إلى أي شيءٍ أضفتها كانت منه"(٢) .

ومن الجمل المتصدّرة بـ(أيّ)، قوله (ﷺ): "ما أدري بأيِّهما أنا أسرُّ بقدوم جعفر أو بفتح خيبر"(٣). نلحظ أنَّ اسم الاستفهام الوارد في الحديث الشّريف هو (أيّ)، أُستفهم به عن غير العاقل؛ إذ أُضيفت إلى الضّمير المتّصل بها، العائد على حدث قدوم جعفر ونصر خيبر، والاستفهام في الحديث الشّريف خرج عن معناه الحقيقي إلى معنى التّعجّب والسّرور.

وحريٌّ بنا في هذا الموضع التّطرّق إلى ما ذكره الأستاذ الدّكتور مصطفى جواد في مصنّفه الشّهير (قل ولا تقل) من أنّه لا يجوز عودة الضّمير على متأخّرٍ لفظًا ورتبة في قولنا: (أيّهما أفضل الصّدق أم الكذب) ويرى أنّ هذا التّركيب اللّغويّ غير جائز في العربيّة(٤).

وما ذكره الأستاذ خلافٌ لما ورد في الحديث الشّريف؛ إذ إنَّ استعمال الرّسول (ﷺ) لـ(أيّهما) يفند ما ذهب إليه الأستاذ. فضلًا عن ذلك فإنَّ النّحويّين لم يذكروا هذه المسألة في المواضع الّتي يعود فيها الضّمير على متأخّر لفظًا ورتبةً(٥) .

ومن جملة تلك الشّواهد الّتي وردت فيها (أيّ) أداة للاستفهام، قوله (ﷺ): "أيُّكُم مالُ وارِثِهِ أحَبُّ إلَيهِ مِن مالِهِ ؟ قالوا : يا رسولَ اللهِ ، ما مِنّا أحدٌ إلّا مالُهُ أحَبُّ إلَيهِ مِن مالِ وارِثِهِ. قالَ: فإنَّ مالَهُ ما قَدَّمَ ، ومالَ وارِثِهِ ما أخَّرَ"(٦). فاستعملت (أيّ) في الحديث الشّريف للاستفهام عن العاقل؛ لأنّها أُضيفت إليه، وقد أزيل إبهامها بإضافتها إلى اسم معرفة، وهو الضّمير (الكاف)؛ إذ دلّت في هذا الموضع على متعدّدٍ حقيقي وهم الحضور الّذين وجه إليهم السّؤال(٧)، وتعرب في هذا الموضع مبتدأ.

---

(١) المقتضب: ٤/ ٢١٧.

(٢) شرح المفصّل: ٧/ ٤٤.

(٣) السّيرة النّبويّة: ٣/ ٨١٨.

٤ ينظر: قل ولا تقل: ١/ ٢٣-٢٤ .

(٥) ينظر: مغني اللّبيب عن كتب الأعاريب: ٢/ ٥٦٢ ، والنّحو الوافي: ١/ ٢٥٨.

(٦) حكم النّبيّ الأعظم: ٤/ ٥٠٦ ، وينظر: الترغيب والترهيب: ٢/ ٥٠.

(٧) ينظر: النّحو الوافي: ٣/ ١٠٥.

المبحث الثّالِث

جُملـة الأمـرِ

جملـة الأمـر هـي الجملـة الّتـي يكـون فيهـا المنسـد إليـه فعـل أمـر أو مـا تضـمّن معنـاه، وتمثّـل هـذه الجملـة أسـلوبًا لغويًّـا ينـدرج تحـت أسـاليب الطّلـب الإنشـائيّ. وهـذا الأسـلوب اللّغـويّ نقـيض النّهـي، وذلـك لأنّ النّهـي طلـبٌ يـراد بـه تـرك إيقـاع الفعـل، والأمـر خـلاف لذلك[١] .

عقـد سـيبويه (١٨٠هـ) فـي موسـوعته النّحويّـة بابًـا لهـذا الأسـلوب تحـت عنـوان "هـذا بـاب الأمـر والنّهـي"[٢] تحـدّث فيـه عـن طبيعـة هـذا الأسـلوب، والصّـيغ الّتـي تسـتعمل فيـه. ومـع تنـاول سـيبويه لهـذا البـاب إلّا أنّـه كغيـره مـن أسـاليب الطّلـب لـم يحـضَ ببـابٍ مسـتقلٍّ فـي كتـب النّحـو المتـأخّرة؛ إذ لـم يُعقـد لـه بـابٌ يُبحـث فيـه تضـاعيفه عـن صـيغه وتراكيبـه وطبيعتـه العامّـة، والمعـاني الّتـي يسـتعمل فيهـا؛ إذ كانـت دراسـتهم إليـه فـي أبـوابٍ متفرقـةٍ من كتب النّحو[٣] .

وبـالعودة إلـى جملـة الأمـر، وتركيبهـا مـن فعـل الأمـر أو صـيغٍ أخـرى، نجـد أنّ الزّمخشـريّ (٥٣٨هـ) قـد وصـف فعـل الأمـر وصـفًا دقيقـاً؛ إذ يقـول فيـه: "وهـو الّـذي علـى طريقـة المضـارع للفاعـل المخاطـب لا تخـالف بصـيغته صـيغته، إلّا أن تنـزع الزّائـدة فتقـول: فـي تضـعُ ضـعْ، وفـي تضـاربُ ضـاربْ، وفـي تـدحرجُ دحـرجْ، ونحوهـا ممّـا أوّلـه متحـرك؛ فـإن سَـكَنّ زدتَ همـزة وصـلٍ لـئلا يُبتـدأ بالسّـاكن، فتقـول فـي تَضْـرِبُ اضـربْ، وفي تنطلقُ وتستخرجُ انطلقْ واستخرجْ"[٤] .

أمَّـا المفهـوم العـامّ لهـذا الأسـلوب، فقـد حـدّه يحيـى بـن حمـزة العلـويّ (٧٤٩هـ)، بأنَّـه "صـيغةٌ تسـتدعي الفعـل، أو قـولٌ يُنبـئُ عـن اسـتدعاء الفعـل مـن جهـة الغيـر علـى جهـة الاسـتعلاء"[٥]. وفـي حـدّ العلـويّ توضـيحًا دقيقًـا لمعنـى هـذا الأسـلوب؛ إذ جمـع بـين طلـب

---

(١) ينظر: لسان العرب: ١/ ٢٠٣ (أمر).

(٢) الكتاب: ١/١٣٧-١٤٤.

(٣) ينظر: أساليب الطّلب بين النّحويّين والبلاغيّين: ٨٣.

(٤) المفصّل في صنعة الإعراب: ٣٣٩ ، وينظر: شرح المفصّل: ٧/ ٥٨.

(٥) الطّراز المتضمّن لأسرار البلاغة: ٥٣٠ ، وينظر: التّعريفات: ٣٤.

القيام بالفعل، وطلب القيام به على جهة الاستعلاء؛ إذ إنَّ الأصل في هذا الأسلوب أن يكون على جهة الاستعلاء.

فالأمر حين يكون صادرًا من جهةٍ عُلا يسمّى (أمرًا حقيقيًا)، أمَّا إذا كانت الرّتبة بين الآمر والمأمور متساويةً عندئذٍ يخرج عن معناه الحقيقي إلى معنى مجازيّ كالالتماس أو الدّعاء، ويُفهم هذا المعنى عن طريق قرينة معنويّة أو سياقيّة تتوافر في النّصّ[1]، وقد نبّه سيبويه (١٨٠هـ) الى أنّ الدّعاء في حقيقته أمرٌ، يقول في ذلك: "اعلم أَنّ الدّعاءَ بمنزلة الأمر والنّهي، وإنَّما قيل: (دعاءٌ) لأنَّه استُعظِمَ أَن يقال: أمرٌ أو نَهيٌ"[2] .

وأمَّا الصّيغ الّتي يكون بها هذا الأسلوب، فهي أربعٌ[3] :

١- فعل الأمر (افْعَلْ)، نحو: طهّر، خُذ، ارمِ، ادعُ...

٢- لام الأمر (لِيَفْعَلْ)، الّتي تتّصل بالفعل المضارع، نحو قوله تعالى: ﴿لِيُنفِقْ ذُو سَعَةٍ مِّن سَعَتِهِ﴾[4] .

٣- اسم فعل الأمر، نحو قوله تعالى: ﴿ وَغَلَّقَتِ الْأَبْوَابَ وَقَالَتْ هَيْتَ لَكَ ﴾[5] .

٤- المصدر النّائب عن فعل الأمر، نحو قولنا: (ضربًا العدو) و(سعيًا في عمل الخير).

وقد وردت هذه الصّيغ الأربعة في حِكَم النّبيّ الأعظم، وفيما يأتي تفصيل لكلّ صيغة من تلك الصّيغ:

أوّلًا: صيغة فعل الأمر:

إنَّ فعل الأمر شكّل محط خلاف بين النّحويّين، بصريّين وكوفيّين، سواءٌ في أصله أم في حُكمه. فمن حيث أصله كان الخلافُ دائرًا حول الإجابة عن أهو قسمٌ قائمٌ في

(١) ينظر: مفتاح العلوم: ٥٤٣ ، والتّلخيص في علوم البلاغة: ١٧٠ ، النّحو الوافي: ٤/ ٣٦٦.

(٢) الكتاب: ١/ ١٤٢.

(٣) ينظر: التّلخيص في علوم البلاغة: ١٦٨ ، وجواهر البلاغة: ٨٠ ، والأساليب الإنشائيّة في النّحو العربيّ: ١٤.

(٤) سورة الطّلاق، آية: ٧.

(٥) سورة يوسف، آية: ٢٣.

ذاتـه كـالفعلين المضـارع والماضـي أم هـو جـزءٌ مقتطـعٌ مـن غيـره؟. فنحويّـو الكوفـة ذهبـوا إلـى أنَّـه مقتطـعٌ مـن المضـارع وأصـله (ليفعـلْ)، وذهـب البصـريّون إلـى أنّـه قسمٌ قـائمٌ بذاتـه ولـيس بمقتطـعٍ مـن فعـل آخـر. وترتّـب علـى خلافهـم فـي أصـله خلافهـم فـي حُكمـه، فـذهب نحويّـو البصـرة إلـى أنَّـه مبنـيٌّ علـى السّـكون، وذهـب الكوفيّـون إلـى عكـس ذلـك؛ إذ يـرون أنّه معربٌ مجزومٌ بالسّكون، أو ما ينوب عنها[1] .

أمَّـا أحـوال بنائـه عنـد البصـريّين، فهـي أربـعٌ، الأوّلـى بنـاؤه علـى السّـكون، إذا لـم يتّصـل بـه شـيء يغيـر حركـة بنائـه الأصـليّة، نحـو (قـمْ، اضـربْ، اسـمعْ). والحـال الثّانيـة بنـاؤه علـى الفـتح إذا اتّصـلت بـه نـون التّوكيـد (الخفيفـة والثّقيلـة)، نحـو: (اضـربَنَّ، اكتـبَنْ)، والثّالثـة بنـاؤه علـى حـذف حـرف العلّـة إذا كـان معتـلّ الآخـر نحـو (ارمِ، ادعُ)، والحـال الرّابعـة والأخيـرة هـي بنـاؤه علـى حـذف النّـون إذا أُسـند إلـى يـاء المخاطبـة أو ألـف الأثنـين أو واو الجماعة نحو (اكتبي، اذهبا، اخرجوا)[2] .

ويتميـز فعـل الأمـر عـن غيـره مـن الأفعـال بـأمرين: الأوّل منهمـا دلالتـه علـى الطّلـب (الأمـر) نحـو: (اتـركْ، قـمْ...)، والثّـاني قبولـه يـاء المخاطبـة، عنـد أمـر المؤنـث نحـو: (اتركـي، قـومي)، وزاد النّحويّـون علـى هـذين الأمـرين قبولـه (نـون التّوكيـد) نحـو: (اضربَنَّ)[3] .

وتُعَـدُّ صـيغة فعـل الأمـر مـن أكثـر صـيغ أسـلوب الأمـر اسـتعمالاً فـي حِكَـم النّبـيّ الأعظـم؛ إذ تنوّعـت أنماطهـا بتنـوّع حـالات بنائـه، فـورد مبنيًّـا علـى السّـكون، لـم يتّصـل بـه شـيء، أُسـند الفعـل فيهـا إلـى المفـرد المخاطَـب، ومثـال ذلـك مـا ورد فـي حِكمتـه (ﷺ) للإمـام علـيّ (عليـه السّـلام) لمّـا اسـتعمله علـى الـيمن: "قَـدِّمِ الوَضـيعَ قَبـلَ الشَّـريفِ، وقَـدِّمِ الضَّـعيفَ قَبـلَ القَـوِيِّ"[4]. نلحـظ فـي الحِكمـة المباركـة فعـل الأمـر (قـدّم)، وقـد ورد مبنيًّـا علـى السّـكون، وحُـرك بالكسـر منعًـا لالتقـاء سـاكنين، وفاعلـه ضـميرٌ مسـتترٌ فيـه تقـديره

(١) ينظر: الإنصاف في مسائل الخلاف: ٢/ ٤٢٧ مسألة رقم (٧٢) ، وشرح الرّضي على الكافية: ٤/ ١٢٥ ، وشرح ابن عقيل: ١/ ٢٠ ، وهمع الهوامع: ١/ ٢٦-٢٧.

(٢) ينظر: النّحو الوافي: ١/ ٨٠- ٨١.

(٣) ينظر: شرح قطر النّدى: ٣٠ ، وشرح شذور الذّهب: ١٦ ، وهمع الهوامع: ١/ ١٦.

(٤) حكم النّبيّ الأعظم: ٢/ ٦٢٢ ، وينظر: السّنن الكبرى: ١٠/ ٢٢٧.

(انت). والأمر في الحديث الشّريف، أمرٌ حقيقيٌّ لم يخرج لأيّ غرضٍ آخر؛ إذ هو أمر بين الحاكِمِ المتمثّل بالرّسول (ﷺ)، وعامله في اليمن المتمثّل بالأمام عليّ (عليه السّلام).

وأمَّا النّمط الّذي يكون فيه الفعل معتلّ الآخر، فمثاله ما ورد في الحديث الشّريف: عندما قال له ثعلبة بن حاطب: "يا رَسولَ اللهِ، ادعُ الله، أن يَرزُقَني مالًا: قَليلٌ تُؤَدّي شُكرَهُ خَيرٌ مِن كَثيرٍ لا تُطيقُهُ"[1]. فالفعل الوارد في الحديث المبارك (ادعُ) مبنيٌّ على حذف حرف العلّة وهو (الواو)، والاستفهام هنا مجازيٌّ غرضه الالتماس؛ إذ إنَّ الرّجل يلتمس من النّبيّ ﷺ الدّعاء له.

أمَّا بناؤه على حذف النّون، فمثاله في قوله (ﷺ): "حاسِبوا أنفُسَكُم قَبلَ أنْ تُحاسَبوا، وزِنوها قَبلَ أنْ تُوزَنوا، وتَجَهَّزوا للعَرضِ الأكبَرِ"[2]. فقد وردت في الحديث الشّريف أفعال أمر هي: (حاسِبوا، وزِنوها، وتَجَهَّزوا) وهي أفعالُ أمرٍ بُنيت على حذف النّون؛ لاتّصالها بواو الجماعة. والأمر في الحديث الشّريف خرج لغرض التّوجيه والإرشاد[3] .

وآخر نمط من أنماط بناء فعل الأمر، هو بناؤه على الفتح، وذلك عند اتّصاله بنوني التّوكيد، وممّا ورد من مثالٍ في حِكَمه ﷺ المباركة جاء فيه فعل الأمر مبنيًّا على الفتح، ما ورد في قوله (ﷺ) يوم الأحزاب: "فَانزِلَنْ سَكِينَةً عَلَينا" [4]. نلحظ أنّ الفعل (انزِلَنْ) الوارد في الحديث مبنيٌّ على الفتح؛ لاتّصاله بنون التّوكيد الخفيفة. وقد خرج الأمر عن معناه الحقيقي إلى غرض الدّعاء.

ثانياً: صيغة لام الأمر المتّصلة بالفعل المضارع (لِيَفْعَلْ):

وهذه الصّيغة الثّانية من صيغ أسلوب الأمر، بيد أنّ هذه الصّيغة لا تأتي على هيئة فعل الأمر نحو: (اضربْ)، وإنَّما لامٌ مقترنةٌ بالفعل المضارع نحو: (ليضربْ)، فتؤدّي

(١) حكم النّبيّ الأعظم: ٧/ ١٩٦ ، وينظر: بحار الأنوار: ٢٢/ ٤٠.
(٢) حكم النّبيّ الأعظم: ٢/ ٥٤٢ ، وينظر: بحار الأنوار: ٧٠/ ٧٣.
(٣) ينظر: مفتاح العلوم: ٥٤٣ ، والتّلخيص في علوم البلاغة: ١٦٩.
(٤) حكم النّبيّ الأعظم: ٦/ ٣٢٠ ، وينظر: كنز العمّال: ١٠/ ٣٣٤.

وظيفة معنويّة وهي طلب حدوث الفعل[١]. فضلاً عن الوظيفة الإعرابيّة وهي (الجزم) الّذي تحدثه في الفعل المضارع[٢]، ويكثُر اطّرادها في فعل الغائب، ويقلُّ دخولها على فعل المتكلّم[٣] .

وممّا وردت فيه اللّام في حِكَم النّبيّ الأعظم، قوله (ﷺ): "مَن أتاه أخوهُ مُتَنصَّلاً فَليَقبَلْ ذَلكَ مِنهُ. مُحِقّاً كانَ أو مُبطِلاً. فإن لَم يَفعَل لَم يَرِد عَلَيَّ الحَوضَ"[٤]، وقوله عليه الصّلاة والسّلام: "إذا ظَهَرَتِ البِدَعُ ولَعَنَ آخِرُ هذِهِ الأُمَّةِ أوَّلَها، فَمَن كانَ عِندَهُ عِلمٌ فَليَنشُرهُ؛ فَإنَّ كاتِمَ العِلمِ يَومَئذٍ كَكاتِمِ ما أنزَلَ اللهُ عَلى مُحَمَّدٍ"[٥]. نلحظ في الحديثين المباركين وردت (لام الأمر) متّصلة بالفعل المضارع (فَليَقبَلْ، فَليَنشُرهُ)؛ إذ جزمتِ الفعل المضارع بعدها. وقد سُكّنت هذه اللّام في الموضعين كليهما؛ كونها مسبوقةً بحرف العطف (الفاء)، وأصل "تحريكها الكسر، وسُلَيم تفتحها، وإسكانها بعد الفاء والواو أكثر من تحريكها"[٦] .

ووردت أيضًا مسبوقة بـ(الواو) العاطفة، وبـ(الفاء) الواقعة في جواب الشّرط، في قوله (ﷺ): "إذا نَعَسَ أحَدُكُم في صَلاتِهِ فَلِيَنصَرِف ولِيَرقُد"[٧]. واللّام في الحديث الشّريف كسابقه؛ إذ إنَّها دخلت على الفعل المضارع (فلينصرفْ، وليرقدْ) وجزمته، وأفادت معنى طلب إحداث الفعل.

ثالثًا: صيغة اسم فعل الأمر:

إن لغتنا العربيّة تتضمّن ألفاظًا تؤدّي ما يؤدّيه الفعل من معنى، بيد أنّها ليست من أصناف الفعل؛ إذ تخالفه من حيث الصّيغة، والتّصرّف، كما أنَّها لا تقبل علامات الفعل[٨]، فهي في الأصل أسماء "وضعت للفعل تدلّ عليه، فأجريت مجراه ما كانت في

---

(١) ينظر: التّعريفات: ١٦٠ ، ومعاني النّحو: ٤/ ٧.

(٢) ينظر: الكتاب: ٣/ ٨ ، ومعاني الحروف للرمّانيّ: ٥٧.

(٣) ينظر: شرح الرّضي على الكافية: ٤/ ٨٤ ، ومغني اللّبيب عن كتب الأعاريب: ١/٢٤٩-٢٥٠.

(٤) حكم النّبيّ الأعظم: ٧/ ٤٧٩ ، وينظر: كنز العمّال: ٣/ ٣٧٨.

(٥) حكم النّبيّ الأعظم: ٤/ ٣٦ ، وينظر: كنز العمّال: ١/ ١٧٩.

(٦) مغني اللّبيب عن كتب الأعاريب: ١/ ٢٤٩.

(٧) حكم النّبيّ الأعظم: ٥/ ٢٧٠ ، ، وينظر: مسند أحمد بن حنبل: ١٩/ ٣٤.

(٨) ينظر: شرح ابن عقيل: ٣/ ١٣٧ ، والنّحو الوافي: ٤/ ١٤٠ ، وفي النّحو العربيّ قواعد وتطبيق: ١٤٠.

في موضوعها؛ ولا يجوز فيها التّقديم والتّأخير؛ لأنّها لا تصرّف تصرّف الفعل...وذلك قولك: صه، مه، فهذه إنَّما معناه: اسكت، واكفف"[1].

ذكر جمهور النّحويّين أنّ هذه (الألفاظ)، هي ضربٌ من الأسماء، يقول سيبويه (١٨٠هـ): "واعلم أنَّ هذه الحروف الّتي هي أَسماءٌ للفعل لا تَظهرُ فيها علامةُ المضمر، وذلك أنّها أَسماءٌ"[2] .

وقد ذكر رضيّ الدّين الاستراباذيّ (٦٨٦هـ) العلّة وراء تسميتها بهذا الاسم؛ إذ يقول: "والّذي حملهم على أن قالوا إنَّ هذه الكلمات وأمثالها ليست بأفعال مع تأديتها معاني الأفعال: أمرٌ لفظيٌّ وهو أنَّ صيغها مخالفةٌ لصيغ الأفعال، وأنَّها لا تتصرّف تصرّفها ويدخل اللّام على بعضها والتّنوين في بعض، وظاهرٌ كون بعضها ظرفاً، وبعضها جارًّا ومجروراً"[3] .

ولما كانت الأفعال في قسمتها ماضيّةً، ومضارعةً، وأمرًا، كانت هذه الأسماء على هذه القسمة أيضًا، فمنها ما يختصُّ بالماضي نحو: (هيهات) بمعنى (بَعُد)، ومنها ما يختصُّ بالمضارع نحو: (أُفٍّ) بمعنى (أتضجّرُ)، ومنها ما هو مختصٌّ بفعل الأمر نحو: (صه) بمعنى (اسكتْ)[4] .

وما يهمّنا في معرّض بحثنا هذا هو ما ورد في حِكَم النّبيّ الأعظم من اسم الفعل الأمر؛ إذ ورد اسم فعل الأمر (هَلُمَّ)، في قوله (ﷺ): "ما طَلَعَت شَمسٌ قَطُّ إلّا بُعِثَ بِجَنبَتَيها مَلَكانِ يُنادِيانِ، يُسمِعانِ أهلَ الأَرضِ إلَّا الثَّقَلَينِ: يا أيُّهَا النّاس. هَلُمّوا إلى رَبِّكُم! فَإِنَّ ما قَلَّ وكَفى خَيرٌ مِمّا كَثُرَ وألهى"[5]. فاسم فعل الأمر (هَلُمّوا) الوارد في الحديث المبارك هو بمعنى (اقبلوا، وتعالوا)؛ إذ يحمل دلالة الطّلب، وهي دلالته على معنى (افعل).

---

(١) المقتضب: ٣/ ٢٠٢.

(٢) الكتاب: ١/ ٢٤٢.

(٣) شرح الرّضيّ على الكافية: ٣/ ٨٣ ، وينظر: معاني النّحو: ٤/ ٤٠.

(٤) ينظر: شرح ابن عقيل: ٣/ ١٣٧ ، وجامع الدّروس العربيّة: ١/ ١٥٥ ، وفي النّحو العربيّ قواعد وتطبيق: ١٤٠-١٤١.

(٥) حكم النّبيّ الأعظم: ٧/ ١٩٥ ، وينظر: مسند أحمد بن حنبل: ٣٦/ ٥٣.

ومن أسماء الأفعال الواردة، (آمين)، في قوله (ﷺ): "إنَّ جَبرَئيلَ أتاني فَقالَ: مَن أدرَكَ شَهرَ رَمَضانَ وَلَم يُغفَر لَهُ فَدَخَلَ النَّارَ فَأَبعَدَهُ اللهُ، قُل: آمينَ، فَقُلتُ: آمينَ"(١). فاسم فعل الأمر (آمين) الوارد في حديثه ﷺ هو بمعنى (استجبْ، أو اجبْ)، وهو أمرٌ مجازيٌّ خرج لغرض الدّعاء، واسم الفعل هذا ملازم للدّعاء، لا يفارقه لغيره.

رابعًا: المصدر النّائب عن فعل الأمر:

تكلّم سيبويه (١٨٠هـ) عن هذه الصّيغة في كتابه؛ إذ قال: "حَمْداً وشُكراً لا كُفراً وعَجَبً، وأَفعَلُ ذلك وكَرامةً ومَسَرَّةً ونُعمَةَ عَينٍ، وحُبّاً ونَعامَ عَينٍ، ولا أَفعَلُ ذاك ولا كَيداً ولا هَمًّا، ولأَفعلنّ ذاك ورَغماً وهواناً. فإنّما يَنتصب هذا على إضمار الفعل، كأَنك قلت: أَحمَدُ الله حمدًا وأشكرُ الله شُكرًا، وكأَنَّك قلت: أَعجَبُ عَجَباً...وإنّما اختُزِلَ الفعلُ ههنا لأنَّهم جعلوا هذا بدلاً من اللّفظ بالفعل"(٢) .

وقد ورد المصدر النّائب عن فعل الأمر في حِكَم النّبيّ الأعظم في قوله (ﷺ): "خَرَجَ عَلَينا رَسولُ اللهِ صلى الله عليه وآله يَومًا ونَحنُ نَتَمارى في شَيءٍ مِن أمرِ الدّينِ ، فَغَضِبَ غَضَبا شَديدا لَم يَغضَب مِثلَهُ ، ثُمَّ انتَهَرَنا « ٢ » ، فَقالَ : مَهلًا يا امَّةَ مُحَمَّدٍ ! إنَّما هَلَكَ مَن كانَ قَبلَكُم بِهذا ، ذَرُوا المِراءَ لِقِلَّةِ خَيرِهِ ، ذَرُوا المِراءَ « ٣ » فَإِنَّ المُؤمِنَ لا يُماري"(٣). نلحظ في الحديث المبارك أنَّ الرّسول ﷺ استعمل المصدر (مهلًا)، وهو مصدرٌ ناب مناب فعل الأمر (امهِلْ).

(١) حكم النّبيّ الأعظم: ٦/ ٣٠ ، وينظر: بحار الأنوار: ٩٦/ ٣٤٢.
(٢) الكتاب: ١/ ٣١٨-٣١٩.
(٣) حكم النّبيّ الأعظم: ٦/ ٤٩٠ ، وينظر: المعجم الكبير للطّبرانيّ: ٨/ ١٥٢.

المبحث الرّابِع

جُملٌ طلبيّةٌ أُخر

يتناول هذا المبحث جملًا طلبيّة أُخر في حِكَم النّبيّ الأعظم، وهي جُملة النّهي، وجُملة الإغراء والتّحذير وجملتا العرض والتّحضيض، وجملتا التمنّي والترجّي، وفيما يلي تفصيل لكلّ جملةٍ من هذه الجمل:

أوّلًا: جُملة النّهي:

النّهي هو أسلوبٌ لغويٌّ يُطلب فيه الكف عن العمل، ويكون ذلك الطّلب على سبيل الاستعلاء(١). ويتحقّق هذا الأسلوب اللّغويّ عن طريق أداته الوحيدة الّتي يتميز بها وهي (لا)، إذ تعمل هذه الأداة الجزم عند دخولها على الفعل المضارع(٢)، وتُخلِّصُهُ من دلالته على الحال إلى دلالته على الاستقبال(٣) .

والنّهي كالأمر من حيث المعنى؛ إذ يدلُّ على طلب شيءٍ ما، يجب تحقيقه على وجه الفور، مع اشتراط الاستعلاء فيه، وفقد الأخير يخرج به إلى معانٍ أخرى، تتوقف على توافر القرائن في سياقه(٤) .

وقد تنوّع الفعل المنهيّ بهذه الأداة في حِكَم النّبيّ الأعظم، فورد مؤكّدًا وغير مؤكّدٍ، فمثال ما ورد مؤكّدًا، قوله (ﷺ): "لا يَتَمنَّيَنَّ أحَدُكُمُ المَوتَ؛ فإنّهُ لا يَدري ما قَدَّمَ لنفسِهِ"(٥). نلحظ في الحديث الشّريف أنَّ الفعل المنهي عنه هو (يَتَمنَّيَنَّ)، وقد ورد مؤكّدًا بالنّون الثّقيلة، وهو مبنيٌّ على الفتح في محل جزم.

أمَّا ما ورد من أفعال منهيّ عنها غير مؤكّدة، فأمثلتها كثيرة تفوق ما هو مؤكّد. ومن تلك الشّواهد قوله (ﷺ): "لا تَخُنْ مَن خانَكَ فتكونَ مِثلَهُ"(٦). فالفعل المنهيّ عنه

---

(١) ينظر: الإيضاح في علوم البلاغة: ١/ ٢٤٤ ، والتّعريفات: ٢٠٩ ، والإتّقان في علوم القرآن: ٣/ ٢٧٨.

(٢) ينظر: الكتاب: ١/ ١٣٦ ، ورصف المباني: ٢٦٧ ، همع الهوامع: ٤/ ٣١٠.

(٣) ينظر: رصف المباني: ٢٦٨ ، ومغني اللّبيب عن كتب الأعاريب: ١/ ٢٧٣.

(٤) ينظر: المقتضب: ٢/ ١٣٣ ، ومفتاح العلوم: ٥٤٥ ، والتّلخيص في علوم البلاغة: ١٧٠.

(٥) حكم النّبيّ الأعظم: ٢/ ٤٩٧ ، وينظر: كنز العمّال: ١٥/ ٥٥٥.

(٦) حكم النّبيّ الأعظم: ٤/ ٦٥٢ ، وينظر: بحار الأنوار: ١٠٣/ ١٧٥.

(تَخُـنْ)، وهـو فعـلٌ مضـارعٌ مسـندٌ إلـى المُخاطَـب، وقـد جُـزم بالسّـكون؛ كونـه صـحيح الآخر.

ومـن الشّـواهد الّتـي أُسـند إليهـا الفعـل المنهـي إلـى المُخاطَـب، مـا كـان إسـناده إلـى واو الجماعـة، نحـو قولـه (ﷺ): "لا تُرَوِّعُـوا المُسـلِمَ؛ فَـإِنَّ رَوعَـةَ المُسـلِمِ ظُلْـمٌ عَظـيمٌ"(١). وقولـه (ﷺ): "لا تَسُـبُّوا النّـاسَ فَتَكتَسِـبُوا العَـداوةَ بَيـنَهُم"(٢) ، نلحـظ فـي الحـديثين الشّـريفين أن الفعـل المنهـيّ عنـه وهـو (تُرَوِّعُـوا، تَسُـبُّوا) أُسـند إلـى واو الجماعـة، وقـد جُزِمـا بحـذف النّون؛ كونهما من الأفعال الخمسة.

ولعـلّ مـن المفيـد ذكـره أن الأفعـال المنهـيّ عنهـا الّتـي وردت فـي حديثـه (ﷺ) ، هـي فـي أغلبهـا مُسـندةٌ إلـى واو الجماعـة؛ ومـردُّ ذلـك أنّ حديثـه (ﷺ) موجّـه لجماعـة المسلمين، وهذا يدفعنا للقول بأنّ النّهي الموجّه للجماعة هو النّمط الغالب على أسلوب النّهي في كلامه (ﷺ)، من النّهي الموجّه إلى الفرد.

ثانيًا: جملة العرض وجملة التّحضيض:

تمثّـل جملـة العـرض والتّحضـيض إحـدى جمـل أسـلوب الطّـلب؛ إذ إنّ كـلا الجملتـين يـدلّان علـى طلـب شـيءٍ مـا، بيـد أنّ أسـلوب العـرض يكـون الطّـلب فيـه برفـقٍ ولـينٍ. والتّحضـيض يكـون فيـه الطّـلب بشـدّةٍ وحـثٍّ وإظهـارٍ للقـوّة، والأخيـرُ أشـدُّ توكيـدًا مـن الأوّل. وهاتـان الجملتـان ترتبطـان بـالتّنغيم ارتباطًـا واضـحاً؛ إذ إنّهمـا يظهـران غالبًـا فـي صـوت المتكلّم، فضلًا عن اختياره للألفاظ الّتي من شأنها تحديد أيّ المعنيين(٣) .

وحـروف العـرض والتّحضـيض فـي العربيّـة، هـي: لـولا، لومـا، هـلاّ، ألاّ، ألا، أمـا وغيرها(٤). ولم يرد من هذه الحروف في حِكَم النّبيّ الأعظم سوى (ألا، أما).

---

(١) حكم النّبيّ الأعظم: ٤/ ٥٩٨ ، وينظر: كنز العمّال: ١٦/ ١١.

(٢) حكم النّبيّ الأعظم: ٥/ ١٧ ، وينظر: الكافي: ٢/ ٣٦٠.

(٣) ينظر: الجنى الدّاني في حروف المعاني: ٣٨٢ ، ومغني اللّبيب عن كتب الأعاريب: ١/ ٨٢ ، والنّحو الوافي: ٤/ ٣٦٩ ، والأساليب الإنشائيّة في النّحو العربيّ: ١٦.

(٤) ينظر: شرح الرّضي على الكافية: ٤/ ٤٤٢ ، والجمل في النّحو: ٢٤٠-٢٤١ ، والنّحو الوافي: ٤/ ٥١٢ ، ، وأساليب الطّلب بين النّحويّين والبلاغيّين: ٤٩٨.

فأمَّا (ألا)، فتُعَدّ من أكثر الأدوات استعمالًا في العرض؛ إذ تكاد أن تنفرد به دون غيرها[١]. ومثال ما وردت فيه (ألا)، ما روي عن أنس عن رسول الله: "أَنَّهُ كانَ إذا قامَ مِنَ اللّيلِ يَقتَرِئ، زَمزَمَ قِراءَتَهُ، إلّا أنَّهُ يُفهِمُنَا الآيَةَ بَعدَ الآيَةِ. قُلتُ: يا رَسولَ اللهِ، ألا تَرفَعُ صَوتَكَ بِالقُرآنِ، قالَ: أكرَهُ أن أُؤذِيَ بِهِ رَفيقي وأهلَ بَيتي"[٢]. نلحظ في الحديث المبارك وردت الأداة (ألا) وقد أفادت العرض هنا؛ لأنّ الطّلب في الحديث الشّريف فيه رفقٌ ولين.

وقد تكون (ألا) "أداة (استفتاح وتنبيه)، فتكون بأوّل الكلام بقصد التّنبيه إلى ما يليها، والاهتمام بما يجيء بعدها"[٣]. ومن الشّواهد الّتي وردت بها (ألا) أداة استفتاح للتنبيه، قوله (ﷺ): "ألا أخبرُكُم بِخيرِ عِبادِ اللهِ؟ الضَّعيفُ المُستَضعَفُ ذُو الطِّمرَينِ، لَو أقسَمَ عَلَى اللهِ لَأَبَرَّ اللهُ قَسَمَهُ"[٤]. نلحظ أن (ألا) في الحديث المبارك وقعت في بداية الكلام؛ إذ استفتح الرّسول ﷺ حديثه بها، وقد أدّت عملاً جوهريًّا في النّصّ؛ إذ أكدت مضمون الجملة الّتي اُستفتحت بها، وعملت على تنبيه المخاطبين، وشدّ انتباههم لما سيقوله الرّسول عليه الصّلاة والسّلام [٥].

وأمَّا ما ورد من شواهد في حِكَم النّبيّ الأعظم على (أما)، قوله (ﷺ) للإمام عليّ (عليه السّلام) بعد ما آخى الرّسول بين المهاجرين والأنصار: "وَاللهِ يا عَلِيُّ. ما حَبَستُكَ إلَّا لِنفسي، أما تَرضى أن تَكونَ أخي وأنَا أخوكَ، وأنتَ أخي فِي الدُّنيا وَالآخِرَةِ. وأنتَ وَصِيّي ووَزيري وخَليفَتي في اُمَّتي..."[٦]. نلحظ في قوله المبارك للإمام عليّ (عليه السّلام) قد وردت الأداة (أما)، وقد أفادت معنى العرض، كون السّياق تضمّن طلبًا فيه رفقٌ ولين.

(١) ينظر: النّحو الوافي: ٤/ ٥١٣.
(٢) حكم النّبيّ الأعظم: ٤/ ٦٠٠ ، وينظر: مسند الشّاميّين: ٤/ ٣٠٥.
(٣) النّحو الوافي: ٤/ ٥١٢ في الهامش ، وينظر: شرح الرّضيّ على الكافية: ٤/ ٤١٢.
(٤) حكم النّبيّ الأعظم: ٣/ ٥٧١ ، وينظر: مسند أحمد بن حنبل: ٣٨/ ٤٤٥.
(٥) ينظر: شرح الرّضيّ على الكافية: ٤/ ٤٢١.
(٦) حكم النّبيّ الأعظم: ٦/ ٤٥٣ ، وينظر: بحار الأنوار: ٧٥/ ٤٤٤.

ثالثاً: جملة التّمنّي، وجملة التّرجّي:

إنَّ جملة التّمنّي تمثّل أسلوبًا لغويًّا إنشائيًّا في العربيّة، وهو أسلوبٌ يتضمّن طلب تحقيق شيءٍ ما، لا يرجى وقوعه والحصول عليه؛ لكونه مستحيلًا، أو لكون الحصول عليه ممكنًا بيد أنَّه غيرُ مطموعٍ في الحصول عليه(١).

وقد فرّق رضيّ الدّين الاستراباذيّ (٦٨٦هـ) بين التّمنّي والتّرجّي بقوله: "وماهية التّمنّي غير ماهية التّرجّي، لا أنَّ الفرق بينهما من جهةٍ واحدةٍ، وهي استعمال التّمنّي في الممكن والمحال، واختصاص التّرجّي بالممكن؛ وذلك لأنَّ ماهية التّمنّي: محبَّة حصول الشّيء، سواءٌ كنت تنتظره وترتقّب حصوله أو لا، والتّرجّي: ارتقاب شيءٍ لا وُثوقَ بحصوله"(٢) .

اختلف النّحويّون في حقيقة هذا الأسلوب اللّغويّ، فذهب بعضهم إلى أنّ هذا الأسلوب (إنشاءٌ)، مستدلّين على ذلك بأنَّ (التّمنّي) لو كان خبرًا لجاز تصديق وتكذيب قائله. وذهب آخرون إلى أنّه (إخبارٌ) بدليل قول القائل: (ليت لي دارًا)، فإنَّ معناه: (ليس لي دارٌ) أي: أنَّه إخبار(٣) .

أمَّا الأدوات الّتي تستعمل في تحقيق هذا الأسلوب، فهي (ليت، لو، هل)، و(ليت) أمّ هذا الباب والأكثر استعمالاً من سائر الأدوات، فقد ذكر النّحويّون أنّ معناها (أتمنّى)، أمّا عملها، فهي تدخل على الجملة الاسميّة، فتعمل النّصب في المبتدأ، والرّفع في الخبر(٤). ولم يرد من هذه الأدوات في حِكَم النّبيّ الأعظم سوى (لو، وليت).
وليت).

فمن الشّواهد الّتي ورد فيها التّمنّي بـ(ليت)، قوله (ﷺ) في موعظته لابن مسعود: "يا بنَ مَسعودٍ، أكثِر مِن الصَّالِحاتِ والبِرِّ؛ فإنّ المُحسِنَ والمُسِيءَ ينـدمانِ يقول

(١) ينظر: مفتاح العلوم: ٥٢٩ ، والنّحو الوافي: ١/ ٦٣٥ ، ومعاني النّحو: ١/ ٣٠٣ ، وجواهر البلاغة: ١٠١.
(٢) شرح الرّضيّ على الكافية: ٤/ ٣٣٢.
(٣) ينظر: الصّاحبي: ١٩٤، وشرح المفصّل: ٢٥/٧-٢٦.
(٤) ينظر: الكتاب: ٤/ ٢٣٣، والمقتضب: ٤/ ١٠٨، ومعاني الحروف للرّمانيّ: ١١٣ ، وشرح المفصّل:٨/ ٨٤ ٨٤ ، وشرح الرّضي على الكافية: ٤/ ٣٣٢.

المُحسنُ: يا ليتني ازدّدتُ مِن الحَسَناتِ! ويقولُ المُسِيءُ: قَصَّرتُ، وتَصديقُ ذلكَ قَولُهُ تعالى: ﴿ وَلَا أُقْسِمُ بِالنَّفْسِ اللَّوَّامَةِ ﴾[1]"[2]"

نلحظ في الحديث الشّريف أنَّ أداة التّمنّي (ليت) وهي أم الباب دخلت على الجملة الاسميّة، فاسمها الضّمير المتّصل بها (الياء)، وخبرها الجملة الفعليّة الماضويّة (ازددتُ). وقد دلّت (ليت) في الحديث المبارك على تمنّي حصول المستحيل وهو عودة المحسن إلى دار الدّنيا، حتّى يزيد في حسناته.

ومن الأحاديث الشّريفة الّتي تضمّنت أداة التّمنّي (ليت)، الحديث المبارك الآتي: "قامَ أعرابِيٌّ إلى رسولِ اللهِ (ﷺ) فَقالَ: يا رَسولَ اللهِ، أكَلَتنَا الضَّبُعُ. قالَ: غَيرُ ذلِكَ أخوَفُ لي عَلَيكُم؛ الدُّنيا إذا صُبَّت عَلَيكُم صَبًّا، فَيا لَيتَ أُمّتي لا يَلبَسونَ الذَّهَبَ"[3] .

فالتّمنّي في الحديث الشّريف ورد بأداته الأمّ (ليت)، وقد عملت النّصبّ في المبتدأ (أمّتي)، والرّفع في الخبر وهو الجملة الفعليّة المضارعيّة (يلبسون الذّهبَ). وقد خرج هذا التّمنّي عن معناه الحقيقي إلى معنى مجازيّ يدور حول تحذير الأمّة من هذا العمل، وترغيبها إلى الزّهد بالدّنيا، وهذا المعنى المجازيّ يتولّد منه معنى النّهي من لبس الذّهب[4] .

ومن الحروف الّتي أدّت معنى التّمنّي في حِكَم النّبيّ الأعظم (لو)، وهذه (لو) الّتي تقع للتّمنّي اختلف النّحويّون فيها؛ إذ قالوا فيها ثلاثة آراءٍ: "الأوّل أنَّها قسمٌ برأسه، فلا تُجاب كجواب الامتناعيّة...الثّاني أنَّها امتناعيّةٌ، أُشربت معنى التّمنّي...الثّالث أنَّها مصدريّةٌ أغنت عن التّمنّي، لكونها غالبًا لا تقع إلّا بعد مفهم تمنٍّ"[5] .

فمثال (لو) الّتي لا تحتاج إلى جواب كجواب الشّرط ، ما ورد في الحديث المبارك التّالي: "رُوِيَ أنَّ النَّبِيّ (ﷺ) لَمَا كُسِرَت رَباعِيَتُهُ وشُجَّ وَجهُهُ يَومَ أحَدٍ، شَقَّ ذلِكَ عَلى

---

(١) سورة القيامة، آية: ٢.

(٢) حكم النّبيّ الأعظم: ٣/ ٥٤٢ ، وينظر: بحار الأنوار: ٧٧/ ١٠٤.

(٣) حكم النّبيّ الأعظم: ٧/ ١٦٣ ، وينظر: مسند أحمد بن حنبل: ٣٥/ ٤٣٣.

(٤) ينظر: مفتاح العلوم: ٥٢٩.

(٥) الجنى الدّاني في حروف المباني: ٢٨٩ ، وينظر: شرح ابن عقيل: ٢٣/٤-٢٤ ، ومغني اللّبيب عن كتب الأعاريب: ٢٩٥/١-٢٩٦.

أصحابِهِ شَقًّا شَديدًا، وقالوا: لَو دَعَوتَ عَلَيهِم، فَقالَ: إنّي لَم ابعث لَعّانًا ولكِنّي بُعِثتُ داعِيًا ورَحمَةً، اللّهُمَّ اهدِ قَومي فَإنَّهُم لا يَعلَمونَ"[1]. نلحظ في الحديث المبارك أُستعملت أداة التّمنّي (لو)، والملاحظ في هذا الموضع أنّها لم تحتج إلى جواب كجواب الشّرط، وهذا تأييدٌ لمذهب النّحويّين القائل بأنّها قسمٌ مستقلٌّ غيرُ محوجٍ لجواب.

أمَّا ورود (لو) شرطيّة مُشربة معنى التّمنّي، فمثالها فيما روي عن النّعمان بن بشير "سَمِعتُ رَسول اللهِ صلى الله عليه وآله يَخطُبُ فَقالَ: أنذَرتُكُمُ النّارَ! أنذَرتُكُمُ النّارَ! أنذَرتُكُمُ النّارَ! فَما زالَ يَقولُها حَتّى لَو كانَ في مَقامي هذا لَسَمِعَهُ أهلُ السّوقِ..."[2]. وأيضًا وفي قوله (ﷺ): "لو بَعَثتُ إلَيهِم فَنَهَيتُهم أن يَأتوا الحَجونَ لأتاهُ بَعضُهُم، وإن لَم يَكُن لَهُ بهِ حاجَةٌ"[3] .

نلحظ في الحديثين الشّريفين استعمال أداة التّمنّي (لو) في موضعين (لو كان في مقامي...)، و(لو بعثتُ إليهم...). وقد احتاجت إلى جواب، فجاء جوابها في الموضعين كليهما فعلًا ماضيًا مقترنًا باللّام. وهذا ما يعضّد الرّأي الثّاني من أنَّ (لو) شرطيّة أُشربت معنى التّمنّي.

أمَّا أسلوب التّرجّي، فهو أسلوبٌ لغويٌّ يُطلب به الشّيء المحبوب المستقرب حصوله، والأدوات الّتي يؤتى بها لأداء هذا الأسلوب هي:(لعلّ، عسى، حرى، اخلولق)، وتُعَدّ (لعلّ) الأكثر استعمالًا في هذا الأسلوب اللّغويّ[4] .

ولم يرد في حِكَم النّبيّ الأعظم سوى (لعلّ، وعسى)، أمَّا (لعلّ)، فهي كـ(أنَّ) حرفٌ مشبّهٌ بالفعل تعمل في المبتدأ النّصب وفي الخبر الرّفع، يقول سيبويه (١٨٠هـ) فيها: "وإذا قلت (لعلّ) فأنت ترجوه أو تخافه في حال ذهاب. فلعلّ وأخواتها قد عملنَ فيما بعدهن عملين: الرّفع والنّصب"[5] .

---

(١) حكم النّبيّ الأعظم: ٥/ ٥٢٨ ، وينظر: الجواهر الحسان في تفسير القرآن: ٢/ ١٠٤.

(٢) حكم النّبيّ الأعظم: ٤/ ٣٧ ، وينظر: سنن الدّراميّ: ٢/ ٣٣٠.

(٣) حكم النّبيّ الأعظم: ٤/ ٦٣٢ ، وينظر: كنز العمّال: ١٦/ ١٢٣ ، (والحجون جبلٌ بمكة) ينظر: لسان العرب: ٣/ ٦٩ (حجن).

(٤) ينظر: المقتضب: ٣/ ٧٣ ، والمفصّل في صنعة الإعراب: ٤٠٠ ، وقطر النّدى: ١٤٩.

(٥) الكتاب: ٢/ ١٤٨ ، وينظر: شرح المفصّل: ٨/ ٨٦-٨٧ ، ومغني اللّبيب عن كتب الأعاريب: ١/ ٣١٥.

ومثال ما ورد منها في حِكَم النّبيّ الأعظم، قوله (ﷺ):"ما يَمنَعُ المُؤمِنَ أَن يَتَّخِذَ أهلاً، لَعَلَّ اللهَ أن يَرزُقَهُ نَسَمةً تُنقِلُ الأَرضَ بِلا إلهَ إلَّا اللهُ"(١). نلحظ في الحديث المبارك استعمل الرّسول ﷺ (لعلّ) طلبًا للأمر المستقرب حصوله، وهو الرّزق بعد الزّواج. وقد تكون (لعلّ) في هذا الموضع هي لتحقيق مضمون الجملة الّتي دخلت عليها(٢)، أمَّا عملها فقد دخلت على الجملة الاسميّة، فاسمها في الحديث المبارك اسمٌ ظاهرٌ وهو (لفظ الجلالة)، وخبرها المصدر المؤول (أن يَرزُقَهُ نَسَمةً). وهذا الحديث خلافٌ لما ذكره المبرّد (٢٨٥هـ) من أنَّ الأحسن في خبر (لعلّ) أن يكون بغير (أنْ)؛ كونه خبر ابتداءٍ، وذكر أنَّ مجيء الخبر مقترنًا بـ(أنْ) محصورٌ بالشّعر، بقوله: "فإن قال قائلٌ في الشّعر: لعلّ زيدًا أن يقوم، جاز"(٣) .

وما ذكره المبرّد من حصر خبر (لعلّ) المقترن بـ(أنْ) بالشّعر ليس بصحيحٍ، ويفنّده حديثُ رسول الله ﷺ ؛ إذ ورد خبر (لعلّ) مقترنًا بـ(أنْ)، وكلامه ﷺ خير ما يُستشهد به بعد كلام الله عزّ وجلّ.

وقد ورد خبر (لعلّ) جملةً فعليّةً مضارعيّةً في قوله ﷺ لأبي ذرٍّ: "زُرِ القُبورَ تَذكُر بِها الآخِرَةَ، وَاغسِلِ المَوتى؛ فَإِنَّ مُعالَجَةَ جَسَدٍ خاوٍ مَوعِظَةٌ بَليغَةٌ، وصَلِّ عَلَى الجَنائِزِ لعلّ ذلِكَ يَحزُنُكَ؛ فَإِنَّ الحَزينَ في ظِلِّ اللهِ يَومَ القِيامَةِ"(٤). فاسم (لعلّ) في الحديث الشّريف اسم الإشارة (ذلك)، وخبرها الجملة الفعليّة المضارعيّة (يَحزُنُكَ). ولا أرى في هذا الحديث أنَّ (لعلّ) أدّت معنى التّرجّي المحض، فلم يكن هذا الأسلوب طلباً للحزن بقدر ما هو تحضيضٌ على أنّ يكون الإنسان في حذرٍ من غفلة الدّنيا ومتاعها الزّائل؛ إذ ينبغي عليه أن يبقى في حزنٍ وتفكّرٍ بالموت وما يقدمه للآخرة، والله أعلم.

وأمَّا أداة التّرجّي الثّانية الواردة في حِكَم النّبيّ الأعظم، فهي (عسى)؛ إذ تفيد هذه الأداة ما تفيده (لعلّ) من معنى، يقول سيبويه (١٨٠هـ): "(لعلّ) و(عسى): طمعٌ

(١) حكم النّبيّ الأعظم: ٤/ ١٣١ ، وينظر: من لا يحضره الفقيه: ٣/ ٣٨٢.

(٢) ينظر: شرح الرّضيّ على الكافية: ٤/ ٣٣٣.

(٣) ينظر: المقتضب: ٣/ ٧٤.

(٤) حكم النّبيّ الأعظم: ٢/ ٤٧٦ ، وينظر: المستدرك على الصّحيحين: ٤/ ٣٦٦.

وإشفاقٌ"[1]، وقد ذكر ابن هشام (٧٦١هـ) أن معنى (عسى) التّرجّي في الأمر المحبوب، والإشفاق في الأمر المكروه[2]. وعسى على ضربين: الأوّل أن تكون ناقصةً فتعمل عمل كان وأخواتها، والثّاني أن تكون تامّةً فعندئذٍ ترفع فاعلاً، وذلك عند إسنادها إلى مصدرٍ مؤولٍ من (أن والفعل المضارع)، والأخير هو الأكثر في الاستعمال[3] .

فمن الشّواهد الّتي وردت فيها (عسى) ناقصة في حِكَم النّبيّ الأعظم، قوله (ﷺ): "ألا هَل عَسى رجُلٌ مِنكُم أن يَتكلَّمَ بالكَلِمَةِ يُضحِكُ بها القَومَ فَيَسقُطُ بها أبعَدَ مِن السّماءِ"[4]. نلحظ في الحديث المبارك وردت (عسى) ناقصة، فاسمها الّذي ارتفع بها (رجلٌ). أمَّا خبرها، فهو المصدر المؤول (أن يَتكلَّمَ).

أمَّا ما ورد من (عسى) تامّة في حديثه المبارك، فيمثّله قوله (ﷺ): "يَهُمُّ العبدُ بالحَسَنةِ فَيَعمَلُها، فإن هو لم يَعمَلُها كَتَبَ الله لَهُ حَسَنةً بحُسنِ نِيَّتِهِ، وإن هُو عَمِلَها كَتَبَ الله له عَشرًا، ويَهُمُّ بالسّيّئةِ أن يَعمَلَها فإن لم يَعمَلها لم يُكتَب علَيهِ شيء، وإن هُو عَمِلَها اجَّلَ سَبعَ ساعاتٍ، وقالَ صاحبُ الحَسَناتِ لصاحِبِ السَّيّئاتِ وهو صاحِبُ الشِّمالِ: لا تَعجَلْ عسى أن يُتبِعَها بحَسَنةٍ تَمحُوها؛ فإنَّ الله عزّ وجلّ يقول: ﴿إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ﴾[5] "[6] .

فـ(عسى) في الحديث الشّريف وردت تامّة، وقد أُسندت إلى المصدر المؤول من (أنْ) والفعل المضارع (أن يُتبِعَها)، وهو في موضع رفع فاعل لـ(عسى) التّامّة.

إنَّ الملاحظ على أسلوبي التّمنّي والتّرجّي في الحديث الشّريف أنّهما أقلّ أساليب الطّلب ورودًا؛ ولعلّ السّبب وراء هذه القلّة متعلّقًا بمقام النّبوّة، وبطبيعة الخطاب النّبويّ؛ إذ إنّ من غير الحِكمة أنّ يطغى أسلوب التّمنّي على حديثه (ﷺ) وهو حديث تشريعيّ تربويّ للأمّة.

---

(١) الكتاب: ٤/ ٢٣٣.

(٢) ينظر: مغني اللّبيب عن كتب الأعاريب: ١/ ١٧٢.

(٣) ينظر: المقتضب: ١/ ٦٨ ، وشرح ابن عقيل: ١/ ١٥١ ، والنّحو الوافي: ١/ ٦٢٢-٦٢٣.

(٤) حكم النّبيّ الأعظم: ٧/ ٤٩٦ ، وينظر: التّرغيب والتّرهيب: ٣/ ٥٣٧.

(٥) سورة هود، آية: ١١٤ .

(٦) حكم النّبيّ الأعظم: ٥/ ٥٨٨ ، وينظر: الكافي: ٢/ ٤٢٩.

ولأنَّ الرّسالة الإلهيّة أخبارٌ ووعدٌ وتحذيرٌ؛ فقد خلا كلامه (ﷺ) من التّمنّي والتّرجّي الّذي يظهر الرّغبة الشّخصيّة؛ لأنّ إظهار تلك الرّغبة الّتي تتعلّق بالأمور المحال نيلها يمسّ بمقام النّبوّة. فكلّ ما ورد من شواهد يدور التّمنّي في معظمها نحو النّصح والإرشاد للأمّة.

رابعًا: جملة الإغراء والتّحذير:

وهذان الأسلوبان اللّغويّان من الأساليب المهمّة في العربيّة، ويقصد بالإغراء "أمر المخاطب بلزوم ما يحمدُ"(١). أمّا التّحذير، فهو "تنبيه المخاطب على أمرٍ يجب الاحترازُ منه"(٢) .

لم يكن هذا الباب ببعيدٍ عن دراسة النّحويّين؛ إذ عقد سيبويه (١٨٠هـ) بابًا في كتابه يخصُّ به هذا الأسلوب اللّغويّ، يقول فيه: "هذا باب ما جرى من الأمر والنّهي على إضمار الفِعل المستعمَلِ إظهارُه إذا عَلِمت أنّ الرّجل مُستَغن عن لَفظِكَ بالفِعل"(٣). تكلّم فيه سيبويه عن هذا الأسلوب اللّغويّ؛ إذ قال فيه عن التّحذير: "وأَمَّا النَّهي، فإنَّه التّحذيرُ، كقولك: الأَسَدَ الأَسَدَ، والجِدارَ الجِدارَ، والصّبيّ الصّبيّ، وإنّما نهيتَه أن يَقرَبَ الجِدارَ المَخوفَ المائِلَ، أو يَقربَ الأَسدَ، أو يوطئ الصّبيّ. وإن شاء أَظْهَرَ في هذه الأشياء ما أضمر من الفعل"(٤) .

يقوم هذان الأسلوبان على أركانٍ ثلاث، أوّلهما (المُغرِي/ المُحذِّر) وهو المتكلّم، والثّاني (المغرّى/ المُحذَّر) وهو المُخاطَب الّذي يتلقّى هذا الكلام، والثّالِث (المغري به/ المحذَّر منه) وهو الأمر (المرغوب/ المكروه) الّذي يُراد من المتلقّي الإقبال عليه أو تجنّبه(٥). و (المغري به/ والمحذَّر منه) في الأسلوبين كليهما يأتيان على ثلاثِ صورٍ: ١- مفرد: نحو (الصَلاةَ، السّيلَ) ٢- المكرّر: نحو (الصّيامَ الصّيامَ، النّارَ النّارَ)، ٣- المعطوف عليه: نحو (الصّلاةَ والصّيامَ، النّارَ والسّيلَ)(٦) .

و(المغري به/ والمحذَّر منه) إن كان مفردًا يكون منصوبًا بفعلٍ جائز الإضمار أو الإظهار. وإن كان معطوفًا أو مكرّرًا وجب إضمار الفعل. وقد تميّز التّحذير من نظيره

(١) شرح ابن عقيل: ٣/ ١٣٦ ، وينظر: تسهيل الفوائد وتكميل المقاصد: ١٩٢ ، والنّحو الوافي: ٤/ ١٣٦.
(٢) شرح ابن عقيل: ٣/ ١٣٥ ، وينظر: همع الهوامع: ٣/ ٢٧-٢٨، وفي النّحو العربيّ نقد وتوجيه: ٢١٣.
(٣) الكتاب: ١/ ٢٥٣ ، وينظر: المقتضب: ٣/ ٢١٢ ، والجمل في النّحو: ٢٤٤.
(٤) الكتاب: ١/ ٢٥٣.
(٥) ينظر: النّحو الوافي: ٤/ ١٢٦ ، والنّحو المصفّى: ٤٢٥.
(٦) ينظر: تسهيل الفوائد وتكميل المقاصد: ١٩٢ ، وهمع الهوامع: ٣/ ٢٧-٢٨.

بأنَّـه خُـصّ بالضّـمير (إيَّـاك) وأخواتـه؛ إذ اسـتعمل للتّحـذير، وهـو مفعـولٌ بـه لفعـلٍ واجـب الإضمار، سواءٌ أكان مفردًا أم معطوفًا أم مكرّرًا[١] .

وقـد ورد عـددٌ مـن الشّـواهد فـي حِكَـم النّبـيّ الأعظـم علـى هـذا الأسـلوب، منهـا فـي قولـه (ﷺ): "مَـثَلُكُم أيّتُهـا الأُمّـةُ كمَثَـلِ عَسـكَرٍ قَـد سـارَ أوّلُهُـم ونُـودِيَ بالرَّحيـلِ، فمـا أسـرَعَ مـا يَلحَـقُ آخِـرُهُم بـأوّلهم! واللهِ، لا الـدُّنيا فـي الآخِـرَةِ إلّا كنَفَحَـةِ أرنَـبٍ، الحَـدَّ الحَـدَّ عِبـادَ اللهِ! واستَعينوا باللهِ ربُّكُم"[٢] .

نلحـظ أنَّ فـي الحـديث الشّـريف أسـلوبَ إغـراءٍ، فـالمُغري رسـول الله (ﷺ)، والمُغـرى (عبـادَ الله) وهـو فـي الأصـل منـادى حُـذفت عنـه أداة النّـداء. أمَّـا المُغرى بـه، فهـو (الحـدَّ)، وقد ورد مكرّرًا، وعامله محذوف وجوبًا تقديره (الزموا الحدَّ).

ومـن جملـة تلـك الشّـواهد، مـا ورد عـن أبـي الحمـراء، قولـه : "إنَّ النَّبِـيّ (ﷺ) كـانَ إذا طَلَـعَ الفَجـرُ يَمُـرُّ بِبَيـتِ عَلِـيٍّ وفاطِمَـةَ عليهمـا السّـلام، فَيَقـولُ: السَّـلامُ عَلَـيكُم أهـلَ البَيـتِ، الصَّـلاةَ الصَّـلاةَ ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾[٣]"[٤] .

فـالمغري بـه فـي الحـديث الشّـريف (الصّـلاة)، وقـد جـاء بصـورةٍ مكـرّرةٍ، وهـو كالمثـال السّابق مفعولٌ به لفعلٍ محذوفٍ وجوبًا تقديره: (الزموا الصّلاةَ).

وقـد ورد التّحـذير بالضّـمير (أيّـاك) كثيـراً فـي حديثـه المبـارك، منهـا فـي قولـه (ﷺ): "إيّـاكُم وفُضـولَ النَّظَـرِ؛ فإنَّـهُ يَبِـذُرُ الهـوى، ويُوَلِّـدُ الغَفلَـةَ"[٥]. نلحـظ قـد ورد فـي الحـديث الشّـريف أسـلوب التّحـذير بالضّـمير (إيّـاكم)، وهـو المُحـذَّر، وحُكمـه النّصـب بفعـلٍ محـذوفٍ وجوبًـا. أمَّـا المُحـذَّر منـه، فهـو (فضـولَ النّظـرِ) وهـو اسـمٌ معطـوفٌ علـى الضّـمير المنفصل (أيَّاك).

---

(١) ينظر: شرح ابن عقيل: ٣/١٣٥-١٣٦.

(٢) حكم النّبيّ الأعظم: ٤/ ٦٩ ، وينظر: كنز العمّال: ١٥/ ٧٩٧.

(٣) سورة الأحزاب، آية: ٣.

(٤) حكم النّبيّ الأعظم: ٣/ ٧٩ ، وينظر: أسد الغابة: ٦/ ٧٤.

(٥) حكم النّبيّ الأعظم: ٧/ ٥٣٥ ، وينظر: بحار الأنوار: ٧٢/ ١٩٩.

الباب الثّالث

بناء النّصّ في حِكَمِ النّبيّ الأعظم

الفَصْلُ الأوّل

معياري الاتّساق والانسجام

الفَصْلُ الثّاني

القصديّة والمقاميّة والمقبوليّة

الفَصْلُ الثّالث

معياري التّناصّ والإعلاميّة

الباب الثّالِث

بِنَاءُ النَّـصِّ في حِكَمِ النَّبيِّ الأعظَمِ

توطئة :-

إنَّ الأهمّيّـة اللّغويّـة للـنّصّ بصـفته الوحـدة اللُّغويّـة الأكبـر، لا يمكـن تجاوزهـا أو الاسـتغناء عنهـا؛ لأَنَّ الـنّصَّ عنصـرٌ مهـمٌّ وجـوهريٌّ فـي بنـاء اللّغـة. فالبنـاء اللّغـويّ الّـذي كنّـا فـي صـدده، وتناولنـا فيـه بنـاء الكلمـة وبنـاء الجملـة، أرى أنَّـه لا يكتمـل دون دراسـة الـنّصّ بوصـفه الوحـدة اللّغويّـة الكبـرى. ولـذلك فـإنَّ دراسـة النّصّـوص لا يمكـن فصـلها عـن بـاقي أجـزاء البنـاء اللّغـويّ، فـالنّصّ لـيس مجموعـةً مـن المفـردات والجمـل المرصـوفة؛ بـل هـو اسـتيعابٌ شـاملٌ لكـلِّ جزئيّـةٍ لغويّـةٍ يمكـن إدخالهـا فـي الـنّصّ؛ إذ إنَّ مفـردات المعجـم مـا هـي إلَّا جثـثٌ هامـدةٌ خاليّـةٌ مـن روح النّصّـيّة، ودخولهـا فـي عـالم الـنّصّ هـو مـن يبعـث الحيـاة فيهـا. وهـذيان أحـدنا عنـد إصـابته بـالحمى لا يمكـن اعتبـاره نصًّـا متماسـكًا؛ لأنَّـه خالٍ من معايير النّصّيّة.

اختلفـت نظـرة اللّغـويّين إلـى مفهـوم الـنّصّ وماهيتـه، بـاختلاف اتجاهـاتهم اللّغويّـة؛ "إذ إنَّهـم اسـتندوا إلـى نظريّـات المـدارس اللُّغويّـة السّـابقة، ثـمّ أدخلـوا بعـض التّعـديلات الّتـي تميزهـا علـى المبـادئ الأصـليّة، وهـذا يؤكّـد عمـق الصّـلة بينهـا وبـين نظريّـات الـنّصّ بوجـهٍ عامّ"[١] .

فـالنّصّ عنـد فـان دايـك "بنيـةٌ سـطحيّةٌ توجّههـا وتحفّزهـا بنيـةٌ عميقـةٌ دلاليّـةٌ"[٢]. أي أنَّ لكـلّ نـصٍّ بنيـةً سـطحيّةً ظـاهرةً، متمثّلـة بالجمـل المرصـوفة المرتبطـة فيمـا بينهـا، وبنيـةً عميقـةً غيـرَ ظـاهرةٍ (جـوهر الـنّصّ) متمثّلـة بالأفكـار والمعـاني والعلاقـات المنطقيّـة الّتـي تربطهـا فيمـا بينهـا داخـل الـنّصّ. وأنَّ إدراك هـذه البنيـة العميقـة يسـير بنـا إلـى فهـم الـنّصّ، ومن ثُمّ يتبيّن لنا أنَّ لكلّ نصٍّ هيكلًا داخليًّا أو خطّةً يسير عليها في عرض الأفكار[٣] .

---

(١) علم لغة النّصّ المفاهيم والاتجاهات: ٧٦-٧٧.

(٢) مدخل إلى علم النّصّ مشكلات بناء النّصّ، زتسيسلاف، ترجمة سعيد حسن بحري: ٥٦.

(٣) ينظر : المصدر نفسه :٥٦.

ومـنهم مـن نظـر للـنّصّ نظـرةً بنيويّـةً محضـة؛ إذ حـدّ هـاريس الـنّصّ "بأَنَّـه تتـابع مـن جمـلٍ كثيـرة ذات نهايـة"(١). وفـي هـذا الحـدّ تضـييقٌ شـديدٌ لمفهـوم الـنّصّ؛ إذ إنَّـه حصـر المفهوم بظاهر النّصّ فقط.

أَمَّـا هبلـنش، فقـد أكّـد علـى التّماسـك النّصّـيّ وصـرّح بـأنّ الـنّصّ هـو "تتـابعٌ متماسـكٌ مـن الجمـل علـى نحـوٍ أدقّ مـن الوحـدات النّصّـيّة"(٢). وأكّـد هـذا التّماسـك هاليـداي ورقيـة حسـن فـي رؤيتهمـا لمفهـوم الـنّصّ، فكانـت نظرتهمـا إليـه "مبنيـةً علـى فكـرة التّماسـك أو الارتبـاط: تشـكّل كـلّ متتاليـةٍ مـن الجمـل نصّـاً، شـريطة أن تكـون بـين هـذه الجمـل علاقـات، أو علـى الأصـحّ بـين بعـض عناصـر هـذه الجمـل علاقـات، تـتمّ بـين عنصـر وآخـر وارد فـي جملـة سابقة أو جملة لاحقة، أو بين عنصر بين متتالية برمتها سابقة أو لاحقة"(٣) .

بيـد أننـا نجـد هلمسـليف نظـر إلـى الـنّصّ نظـرةً مغـايرةً؛ إذ "يأخـذ هلمسـليف كلمـة «نـصّ» فـي معناهـا الواسـع، ويشـير بهـا إلـى أيّ ملفـوظٍ، منطوقًـا كـان أو مكتوبًـا، طـويلاً أو مختصرًا، جديدًا أو قديمًا"(٤) .

ونجـد جوليـا كرسـتيفا نظـرت إلـى الـنّصّ بمنظـارٍ سـيميائيّ إنتـاجيّ، فـالنّصّ فـي منظارهـا إنّمـا هـو "جهـازٌ عبـر لسـانيّ يعيـد توزيـع نظـام اللّسـان بواسـطة الـرّبط بـين كـلام تواصـليّ يهـدف إلـى الأخبـار المباشـر وبـين أنمـاط عديـدة مـن الملفوظـات السّـابقة عليـه، والمتزامنـة معـه. فـالنّصّ إذن إنتاجيّـة"(٥). والملاحـظ علـى كرسـتيفا أنّهـا أخرجـت الـنّصّ مـن مفهومـه الشّـكلانيّ المغلـق، وألقـت بـه فـي فسـحة التّـاريخ والمجتمـع. فقـد سـلّطت الأضـواء بنظرتهـا السّيمائيّة على علاقة النّصّ بالنّصّوص الأخرى (التّناصّ)(٦) .

وأَمَّـا شـميث، فقـد نظـر إلـى الـنّصّ نظـرةً وظيفيّـةً تواصـليّةً. بوسـاطة الحـدّ الـذّي قدّمـه؛ إذ حـدّ الـنّصّ بأَنَّـه: "كـلُّ جـزءٍ لغـويّ منطـوقٍ مـن فعـل التّواصـل فـي حـدث التّواصـل، يحـدّد

(١) مدخل إلى علم النّصّ مشكلات بناء النّصّ، زتسيسلاف، ترجمة سعيد حسن بحري: ٥٤.
(٢) المصدر نفسه: ٥٤.
(٣) التّرابط النّصّيّ في ضوء التحليل اللّسانيّ للخطاب : ٢٨.
(٤) مدخل إلى علم النّصّ ومجالات تطبيقه : ٢٠ ، وينظر: مدخل إلى علم النّصّ مشكلات بناء النّصّ: ٥٣.
(٥) علم النّصّ، جوليا كرستيفا، ترجمة فريد الزّاهي: ٢١.
(٦) ينظر: مدخل إلى علم النّصّ ومجالات تطبيقه: ٢٣.

مـن جهـة الموضـوع، ويفـي بوظيفـة تواصـليّة يمكـن تعرُّفهـا أي يحقّـق كفـاءةً إنجازيّـةً يمكـن تعرّفهـا"[١]. يتّضـح مـن هـذا أنّ شـميث أكّـد علـى أَنَّ لكـلّ نـصٍّ وظيفـةً تواصـليّةً. فقـد اهـتمّ "بإدخـال عوامـل توليديّـة – تداوليّـة إلـى جانـب العوامـل اللُّغويّـة، وربـط بـين مفهـومي الـنّصّ والحدث الاتّصاليّ"[٢] .

ثـمّ يصـف لنـا روبـرت دي بوجرانـد الـنّصّ بقولـه: "قـد يكـون الـنّصّ أكثـر مـن كلمـةٍ واحـدةٍ، وقـد يتـألّف مـن عناصـر لـيس لهـا مـا للجملـة مـن الشّـروط مـثلًا علامـات الطّـرق، والإعــلان، والبرقيــات، ونحوهــا"[٣]. كمــا جمــع بوجرانــد فــي نظرتــه إلــى الــنّصّ بــين المفهـومين البنيـويّ والتّواصـليّ فـالنّصّ عنـده "يُعَـدُّ حالـةً تواصـليّةً تحادثيّـةً تحقّـق سـبعة معـايير لسـمات الـنّصّ، وفـي حالـة عـدم تنفيـذ أي مـن هـذه المعـايير فـلا يُعَـدُّ الـنّصّ نصّـاً تواصـليّاً"[٤]. أي أنَّ الـنّصّ محكومًـا بعـددٍ مـن المعـايير، وهـذه المعـايير هـي مـن تصـقل الــنّصّ بصــفة الشّــموليّة والتّكامــل، و هــي مــن تلبســه رداء النّصــيّة أو تجــرّده مــن ذلــك الرّداء.

يتـداخل مـع مفهـوم الـنّصّ مصـطلحٌ آخـر وهـو الخطـاب، فقـد تعـدّدت رؤيـة اللّغـويّين إليهمـا. فمـنهم مـن ذهـب إلـى أنَّ الـنّصّ مـرتبط بالوظيفـة النّصّـيّة، ودراسـة النّظـام الـدّاخليّ للــنّصّ. والخطــاب مــرتبط بالوظيفــة التّواصــليّة أي علاقــة الــنّصّ بــالمحيط الخــارجيّ، مــن حيث اتّصاله بمتلقّي النّصّ [٥] .

ومـنهم مـن ميّـز بينهمـا علـى أسـاس الشّـفاهيّ والكتـابيّ. فالخطـاب هـو الجـزء الشّـفويّ والنّصّ هو الجزء المدوّن[٦] .

وفيمـا أرى أنَّ لا فـرقَ بينهمـا، سـوى أنَّ الخطـاب أعـمُّ مـن الـنّصّ، فكلاهمـا يـدلّان علـى مفهـومٍ واحـدٍ، فدراسـة البنيـة النّصّـيّة، ودراسـة السّـياق الـدّاخليّ للـنّصّ، وتسـليط الضّـوء علـى

(١) مدخل إلى علم النّصّ مشكلات بناء النّصّ: ٥٨.
(٢) علم لّغة النّصّ المفاهيم والاتجاهات: ٨٠.
(٣) النّصّ والخطاب والإجراء: ٩٧.
(٤) النّصّ والخطاب، شتيفان، هابشايد، ترجمة موفق جواد المصلح: ٤٥.
(٥) ينظر: لسانيّات النّصّ والخطاب الشّعريّ دراسة في شعر محمد الماغوط: ١٨٨.
(٦) ينظر: نظريّة النّصّ من بنية المعنى إلى سيميائيّة الدّال: ٦٠.

القواعـد المنظمـة لبنـاء الـنّصّ، لا يمكـن فصـلها عـن المحـيط الخـارجيّ، أي دراسـة علاقـة الـنّصّ بظـروف الإنتـاج المحيطـة بـالنّصّ، وعـدم الفصـل بـين الـنّصّ والوظيفـة التّواصـليّة لـه، فقد أكّد بوجرانـد علـى عـدم فصـل الـنّصّ عـن الظّـروف المحيطـة بـه، يقـول فـي ذلـك : "ينبغـي للـنّصّ أن يتّصـل بموقـف يكـون فيـه، تتفاعـل فيـه مجموعـة مـن المرتكـزات والتّوقعات والمعارف، وهذه البيئة الشّاسعة تسمّى سياق الموقف"[١] .

ومـن المفيـد أن نشـير إلـى أنّ دراسـة الـنّصّ بوصـفه الوحـدة اللّغويّـة الكبـرى لا يعنـي مغـادرة دراسـة نحـو الجملـة، أو الاسـتغناء عنهـا، بـل أَنَّ دراسـة نحـو الجمـل هـي بدايـة الطّريـق للوصـول إلـى دراسـة الـنّصّ كـاملًا؛ "لأنّ الوصـول إلـى المعنـى الكلّـيّ يقتضـي تجـاوز الجملـة إلـى وحـدة أكبـر وهـي الـنّصّ وذلـك بتوظيـف الآليـات النّحويّـة فـي الـرّبط بـين أجزائه لما للنّحو من أهمّيّة كبيرة في تشكيل المعنى"[٢] .

والفـرق بـين نحـو الجملـة ونحـو الـنّصّ، أَنَّ نحـو الجملـة يـدرس الجملـة ذاتهـا، وقـد يـرتبط بـالمعنى فقـط، أو بالشّـكل فقـط، أو بكليهمـا الشّـكل والمعنـى. أَمَّـا نحـو الـنّصّ، فيتنـاول الـنّصّ كـاملًا، فينظـر إليـه بنظـرة الانسـجام والتّـرابط، مكونـاً مـن وحـدات لغويّـة محكومـة بمجموعـة مـن المعـايير، وهـذه الوحـدات اللّغويّـة يمكـن تحليلهـا إلـى وحـدات أصـغر[٣]. وإنَّ الجملـة تصـنّف إلـى أنـواع متعـددة: اسـميّة، فعليّـة، بسـيطة، مركّبـة... الـخ، بحسـب المعـايير اللّغويّـة التّـي يعتمـدها الباحـث فـي تصـنيف تلـك الجمـل. ولكـن فـي الـنّصّ يكـون المضـمون هـو المعيـار الوحيـد فـي التّصـنيف، فتصـنّف النّصّـوص إلـى تعليميّـة، قانونيّـة، فلسـفيّة... الخ[٤] .

(١) النّصّ والخطاب والإجراء: ٩١.

(٢)آليات التماسك النّصّيّ في إعجاز القرآن والبلاغة النّبويّة لمطصفى الرّافعيّ أنموذجًا (أطروحة دكتوراه)، منور عائشة: ٣١.

(٣) ينظر: نسيج النّصّ: ١٥ ، والنّصّ والخطاب والإجراء: ٨٩-٩٠ ، ومدخل إلى علم النّصّ ومجالات تطبيقه: ٧٦-٧٧.

(٤) ينظر: نسيج النّصّ: ١٧.

الفَصْلُ الأَوَّل

معياري الاتّساق والانسجام

المبحث الأوّل

معيار الاتّساق

أوّلًا: مفهوم الاتّساق النّصّيّ

يُعَدُّ الاتّساق عنصرًا جوهريًّا مهمًّا في تشكيل بنية النّصّ وتفسيره؛ إذ يمثّل أهمّ معياراً من معايير النّصّيّة، وترجع تلك الأهمّيّة إلى أنَّ الاتّساق يقوم بعملٍ جوهريّ في النّصّ بوساطة الرّبط بين الجمل داخل النّصّ الواحد، فكلّ جملةٍ تحتوي على وسائل ربط تربطها بالجمل السّابقة واللّاحقة لها. وأَنَّ إقصاء النّصّ من هذا العنصر الجوهريّ يودّي إلى دفع النّصّ نحو الإبهام والغموض وعدم الوضوح. فمن خلال وسائل الرّبط يتحقّق للنّصّ الفائدة، ويتّسم بالوضوح، والتّماسك بين أجزائه، ويحافظ النّصّ على وحدته واستقراره واستمراريّة أفكاره[١] .

عرض دي بوجراند حدّين للاتّساق النّصّيّ. الأوّل بقوله : "وهو يترتّب على إجراءاتٍ تبدو بها العناصر السّطحيّة على صور وقائع يؤدّي السّابق منها اللّاحق بحيث يتحقَّق لها التّرابط الرّصفيّ، وبحيث يمكن استعادة هذا التّرابط"[٢]، وعرض في موضعٍ ثّاني، متمّمًا للأوّل بقوله: "أريدُ بالتّتابع الرّصفيّ أن أشير إلى نشاط وكلّ اجراءٍ غايته رصف عناصر اللّغة في ترتيب نسقيّ مناسب، بحيث يمكن للكلام، أو الكتابة، أو السّماع، أو القراءة، أن تتمّ في توالٍ زمنيّ"[٣] .

يشترط في الاتّساق أن يكون هنالك ترابط وتفاعل بين أجزاء النّصّ، وذلك التّرابط لا يكون إلّا بوسائل لغويّة شكليّة، نحويّة ومعجميّة، على أنَّ تفاعل وترابط الوسائل

(١) ينظر: نظريّة علم النّصّ: ٨٠ ، وعلم لغة النّصّ المفاهيم والاتجاهات: ١٤٥ ، ومدخل إلى علم لغة النّصّ: ٧١ ، ومدخل إلى علم النّصّ ومجالات تطبيقه: ٨٨.

(٢) النّصّ والخطاب والإجراء: ١٠٣.

(٣) المصدر نفسه: ٢٩٩.

النّحويّـة والمعجميّـة داخـل الـنّصّ هـي مـن تحقّـق ذلـك الاتّسـاق، ومـن ثـمّ تـؤدّي إلـى ثبـات واستمراريّة النّصّ(١) .

ومـن المفيـد أن نشـير إلـى أَنَّ كثافـة هـذه الـرّوابط والوسـائل وقربهـا فيمـا بينهـا وتضـافرها لتشكيل وحدة لغويّة واحدة، تزيد من التّرابط والتّماسك بين أجزاء النّصّ(٢) .

إنَّ للاتّسـاق أهمّيّـة جوهريّـة فـي بنـاء الـنّصّ. فضـلاً عـن أنَّـه يعمـل علـى تـرابط الـنّصّ. فإنّـه يعمـل أيضًـا على مـلءِ فجـوات الـنّصّ. فالّـذي يتلقّـى الـنّصّ سـواءٌ كـان ذلـك الـنّصّ منطوقًـا أم مكتوبًـا يـدرك روابـط الـنّصّ والعلاقـات بـين أجزائـه، ثـم يتّخـذها منطلقًـا للتّفاعـل مع النّصّ، وهذا التّفاعل يسير به إلى ملء الفجوات داخل النّصّ(٣) .

كمـا يعـود الفضـل للاتّسـاق فـي تحقيـق الاقتصـاد اللّغـويّ فـي بنـاء الـنّصّ؛ إذ "يلعـب الـرّبط اللّفظـيّ دورًا هامًّـا فـي عمليّـة بنـاء الـنّصّ، وتنظـيم بنيـة المعلومـات داخلـه، كمـا يسمح للكاتب أن يكون مقتصدًا"(٤) .

إضـافة إلـى ذلـك أنَّ الاتّسـاق يعمـل علـى تحقيـق الكفـاءة داخـل الـنّصّ، وهـذه الكفـاءة تتمثّـل بتـوفير أكبـر قـدر ممكـن مـن المعلومـات بأقـلّ كميّـة مـن وسـائل الـرّبط عنـد بنـاء النّصّ(٥) .

ميّـزت عـزّة شـبل بـين الاتّسـاق اللّفظـيّ (الـرّبط اللّفظـيّ) والاتّسـاق المعنـويّ (الـرّبط الـدّلاليّ) للـنّصّ. فـالأوّل يكـون فـي البنيـة السّـطحيّة للّـنصّ، ويـتمُّ مـن وسـائل ربـط داخـل الـنّصّ، التّـي تعمـل علـى زيـادة التّـرابط والاتّسـاق فـي فضـائه. أمّـا الثّـاني (التّماسـك المعنـويّ)، فهـو أنَّ تـرتبط جمـل وفقـرات الـنّصّ أي هيكليّـة الـنّصّ بتتـابعٍ منطقـيّ للأفكـار والمعـاني، وهـذا التّتـابع المنطقـيّ يقيمـه القـارئ عنـد قراءتـه لأيّ نـصٍّ متكامـلٍ ومنسـجمٍ انسـجامًا تامّـاً. وهـذا يـدلُّ علـى أنّ التّماسـك المعنـويّ يمثّـل إدراك ومعرفـة متبادلـة بـين النّصّ والقارئ(٦) .

---

(١) ينظر : لسانيات النّصّ مدخل إلى انسجام النّصّ: ٥.

(٢) ينظر: نظريّة علم النّصّ: ٨١.

(٣) ينظر : مدخل إلى علم النّصّ ومجالات تطبيقه: ٨٧-٨٨.

(٤) علم لغة النّصّ النّظريّة والتّطبيق: ٩٩.

(٥) ينظر: النّصّ والخطاب والإجراء: ٢٩٩.

(٦) ينظر: علم لغة النّصّ النّظريّة والتّطبيق: ١٠٠.

ثانيًا: وسائل الاتّساق النّصّيّة:

إنَّ وسائل الاتّساق النّصّيّة الّتي عن طريقها يتحقّق الاتّساق في النّصّوص هي كالآتي:-

١- الاتّساق الصّوتيّ ويشمل: السّجع، الجناس ، التّنغيم، القافية؛ ولأنَّ دراستنا تتعلّق بنصّوصٍ نثريّةٍ مدوّنةٍ لم نقف على الكيفيّة التّي نُطقت بها، نستبعد التّنغيم والقافية من مضمار بحثنا.

٢- الاتّساق النّحويّ ويشمل: الإحالة، الحذف، الاستبدال، الوصل.

٣- الاتّساق المعجميّ ويشمل: التّكرار، المصاحبة المعجميّة.

١- الاتّساق الصّوتيّ:

يُعَدُّ المستوى الصّوتيّ عنصرًا مهمًّا في الدّراسات اللُّغويّة، ولا سيَّما في اللّسانيّات النّصّيّة. وإقصاء هذا العنصر اللّغويّ الفعّال عند تناول اللّغة يعني إغفال جانبٍ مهمٍّ وجوهريّ من العناصر المكوّنة للّغة؛ إذ "إنَّ الأصوات هي اللُّبنات الّتي تشكّل اللّغة، أو المادّة الخام الّتي تبنى منها الكلمات والعبارات. فما اللّغة إلّا سلسلةٌ من الأصوات المتتابعة، أو المتجمعة في وحدات أكبر ترتقي حتّى تصل إلى المجموعة النّفسيّة . وعلى هذا فإنَّ أي دراسة تفصيليّة للّغةٍ ما، تقتضي دراسة تحليليّة لمادّتها الأساسيّة، أو لعناصرها التّكوينيّة، وتقتضي دراسة تجمعاتها الصّوتيّة"(١) .

يقوم الاتّساق الصّوتيّ بربط جمل النّصّ فيما بينها بالاعتماد "على وجود عناصر صوتيّة تشبع جوًا من التّوحّد السّمعيّ بين جمل النّصّ عند القارئ، عن طريق تكرار نفس المقاطع الصّوتيّة بإيقاعٍ منتظمٍ على مسافاتٍ ثابتةٍ. ويجعل هذا الانتظام الإيقاعيّ جمل النّصّ تبدو للوهلة الأوّلى مترابطة، فيؤدّي هذا إلى قبولها مبدئيًا من القارئ. إلّا أنّ السّبك الصّوتيّ يظل عاملاً مساعدًا يشترك مع العوامل الأخرى المعجميّة والتّركيبيّة والدّلاليّة في إظهار نصّيّة النّصّ"(٢) .

(١) دراسة الصّوت اللّغويّ: ٤٠١.

(٢) نظرية علم النّصّ : ٨١.

وقد نوّه دي بوجراند لأهمّيّة تناول المستوى الصّوتيّ في الدّرس اللّسانيّ النّصّيّ بقوله: "إنَّ تنظيم الوحدات الصّوتيّة والصّرفيّة من وجهة نظر لسانيّات الاستعمار ليس من الأمور الهينة"(١) .

إنَّ الاتّساق الصّوتيّ يقوم بعملٍ جوهريّ في تماسك النّصّ، بوساطة ربط النّصّ عن طريق تجانس الأصوات فيما بينها، وكذلك عن طريق أسس موسيقيّة متمثّلة بالإيقاعات المختلفة داخل النّصّ. والإيقاع "هو عبارةٌ عن رجوعِ ظاهرةٍ صوتيّةٍ ما على مسافات زمنيّة متساوية ومتجاوبة"(٢) .

إنَّ التّوازن الإيقاعيّ داخل النّصّ يؤدّي "إلى المساعدة في ربط النّصّ على مستويين: المستوى الأوّل: يخصّ المتكلّم؛ حيث إنَّ التّوازن الإيقاعيّ هو لا شعوريّاً إدراج العنصر الأوّل من التّوازن في العنصر الثّاني، أما المستوى الثّاني، فيخصُّ المتلقّي حيث يمثّل التّوازن الإيقاعيّ وسيلة ربط موسيقيّة توحّد بين العنصرين المتوازيين، أو في أقلِّ تقدير يكون اللّجوء إلى التّوازن الإيقاعيّ عاملًا للفت انتباه المتلقّي يؤدّي إلى جذبه، أو وصله بالنّصّ الملقى"(٣) .

ومن المفيد أن نشير إليه أنَّ الإيقاع الّذي ذُكِر لا نتناوله في دائرة الشّعر والعروض، وإنَّما سنتناوله في دائرة النّثر؛ لتسليط الضّوء على بعدين صوتيّين في حِكَم النّبيّ الأعظم، أحدهما السّجع، والآخر والجناس؛ لما لهما من دورٍ في انسجام وترابط البنية النّصّيّة؛ إذ إنَّ الإيقاع يمثّل "المظهر الصّوتيّ لتماسك عناصر الإطار الواحد"(٤) .

إنَّ لهذين البعدين السّجع والجناس أهمّيّةً لا تقتصر على الجانب الصّوتيّ فحسب، وإنّما هناك أهمّيّة دلاليّة يحملها النّصّ في تضاعيفه، يقول عبد القاهر الجرجانيّ (٤٧١هـ): "وعلى الجملة فإنَّك لا تجد تجنيساً مقبولاً، ولا سَجَعاً حَسَناً، حتّى يكون

(١) النّصّ والخطاب والإجراء: ١٣٦.
(٢) في الميزان الجديد: ٢٥٧.
(٣) إشكاليات النّصّ: ٤١٨.
(٤) نظريّة علم النّصّ: ١١٧.

المعنى هو الّذي طلبه واستدعاه وسَاق نحوَه، وحتّى تَجِده لا تبتغي به بدَلاً، ولا تجِد عنه حِوَلاً"[١] .

يتمثّل البعد الأوّل في دراستنا للاتّساق الصّوتيّ بالسّجع، وحدّه "تواطؤ الفاصلتين من النّثر على حرفٍ واحدٍ، وهو معنى قول السّكاكيّ: هو في النّثر كالقافية في الشّعر"[٢]. فالقافية في النّصّ النّثريّ المسجوع "عنصرٌ جوهريٌّ في ماهية السّجع؛ لأنّها لو فقدت لخرج النّثر من باب السّجع، كما أنّها ذات أهمّيّة بالغة في نسيج الإيقاع"[٣] .

أمّا أنواع السّجع الّتي وردت في حديثه الشّريف، فمنها المطرّف وهو "ما اختلفت فاصلته في الوزن واتّفقت في الحرف الأخير"[٤]، وإذا طالعنا حِكَم النّبيّ الأعظم في فضل شهر رمضان، وجدنا هذا النّوع من السّجع في قوله ﷺ: "إنَّ مَن تَمَسَّكَ في شَهرِ رَمَضانَ بِستَّ خِصالٍ غَفَرَ اللهُ لَهُ ذُنوبَهُ: أن يَحفَظَ دينَه، ويَصونَ نَفسَهُ، ويَصِلَ رَحِمَهُ، ولا يُؤذِيَ جارَهُ، ويَرعى إخوانَهُ، ويَخزُنَ لِسانَهُ. أمّا الصِّيامُ فَلا يَعْلَمُ ثَوابَ عَامِلِهِ إلَّا اللهُ"[٥].

نلحظ في الحديث المبارك أنَّ الكلمات المسجوعة أسهمت في تحقيق الاتّساق الصّوتيّ بين أجزاء النّصّ، فجاء النّصّ متناغمًا ومنسجمًا مع الإيقاع الموسيقيّ الّذي حقّقه حرف(الهاء) في آخر الكلمات: (ذنوبه، دينه، نفسه، رحمه، جاره، إخوانه، لسانه)، فضلاً عن السّجع نلحظ في الحديث المبارك أنَّ الأفعال المضارعة المتتابعة (يحفظ، يصون، يصل، يؤذي، يرعى، يخزن، يعلم) كوّنت نمطاً صوتيًّا متكرّرًا في فضاء النّصّ، وربطت النّصّ بإيقاعٍ موسيقيٍّ موحّدٍ بالتّضافر مع السّجع؛ إذ منح هذا الإيقاع النّصَّ نغمةً موسيقيّةً هادئةً، وقوّةً صوتيّةً متماسكةً قادرةً على التّأثير في

(١) أسرار البلاغة: ١١.

(٢) التّلخيص في علوم البلاغة: ٣٩٧ ، وينظر: علم البديع، بسيوني عبد الفتاح: ٢٩٦ ، وعلم لغة النّصّ النّظريّة والتّطبيق: ١٢٥– ١٢٩.

(٣) الإيقاع في شعر الحداثة: ٢٣–٢٤.

(٤) المقاييس البلاغيّة عند الجاحظ: ٢٥٢، وينظر: التّلخيص في علوم البلاغة: ٣٩٨.

(٥) حكم النّبيّ الأعظم: ٦/ ١٦ ، وينظر: مستدرك الوسائل: ٧/ ٣٧٠.

المتلقّي. وهذا التّرابط الصّوتيّ منسجمٌ مع القصد الذّي سعى إليه الرّسول ﷺ في بيان أهمّيّة شهر رمضان، والتّمسّك به من الخصال السّتة التّي ذُكرت في النّصّ.

إنَّ البنية الصّوتيّة المتماسكة أسهمت في ربط تلك الخصال بخيطٍ واحدٍ من المعنى، وأسهمت أيضًا للدّلالة على ارتباط روحيّة العبادة في هذا الشّهر العظيم مع الله عزّ وجلّ، وأكّدت على المعنى المحوريّ للنّصّ، وهو أنَّ الصّيام ليس امتناعًا عن الطّعام فحسب، وإنَّما هو سلوكٌ في حفظ دين الله، وحسن التّعامل مع النّاس، وكبح عنفوان النّفس. كلّ ذلك تحقّق عن طريق الأفعال المتوازية صوتيًّا المتّضافرة مع السّجع؛ إذ أدّى هذا التّضافر الصّوتيّ دورًا بارزًا في النّصّ، لا سيّما السّجع الّذي أضفى تأثيراً قوياً في المتلقّي؛ لأنَّ "الإقناع عن طريق السّجع من المفاهيم الثّابتة في الثّقافة العربيّة"(١) .

وعند البحث عن ألوانِ السّجع الأخرى في حِكَمه المباركة نجد ألواناً قد وردت في مناجاته ﷺ لطلب الرّزق، فجاء في بدء المناجاة السّجع المرصّع، وهو ما كان "في إحدى القرينتين من الألفاظ أو أكثره مثل ما يقابله من الأخرى وزنًا وتقفيةً"(٢). فضلاً عن ورود السّجع المطرّف، والمتوازيّ ويقصد بالأخير "هو ما كان الاتّفاق فيه في الكلمتين الأخيرتين فقط"(٣).

وقد ورد كلّ ذلك في دعائه ﷺ : "وَاكسُنِي اللَّهُمَّ سَرابِيلَ السَّعَةِ، وجَلابِيبَ الدَّعَةِ، فَإنّي يا رَبِّ مُنتَظِرٌ لِإنعامِكَ بِحَذْفِ المَضيقِ، ولِتَطَوُّلِكَ بِقَطعِ التَّعويقِ، ولِتَفَضُّلِكَ بِإزالَةِ التَّقتيرِ، ولِوُصولِ حَبلي بِكَرَمِكَ بِالتَّيسيرِ، وأمطِرِ اللَّهُمَّ عَلَيَّ سَماءَ رِزْقِكَ بِسِجالِ الدِّيَمِ، وأغنِني عَن خَلقِكَ بِعَوائِدِ النِّعَمِ، وَارمِ مَقاتِلَ الإقتارِ مِنّي. وَاحيل كَشفَ الضَّرّ عَنّي عَلى مَطايَا الإعجالِ، وَاضرب عَنّي الضِّيقَ بِسَيفِ الاستِئصالِ، وأتحِفني رَبِّ مِنكَ بِسَعَةِ الإفْضالِ، وَامدُدني بِنُمُوَّ الأَموالِ، وَاحرُسني مِن ضيقِ الإقلالِ، وَاقبِض عَنّي سوءَ الجَدبِ، وَابسُط لي بِساطَ الخِصبِ، وَاسقِني مِن ماءِ رِزقِكَ غَدَقاً، وَانهَج لي مِن عَميمِ

(١) نظريّة علم النّصّ: ١١٧.

(٢) علم البديع، بسيونيّ عبد الفتاح: ٣٠٠.

(٣) المقاييس البلاغيّة عند الجاحظ: ٢٥٢ ، وينظر: التّلخيص في علوم البلاغة: ٣٩٨ –٣٩٩، وفي البلاغة العربيّة علم البديع، عبد العزيز عتيق: ٢١٩.

بَـذلِكَ طُرُقـاً، وفـاجِئني بِـالثَّروَةِ وَالمـالِ، وَانعَشـني بِـهِ مِـنَ الإقـلالِ. وصَـبِّحني بِالاسـتِظهارِ، ومَسِّـني بِـالتَّمكينِ مِـنَ اليَسـارِ؛ إنَّـكَ ذُو الطَّـولِ العَظـيمِ، وَالفَضـلِ العَمـيمِ، وَالمَـنّ الجَسـيمِ، وأنتَ الجَوادُ الكَريمُ"(١) .

نلحظ في النّصّ المبارك أنَّه يقوم على شبكةٍ من التّكرار الصّوتيّ والتّوازي التّركيبيّ والسّجع الممتد، مما يجعل النّصّ أقرب إلى نفسٍ دعائيٍّ متّصلٍ منه إلى جملٍ منفصلةٍ، فقد تحقّق له التّماسك عن طريق تنوّع الفواصل في السّجعات، ففي السّجع المرصّع كانت فاصلة التّاء في (الدّعة، السّعة). أمَّا في السّجع المطرّف، فقد تنوّعت الفواصل، فكانت فاصلة القاف في (المضيق، التّعويق)، وانتقل إلى فاصلة اللّام في (مال، الإقلال)، ثم الرّاء في (الاستظهار، اليسار). وأَمَّا السّجع المتوازيّ، فتنوّعت فواصله أيضًا في النّصّ، فكانت فاصلة الرّاء في (التّقتير، التّيسير) والميم في (الدّيم، النّعم)، والقاف في (غدقًا، طرقًا)، ويختم المناجاة بفاصلة الميم أيضاً في (العظيم، العميم، الجسيم، الكريم).

فالسّجع الممتد في فضاء النّصّ حوّل النّصّ إلى سلسةٍ متساويةٍ ومتّصلةٍ، عن طريق تنوّع الأسجاع، وهذا التّنوّع في فواصل السّجعات خلق لنا ما يمكن تسميته بـ(بالسّجع الشّبكيّ الممتد) لا السّجع الثّنائي التّقليديّ، فلم تظهر الأسجاع على مستوى الجمل القصيرة، بل على شكل سلاسل صوتيّة ممتدة.

فقد تضافرت الأسجاع المتنوّعة على تحقّيق الاتّساق الصّوتيّ في بناء النّصّ وتماسكه. ورصّع هذا التّنوّع النّصّ بالإيقاعات الموسيقيّة المستمرة والفواصل المتنوّعة، التّي منحت النّصّ صفة الفاعليّة والاستمراريّة؛ إذ تحقّق في النّصّ "الرّبط من خلال التّكرار الصّوتيّ على مستوى السّجعة الواحدة، ويمتد إلى أكثر من سجعة مكونًا وحدة صوتيّة ذات إيقاعٍ مستمر"(٢) .

إنَّ تعدّد الإيقاعات الموسيقيّة، وأثرها في تماسك النّصّ، لها دورٌ في الوجدان، لا سيَّما وأنَّ المعنى المحوريّ للنّصّ هو في طلب الرّزق؛ إذ إنَّ السّجع "يمثّل إحدى

(١) حكم النّبيّ الأعظم: ٦/ ٥٩٥ ، وينظر: مهج الدّعوات: ٢٦١.
(٢) علم لغة النّصّ النّظريّة والتّطبيق: ١٢٩.

وسائل الإقناع التّي يرضى بها المتلقّي، ويتقبّل من خلالها قول الآخر"[١]. فالنّصّ شكّل سلسلةً متّصلةً من الأدعية المرتبطة بوساطة القفل الإيقاعيّ المستمرّ؛ إذ مثّل هذا التّضرّع والتّذلّل لله سبحانه وتعالى مع تعدّد تلك السّجعات والإيقاعات على طول النّصّ بعدًا نفسيًا ممزوجًا بالروحانيّة والاتّصال مع الله عزّ وجلّ والتّوكّل عليه من دون الحاجة إلى الخلق؛ لأنّ الله واهبٌ كلّ العطايا. وبذلك حقّق النّصّ أعلى درجات الاتّساق الصّوتيّ بوساطة السّجعات الممتدة، فضلاً عن القفل الإيقاعيّ الّذي أعتمد على التّوازي التّامّ في النّهايات.

أَمَّا البعد الآخر الذّي سنتناوله في معرِض بحثنا في الاتّساق الصّوتيّ، فهو الجناس، وحدّه "عبارةٌ عن اتّفاق اللّفظين في وجهٍ من الوجوه مع اختلاف معانيها"[٢] .

وتتمثّل أهمّيّة الجناس ووظيفته في بناء النّصّ، بالبعد الجماليّ الّذي يضيفه على فضاء النّصّ، فهو من المحسنات البديعيّة. وكذلك بالبعد الصّوتيّ؛ إذ يسهم الإيقاع الّذي يحقّقه الجناس في تماسك بنية النّصّ، ويسهم أيضاً في إبراز المعنى الذّي من أجله سيق بالجناس إلى فضاء النّصّ[٣]. وسأغضُّ طرفي عن ماهية الجناس، والغور في تفاصيل أنواعه، وأتّجه مباشرةً إلى بيان ما ورد منه في حِكَم النّبيّ الأعظم، وهو الجناس غير التّامّ، على أنّي لم أجد شواهدَ من الجناس التّامّ في حِكَمه ﷺ المباركة، ربّما يعود ذلك لقصر نصّوص حكمه ﷺ و يقصد بالجناس غير التّامّ أو النّاقص، هو "مقطعان صوتيّان مختلفان في الإيقاع مختلفان في المدلول"[٤]. وعند تأمّل هذا الضّرب من الجناس نجده جلياً في قوله ﷺ: "وَاكسُنِي اللَّهُمَّ سَرابِيلَ السَّعَةِ، وجَلابِيبَ الدَّعَةِ"[٥]، وقوله ﷺ: "ولِتَفَضُّلِكَ بِإزالَةِ التَّقتيرِ، ولِوُصولِ حَبلي بِكَرَمِكَ بِالتَّيسيرِ"[٦] ، وقوله عليه الصّلاة والسّلام "وَاقبِض عَنّي سوءَ الجَدبِ، وَابسُط لي بِساطَ الخِصبِ"[٧] .

---

(١) نظريّة علم النّصّ: ١١٩.

(٢) الطّراز المتضمّن لأسرار البلاغة: ٥٦٢.

(٣) ينظر: نظريّة علم النّصّ: ١١٩.

(٤) البديع تأصيل وتجديد، منير سلطان: ٧٦.

(٥) حكم النّبيّ الأعظم: ٦/ ٥٩٥.

(٦) المصدر نفسه :٦ /٥٩٥.

(٧) المصدر نفسه: ٦/ ٥٩٥.

نلحظ في الشّواهد السّابقة، قد تحقّق الجناس غير التّامّ بين الألفاظ التّالية (الدّعة، السّعة)، (التّقتير، التّيسير)، (الجدب، الخصب)؛ إذ أسهم هذا الجناس في تماسك النّصّ عن طريق الإيقاع الّذي حقّقه في بناء النّصّ، والتّعالق مع فواصل السّجع، فهذا التّعالق يكون عن طريق دعم "العنصر الصّوتيّ للجوانب الدّلاليّة للإطار أكبر؛ فهو إذ يذكر الكلمات المرتبطة بالمعاني المحوريّة من خلال الجناس، فإنَّه يعرض هذه الكلمات في نهايات التّراكيب والجمل مسجوعةً، لما يحقّقه هذا العرض من وقعٍ أشدُّ تأثيرًا لدى القارئ ممّا لو أتت في منتصف التّراكيب: فالوقوف عليها في النّهايات يظهرها دلاليًّا دون منافسةٍ من دلالات باقي الكلمات المشاركة لها في التّركيب"[1] .

كما منح هذا الجناس فرصة لمتلقّي النّصّ لتأمّل البعد الرّوحيّ الّذي يحمله النّصّ، عند طريق حسن الإيقاعات الموسيقيّة المنتظمة داخل بناء النّصّ، "ووجه حسنه أنَّك تتوهّم قبل أن يرد عليك آخر الكلمة –التّي زيد فيها الحرف– أنَّها هي التّي مضت، وإنَّما أتىَ بها للتّأكيد، حتّى إذا تمكّن آخرها من نفسك ووعاه سمعك، انصرف عنك ذلك التّوهُم، وفي ذلك حصول الفائدة، ووضوح معنى الكلمتين المتجانستين معًا"[2] .

فالجناس في داخل النّصّ أسهم في دعم الجوانب الدّلاليّة في بنية النّصّ عن طريق المجيء بكلماتٍ مسجوعةٍ داخل سطح النّصّ وهذه الكلمات مرتبطة بخيطٍ واحدٍ من المعنى المركزيّ للنّصّ؛ إذ يشدّ ذلك الإيقاع الموسيقيّ المتحقّق في نهاية الجمل ذهن المتلقّي لتأمّل ما تحمله هذه الكلمات من معانٍ. وهذا التأمّل الدّلاليّ يكون أكثر في الكلمات المسجوعة المتحققّة في نهاية الفواصل من غيرها من الكلمات الّتي يتضمّنها سطح النّصّ.

٢– الاتّساق النّحويّ:

يمثّل الاتّساق النّحويّ عنصرًا مهمًّا في تماسك النّصّ. فلسانيّات النّصّ تنظر إلى النّصّ بمنظارٍ شموليّ كلّيّ وترى فيه وحدة متماسكة. وهذه الرؤية التّكامليّة للنّصّ لا تتحقّق إلّا بأدوات تعمل على ربط النّصّ ليظهر نصّاً متكاملًا؛ إذ "لا بُدَّ في كلِّ من

(١) نظريّة علم النّصّ: ١٢٠.

(٢) المصدر نفسه: ١١٩.

الأدوات الّتـي يلجـأ إليهـا النّـاظم، أو النّـاثر، أو المـتكلّم، مـن أن يسـوقها سـوقًا تراعـي فيـه وحدة الغرض"[١] .

ذهـب هاليـداي ورقيـة حسـن إلـى أنَّ الـنّصّ يتكـوّن مـن جملٍ متتاليـة متعـددة، وتـرتبط هـذه الجمـل فيمـا بينهـا عـن طريـق الأدوات اللُّغويّـة، بعلاقـات معنويّـة تسـهم فـي تنظـيم اسـتمراريّة الـنّصّ وتماسـكه. ولا يمكـن أن يرتـدي الـنّصّ رداء النّصّـيّة إلّا بعـد أنَّ يعتمـد علـى وسـائل متعـددة، وروابـط لغويّـة تسـهم فـي وجـود الـنّصّ، وربطـه بوحـدة كلّيّـة شـموليّة. وخلـو الـنّصّ مـن تلـك الوسـائل والـرّوابط تجـرّد الـنّصّ مـن ذلـك الـرّداء؛ ليكـون عبـارة عـن جملٍ مرصـوفةٍ رصـفًا اعتباطيّـاً لا يربطهـا رابـطٌ محـدّدٌ، ولا تـؤدّي إلـى معنـى معـين[٢]. فعـن طريـق أدوات الـرّبط فـي الـنّصّ نسـتطيع أن "نتحـرّك داخـل أنـواع مختلفـة مـن العلاقـات الدّلاليّة"[٣] .

إنَّ الاتّسـاق النّحـويّ الّـذي يكـون فـي الـنّصّ عبـر الأدوات والوسـائل الّتـي تـربط الـنّصّ، يرتكـز الـرّبط فيـه "علـى اسـتمرار تواجـد تلـك العناصـر النّحويّـة عبـر الجمـل المتتابعـة، ممّـا يوجـد نوعًـا مـن الـرّبط بـين تلـك الجمـل، المعتمـد علـى الوظيفـة النّحويّـة لتلـك العناصـر. ويتأسـس السّـبك المعجمـيّ علـى وجـود مجموعـةٍ مـن العناصـر المعجميّـة المترابطـة علـى مـدار الـنّصّ، ممـا يعنـي اسـتمرار تلـك القضـايا والمعـاني الّتـي تثيرهـا، فيعمـل هـذا علـى ربط قطاعات طويلة من النّصّ"[٤] .

وسـنتناول الوسـائل اللّغويّـة الّتـي يعتمـد عليهـا الـنّصّ لتحقيـق التّـرابط والاسـتمراريّة بـين أجزائـه، وتتمثّـل هـذه الوسـائل اللّغويّـة بالإحالـة، والحـذف، والـرّبط ؛ ولكـون الحـديث النّبـويّ أبلغ وأبين كلام بعد القرآن الكريم، تظهر فيه وسائل التّماسك النّصّيّ بوضوحٍ تامّ.

أ- الإحالة

تُعَـدُّ الإحالـة عنصـرًا جوهريًّـا مـن عناصـر الاتّسـاق النّحـويّ؛ إذ إنَّ مـن دونهـا لا يمكـن للـنّصّ أنّ يسـتمر. حـدّها بوجرانـد بقولـه: "هـي العلاقـة بـين العبـارات والأشـياء

(١) في اللّسانيات ونحو النّصّ: ٢٢٣.

(٢) ينظر: لسانيات النّصّ مدخل إلى انسجام الخطاب: ١٣.

(٣) علم لغة النّصّ النّظريّة والتّطبيق: ١١٠.

(٤) نظريّة علم النّصّ: ٨١.

والأحداث والمواقف في العالم الّذي يُدلُّ عليه بالعبارات ذات الطّابع الاختياريّ في نصٍّ ما؛ إذ تشير إلى شيءٍ ينتمي إلى نفس عالم النّصّ"[١] .

تتحقّق الإحالة في النّصّ بمجموعةٍ من الكلمات الإحاليّة "وكلمات الإحالة أكثر وسائل الرّبط شيوعًا، وهي في العربيّة عديدة تدخل فيها الضّمائر وأسماء الإشارة والأسماء الموصولة"[٢]

إنَّ هذه الوسائل الإحاليّة الّتي تربط النّصّ وتخرجه وحدة متكاملة "لا تكتفي بذاتها من حيث التّأويل؛ إذ لا بُدَّ من العودة إلى ما تشير إليه من أجل تأويلها"[٣] .

إنَّ للإحالة وظيفةً محوريّةً في بناء النّصّ؛ إذ تسهم بربط المعاني بين الجمل المتتالية داخل النّصّ، وتستعمل الإشارة إلى شيءٍ سبق ذكره؛ بدلًا من تكراره مرّة أخرى في النّصّ؛ إذ تسهم تلك الإشارة بتحقيق اقتصادٍ لغويٍّ في النّصّ. وتسهم أيضاً بحفظ فحوى الخطاب في الذّهن من دون الحاجة للتّصريح به في كلّ مرةٍ داخل النّصّ. زد على ما تقدّم أنَّ لها دورًا مهمًّا بتسويق كمٍ جديدةٍ من المعلومات، ممّا يجعل الأفكار مترابطة داخل بناء النّصّ[٤] .

إنَّ الإحالة في مفهومها العامّ هي علاقةٌ دلاليّةٌ نصّيّةٌ، بين العنصر المحيل، والعنصر المحال عليه، قبل أن تكون علاقةً نحويّةً تحكمها قوانين وأحكام النّحو الصّارمة. ولكي يتحقّق التّرابط النّصّيّ بين أجزاء النّصّ، ويفهم المتلقّي النّصّ بصورةٍ سليمةٍ وسلسةٍ دون جهدٍ وعناءٍ، ينبغي التّطابق والانسجام بين طرفي الإحالة، العنصر المحيل والعنصر المحيل عليه على مستوى المعنى الدّلالة، ولا يكتفي بالارتباط النّحويّ فقط[٥] .

وتقسّم الإحالة على أنواع متعددة [٦]، وهي :

---

(١) النّصّ والخطاب والإجراء: ٣٢.

(٢) علم لغة النّصّ النّظريّة والتّطبيق: ١١٩.

(٣) نظريّة علم النّصّ: ٨٣.

(٤) ينظر: علم لغة النّصّ النّظريّة والتّطبيق: ١٢٠ ، ونظريّة علم النّصّ: ٨٤ ، ونسيج النّصّ: ١٢١.

(٥) ينظر: التّرابط النّصّيّ في ضوء التّحليل اللّسانيّ في الخطاب: ١٦٥، ولسانيات النّصّ مدخل إلى انسجام الخطاب: ١٧.

(٦) ينظر: علم لغة النّصّ النّظريّة والتّطبيق: ١٢٣ ولسانيات النّصّ مدخل إلى انسجام الخطاب: ١٧.

١- إحالـة خارجيّـة مقاميّـة:- وهـي الإحالـة علـى عنصـرٍ غيـر موجـودٍ فـي الـنّصّ، وإنَّمـا خارج النّصّ. ويتمّ التّعرّف عليه عن طريق الإلمام بمعرفة سياق النّصّ.

٢- إحالـة داخليّـة نصّـيّة:- وهـي الإحالـة التّـي تكـون العناصـر اللّغويّـة المحـال إليهـا موجودةً داخل النّصّ. وهي على ضربين:

أ- إحالـة سـابقة (قبليّـة): وهـي الإحالـة علـى عنصـرٍ لغـويّ سـبق ذكـره فـي الـنّصّ، وتُعَـدُّ هذه الإحالة من بين أكثر أنواع الإحالة شيوعاً في عالم النّصّ.

ب- إحالـة لاحقـة (بعيديّـة): وهـي الإحالـة التّـي تعـود علـى عنصـرٍ سـيذكر بعـدها فـي النّصّ.

فـرّق هاليـداي ورقيـة حسـن بـين الإحالـة النّصّـيّة والإحالـة المقاميّـة؛ إذ إنَّ "الإحالـة المقاميّـة تسـهم فـي إنتـاج الـنّصّ؛ لكونهـا تـربط اللّغـة بسـياق المقـام، فـي حـين تقـوم الإحالـة النّصّيّة بدور فعّال في اتّساق النّصّ"(١) .

وأكّـد عفيفـي علـى الإحالـة المقاميّـة ودورهـا فـي بنـاء الـنّصّ وتماسـكه. مشـيرًا إلـى العلاقـة المتّصـلة بـين الـنّصّ والمواقـف الخارجيّـة المحيطـة بـالنّصّ الاجتماعيّـة والثّقافيّـة. وأكَّـد أيضـاً علـى أنَّ الإحالـة الّتـي تكـون خـارج الـنّصّ تقـوم علـى ثلاثـة مرتكـزات، هـي: (الـنّصّ، المتلقّـي، الموقـف المحـيط بـالنّصّ). علـى أن تتفاعـل هـذه المرتكـزات الثّلاثـة فيمـا بينهـا، ومـن دون ذلـك التّفاعـل يفقـد الـنّصّ الفائـدة مـن قرائتـه. ونـوّه عفيفـي أيضـاً إلـى أنَّ اتّصـال نحـو الـنّصّ بـالمواقف الاجتماعيّـة راجعًـا لارتباطـه بـالنّصّ كـاملاً ومـا يحـيط بـه فلـم يرتبط بالجمل فقط(٢) .

ومـن مواضـع الإحالـة بالضّـمائر فـي حِكَـم النّبـيّ الأعظـم، قولـه ﷺ: "إذا سَـأَلتَ فَاسـأَلِ اللهَ، وإذَا اسـتَعَنتَ فَاسـتَعِن بِـاللهِ؛ فَقَـد مَضَـى القَلَـمُ بِمـا هُـوَ كـائِنٌ [إلـى يَـومِ القِيامَـةِ]؛ فَلَـو جَهَـدَ النّـاسُ أن يَنفَعـوكَ بِـأمرٍ لَـم يَكتُبـهُ اللهُ لَـكَ لَـم يَقـدِروا عَلَيـهِ، ولَـو جَهَـدوا أن يَضُـرّوكَ بِـأَمرٍ لَـم يَكتُبـهُ اللهُ عَلَيـكَ لَـم يَقـدِروا عَلَيـهِ"(٣). نلحـظ أنَّ الحـديث المبـارك قـد تضـمّن سلاسـل إحاليّـة متنوّعـة (مقاميّـة وسـياقيّة) مـن الضّـمائر، تمثّلـت النّصّـيّة منهـا بالعنصـر الإحـاليّ

(١) التّرابط النّصّيّ في ضوء التّحليل اللّسانيّ في الخطاب: ١٦٥.
(٢) الإحالة في نحو النّصّ: ٤٠.
(٣) حكم النّبيّ الأعظم: ٧/ ٨١.

(الهـاء)؛ إذ تكـرّر أربـع مـراتٍ فـي الـنّصّ فـي اللّفظـين المكـررين (يكتبـه، عليـه)، وهـو عنصرٌ إحاليٌّ داخليٌّ (إحالة سابقة) يعود على (الأمر).

والسّلسـلة الثّانيـة مـن الإحالـة النّصّـيّة متمثّلـة بالعنصـر الإحـاليّ (الـواو)؛ إذ تكـرّر خمـس مـراتٍ فـي (ينفعـوك، يقـدروا، يضـروك، جهـدوا، يقـدروا)، وهـذه الإحالـة هـي إحالـةٌ داخليّةٌ نصّيّةٌ سابقةٌ، تعود على المحيل عليه وهو (النّاس) الذّي سبق ذكره.

وآخـر الإحـالات النّصـيّة هـو مـا تمثّـل بالضّـمير المنفصـل (هـو)، وهـي إحالـةٌ سـابقةٌ علـى (القلـم). إنّ للضّـمير (هـو) أهمّيّـة فـي كونـه يحيـل إلـى "عناصـر سـبق ذكرهـا فـي الـنّصّ...وميزتـا الضّـمير «هـو» همـا: الغيـاب عـن الـدّائرة الخطابيّـة، والقـدرة علـى إسـناد أشـياءٍ معينـةٍ. وتجعـل هاتـان الميزتـان مـن هـذا الضّـمير موضـوعًا علـى قـدرٍ كبيـر الأهمّيّـة في دراسة تماسك النّصّوص"[1] .

وعنـد انعـام النّظـر فـي الـنّصّ بحثًـا عـن عناصـر إحاليّـة مقامّيـة، نجـد سلسـلةً مـن هـذه الإحـالات فـي الـنّصّ. فقـد تمثّلـت السّلسـلة المقاميّـة الأوّلـى بالعنصـر الإحـاليّ (التّـاء)؛ إذ تكـرّر مـرتين فـي (سـألت، اسـتعنت) وهـو عنصـرٌ إحـاليٌّ خـارج الـنّصّ. أمّـا العنصـر المحيـل فـي السّلسـلة الثّانيـة تمثّـل بالضّـمير المسـتتر فـي (اسـأل، اسـتعن)، وهـو عنصـرٌ إشـاريٌّ خـارج الـنّصّ أيضًـا. وتمثّلـت السّلسـلة الأخيـرة مـن الإحالـة المقاميّـة بالضّـمير (الكـاف) فـي (ينفعـوك، يضـرّوك، عليـك، لـك)، وهـي إحالـةٌ خارجيّـةٌ للمحيـل عليـه نفسـه الّـذي ذُكـر فـي السّلسـتين المقـاميّتين الأوّلـى والثّانيـة مـن السّـياق؛ إذ "تعتمـد الإحالـة لغيـر مـذكور فـي الأسـاس علـى سـياق الموقـف شـأنها فـي ذلـك شـأن الإحالـة لمـذكور سـابق، والإحالة لمتأخّر"[2] .

تضـافرت هـذه الإحـالات بالضّـمائر المتعـدّدة علـى دعـم تماسـك الـنّصّ، محقّقـة بـذلك اسـتمراريّة للـنّصّ، وفهـم المعنـى المحـوريّ للسّـياق الّـذي يـدور حـول التّوكّـل علـى الله تعـالى، والاسـتعانة بـه؛ لأنّـه تبـارك وتعـالى هـو الـرّكن الشّـديد الـذّي يلجـأ إليـه الإنسـان وقـت الشّـدّة والضّـيق؛ إذ فُهـم المعنـى بصـورةٍ واضـحةٍ دون كـدر أو عـي. وكـلّ ذلـك تحقّقـت عـن

(١) مدخل إلى مناهج النّقد الأدبي، مجموعة من اللّغويين الغربيين، ترجمة رضوان ظاظا: ١٩٦.

(٢) النّصّ والخطاب والإجراء: ٣٣٢.

طريـق الإحـالات المختلفـة الّتـي جـاء بهـا الـنّصّ. ممّـا جعلتـه نصًـا متماسكاً منسـجماً مـع المعنـى المركـزيّ للـنّصّ؛ لأنَّ "تشـكيل المعنـى أو إبـرازه يعتمـد علـى وضـع الضّـمائر داخـل الــنّصّ؛ إذ إنَّ هــذه الضّــمائر مــن بــين الوســائل الّتــي تحقّــق التّماســك الــدّاخليّ والخارجيّ"[1].

ومـن أمثلـة الإحالـة بالضّـمير أيضًـا، مـا روي عـن النّبـيّ الأعظـم فـي تحـريم شـرب الخمـر وتقبيحـه، وعـدّه مـن كبـائر الأفعـال، قولـه ﷺ: "مَـن شَـرِبَ الخَمـرَ فـي الـدُّنيا سَـقاهُ اللهُ مِـن سُـمِّ الأفـاعي ومِـن سُـمِّ العَقـارِبِ شَـربَةً يَتَسـاقَطُ لَحـمُ وَجهـهِ فـي الإنـاءِ قَبـلَ أن يَشـرَبَها، فـإذا شَـرِبَها تَفَسَّـخَ لَحمُـهُ وجِلـدُهُ كالجِيفَـةِ، يَتـأذّى بـهِ أهلُ الجَمـع حتّـى يُـؤمَرَ بـهِ إلَـى النّـارِ، وشـارِبُها وعاصِـرُها ومُعتَصِـرُها فـي النّـارِ، وبايِعُهـا ومُبتاعُهـا وحامِلُهـا والمَحمولَـةُ إلَيـهِ وآكِـلُ ثَمَنِهـا سَـواءٌ فـي عارِهـا وإثمِهـا. ألا ومَـن سَـقاها يَهوديّـاً أو نَصـرانيّاً أو صـابيّاً أو مَـن كـانَ مِـن النّـاسِ فعَلَيـهِ كَـوزِرِ مَـن شَـرِبَها. ألا ومَـن باعَهـا أوِ اشـتَراها لَغيـره لَـم يَقبَـلِ اللهُ تعـالى مِنـهُ صَـلاةً ولا صـياماً ولا حَجّـاً ولا اعتِمـاراً حتّـى يَتـوبَ مِنهـا، وإن مـاتَ قَبـلَ أن يَتـوبَ كـانَ حَقّـاً علَـى اللهِ تعـالى أن يَسـقِيَهُ بكُـلِّ جُرعَـةٍ شَـرِبَ مِنهـا فـي الـدُّنيا شَـربَةً مِـن صَـديدِ جَهـنّمَ ؛ ثُـمّ قـالَ رسـولُ اللهِ ﷺ : ألا وإنّ اللهَ حَـرَّمَ الخَمـرَ بعَيْنِهـا والمُسـكِرَ مِـن كُـلِّ شَرابٍ، ألا وكُلُّ مُسكِرٍ حَرامٌ"[2] .

نلحـظ فـي الحـديث المبـارك أنَّ الضّـمير (الهـاء) قـد شـكّل عنصـراً بـارزاً فـي بنـاء الـنّصّ؛ إذ تكـرّر ثمـاني وعشـرين مـرّةً، وتنـوّع المحيـل إليـه بـين إحالـةٍ خارجيّـةٍ يحـدّدها المقام الخارجيّ للنّصّ، وبين إحالةٍ داخليّةٍ موجودةٍ في بناء النّصّ ذاته.

وتمثّلـت الإحالـة المقاميّـة بالعنصـر الإحـاليّ (الهـاء) فـي (سـقاه، وجهـه، لحمـه، جلده، بـه –المكرر مـرتين–، المحمولـة إليـه) وهـو عنصـرٌ إحـاليٌّ خـارجيٌّ، يعـود علـى مـن شـارب الخمـر "وهـو مرجـعٌ غيـرُ مشـارٍ إليـه فـي عـالم الـنّصّ، وإنّمـا يعتمـد فـي فهمـه علـى سياق الموقف"[3] .

(١) علم لغة النّصّ بين النّظريّة والتّطبيق: ١/ ١٦١.
(٢) حكم النّبيّ الأعظم: ٤/ ٥٦٦ –٥٦٧.
(٣) علم لغة النّصّ النّظريّة والتّطبيق: ١٧٧.

أمَّـا الإحالـة الدّاخليّـة النّصّـيّة، بالعنصـر الإحـاليّ (الهـاء)، فتأتّيـت فـي المفـردات التّاليـة: (يشـربها، شـربها، شـاربها، عاصـرها، معتصـرها، بايعهـا، مبتاعهـا، حاملهـا، ثمنهـا، عارهـا، إثمهـا، سـقاها، شـربها، باعهـا، اشـتراها، منهـا –المكـررة مـرتين–، بعينهـا)، وهـي إحالـةٌ سـابقةٌ تعـود علـى عنصـرٍ لغـويٍّ سـبق ذكـره فـي الـنّصّ وهـو (الخمـر)، الّـذي يُعَـدُّ المركـز الـرّئيس فـي الـنّصّ. وقـد أُحيـل الهـاء فـي (فعليـه، لغيـره، منـه، يسـقيه) أحالـةً داخليّـةً سابقةً، تعود على الاسم الموصول (من).

أسـهمت الإحالـة بهـذه الضّـمائر فـي تجنّـب تكـرار اللّفـظ المحيـل إليـه، وحقّقـت اقتصـادًا لغويّـاً فـي بنـاء الـنّصّ. ولـو تكـرّر المحيـل إليـه فـي الـنّصّ؛ لأدّى ذلـك التّكرار لضـعف بنيـة النّصّ، و لأضفى على مقام النّصّ الملل والتّضجّر .

إنَّ تكـرار الضّـمير (الهـاء) بهـذه الكثافـة فـي الـنّصّ، مـع تعـدّد المحيـل عليـه، أسـهم فـي تماسـك البنيـة اللّغويّـة للـنّصّ؛ "إذ كانـت الضّـمائر كعناصـر إحاليّـة تعقـد صـلةً وثيقـةً بين أجزاء النّصّ"[1] .

فالضّـمائر داخـل الـنّصّ "تُعَـدُّ العصـب الـرّئيس السّـاري فـي بنـاء الـنّصّ؛ فبهـا ومـن خلالهـا يتبـدى تماسـكه، وبهـا ومـن خلالهـا أيضًـا يمكـن تلقّيـه، ومـن دونهـا يغـدو الـنّصّ مفككًا، فالضّمائر تقوم بدور الرّبط بين أجزاء النّصّ بشكلٍ عامّ"[2] .

وأسـهم ذلـك الضّـمير فـي إيضـاح الدّلالـة المركزيّـة المقصـودة فـي الـنّصّ، وهـو تحـريم الاقتـراب مـن الخمـر. فالحـديث الشّـريف يحمـل فـي تضـاعيفه وعيـدًا شـديدًا لشـارب الخمـر، ولـم يقتصـر ذلـك الوعيـد لشـاربها فقـط؛ إذ وسّـع دائـرة الوعيـد لكـلِّ مـن لـه صـلة بهـا. فـالخمر آفةٌ اجتماعيّةٌ حذّر منها النّبيّ الكريم ﷺ ؛ لأنّها تنخر بنية المجتمع والدّين.

إنَّ تصـوير عقوبـة شـارب الخمـر فـي بدايـة الحـديث أعطـى للـنّصّ بعـدًا نفسـيًّا، وهـذا البعـد النّفسـيّ أثـار فـي المتلقّـي دافعًـا أكبـر للتّفاعـل مـع الملقـي، بحثًـا علـى مزيـدٍ مـن المعطيـات الّتـي تحقّـر المقصـود وهـو شـارب الخمـر. وكـلّ ذلـك حصـل عـن طريـق الاتّسـاق

(١) دراسات لغويّة تطبيقيّة في العلاقة بين البنية والدّلالة: ١٦٠.

(٢) النّصّ والخطاب قراءة في علوم القرآن، محمّد عبد الباسط: ٢١٤.

النّحـويّ الـذّي مثّلتـه (الهـاء) فـي الـنّصّ، "ولا تكمـن أهمّيّـة وسـائل الـرّبط فـي أنَّهـا تكفـل للنّصّ ترابطه فحسب، بل تيسّر أيضًا للسّامع أو القارئ متابعة الخطاب وفهمه"[١] .

ومـن وسـائل الإحالـة الأخـرى أسـماء الإشـارة، وهـي أسـماءٌ مبهمـةٌ، وهـذا الإبهـام "لا يفهم إلّا من خـلال مـا يـرتبط بـه، سـواءٌ أكـان معلومًـا منـه أو مـذكورًا فـي السّـياق أو مشـارًا إليه أو غير ذلك"[٢] .

إنَّ أسـماء الإشـارة تسـهم بعمـلٍ جـوهريٍّ فـي ربـط أجـزاء الـنّصّ وتماسـكه؛ إذ إنَّهـا لا تقـلُّ أهمّيّـة عـن بـاقي وسـائل الاتّسـاق النّحـويّ فهـي "تقـوم بـالرّبط القبلـيّ والبعـديّ، وإذا كانـت أسـماءُ الإشـارةِ بشـتى أصـنافها محيلـةً إحالـةً قبليّـةً، بمعنـى أنّهـا تـربط جـزءاً لاحقـاً بجـزءٍ سـابق، ومـن ثـمّ تسـاهم فـي اتّسـاق الـنّصّ، فـإنَّ اسـم الإشـارة المفـرد يتميّـز بمـا يسـميه المؤلفـان[٣] «الإحالـة الموسّـعة»، أي إمكانيّـة الإحالـة إلـى جملـةٍ بأكملهـا أو متتاليـة مـن الجمل"[٤] .

ومـن أمثلـة الإحالـة بأسـماء الإشـارة مـا ورد فـي قـول النّبـيّ الأعظـم ﷺ فـي التّحـذير مـن الـدّنيا، والعمـل للآخـرة: "هـذهِ الـدُّنيا قَـدِ ارتَحَلَـت مُـدبِرَةً وهـذِهِ الآخِـرَةُ قَـدِ ارتَحَلَـت مُقبِلَـةً ولِكُـلٍّ واحِـدَةٍ مِنهُمـا بَنـونَ؛ فَـإِنِ اسـتَطَعتُم أن تَكونـوا مِـن أبنـاءِ الآخِـرَةِ ولا تَكونـوا مِـن أبنـاءِ الـدُّنيا فَـافعَلوا؛ فَـإِنَّكُمُ اليَـومَ فـي دار عَمَـلٍ ولا حِسـابَ، وأنـتُم غَـداً فـي دار حِسـابٍ ولا عَمَلَ"[٥] .

نلحـظ فـي الحـديث المبـارك قـد تكـرّر اسـم الإشـارة (هـذه) مـرتين فـي الـنّصّ، وهـي إحالـةٌ بعديّـةٌ تعـود علـى لاحـق؛ إذ أحـال اسـم الإشـارة فـي الموضـع الأوّل إلـى (الـدّنيا). وأحـال فـي الموضـع الثّـاني إلـى (الآخـرة). وهـذه الإحالـة الإشـاريّة جمعـت بـين متضـادين (الدّنيا والآخرة) ممّا قرّبت المفهومين من ذهن المتلقّي.

---

(١) مدخل إلى علم النّصّ ومجالات تطبيقه: ٨٧.

(٢) دراسات لغويّة تطبيقيّة في العلاقة بين البنية والدّلالة: ١٤٣.

(٣) أي هاليداي ورقية حسن.

(٤) لسانيات النّصّ مدخل إلى انسجام الخطاب: ١٩.

(٥) حكم النّبيّ الأعظم: ٢/ ٤٧٠ ، وينظر: الخصال: ٥١.

فقد أسهمت أسماء الإشارة بربط أجزاء النّصّ، وهذا الارتباط متّصل بالدّلالة والمعنى اللّذان يحملها النّصّ وهو أنَّ الدّنيا مؤقتةٌ وذاهبةٌ لا محالَ، وهي في طريقها للزّوال؛ لأنَّ كلَّ يومٍ يمرُّ من عمر الإنسان يقرّبه من الحساب. والآخرة مقبلةٌ علينا، طال الزّمن أو قصر.

كما تضافرت وسائل الإحالة داخل النّصّ (أسماء الإشارة مع الضّمائر المختلفة) مع تعدّد المحيل إليه، على تماسك واستمراريّة النّصّ، "فإذا كانت الضّمائر تحدِّد مشاركة الشّخوص في التّواصل أو غيابها عنه، فإنَّ أسماء الإشارة...تحدّد مواقعها في الزّمان والمكان داخل المقام الإشاريّ. وهي تماماً مثلها لا تُفهم إلّا إذا ربطت بما تشير إليه"(١) .

ومن الأحاديث المباركة الّتي تضمّنت إحالة بأسماء الإشارة ما ورد في حديثه ﷺ الّذي يبيّن فضل الصّلاة على النّبيّ وآله: "ما مِن دُعاءٍ إلّا بَينَهُ وبَينَ السَّماءِ حِجابٌ. حَتّى يُصَلّى عَلَى النَّبِيِّ وعَلى آلِ مُحَمَّد، فَإذا فُعِلَ ذَلِكَ خُرِقَ ذٰلِكَ الحِجابُ ودَخَلَ الدُّعاءُ. فَإذا لَم يُفعَل ذَلِكَ رَجَعَ الدُّعاءُ"(٢) .

نلحظ في الحديث المبارك أنَّ اسم الإشارة (ذلك) تكرّر ثلاث مراتٍ في النّصّ؛ إذ أسهم هذا التّكرار "في تحديد القضية الأساسيّة في النّصّ بالتّأكيد على محتوى معين"(٣)، وهي الصّلاة على محمّد وآل محمد.

فقد أحال اسم الإشارة في المرّة الأوّلى والثّالثة إحالةً سابقةً تعود على عنصرٍ لغويٍّ سبق ذكره وهو الجملة السّابقة لاسم الإشارة المتمثّلة بالصّلاة على محمّد وآل محمّد. وتكرار اسم الإشارة في (فإن لم يفعل ذلك) هو لتوجيه ذهن المتلقّي لأهمّيّة تلك الصّلاة، وأنَّ لا دعاءَ مقبولٍ من دونها. فهي بمثابة الحاجز الّذي يسمح للدّعاء بالقبول من لدن الله تبارك وتعالى.

ويحيل اسم الإشارة في المرّة الثّانية، في قوله ﷺ (ذلك الحجاب) إلى الحجاب الّذي ذُكر في مطلع النّصّ. وهذه الإشارة الإحاليّة هي لتأكيد المانع الّذي يمنع الدّعاء

(١) نسيج النّصّ: ١١٧-١١٨.

(٢) حكم النّبيّ الأعظم: ٥/ ٣٤٩ ، وينظر: بشارة المصطفى: ٣٦١.

(٣) علم لغة النّصّ النّظريّة والتّطبيق: ١٠٥.

مـن القبـول. فقـد أسـهمت بثبـات الأمـر فـي ذهـن متلقّـي الـنّصّ، وشـدّت ذهنـه نحـو المعنـى المركزيّ للنّصّ.

فأسـماء الإشـارة فـي الـنّصّ منعـت تكـرار الجمـل وحقّقـت اقتصـادًا لغويّـاً ومنحـت الـنّصّ تماسـكًا نصّـيّاً محكمًـا. فـالنّصّ يُقـرأ بوصـفه حلقـات متواصـلة مترابطـة لا بوصـفه جمـل متفرّقـة، كـلّ ذلـك تحقّـق عـن طريـق وسـائل الاتّسـاق التّـي أسـهمت فـي بنـاء الـنّصّ وتماسكه، فاسـم الإشـارة "يقـوم بالوظيفـة نفسـها الّتـي يقـوم بهـا الضّـمير فـي عمليـة تماسـك النّصّ"[1] .

ومـا زلنـا فـي عـرض وسـائل الإحالـة فـي حِكَـم النّبـيّ الأعظـم ﷺ ، ومنهـا الأسـماء الموصـولة، وهـذه الأسـماء لهـا دورٌ بـارزٌ فـي بنـاء الـنّصّ[2]؛ إذ تتضـافر مـع بقيـة وسـائل الـرّبط الإحاليّـة مـن ضـمائر وأسـماء إشـارة فـي "عمليّـة التّعـويض، فهـي ألفـاظٌ كنائيّـةٌ لا تحمـل دلالـةً خاصّـةً، وكأنّهـا جـاءت تعويضًـا عمّـا تحيـل إليـه، وهـي أيضًـا تقـوم بـالرّبط الاتّساقيّ من خلال ذاتها ومرتبطة بما يأتي بعدها من صلة الموصول"[3] .

ومـن اسـتعمالات الأسـماء الموصـولة فـي حِكَـم النّبـيّ الأعظـم مـا روي عنـه ﷺ فـي وصـف الإمـام علـيّ (عليـه السّـلام) يـوم القيامـة قولـه ﷺ: "بِيَـدِهِ لِـواءُ الحَمـدِ، وكُـلُّ الخَلائِـق تَحـتَ اللَّـواءِ، يَحُـفُّ بِـهِ الأَئِمَـةُ وَالمُؤَذِّنـونَ بِـتِلاوَةِ القُـرآنِ وَالأَذانِ. وهُـمُ الَّـذينَ لا يَتَبَدَّدونَ فِي قُبورِهِم"[4] .

نلحـظ أنَّ الاسـم الموصـول (الـذّين) أحـال إحالـةً نصّـيّةً لاحقـةً تعـود علـى الأئمـة الأطهـار والمـؤذّنين وقـرّاء القـرآن. وهـذه الإحالـة بالاسـم الموصـول أسـهمت إسـهامًا فعّـالًا فـي بنـاء الـنّصّ عـن طريـق اختزالـه لتركيـبٍ نحـويّ، فحقّقـت رشـاقةً للـنّصّ، ومنعتـه مـن التّشتت، وأبعدته من تكرار المحيل إليه مرة أخرى، وربطته بخيطٍ واحدٍ من المعنى.

---

(١) التّرابط النّصّيّ في ضوء التّحليل اللّسانيّ للخطاب: ١٧٦.

(٢) ينظر: النّصّ والخطاب والإجراء: ٣٢.

(٣) الإحالة في نحو النّصّ: ٢٧-٢٨.

(٤) حكم النّبيّ الأعظم: ٥/ ٢١٧ ، وينظر: تفسير فرات الكوفيّ: ٥٠٧.

وقد شكّلت الإحالة بالاسم الموصول إحالةً موسّعةً[١]، فهو يحيل إلى جملةٍ بأكملها، متمثّلة بجملة (يحفّ به الأئمة والمؤذّنون بتلاوة القرآن والأذان). إنَّ الوسائل الإحاليّة تضافرت لبيان المعنى المحوريّ للنّصّ، ووجّهت ذهن المتلقّي لذلك المعنى. إنَّ الضّمائر الّتي شكّلت حضورًا بارزاً، مع الاسم الموصول تحيل كلّها إلى الإمام عليّ (عليه السّلام)، وإلى الأئمة الأطهار والمؤذّنين وقرّاء القرآن؛ إذ يصوّر لنا النّصّ مشهدًا عظيمًا للإمام عليّ (عليه السّلام) وهو يحمل لواء رسول الله المقدّم في ذلك الموقف في يوم القيامة أمام الخلائق كلّها، ويحفُّ به الأئمة الأطهار ويحيط بهم المؤذّنون وكأنّهم يكبرون يوم الفزع الأكبر جنباً إلى جنب مع الأئمة وقرّاء القرآن.

إنَّ الأسماء الموصولة "تعوّض وتربط ربطاً تركيبيّاً. وهي بحكم إبهامها تحتاج إلى صلةٍ تفسرها"[٢]، وصلتها التّي تفسرها الجملة الفعليّة (لا يتبددون في قبورهم،) والعائد فيها هو الضّمير المتّصل (الواو). وصلة الموصول منحت صفةً خاصةً للأئمة الأطهار والمؤذّنين وقرّاء القرآن وهي عدم التّبدد في القبر، وهذه بشارةٌ لهم بأنَّهم في نعيمٍ وطمأنينةٍ وثباتٍ عند الفزع الأكبر، فلا وحشةَ ولا ضياعَ في عالم البرزخ بخلاف سائر البشر. وبهذا الوصف القيّم حافظت الإحالة بالاسم الموصول على تسلسل النّصّ وانسجامه.

ومن الأسماء الموصولة التّي وردت في حكمه المباركة قوله ﷺ: "يا أباذرّ، إيّاكَ والغِيبَةَ ؛ فإنَّ الغِيبَةَ أشَدُّ مِن الزّنا ... قلتُ: يا رسولَ اللهِ، وما الغِيبَةُ؟ قالَ: ذِكرُكَ أخاك بما يَكرَهُ، قلتُ: يا رسولَ اللهِ، فإن كانَ فيهِ ذاكَ الذي يُذكَرُ بهِ ؟ قالَ: اِعلَمْ أنَّكَ إذا ذَكَرتَهُ بما هو فيهِ فقدِ اغتَبتَهُ. وإذا ذَكَرتَهُ بما ليسَ فيهِ فَقد بَهَتَّهُ"[٣] .

نلحظ في الحديث المبارك أنَّه تضمّن عناصرَ إحاليّةً متنوعّةً، منها الأسماء الموصولة؛ إذ شكّلت حضورًا بارزاً في بناء النّصّ. فقد تكرّرت تلك الأسماء في أربعةِ مواضعَ، أحال الاسم الموصول (ما) في قوله (بما يكره، بما هو فيه، بما ليس فيه) إحالةً نصّيّةً سابقةً تعود على عنصرٍ لغويّ سبق ذكره وهو (أخاك). وقد أحال الاسم

(١) ينظر: الإحالة في نحو النّصّ: ٢٥.
(٢) نسيج النّصّ: ١١٨.
(٣) حكم النّبيّ الأعظم: ٥/ ٧٦ ، وينظر: مكارم الأخلاق: ٤٧٠.

الموصـول (الـذّي) إحالـةً نصّـيّةً سـابقةً أيضًـا تعـود علـى اسـم الإشـارة (ذلـك) الّـذي يشـير بـدوره إلـى (القـول المـذموم) الّـذي يجـري الحـديث حولـه داخـل سـطح الـنّصّ. أمَّـا جملـة صـلة الموصـول فـي الإحـالات الّتـي ذُكـرت فـي الـنّصّ، فقـد فسّـرت الاسـم الموصـول، وأسـهمت فـي تـرابط بنيـة الـنّصّ. وسـاعد هـذا التّـرابط علـى إفهـام المتلقّـي أنَّ موضـوع الـنّصّ يـدور حـول الغيبـة، ومـا يتّصـل بهـا مـن أمـورٍ أخلاقيّـةٍ تتعلّـق بـالآخرين. فالإحـالات بالأسـماء الموصـولة مـع صـلاتها قـد "جعلـت الـنّصّ علـى مسـتوى واحـدٍ مـن الاتّسـاق والتّماسك يدركه المتلقّي حال النّظر إليه"[1] .

وأكّـدت هـذه الإحـالات بالاسـم الموصـول فضـلاً عـن الضّـمائر واسـم الإشـارة، المعنـى المركـزيّ للـنّصّ، وأسـهمت باسـتمراريته، ووجّهـت ذهـن المتلقّـي إلـى الـنّصّ عـن طريـق التّحـذير الّـذي أطلقـه الرّسـول عليـه الصّـلاة والسّـلام فـي بدايـة الحـديث المتمثّـل بالضّـمير المنفصـل (إيّـاك). وبـيّن الـنّصّ بـذلك التّحـذير أنَّ الغيبـةَ مـن كبـائر الـذّنوب، وأنَّ الزّنـا مـع قباحـة وشـناعة ارتكابـه؛ لكـن الغيبـة أشـدُّ منـه مـن حيـث الـذّنب وصـعوبة التّكفيـر عنهـا؛ لأنَّهـا مرتبطـةٌ بحقـوق الآخـرين. إنَّ هـذا الإحـالات التّـي أسـهمت فـي بنـاء الـنّصّ "سـواءٌ كانـت الإحالـة إلـى بعيـدٍ أو إلـى قريـبٍ، فـإنَّ عامـل الإحالـة يسـهم بـدورٍ فعّـالٍ فـي تـرابط الـنّصّ وتماسـكه، إلـى جـوار العامـل التّركيبـيّ والعامـل الزّمنـيّ؛ إذ إنَّ الملفـوظ نصّـاً يكتمـل عندما تترابط أجزاؤه باعتماد الرّوابط الإحاليّة"[2] .

وقـد اقتصـرتُ فـي تنـاول الإحالـة علـى مـا عرضـته مـن وسـائل الإحالـة (الضّـمائر، أسـماء الإشـارة، الأسـماء الموصـولة)؛ لأنّ الهـدف مـن دراسـة بنيـة الـنّصّ فـي حِكَـم النّبـيّ الأعظـم، هـو للإشـارة إلـى الـدّور المهـمّ الّـذي تقـوم بـه تلـك الوسـائل فـي تماسـك الـنّصّ. وهـذا لا يعنـي التّقليـل مـن شـأن وأهمّيّـة الوسـائل الأخـرى؛ إذ إنَّ كـلّ جـزءٍ يـردّ فـي سـطح النّصّ هو لخدمة النّصّ.

(١) الرّسائل والوصايا في نهج البلاغة (أطروحة دكتوراه) ورود سعدون عبد: ٩٠.

(٢) دراسات لغويّة تطبيقيّة في العلاقة بين البنية والدّلالة: ١٥١.

ب- الحذف

يُعَدُّ الحذف وسيلةً من وسائل الاتّساق النّحويّة المهمّة، وسمةً بارزةً من سمات الإيجاز في اللّغة؛ إذ إنَّ الحذف أفصح من الذّكر، فهو يُزيّن النّصّ بحُليٍّ من الإيجاز، المرصّع بالجمال والبلاغة، جاعلاً أيّاه نصّاً متماسكاً ومترابطًا ومجرّدًا من التّكرارات الّتي لا طائلَ منها. حدّه بوجراند بقوله: هو "استبعاد العبارات السّطحيّة الّتي يمكن لمحتواها المفهوميّ أن يقوم في الذّهن أو أن يوسّع أو أن يعدّل بواسطة العبارات النّاقصة"(١) .

يظهر الحذف جلياً في بنية النّصّ عندما يكون هناك تواصل وتفاهم بين مُلقي النّصّ ومتلقّيه. فالمتكلّم يقوم بإسقاط بعض العناصر اللّغويّة من سطح النّصّ بعد أن يقدّم قرائن تدلّ عليها، ويرسم بتلك القرائن علاقةً إحاليّةً بين العنصر المحذوف والقرائن المتوفرة داخل النّصّ؛ لأنَّ وجود تلك القرينة في فضاء النّصّ يسهم في فهم المحذوف وتقديره، فهي بمثابة مرشدٍ للقارئ داخل النّصّ. على أن يفهم المتلقّي النّصَّ دون جهدٍ أو تكلّف، ويسدّ الفجوات داخل بنية النّصّ بالاعتماد على المعلومات الّتي اكتسبها من النّصّ(٢). ومن المفيد أن نشير إلى أنَّ "أهمّيّة دور الحذف في الاتّساق ينبغي البحث عنه في العلاقة بين الجمل وليس داخل الجملة الواحدة"(٣) .

إنَّ تحقيقَ الفائدةِ من الحذف داخل النّصّ مقرونٌ بأمرين، الأوّل: هو أنَّ هنالك قرينةٌ حاليّةٌ، عقليّةٌ، لفظيّةٌ سبق ذكرها في فضاء النّصّ، تدلُّ على العنصر المحذوف، وتعمل على تكوين مرجعيّة بين العنصر المحذوف والمذكور داخل بناء النّصّ. والأمر الآخر منهما: هو ألّا يؤدّي الحذف إلى الإبهام واللّبس في فهم معاني النّصّ من قبل المتلقّي. وإن فقد الحذف هذين الأمرين في النّصّ، يكون لغوًا لا فائدةَ منه في بنية النّصّ(٤) .

---

(١) النّصّ والخطاب والإجراء: ٣٠١.

(٢) ينظر: نظرية علم النّصّ: ٨٧-٨٨.

(٣) لسانيات النّصّ مدخل إلى انسجام الخطاب: ٢٢.

(٤) ينظر: علم لغة النّصّ النّظريّة والتّطبيق: ١١٦.

إنَّ الحـذف كمـا أشـرنا يسـهم بـربط أجـزاء الـنّصّ وتماسـكها. وهـذا التّماسـك والاتّسـاق يقوم على محورين(١):

١- المرجعيّـة: هـذه المرجعيّـة الّتـي تسـهم فـي فهـم وتقـدير المحـذوف لا تتحقّـق إلّا بوجـود قرينـة أي: إحالـة العنصـر المحـذوف علـى العنصـر اللّغـويّ (القرينـة) الّـذي ذُكـر فـي فضـاء النّصّ.

٢- التّكـرار: مـن المعلـوم أَنَّ الحـذف يقـوم بـربط جمـلٍ متتاليـةٍ داخـل الـنّصّ، ويسـهم باسـتمراريّة الـنّصّ. وإنَّ المحـذوف داخـل الـنّصّ يقـوم مقـام المـذكور فيـه، بمعنـى أنَّـه تكـرار؛ ولكنّ دون إعادة اللّفظ.

يقـع الحـذف داخـل البنيـة النّصّـيّة، عنـد لسـانيّي الـنّصّ تحـت ثلاثـة أنـواعٍ (الحـذف الاسـميّ، الحـذف الفعلـيّ، الحـذف الجملـيّ)؛ علـى أنَّ الحـذف الجملـيّ كثيـر مـا يعـول عليـه لسانيو النّصّ؛ لأنَّه منبثق من العلاقات بين الجمل؛ ولأهمّيّته في بناء واتّساق النّصّ(٢)

ومـن شـواهد الحـذف الاسـميّ فـي حِكَـم النّبـيّ الأعظـم قولـه ﷺ: "إنّ رجـلاً جـاءَ إلـى النّبـيّ (ﷺ) فقـال: يـا رسـول اللهِ مـا عَمـلُ الجَنَّـةِ؟ قـالَ: الصَّـدقُ ، إذا صَـدَقَ العَبـدُ بَـرَّ، وإذا بَـرَّ آمَـنَ، وإذا آمَـنَ دَخَـلَ الجَنَّـةَ. قـالَ: يـا رسـولَ اللهِ، ومـا عَمَـلُ النـارِ ؟ قـالَ: الكـذبُ، إذا كَذَبَ العَبدُ فَجَرَ، وإذا فَجَرَ كَفَرَ، وإذا كَفَرَ يَعني دَخَلَ النّارَ"(٣) .

عنـد تأمّـل بنيـة الـنّصّ نلحـظ فيهـا مواضـع متعـدّدةً للحـذف. كانـت القرينـة فـي كـلّ موضـعٍ مقاليّـةً حاليّـةً، دلّ عليهـا سـؤال الرّجـل المسـتفهم عـن عمـل الجنّـة وعمـل النّـار، وإجابـة الرّسـول (ﷺ) علـى اسـتفهام الرّجـل. ففـي الموضـع الأوّل كـان موضـع الحـذف فـي (الصّـدق...) والمحـذوف (عمـل الجنّـة) بـدليل السّـؤال الأوّل للمـتكلّم، والتّقـدير (الصّـدق عمـل الجنّـة)، وفـي الموضـع الثّـاني كـان الحـذف فـي (الكـذب...) والمحـذوف (عمـل النّـار) بـدليل السّـؤال الثّـاني للمـتكلّم نفسـه، والتّقـدير (الكـذب عمـل النّـار)، أمّـا الموضـع الثّالـث، فكـان الحـذف مـع الأفعـال (بـرَّ، آمـن، فجـر، كفـر)، إذ حُـذف الفاعـل (العبـد) مـع هـذه

(١) ينظر: علم اللّغة النّصّيّ بين النّظريّة والتّطبيق: ٢/ ٢٠٨-٢٠٩ ، وعلم لغة النّصّ النّظريّة والتّطبيق: ١١٦، ١٧٢.

(٢) ينظر: لسانيات النّصّ مدخل إلى انسجام الخطاب: ٢٢ ، وعلم لغة النّصّ النظرية والتطبيق: ١١٨.

(٣) حكم النّبيّ الأعظم: ٥/ ١٠٩ ، وينظر: التّرغيب والتّرهيب: ٣/ ٥٩٢.

الأفعال؛ لعلم المتلقّي به، فـ(العبد) منذ انطلاق النّصّ مثّل مرجعاً مركزيّاً متكرّراً حُذف من فضاء النّصّ، وحقّق اقتصاداً لغويّاً أبعد النّصّ عن الرّتابة والملل.

أسهم الحذف في تحقيق دورٍ بارزٍ في اتّساق وتماسك النّصّ، وحقّق اقتصادًا لغويّاً في بنية النّصّ؛ إذ جعل الجمل داخل النّصّ قصيرةً ومتقابلةً؛ ممّا أزاح البعد بينها وجعلها أكثر قرباً، ويتّضح من ذلك أنَّ "ما يقوم به الحذف من تقريب المسافة بين المفردات الظّاهرة في سطح النّصّ، والّتي كان العنصر المحذوف يفصل بينها تعكس رغبة الكاتب في إظهارها لقارئه لهدفٍ ما. وهذا مما يؤكّد أنّ التّشكيلات اللّغويّة انعكاسٌ مباشرٌ لتشكيلات نفسيّة"(١).

فالنّصّ يصوّر سلسلةً من السّلوكيات النّفسيّة التّي تؤدّي إلى الجنّة أو النّار. وأوّل تلك السّلوكيات (الصّدق/الكذب)، فالإنسان حتّى يكون صادقًا يجب عليه أن ينسجم بما يؤمن به، فالإيمان يمنح الشّخص المؤمن جنّةً روحيّةً وسعادةً في الدّنيا، ونعيمًا في الآخرة. وعلى العكس من هذا فإنَّ الإنسان عندما يختار طريق الكذب، يضطر للاستمرار به بسلوكيات (الفجور)، فيتولّد لديه الشّعور بالضّياع والتّيه في الدّنيا. فتكون حياة الكافر في الدّنيا جحيمًا، ويجد العذاب الأليم.

وأسهم الحذف أيضاً في إيجاد مقابلةٍ بين طرفي النّصّ (الجنّة والنّار) (الصّدق والكذب)، وهذه الثّنائيات المتضادة مع الحذف فضلاً عن التّراكيب المتوازية المتّصلة بسلسلةٍ شرطيّةٍ تعليليّةٍ جعلت النّصّ أكثر تماسكًا، ورسّخت المفاهيم الّتي يحملها النّصّ في ذهن المتلقّي، ومن ثمّ حقّق الحذف داخل النّصّ "التّرابط من خلال البحث عمّا يملأ الفراغ فيما سبق من خطاب وبذلك يقوم المتلقّي للنّصّ بعملية الرّبط التّلقائيّ بين السّياق الحاليّ وما سبق من خطاب"(٢) .

ومن شواهد الحذف الفعليّ في حِكَم النّبيّ الأعظم، ما رواه الإمام الصّادق (عليه السّلام) عن جدّه رسول الله ﷺ في فضل الصّدقة، قوله :ﷺ "إنَّ الله لا إلهَ إلَّا هُوَ،

(١) نظرية علم النّصّ: ٩٠.

(٢) التّرابط النّصّيّ في ضوء التّحليل اللّسانيّ للخطاب: ٧١.

لَيَـدفَعُ بِالصَّـدَقَةِ الـدَّاءَ، وَالدُّبَيلَـةَ، وَالحَـرَقَ، وَالغَـرَقَ، وَالهَـدمَ، وَالجُنـونَ، وعَدَّيَلَـةُ سَـبعينَ بابـاً مِنَ السّوءِ"[1] .

نلحـظ أنَّ الحـديث المبـارك قـد تضـمّن فجـواتٍ متعـددة، أسـهم الحـذف فـي وجودهـا وعمـل المتلقّـي علـى سـدِّ تلـك الفجـوات بالاسـتعانة بالقرينـة المتـوافرة داخـل الـنّصّ. فقـد تمثّلـت هـذه الفجـوات بالأفعـال المحذوفـة فـي المواضـع التّاليـة (وَ...الدُّبَيلَـةَ، وَ...الحَـرَقَ، وَ...الغَـرَقَ، وَ...الهَـدمَ، وَ...الجُنـونَ، و...عَدَّيَلَـةُ سَـبعينَ بابـاً مِـنَ السّـوءِ)، والمحـذوف فـي هذه المواضع كلّها هو الفعل (يدفع) بدليل القرينة المذكورة في سياق النّصّ.

كمـا أسـهم الحـذف فـي اختصـار الـنّصّ، وجعلـه أكثـر تماسكًا، وركّـز علـى الـرّبط بـين الصّـدقة ومـا تدفعـه مـن بـلاء، عـن طريـق جعـل الـنّصّ قصـيرًا متماسكًا، كأنّـه جملـةٌ واحـدةٌ. فلـم يُفصـل بـين الصّـدقة ومـا ترفعـه مـن بـلاء بـأيّ فاصـلٍ داخـل الـنّصّ، بـل سـارع إلـى ذكـر ما تدفعه مباشرة؛ للدّلالة على سرعة أثرها في رفع البلاء.

إنَّ التّركيـز علـى المعنـى والتّقـارب بـين الجمـل، اللّـذان أحـدثهما الحـذف فـي الـنّصّ جعـل معنـى الـنّصّ ذا قـوةٍ، وواضـحًا للمتلقّـي؛ إذ "تتـرك هـذه الوسـيلة الاتّسـاقيّة مسـاحةً للقـارئ ليمـارس فعـل القـراءة، فيعمـل علـى استحضـار العناصـر المحذوفـة فـي ذهنـه حتّـى يصـل بهـا البنيـة السّـطحيّة للـنّصّ، التّـي تبـدو للوهلـة الأوّلـى بنيـة متقطّعـة وغيـر مسـتمرة؛ أي أنَّه بحث عن العنصر اللّغويّ المفترض"[2] .

كمـا نلحـظ أنَّ حـذف الأفعـال داخـل الـنّصّ جـاء بأسـلوب العطـف، فيـدرك متلقّـي الـنّصّ أن مـا بعـد (الـواو) هـو اسـتمرارٌ لمـا قبلهـا "فباشـتراك المعطـوف والمعطـوف عليـه فـي المعنـى أو الحكـم واتّحـاد السّـياق الـدّاخليّ للتّركيـب، والاعتمـاد علـى القـرائن اللّفظيّـة، تـمّ الاسـتغناء عـن تلـك المحـذوفات ... وقـد أهـدى إليهـا وقـدرت تقـديراً اعتمـاداً علـى العلاقـة القبليّة"[3] .

وإذا طالعنـا حِكَـم النّبـيّ الأعظـم بحثًـا عـن نصـوص تتضـمّن الحـذف الجملـيّ ألفينـا نصوصًـا كثيـرةً تتضـمّن هـذا الحـذف. منهـا علـى سـبيل المثـال قولـه ﷺ : "أتـى النّبـيَّ

(١) حكم النّبيّ الأعظم: ٣/ ٦٢٧ ، وينظر: الكافي: ٤/ ٥.

(٢) لسانيات النّصّ، لينده قيّاس: ٢٩.

(٣) الرّسائل والوصايا في نهج البلاغة (أطروحة دكتوراه) ورود سعدون : ١١١.

ﷺ رجلٌ فقالَ: لقد لَقيتُ مِن وسوَسَةِ صدري شِدَّةً وأنا رجلٌ مُعيلٌ مَدينٌ مَحُوجٌ فقالَ لهُ: كَرُرْ هذهِ الكلِماتِ «تَوَكّلتُ علَى الحَيِّ الّذي لا يَموتُ، والحَمدُ للهِ الّذي لَم يَتَّخِذْ صاحِبَةً ولا وَلَداً، ولَم يَكُن لَهُ شَريكٌ في المُلكِ، ولَم يَكُن لَهُ وَليٌّ مِن الذُّلِّ وكَبِّرْهُ تَكبيراً» فلَم يَلبَثِ الرّجُلُ أن عادَ إلَيهِ. فقالَ: يا رسولَ اللهِ، أذهَبَ اللهُ عَنّي وَسوَسَةَ صَدري، وقَضى دَيني ووَسَّعَ رِزقي"[1] .

فالمحذوف في النّصّ المبارك هي الجملة الإسميّة المتمثّلة بجملة (الحمدُ للهِ الذّي)، وقد حُذفت كلّها بركنيها المبتدأ والخبر إضافة إلى الاسم الموصول. ومواضع الحذف في النّصّ هي (١... ولم يكن له شريك في الملك)، (٢... ولم يكن له ولي من الذّل)، والمحذوف في كلا الموضعين جملة (الحمدُ للهِ الذّي) بدليل القرينة اللّفظيّة الّتي ذُكرت في سطح النّصّ.

فقد أسهم حذف الجملة الّذي أشرنا إليه، فضلاً عن حذف لفظ الجلالة (الله) في (وقضى ديني ووسّع رزقي) في تشكيل فجواتٍ داخل بنية النّصّ، يملأها متلقّي النّصّ عن طريق القرائن اللّفظيّة الّتي قدّمها النّصّ إليه، وهذه وسيلةٌ مهمةٌ لتشويق متلقّي النّصّ، ولتنشيط ذهنه؛ ليفهم المعاني عن طريق السّياق ويسهم في بناء نصٍّ متكاملٍ، فمتلقّي النّصّ له "دورٌ مركزيٌّ في عمليّة الحذف، فهو الّذي يوجّهها ويتحكّم فيها، فالحذف عمليّة لا يجريها المتكلّم إلّا وهو يقرأ فيها حسابًا للمخاطب"[2] .

فالحذف أغنى عن تكرار الجملة المحذوفة (الحمدُ للهِ الذّي)، وحافظ على المعنى داخل النّصّ، فلو تكرّر المحذوف في الموضعين كليهما لكان النّصّ مملًا. وحقّق الحذف ربطًا بين الجمل "عن طريق إحالة المحذوف على المذكور السّابق في النّصّ، واستمرار المعنى عبر التّكرار، ممّا ينشأ عنه استمرار التّواصل عبر دلالات الغياب"[3] .

ج- الرّبط

تُعَدُّ أدوات الوصل إحدى وسائل الاتّساق النّحويّة المهمّة؛ إذ تقوم هذه الأدوات بعملٍ فعّالٍ داخل بنية النّصّ. فهي تعمل على ربط شتات الجمل في سطح النّصّ،

(١) حكم النّبيّ الأعظم: ١/ ٤٤١-٤٤٢ ، وينظر: من لا يحضره الفقيه: ١/ ٣٣٨.
(٢) أصول تحليل الخطاب في النّظريّة النّحويّة العربيّة: ٢/ ١١٧٥.
(٣) علم لغة النّصّ النّظريّة والتّطبيق: ١٧٢-١٧٣.

مشكّلةً كيانًا نصّـيّاً متماسكًا علـى المستويين الـدّلاليّ واللّغـويّ. فـأدوات الـرّبط لا تقـلُّ أهمّيّـة عـن بـاقي وسـائل الاتّسـاق النّحـويّ مـن ضـمائر وأسـماء موصـولة وأسـماء إشـارة، فهـي تتضافر مع هذه الوسائل؛ لإنتاج نصٍّ يتسم بسمة النّصّيّة(١) .

حـدّها بوجرانـد بقولـه : "الـرّبط يشـير إلـى العلاقـات الّتـي بـين المسـاحات أو بـين الأشياء الّتي في هذه المساحات"(٢) .

إنَّ لأدوات الوصـل ميـزة خاصّـة تميّزهـا عـن غيرهـا مـن وسـائل الاتّسـاق الأخـرى، وهـي خلوهـا مـن إشـارةٍ موجّهـةٍ نحـو البحـث عـن المفتـرض داخـل الـنّصّ، سـواء كانـت هـذه الإشارة إلـى سـابقٍ أو لاحـق، فهـي ليسـت إحالـة، ولا تتضـمّن أيّـاً مـن تلـك الإشـارات؛ ولكـن بوساطة هذه الأدوات تترابط الجمل السّابقة بالجمل اللّاحقة لتكوين النّصّ المترابط(٣) .

فالجمـل داخـل الـنّصّ تمثّـل حلقـات مبعثـرة يمكـن الوقـوف عنـد أيّـة حلقـةٍ منهـا؛ ولكـن يمكـن لأيّـة حلقـةٍ "أنَّ تفهـم معزولـة عنهـا. فكـلّ مكـوّنٍ مـن مكوناتـه يمثّـل مَعْلَمَـاً أو نقطـة Repére تتقـدّم بهـا الأحـداث إن كانـت حـدثاً، وتتعـدّد بهـا الـذّوات إن كانـت ذاتـاً"(٤). فـأدوات الـرّبط هـي مـن تقـوم بـنظم هـذه الحلقـات بصـورةٍ صـحيحة؛ لتكـوّن لنـا نصًّـا متماسـكًا، عـن طريـق ربـط الجمـل مـع بعضـها، ممهـدة لنـا الطّريـق لفهـم الـنّصّ وتتـابع أحداثه.

يضـمُّ الوصـل أدوات متعـددة، وهـذه الأدوات تصـنّف حسـب هاليـداي ورقيـة حسـن علـى أربعـة أقسـامٍ، وهـي: الوصـل الإضـافيّ، الوصـل السّـببيّ، الوصـل الاسـتدراكيّ، الوصـل الزّمنيّ(٥) .

وسـأتجاوز غـور البحـث فـي دقـائق كـلّ قسـمٍ مـن هـذه الأقسـام الأربعـة. جـاعلًا البوصـلة تتّجـه نحـو نمـاذج مـن هـذه الأدوات؛ لأُبـيّن أثرهـا فـي اتّسـاق وتماسـك حِكَـم النّبـيّ الأعظم. وهذه الأقسام على النّحو الآتي:

---

(١) ينظر: في اللسانيات ونحو النّصّ:٢٠٤ ، ومدخل إلى علم النّصّ ومجالات تطبيقه:١٢٩، وبناء الجملة العربيّة: ١٩٣.

(٢) النّصّ والخطاب والإجراء : ٣٤٦.

(٣) ينظر: لسانيات النّصّ مدخل إلى انسجام الخطاب: ٢٢-٢٣ ، ونظرية علم النّصّ:٩٤.

(٤) نسيج النّصّ:٤٣.

(٥) ينظر: لسانيات النّصّ مدخل إلى انسجام الخطاب:٢٣.

- **الرّبط الإضافيّ**

وهـو الـرّبط الّـذي يقـوم بـالرّبط بـين "صـورتين أو أكثـر مـن صـور المعلومـات بـالجمع بينهما؛ إذ تكونان متحدتين من حيث البيئة أو متشابهتين"(١) .

وأدوات هـذا النّـوع مـن الـرّبط هـي (و، أو، أم، كـذلك) ولكـلّ أداةٍ مـن هـذه الأدوات معنى بلاغيّ تتّسم به، وتُستعمل فيه(٢) .

ومـن أمثلـة ذلـك فـي حِكَـم النّبـيّ الأعظـم، مـا ورد فـي قولـه ﷺ: "يـا مُعـاذُ، إنَّ المُـؤمِنَ لَـدَى الحَـقِّ أسـيرٌ. يَعلَـمُ أنَّ عَلَيـهِ رَقيبـاً، عَلـى سَـمعِهِ وبَصَـرِهِ ولِسـانِهِ ويَـدِهِ ورِجلِـهِ وبَطنِـهِ وفَرجِـهِ، حَتَّـى اللَّمحَـةِ بِبَصَـرِهِ وفَتـاتِ الطّـينِ بِإِصـبَعِهِ وكُحـلِ عَينَيـهِ وجَميـعِ سَـعيِهِ، إنَّ المُـؤْمِنَ لا يَـأْمَنُ قَلبُـهُ ولا يَسـكُنُ رَوعَتُـهُ ولا يَـأْمَنُ اضـطِرابهُ، يَتَوَقَّـعُ المَـوتَ صَـباحاً ومَسـاءً، فَـالتَّقوى رَقيبُـهُ، وَالقُـرآنُ دَليلُـهُ، وَالخَـوفُ حُجَّتُـهُ، وَالشَّـرَفُ مَطِيَّتُـهُ، وَالحَـذَرُ قَرينُـهُ، وَالوَجَـلُ شِـعارُهُ، وَالصَّـلاةُ كَهفُـهُ، وَالصِّـيامُ جُنَّتُـهُ، وَالصَّـدقَةُ فَكاكُـهُ، وَالصِّـدقُ وَزيـرُهُ، وَالحَيـاءُ أميرُهُ، ورَبُّهُ تَعالى مِن وَراءِ ذَلِكَ كُلِّهِ بِالمِرصادِ"(٣) .

نلحـظ فـي الحـديث الشّـريف أنَّ أداة الـرّبط (الـواو) سـجّلت حضـوراً لافتًـا فـي بنيـة الـنّصّ؛ إذ تكـرّرت ثلاثـة وعشـرون مـرةً فـي سـطح الـنّصّ. كانـت (الـواو) فـي سـبعةِ مواضـعَ رابطةً بين المفردات، وفي ستة عشر موضعًا رابطةً بين الجمل.

إنَّ أداة الـرّبط (الـواو) تفـرّدت عـن سـائر الأدوات الأخـرى بميـزة جوهريّـة، وهـي يمكـن للنّاصّ أن يستعملها للتّعبير والتّصريح في أنواع الرّبط المختلفة(٤) .

ووجـود (الـواو) كـان مناسـبًا للـنّصّ؛ إذ منحتـه إيقاعًـا خطابيّـاً قويًـا؛ لأن الرسـول ﷺ أخـذ يعـدّد صـورًا وصـفاتٍ للمـؤمن الصّـادق، وحقّقـت الـواو الـرّبط الـدّلاليّ والتّركيبـيّ فـي بنية النّصّ، ومنعت تفكّك المعاني وتقطّعها.

وأسـهمت بهـذا الحضـور الفعّـال بـربط شـتات الجمـل فـي الـنّصّ، وجعلتـه كيانًـا لغويّـاً متماسـكًا، عـن طريـق ربـط الصّـفات داخـل بنيـة الـنّصّ دون تفكيـك؛ إذ إنّ كـلّ الصّـفات

(١) النّصّ والخطاب والإجراء : ٣٤٦.

(٢) ينظر: علم لغة النّصّ النّظريّة والتّطبيق : ١١١.

(٣) حكم النّبيّ الأعظم: ١/ ٤٢٨ ، وينظر: حلية الأولياء: ١/ ٢٦.

(٤) ينظر: النّصّ والسّياق، فان دايك:٩٠.

تشـير إلـى مركـزٍ واحـدٍ وهـو (المـؤمن)، وهـذا تأكيـدٌ علـى مركزيّـة المعنـى فـي الـنّصّ. فقـد أسـهمت (الـواو) "فـي وصـل المعـاني بعضـها بـبعض، وربـط أجـزاء الكـلام، وتحقيـق الفائـدة منـه، ولـولاه لاحتـاج المـتكلّم إلـى ذكـر أشـياء يتعـذّر معهـا ائـتلاف أجـزاء القـول ومعاملتـه شكلًا واحدًا"[١] .

كمـا تضـافرت وسـائل الـرّبط فـي بنيـة الـنّصّ المتمثّلـة بـالأدوات (الـواو والفـاء وحتّـى) على "تحقيق تماسك النّصّ عبر تتابع أدوات الرّبط بين الجمل"[٢] .

مـن المفيـد أن نشـير إلـى أنَّ عـزّة شـبل ذكـرت عبـارات تنضـوي تحـت مفهـوم الـرّبط الإضـافيّ تحمـل فـي طياتهـا معـانٍ متعـددة، منهـا التّشـبيه الـدّلاليّ، أو اسـتعمال المقارنـة المنفيّـة، أو عبـارات تـدلُّ علـى معـاني الشّـرح أو التّمثيـل أو التّخصـيص. ومـن هـذه العبـارات : بـنفس الطّريقـة، علـى نحـو خـاصّ، بالمصـادفة، مـن ناحيـة أخـرى، بكلمـات أخـرى. وغيرهـا مـن العبـارات الأخـرى[٣]. وهـذه العبـارات الّتـي ذكرتهـا عـزّة شـبل تخلـو منهـا اللّغـة النّبويّـة؛ لأنَّ كلامـه ﷺ يتّسـم بالإيجـاز والبلاغـة، وتأديـة الكـلام بألفـاظٍ قليلـةٍ ذات معانٍ كثيرة، دون عناء وتكلّف.

- **الرّبط السّببيّ**

وهـو ربـطٌ "بـين عنصـرين يعتمـد أحـدهما علـى وجـود الآخـر. وتُمثّـل تلـك الأدوات عـدّة أنـواع، كالسّـبب والنّتيجـة لا تظهـر النّجـوم نهـارًا؛ لأنَّ الشّـمس موجـودة. ومـن تلـك الأدوات: لِ...– لأن – لكي – لذلك – من أجل ..."[٤] .

ومـن شـواهد الـرّبط السّـببيّ مـا روي عـن رسـولنا الكـريم ﷺ قولـه: "رَأيـتُ ليلـةَ أُسـرِيَ بـي عَلـى بـابِ الجَنَّـةِ مَكتوبـاً: الصَّـدَقةُ بعَشـرِ أمثالِهـا، والقَـرضُ بثَمانِيَـةَ عَشـرَ، فقلـتُ: يـا جَبرَئيـلُ، مـا بـالُ القَـرضِ أفضَـلَ مِـن الصَّـدقَةِ؟ قـالَ: لأنَّ السـائلَ يَسـألُ وعِنـدَهُ، والمُسـتَقرِضَ لا يَستَقرِضُ إلَّا مِن حاجَةٍ"[٥] .

---

(١) نحو النّصّ إطار نظريّ ودراسات تطبيقيّة، عثمان أبو زنيد:١٣٢.

(٢) علم لغة النّصّ النّظريّة والتّطبيق: ١٦٣.

(٣) ينظر: المصدر نفسه: ١١١.

(٤) نظريّة علم النّصّ:٩٥.

(٥) حكم النّبيّ الأعظم: ٤/ ٤٨٦ ، كنز العمال: ٦/ ٢١٠.

نلحظ في الحديث المبارك ترابطًا نصّيًّا ودلاليًّا حقّقته الأداة (لأنَّ) الّتي ربطت الكلام السّابق لها بالكلام اللّاحق. وفسّرت الحِكمة من تفضيل القرض على الصّدقة. وحدّدت العلاقة المنطقيّة داخل النّصّ، وهذه "العلاقة بين صورتين من صور المعلومات هي علاقة التّدرج، أي: أنَّ تحقّق إحداهما يتوقف على حدوث الأُخرى"[١]. فأنتجت كيانًا لغويًّا متماسكًا، بالتّضافر مع وسائل الرّبط الأخرى المتمثّلة بأداتي الرّبط (الواو) الّتي حقّقت الجمع بين عناصر النّصّ، و(الفاء) الّتي ربطت النّصّ بعد تعقيب الرّسول على كلام جبرائيل، فحقّق هذا الرّبط انسجامًا منطقيًّا في بنية النّصّ، "فالتّماسك إذن شكليّ الأداة دلاليّ المضمون والمعنى؛ لذلك لا تكتسب أداة العطف معناها العطفيّ إلّا من خلال وقوعها في تركيب العطف"[٢] .

- **الرّبط الزّمنيّ**

ويقصد به "ربط بين الأحداث أو الحركات حسب تعاقبها على محور الزّمن"[٣]. يستعمل هذا الرّبط ألفاظًا وتعبيراتٍ متعددة، منها: (ثمّ، الفاء، مبكرًا، في هذه اللّحظة، أثناء ذلك، على نحو تالٍ، في الوقت ذاته)... وغير ذلك من الألفاظ الّتي تربط العلاقات الزّمنيّة بين أحداث النّصّ[٤] .

ومن مواضع الرّبط الزّمنيّ في حِكَم النّبيّ الأعظم ﷺ ، الحديث الّذي رواه جابر: "لَمَا قَدِمَ النَّبِيَّ ﷺ مَكَّةَ دَخَلَ المَسجِدَ فَاستَلَمَ الحَجَرَ، ثُمَّ مَضى عَلى يَمينِهِ، فَرَمَلَ ثَلاثًا ومَشىْ أربَعًا. ثُمَّ أَتَى المَقامَ فَقالَ: واتّخِذوا مِن مَقامِ إبراهيمَ مُصَلّىً. فَصَلّى رَكعَتَينِ، والمَقامُ بَينَهُ وبَينَ البَيتِ. ثُمَّ أتَى الحَجَرَ بَعدَ الرَّكعَتَينِ فَاستَلَمَهُ، ثُمَّ خَرَجَ إلَى الصَّفا"[٥] .

---

(١) النّصّ والخطاب والإجراء: ٣٤٧.

(٢) علم اللّغة النّصّيّ بين النّظريّة والتّطبيق: ١/ ٢٤٩.

(٣) نسيج النّصّ: ٤٦.

(٤) ينظر: علم لغة النّصّ النّظريّة والتّطبيق:١١٢.

(٥) حكم النّبيّ الأعظم: ٦/ ٢٢٦ ، وينظر: سنن التّرمذيّ: ٢/ ٢٧٤.

أدّى الـرّبط الزّمنـيّ فـي الـنّصّ إلـى رسـم صـورة مناسـك الحـجّ. فقـد قـدّم الـنّصّ أحـداثًا زمنيّـةً متتاليـةً تربطهـا أدوات الـرّبط الزّمنـيّ (الفـاء، ثـمّ)، فضـلاً عـن حـرف العطـف (الـواو)، فقد تضافرت هذه الأدوات على إنتاج نصٍّ لغويّ متماسك.

تكـرّرت (الفـاء) خمـس مـراتٍ فـي سـطح الـنّصّ، وهـذا التّكـرار "يشـير إلـى التّتـابع الزّمنـيّ السّـريع"[١]. فعملـت علـى ربـط كـلّ حـدثٍ مـن هـذه الأحـداث (فاسـتلم، فرمـل، فقـال، فصـلّى، فاسـتلمه) بتعقيـبٍ سـريعٍ بمـا قبلهـا، فـلا يشـعر قـارئ الـنّصّ بانقطـاع الـنّصّ وتفكّكـه أو يشـعر بوجـود فجـوات زمنيّـة داخـل بنيـة الـنّصّ. أمّـا الأداة (ثـمّ)، فتكـرّرت أربـع مـراتٍ فـي الـنّصّ. وهـي تفيـد التّرتيـب مـع التّراخـي فـي الـزّمن. ودلّـت فـي الـنّصّ علـى وجـود مهلـةٍ زمنيّـةٍ بـين أحـداث الـنّصّ المتمثّلـة بـ(مناسك الحـجّ)، وبيّنـت أنّ بـين كـلّ نسـكٍ مـن هـذا العمل الشّعائريّ مسافةً زمنيّةً، فأسهمت (ثمّ) بترتيب تلك الأحداث داخل النّصّ.

أَمّـا حـرف العطـف (الـواو)، فقـد أسـهم فـي تماسـك الـنّصّ وانسـجامه؛ إذ تكـرّر فـي (ومشـى، واتّخـذوا، والمقـام، وبـين البيـت) ترتيبًـا قائمًـا علـى العلاقـة بـين السّـبب والنّتيجـة داخـل الـنّصّ. "فمـع اخـتلاف معـاني أدوات الوصـل الزّمنـيّ فيمـا بينهـا...إلّا إنّ وظيفـة الوصـل هـي نفسـها تقويـة العلاقـات بـين الجمـل المتعاقبـة أفقيًّـا، وجعلهـا مترابطـة نصّـيًّا، وهي بذلك وسيلة من وسائل الاتّساق النّصّيّ الّتي لا غنى عنها في إقامة النّصّ"[٢] .

- **الرّبط الاستدراكيّ**

ويسـمّى الـرّبط العكسـيّ أيضًـا. وهـذا الضّـرب "يـربط الاسـتدراك علـى سـبيل السّـبب بـين صـورتين مـن صـور المعلومـات، بينهمـا علاقـة تعـارض، ويمكـن اسـتخدام لكـن، بـل، مـع ذلك"[٣] .

ذهـب بوجرانـد إلـى أنّ الاسـتدراك "أضـعف مـن التّخييـر... ؛ وذلـك أنّ المـوقفين أو الحـدثين أو أيّ أمـرين آخـرين يعـدّان فـي ذواتهمـا غيـر قـابلين أن يجتمـع أحـدهما بـالآخر؛

(١) نظريّة علم النّصّ:٩٩.

(٢) الاتّساق والانجسام في روايات كتاب التّوحيد للشيخ الصّدوق (رسالة ماجستير) زينب حمديّ الجزائريّ: ١٠٧-١٠٨.

(٣) نحو النّصّ:١٢٩.

ولكنهما مع ذلك يوجدان في عالم نصّ واحد"[١]، ومن شواهد هذا الرّبط ما روي عنه ﷺ : "لَمّا زَوَّجَ رَسولُ الله ﷺ فاطِمَةَ قالوا: بِالرِّفاءِ وَالبَنينَ، فَقالَ: لا بَل عَلَى الخَيرِ وَالبَرَكَةِ"[٢] .

نلحظ في الحديث المبارك أنَّ الأداة (بل) أسهمت في ترابط وتماسك النّصّ، وربطت الزّمن بالحدث، عن طريق الإضراب الانتقاليّ[٣]، الّذي حقّقته بل في سطح النّصّ؛ إذ بيّنت المعنى الّذي أضربت عنه متمثّلًا بالجملة الأوّلى، فهي مكروه استعمالها؛ لما فيها من نزعة جاهليّة[٤]، وانتقلت إلى معنى بيّن وسليم تمثّل بالجملة الثّانية الّتي قدّمها الرّسول ﷺ بدلاً من الأوّلى، وهي العبارة الإسلاميّة الصّحيحة الّتي تنطلق من مفهوم الخير والبركة.

وأضفت (بل) على بنية النّصّ قوّةً بلاغيّةً عن طريق المقابلة بين الصّواب والخطأ والانتقال من النّفي إلى الإثبات. والرّبط بين شيئين "غير متّسقين معًا في عالم النّصّ"[٥]. وبهذا تضافرت (بل) مع وسائل الوصل الأخرى في بناء نصٍّ لغويٍّ متماسكٍ؛ "ولأنَّ وظيفةَ الوصلِ هي تقوية الأسباب بين الجمل وجعل المتواليات مترابطة متماسكة فإنَّه لا محالة يعتبر علاقة اتّساق أساسيّة في النّصّ"[٦] .

إنَّ من خلال تناولنا لأدوات الوصل يتّضح قلّة توظيف بعض الأدوات في حديثه الشّريف؛ وذلك يعود لقصر تلك الأحاديث. ولعلّ هذه الأحاديث كانت في أصلها خطبًا طوالًا، ثمّ تفكّكت تلك الخطب عند رواية الحديث الشّريف. أو أنَّ الرّاوي يروي هذا الجزء القصير من خطبة النّبيّ ﷺ لمناسبة القصد أو المقام الّذي يروم إليه. أو للاستشهاد على حُكمٍ دينيّ معين، ومن ثمّ تروى هذه الحِكمة مجذوذةً عن نصٍّ كاملٍ.

٣- الاتّساق المعجميّ

يُعَدُّ الاتّساق المعجميّ أحد وسائل الاتّساق النّصّيّة؛ إذ يعمل على تماسك واستمراريّة النّصّ، ويعمل كذلك على انسجام أجزائه السّطحيّة عن طريق تفسير العلاقة المحضة

(١) النّصّ والخطاب والإجراء:٣٤٩.

(٢) حكم النّبيّ الأعظم: ٣/ ٤٥٧ ، وينظر: الكافي: ٥/ ٥٦٨.

(٣) ينظر: الكتاب: ٤/ ٢٢٣.

(٤) ينظر: مرآة العقول في شرح أخبار آل الرّسول، العلّامة المجلسيّ: ٢٠/ ٤٢٥.

(٥) نظريّة علم النّصّ:٩٥.

(٦) لسانيات النّصّ مدخل إلى انسجام الخطاب:٢٤.

الّتـي تقـع بـين كلمتـين أو أكثـر، علـى أنَّ هـذه العلاقـة المعجميّـة المحضـة تخلـو مـن عناصـر نحويّـة تعمـل علـى إظهارهـا، عـلاوة علـى ذلـك فـإنَّ الاتّسـاق المعجمـيّ يمـنح النّصّ صفة النّصيّة عن طريق تنشيط مفردات النّصّ وتماسكها[١] .

ذكـر هاليـداي ورقيـة حسـن عـاملين يعمـلان علـى تحقيـق الاتّسـاق المعجمـيّ، يتمثّـل الأوّل منهمـا بعامـل المسـافة بـين الوحـدات المعجميّـة الّتـي تظهـر علـى سـطح الـنّصّ. والعلاقـة بـين المسـافة وهـذه الوحـدات علاقـة عكسـيّة، فكلّمـا تقتـرب هـذه الوحـدات فيمـا بينهـا داخـل سـطح الـنّصّ زاد اتّسـاق الـنّصّ صـلابةً وقـوّةً. أمَّـا العامـل الثّـاني، فيتمثّـل بعامـل الكثافـة كثافـة الوحـدات المعجميّـة؛ إذ يضـعف اتّسـاق بنيـة الـنّصّ كلّمـا زاد تـواتر استعمال الوحدتين المعجميتين داخل سطح النّصّ[٢] .

يتحقّق الاتّساق المعجميّ في بناء النّصّ بوسيلتين[٣]:

١- التّكرار.

٢- التّضامّ المصاحبة المعجميّة.

أ- التّكرار:

ويُقصـد بـه "إعـادة ذكـر لفـظ أو عبـارة او جملـة أو فقـرة؛ وذلـك بـاللّفظ نفسـه أو بـالتّرادف وذلـك لتحقيـق أغـراض كثيـرة أهمّهـا تحقيـق التّماسـك النّصّـيّ بـين عناصـر الـنّصّ المتباعدة"[٤] .

أطلـق عليـه بوجرانـد إعـادة اللّفـظ وحـدّه بقولـه: "هـي التّكـرار الفعلـيّ للعبـارات. ويمكـن للعناصـر المعـادة أن تكـون هـي بنفسـها أو مختلفـة الإحالـة أو متراكبـة الإحالـة. ويختلـف مدى المحتوى المفهوميّ الّذي يمكن أن تنشّطه هذه الإحالات بحسب هذا التّنوع"[٥] .

---

(١) ينظر: نظريّة علم النّصّ:١٠٦، ولسانيات النّصّ مدخل إلى انسجام الخطاب:٢٤ ، وعلم لغة النّصّ النّظريّة والتّطبيق:١٤١.

(٢) ينظر: أصول تحليل الخطاب: ١/ ١٤٣.

(٣) ينظر: لسانيات النّصّ مدخل إلى انسجام الخطاب: ٢٤ .

(٤) علم اللّغة النّصّيّ بين النّظريّة والتّطبيق: ٢/ ٢٠.

(٥) النّصّ والخطاب والإجراء:٣٠١.

إنَّ للتّكـرار أهمّيّـة فـي عـالم الـنّصّ، وترجـع هـذه الأهمّيّـة لـدوره الجـوهريّ فـي تماسـك الـنّصّ؛ إذ يسـهم فـي تـرابط بنيـة الـنّصّ واتّسـاقها، وفـي التّأكيـد علـى البـؤرة الدّلاليّـة فـي عـالم الـنّصّ ودعمهـا عـن طريـق التّكـرار؛ ممّـا يسـهم ذلـك بترسـيخها فـي ذهـن المتلقّـي؛ إذ إنَّ التّكـرار "يسـتمر بالإشـارة إلـى الكيـان ذاتـه فـي عـالم الـنّصّ، وعندئـذ يتـدعم ثبـات الـنّصّ بواسـطة هـذا الاسـتمرار الواضـح. فيخلـق تعـدد التّكـرار أساسًـا مشـتركًا بـين الجمـل؛ ممّـا يسهم في وحدة النّصّ وتماسكه"(١) .

جعـل الأزهـر الزّنّـاد التّكـرار المعجمـيّ نوعًـا مـن أنـواع الإحالـة داخـل فضـاء الـنّصّ إحالـة سـابقة تحيـل العنصـر المكـرّر إلـى عنصـر لغـويّ سـبق ذكـره، سـمّاها بـ(الإحالة التّكراريّـة). وأنَّ الغـرض مـن هـذه الإحالـة التّكراريّـة فـي سـطح الـنّصّ هـو تأكيـد للعنصـر المحيل عليه(٢) .

أمَّـا جمعـان عبـد الكـريم، فقـد جعـل فروقًـا بـين الإحالـة وبـين التّكـرار المعجمـيّ، وذهـب إلـى أنَّ "التّكـرار لا يعنـي أن اللّفـظ الثّـاني المكـرّر قـد يحيـل بالضّـرورة إلـى نفـس معنـى اللّفـظ الأوّل، ولـذلك فقـد تكـون بـين اللّفظـين المكـرّرين علاقـةٌ إحاليّـةٌ، وقـد لا تكـون... إنَّ أيّ إعـادةٍ للفـظ المعجمـيّ فـي الـتّلفّظ أو فـي الكتابـة تمثّـل ربطًـا حتّـى إن اختلـف المعنـى"(٣)، وفيمـا أرى أنَّ التّكـرار مـن حيـث مفهومـه العـامّ هـو إحالـةٌ إلـى عنصـرٍ سـبق ذكـره فـي فضـاء الـنّصّ، وأنّ العمليـات الذّهنيّـة لـدى متلقّـي الـنّصّ هـي مـن تحـدّد هـل هـذا العنصـر اللّفظـيّ المتكـرّر يشـير إلـى سـابقٍ أم هـو عنصـرٌ مسـتقلٌّ فـي ذاتـه لا يحمـل إشـارةً إلـى سـابق؟ وفـي الحـالتين كلتيهمـا يسـهم التّكـرار بـربط واتّسـاق الـنّصّ ممّـا يجعلـه كيانًـا لغويّاً متماسكًا.

صـنّف لسـانيو الـنّصّ التّكـرار إلـى أنـواع متعـددة (٤). و سنقتصـر فـي معـرِض بحثنـا هذا على شواهدَ من التّكرار الكلّيّ والتّرادف؛ لما لها من أثر في تماسك وانسجام النّصّ.

---

(١) علم لغة النّصّ النّظريّة والتّطبيق:١٠٥.

(٢) ينظر: نسيج النّصّ:١١٩.

(٣) إشكالات النّصّ:٣٦٠.

(٤) ينظر: نظريّة علم النّصّ:١٠٧ ، ولسانيات النّصّ مدخل إلى انسجام الخطاب:٢٤ ، ونحو النّصّ: ١٠٦- ١٠٧ .

يقصد بالتّكرار الكلّيّ "أنَّ المتكلّم يواصل الحديث عن نفس الشّيء، بما يعني استمراره عبر النّصّ. وهو ما يطلق عليه التّكرار المعجميّ البسيط ويحدث عندما يتكرّر العنصر المعجميّ دون تغيير"(١). ومن أمثلة هذا النّوع ما ورد في قوله ﷺ: "أفضَلُ الزُّهدِ في الدّنيا ذِكرُ المَوتِ، وأفضَلُ العِبادَةِ ذِكرُ المَوتِ، وأفضَلُ التَّفكُّرِ ذِكرُ المَوتِ، فمَن أثقَلَهُ ذِكرُ المَوتِ وَجَدَ قَبْرَهُ رَوضَةً مِن رِياضِ الجَنَّةِ"(٢) .

نلحظ أنَّ الحديث المبارك تضمّن تكرارًا كلّيًّا محضًا؛ إذ امتدت العناصر المتكرّرة من بداية النّصّ حتّى نهايته، متمثّلة بإعادة اللّفظين (ذكر الموت) و(أفضل). فقد تكرّر ذكر (الموت) أربع مراتٍ في سطح النّصّ. وتكرّرت اسم التّفضيل (أفضل) ثلاث مراتٍ. فأسهم هذا التّكرار بربط المتواليات الجمليّة بخيطٍ واحدٍ من المعنى "فالتّكرار في مثل هذا النّموذج يؤدّي دورًا واحدًا هو ... تذكير الدّال الثّاني بالدّال الأوّل، والتّذكير يؤدّي إلى ربط اللّاحق بالسّابق، أي أنَّه يُعَدُّ شكلًا من أشكال سبك النّصّ"(٣) .

وأنَّ تكرار الوحدات الصّوتيّة نفسها في فضاء النّصّ تسهم بشكلٍ كبيرٍ في اتّساق النّصّ؛ إذ إنَّ "التّكرار الكلّيّ هو إيقاعٌ صوتيٌّ لكلماتٍ محدّدةٍ شكّلت نوعين من التّنغيم داخل النّصّ: الوزن بصوته، والتّكرار بلفظه، فولّد هذا الإيقاع تطريزًا خارجيّاً لسطح النّصّ"(٤) .

أمَّا تكرار البنية التّركيبيّة (أفضل+ اسم + ذكر الموت) في سطح النّصّ، فقد أضفى على النّصّ إيقاعًا لغويًّا؛ إذ أسهمت هذه البنية التّركيبيّة المتكرّرة باستمراريّة المعنى، وتماسك التّراكيب اللّغويّة داخل النّصّ، فإذا "كان التّوازي يساهم في الاتّساق من خلال استمرار بنية شكليّة في سطور عديدة فإنَّه في الوقت نفسه يمنح فرصة لتنامي النّصّ، وذلك بإضافة عناصرٍ جديدة"(٥) .

---

(١) علم لغة النّصّ النّظريّة والتّطبيق: ١٠٦.

(٢) حكم النّبيّ الأعظم: ٢/ ٤٩٣ ، وينظر: جامع الأخبار: ٤٧٣.

(٣) النّصّ والخطاب قراءة في علوم القرآن، محمّد عبد الباسط:١٥٠.

(٤) التّطريز الصّوتيّ لسطح النّصّ، نوال الحلوة:٢٠.

(٥) لسانيات النّصّ مدخل إلى انسجام الخطاب:٢٣٠.

والفائـدة مـن شـحن الـنّصّ بهـذه التّكـرارات هـو لتـدعيم المعنـى المركـزيّ فـي ذهـن المتلقّـي، وربطـه ببـؤرة الـنّصّ المتمثّلـة بـ(الموت)، فكـلّ مـا يقـوم بـه الإنسـان مـن أعمـالٍ عباديّـة مـن وزهـد وتفكّـر يجـب أن يـرتبط بـالموت. فـالتّكرار أسـهم بشـدّ ذهـن المتلقّـي إلـى المحـاور الأساسـيّة فـي بنيـة الـنّصّ المتمثّلـة بـ(الزّهد، والعبـادة، والتّفكّـر). فـإذا كـان "لكـلِّ نـصٍّ محـاورٌ رئيسـيّةٌ، فيجـب أنْ تقـوم ظـاهرة التّكـرار بتـدعيم تلـك المحـاور"[١]. وهـذا مـا سـعى إليـه التّكـرار؛ إذ أسـهم بـربط المحـاور الثلاثـة بخـيطٍ واحـدٍ مـن المعنـى وهـو ذكـر الموت، ممّا جعل النّصّ كتلة لغويّة متماسكة.

فـالتّكرار داخـل الـنّصّ لـم يكـن حشـوًا لا فائـدة فيـه، بـل مهّـد لوضـع اسـتنتاج نهـائيّ تمثّـل بالجنّـة. وهـذا الاسـتنتاج بنـاه التّكـرار فـي فضـاء الـنّصّ، لا سـيّما تكـرار لفظـة (المـوت)؛ إذ رسم تكرارها طريقًا لإيقاظ القلب من غفلة دار الدّنيا والعمل لدار الآخرة.

أمَّـا الشّـكل الآخـر مـن التّكـرار الّـذي سـنتناوله فـي بحثنـا، فيتمثّـل بـالتّرادف. فقـد عرّفـه الشّـريف الجرجـانيّ (٨١٦هـ) بقولـه: "المتـرادف مـا كـان معنـاه واحـداً وأسـماؤه كثيـرة"[٢]. عـدّ لسـانيو الـنّصّ التّـرادف مـن محـددات الاتّسـاق المعجمـيّ؛ لمـا لـه مـن دورٍ مهـمٍّ فـي تماسـك الـنّصّ وانسـجامه. فهـو يُعَـدُّ "وسـيلة مـن وسـائل الـرّبط المعجمـيّ، يسـهم فـي امتـداد المعنى داخل النّصّ باعتباره شكلًا من أشكال التّكرار"[٣] .

ومـن أمثلـة التّـرادف فـي حِكَـم النّبـيّ الأعظـم، قولـه ﷺ: "الحَمـدُ للهِ الحَـقّ المُبـينِ، ذِي القُـوَّةِ المَتـينِ، وَالفَضـلِ العَظـيمِ، الماجِـدِ الكَـريمِ، المُـنعِمِ المُتَكَـرّمِ، الواسِـعِ... القـابِضِ الباسِـطِ المانِعِ ... باسِطِ اليَدَينِ بِالرَّحمَةِ ...مُنزِلِ الغَيث، باسِطِ الرِّزْقِ"[٤] .

نلحـظ أنَّ الحـديث الشّـريف تضـمّن مفـرداتٍ مترادفـةً مـع لفـظ الجلالـة الله، وهـي أسـماء الله الحسـنى (الحـقّ، المبـين، القـوي، المتـين، العظـيم، الماجـد، الكـريم، الواسـع، القـابض، الباسـط، المـانع). فكـلّ هـذه الأسـماء تُـرادف لفـظ الجلالـة (الله)؛ ولكـن هـذه الأسـماء لا

(١) نظريّة علم النّصّ:١٠٧.

(٢) التّعريفات، الشّريف الجرجاني:١٩٩.

(٣) علم لغة النّصّ النّظريّة والتّطبيق:١٤٩.

(٤) حكم النّبيّ الأعظم: ١/ ٥٥٣ ، وينظر: الدّروع الواقية: ٨٧.

تترادف فيما بينها؛ لأنّ هنالك اختلاف في دلالة الصّفة. وتبيان دلاليّ، فكلّ اسم منها يدلّ على معنى واحد[١] .

إنَّ لفظ الجلالة (الله) جامعٌ لتلك الصّفات كلّها؛ لأنَّ "هذا الاسم الشّريف دلَّ على الذّات المقدّسة الموصوفة بجميع الكمالات، وباقي الأسماء لا تدلُّ آحادها إلَّا على آحاد المعاني كالقادر على القدرة... إنَّ جميع أسمائه الحسنى تتسمّى بهذا الاسم ولا يتسمّى هو بشيءٍ منها فلا يقال الله اسم من أسماء الغفور أو الرّحيم؛ ولكن يقال الغفور اسم من أسماء الله تعالى"[٢] .

أسهم التّكرار بالمترادف في تماسك النّصّ، واستمرار المعنى داخل بنية النّصّ، وأضفى تنوّعًا دلاليّاً في فضاء النّصّ؛ إذ ربط النّصّ بخيطٍ من المعنى المستمر وهو مناجاة الله سبحانه وتعالى بمختلف صفاته الّتي تدلّ عليه. وأسهم أيضًا في تأكيد المعنى في ذهن المتلقّي، وشدّ ذهنه إلى بؤرة النّصّ عن طريق ترادف هذه الأسماء في النّصّ مع لفظ الجلالة. "وبما أنَّ التّطابق بين الوحدات في التّكرار الدّلاليّ ليس تطابقاً تامّاً؛ فإنَّه يحدث فرقاً طفيفاً يكسب المعنى تلوّناً في باطن النّصّ، وتنوّعاً في ظاهره مما يدعم تماسك النّصّ وترابطه"[٣] .

ب- التّضامُّ (المصاحبة المعجميّة)

يُعَدُّ التّضامّ ثاني أشكال الاتّساق المعجميّ. ويُقصد به: "توارد زوج من الكلمات بالفعل أو بالقوّة نظرًا لارتباطها بحُكم هذه العلاقة أو تلك"[٤]. إنَّ التّضام يسهم إسهامًا فعّالًا في تماسك النّصّ واستمراره، عن طريق احتواء سطح النّصّ على كلمات تربطها علاقةٌ ما، وذكر إحدى الكلمتين يستلزم ذكر الأخرى في فضاء النّصّ، يزيد النّصّ قوّةً وتماسكًا، فهو وسيلةٌ مهمّةٌ في بناء كيان لغويّ متماسك[٥] .

---

(١) ينظر: انتفاء التّرادف في أسماء الله الحسنى بين الدّلالة المعجميّة والدّلالة الصّرفيّة (بحث منشور)، أحمد مختار عمر: ٥.

(٢) نور الأنوار، نعمة الله الجزائريّ: ٣٢٠-٣٢١ ، وينظر: التعريفات، الجرجانيّ:٢٣-٢٤ الاسم الأعظم.

(٣) أثر التّكرار في تماسك النّصّ بحث منشور، نوال الحلوة:٤٨.

(٤) لسانيات النّصّ مدخل إلى انسجام الخطاب:٢٥.

(٥) ينظر: إشكالات النّصّ:٣٦٦.

وترجع أهمّيّة التّضامّ في عالم النّصّ إلى كونه "وسيلة مِن وسائل الرّبط المعجميّ تعمل على استمراريّة المعنى عبر وجود مجموعة مِنَ الكلمات الّتي يتكرّر استخدامها في سياقات متشابهة، ممّا يخلق أساساً مشتركاً بين الجمل في النّصّ"(١) .

ذهب هاليداي ورقية حسن إلى أنَّ علاقة المفردات داخل عالم النص هي الّتي تحُكم نظم النّصّ، وقد تكون هذه العلاقة تعارض أو جزء من كلّ أو اشتمال أو غير ذلك. وأنّ توضيح بعض هذه العلاقات طريقٌ شائكٌ على المتلقّي تزلُّ فيه قدمه، ولكي يتجاوز هذا الطّريق يعتمد على حدسه اللّغويّ وقدرته على معرفة أكبر قدر من معاني المفردات؛ لأنّنا نفتقر إلى آلية تساعدنا على فهم علاقة المفردة بهذه المجموعة أو تلك(٢) .

يقوم التّضامّ على علاقاتٍ كثيرةٍ، منها التّضاد، الارتباط بموضوعٍ محدّد، علاقة الجزء بالكلّ، علاقة الكلّ بالجزء، الدّخول في سلسلة مرتّبة ... الخ(٣) .

وقد اقتصرت في هذه الدراسة بالوقوف عند التّضاد، وعلاقة الجزء بالكلّ؛ لعدم سعة البحث لكلّ العلاقات؛ ولما لهاتين العلاقتين من دورٍ مهمٍّ في تماسك وترابط سطح النّصّ، وتظهر لنا براعة النّاصّ، وثراء قاموسه اللّغويّ.

وأوّلى علاقات المصاحبة المعجميّة الّتي سنتناولها هو التّضاد ويقصد به: "الجمع بين الشّيء وضدّه في جزء من أجزاء الرّسالة أو الخطبة أو البيت من بيوت القصيدة؛ مثل الجمع بين البياض والسّواد، واللّيل والنّهار، والحرّ والبرد"(٤) .

ومن أمثلة التّضاد الوارد في حِكَم النّبيّ الأعظم قوله ﷺ: "اللّهُمَّ ... فَلَكَ الحَمدُ كَما خَلَقتَ وصَوَّرتَ وقَضَيتَ، وأضلَلتَ وهَدَيتَ، وأضحَكتَ وأبكَيتَ، وأمَتّ وأحيَيتَ، وأمرَضتَ وشَفَيتَ، وأطعَمتَ وسَقَيتَ"(٥) .

نلحظ في دعاء النّبيّ المبارك أنَّه قد تضمّن مصاحبةً معجميّةً متمثّلةً بـ(بالتّضام)، عن طريق مجموعة من الأفعال المتقابلة في سطح النّصّ، الّتي أسهمت في تماسك النّصّ، وتلاحم أجزائه، واستمراريته. فذكر النّصّ أفعالًا مقرونةً بنقيضها؛ ممّا ولّد شعورًا لدى المتلقّي بالكمال والشّموليّة في وصف قدرة الله تعالى، والتّأكيد على إبراز

(١) علم لغة النّصّ النّظريّة والتّطبيق:١٥٣.

(٢) ينظر: لسانيات النّصّ مدخل إلى انسجام الخطاب:٢٥.

(٣) ينظر: علم لغة النّصّ النّظريّة والتّطبيق:١٠٩-١١٠ ، وإشكالات النّصّ:٣٦٦.

(٤) كتاب الصّناعتين :٣٠٧. وينظر: لسانيات النّصّ نحو منهج تحليل الخطاب الشّعريّ، أحمد مداس:٦٣.

(٥) حكم النّبيّ الأعظم: ٧/ ٢٢٢ ، وينظر: البلد الأمين: ٣٥٠.

قدرتـه فـي كـلّ شـيءٍ؛ لأنَّ الله عـزّ وجـلّ خـالق كـلّ متضـادٍ ومتعـدّدٍ، فهـو خـالق الهدايـة والضّلال، والحياة والموت، والضّحك والبكاء، والمرض والشّفاء.

إنَّ سلسلة الأفعال المتضادة في سطح النّصّ أسهمت في انسجامه وتماسكه. وحقّقت هذه المتضادات قوّةً للنّصّ ووضوحًا للمعاني، وارتباطًا بين أجزائه. وعلاقة التّضاد "لا يخفى ما لها من وظيفة في تحقيق التماسك بين المتضادين"(١) .

إنَّ القرب بين هذه المتضادات أسهم في إنتاج كيانٍ لغويٍّ متماسك؛ إذ إنَّ "التّجاور المتضام يؤدّي إلى علاقةٍ أشدّ تماسكاً في النّصّ"(٢)، فقد جاءت الجمل المتقابلة في سطح النّصّ معطوفةً على بعضها البعض؛ إذ شكّل هذا العطف بالتآزر مع التّضاد كيانًا لغويّاً واحدًا، وأسهم التّقارب الشّديد بين هذه المتضادات بترسيخ المعنى المركزيّ للنّصّ في ذهن المتلقّي بشكلٍ واضحٍ ودقيقٍ.

أمَّا علاقة الجزء بالكلّ فهي "تشتمل على معنى جزئيّ محدّد يندرج تحت معنى عامّ"(٣). ومن شواهد هذه العلاقة في حِكَم النّبيّ الأعظم قوله ﷺ: "إذا تَوَضَّأَ الرّجُلُ المُسلِمُ خَرَجَتْ خَطاياهُ مِن سَمعِهِ وبَصَرِهِ ويَدَيهِ ورِجلَيهِ. فإن قَعَدَ قَعَدَ مَغْفوراً لَهُ"(٤) .

فالحديث الشّريف تضمّن علاقة الجزء بالكّل، فالرّجل هو الكلّ الّذي تخرج الخطايا بعد الوضوء من أجزاء جسمه المتمثّلة (بسمعه، وبصره، ويديه، ورجليه). وهذه العلاقة مهمّة في تماسك وتلاحم النّصّ؛ إذ جعلت النّصّ كتلةً لغويّةً متماسكةً. وأنَّ "الغرض من تلك العلاقة هو تقديم وصفٍ خاصٍّ للمفهوم الكلّيّ بذكر بعض أجزائه. كما أنَّ وجودها يقدّم وظيفةً عامّةً تتمثّل في خلق مقاطعَ كلّيّةٍ متوحّدةٍ في النّصّ"(٥) .

فقد بيّنت هذه العلاقة أنّ الوضوء ليس طهارةً البدن فحسب، وإنّما هو طهارةٌ للرّوح من المعاصي؛ كونه يغسل الذّنوب والخطايا الناتجة عن أعضاء الإنسان، فأسهمت هذه العلاقة بربط النّصّ بخيطٍ واحدٍ من المعنى وحقّقت اتّساقًا في بنية النّصّ عبر تجمّع "الدّلالة في معنى واحد، ثمّ تعود لتتوزَّع أجزاؤها في أرجاء النّصّ؛ ممّا شدَّ من تماسكه، فتنوَّع سطحه، وحقَّق توازناً بين باطنه وظاهره"(٦) .

---

(١) علم لغة النّصّ بين النّظريّة والتّطبيق: ٢/ ١٤٩.

(٢) إشكاليات النّصّ:٣٦٦.

(٣) المصاحبة اللّفظيّة ودورها في تماسك النّصّ بحث منشور، نوال الحلوة:٧٥.

(٤) حكم النّبيّ الأعظم: ٥/ ١٧٤ ، وينظر: كنز العمال: ٩/ ٢٨٤.

(٥) نظريّة علم النّصّ: ١١٤

(٦) أثر التّكرار في التّماسك النّصّيّ بحث منشور، نوال الحلوة:٥٥.

المبحث الثّاني

معيار الانسجام

أوّلًا: مفهوم الانسجام النّصّيّ:

الانسجام هو المعيار الثّاني من المعايير النّصّيّة الّتي وضعها بوجراند، ويُعَدُّ هذا المعيار عصب النّصّ الّذي بوساطته تتحرك أفكار النّصّ ودلالاته بشكلٍ منتظم. وعن طريق الانسجام يرتبط النّصّ بشبكةٍ من العلاقات داخل بنية النّصّ. وأيّ انقطاعٍ في ذلك العصب يؤدّي إلى صعوبة في فهم النّصّ من لدن المتلقّي، ويؤدّي أيضاً إلى تشتّت أفكار النّصّ، وتمزّق مركزيّته. وعندئذ يخفق النّصّ في تحقّيق جوهر التّواصل مع المتلقّي.

حدّه بوجراند بقوله: "وهو يتطلّب من الإجراءات ما تتنشّط به عناصر المعرفة لإيجاد التّرابط المفهوميّ واسترجاعه، وتشتمل وسائل الالتحام على:

١-معلومات العناصر المنطقيّة كالسّببيّة والعموم والخصوص.

٢-معلومات عن تنظيم الأحداث والأعمال والموضوعات والمواقف.

٣-السّعيّ إلى التّماسك فيما يتّصل بالتّجربة الإنسانيّة، ويدعم الالتحام بتفاعل المعلومات الّتي يعرضها النّصّ مع المعرفة السّابقة بالعالم"[١] .

فالانسجام عنصرٌ مهمٌّ في عالم النّصّ؛ إذ يتضافر مع وسائل الاتّساق الأخرى؛ لكي ينتج كيانًا لغويًّا متماسكًا مُشيّدًا على قاعدةٍ دلاليّةٍ مترابطةٍ ومتناسقةٍ تتألّف من عناصر متعددة " تقيم فيما بينها شبكة من العلاقات الدّاخليّة الّتي تعمل على إيجاد نوعٍ من الانسجام والتّماسك بين تلك العناصر، وتسهم الرّوابط التّركيبيّة والرّوابط الزّمانيّة والرّوابط الإحاليّة في تحقيقهما"[٢] .

وترجع أهمّيّة الانسجام إلى أنّه يمثّل البنية التّحتيّة للنّصّ؛ إذ هو من يقوم بتحريك البنية السّطحيّة للنّصّ ويساعد على فهم بنائه، فلا ينظر لتماسك النّصّ عن طريق الظّواهر السّطحيّة بل يُفتّش عنها في البنية الدّلاليّة التّحتيّة المكوّنة للنّصّ. فضلاً عن

(١) النّصّ والخطاب والإجراء:١٠٣.

(٢) دراسات لغويّة تطبيقيّة في العلاقة بين البنية والدّلالة:٩٤.

أنّــه يمثّــل العلاقــات المفهوميّــة الّتــي يســتعملها النّــاصُّ أو المتلقّــي عنــد تعــاملهم مــع الــنّصّ[١]؛ إذ إنَّ الانســجام "لــيس رهــين نســقه الــدَّاخليّ الّــذي ينــتظم مكوناتــه فحســب إنّمــا هو كذلك رهين جملة المعارف الحاصلة في ذهن منشئه أو متقبّلِهِ"[٢] .

وتكمــن أهمّيّتــه أيضًــا فــي تحقيــق الاســتمراريّة فــي الأحــداث المكوّنــة للــنّصّ. وهــذه الاســتمراريّة تُعَــدُّ السّــمة النّصّــيّة الجوهريّــة لإقامــة أيّ كيــانٍ لغــويّ متماســك؛ لأنَّ انقطــاع هــذه الاســتمراريّة يعنــي عــدم اســتمرار المعــاني فــي الــنّصّ، ومــن ثَــمَّ يصــبح الــنّصّ مجــرد جمــل مرصــوفة دون رابــطٍ يربطهــا. لــذا يســهم الانســجام بتحقيــق "الاســتمراريّة الدّلاليّــة الّتــي تتجلّــى فــي منظومــة المفــاهيم والعلاقــات الرّابطــة بــين هــذه المفــاهيم، وكــلا هــذين الأمــرين هــو حاصــل العمليــات الإدراكيّــة المصــاحبة للــنَّصّ، إنتاجــاً، وإبــداعاً، وتلقيــاً، واســتيعاباً، وبهــا يــتمّ احتبــاك المفــاهيم مــن خــلال قيــام العلاقــات أو إضــفائها عليهــا، إنْ لــم تكــن واضــحةً مســتعلنةً علــى نحــوٍ يســتدعي فيــه بعضــها بعضــاً، ويتعلّــق بواســطته بعضــها ببعض"[٣] .

يــرى محمّــد الخطــابيّ أنَّ التّــرابط الّــذي يحقّقــه الانســجام داخــل بنيــة الــنّصّ أعمــق منــه فــي الاتّســاق؛ لأنَّــه يوجّــه ذهــن المتلقّــي إلــى العلاقــات الخفيّــة فــي الــنّصّ (مــا وراء الــنّصّ)، الّتــي تــربط وتــنظّم أجــزاء الــنّصّ ويتجــاوز بــه العلاقــات المتحقّقــة علــى ســطح الــنّصّ إلــى مــا هو كامنٌ في البنية التّحتيّة للنّصّ[٤] .

ثانيًا: العلاقات الدّلاليّة:

إنَّ فــان دايــك اشــترط فــي تــرابط الــنّصّ إلــى وجــود علاقــة تــربط بــين الــدّلالات المختلفــة أو معــاني المفــردات الّتــي يوفرهــا الــنّصّ؛ ولكــن ذلــك لا يكفــي وحــده فــي تــرابط الــنّصّ، بــل يجــب فــي أحــداث الــنّصّ أن تــرتبط بخــيطٍ واحــد. وبهــذا تصــبح الجمــل متّصــلة بشــكلٍ صحيح فيما بينها[٥] .

---

(١) ينظر: نظريّة علم النّصّ:١٢٧ ، والتّرابط النّصّيّ في ضوء التّحليل اللسانيّ للخطاب:٧٥.

(٢) أصول تحليل الخطاب في النّظريّة النّحويّة العربيّة: ١/ ١١٢.

(٣) نحو أجروميّة النّصّ الشّعريّ، دراسة في قصيدة جاهليّة بحث منشور سعد مصلوح:١٥٤.

(٤) ينظر: لسانيات النّصّ مدخل إلى انسجام الخطاب:٥-٦.

(٥) ينظر: النّصّ والخطاب، فان دايك:٧٧.

ويمكـن أن يُشـرح ويُفهـم الانسـجام بوسـاطة عـددٍ مـن العلاقـات الدّلاليّـة الّتـي تـنظّم الـنّصّ، وتجعلـه سلسـلةً مسـتمرةً مـن الأفكـار والأحـداث. ولهـذه العلاقـات أثرهـا الفعّـال فـي انسـجام وتماسـك الـنّصّ. والعلاقـات الدّلاليّـة هـي "علاقـاتٌ لا يكـاد يخلـو منهـا نـصّ يحقّـق شـرطي الاخباريّـة والشّـفافيّة مسـتهدفًا تحقيـق درجـة معينـة مـن التّواصـل، سـالكاً فـي ذلـك بناء اللّاحق على السّابق، بل لا يخلو منها أيّ نصٍّ يعتمد الرّبط القوي بين أجزائه"(١) .

والعلاقـات الدّلاليّـة فـي اللّسـانيات النّصّـيّة كثيـرةٌ جـدًا، والإحاطـة بهـا جميعًـا طريـقٌ شـائكٌ، يصـعب اللّجـوج بـه، لـذا سنسـلّط الضّـوء علـى جملـةٍ مـن هـذه العلاقـات المهمّـة الواردة في حِكَم النّبيّ الأعظم. وهي على النّحو الآتي:

أوّلاً: علاقة الشّرط والجزاء

وهـي علاقـةٌ منطقيّـةٌ(٢)، تسـهم فـي انسـجام الـنّصّ وترابطـه بخـيطٍ واحـدٍ مـن المعنـى. والشّـرط هـو "أسـلوبٌ لغـويٌّ ينبنـي بالتّحليـل العقلـيّ علـى جـزأين. الأوّل منزلـه منزلـة السّـبب، والثّـاني منزلـه منزلـة المسـبب، يتحقَّـق الثّـاني إذا تحقَّـق الأوّل، وينعـدم الثّـاني إذا انعدم الأوّل؛ لأنَّ وجود الثّاني معلّقٌ على وجود الأوّل"(٣) .

ومـن نمـاذج علاقـة الشّـرط بـالجواب فـي حـديث النّبـيّ المبـارك مـا ورد فـي قولـه ﷺ : "مـا بـالُ أقـوامٍ إذا ذُكِـرَ عنـدَهُم آل إبـراهيمَ فَرِحـوا واستبشـروا، وإذا ذُكِـر عِنـدَهُم آلُ مُحَمَّـدٍ اِشمَأَزَّت قُلوبُهُم؟! وَالَّذي نَفسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ، لَو أَنَّ عَبدًا جاءَ يَومَ القِيامَةِ بِعَمَلِ سَبعينَ نَبِيًّا ما قَبِلَ الله ذَلِكَ مِنْهُ حَتّى يَلقاهُ بِوَلايَتي ووَلايَةِ أهل بَيتي"(٤) .

نلحـظ فـي بنيـة الحـديث المبـارك أنّهـا قـد تضـمنت ثلاثـة تراكيـبَ شـرطيّة، تركيبـان بـالأداة (إذا). وتركيـبٌ ثالـثٌ بـالأداة (لـو). فالشّـرط باسـتعمال (إذا) أظهـر التّضـاد فـي سـطح الـنّصّ (فرحـوا واستبشـروا _ اشـمأزّت قلـوبهم). وبيّنـت الأداة (لـو) امتنـاع قبـول الأعمـال؛ لوجـود سـببٍ متمثّـلٍ بخلوهـا مـن ولايـة النّبـيّ ﷺ وآل بيتـه. فعـزّز الشّـرط انسـجام الـنّصّ وتماسـكه؛ إذ إنَّ "هـذا النـوع مـن التّراكيـب أكثـر تماسـكاً وتلازمـاً مـن غيـره،

(١) لسانيات النّصّ مدخل إلى انسجام الخطاب:٢٦٩ ، وينظر: الدّلالة والنّحو:٢٢٧-٢٢٨.

(٢) ينظر: البديع بين البلاغة العربيّة واللّسانيات النّصّيّة:١٤٧.

(٣) في النّحو العربيّ نقد وتوجيه:٥٦.

(٤) حكم النّبيّ الأعظم: ٣/ ١٢٣.

فـالرّبط فيـه علـى مسـتوى الشّـكل اللّفـظ والمعنـى، والـرّابط حـرف الشّـرط والـرّابط المعنـويّ أن الثّانيـة جـزاء الأوّلـى وتـتمّ بهـا الفائـدة، والأوّلـى جملـة الشّـرط فـي حاجـة إليهـا فـلا فائـدةَ إلّا بالثّانية فهي في مقام الخبر"[١] .

فضـلاً عـن تعـالق علاقـة الشّـرط مـع علاقـات أخـر؛ متمثّلـة بعلاقـة المقابلـة بـين (آل إبـراهيم وآل محمّـد)، فقـد جـذبت هـذه العلاقـة ذهـن المتلقّـي إلـى مركزيّـة الـنّصّ (الموقـف مـن آل محمّـد). إضـافةً إلـى القسـم الّـذي أضـفى علـى دلالـة الـنّصّ عمقًـا صـادقًا، وزاده توكيـدًا. وأردف القسـم بمثـالٍ مبـالغٍ فيـه، منبهـاً عـن طريقـه علـى خطـورة الكـلام، ممّـا مـنح النّصّ قوّةً دلاليّة.

فـالنّصّ نُسـج نسـجًا مُحكمًـا بـألوانٍ مـن الخيـوط الدّلاليّـة مـن بدايـة الـنّصّ حتّـى آخـره؛ إذ إنَّ "مـع الـرّبط الشّـرطيّ يتّسـع مـدى الـرّبط بـين الجمـل، فـلا يقتصـر الـرّبط علـى الجمـل المتعاقبـة فقـط، بـل نـراه بـين الجمـل غيـر المتعاقبـة... ويشـكّل تكـرار الـرّوابط الشّـرطيّة عناقيـد للـرّبط"[٢]. فقـد تعالقـت جملـة الشّـرط وجوابـه علـى المسـتوى الـدّلاليّ مـع العلاقـات الأخـرى المتـوافرة فـي الجمـل، وجعـل هـذا التّعـالق الـنّصَّ كيانًـا لغويّـاً واحـدًا، مهّـد الطّريـق إلى النّتيجة النّهائيّة وهي (قرن قبول الأعمال بولاية أهل البيت –عليهم السّلام–).

ثانيًا : علاقة السّؤال والجواب

تسـهم هـذه العلاقـة المفهوميّـة فـي تلاحـم بنيـة الـنّصّ؛ إذ تضـمّ الكـلام بعضـه إلـى بعـض، مكوّنـة نسـيج نصّـيّ مُحكـم التّـرابط، وتبنـى هـذه العلاقـة بـأدوات الاسـتفهام المختلـف. ويسـتعمل هـذه العلاقـة ملقـي الـنّصّ للسّـيطرة علـى مجريـات الأحـداث، بـل وللسّـيطرة علـى ذهـن المرسـل إليـه، وتسـيير الخطـاب اتجـاه مـا يريـده المرسـل، لا حسـب مـا يريده الآخرون"[٣] .

وإذا طالعنـا حِكَـم النّبـيّ الأعظـم وجـدنا هـذا النّـوع مـن العلاقـة بشـكلٍ موسّـع؛ إذ إنَّ الرّسـول الكـريم ﷺ اعتمـد فـي بعـض حواراتـه مـع أصـحابه علـى أسـلوب الاسـتفهام، ومـن ذلـك الحـديث المبـارك: "جـاءَ أعرابِـيٌّ إلَـى النَّبِـيِّ ﷺ فَقَـالَ: يـا رَسـول اللهِ، عَلِّمنـي

(١) تحليل النّصّ، محمود عكاشة:١٦٤.

(٢) علم لغة النّصّ النّظريّة والتّطبيق:١٦٦-١٦٧.

(٣) استراتيجيات النّصّ:٣٥٢.

مِـن غَرائِـبِ العِلـمِ. قـالَ: مـا صَـنَعتَ فـي رَأْسِ العِلـمِ حَتَّـى تَسـأَلَ عَـن غَرائِبِـهِ؟ قـالَ الرَّجُـلُ: مـا رَأسُ العِلـمِ يـا رَسـول اللهِ؟ قـالَ: مَعرِفَـةُ اللهِ حَـقَّ مَعرفَتِـهِ. قـالَ الأَعرابِـيُّ: ومـا مَعرفَـةُ اللهِ حَـقَّ مَعرِفَتِـهِ؟ قـالَ: تَعرفُـهُ بِـلا مِثـلٍ ولا شِـبهِ ولا نِـدِّ ، وأنَّـهُ واحِـدٌ أحَـدٌ ظـاهِرٌ بـاطِنٌ أوَّلٌ آخِرٌ، لا كُفوَ لَهُ ولا نَظيرَ، فَذَلِكَ حَقُّ مَعرِفَتِهِ"[1] .

فقـد تضـمّن الـنّصّ علاقـة السّـؤال والجـواب، الّتـي تمثّلـت بحـوار الرّجـل مـع الرّسـول محمّـد ﷺ، فقـد وردت فـي الـنّصّ أربعـة أسـئلةٍ، ثلاثـة منهـا بـأداة الاسـتفهام (مـا)، وسـؤال بجملـة طلبيّـة تمثّلـت بجملـة الأمـر (علمنـي غرائـب العلـم)؛ إذ إنَّ هـذه المحـاورة أسـهمت في تماسك نسيج النّصّ، وحقّقت استمراريّة له عن طريق ربطه بخيطٍ معنوي واحد.

إنَّ كـلّ جملـة تـردّ فـي سـطح الـنّصّ هـي اسـتجابةٌ لمـا طُـرح قبلهـا مـن سـؤال. فجـاءت الأسـئلة مرتبـةً ترتيبًـا منطقيّـاً فـي بنيـة الـنّصّ. فالاسـتفهامات الـواردة فـي الـنّصّ فضـلًا عـن أجوبتهـا مرتبطـةً دلاليّـاً بعضـها بـبعض. وهـذا الارتبـاط وفّـر لهـا "إمكانـاً غيـر محـدود لتجـاوز "المظهـر الشّـكليّ" للغـة –البنيـة السّـطحيّة– المتضـمّن تلـك الثّغـرات والانقطاعـات، لتنسـج مـع سـواها شـبكة العلاقـات النّصّـيّة الّتـي تمثّـل بنيـة باطنـة والّتـي يمتلـك بفضـلها النّصّ انسجامه"[2] .

ثالثًا : التّفصيل بعد الإجمال

وهـي مـن العلاقـات المفهوميّـة الّتـي تسـهم إسـهامًا فعّـالاً فـي تماسـك الـنّصّ عـن طريـق اسـتمراريّة دلالـة معينـة يسـعى إليهـا النّـاصُّ فـي المقـاطع المتتاليـة داخـل سـطح الـنّصّ؛ إذ تقـوم بوصـل تلـك المقـاطع بخـيطٍ واحـدٍ بعضـها بـبعض[3]. وهـذه العلاقـة لهـا دورٌ مهـمٌّ فـي عـالم الـنّصّ، لا سـيّما فـي التّحليـل اللّغـويّ؛ إذ تخـرج بـه مـن نطـاق الجملـة الضّـيق إلـى نطـاق الـنّصّ الفسـيح. مشـكّلة بـذلك علاقـة إحاليّـة بـين الإجمـال الّـذي يمثّـل مرجعيّـة مركزيّة في سطح النّصّ، وبين التّفصيل الّذي يمثّل العناصر المحيلة إلى الإجمال[4] .

---

(١) حكم النّبيّ الأعظم: ٤/ ٩٨ ، وينظر: التّوحيد، الشّيخ الصّدوق: ٢٨٤–٢٨٥.

(٢) لسانيات الاختلاف:٢٩٥.

(٣) ينظر: لسانيات النّصّ مدخل إلى انسجام الخطاب:٢٧٢ ، وينظر: البديع بين البلاغة العربيّة واللّسانيّات النّصّيّة:١٤٦.

(٤) ينظر: علم اللّغة النّصّيّ بين النّظريّة والتّطبيق: ٢/ ١٨٤–١٨٥.

ومـن شـواهد هـذه العلاقـة فـي حِكَـم النّبـيّ الأعظـم قولـه ﷺ: "خَمسَـةٌ لا تَطفَـأُ نيـرانُهُم ولا تَمـوتُ أبـدانُهُم: رَجُـلٌ أشـرَكَ، ورَجُـلٌ عَـقَّ والدَيـهِ، ورَجُـلٌ سَـعى بِأَخيـهِ إلَـى السُّـلطانِ فَقَتَلَهُ، ورَجُلٌ قَتَلَ نَفساً بِغَيرِ نَفس، ورَجُلٌ أذنَبَ وحَمَلَ ذَنبَهُ عَلَى اللهِ"[1] .

نلحـظ أنَّ العلاقـة الدّلاليّـة الّتـي يحملهـا الحـديث المبـارك هـي علاقـة (التفصـيل بعـدالإجمال)؛ إذ يجمـل الرّسـول الكـريم عليـه الصّـلاة والسّـلام حديثـه بعبـارة (خمسـة لا تطفأ نيـرانهم ولا تمـوت أبـدانهم)، ثـمّ يفصّـل الكـلام بعـد ذلـك فـي هـؤلاء الخمسـة وهـم (رجـل أشـرك، رجـل عـقّ والديـه، رجـل سـعى بأخيـه إلـى السّـلطان فقتلـه، رجـل قتـل نفسًـا بغيـر نفـس، رجـل أذنـب وحمـل ذنبـه علـى الله). فهـذا الإجمـال، والتّفصـيل الّـذي أردفـه، فضـلاً عـن التّكـرارات والـرّوابط اللّفظيّـة، أسـهمت بـربط أجـزاء الـنّصّ، وشـدّ طرفيـه، ومنحتـه استمراريّة، وجعله صورةً واحدةً منسجمة.

إنّ العبـارة المجملـة (خمسـةٌ لا تطفـأ نيـرانهم ولا تمـوت أبـدانهم) مثّلـت إثـارةً للمتلقّـي، فقـد جـذبت ذهنـه للمتابعـة الحـديث؛ لأنّهـا ذكـرت عقوبـة وجـزاء هـؤلاء الخمسـة، وشـوقت المتلقّـي للبحـث عـن تفاصـيلٍ أكثـر داخـل الـنّصّ. وهـذه التّفاصـيل رسـمت فـي الـنّصّ صـورةً متكاملـةً عـن تلـك الكبـائر وجزائهـا فـي الأخـرة. وأضـفت وضـوحًا فـي المعـاني المتاحـة للمتلقّي. ساعيةً إلى تحقيق انسجامٍ قوي في بنية النّصّ.

وهـذا التّفصـيل الّـذي ذكـره الرّسـول الكـريم جـاء بـه؛ كـي يحقّـق غايـةً منشـودةً فـي فضـاء الـنّصّ؛ لأنَّ "علاقـة التّفصـيل بالإجمـال لا تخلـو مـن غايـة، وهـي تأكيـد التّفصـيل للإجمال"[2]، فجاء هذا التّفصيل ضروريّاً لتأكيد المعنى والتّأثير في المتلقّي.

رابعًا : علاقة السّبب والنّتيجة

ويقصـد بهـذه العلاقـة "الطّـرق، والوسـائل الّتـي فيهـا يـؤثّر موقـف، أو حـدث علـى الظّـروف المهيئـة لوقـوع حـدثٍ آخـر"[3]؛ إذ تـربط هـذه العلاقـة الدّلاليّـة بـين حـدثين، تـوفرا

(١) حكم النّبيّ الأعظم: ٢/ ٩٧ ، وينظر: كنز الفوائد: ٢/ ٤٧.

(٢) لسانيات النّصّ مدخل إلى انسجام الخطاب:١٨٨.

(٣) الدّلالة والنّحو:٢٢٨

فـي الـنّصّ؛ إذ يسـهمان هـذان الحـدثان فـي تماسـك الـنّصّ وترابطـه. فالحـدث الأوّل يمهّـد الظّروف المناسبة لوقوع الحدث الثّاني. وقد تتوسّع هذه العلاقة لتشمل أحداثًا أخرى(١) .

ومـن الشّـواهد الّتـي مثّلـت هـذه العلاقـة فـي حِكَـم النّبـيّ، الحـديث التّـالي: "كـانَ رَسـولُ اللهِ ﷺ إذَا احمَـرَّ البَـأْسُ وأحجَـمَ النّـاسُ قَـدَّمَ أهـلَ بَيتِـهِ ، فَـوَقى بِهِـم أصـحابَهُ حَـرَّ السُّـيوفِ وَالأَسِـنَّةِ، فَقُتِـلَ عُبَيـدَةُ بـنُ الحـارِثِ يَـومَ بَـدر، وقُتِـلَ حَمـزَةُ يَـومَ أُحُـد، وقُتِـلَ جَعفَـرُ يَـومَ مُؤْتَةَ"(٢) .

تضـمّن الـنّصّ أحـداثًا متّصـلة، أحـدها سـببٌ فـي وجـود الآخـر، فـالأوّل هـو (اشـتداد القتـال). والثّـاني (تقـديم أهـل بيـت النّبـيّ)، فتقـديم أهـل البيـت هـو نتيجـة لسـبب الحـدث الأوّل المتمثّـل بشـدّة القتـال، وتقـديم أهـل البيـت أيضـاً هـو سـبب لنتيجـة الحـدث الثّالـث فـي الـنّصّ المتمثّـل بوقايـة أصـحابه مـن وقـع السّـيوف وطعـن القنـا، وذكـر الشّـهداء كـان نتيجـة لسبب نفسه أيضاً، وهو تقديم أهل البيت في حومة القتال.

فكانـت علاقـة السّـبب والنّتيجـة هـي العلاقـة الرّئيسـة فـي بنـاء الـنّصّ؛ إذ أسـهمت بـالتّرابط بـين أحـداث الـنّصّ، فالجملـة داخـل سـطح الـنّصّ تتولّـد مـن الجملـة السّـابقة لهـا، وأسـهمت أيضـاً فـي تماسـك المفـاهيم والمعـاني داخـل بنيـة الـنّصّ. وعلاقـة السّـبب والنّتيجـة هـي "مـن العلاقـات الّتـي تعطـي معقوليّـة لكيفيـة تتـابع قضـايا الرّسـالة وتعمهـا دائمًـا بسـمة المنطقيّـة، خاصـة وأنّهـا مـن العلاقـات ذات الحضـور المكثـف. وانتشـارها يـؤدّي إلـى قـوّة البناء المنطقيّ"(٣) .

فضـلاً عـن تضـافر علاقـاتٍ أخـرى متمثّلـة بعلاقـة التّـدرّج الزّمنـيّ (بـدر، أحـد، مؤتـة). وعلاقـة التّمثيـل فقـد ذُكـرت أمثلـة علـى مـن قـدّمهم مـن أهـل بيتـه فـي وقائعـه مـع المشـركين. بالإضـافة إلـى وجـود روابـط لفظيّـة فـي سـطح الـنّصّ، فقـد أسـهمت هـذه العلاقـات الدّلاليّـة مـع الـرّوابط اللّفظيّـة فـي تـرابط الـنّصّ وانسـجام معانيـه، وأضـفت علـى الـنّصّ صـفة الاستمراريّة.

(١) ينظر: البديع بين البلاغة العربيّة واللّسانيات النّصّيّة:١٤٢ ، وينظر: الدلالة والنحو:٢٢٨.
(٢) حكم النّبيّ الأعظم: ٤/ ٣٦١ ، وينظر: بحار الأنوار: ٣٣/ ١١٥.
(٣) نظريّة علم النّصّ:١٤٣.

خامسًا : علاقة الاستثناء

وهي من العلاقات الدّلاليّة الّتي تضفي على النّصّ انسجامًا وترابطًا في مضمونه(١). ويُقصد بالاستثناء هو "إخراج الشّيء من الشّيء؛ لولا الإخراج لوجب دخوله فيه، وهذا يتناول المتّصل حقيقةً وحُكمًا، ويتناول المنفصل حكمًا فقط"(٢) .

ومن شواهد هذه العلاقة قوله ﷺ: "إنَّ للهِ مائِدَةً عَلَيها ما لا عَينُ رَأَت، ولا أُذُنُ سَمِعَت، ولا خَطَرَ عَلى قَلبِ بَشَر، لا يَقعُدُ عَلَيهَا إلَّا الصَّائِمونَ"(٣) .

نلحظ أنَّ مطلع النّصّ المبارك تضمّن جذبًا للمتلقّي عن طريق تقديم عظيم النّعم من عند الله، فخلق هذا الجذب جوًا من التّشويق. ثمّ جاء الاستثناء ليقصر تلك النّعم العظيمة على فئةٍ مخصوصةٍ وهم (الصائمون)؛ وتحقّقت علاقة الاستثناء في سطح النّصّ بالأداة (إلَّا)؛ إذ ربطت هذه الأداة بداية النّصّ مع نهايته؛ ممّا جعلته وحدةً لغويّةً متماسكةً، وعززت تلاحم وترابط سطح النّصّ، وأسهمت بربط النّصّ بمعنى مركزيّ واحد، بعد أن قصرت المعنى على الصّائمين، فكانت أهمّيّة الاستثناء هي إتمام المعنى داخل كيان النّصّ، فصار النّصّ أكثر ترابطًا وانسجاماً.

سادسًا : علاقة الإضافة

تُعَدُّ من العلاقات المهمّة في بناء النّصّ؛ إذ تسهم بتلاحم نسيج النّصّ واستمراريته عن طريق تتابع جمل القول. وتسهم هذه العلاقة أيضاً بضمّ الكلام بعضه ببعض؛ كي توجد بناء نموذجٍ ذهنيّ من الانسجام المنطقيّ بين الأجزاء المشكّلة للنّصّ(٤) .

ومن شواهد هذه العلاقة في حِكَم النّبيّ الأعظم، قوله ﷺ: "البُكاءُ مِن خَشيَةِ اللهِ مِفتاحُ الرَّحمَةِ، وعَلامَةُ القَبولِ، وبابُ الإجابَةِ"(٥) .

عند تأمّل بنية النّصّ السّطحيّة نلحظ وجود علاقة إضافة تربط أجزاء النّصّ، عن طريق حرف الوصل (الواو)؛ إذ ربطت أجزاء النّصّ نحويّاً ودلاليّاً. فالجمل المتواصلة

---

(١) ينظر: علم لغة النّصّ النّظريّة والتّطبيق:٢١٢.

(٢) التّعريفات، الجرجانيّ:٢٢ ، وينظر: التّوقيف على مهمات التّعاريف، عبد الرؤوف بن المناويّ: ١/ ٤٧.

(٣) حكم النّبيّ الأعظم : ٦/ ٣٧ ، وينظر: حلية الأولياء: ٥/ ٨٣.

(٤) علم لغة النّصّ النّظريّة والتّطبيق: ٢٠١-٢٠٣ ، ينظر: البديع بين البلاغة العربيّة واللّسانيّات النّصّيّة، جميل عبد المجيد:١٤٤.

(٥) حكم النّبيّ الأعظم: ٥/ ٣٥٤ ، وينظر: إرشاد القلوب: ١/ ٩٨.

فـي سـطح الـنّصّ تعبّـر عـن معنـى واحـد؛ ولكـن مـع تغيّـر التّعبيـر بـين جملـةٍ وأخـرى[١]؛ إذ إنَّ هــذه التّعبيــرات تســهم فــي اســتتمام بعضــها الــبعض، معــززةً بــذلك تــرابط الــنّصّ وانســجامه. فالعبــارات الثّلاثــة (مفتــاح الرّحمــة، علامــة القبــول، بــاب الإجابــة) هــي أجــزاءٌ متتابعــة، تجعــل الــنّصَّ وحــدةً واحــدةً. فهــذه العلاقــة تُعَــدُّ "مــن أكثــر الأدوات شــيوعاً، يلجــأ المرسـل إليهـا لغـرض بنـاء الـنّصّ عـن طريـق تتـابع الجمـل الّتـي تسـير علـى وفـقِ خـطٍّ هندسيّ يتجه باتجاه تنامي النّصّ دلاليّاً وصولاً الى ذروته"[٢] .

وأســهمت هــذه العلاقــة أيضًــا فــي بيــان المعنــى المركــزيّ للــنّصّ، ومنحتــه وحــدة موضـوعيّة مركزيّـة وهـي (أثـر البكـاء فـي خشـية الله تبـارك وتعـالى)؛ إذ ربطـت هـذه العلاقـة (البكـاء) بالعبـارات الـثلاث فـي الـنّصّ بـرابطٍ سـببيّ منطقـيّ، فقـد أسـهم ذلـك الـرّابط فـي تماسك النّصّ وانسجامه.

سابعًا: علاقة المقابلة

ويقصـد بهـذه العلاقـة الدّلاليّـة "أن يـؤتى بمعنيـين متـوافقين أو معـانٍ متوافقـة، ثـمّ بمـا يقابلهمـا أو يقابلهـا علـى التّرتيـب، والمـراد بـالتّوافق خـلاف التّقابـل"[٣]، كقولـه جـلّ وعـلا: ﴿فَلْيَضْحَكُوا قَلِيلًا وَلْيَبْكُوا كَثِيرًا جَزَاءً ﴾[٤] ، فالعلاقة في الآية المباركة علاقة مقابلة.

ومـن أمثلـة علاقـة المقابلـة فـي حـديث النّبـيّ الكـريم، مـا ورد فـي دعائـه ﷺ فـي شـهر رمضـان المبـارك: "يـا مَـن يَخلُـقُ مـا يَشـاءُ، يـا مَـن يَفعَـلُ مـا يَشـاءُ، يـا مَـن يَهـدي مَـن يَشـاءُ، يـا مَـن يُضِـلُّ مَـن يَشـاءُ، يـا مَـن يُعَـذِّبُ مَـن يَشـاءُ، يـا مَـن يَغْفِـرُ لِمَـن يَشـاءُ، يـا مَـن يُعِـزُّ مَـن يَشـاءُ، يـا مَـن يُـذِلُّ مَـن يَشـاءُ، يـا مَـن يُصَـوِّرُ فِـي الأَرحـامِ مـا يَشـاءُ، يـا مَـن يَخـتَصُّ بِرَحمَتِـهِ مَن يَشاءُ"[٥] .

---

(١) ينظر: البديع بين البلاغة العربيّة واللّسانيّات النّصّيّة، جميل عبد المجيد:١٤٤.

(٢) المعايير النّصّيّة في خطب نهج البلاغة (رسالة ماجستير) محمّد عزيز العقابيّ:٨٩.

(٣) الإيضاح في علوم البلاغة :٢٥٩ ، وينظر: البديع بين البلاغة العربيّة واللّسانيّات النّصّيّة، جميل عبد المجيد: ١٤٥.

(٤) سورة التّوبة، آية:٨٢.

(٥) حكم النّبيّ الأعظم: ٦/ ١٤٣ ، وينظر: بحار الأنوار: ٩٤/ ٣٨٤.

نلحظ أنَّ الحديث الشّريف قد بُني على مجموعةٍ من المعاني المتقابلة، تمثّلت بهذه العلاقات المتضادة (يهدي-يضلّ) (يعذب-يغفر) (يعزّ-يذلّ)، وهذا التّقابل بالمتضادات يجسّد لنا أنَّ (الهداية والضلالة، والعزّة والذلّة، والعذاب والمغفرة) كلّها بيد الله سبحانه وتعالى، فشكّل هذا التّجسيد ربطًا لأجزاء النّصّ، وانسجامًا لمعانيه الّتي يتضمّنها. فضلاً عن جذب ذهن متلقّي النّصّ للتّفاعل مع مضمون النّصّ.

إنَّ علاقة التّقابل والتّضاد تضافرت مع علاقاتٍ شكليّةٍ أخرى على إيضاح المعنى المركزيّ في النّصّ وتأكيده؛ إذ إنَّ التّضاد داخل بنية النّصّ يزداد "فاعليّة بارتباطه بعلاقاتٍ أخرى تتكاتف معه في إظهار المعنى"[1]. ومن هذه العلاقات التّرادف الّذي تضمّنه النّصّ نحو: (يخلق، يفعل، يعزّ... الخ)، وهي صفاتٌ مترادفةٌ للقدرة الإلهيّة. فضلاً عن التّكرار المتمثّل بتكرار التّراكيب (يا من ...) الّذي أوجد انسجامًا صوتيًّا يتناغم مع الانسجام الدّلاليّ في بنية النّصّ. فشكّل تضافر هذه العلاقات كيانًا لغويّاً مترابطًا.

ثامنًا: علاقة التّمثيل

وهي من العلاقات الدّلاليّة المهمّة في عالم النّصّ الّتي تربط نصًّا سابقًا بنصٍّ لاحقٍ له؛ إذ تقوم بدورٍ فعّال في ربط القضايا الّتي يتضمّنها النّصّ في طياته وتوضيحها. وتستعمل روابط شكليّة تعبّر عنها في التّمثيل منها (الكاف، هكذا، كأن) وغيرها من الرّوابط اللّفظيّة. ولهذه العلاقة دورٌ بارزٌ في بناء النّصّ وشحنه بالمعلومات، والعناصر اللّغويّة، بالتّضافر مع علاقاتٍ دلاليّة أخرى[2] .

ولهذه العلاقة أهمّيّة أخرى تتمثّل بإبانة معاني النّصّ وإيضاحها بصورةٍ حسيّة؛ إذ تقرّب تلك المعاني إلى ذهن المتلقّي بصورةٍ حسيّةٍ واضحة[3]، ومن شواهد هذه العلاقة قوله :ﷺ "إذا تَوَضّأَ العَبدُ تَحاطُّ عَنهُ ذُنوبُهُ كما تَحاطُّ وَرَقُ هَذهِ الشَّجَرَةِ"[4] .

---

(١) نظريّة علم النّصّ: ١٤٢.

(٢) ينظر: علم لغة النّصّ النّظريّة والتّطبيق:٢١٤.

(٣) ينظر: من بلاغة القرآن: ١٦١.

(٤) حكم النّبيّ الأعظم: ٥/ ١٧٤ ، وينظر: كنز العمال: ٩/ ٢٨٤.

عنـد ملاحظـة بنيـة الحـديث الشّـريف نجـد علاقـةَ تشـبيهٍ قائمـةً بـين طرفـي التّشـبيه. فالمشـبّه فـي الحـديث المبـارك هـو (الـذّنوب)، والمشـبّه بـه هـو (أوراق الشّـجر)، وأداة التّشبيه هـي (كمـا) الّتـي ربطـت طرفـي الـنّصّ، ووجـه الشّـبه بـين الجـانبين الانقطـاع والتّبـدد التّامّ بين الذّنب والعبد.

فقد أسـهمت علاقـة التّشبيه فـي إيضـاح المعنـى وصـوّرته بصـورةٍ مادّيّـةٍ قريبـةٍ مـن ذهـن المتلقّـي؛ إذ إنَّ المتلقّـي يتخيـل الـذّنوب عنـد الوضـوء تسـقط حقيقـةً عنـه، وكـأنَّ الـذّنوب شـيءٌ ملمـوسٌ متعلّـقٌ بالإنسـان، وبعـد الوضـوء يتهـاوى ويسـقط كـورق الشّـجر. فهـذا التّشـبيه الّـذي احتـواه الـنّصّ أثّـر فـي ذهـن المتلقّـي ونفسـيّته "لمـا رسـمه مـن صـورةٍ محسوسـةٍ الغـرض منهـا التّـأثير فـي نفسـيّة المتلقّـي وجعلـه متواصـلاً مـع الـنّصّ، وإيصـال المعنـى المقصـود مـن هـذه الصّـورة، ويتحقّـق الحبـك بفعـل الدّلالـة المشـتركة بـين الجملتـين اللّتـين ربـط التّشـبيه بينهما دلاليّاً؛ لأنّه من الرّوابط التّي تربط بين القضايا الدّلاليّة"[1] .

وهـذا التّشـبيه القـائم أسـهم فـي تماسـك الـنّصّ وتلاحمـه لغويّـاً ودلاليّـاً؛ لأنَّـه جعـل معنـى الـنّصّ وفكرتـه المركزيّـة أكثـر وضـوحاً. فقـد وظّـف الـنّصّ كـلّ عنصـرٍ لغـويّ موجـود فـي سـطح الـنّصّ لخدمـة تماسـكه وانسـجامه. فلـم يكـن فـي الـنّصّ حشـوٌ، ولا عنصـرٌ لغـويٌّ لا فائـدةَ منـه؛ بـل كـلّ عنصـرٍ لغـويّ وظّـف بدقّـةٍ لخدمـة انسـجام الـنّصّ. فضـلاً عـن العلاقـات الأخرى الّتي تضمّنها النّصّ والّتي كان لها دورٌ فعّالٌ في تماسك النّصّ وانسجامه.

(١) السّبك والحبك في جزء المجادلة (رسالة ماجستير)، باقر محيسن:١٦٨.

الفَصْلُ الثاني

القصديّة والمقاميّة والمقبوليّة

المبحث الأوَّل

معيار القصديّة

تطـورت النّظريّـة النّصّـيّة علـى يـد بوجرانـد فـي كتابـه الـنّصّ والخطـاب والإجـراء، ولـم يعـدّ يُنظـر للـنّصّ علـى أنَّـه مجموعـةٌ مـن العلامـات اللّغويّـة فحسـب، وإنَّمـا هـو نشـاطٌ تواصـليٌّ تفـاعليٌّ بـين منـتج الـنّصّ ومتلقّيـه، ولهـذا فـإنَّ بوجرانـد قـد أكّـد علـى معيـار القصـديّة الّـذي يـرتبط بمنـتج الـنّصّ، وعلـى معيـار المقبوليّـة الّـذي يـرتبط بمتلقّـي الـنّصّ، فضـلاً عـن معيـار المقاميّـة أو السّـياق. وهـذه المعـايير الثّلاثـة تتـداخل فيمـا بينهـا تـداخلًا شـديداً، وتتضـافر لإيجـاد قنـاةٍ تواصـليّةٍ بـين طرفـي الـنّصّ، ويـتمّم أحـدها الآخـر عنـد إنتـاج نصٍّ ما؛ ليتمتع ذلك النّصّ بصفة النّصّيّة[١] .

لـذا سـنتناول بالبحـث هـذه المعـايير الثّلاثـة تتمّـة لمـا تناولنـاه مـن معـايير فـي هـذا البـاب الّذي خصّصناه لدراسة بناء النّصّ في حِكَم النّبيّ الأعظم.

أولاً: مفهوم القصديّة

يُعَـدُّ القصـد مـن المعـايير الجوهريّـة النّصّـيّة، الّتـي يمكـن بوسـاطتها أن نصـف أيّ نـصٍّ بصفة النّصّيّة أو اللانصّيّة. فالقصد يُعَدُّ ركناً أساسيّاً في بناء النّصّ.

حـدّ بوجرانـد هـذا المعيـار المهـمّ بقولـه: "وهـو يتضـمّن موقـف منشـئ الـنّصّ مـن كـون صـورة مـا مـن صـور اللّغـة قصـد بهـا أن تكـون نصًّـا يتمتّـع بالسّـبك، والالتحـام، وأنَّ مثـل هذا النّصّ وسيلةٌ من وسائل متابعة خطّة معينة للوصول إلى غايةٍ بعينها"[٢] .

وعلـى هـذا فـإنّ الـنّصّ سلسـلةٌ متّصـلةٌ مـن المتواليـات اللّغويّـة المسـبوكة سـبكًا منسـجمًا. ينتجهـا النّـاصُّ بقصـد تحقيـق فائـدةٍ مقصـودةٍ يسـعى إليهـا النّـاصّ. فالقصـد عنصـرٌ فعّـالٌ فـي بنـاء الـنّصّ؛ إذ إنَّ النّـاصَّ ينتقـي الوسـائل اللّغويّـة الّتـي تؤهّلـه لكـي يحقّـق القصـد الّـذي يسـعى إليـه، ومـن ثـمَّ يـتمكّن متلقّـي الـنّصّ مـن فهـم الـدّلالات الّتـي يحملهـا الـنّصّ، فيصـبح

(١) ينظر: النّصّ والخطاب والإجراء:١٠٣-١٠٤ ، ينظر: علم لغة النّصّ النّظريّة والتّطبيق:٢٨.

(٢) النّصّ والخطاب والإجراء:١٠٣.

انتقاء النّاصّ للوسائل اللّغويّة وفهم المتلقّي هما جوهر التّفاعل النّصّيّ، ومن ثمّ يكون معيار القصديّة قد حقّق غايته[١]. فالنّصّ "ليس بنيةٌ عشوائيّة وإنَّما هو عملٌ مقصودٌ به أن يكون متناسقاً ومترابطاً من أجل تحقيق هدفٍ محدّدٍ، وبمعنى آخر هو عملٌ مخطّطٌ، له غايةٌ يودُّ بلوغها"[٢] .

فمرسل النّصّ عندما يرسل نصّاً ما لتحقيق قصديّةٍ معينة، فإنّه يضع خطّةً تتناسب مع القصديّة الّتي يسعى إليها. فيقوم بتوجيه بوصلته لاختيار وتنظيم عبارات وتراكيب وسياقات لغويّة منسجمة تتلائم مع ذهن المتلقّي، فلا يواجه المتلقّي صعوبةً في فهم النّصّ المُرسَل إليه؛ كون النّصّ إذ فقد هذا العنصر الجوهريّ المتمثّل بـ(القصديّة) يفقد صفة التّفاعل بينه وبين المتلقّي؛ إذ إنَّ "لا غنى لأيّة تشكيلةٍ لغويّةٍ، يراد استغلالها في التّفاعل الاتّصاليّ، عن توافر القصد بأن تكون نصّاً، وعن قبولها بهذا الاعتبار"[٣] .

فإذا فقد النّصّ عنصر التّفاعل يصبح نصّاً بلا فائدة ويفقد أستمراريّته؛ إذ "تعود إفادة النّصّ معنى ما إلى استمراريّة المعاني المقصودة في إطار المعرفة الّتي تستثيرها تعبيرات النّصّ. والنّصّ الّذي لا معنى له أو معانيه غير معقولةٍ هو النّصّ الّذي يعجز مستقبلوه عن اكتشاف هذه الاستمراريّة منه. ويعود هذا إلى وجود خللٍ كبيرٍ في المزاوجة بين تشكيلة المفاهيم والعلاقات الّتي يعبّر عنها النّصّ من ناحية وبين المعرفة القبليّة للعالم في أذهان المستقبلين من ناحيةٍ أخرى. إنَّ استمراريّة المعاني المقصودة في النّصّ هي أساسٌ للاتّساق"[٤] .

يرى بوجراند أنَّ معيار القصد من الجانب العمليّ يبقى ماثلًا وموجودًا، حتّى وإن فقد النّصّ معايير اتّساقه وانسجامه. فالقصد هو الخطوة التّأسيسيّة الأوّلى الّتي يخطوها النّاصّ لتشييد بنية نصّيّة متماسكة ومتلاحمة[٥].

(١) ينظر: مدخل إلى علم لغة النّصّ:٣٠ ، ينظر: مدخل إلى علم لغة النّصّ ومجالات تطبيقه:٩٧.

(٢) من لسانيات الجملة إلى علم النّصّ بحث منشور، بشير إبرير:٨٩.

(٣) مدخل إلى علم لغة النّصّ:١٥٢.

(٤) الدّلالة والنّحو، صلاح الدّين صالح:٢٧٣.

(٥) ينظر: النّصّ والخطاب والإجراء:١٠٣.

فـي حـين نجـد ميكائيـل ريفـاتير يـرى ضـرورة وجـودة علاقـة بـين القصـد ومعيـاري الاتّسـاق والانسـجام؛ إذ يقـول فـي ذلـك "تلـزم مُحاولـة الانطـلاق مـن مقاصـد المؤلِّـف، وبعـد ذلـك يُلاحـظُ كيـف تحقّقـت هـذه المقاصـد فـي الـنّصّ...فـإنَّ الأسـلوبيّ ينبغـي أن يختـار فقـط تلك السِّمَات الّتي تَبُثُّ المقاصد الأكثر وعياً عند المؤلِّف"(١) .

ثـمَّ يضـع النّـاصّ "مجموعـةً مـن الأهـداف والأغـراض والمرامـي البعيـدة المـدى الّتـي تسـتوطن الـنّصّ، وعلـى المتلقّـي أن يتصـيّدها ولا يقـف عنـد القصـد القريـب بـل يسـعى إلـى القصـد البعيـد لينـتج عـن ذلـك "ثنائيّـة قصـديّة"؛ القصـد الأوّل ثابـتٌ والقصـد الثّـاني متعـدّدٌ ومتغيّـر، وهـذا الأخيـر لا يدركـه كـلّ قـارئ عـدا الـذّكيّ والمثقّـف والـواعي مـن خـلال تمعّنـه في النّصّ وتوظيف إمكاناته المعرفيّة والسّياقيّة"(٢) .

ويفهـم ممّـا سُـطِّر أنَّ النّـاصّ عنـدما يضـع نصّـاً مـا ويتمتـع ذلـك الـنّصّ بانسـجامٍ واتّسـاقٍ عـاليين، فـإنَّ وراء ذلـك الاتّسـاق والانسـجام قصـدٌ يسـعى إليـه؛ ليـؤثّر فـي المتلقّـي. فتماسـك الـنّص وانسـجامه هـو نتـاجٌ للقصـد الّـذي يمثّـل الخطـوة الأوّلـى نحـو نـصٍّ متماسـكٍ ومنسـجم. كمـا أنَّ القصـديّة علاقـةٌ تفاعليّـةٌ تواصـليّةٌ بـين منـتج الـنّصّ وبـين متلقّيـه. وجـوهر هـذه العلاقـة يكمـن فـي المقصـد الّـذي يـروم إليـه النّـاصّ. وإنّ إدراك هـذا المقصـد وفهمـه يعتمـد بشـكلٍ أساسـيّ علـى بصـيرة المتلقّـي وعلـى العمليـات الذّهنيّـة الّتـي تحـدث فـي ذهنه.

ولكي تتمّ هذه العلاقة (القصديّة) يجب توفّر شروط ثلاثة، وهي(٣):

١- وجـود منـتجٍ للـنّصّ: الّـذي ينـتج لنـا كيانًـا لغويًّـا متماسـكًا، يحمـل فـي طياتـه دلالات معينة، لها مقاصد يسعى إلى تحقيقها.

٢- وجـود متلقّـي للـنّصّ: قـادرًا علـى تحليـل الـنّصّ، وفهـم معانيـه، وفـكّ شـفراته، حتّـى يصل إلى خفايا النّصّ الّتي يحملها. أي الأهداف المتخفّية وراء النّصّ.

٣- وجود قناة تواصل واتّصال، تربط بين طرفي النّصّ، منتج النّصّ ومتلقّيه.

---

(١) معايير تحليل الأسلوب، ميكائيل ريفاتير، ترجمة حميد لحمدانيّ:٣٤.

(٢) الثنائيّة القصديّة بين التّراث العربي والدراسات الغربية بحث منشور، مريم أقرين:٦.

(٣) ينظر: في مفهوم النّصّ ومعايير نصّيّة القرآن الكريم دراسة نظريّة بحث منشور، بشرى حمدي البستانيّ، وسن عبد الغني:١٨٨-١٨٩.

إنّ القصد في عالم النّصّ على ضربين:

الأوّل: القصد المباشر الظّاهر:

وهي مقاصدُ وأهداف يسعى إليها النّاصّ بكلماتٍ وعباراتٍ واضحةٍ ومباشرة، لا يكتنفها الغموض، ولا تحتاج إلى تفسيرٍ أو تأويل، يستقبلها المتلقّي دون جهدٍ أو تكلّفٍ في فهمها، ولا تحمل معاني مضمرةً أو دلالاتٍ بعيدة[١] .

الثّاني: القصد غير المباشر المضمر:

وهي مقاصدُ تتضمّنها بنية النّصّ وتحمل هذه المقاصد دلالاتٍ ومعاني مضمرةً غير ظاهرةٍ في عالم النّصّ. وهذا الضّرب يعتمد بشكلٍ رئيسٍ على ذهن المتلقّي؛ لأنّه هو من يقوم بتلقّف تلك المعاني الّتي يضمرها النّصّ[٢] .

إنَّ هذين الضّربين اللّذان يمثّلان معيار القصد يُعَدّان أداةً مهمّةً في بناء النّصّ، وعنصرًا فعّالًا في تحليل النّصوص، لا سيَّما نصوص الحديث النّبويّ الشّريف، ومنها حِكَم الرّسول ﷺ ؛ إذ يمثّل الحديث النّبويّ لسان القرآن النّاطق، والحبل المتّصل بين السّماء والأرض. فالحديث الشّريف يتضمّن في تضاعيفه بيانًا يوضح فيه مجمل الأحكام والتّعاليم السّماويّة السّمحاء الّتي تضمّنها القرآن الكريم.

وبناءً على هذا فإنّ النّصوص النّبويّة المباركة تتضمّن مقاصدَ تحتويها في بنيتها؛ وهذه المقاصد ذات تأثيرٍ عالٍ قادرٍ على التّأثير في متلقّي تلك النّصوص. وهذه المقاصد تتمثّل في بعدين:

١- بعد اجتماعيّ :

يتمثّل هذا البعد في حِكَمه ﷺ في الأمور والأحكام الّتي تخصُّ المجتمع ومعالجة قضاياه، منها ما يتعلّق بالصّدق، والأمانة، والأخلاق، والتّسامح، وحسن التّعامل مع الآخرين، وغيرها من الأمور والقضايا الّتي يكون القصد من ورائها إصلاح الأمّة وتربيتها تربيةً حسنة، ورسم طريقٍ إصلاحيّ للمجتمع من خلال هذه الأحاديث[٣] .

---

(١) ينظر: نظريّة علم النّصّ :٤٨.

(٢) ينظر: علم لغة النّصّ النّظريّة والتّطبيق :٤١.

(٣) ينظر: نظريّة المقام عند العرب في ضوء البراغماتيّة :٢٠٤.

٢- بعد دينيّ :

يتمثّل هذا البعد في حِكَم النّبيّ ﷺ بأحاديثه الّتي قصد بها بيان تعاليم الدّين الإسلاميّ الحنيف من عباداتٍ كالصّلاة، والصّيام، والحجّ، وغيرها من العبادات الأخرى، وأحكام دينيّة معينة كالأمور المتعلّقة بالبيع والشّراء وغيرها[١] .

ومن المفيد أنَّ نشير إلى أنَّ القصديّة من وراء هذه الأحاديث لا تقتصر على زمانٍ ومكانٍ محدّدين فحسب، وإنّما للحديث النّبويّ تأثيرٌ في كلّ زمانٍ ومكانٍ، وفي ذهن كلّ متلقٍّ له؛ إذ تتضمّن نصوص الحديث المبارك تآلُفًا فكريًّا موحّدًا وجّهه الرّسول ﷺ توجيهًا قصديّاً دقيقًا نحو غايةٍ محددةٍ وهي إصلاح الأمّة وإبلاغ رسالة ربّه إلى البشريّة كافة[٢]. وسنعرض بدراسةٍ تطبيقيّةٍ لأحاديثه الشّريفة لهذه المقاصد المباشرة وغير المباشرة.

ثانيًا: أشكال القصد وأنواعه في حِكَم النّبيّ الأعظم:

١- المقاصد المباشر:

من شواهد القصد المباشر في حِكَم النّبيّ الأعظم قوله ﷺ: "أسوَأُ النّاسِ سَرِقَةً الَّذي يَسرِقُ صَلاتَهُ، قالوا: يا رَسولَ اللهِ، وكَيفَ يَسرِقُ صَلاتَهُ ؟ قالَ: لا يُتِمُّ رُكوعَها ولا سُجودَها"[٣] .

يجسّد هذا الحديث النّبويّ نموذجًا واضحًا لـ(القصد المباشر)؛ إذ يتّجه الخطاب إلى تحقيق مقاصد مباشرة تتمثّل بالتّحذير من الأخلال بأداء الصّلاة، لا سيّما أركانها الأساسيّة؛ لأنّها عمود الدّين، ومفتاح قبول الأعمال الأخرى.

يفتتح الرّسول عليه الصّلاة والسّلام حديثه المبارك بصيغة (أسوء النّاس سرقةً)، وهي بنيةٌ تفضيليّةٌ تقويميّةٌ تقوم على اسم التّفضيل (أسوأ) وأضافها إلى (النّاس) مما منح النّصّ المبارك شحنةً حِكَميَةً قوية، أسس الرّسول الكريم بوساطتها توجيهاً ادراكيّاً حادًّا، عكس هذا التّوجيه الادراكيّ قصدًا مباشرًا واضحًا في تعظيم الفعل وتقبيحه.

---

(١) ينظر : نظريّة المقام عند العرب في ضوء البراغماتيّة: ٢٠٤ .

(٢) ينظر: عبقريّة محمّد: ٦٧ ، ومعالم البيان في الحديث النّبويّ بحث منشور : ١٠٢.

(٣) حكم النّبيّ الأعظم: ٥/ ٢٧٦.

فضـلًا عـن ذلـك فقـد تضـمّن الحـديث بنيـةً حواريّـةً (قـالوا...)، وهـذه البنيـة مثّلـت استجابة المتلقين (الصّحابة)، وكشفت عن نجاح الخطاب ومقاصده، فضلًا عن نجاحه في إثارة الانتباه. فقد عكست هذه الآلية حضور المتلقين داخل النّصّ، مما يؤكّد أنَّ القصديّة لم تبنَ فقط على الإرسال؛ بل على توقع التّفاعل بين الملقي والمتلقّي. ثمّ تأتي البنية التّفسيريّة المباشرة (لا يتمّ ركوعها، ولا سجودها)

فالحديث الشّريف مع كونه قصيراً؛ إلّا أنّه يحمل في تضاعيفه رسالةً تحذيريّةً للعبد المسلم مضمونها ضرورة إتمام الصّدق في العبادات لا سيّما الصّلاة، وعدم التّعامل معها شكليّاً، وإنَّما إتمامها وإتقانها روحيّاً.

فقد حقّقت هذه الرّسالة قصدًا أخلاقيّاً وعباديّاً في آنٍ واحد. فالبعد الأخلاقيّ تمثّل بأنَّ السّارق أسوأ النّاس، فالسّرقة عمل يفسد الأخلاق. أمَّا البعد العباديّ، فتمثّل بضرورة إتمام الصّلاة في ظاهرها وباطنها، وعدم إخلالها وسرقة حقّ الله. فالقصديّة المتحقّق في النّصّ "تدفع المتكلّم إلى اختيار ما يراه أسلوبيًّا مناسبًا وحالة المتلقّي ووضعه هو نفسه كمتكلّم والموقف والظّروف المحيطة"(١) .

إنَّ التّشكيلات اللّغويّة المتوافرة في سطح النّصّ، فضلاً عن الاتّصال الّذي حقّقه النّاصّ مع الحضور المتلقّين للنّصّ، وتأثيره في أذهانهم، أسهمت هذه العوامل إسهامًا فعّالاً في استمراريّة النّصّ، وفي إبانة المعنى المركزيّ للنّصّ وتوضيحه؛ إذ إنَّ "التّشكيلات اللّغويّة يختفي وراءها قصد ليس بإمكانها الاستغناء عنه. وما دام الأمر يقتضي توافر القصد على النّصّ، فلا بُدَّ له من أنْ يأخذ دور الموجّه، والمخطّط له، والمحفّز لولادة نسيج مُهَذَّب، ومُشَذَّب يحمل في طياته شبكات اتّصاليّة يوعز من خلالها إلى المتلقّي بالوقوف على تلك المقاصد"(٢).

من المفيد أن نشير إليه أنّ الاستعارة الواردة في سطح النّصّ أسهمت بدورٍ بارزٍ في جذب ذهن المتلقّي وشدّ انتباهه للبؤرة الّتي حقّقها القصد في سطح النّصّ. وتمثّلت هذه الاستعارة بالسّرقة؛ إذ كان لها دورٌ بارزٌ في إيصال قصد الحديث ومعناه. فقد

(١) نظريّة علم النّصّ:٦٥.

(٢) النثر الصّوفيّ دراسة في لسانيّات النّصّ :١٢٧.

أثـارت هـذه الاسـتعارة صـدمةً واضـحةً للمتلقّـي، وحقّقـت تـأثيراً فعّـالاً فـي نفسـه؛ إذ إنَّ سـرقة الصّـلاة جريمـةٌ روحيّـةٌ؛ ممّـا جلعـت المتلقّـي يعيـد النّظـر بأعمالـه العباديّـة الّتـي يقـوم بهـا، ورسّخت في نفسه قيمة الخشوع الرّوحيّ عند العبادة، والتّأكيد على إتمامها دون نقص.

وعنـد البحـث عـن مقاصـد مباشـرة أخـرى فـي حِكَمـه، نجـد فـي قولـه: "ﷺ لا تُكثِـرُوا الكـلامَ بغيـرِ ذِكـرِ اللهِ ؛ فـإنَّ كَثـرَةَ الكـلامِ بغَيـرِ ذِكـر اللهِ قَسـوَةُ القَلـبِ إنّ أبعَـدَ النّـاسِ مِـن اللهِ القَلبُ القاسي"[1] .

تتجلـى الوسـائل النّصّـيّة فـي الحـديث المبـارك بعـددٍ مـن الآليـات اللّغويّـة الّتـي أسـهمت اسـهامًا فعّـالاً فـي تحقيـق مقاصـد الرّسـول الكـريم، منهـا صـيغة النّهـي الموجهـة إلـى جماعـة المسـلمين (لا تكثـروا)؛ إذ منحـت هـذه الصّـيغة الـنّصَّ قـوّةً تحذيريّـة، وشـحنةً توجيهيّـة، للتّحـذير مـن كثـرة الكـلام والإطالـة بـه مـن دون فائـدةٍ تحقيـق معنـى منشـود، أو خلـوّه هـذا الكـلام مـن ذكـر الله تعـالى. ثـم أرشـدهم ﷺ إلـى الاقتصـاد بـالكلام؛ لأنَّ الإفـراط بـالكلام مضرّ غير نافع يورث القساوة في القلب[2] .

إنَّ الإفـراط فـي الكـلام يحقّـق مضـرّةً للإنسـان تتمثّـل بوجـود عاهـةٍ روحيّـةٍ تولّـد قسـوة فـي القلـب، وعـلاج هـذا المـرض الرّوحـيّ يكـون بـذكر الله تبـارك وتعـالى؛ فـالإفراط بـالكلام يبعـد الإنسـان مـن التّقـرب لله عـزّ وجـلّ[3]؛ إذ عمـد ﷺ إلـى ترسـيخ هـذا القصـد ومفهومـه باستعمال التّوكيد بـ(أنَّ) المكرّرة مرتين في سطح النّصّ.

ثـمّ يتّجـه الحـديث الشّـريف ليوضـح لنـا النّتيجـة مـن كثـرة الكـلام وهـي قسـاوة القلـب، وهـذه القسـاوة الدّنيويّـة تربطـه بنتيجـةٍ أخـرى وهـي البعـد مـن الله تبـارك وتعـالى. فقـد قـرن الرّسـول السّـلوك الإنسـانيّ المتمثّـل بـالإفراط بـالكلام مـع قسـاوة القلـب، وعمـد أيضًـا إلـى ربـط هـذا الاقتـران بـين السّـلوك والقسـاوة بالنتيجـة المتمثّلـة بالبعـد مـن الله تبـارك وتعـالى؛ إذ جسّـد هـذا الاتّصـال صـورة توضّـح بـأنّ القلـب هـو حلقـة الوصـل بـين العبـد وربّـه وهـو موضـع التّقـرب مـن الله عـزّ وجـلّ. فهـذا التّسلسـل المنطقـيّ المنسـجم بـين السّـبب والنّتيجـة حقّـق قصـدًا

(١) حكم النّبيّ الأعظم: ٧/ ٤٩٧.

(٢) ينظر: مجموع رسائل الحافظ ابن رجب الحنبليّ، عبد الرحمن بن أحمد الحنبليّ: ١/ ٢٦١.

(٣) ينظر: جواهر الاحسان في تفسير القرآن، الثّعالبيّ٨٧٥هـ: ٥/ ٨٧.

تحـذيريًّا مباشـرًا. فـالنّصّ بُنـي علـى تسلسـلٍ منطقـيٍّ للأفكـار الّتـي تضـمّنها، وهـذا البنـاء يحقّق قصديّة ذات قوّةٍ تأثيريّةٍ عاليةٍ في المتلقّي.

"ولمّـا كـان الـنّصّ مظهـرًا مـن مظـاهر السّـلوك اللّغـويّ، وشـكلًا مـن أشـكال اللّغـة، فإنّـه يحتـوي لا محالـةَ، عـن قصـد معـيّن"[1] ؛ فقـد تضـمّن الـنّصّ الشّـريف مقاصـد ذات أبعـادٍ اجتماعيّـةٍ واضـحةٍ، تعمـل هـذه الأبعـاد بتأثيرهـا القـوي الّـذي حقّقـه البنـاء المنطقـيّ علـى تحقيق مقاصدَ وأهدافٍ أخلاقيّةٍ وتربويّةٍ.

ومـن جملـة الشّـواهد الـواردة فـي حِكَمـه المباركـة، الّتـي حملـت فـي بنيتهـا النّصّـيّة قصـدًا مباشـرًا، مـا ورد فـي قولـه عليـه الصّـلاة والسّـلام: "إنَّ الجَنَّـةَ لَتُوجَـدُ ريحُهـا مِـن مَسـيرَةِ خَمسِـمئةِ عـامٍ، ولا يَجِـدُها عـاقٌّ ولا دَيُّـوثٌ. قيـلَ: يـا رسـولَ اللهِ، ومـا الـدَّيُّوثُ؟ قـالَ: الّـذي تَزنِي امرأتُهُ وهُو يَعلَمُ بها"[2] .

نلحـظ فـي الحـديث المبـارك أنَّـه حمـل مقاصـد ذات أبعـادٍ دينيّـة واجتماعيّـة، وهـذه المقاصـد تحقّقـت عـن طريـق آليـات نصّـيّة متعـدّدة، تضـمّنها الحـديث الشّـريف، فالبعـد الـدّينيّ قصـد فيـه الرّسـول ﷺ بيـان عظمـة وسـعة الجنّـة؛ إذ إنَّ ريحهـا يُشـمُّ مـن مسـافة خمسمئة عـامٍ وهـذه مسـافة ليسـت بالقليلـة، تفـوق مـا هـو موجـود بالـدّنيا. فالقصـد فـي الـنّصّ رسـم تعظيمًـا للجنّـة، وجسّـد تشـويقاً وترغيبًـا للمتلقّـي، وشـدّ انتباهـه إلـى الرّسـول ﷺ، وهـذا القصـد "يحقّـق الاسـتمراريّة بـين المتلقّـي والـنّصّ، فعنـد قـراءة الـنّصّ يتأوّلـه القـارئ مـن خـلال التّجـوال فـي دوائـره ذات التّركيـب المتماسـك بحثًّـا عـن قصـد الكاتـب، وبعـد الحصـول عليه، وفهمه يكون قد حقّق الاستمراريّة الّتي تُعَدّ النّصّيّة بعينها"[3] .

ثُـمّ أردف ﷺ هـذا التّرغيـب والتّشـويق لنعـيم الجنّـة، بقصـدٍ ثـانٍ ذي أبعـادٍ اجتماعيّـة بقولـه ﷺ : (ولا يجـدها عـاقّ ولا ديـوث)؛ ليبـيّن جـوهر المقصـد الثّـاني وهـو التّحـذير الشّـديد مـن ذنـب عقـوق الوالـدين، وعـدم الحفـاظ علـى العـرض؛ لأنَّ هـذين الـذّنبين يمسّـان الأسرة والمجتمع معاً، ويسهمان بتفككهما.

---

(١) مدخل إلى علم النّصّ ومجالات تطبيقه:٩٦.

(٢) حكم النّبيّ الأعظم: ٤/ ٤٨٣.

(٣) مهاد في لّسانيّات النّصّ : ١٤٨.

وعند تسليط الضّوء على الآليات النّصّيّة الّتي جعلت الحديث المبارك أكثر تماسكاً، وحقّقت قصديّةً أكثر وضوحاً، نجد تلك الآليات كثيرة في سطح النّصّ، أبرزها (التّوكيد)، فقد تكرّر ثلاث مراتٍ في فضاء النّصّ، وبأشكالٍ متنوّعة (إنَّ، اللّام في (لتوجد)، و(لا) المكرّرة مرتين). فضلاً عن التّوكيد فإنَّ أسلوب الحوار المتمثّل باستفهام الصّحابة وتوضيح الرّسول الكريم لهم والتّرغيب والتّرهيب، والتّفسير والتّوضيح، كلّ ذلك منح النّصّ صفة الاستمراريّة، وأوجد قناةً تواصليّةً بين الملقي والمتلقّي، كانت كفيلةً بإيصال مقاصد الرّسول الكريم إليهم.

إنّ النّصّ كيانٌ لغويٌّ متماسكٌ محكم النّسيج، ومنسجم البنية، يعرض الوحدات اللّغويّة داخل النّصّ بسلاسة؛ إذ يبدأ بالتّرغيب والتّشويق وينتقل ليوضّح معنى آخر وهو التّرهيب والتّحذير، ثمّ يختم النّصّ بالتّفسير والتّعليم موضحًا من هو الدّيوث. فعن طريق هذا الانتقال السّلس، والنّسيج المحكم، واستعمال التّوكيد مذ انطلاق النّصّ، فضلاً عن النّفي والعطف والتّفسير، أسهم كلّ ذلك بتحقيق التّواصل بين الرّسول ﷺ والمتلقّي، وحثّ المتلقّي على برِّ الوالدين وعدم عقوقهما، والحفاظ على العِرض. فقد بيّن عن طريق ذلك مقاصدَ واضحةً للنّصّ تتمثّل بحفظ الأسرة والمجتمع، والابتعاد عن المحارم. فجاءت "ألفاظ هذا الحديث مُترابطةً، متماسكةً، مُنسجِمةً لفظًا ومشهدًا وحوارًا، ومن يتأمّل أقوال الرّسول صلى الله عليه وآله وسلم يُدْرِكُ أنّه كثيرًا ما كان يُراعي السّياق، فيَنْظُرَ إلى النّصّ نظرةً كلّيّةً"[1] .

٢- المقاصد غير المباشرة:

عند تأمّل النّصوص النّبويّة على المستويات المختلفة، نجد أنَّ النّصّ النّبويّ ليس مجرد تراكيب لغويّة فحسب، وإنَّما هو نصٌّ مشحونٌ بقدرٍ كبيرٍ من المعلومات المعرفيّة الجوهريّة، ويحتوي أيضاً على مقاصد مختلفة ذات أبعادٍ دينيّة، واجتماعيّة، تهدف هذه الأبعاد لتحقيق أهدافٍ تّربويّة وأخلاقيّة لتقويم الأُمّة الإسلاميّة .

(١) الحديث النّبويّ بين النّصّيّة اللّغويّة والمصدريّة التّأسيسيّة بحث منشور، نادية توهامي:١٧٩.

فمـن شـواهد المقاصـد غيـر المباشـرة فـي حِكَـم النّبـيّ الأعظـم، حكمتـه ﷺ : "أصـلُ الـدِّينِ الـوَرَعُ، ورَأْسُـهُ الطّاعـةُ"(١). نلحـظ أنَّ الحـديث المبـارك تضـمّن مقاصـد مباشـرة وأخـرى غيـر مباشـرة؛ إذ مـع كونـه قصـيراً؛ لكنّـه يرسـم لنـا صـورة متكاملـة عـن الـدّين، عـن طريـق القصد المباشرة الّذي يحمله.

فالحـديث المبـارك يوضّـح لنـا أنَّ الـورع عمـاد الـدّين ورأسـه، ويتمثّـل بـالكفّ عـن المحرمـات الّتـي نهـى الله تعـالى عنهـا؛ لأنَّـه جـوهر الـدّين، وأوّل الطّريـق إلـى العبـادات، فـالمعنى الظّـاهر فـي سـطح الـنّصّ يقـدّم لنـا صـورةً مختصـرةً ومتكاملـةً عـن جـوهر الـدّين الإسـلاميّ، وهمـا (الـورع) الأمـور الدّاخليّـة فـي الـدّين، و(الطّاعـة) الأمـور الظّـاهر فـي الدّين(٢) .

ولكـنّ عنـد انعـام النّظـر فـي الـنّصّ، نجـد مقاصـدَ خفيّـةً غيـرَ مباشـرةٍ يحملهـا الـنّصّ، إذ جـاء الحـديث المبـارك بصـيغة (جملـة خبريّـة تقريريّـة)، مـع كـون هـذه الصّـيغة الخبريّـة لا تحمـل أمـراً مباشـراً صـريحاً؛ لكنهـا تـؤدّي وظيفـةً توجيهيّـةً مباشـرةً؛ إذ تتحـوّل هـذه الصّـيغة إلـى آليـةٍ إقناعيّـةٍ ضـمنيّةٍ تـدفع المتلقّـي لتـرويض نفسـه وتربيتهـا علـى طاعـة الله تبـارك وتعـالى، والخـوف منـه فـي الخفـاء قبـل العلـن. فالـدّين لـيس سـلوكًا ومظـاهرًا شـكليّة يمكـن رؤيتهـا، وإنّمـا هـو خشـوعٌ لله تبـارك وتعـالى، وتـرويضٌ للـنّفس علـى الأعمـال الصّـالحة قبـل كلّ شيء.

أمَّـا اسـتقبال الـنّصّ مـن لـدن المتلقّـي، فـإنّ لـه تـأثيرًا فعّـالًا فـي وجـود تواصـل بـين طرفـي العمليّـة التّواصـليّة؛ إذ يسـهم إسـهامًا فعّـالًا فـي الكشـف عـن المقاصـد الخفيّـة فـي بنيـة الـنّصّ، عـن طريـق تنشـيط ذهـن المتلقّـي للبحـث عـن معـانٍ أخـرى؛ إذ "إنَّ الـنّصّ باعتبـاره عمليّـة تواصـل لا ينطـوي فقـط علـى شـبكة عمـل لغويّـة؛ بـل يكمـن وراء هـذه الشّـبكة عوامـل إدراكيّة تؤثّر في عمليّة استقبال النّصّ لدى المتلقّي"(٣) .

---

(١) حكم النّبيّ الأعظم: ٢/ ٤١٧.

(٢) ينظر: غريب الحديث في بحار الأنوار، حسين الحسينيّ البيرجنديّ: ٤/ ١٢٠ ، وسر الإسراء في شرح حديث المعراج، الشّيخ عليّ سعادت: ٣/ ٢١.

(٣) علم لغة النّصّ النّظريّة والتّطبيق :٤٣.

فمتلقّـي الحـديث المبـارك يتـأثّر بـه تـأثيراً كبيـراً؛ كونـه يحمـل إيجـازاً بليغـاً وتكثيفـاً دلاليّـاً؛ إذ أنَّ الرّسـول الكـريم اختـزل المنظومـة الدّينيّـة بتـركيبين لغـويّين، دعـا مـن خلالهمـا الفـرد إلـى تفحّـص دينـه، والتّفتـيش عـن الأمـور الدّينيـة الشّـكليّة والباطنيّـة، ويوجّـه نفسـه إلـى مـا يرضي الله ورسوله وولي الأمر.

ومـن جملـة شـواهد هـذا النّـوع مـن المقاصـد قولـه ﷺ: "عِيـادَةُ المَـريض أعظَـمُ أجـراً مِـنِ اتِّبـاعِ الجَنـائِزِ"[1]، وقولـه ﷺ: "خُطـا عائِـدِ السَّـقيمِ فيمـا بَينَـهُ وبَـينَ السَّـقيمِ فـي رِيـاضِ الجَنَّةِ"[2] .

فالحـديث الشّـريف تضـمّن قصـدًا غيـرَ ظـاهرةٍ فـي البنيـة السّـطحيّة للـنّصّ؛ إذ إنّـه يحمـل أبعـادًا دلاليّـةً مضـمرةً فـي البنيـة الدّاخليّـة للـنّصّ، لـم يصـرّح بـه الرّسـول ﷺ صـراحة بالألفـاظ الظّـاهرة فـي سـطح الـنّصّ؛ إذ إنّ قصـد الرّسـول ﷺ لـم يقتصـر علـى مـا هـو ظـاهرٌ فـي الـنّصّ فحسـب، المتمثّـل بالحـثِّ علـى زيـارة المـريض؛ وإنّمـا هنالـك مقصـدٌ غيـرُ ظـاهرٍ، وهـو الحـثُّ علـى عيـادة المـريض؛ إذ إنَّ عيادتـه تمثّـل تعزيـزًا للـرّوابط الاجتماعيّة.

إنَّ لعيـادة المـريض أجـرًا عظيمًـا عنـد الله سـبحانه وتعـالى؛ علـى خـلاف اتّبـاع الجنـازة. فعظـيم الأجـر فـي هـذا العمـل لـم يكـن اعتباطيًّـا؛ إذ إنّ هـذه الزّيـارة رسـالةُ اطمئنـان للمـريض، فهـي تخفّـف الألـم عـن المـريض بمجـرد رؤيتـه للعائـدين إليـه. وفيهـا بركـة ربّانيّـة متحقّقـة للزّائـر الّـذي يقـوم بهـذا العمـل المبـارك. أمَّـا اتّبـاع الجنـازة، فهـو أمـرٌ واجـبٌ علـى الإنسـان، وقـد يسـتمرُّ هـذا الأمـر لسـاعاتٍ قليلـة، بينمـا عيـادة المـريض أمـرٌ مسـتمرٌّ حتّـى تحقّـق الشّـفاء للمـريض، فهـي تحقّـق ترابطًـا اجتماعيًّـا، وبركـةً روحيّـةً مـن عنـد الله عـزّ وجلّ[3].

إنَّ القصـد المضـمر الّـذي نبّـه عليـه الرّسـول الكـريم بصـورةٍ غيـرِ مباشـرةٍ، والّـذي حـثّ فيـه علـى بنـاء مجتمـعٍ متماسـكٍ يسـوده التّـراحم والتّواصـل، والحـثّ لتـرويض العبـد علـى الحمـد والشّـكر المتّواصـلين لله وحـده عـزّ وجـلّ؛ لأنّـه واهـب الصّـحة والعافيـة وكـلّ الـنّعم.

---

(١) حكم النّبيّ الأعظم: ٧/ ٣٠٨.

(٢) المصدر نفسه: ٧/ ٣٠٨.

(٣) ينظر: الكافي، الشّيخ الكلينيّ باب الفضل في عيادة المريض: ٣/ ١١٩.

علـى أنّ هـذا القصـد لا يلغـي مـا لاتّبـاع الجنـازة مـن أجرٍ؛ لكـنّ قصـد التّفضـيل ذلـك ليؤكّـد أهمّيّـة عيـادة المـريض؛ لمـا لهـا مـن فضـلٍ عنـد الله تبـارك وتعـالى، فهـي محفوفـةٌ بـالخير والبركـة الرّبانيّـة. ففـي أهمّيّـة عيـادة المـريض ذكـر أبـو عبيـد القاسـم بـن سـلّام الهـرويّ (٢٢٤هـ) أنَّ عيادة المريض من نظائر الجهاد[١] .

أمَّـا اسـتعمال اسـم التّفضـيل (أعظـم)، فكـان لـه أثـرٌ فـي إغنـاء الـنّصّ بـالمعنى وترسـيخه فـي ذهـن المتلقّـي، وإيصـال القصـد دون تكلّـفٍ أو إطالـةٍ فـي الكـلام، فضـلاً عـن تصـوير مشـهد عيـادة المـريض وكأنّـه فـي ريـاض النّعـيم. دفعـت هـذه الأدوات الشّـكليّة الموجـودة فـي سـطح الـنّصّ المتلقّـي إلـى الإقبـال علـى هـذا العمـل الصّـالح. فـالنّصّ شُـحن بمقاصـدَ خفيّـةٍ تحمـل رسـائلَ متنوعـةً ذات أبعـادٍ دينيّـةٍ واجتماعيّـةٍ. فإنتـاج الـنّصّ لـم يكـن اعتباطيّـاً؛ إذ وُظِّـف كـلّ جـزءٍ فـي الـنّصّ بقصـدٍ وخطّـةٍ منظمـةٍ وضـعهما النّـاصّ مـن أجـل تحقيـق المقاصد الّتي تضمّنها النّصّ، ومن ثُمّ تحقيق أهداف النّصّ الكلّيّة[٢] .

ومـن الشّـواهد الّتـي وردت فـي حِكَـم النّبـيّ الأعظـم وتتضـمّن مقاصـد غيـر مباشـرة، حِكَمته المباركة :"الخُلقُ وِعاءُ الدّينِ"[٣] .

يتضـمّن الحـديث المبـارك مقصـداً غيـرَ مباشـرٍ، مـع كونـه اتّسـم بالإيجـاز، لكنّـه يحمـل معـاني جوهريّـة ذات أبعـادٍ دينيّـةٍ واجتماعيّـةٍ. وهـذه هـي سـمةٌ غالبـةٌ علـى الحـديث الشّريف؛ إذ يأتي بالكلمات القليلة ليدلُّ بها على معانٍ كثيرة[٤] .

فعـن طريـق التّأمّـل يمكـن فهـم المقصـد المضـمر فـي بنيـة الـنّصّ وتحليلـه. فالقصـد الّـذي أراد الرّسـول الأعظـم ﷺ إيصـاله للمتلقّـي ولفـت انتباهـه إليـه، يتمثّـل بكيفيّـة أنّ يتـزيّن الفـرد بـالأخلاق الحسـنة فـي دينـه، فالـدّين لا ينحسـر فـي العبـادات الشّـكليّة الظّـاهرة، وإنّمـا هـو سـلوكٌ وعمـلٌ حسـنٌ، وجـوهر هـذا السّـلوك هـو الأخـلاق "فَـإذا كَـانَ لِلْعَبـد ذَلِـك الْخلـق كَـانَ وعَـاء لدينِـهِ مـن ذَلِـك الخلـق يخـرج لَـهُ الـدّين وَهُـوَ الخضـوع والخشـوع وبـذل الـنَّفس لله وَاحتِمَال أَثقال الْمَكْرُوه"[٥] .

---

(١) ينظر: النّاسخ والمنسوخ في القرآن الكريم، أبو القاسم بن سلّام الهرويّ:٢٠٦.

(٢) ينظر: التّرابط النّصّيّ في ضوء التّحليل اللّسانيّ للخطاب: ٨٩.

(٣) حكم النّبيّ الأعظم: ٤/ ٢٩٥.

(٤) ينظر: البلاغة النبوية: ٨٤.

(٥) نوادر الأصول في أحاديث الرّسول، الحكيم التّرمذيّ: ٨/ ٤٥.

أمَّـا الأبعـاد الاجتماعيّـة الّتـي يتضـمّنها القصـد المضـمر فـي الـنّصّ، فتتمثّـل بالعلاقـات والـرّوابط الاجتماعيّـة الّتـي تُبنـى علـى الصّـدق والأمانـة والتّـراحم والإخـلاص، وأسـاس ولـبّ ذلـك كلّـه هـو الأخـلاق الحسـنة؛ إذ تُعَـدُّ الأخـلاق عصـب الحيـاة الاجتماعيّـة والعمـود الّـذي يعمل على تقوية تلك العلاقات والرّوابط، ففقدها يؤدّي إلى شلل في الحياة الاجتماعيّة.

فمـن رحـم الأخـلاق خـرج لنـا الـدّين، فـالأخلاق تُعَـدُّ نقطـةَ انطـلاقٍ نحـو الآفـاق الدّينيّـة؛ إذ إنَّ لكـلّ شـيءٍ سـمةً يمتـاز بهـا، فقـد امتـازت العربيّـة بـأنّ القـرآن نـزل بلغتهـا وخـصّ الله هـذه اللّغـة بهـذا الكتـاب العظـيم. كـذلك ميّـز الله سـبحانه وتعـالى الإسـلام بأنّـه أشـرف الأديـان فمنحـه الله الخلـق العظـيم وخصّـه بالحيـاء الرّفيـع، فأمتـاز بـه عـن سـائر الأديـان الأخرى[1] .

إنَّ الوسـائل اللّغويّـة المتـوافرة فـي سـطح الـنّصّ، الّتـي كـان لهـا دورٌ فعّـالٌ، تمثّلهـا الاسـتعارة؛ إذ إنَّ اسـتعارة (الوعـاء) وتوظيفـه داخـل بنيـة الـنّصّ كـان لهـا الأثـرُ البـالغُ فـي اختـزال الحـديث، وشـحنه بمعـانٍ جوهريّـةٍ؛ إذ رسـمت هـذه الاسـتعارة صـورةً مادّيّـةً فـي ذهـن المتلقّـي. فالوعـاء يحفـظ مـا بداخلـه كـذلك الخلـق؛ إذ هـو كالوعـاء الّـذي يحفـظ الـدّين. فالدّين بلا أخلاقٍ تؤطّره، كالماء بلا دلوٍ يحفظه.

أمَّـا التّنـاول الـذّهنيّ للمتلقّـي، فلـه دورٌ بـارزٌ فـي إبانـة المعنـى وتوضـيح القصـد المضـمر فـي بنيـة الـنّصّ؛ ممّـا جعـل المتلقّـي عنصـرًا فعّـالاً فـي العمليّـة التّواصـليّة؛ إذ إنَّ "ووجـود المتلقّـي لـيس خارجيّـاً فحسـب؛ بـل هـو وجـودٌ فـي وعـي المبـدع بالدّرجـة الأوّلـى، وهـذه الحقيقـة تـأتي مـن معاينـة الواقـع التّنفيـذيّ معاينـةً صـحيحة، ومـن خلالهـا تأخـذ العمليّـة التّنظيريّة خطوط حركتها الجدليّة بين الطّرفين: المبدع والمتلقّي"[2] .

(١) ينظر: نظم الدّرر في تناسب الآيات والسّور، إبراهيم بن عمر البقاعيّ: ٨/ ٩٨.

(٢) قضايا الحداثة عند عبد القاهر الجرجانيّ:٢٢٨.

المبحث الثّاني

معيار المقاميّة

أوّلًا: مفهوم المقاميّة:

تُعَدُّ المقاميّـة أو السّـياق إحـدى المعـايير الّتـي تحقّـق للـنّصّ صـفة النّصّـيّة، بالتّضـافر مـع معـاييرَ أخـرى تسـهم فيمـا بينهـا بـإخراج نـصٍّ متماسكٍ، لـيس علـى مسـتوى الشّـكل أو البنيـة الدّاخليّـة فحسـب، إنّمـا علـى مسـتويات أخـرى تتعلّـق بقصـديّة النّـاصّ، وتقبّـل المتلقّـي للـنّصّ، وتتعلّـق أيضـاً بالمعلومـات الجديـدة الّتـي يحملهـا الـنّصّ فـي تضـاعيفه، أو تنـاصّ النّصّ مع نصوصٍ أخرى.

أهتمَّـت مدرسـة لنـدن المدرسـة الانكليـزيّ بـالمنهج السّـياقيّ، وعُرفـت هـذه المدرسـة باهتماماتهـا بـالمعنى، فقـد نـادت بالنّظريّـة السّـياقيّة للمعنـى، وركّـزت علـى السّـياق أو الطّريقـة الّتـي تسـتعمل فيهـا المفـردة؛ إذ صـرّح فيـرث Firth زعـيم هـذه المدرسـة: "بـأنَّ المعنـى لا ينكشـف إلّا مـن خـلال تسـييق الوحـدة اللّغويّـة، أي وضـعها فـي سـياقاتٍ مختلفـة، ويقـول أصـحاب هـذه النّظريّـة فـي شـرح وجهـة نظـرهم: إنَّ معظـم الوحـدات الدّلاليّـة تقـع فـي مجـاورة وحـدات أخـرى، وإنَّ معـاني هـذه الوحـدات لا يمكـن وصـفها أو تحديـدها إلّا بملاحظة الوحدات الأخرى الّتي تقع مجاورة لها"[١] .

وضـع فيـرث Firth شـروطًا متعـددة يتوقّـف عليهـا تحديـد المعنـى داخـل الـنّصّ، وهـي[٢] :

١- تحليل وتفسير السّياق اللّغويّ للنّصّ صوتيّاً، وصرفيّاً، ونحويّاً، ومعجميّاً.

٢- بيـان شخصـية المـتكلّم (منـتج الـنّصّ)، والمخاطـب (متلقّـي الـنّصّ)، والظّـروف المحيطة بالكلام.

٣- بيان نوع الوظيفة الكلاميّة.

٤- بيان نوع الأثر والتّبعات الّتي يتركها الكلام.

---

(١) علم الدّلالة، أحمد مختار عمر:٦٨-٦٩.

(٢) ينظر: أصول تحليل الخطاب: ١/ ٧٠.

فقد أكّدت شروط فيرث الّتي ذُكرت أنّه لا يمكن أن نفصل المعنى والسّياق؛ بل هما وجهان لشيءٍ واحد؛ إذ إنَّ المعنى متّصل بالسّياق اتّصالًا شديداً، ومن ثمّ لا يمكن الفصل بينهما أو تصوّر أحدهما دون الآخر(١) .

أكّد بوجراند على ضرورة الوقوف على سياق الموقف عند دراسة النّصّ، يقول في ذلك: "ينبغي للنّصّ أن يتّصل بموقفٍ يكون فيه، تتفاعل فيه مجموعة من المرتكزات، والتّوقعات، والمعارف، وهذه البيئة الشّاسعة تسمّى سياق الموقف"(٢) .

فالسّياق إذًا هو ترابط مجموعة من الوحدات اللّغويّة الّتي تنتظم داخل النّصّ، مكوّنة سلاسل من الجمل المنسجمة انسجاماً تامّاً. وهذا التّرابط بين الجمل والكلمات داخل النّصّ يُنتج معنىً كليًّا للنّصّ يُدرك من خلال قراءة النّصّ وتناوله كاملاً.

ذكر فندريس Vendryes أنّ الّذي يبرّز قيمة الوحدة اللُّغويّة ويعيّنها في وجودها ويكشف معناها هو السّياق، يقول في ذلك: إنَّ "الكلمة توجد في كلِّ مرةٍ تُستعمل فيها في جوّ يحدّد معناها تحديداً مؤقتاً، والسّياق هو الّذي يفرض قيمةً واحدةً بعينها على الكلمة، بالرّغم من المعاني المتنوّعة الّتي في وسعها أنّ تدلَّ عليها"(٣) .

ومن المفيد أن نشير إلى أنَّ التّغاضي عن أثر السّياق في فهم النّصّ وتفسيره يؤدّي إلى عقم في تحليل قصد النّاصّ، ويعطي نتائجَ غيرَ واضحةٍ للمعنى المركزيّ للنّصّ؛ لأنَّ السّياق عنصرٌ فعّالٌ في تحديد المحور الّذي يدور حوله معنى نصٍّ ما، وله دورٌ أيضًا في استمراريّة النّصّ وانسجامه؛ إذ إنَّ الإلمام بالسّياق يعني الإلمام بالمعنى المركزيّ للنّصّ(٤) .

وفيما أرى أنَّ المتلقّي عندما يتناول النّصّ ينظر إليه من جانبين، الأوّل جزئيّ والثّاني كلّيّ شموليّ. ففي نظرته الأوّلى الجزئيّة يتناول فيها المفردة مستقلّة ومنعزلة عن السّياق، فيفهم معناها المعجميّ بعيدًا عن السّياق العامّ الّذي تردّ فيه. وهذا الجانب

(١) ينظر: أصول تحليل الخطاب: ١/ ١١٧.

(٢) النّصّ والخطاب والإجراء:٩١.

(٣) اللّغة، فندريس:٢٣١.

(٤) ينظر: لسانيّات النّصّ مدخل إلى انسجام الخطاب:٥٦.

الجزئـيّ يكـون أثنـاء قراءتـه للـنّصّ، وعـن طريـق تناولـه الأوّل والتّـدريجيّ للمفـردات الّتـي يتشكّل منها النّصّ، أي يتلقّى معنى كلّ مفردةٍ بمعزلٍ عن الأخرى.

أمَّـا تناولـه للجانـب الكلّـيّ الشّـموليّ للـنّصّ، فإنّـه يكـون بعـد أنّ يبـدأ بفـكِّ شـفرات الـنّصّ تمهيـدًا لإكمـال قراءتـه للـنّصّ. وهـذه النّظـرة هـي مـن تحـدّد المعنـى المركـزيّ للـنّصّ. وهـي مـن تلـبس المفـردات معـانٍ جديـدة، وتجرّدهـا مـن معـانٍ أخـرى؛ لأنّ الـنّصّ مجموعـة مـن المفـردات الّتـي تتـآلف مـع بعضـها فـي تشـكيل سـطح الـنّصّ وتكـوين بنيـة دلاليّـة يحملهـا الـنّصّ فـي داخلـه. وهـذا التـآلف بـين المفـردات الّـذي يمثّـل السّـياق هـو مـن يحـدّد معنـى المفردات.

مثـال علـى التّنـاول الجزئـيّ والكلّـيّ للسـياق، الـنّصّ الآتـي: (رأيـت عيونـاً منتشـرةً فـي أرجـاء المدينـة، ومـا أن وصـلت قريبًـا مـن الـدّار، أخبرنـي جـاري، أنَّ هنالـك حملـةٌ عسـكريّةٌ. عنـدها أدركـت أنّ ثمّـة أمـرًا خطيـرًا فـي المدينـة). فقـارئ الـنّصّ السّـابق عنـدما يقـرأ عبـارة (رأيـت عيونـاً منتشـرة فـي أرجـاء المدينـة) يتبـادر إلـى ذهنـه معـاني متعـددة، منهـا (عيـون المـاء، عيـون الجـيش...الـخ)؛ ولكـنّ عنـدما يسـتطرد بقـراءة الـنّصّ، ويفهـم الـنّصّ ذهنيّـاً، ويحلّـل تراكيبـه، ويفـكّ شـفراته، ترتسـم لـه الصـورة الكلّيّـة للمعنـى الّـذي تحملـه المفـردات داخـل الـنّصّ، ومـن ثُـمّ يفهـم معنـى الـنّصّ بصـورةٍ كلّيّـة. فالتّنـاول الكلّـيّ للسّـياق هو من يبين معاني المفردات ويفسّر العلاقات الدّلاليّة فيما بينها.

فقـد وضّـح ديـل هـايمز (Dell Hymez) دور السّـياق فـي تأويـل المعنـى المقصـود وتفسـيره فـي الـنّصّ، بقولـه: "إنَّ اسـتعمال صـيغةٍ لُغويّـةٍ يحـدّد مجموعـة مِـنَ المعـاني، وبإمكـان المقـام أن يسـاعد علـى تحديـد عـددٍ مِـنَ المعـاني، فعنـدما نسـتعمل صـيغةً فـي سـياقٍ مـا فإنَّهـا تسـتبعد كـلّ المعـاني الممكنـة لـذلك السَّـياق، الّتـي لـم تشـر إليهـا تلـك الصِّـيغة، والسّـياق بـأثره يسـتبعد كـلّ المعـاني الممكنـة لتلـك الصِّـيغة الّتـي لا يحتملهـا السَّياق"[1] .

(١) تحليل الخطاب، براون، وويل: ٤٧.

ثانياً: الخصائص الّتي تتعلّق بتحديد السّياق:

اقترح ديل هايمز Hymes Dell عدداً من الخصائص الّتي لها علاقة بتحديد السّياق، صنّفها على النّحو الآتي[1] :

١- المرسل أو الباثّ (النّاصّ): وهو الكاتب أو المتكلّم الّذي ينتج النّصّ.

٢- المستقبل أو المرسل إليه (متلقّي النّصّ): وهو السّامع أو القارئ الّذي يتلقّى النّصّ ويتفاعل معه.

٣- الحضور أو المستمعون: يسهم وجود المستمعين في محيط النّصّ الخارجيّ بتحديد معنى الحدث الكلاميّ.

٤- الموضوع: وهو الرّسالة الموجّهة للمخاطبين ويمثّل المحور الّذي يدور حوله الحديث، أي مدار الحدث الكلاميّ الّذي يتحدّث عنه.

٥- المقام أو الظّرف: وهو السّياق أو الظّرف الزّمانيّ والمكانيّ للحدث الكلاميّ الّذي أُنتج فيه النّصّ؛ إذ إنّ معرفته تسهم في تحديد دلالة الحدث بشكلٍ أدقّ، وتسهم بأن تكون النّتائج أكثر دقّةً عن طريق معرفته وتحديده. وكذلك الحدث التّواصليّ، والعلاقات الفيزيائيّة الّتي تحدث بين المتفاعلين من العلامات، والإيماءات، والإشارات، والملامح الجسديّة التّي تظهر عليهم وغير ذلك.

٦- القناة: وتتمثّل هذه الخصيصة بالكيفيّة أو الوسيلة الّتي يتمّ التّواصل بوساطتها بين الأطراف المشاركة في الحدث الكلاميّ، وهذه القناة قد تكون مكتوبةً أو منطوقةً أو إشاريّة.

٧- النّظام أو الشّفرة: وتتضمّن اللّغة أو اللّهجة أو الأسلوب اللّغويّ المستعمل في النّصّ.

٨- شكل الرّسالة أو الهيئة الّتي تتخذها: ويتمثّل بشكل الرّسالة أو محتواها، هل هذا النّصّ المرسل خطبة، حكاية، حوار، عظّة، خرافة، قصيدة .... إلى آخره.

---

(١) ينظر: تحليل الخطاب، براون، وويل:٤٧-٤٨ ، لسانيات النّصّ، محمّد خطابيّ:٥٣ ، الانسجام النّصّيّ وأدواته بحث منشور، الطّيب الغزاليّ قواوة:٦٥-٦٦.

٩- المفتـاح: ويتضـمن الطّـابع التّقيمـيّ للـنّصّ، هـل كانـت الرّسـالة موعظـةٌ حسـنةٌ أم شـرحٌ مثيرٌ للعواطف أو غير ذلك.

١٠- الغـرض: وهـو ثمـرة العمليّـة التّواصـليّة القائمـة، والغـرض النّهـائيّ الّـذي يسـعى إليـه المتخـاطبون. ويمثّـل مـا يقصـده المشـاركون فـي الحـدث الكلامـيّ، وينبغـي أن يكـون هـذا الغرض نتيجة للحدث التّواصليّ.

إنَّ لسـانيّي الـنّصّ يؤكّـدون علـى ضـرورة مراعـاة البعـد التّـداوليّ للـنّصّ عنـد دراسـة نـصٍّ مـا؛ إذ إنَّ كـلّ نـصٍّ ينتجـه الكاتـب لا بُـدَّ أن يتضـمّن رسـالةً أو قصـدًا يسـعى إيصـاله إلـى المتلقّـي أو القـارئ، وأنَّ ذلـك الـنّصّ يـتمّ إنتاجـه فـي ظـروف معينـة تحـيط بـه، فكلّمـا كـان الـنّصّ ملائمًـا للسّـياق والموقـف الّـذي أُنـتج فيـه كـان أكثـر قبـولاً وتـأثيرًا فـي المتلقّـي؛ إذ تمثّـل المقاميّـة ركنًـا أساسـيّاً فـي فاعليّـة واتّسـاق الـنّصّ، لا سـيّما فـي الأبعـاد التّداوليّـة، وأنَّ مراعـاة الظّـروف الّتـي أُنـتج فيهـا الـنّصّ تسـهم بشـكلٍ فعّـالٍ فـي اكتمـال نصّـيّة الخطـاب واستقامته[١] .

وسـياق الموقـف أو المقاميّـة هـو "مجمـوع الظّـروف الاجتماعيّـة أو العلاقـات الاجتماعيّـة الّتـي يمكـن أن تؤخـذ بعـين الاعتبـار لدراسـة العلاقـات الموجـودة بـين السّـلوك الاجتمـاعيّ والسّـلوك اللّغـويّ، وهـو المنـاخ أو الجـوّ العـامّ الّـذي يـتمّ فيـه الحـدث الكلامـيّ، فهـو يشـمل الزّمـان والمكـان، والمـتكلّم والسّـامع، والأفعـال الّتـي يقومـون بهـا، ومختلـف الأشياء والحوادث الّتي لها صلةٌ بالحدث الكلاميّ"[٢] .

لـذا فـإنَّ الوقـوف علـى سـياق الموقـف، والعناصـر المرتبطـة بـه (النّـاصّ، المتلقّـي)، والتّعـرّف علـى (الظّـروف المحيطـة) بـالنّصّ اجتماعيّـة، سياسـيّة...، الّتـي أُنجـز الـنّصّ فـي ضـوئها، أمـرٌ مهـمٌّ عنـد دراسـة نـصٍّ مـا؛ لأنّ فهـم المواقـف والظّـروف تسـهم فـي فهـم وتحليل النّصوص وتسليط الضّوء على جوهر النّصّ[٣] .

(١) ينظر: مدخل إلى علم النّصّ ومجالات تطبيقه: ٩٧-٩٨.

(٢) نظريّة المقام عند العرب في ضوء البراغماتيّة:٢٠.

(٣) ينظر: نظريّة علم النّصّ: ٢٥.

ولتطبيق ذلك على ما جاء في حِكَم النّبيّ الأعظم ﷺ ، نقف عند قوله عليه الصّلاة والسّلام : "إنَّ المُؤْمِنَ لِلمُؤْمِنِ كَالبُنيانِ يَشُدُّ بَعضُهُ بَعضاً وشَبَّكَ أصابِعَهُ"(١) .

فالمتكلّم كما هو معلوم من النّصّ، النّبيّ محمّد ﷺ وهو قائد الأمّة وصاحب الخطاب الأعلى فيها. والمخاطَبون هم الصّحابة على اختلافهم من مهاجرين وأنصار، وهم المتلقّون الّذين وجّه إليهم النّصّ؛ إذ لا يمكننا تصوّر نصٍّ دون المتلقّي، فالمتلقّي "ليس مجرد مُستهلك سلبيّ للنّصّ، بل يُعَدُّ مشاركًا في النّصّ"(٢). والتّواصل بين النّبيّ الأعظم والحضور من الصّحابة تمّ عن طريق الحديث الشّفاهيّ.

إنَّ الحديث لا يقتصر توجيهه إلى الحضور فقط؛ بل يحمل في مضمونه توجيهاً عموميًّا إلى المسلمين كافّة. والغرض العامّ أو القصد من وراء النّصّ هو غرس روح الوحدة والتّآزر في نفوسهم، ونبذ الانقسام والتّفرقة، ومغادرة العصبيّات القبليّة.

إنَّ الظّروف الاجتماعيّة المحيطة بعالم النّصّ، الّتي كان عليها المسلمون بعد هجرة النّبيّ محمّد ﷺ تتطلّب شحذ الهمم نحو التّآزر والوحدة ضدّ الخطر المحدِّق بهم من قريش؛ إذ عمل الرّسول الكريم ﷺ على جمع وحدة المسلمين، عن طريق التّوجيه والإرشاد إليهم في أحاديثه مع الصّحابة، وحثهم على الوحدة على أساس دينيّ وليس على أساس قبليّ عصبيّ(٣) .

فالمجتمع المدنيّ كان حديث النّشأة، فكان من الضّروريّ وجود موجّه يوجّه هذا المجتمع، الّذي يغلب عليه الطّابع المدنيّ المتكوّن من قبائل متعدّدة، نحو الوحدة والتّضامن والتّكافل فيما بينهم؛ للسّير به نحو مجتمع إسلاميّ يسوده التّعاون والأخوة والوحدة.

فالرّسول ﷺ خاطب أصحابه بتراكيب لغويّة سهلةٍ عذبة، لا يشوبها كدر العيّ. مستعملًا في النّصّ التّشبيه الحسّيّ (تشابك الأصابع)؛ ليرسم صورةً ذهنيّةً محسوسةً تلائم المقام الّذي قيل فيه الحديث الشّريف، الّذي يتحدّث عن الوحدة والتّآزر. فتشبيك

---

(١) حكم النّبيّ الأعظم: ١/ ٤٢٢.

(٢) علم اللّغة النّصّيّ بين النّظريّة والتّطبيق: ١/ ١١٠.

(٣) ينظر: الحياة الاجتماعيّة والاقتصاديّة للمدينة المنورة في عهد الرّسول محمّد ص بحث منشور، د. وفاء عدنان حميد، زمن محمود شاكر:١-٢.

الأصـابع الّـذي عمـد إليـه الرّسـول ﷺ "إنّمـا هـو لمقصـود التّمثيـل وتصـوير المعنـى فـي اللّفظ"(١)، حتّـى يكـون المعنـى أكثـر تـأثيراً فـي المتلقّـي؛ وذلـك لأنّ "التّمثيـل بالحركـات الّـذي ورد في عالم النّصّ الخارجيّ أوقع في النّفس من الكلام المجرّد"(٢) .

فقـد قرّبـت هـذا الصّـورة التّشـبيهيّة ذهـن المتلقّـي نحـو بنـاء مجتمـع موحّـد متـآزر. فـإذا تهشّـمت أو ضـعفت لبنـة واحـدة (المـؤمن) مـن هـذا البنيـان المرصـوص، يعنـي ضـعف هيكليّـة البنـاء، ومـن ثـمّ يـداهم الخطـر هـذا البنيـان، داقًّـا بـذلك نـاقوس التّفرقـة. فالوحـدة فـي المجتمـع ضـرورة وجوديّـة لا بُـدَّ منهـا. إنَّ المتلقّـي يسـهم فـي تحليـل سـياق المقـام وتفسـيره، لأنَّـه "هـو القـراءة الثّانيـة للـنّصّ. ولهـذا لـم يغفـل علمـاء اللّغـة هـذا الـدور للمتلقّـي، فـالنّصّ يُعَدُّ حوارًا قائمًا بين قائل النّصّ والنّصّ والمتلقّي"(٣) .

ومـن أقوالـه ﷺ الّتـي راعـى فيهـا المقـام قولـه ﷺ: "الآن حَمِـيَ الـوَطِيسُ"(٤). فقـد قالـه ﷺ فـي غـزوة حُنـين، حينمـا أصـاب الاضـطراب معسـكر المسـلمين، بعـد أن بـاغتهم جيش العدو على حين غفلة.

فـالموقف الّـذي كـان فيـه المسـلمون يتطلّـب تحفيـزهم وتشـجيعهم لاسـتمرار القتـال وعـدم الاستسـلام بعـد الهجـوم المباغـت. وبصـفته ﷺ قائـداً للجـيش امتطـى بغلتـه عنـد احتـدام القتـال، فكـان ثابتًـا فـي سـاحة الميـدان جنبًـا إلـى جنـب مـع المقـاتلين، وقـال حديثـه☹ الآن حَمِيَ الوَطِيسُ)؛ إذ وجّهه إلى المقاتلين في ساحة القتال.

فقـد مثّـل هـذا الحـديث توجيهًـا قياديّـاً، ونـداءً تعبويّـاً، عنـد اسـتلال السّـيوف واحتـدام القتـال؛ إذ رفـع الهمـم مـن خلالـه، وشـدّ العـزم مـن توجيهـه، مؤكّـدًا بـذلك أنّ المعركـة قـد بدأت الآن، وأنَّها دخلت مرحلة الحسم النّهائيّ.

فالحـديث جـاء بعبـارةٍ قصـيرة، مشـحونةٍ بالتّـأثر البلاغـيّ، ومناسـبةٍ لسـياق الموقـف المتمثّـل بسـاحة الحـرب؛ إذ لا وقـت يكفـي للخّطـب الطّـوال، ولا مجـال للإطالـة فـي الكـلام، فكـان للحـديث تـأثيرٌ قـويٌّ فـي نفـوس المقـاتلين، فقـد أعـاد الثّقـة والثّبـات فـي صـفوف

(١) عون المعبود، العظيم آباديّ: ٢: ١٨٩.
(٢) منهج التّربية في القرآن والسّنة: ٢٣٥.
(٣) علم اللّغة النّصّيّ بين النّظريّة والتّطبيق: ١/ ١١٠.
(٤) حكم النّبيّ الأعظم: ٦/ ٣٣١.

المسلمين؛ إذ إنَّ "الاهتمام بقول هذه العبارات في مقامها اللّائق بها إنَّما للوصول إلى ما نسميه بتنفيذ المقال واجتيازه الأطر القوليّة والسّمعيّة إلى التّأثير والفعل والتّغيير"(١) .

ولو قيل هذا الحديث في سياق مقاميّ آخر كأن يكون خطبة إرشاد ونصح؛ لفقد كثير من معانيه، وقوّته البلاغيّة، ولفقد النّصّ حلاوته، ومقبوليته. وهذا ما يؤكّد أنَّ مقبوليّة النّصّ مرتبطة ارتباطًا وثيقاً في السّياق المقاميّ.

ذكر الشّريف الرّضي (٤٠٦هـ)ـ أنَّ هذا الحديث من ضروب الاستعارة والمجاز، معلقاً عليه بقوله: إنَّ "الوطيس في كلامهم حفيرة تحتفر فيوقد فيها النّار للاشتواء... ولا وطيس هناك على الحقيقة، وإنَّما المراد ما ذكرنا من حرّ القراع، وشدَّة المصاع، والتّفاف الأبطال، واختلاط الرجال...وتشبيه الحرب بالنّار يكون من وجهين: أحدهما: لحرّ مواقع السّيوف، وكرب ملابس الدّروع، وحمي المعترك... والوجه الآخر: أن يكون إنَّما شبِّهت بالنّار؛ لأنَّها تأكل رجالها، وتفني أبطالها، كما تأكل النّار شُعُلَها، وتحرق حطبها"(٢) .

وعلى هذا فإنَّ هذا التّركيب المجازيّ لم يكن مألوفًا استعماله عند العرب في ساحات الوغى. فالنّبيّ محمّد ﷺ نقل هذا التّركيب من صورته الحقيقيّة المحسوسة (موضع حفرة النّار) إلى صورةٍ مجازيّةٍ (شدّة الحرب وهيجانها)، راسمًا بذلك صورةً مطابقةً بين المعنى الأصليّ صورة (النّار)، والمعنى المجازيّ الّذي نُقل إليه (نار الحرب).

ومن جملة شواهد السّياق المقاميّ قوله ﷺ: "بُعِثتُ أنا والسّاعَةُ كَهاتَينِ – وأشارَ بِإصبَعِهِ: السَّبّابَةِ والوُسطى ثُمَّ قالَ: وَالّذي نَفسِي بِيَدِه إنّي لأجِدُ السّاعةَ بَينَ كِتفَيَّ"(٣) .

إنّ الحديث الشّريف قيل مع بداية انتشار الإسلام والدّعوة الإسلاميّة. فقد كان المسلمون يسأل بعضهم بعضًا عن يوم القيامة، وعلاماته، ووقت حدوثه؛ لأنَّ أمر السّاعة لم يكن معروفاً عند العرب قبل البعثة، إلى أن جاء الإسلام وبيّن لهم أمور السّاعة وأهوالها.

---

(١) نظريّة المقام عند العرب في ضوء البراغماتيّة:٢٠٩.

(٢) المجازات النّبويّة: ٥٩–٦٠.

(٣) حكم النّبيّ الأعظم: ٢/ ٥١٧.

ففحـوى الخطـاب وغرضــه العـامّ هـو التّحـذير مـن غفلـة السّـاعة؛ لأنّهـا أمـرٌ آتٍ لا محالـةَ، ولا شـكَّ فيـه. فـالنّصّ موجّـه للحضـور خاصّـة وهـم (الصّـحابة)، ومـن خلالهـم يوجّـه الحـديث إلـى المسـلمين كافّـة. وحـثّهم علـى ضـرورة الاسـتعداد لهـا بالأعمـال الصّـالحة؛ لأنّ السّاعة أقرب ممّا تكون، وأنَّ الحياة في طريقها للزّوال.

فالرّسـول الكـريم قـد اسـتعمل فـي حديثـه التّشـبيه الحسّـيّ؛ إذ أراد عـن طريـق هـذا التّشـبيه أن يبـيّن قـرب قيـام السّـاعة مـن مجلسـهم الّـذي كـانوا هـم فيـه. فقيـام السّـاعة أقـرب ممّـا يتصـوّره أحـدهم؛ إذ إنّ المسـافة الزّمنيّـة الّتـي عمـد الرّسـول ﷺ إلـى اسـتعمال التّشـبيه الحسّـيّ لتجسـيدها، لا تتجـاوز المسـافة بـين السّـبابة والإبهـام، وهـذا التّشـبيه هـو كنايةٌ عن شدّة القرب بين بعثته وقيام السّاعة[1] .

وقـد أضـاف الرّسـول ﷺ قـوّة تـأثّر نفسـيّ فـي الـنّصّ مـن قولـه ﷺ: (أنّـي لأجِـدُ السّـاعةَ بَـينَ كِتَفَـيَّ)، وكـأنَّ السّـاعة ماثلـةٌ عنـده، يشـعر بقربهـا منـه، ففـي ذلـك ترهيـب قـوي للحاضـرين مـن قـرب قيـام السّـاعة. فضـلاً علـى ذلـك اسـتعمل التّوكيـد بالقسـم وحـروف التّوكيـد، وكـلّ ذلـك خلـق تـأثيرًا قويـاً فـي المتلقّـي، "ولعـلّ التّـأثير الكبيـر الـذي أحدثـه النّبـيّ فـي نفـوس مسـتمعيه مـردّه إلـى معرفتـه العميقـة لبُنيـتهم النّفسـيّة؛ فـلا يـأتي كلامـه إلاّ بمـا يروق السّامع"[2] .

إنَّ محـيط الـنّصّ وسـياقه المقـاميّ أسـهم فـي فهـم الـنّصّ وتحليلـه بصـورةٍ دقيقـة، فمـن دون "الرُّجـوع إلـى محـيط الـنَّصِّ الحـديثيّ أو سـياقه لا يُمْكِننـا فهْـم الـنَّصِّ أو إدراك مـا فيـه مـن انسِـجامٍ وتـرابُطٍ دلالـيّ؛ والمقـام بـدوره قـادرٌ علـى استكشـاف القـيم الاجتماعيّـة والثّقافيّـة والعادات والأعراف السّائدة في عهد الرّسول"[3] .

فجـاء الـنّصّ متناسـقًا ومتـآزرًا مـع المقـام الّـذي قيـل فيـه، وهـذا التّـآزر المتكامـل بـين المقام والمنتج والنّصّ والمتلقّي منح النّصّ صفة النّصّيّة.

---

(١) ينظر: عمدة القاري: ٢٠/ ٢٩٣.

(٢) نظريّة المقام عند العرب في ضوء البراغماتيّة:٢٠٣.

(٣) الحديث النّبويّ الشّريف بين النّصّيّة اللّغويّة والمصدريّة التّأسيسية بحث منشور، نادية توهامي:١٧٩.

المبحث الثّالِث

معيار المقبوليّة

مفهوم المقبوليّة والعوامل الّتي تخضع لها:

عندما يقوم أيّ كاتبٍ بإنتاج نصٍّ ما، ولكي يتّصف ذلك النّصّ بالصّفة التّفاعليّة التّواصليّة، ويلبس رداء النّصّيّة، فإنَّه يجب أن يتّصل بين طرفي الاتّصال النّصّيّ (منتج النّصّ، ومتلقّي النّصّ)، اللّذان يمثّلان طرفي عمليّة الاتّصال والتّفاعل.

فالنّاصّ عندما ينتج النّصّ وفقًا لقصدٍ رام إليه، فلا بُدَّ أن يضع النّاصّ في الحسبان أنَّ هناك عناصر لا يمكن الاستغناء عنها، ومنها مقبوليّة؛ إذ يجب في النّصّ أن يتّسم بالمقبوليّة من لدن المتلقّي؛ لأنَّ هذا العنصر النّصّيّ يتكفّل بإيضاح علاقة النّصّ بالمتلقّي، ويسوق المتلقّي إلى معرفة البناء الفكريّ والمنطقيّ للنّصّ، ويرسم علاقة تأثير وتفاعل بين النّصّ والمتلقّي.

ولهذا فإنَّ المقبوليّة عنصرٌ مهمٌّ وجوهريٌّ في عالم النّصّ، يجب تحقيقها في النّصّ؛ لأنَّها تعتمد "على التّفاعل بين مقاصد المنتجين ورغبة المتلقين في المعرفة وصياغة مفاهيم مشتركة"(١) .

والقبول أو المقبوليّة هي "موقف مستقبل النّصّ إزاء كون صورة ما من صور اللُّغة ينبغي لها أن تكون مقبولةً من حيث هي نصٌّ ذو سبكٍ والتحام. وللقبول مدى مِنَ التّغاضي في حالات تؤدّي فيها المواقف إلى ارتباك، أو حيث لا توجد شركة في الغايات بين المستقبل، والمُنتِج"(٢) .

تمثّل المقبوليّة الطّرف الثّاني من طرفي الاتّصال النّصّيّ؛ إذ إنَّها تتّجه صوب المتلقّي؛ لتحقيق التّفاعل والتّواصل، ولتحقيق اكتساب النّصّ صفة النّصّيّة. فالمُتلقِّي "عندما يستنتج فهو يقوم بذلك لعمل سياق من أجل تفسير المعلومات الجديدة، لكي يصنع التّماسك، والاستمراريّة في النَّصّ. وقدرة القارئ على استخراج المعلومات وعمل الاستنتاجات الضّروريّة يعتمد على مدى اتّساع وتنوّع المعلومات المخزونة، المشتملة

(١) نظريّة علم النّصّ:٥٢.

(٢) النّصّ والخطاب والإجراء:١٠٤.

علـى معرفـة العـالم والقصـديّة والسَّـببيّة وأعـراف المحادثـة، وبدمجـه للمعـاني الّتـي يـدركها مِنَ الخطـاب مـع المعلومـات الّتـي يعرفهـا بالفعـل، فـإنّ القـارئ يحـدّد السّـياق الّـذي يفهـم مِـن خلاله أجزاء النّصّ"[١] .

فالمقبوليّـة لـم تكـن منعزلـةً عـن بـاقي المعـايير، ولـم تكـن عنصـراً قائمـاً بحـدِّ ذاتـه، وإنَّمـا هـي "محصّـلة أعمـال المعـايير الأُخـرى أو متّحـد بهـا ومقتضـاه، أيضـاً أن يشـتغل معيـار القبـول بتحديـد المعنـى المـراد مـن بـين المعـاني المُحتملـة علـى جهـة القطـع، وعلـى سُـنّة اتّخاذ القرار الّذي يؤدّي إلى هذا التّحديد"[٢] .

إنَّ المقبوليّـة بوصـفها معيـارًا نصّـيًّا يجـب أن تخضـع لعوامـل متعـددة تـتحكم فيهـا، تقـع في مستوى الإنجاز، وهي[٣]:

١- أن يكـون المسـتوى الثّقـافيّ اللّغـويّ متقاربًـا بـين منـتج الـنّصّ ومتلقّـي الـنّصّ؛ لأنَّ المتلقّي لا يمكن أن يدرك أو يتقبّل كلامًا يفوق قدرة ادراكه.

٢- يسـهم السّـياق أو مقـام الحـال بـدورٍ فعّـالٍ فـي تقبّـل الـنّصّ. ففـي بعـض الأحيـان ينفـر المتلقّـي مـن قبـول الـنّصّ لعـدم ملائمتـه المقـام الّـذي قيـل فيـه. كمـا أنَّ المقـدمات الّتـي يقدّمها السّياق تسهم في فهم النّصّ وتفسيره.

٣- ألّا يُشـحنَ سـطح الـنّصّ وبنيتـه بالإيحـاءات، والأفكـار، والأمـور، الّتـي يصـعب فـكّ شفراتها من قبل المتلقّي. ومن ثمّ يؤدّي ذلك إلى غموض النّصّ، وعدم تقبّله واستيعابه.

٥- أن يتّسـم الـنّصّ بتسلسـل منطقـيّ للأحـداث، بحيـث تكـون الأحـداث فيـه متّصـلة، يبـيّن بعضـها الآخـر؛ إذ إنَّ انقطـاع هـذا التّسلسـل يولّـد نفـورًا مـن قبـل المتلقّـي، فيعـرض عـن تقبّله.

٦- أن يكـون لمنـتج الـنّصّ ومتلقّيـه اسـتعدادٌ نّفسـيّ؛ لأنّ هـذا الاسـتعداد يُعَـدُّ عـاملًا مهمّـاً يسـهم فـي تقبّـل بعـض النّصـوص أو رفضـها؛ لأنّ الحالـة النّفسـيّة للمتلقّـي تـؤثّر بشـكلٍ فعّالٍ في العمليّة الذّهنيّة لديه.

---

(١) نظريّة علم النّصّ:٥٣-٥٤.

(٢) في اللّسانيّات العربيّة المعاصرة دراسات ومثاقفات:٢٣٤-٢٣٥.

(٣) ينظر: اللّسانيّات التّوليديّة:٣٧ ، ونظريّة علم النّصّ:٥٥-٥٦.

٧- معرفة المتلقّي بالمتكلّم، أو نوع النّصّ، أو المضمون العامّ للنّصّ، يسهم بشكلٍ فعّالٍ في تقبّل النّصّ، وفهمه وتفسيره بيسر دون تكلّف.

فالنّصوص المقبولة من لدن المتلقّي تحقّق تفاعلًا واتّصالًا كبيرًا بين طرفي الاتّصال النّصّيّ، فينطلق المتلقّي عن طريق هذا المعيار ليرسم آفاقَ فهمه وتصوّراته للنّصّ.

فالمقبوليّة بوصفها معيارًا نصّيًّا يقوم على التّفاعل بين النّاصّ والمتلقّي، نجدها واضحة في حِكَم النّبيّ الأعظم؛ إذ إنَّ الحديث النّبويّ يُدرك دون حاجزٍ أو صعوبةٍ تحيل في فهمه؛ لأنَّه أعلى مراتب البيان؛ ولأنَّ الرّسول يستعمل لغةً واضحةً لا يشوبها كدر العي، فضلًا عن استعماله أمثلة حسيّة ملموسة قريبة إلى ذهن المتلقّي، حقّق حديثه المبارك مقبوليّة عالية لدى المتلقين.

إنَّ لمقام النبوّة تأثيرًا فعّالاً في مقبوليّة الحديث الشّريف، فالمتلقّي يجد الأحاديث النّبويّة ذات قيمةٍ في مضمونها، يمكن تقبّلها في كلّ مكانٍ وزمان؛ لأنّه يدرك تمامًا أنّ النّصّ صادرٌ من نبيّ مرسلٍ من عند الله تعالى(١) .

فالحديث النّبويّ الشّريف له تأثرٌ كبيرٌ في نفوس النّاس؛ إذ استطاع أن "يجعل من كلماته المنتقاة بدقّة متناهية ذات تأثيرٍ إبلاغيّ قلَّ أن تتوافر لشخصٍ غيره. فهو الّذي بعثه الله في قومٍ يقادون من ألسنتهم، ولهم المقامات المشهورة في البيان والفصاحة، ولا بُدَّ لهم من لسانٍ أفصح من ألسنتهم لينقادوا له ويخضعوا"(٢) .

فكلامه ﷺ مع أصحابه، وحديثه مع وفود العرب، وكتبه الّتي أرسلها إلى العرب على اختلاف لغاتهم، كانت على مستوى عالٍ من الفصاحة؛ إذ فتحت تلك الفصاحة آفاقاً من المقبوليّة لحديثه ﷺ ونتيجة لهذا المستوى العالي من الفصاحة "كان يَعْجَب له أصحابه، ويرونه طبقةً في هذا اللّسان وطرازاً لا يحسنه إنسان"(٣) .

(١) ينظر: نظريّة المقام عند العرب في ضوء البراغماتيّة:٢٠٣.

(٢) المصدر نفسه:٢٠٣.

(٣) إعجاز القرآن والبلاغة النّبويّة: ٣٠١.

فمـع اخـتلاف العـرب فـي لهجـاتهم؛ كـان ﷺ "يخـاطبهم فـيهم بلحـونهم ولا يعـدو ألفـاظهم وعبـارتهم فيمـا يريـد أن يلقيـه إلـيهم، وهـي ألفـاظٌ خاصّـةٌ بهـم وبمـن يـداخلهم ويقاربهم، ولا تجوز في غير أرضهم ولا تسيرُ عنهم فيما يسير من أخبارهم[١].

فتجـارب النّبـيّ محمّـد ﷺ مـع مختلـف القبائـل "أسـعفته بهـذه الصّـور وأمثالهـا، فهـو يمـنح مـن نبـع فـي نفسـه لا يغـيض، علـى أنَّـه يكتفـي بالإيمـاء اللّامـح إلّا الإسـهاب الفاضح، ليدعو السّامعين إلى التّفكير، وتلك إحدى مزايا الإيجاز"[٢] .

ومـن أهـمّ العوامـل الّتـي جعلـت فـي حديثـه مقبوليّـة عاليـة، هـي أنَّ الأحاديـث النّبويّـة قريبـةٌ جـداً مـن ثقافـة العـرب، وحسّـهم اللّغـويّ الّـذي يفضّـل العبـارات المـوجزة ذات المعـاني الكثيـرة. وأنّهـا مناسـبةٌ للمقـام الّـذي قيلـت فيـه، وللتّجـارب الحسّـيّة عنـد العـرب. كمـا تحمـل هـذه الأحاديـث معـاني لا تقتصـر علـى زمـنٍ محـدّد. فكـلّ ذلـك بـلا شـكٍّ يحقّـق مقبوليّـة عاليـة للحـديث النّبـويّ فـي نفـوس المتلقّـين، "ولعـلّ التـأثير الكبيـر الّـذي أحدثـه النّبـيّ فـي نفـوس مسـتمعيه مـردّه إلـى معرفتـه العميقـة لبُنيـتهم النّفسـيّة؛ فـلا يـأتي كلامـه إلاّ بمـا يـروق السّـامع. فكـان ﷺ يخاطـب أصـحابه فـي المناسـبات بمـا يناسـب مقـام كـلّ مجلـسٍ، فيتكرّر الحديث بصورٍ كلّ منها يؤدّي الغرض في موضعه"[٣] .

فقـد شـكّل هـذا الانفتـاح اللّغـويّ، والتّعامـل مـع اللّغـات المختلفـة، قبـولاً واسـعاً لحديثـه المبـارك عليـه الصّـلاة والسّـلام مـن قبـل المتلقـين؛ لأنّـه لـم يتكلّـف فـي حديثـه معهـم، ولـم يقصـر حديثـه فـيهم علـى لهجتـه القريشـيّة؛ بـل كـان حديثـه متقاربًـا لأفكـارهم، يفهمـه المتلقّـي دون جهـدٍ وعنـاء؛ لأنَّـه "كـان لا يتـأتّى الـى ذلـك بالرّويـة، ولا يسـتعين عليـه بـالفكر، ولا يجمـع بـالنّظر؛ إنّمـا هـو أن يعـرض المعنـى فـإذا لفظـه قـد لبسـه واحتـواه وخـرج بـه علـى اسـتواء، لا فاضـلاً ولا مقصَّـراً، كأنّمـا كـان يُلهـم الوضـع إلهامـاً"[٤]، ولأنَّ لغـة العـرب لغـة الفصـاحة والبيـان؛ كـان لحديثـه مقبوليّـة عاليـة فـي نفوسـهم، فلـم ينفـروا مـن حديثـه ولـم يواجـه أحـدهم صـعوبة فـي فهـم كلامـه ﷺ ؛ بـل كـان ذا حـديثٍ فصـيحٍ بـيّنٍ سلسٍ يـدخل

(١) إعجاز القرآن والبلاغة النّبويّة:٣١٨.

(٢) البلاغة النّبويّة:٢٢٧.

(٣) نظريّة المقام عند العرب في ضوء البراغماتيّة:٢٠٣.

(٤) إعجاز القرآن والبلاغة النّبويّة:٣١٧.

القلـوب، وينشّـط الأذهـان، ويـؤدّي الرّسـالة دون جهـدٍ أو تكلّـف. فكلامـه ﷺ مـع أصـحابه، وحديثـه مـع وفـود العـرب، وكتبـه الّتـي أرسـلها إلـى العـرب علـى اخـتلاف لغـاتهم، كانـت علـى مسـتوى عـالٍ مـن الفصـاحة والبيـان؛ إذ فتحـت تلـك الفصـاحة آفاقـاً مـن المقبوليّة لحديثه عليه الصّلاة والسّلام.

فالأحاديـث النّبويّـة كلّهـا تحتـل أعلـى مراتـب الفصـاحة والبيـان فـي لغـة العـرب. فقـد كـان ﷺ أفصـح العـرب لسـانًا، وأكثـرهم بيانًـا، ينطـق الكـلام دون تكلّـفٍ أو تشـدّق، ويصـل بالمعنى إلى ذهن المتلقّي بكلّ سلاسة.

فمـن ذلـك قولـه ﷺ: "رَأسُ العَقـلِ بَعـدَ الإيمـانِ بِـاللهِ مُـداراةُ النّـاسِ فـي غَيـرِ تَـركِ حَـقٌّ"[١]، هـذا الحـديث وغيـره الكثيـر مـن الأحاديـث الّتـي اشـتملت علـى "المعـاني الجمّـة، والنّكت العديدة، مع نهاية البلاغة، ووقوعه في الفصاحة أحسن موقع"[٢] .

فهـذه المقبوليّـة الّتـي تحقّقـت فـي أحاديثـه الشّـريفة جـاءت نتيجـة قدرتـه علـى "الإفصـاح المشرق والعرض البديع؛ إذ أوتـي فـي ذلـك لباقـة خارقـة كانـت مصـدر نجاحـه فـي أكثـر مـا تـمّ علـى يديـه مـن إصـلاح، وإنّـك لتقرأ الأثـر البـاقي مـن آثـاره، سـاقه وحـي السّـاعة فنجـد بـه مـن حسـن التّـأتّي ولطـف التّصـوير مـا يجـذبك جـذبًا إلـى اسـتعادته دون ملـل، حيـث ضـرب على أوتار قلبك بأجمل الألحان قوّة وروعة وتأثيرًا"[٣] .

فضـلاً عـن ذلـك، فـإنّ الحـديث الشّـريف تميّـز بسـمة الإيجـاز مـع اتّسـاع معانيـه[٤]، وهـذه السّـمة لهـا دورٌ بـارزٌ فـي تقبّـل الحـديث؛ لأنّ النّفس البشـريّة بصـورةٍ عامّـة، تميـل إلـى الكـلام الموجز الّـذي يـؤدّي أكبـر قـدرًا مـن المعـاني بأقـل عـددًا مـن المبـاني؛ ولأنَّ الإيجـاز محبّبٌ لدى لغة العرب، فقد حقّق الحديث النّبويّ الشّريف مقبوليّة واسعة في نفوسهم.

ومـن أمثلـة الأحاديـث الشّـريفة الّتـي اتّسـمت بالإيجـاز، قولـه ﷺ: "إنّمـا الأعمـالُ بالنِّيّاتِ، وإنّما لِكُلِّ امرئٍ ما نَوى"[٥] .

---

(١) حكم النّبيّ الأعظم: ١/ ١٥١.

(٢) الطّراز المتضمّن لأسرار البلاغة:٧٩.

(٣) البلاغة النّبويّة:٢٠١.

(٤) ينظر: إعجاز القرآن والبلاغة النّبويّة:٣٠٠.

(٥) حكم النّبيّ الأعظم: ٥/ ١٥٥.

فالحـديث الشّـريف حقّـق مقبوليّـة علـى مسـتوى عـالٍ؛ لمـا فيـه مـن الإيجـاز والإيضـاح؛ إذ كـان "سـهل المأخـذ، قريـب المتنـاول، مـوجز العبـارة"(١). وعبارتـه تحمـل فـي طياتهـا كثيـر مـن المعـاني الجوهريّـة. فالحـديث "جمـع مـن المحاسـن والإحاطـة فـي بلاغـة المعـاني وفصـاحة الألفـاظ مـا لا يقـدر علـى وصـفه قائـلٌ، ولا يسـتولي علـى حصـر لطائفـه مجيـبٌ ولا سائل"(٢) .

فالحـديث المبـارك يقـوم علـى خصـائص متعـددة تضـافرت فيمـا بينهـا لتحقيـق تفـاعلًا وقبـولًا عـاليين؛ إذ تضـمّن الحـديث المبـارك توكيـدين بـ(إنَّما)، فضـلًا عـن أسـلوب القصـر الّـذي أدّتـه (إنَّمـا). زد علـى ذلـك الوضـوح الشّـديد للـنّصّ، وبعـده عـن الغمـوض، فقـد جـاء بألفاظٍ مألوفـة، وتراكيـب يسـيرة علـى الحفـظ والتّلقّـي، إذ أنـتج كـلّ ذلـك قـوّة دلاليّـة رفعـت مـن درجـة مقبوليّتـه. فالحـديث المبـارك مـع كونـه قصـيرًا ألّا أنّـه مشـحونٌ بدلالـةٍ قويـة، جعلتـه يفتح مجالًا للتّطبيق على القيم الدّينيّة والدّنيويّة.

وهـذه المقبوليّـة الّتـي حقّقهـا الحـديث عـن طريـق الإيجـاز، غيـرُ محصـورةٍ فـي مـدّة زمنيّـة معينـة، أو فـي رقعـة مكانيّـة خاصّـة؛ إذ نجـد الحـديث متجـدّدًا باسـتمراريّة علـى مـرّ العصـور. كمـا أنّهـا لـم تنحصـر علـى الحضـور الصّـحابة فحسـب، بـل حقّقـت مقبوليّـة واسـعة عنـد المسـلمين عامّـة، والأعمـال لا تقتصـر علـى العبـادة فحسـب؛ بـل شـاملة لكـلّ عمـلٍ يقـوم بـه الإنسـان، سـواءٌ كـان تـاجرًا، أم عـاملًا أم طالـبَ علـمٍ، أم غيرهـا مـن الأعمال.

والحـديث ينسـجم مـع التّعـاليم والأحكـام الدّينيّـة؛ إذ تمثّـل النّيّـة منطلقًـا روحيًّـا لكـلّ الأعمـال. فقـد نُقـل عـن الشّـافعيّ (٢٠٤هـ) أنّ هـذا الحـديث "يـدخل فـي سـبعين بابًـا مـن الفقـه"(٣). وهـذا يـدلّ علـى المكانـة الرّفيعـة للحـديث، ومـدى مقبوليتـه العاليـة. فلـم يقتصـر علـى فئـةٍ أو حُكـمٍ دون آخـر. فقـد أصـبح حُكمًـا شـائعاً فـي كـلّ التّعـاملات حتّـى يومنـا هـذا. فهذا التّوسّع جاء نتيجة لاتّساع مقبوليته.

---

(١) البلاغة النّبويّة:٢٥٥.

(٢) الطّراز المتضمّن لأسرار البلاغة:٢٦٠.

(٣) جامع العلوم والحكم في شرح خمسين حديثًا من جوامع الكلم، ابن رجب الحنبليّ: ١/ ٥٠.

الفَصْلُ الثّالثّ

التّناصّ والإعلاميّة

المبحث الأوَّل

معيار التّناصّ

أوّلاً: مفهوم التّناصّ

إنَّ دراسة معيار التّناصّ في حِكَم النّبيّ الأعظم ﷺ بوصفه معيارًا نصّياً؛ هو لفرز مكونات النّسيج النّصّيّ لحِكَمه ﷺ؛ وللبرهنة على أنّ كلامه ﷺ مُستقى من لغة القرآن الكريم، عن طريق الكشف عن المعاني القرآنيّة والآيات الّتي وظّفها في تضاعيف كلامه ﷺ؛ ولتسليط الضّوء أكثر على عمق بلاغته؛ ولمعرفة عمق الأصالة والتّجديد في كلامه؛ إذ إنّ كلامه ﷺ يستقيه من مفاهيم القرآن الكريم، ثُمّ يعيد صياغتها بأسلوبٍ جديد، ومعانٍ وسياقاتٍ مبتكرة تتّسم بالجدّة والإبداع والإتقان.

إنَّ مصطلح (التّناصّ) ومفهومه العامّ المتعارف عليه في دراسات المحدثين خرج من رحم الدّراسات الأدبيّة واللّغويّة الغربيّة الحديثة؛ بيد أننا نجد لهذا المفهوم جذورًا في التّراث العربيّ، فلم يكن العرب غافلين عنه، فقد سجّل حضورًا في عمق الدّراسات العربيّة النّقديّة والبلاغيّة؛ إذ تجسّد مفهوم التّناصّ في رؤية العرب النّقديّة للغة والأدب؛ وعبّر اللّغويّون العرب عنه بمصطلحاتٍ مختلفة، منها السّرقات الأدبيّة، والتّلميح، والاقتباس، والمعارضات وغير ذلك من المصطلحات الّتي تدلّ على التّناصّ في مفهومه الحديث. فلم تكن نظرة اللّغويّين العرب مختلفةً عن نظرة اللّغويّين المحدثين في الدّراسات اللّسانيّة، فكلا النّظرتين تشير إلى عدم الاعتماد التّامّ على النّصوص السّابقة، ومحاكاتها(١).

فقد أشار أبو هلال العسكريّ (٣٩٥هـ) إلى ذلك في مصنّفه (الصّناعتين) بقوله: "ليس لأحدٍ مِن أصناف القائلين غنى عن تناول المعاني ممّن تقدّمهم، والصّبّ على قوالب مَن سبقهم؛ ولكن عليهم إذا أخذُوها أنْ يكسوها ألفاظاً من عندهم، ويبرزوها في

(١) ينظر: مفهوم التّناصّ بين الأصالة والحداثة، خالد عبد النّبيّ عيدان: مقال منشور على موقع جامعة كربلاء كلّيّة العلوم الإسلاميّة https://cois.uokerbala.edu.qi، ونظريّة التّناصّ، المختار حسنيّ: ٢٤٢-٢٤٣.

معـارض مـن تـأليفهم، ويوردوهـا فـي غيـر حليتهـا الأولـى، ويزيـدوها فـي حسـن تأليفهـا وجـودة تركيبهـا، وكمـال حليتهـا، ومعرضـها؛ فـإذا فعلـوا ذلـك فهـم أحـقّ بهـا مِمّـن سـبق إليهـا؛ ولـولا أنَّ القائـل يـؤدّي مـا سـمع لمـا كـان فـي طاقتـه أنْ يقـول، وإنّمـا ينطـق الطّفـل بعـد اسـتماعه مِـنَ البـالغين، وقـال أميـر المـؤمنين علـيّ بـن أبـي طالـب رضـي الله عنـه: لـولا أنَّ الكـلام يُعـادُ لنفـدَ"[1]، ثُـمّ أضـاف أبـو هـلال العسـكريّ إلـى ذلـك أنّـهُ قـد "أطبـق المتقـدمون والمتـأخرون علـى تـداول المعـاني بيـنهم؛ فلـيس علـى أحـدٍ فيـه عيـبٌ إلّا إذا أخـذهُ بلفظـهِ كلّـه"[2]. وبهـذه الإشـارة مهّـد أبـو هـلال العسـكريّ إلـى فكـرة تـداخل النّصـوص والمعـاني وتـدويرها بـين الشّـعراء والكتّـاب؛ ولكـن مـن دون ظهـور نظريّـة متكاملـة تحمـل مصـطلحًا مستقلًّا يعبر عن هذا المفهوم بصورةٍ عامّة.

أمَّـا فـي الدّراسـات اللّغويّـة الغربيّـة، فكانـت هـذه الفكـرة أكثـر وضـوحًا وتنظيـرًا؛ إذ نشـأ مصـطلح (التّنـاصّ) الّـذي يعبّـر عـن تلـك الفكـرة. بعـد أن اهـتمّ الشّـكلانيّون الـرّوس بهـذا العنصـر اللّغـويّ النّصّـيّ، وكـانوا الأسـبق فـي هـذا المضـمار؛ بيـد أنّ اللّغـويّ الرّوسـيّ (ميخائيـل بـاختين) كـان لـه الفضـل الكبيـر فـي التّنظيـر لهـذا العنصـر المهـمّ، فقـد أولاه جُـلّ اهتمامـه فـي مصـنّفه (فلسـفة اللّغـة)، فقـدّم رؤيـةً واضـحةً لـه، وأطلـق عليـه (الحواريّـة)، ونبّـه إلـى عـدم دراسـة الـنّصّ بمعـزلٍ عـن النّصّـوص الأخـرى؛ لأنّ أيَّ نـصٍّ لا بُـدَّ أن يتفاعـل ويتعالق مع نصوصٍ أخرى بقصدٍ أو غير قصد[3] .

ورثـت الباحثـة اللّغويّـة (جوليـا كريسـتيفا) رؤيـة اللّغـويّ ميخائيـل بـاختين وأفـادت منهـا، وطوّرتهـا، وتوّجـت تلـك الرؤيـة بابتكارهـا مصـطلح (التّنـاصّ) (Interextualite)، الّـذي يقـوم علـى علاقـة النّصـوص المنتجـة مـع النّصـوص السّـابقة. حدّتـه جوليـا بقولهـا: "هـو تفاعـل نصّـيّ يحـدث داخـل نـصّ واحـد، ويمكّـن مِـنَ التقـاط المقـاطع والقـوانين، لبنيـة نصّـيّة بعينهـا، باعتبارهـا مقـاطع وقـوانين محوّلـة مـن نصـوص أُخـرى"[4]. ووصـفت التّنـاصّ بأنّـه

(١) الصّناعتين: ١٩٦.

(٢) المصدر نفسه: ١٩٧.

(٣) ينظر: علم لغة النّصّ النّظريّة والتّطبيق: ٧٤ ، والنّثر الصّوفيّ دراسة في لسانيّات النّصّ:١٨٥.

(٤) نظريّة التّناصيّة، مارك دوبيازي، ترجمة الرّحوتيّ عبد الرّحيم: ٣١٠.

"ترحـال للنّصـوص وتـداخل نصّـيّ، ففـي فضـاء نصّـيّ معـين تتقـاطع وتتنـافى ملفوظـات عديدة مقتطعة من نصوص أخرى"(١) .

أقامـت (جوليـا كريسـتيفا) باسـتعمالات إجرائيّـة علـى مفهـوم التّنـاصّ؛ إذ بيّنـت مفهومـه العـامّ، وسلّطت الضّـوء مـن خلالـه علـى تفاعـل النّصـوص مـع بعضـها، وتوسّـعت فـي بيـان وإيضـاح قابليـات التّنـاصّ الإجرائيّـة، عنـدما تناولـت نصّـوص شـعريّة وقفـت بوسـاطتها عنـد أهـمِّ عمليـات التّحـوير الّتـي يلجـأ النّـاصّ إليهـا. وبهـذا العمـل المبتكـر تُعَـدُّ كريسـتيفا صـاحبةَ القـدح المُعلـى فـي التّنظيـر لهـذا العنصـر اللّغـويّ النّصّـيّ المهـمّ؛ إذ بلـورت مفاهيمـه، وشـقّت الطّريـق أمـام الدّراسـات اللّغويّـة والبـاحثين لتنـاول هـذا العنصـر النّصّـيّ فـي النّصوص اللّغويّة(٢) .

أمَّـا لسـانيو الـنّصّ، فقـد عـدّوا هـذه المعيـار سـمةً مـن سـمات النّصّـيّة، وضـرورةً مهمّـةً لنجـاح الاتّصـال بـين طرفـي الـنّصّ (المُلقـي والمتلقّـي)، ومـن ثـمّ فهـم النّصـوص وتحليلهـا، ومعرفـة علاقتهـا مـع النّصـوص الاخـرى. ومفهـوم التّنـاصّ عنـد البـاحثَين بوجرانـد ودريسـلر "لا يقـع فـي الـنّصّ نفسـه، وإنَّمـا فـي عمليـات التّواصـل الاجتمـاعيّ"(٣)، فالتّنـاصّ فـي رؤيتهمـا هـو "التّرابط بـين إنتـاج نـصٍّ بعينـه أو قبولـه، وبـين المعـارف الّتـي يملكهـا مشـاركو التّواصل عن نصوص أخرى"(٤) .

فضـلاً عـن ذلـك، فقـد عـدّه بوجرانـد أحـد المعـايير السّـبعة الّتـي يقـوم عليهـا الـنّصّ، وحـدّه بقولـه: "وهـو يتضـمّن العلاقـات بـين نـصٍّ مـا ونصـوصٍ أخـرى مرتبطـة بـه، وقعـت فـي حدود تجربة سابقة سواء بوساطة أم بغير وساطة"(٥) .

فالتّنـاصّ بوصـفه معيـارًا نصّـيًّا لا يبحـث فـي التّراكمـات النّصّـيّة (الاقتباسـات) داخـل الـنّصّ فحسـب، سـواءٌ المباشـرة أو غيـر المباشـرة؛ بـل يوجّـه بوصـلة البحـث نحـو دراسـة التّفاعـل والتّعـالق بـين النّصـوص الغائبـة والحاضـرة، ودراسـة التّنـاصّ بوصـفه عنصـرًا

(١) علم النّصّ، جوليا كرستيفا: ٢١.
(٢) ينظر: التّناصّ سبيلاً إلى دراسة النّصّ الشّعريّ وغيره: ١٢٧.
(٣) نظريّة علم النّصّ:١٩٦.
(٤) التّناصّ سبيلاً إلى دراسة النّصّ الشّعريّ وغيره: ١٢٨.
(٥) النّصّ والخطاب والإجراء: ١٠٤.

تواصـليًّا، ممّـا يجعـل الوقـوف علـى علاقـة التّنـاص داخـل دائـرة اللّغـة والثّقافـة أمـرًا مهمّـاً؛ كـون التّنـاصّ "وسـيلة تواصـل لا يمكـن أن يحصـل القصـد مـن أيّ خطـابٍ لغـويّ مـن دونـه؛ اذ يكـون هنـاك مرسـل بغيـر متلـقٍّ متقبّـل مسـتوعب مـدرك لمراميّـه، وعلـى هـذا فـإنَّ وجـود ميثـاق، وقسـطاً مشـتركاً بينهمـا مـن التّقاليـد الأدبيّـة، ومـن المعـاني ضـروري لنجـاح العمليّـة التّواصليّة"[١] .

وخلاصــة مــا سُــطِّر أنَّ التّنــاصَّ عمليّــةُ توليــد للنّصــوص، يقــوم بهــا النّــاصّ بالاعتمــاد علـى الخـزين المعرفـيّ لـه، والمرجعيّـة الفكريّـة لديـه، محـدثًا نقـلاً للمعلومـات والخبـرات مـن النّصـوص السّـابقة إلـى الـنّصّ الجديـد؛ إذ يمكّننـا هـذا المعيـار المهـمّ مـن فهـم النّصـوص وتحليلهـا، ويمكّننـا أيضًـا مـن الوقـوف علـى علاقـة الـنّصّ بالنّصـوص الأخـرى، عـن طريـق شدّ انتباه المتلقّي إلى نصوص غائبة بالإشارة إليها.

إنَّ الألفـاظ الّتـي يسـتعملها النّـاصّ فـي نصـوصٍ معينـةٍ هـي ذاتهـا المسـتعملة فـي نصـوص لنـاصٍّ آخـر؛ لأنَّ اللّغـة هـي ذاتهـا، وهـي العنصـر المشـترك بـين أفـراد البيئـة اللّغويّـة. ولكـي يصـل التّنـاصّ إلـى أبهـى صـوره، يجـب أن يـتمّ اسـتعماله بأسـلوبٍ مبـدع، حتّـى يصـبح الـنّصّ أكثـر جمـالاً وتـأثيرًا، ويرسـم صـورةً فنّيّـةً مميـزة، ويخـرج بـالنّصّ مـن دائـرة النّقـل والاقتبـاس إلـى دائـرة الإبـداع عـن طريـق ربـط الـنّصّ الحاضـر بـالتّراث الأدبـيّ والثّقافيّ للغة[٢] .

ثانيًا: أشكال التّناصّ وأنواعه :

يحـدث التّنـاصّ فـي النّصـوص الأدبيّـة بأشـكالٍ وكيفيـاتٍ مختلفـة، حـدّدها الـدّكتور محمّـد عبد المطلب في نمطين أساسيين[٣]:

الـنّمط الأوّل: يحـدث بعفويّـةٍ دون قصـد؛ إذ يكـون هنـاك تسـلّلاً لفكـرةٍ أو معنـى مـن نـصٍّ سـابقٍ إلـى نـصٍّ حـديث، دون أن يشـعر النّـاصّ بـذلك. فهـو عنـدما يكتـب نصّـاً مـا، بـلا شـكٍّ أنّـه قـد تـأثر بأفكـارٍ وعبـاراتٍ سـبق أن اطّلـع عليهـا، وترسّـخت فـي ذهنـه، فتظهـر في النّصّ الجديد دون قصد.

---

(١) تحليل الخطاب الشّعريّ استراتيجية التّناصّ: ١٣٤-١٣٥.

(٢) ينظر: علم لغة النّصّ النّظريّة والتّطبيق:٧٥ ، وأدوات النّصّ: ٦٢.

(٣) ينظر: قضايا الحداثة عند عبد القاهر الجرجانيّ: ١٥٣.

الـنّمط الثّـاني: يحـدث بـوعي النّـاصّ وقصـده؛ إذ يعمـد النّـاصّ إلـى استحضـار فكـرة، أو عبـارة، أو اقتبـاس، بقصـدٍ ووعـي تـامّين يكـاد يصـل إلـى درجـة التّنصـيص. فيضـمّنها فـي الـنّصّ الجديـد، بقصـد الإحالـة إلـى الـنّصّ السّـابق، أو التّفاعـل معـه، معـزّزًا بـذلك معنـى النّصّ الجديد.

أمَّا أنواعه، فيقسّم لسانيو النّصّ التّناصّ على قسمين[١]:

١- التّناصّ المباشر:

وهـو أن يتضـمّن الـنّصّ الجديـد اقتباسًـا مـن نـصٍّ سـابقٍ أو نصـوصٍ سـابقة، وهـو النّـوع البسـيط مـن أنـواع التّنـاصّ؛ لأنّـه ينقـل هـذه الاقتباسـات مثلمـا هـي دون تغييـر، علـى أن يكـون الاقتبـاس ملائمًـا لسـياق الموقـف الاتّصـاليّ (الحـديث) مـن جهـة، ومناسـبًا لموضـوع النّصّ من جهةٍ أخرى. بعد أن يقدّم توطئة تخدم هذا الاقتباس في النّصّ الجديد[٢] .

٢- التّناصّ غير المباشر:

وهـو أن "يسـتنبط مـن الـنّصّ اسـتنباطًا، ويرجـع إلـى تنـاصّ الأفكـار أو المقـروء الثّقـافيّ، أو الـذّاكرة التّاريخيّـة الّتـي تستحضـر تناصّـها بروحهـا أو بمعناهـا لا بحرفيتهـا أو لغتهـا، وتفهم من تلميحات النّصّ وإيماءاته وشفراته وترميزاته"[٣] .

وعنـد تطبيـق هـذا المعيـار النّصّـيّ فـي حِكَـم النّبـيّ الأعظـم نجـد كثيـرًا مـن الأحاديـث تتنـاصُّ مـع القـرآن الكـريم؛ إذ يسـتمد الرّسـول الكـريم أسـلوب حديثـه مـن القـرآن الكـريم، متـأثرًا ببيـان الـوحي. فاللّغـة النّبويّـة هـي امتـدادٌ للغـة القـرآن الكـريم، يسـتقي الرّسـول ﷺ منها العناصر الجماليّة والدّلاليّة، ثمّ يعيد توظيفها في كلامه المبارك .ﷺ.

إنَّ التّعـاليم الإسـلاميّة والمفـاهيم القرآنيّـة بعـد أن يتلقّاهـا الرّسـول ﷺ مـن الـوحي يعيـد ترجمتهـا وصـياغتها بلغـةٍ بشـريّة، مضـيفًا عليهـا جـدّةً فـي الأسـلوب والمعلومـات، جـاعلاً إيّاهـا قريبـةً مـن حيـاة النّـاس. علـى أنَّ تلـك الجـدّة نابعـةٌ مـن المعنـى القرآنـيّ، ممّـا أضـفى علـى كلامـه ﷺ جمـالاً بيانيّـاً ورونقًـا خاصًّـا وروعـة فـي الأسـلوب وقدسـيّة فـي المضمون؛ ليخرج لنا الحديث بأبهى صورة لغويّة وليمثّل لنا معجزة بيانيّة.

---

(١) ينظر: تحليل الخطاب الشّعريّ استراتيجية التّناصّ: ١٢٤.

(٢) ينظر: علم لغة النّصّ النّظريّة والتّطبيق: ٧٩.

(٣) علم لغة النّصّ النّظريّة والتّطبيق: ٨٠.

وحتّى تسهل عمليّة دراسة هذا المعيار في حِكَم النّبيّ الأعظم تمّت تجزئته بالنّظر إلى أسبقيّة النّصّوص الزّمنيّة وفق ما يلي:

أ/ التّناصّ غير المباشر ويشمل :

١- تناصٌّ مع الكتب السّماويّة (التّوراة والإنجيل).

٢- تناصّ مع النّصّ القرآنيّ.

ب/ التّناصّ المباشر :

ويكون معظم هذا الاقتباس مباشرًا من النّصّ القرآنيّ

أ/ التّناصّ غير المباشر:

١- تناصّ غير مباشر مع الكتب السّماويّة (التّوراة والإنجيل):

يُعَدُّ الحديث النّبويّ الشّريف من أهمّ النّصوص الدّينيّة بعد القرآن الكريم في الفكر الإسلاميّ، وهو النّصّ الأبلغ والأفصح بعد كلام الله عزّ وجلّ، فكلامه ﷺ دون كلام الخالق، وفوق كلام المخلوقين؛ لذا يتّسم بثراءٍ لغويّ يفوق كلّ ما هو موجودٌ في كلام البشر، ويتّسم أيضًا بسمةٍ روحيّةٍ قادرةٍ على التّأثير في المتلقّي[1]، ممّا جعل الحديث الشّريف منفتحًا على كلِّ السّياقات النّصّيّة السّابقة له لا سيّما (التّوراة والإنجيل).

فقد مثّل هذا الانفتاح ترابطًا بين الرّسالات السّماويّة (اليهوديّة، المسيحيّة، الإسلاميّة) الّتي مصدرها واحد وهو الله سبحانه وتعالى. أنَّ القرآن الكريم وهو أخر الكتب السّماويّة نزل على النّبيّ محمّد ﷺ ؛ إذ جاء مصدّقاً لما بين يديه من الكتب، فقد عبّر النّبيّ محمّد ﷺ في حديثه عن القيم الإلهيّة ذاتها الّتي دعت إليها الكتب والدّيانات السّماويّة السّمحاء، ليعيد ترجمة تلك القيم السّماويّة مضمّنًا إيّاها المفاهيم القرآنيّة، والتّعاليم الإسلاميّة.

إنَّ هذه الدّراسة لا تعني إبعاد الكتب السّماويّة من دائرة التّحريف؛ لأنّ التّحريف في الكتب السّماويّة السّابقة للإسلام بيّنه القرآن الكريم بصورةٍ واضحة؛ إذ قال تعالى : ﴿مِنَ الَّذِينَ هَادُوا يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ﴾[2]؛ وإنَّما جاءت للكشف عن تشابه المعاني

(١) ينظر: البلاغة النّبويّة: ٢٣٧.

(٢) سورة النّساء، آية: ٤٦.

والـدّلالات بـين النّصـوص الّتـي هـي مـدار البحـث؛ ولإثبـات أنّ رسـالته ﷺ شـاملةٌ ومتمّمةٌ للمفاهيم الّتي تضمّنتها الرّسالات السّماويّة، وأنّها كلّها من وحي واحد.

فالتّنـاصّ مـع الكتـب السّـماويّة الّـذي نحـن بصـدده لـيس تناصّـاً بـالمفهوم الأدبـيّ المحـض للتّنـاصّ؛ إذ إنّ مـا ورد مـن تنـاصٍّ فـي بعـض الأحاديـث النّبويّـة وبـين الكتـب السّماويّة هـو مـن بـاب الاشـتراك فـي المصـدر الإلهـيّ. فالكتـب السّـماويّة جميعهـا مصـدرها واحد وهو الله عزّ وجلّ، فمع تحريفها، لا غرابةَ أن يكون هنالك تناصًّا بين معانيها.

فمـن الأحاديـث الشّـريفة الّتـي احتـوت علـى تنـاصٍّ غيـر مباشـرٍ مـع العهـد القـديم (التّوراة)، قولـه ﷺ: "مَـن سَـرَّهُ أن يُمَـدَّ لَـهُ فـي عُمُـره ويُـزادَ فـي رِزقِـهِ فلْيَبَـرَّ والِدَيـهِ، ولْيَصِـلْ رَحِمَـهُ"[1]؛ إذ يتنـاصّ الحـديث المبـارك بـالمعنى مـع الـنّصّ التّـوراتيّ : "أكـرِمْ أبَـاكَ وأُمَّـكَ لِيَطولَ عُمرُكَ في الأرضِ"[2] .

نلحـظ أنَّ النّصّـين كليهمـا يشـتركان فـي المعنـى المركـزيّ ذاتـه وهـو (بـرّ الوالـدين)، وهـذا الاشـتراك فـي المعنـى لا يصـل إلـى مسـتوى التّنـاصّ المباشـر؛ بـل ينـدرج فـي دائـرة التّنـاصّ الـدّلاليّ الضّـمنيّ (غيـر المباشـر) القـائم علـى وحـدة المرجعيّـة الدّينيّـة؛ إذ يستحضـر الحـديث الشّـريف المعنـى المركـزيّ ذاتـه الموجـود فـي نـصّ التّـوراة. فالنّصّـان كلاهمـا يـدور معناهمـا حـول بـرّ الوالـدين، وطـول العمـر، ونمـاء البركـة واسـتمرارها فـي حيـاة الإنسـان. وبرّ الوالدين لا يكون إلّا في تحقيق الحبّ، والشّكر، والاحترام، والطّاعة لهما[3] .

فالحـديث النّبـويّ يتفاعـل مـع الـنّصّ التّـوراتيّ الّـذي يحمـل فـي تضـاعيفه بعـدًا أخلاقيًّـا واجتماعيًّـا؛ ليعيـد صـياغته بصـورةٍ بلاغيّـةٍ تتّسـم بالدّقّـة، والتّوسّـع فـي الدّلالـة، جـاعلاً المعنى يتناسب مع القيم والمبادئ الإسلاميّة القائمة على الرّحمة والتّعاون الاجتماعيّ.

إذ إنَّ الحـديث المبـارك يوسّـع المعنـى المركـزيّ للـنّصّ التّـوراتيّ، فلـم يقتصـر علـى بـرّ الوالـدين فحسـب، وإنَّمـا قـرن بـرّ الوالـدين مـع صـلة الـرّحم، وجعـل نتيجـة هـذا الفعـل إطالـةً فـي العمـر ونمـاءً فـي الـرّزق. وهـذا التّوسّـع فـي المعنـى جعـل الـدّائرة الاجتماعيّـة الّتـي

(١) حكم النّبيّ الأعظم: ٦/ ٥٢٧ ، وينظر: التّرغيب والتّرهيب: ٣/ ٣١٧.

(٢) العهد القديم، سفر الخروج ٢٠: ١٢ .

(٣) ينظر: شرح رسالة الحقوق للإمام زين العابدينع، شرح حسن السّيّد علي القبانچيّ : ٥٧٥- ٥٧٧.

يشملها الحديث أوسع وأشمل من النّصّ التّوراتيّ. فضلاً عن ذلك فإنّ بلاغة الحديث وما احتوته من شرطٍ حفّزت المتلقّي للتّفاعل مع الحديث الشّريف.

ومن الشّواهد الّتي يتقاطع فيها معنى الحديث الشّريف مع النّصّ التّوراتيّ، قوله ﷺ: "مَن شَهِدَ شهادَةَ زُورٍ على رجلٍ مُسلمٍ أو ذِمّيّ أو مَن كانَ مِنَ النّاسِ، عُلِّقَ بِلِسانِهِ يومَ القيامةِ، وهُو مَع المنافِقِينَ في الدَّرَكِ الأسفَلِ مِنَ النّارِ"[1]، فالحديث الشّريف يتقاطع معناه مع النّصّ التّوراتيّ: "لا تشهَدْ على غيرِكَ شهادَةَ زورٍ"[2] .

إنَّ الحديث النّبويّ يستدعي المعنى التّوراتيّ؛ ليعيد توظيفه في سياقٍ دينيّ أكثر عمقًا، ودلالةٍ أكثر اتّساعًا. واستدعاء المعنى هذا يبيّن لنا تفاعل الحديث النّبويّ وتحاوره مع النّصّ التّوراتيّ، ومدى انفتاحه على النّصوص الأخرى. فهو لا يقتبس مباشرةً من التّوراة، ولا يكرّر الخطاب السّابق له، وإنَّما يستحضر الفكرة ذاتها وفق رؤية إسلاميّة جديدة.

فالنّصّ التّوراتيّ يدعو إلى تهذيب السّلوك الأخلاقيّ عبر النّهي المباشر عن شهادة الزّور. بينما الحديث النّبويّ يقرن هذا النّهي بتحذيرٍ مرتبطٍ بجزاء إلهيّ في الآخرة. فجزاء شاهد الزّور أن يُعلّق بلسانه يوم القيامة. فهذه البنية التّصويريّة الّتي بيّنت العقوبة الإلهيّة في الآخرة أضافت بعدًا إيمانيًّا في الحديث النّبويّ. ورسمت صورةً تحذيريّةً من هذا العمل المنحرف.

إنَّ النّصّ التّوراتيّ ينظر لهذا السّلوك المنحرف من منظارٍ دنيويّ أخلاقيّ فقط، فيحذّر منه على أنّه أثمٌ اجتماعيّ. أمَّا الحديث النّبويّ، فينقل هذه النّظرة الدّنيويّة إلى نظرةٍ أخرويّةٍ مرتبطةٍ بجزاء هذا السّلوك المتمثّل بعذاب الآخرة. كما أنّ الحديث يشمل في خطابه سائر البشر، المسلم وغير المسلم؛ لأنَّ شهادة الزّور "أكلٌ لحقوق النّاس، ونصرٌ للباطل على الحقّ، لذلك كان من الطّبيعيّ أن يحاربها الإسلام محاربةً شديدة، وهدفه في ذلك حفظ المجتمع"[3] وهو بهذه المحاربة يعكس صور الرّسالة النّبويّة ويسلّط الضّوء على ما تتضمّنه من أبعادٍ اجتماعيّةٍ وإنسانيّةٍ.

---

(١) حكم النّبيّ الأعظم: ٦/ ٥٧٠ ، وينظر: بحار الأنوار: ١٠٤/ ٣١٠.

(٢) العهد القديم، سفر الخروج ٢٠: ١٦.

(٣) الأعمال المانعة من دخول الجنّة، محسن عقيل:٢١٦.

ومـن شـواهد التّنـاصّ الّـذي يحمـل قصـديّةً واحـدةً ومعنـىً مشـتركًا بـين الحـديث النّبـويّ والـنّصّ التّـوراتيّ، قولـه ﷺ: "ارحَمُـوا مَـن فـي الأرضِ يَـرحَمْكُم مَـن فـي السّـماءِ"(١)؛ إذ يتقـاطع معنـى الحـديث الشّـريف مـع معنـى الـنّصّ التّـوراتيّ: "ولا تَظلِـمِ الغريـبَ ولا تُضَـايقْهُ، فأنتُم كُنتم غُرَبَاءَ في أرضِ مِصْرَ"(٢) .

فالحـديث الشّـريف يشـترك مـع الـنّصّ التّـوراتيّ فـي القيمـة الأخلاقيّـة نفسـها، فالنّصّـان كلاهمـا يـدعوان إلـى التّـراحم، وعـدم ظلـم الآخـرين، والإحسـان للغربـاء والضّـعفاء؛ لكـن الحـديث الشّـريف يعيـد هـذا المعنـى بأسـلوبٍ جديـدٍ، وصـياغةٍ بليغـةٍ مـع التّوسّـع فـي المعنى.

فـالنّصّ التّـوراتيّ يـدعو إلـى التّعامـل مـع الغربـاء بلطـفٍ وإنسـانيّةٍ، ويـدعو أيضـاً إلـى عـدم ظلـم ومضـايقة الغريـب. بينمـا الحـديث النّبـويّ يستحضـر المعنـى بعـد أن يعيـد صـياغته وفقًـا للرّؤيـة الإسـلاميّة، فيوسّـع نطـاق الرّحمـة لتشـمل كـلّ المخلوقـات. كمـا أنّ الحـديث لا يقتصـر علـى منـع الظّلـم فحسـب؛ وإنّمـا يبنـي سـلوكًا إنسـانيًّا تراحميًّـا يتمثّـل بصـيغة الأمـر (ارحمـوا)؛ ليسـير عليـه الإنسـان عنـد تعاملـه مـع الآخـرين، فالرّحمـة "هـي أثـرٌ مـن الجمـال الإلهـيّ البـاقي فـي طبـائع النّـاس يحـدوهم إلـى البـرّ، ويهـبُّ علـيهم فـي الأزمات الخانقة ريحًا بليلةً تُرطّب الحياة وتنعش الصّدور"(٣) .

إنّ سـياق الـنّصّ التّـوراتيّ مـرتبطٌ بسـياقٍ اجتمـاعيّ خـاصٍّ؛ إذ كـان الخطـاب موجّهـاً إلـى بنـي إسـرائيل فقـط، مـذكّرًا إيّـاهم بمعانـاتهم السّـابقة الّتـي مـرّوا بهـا فـي مصـر. أمّـا الحـديث الشّـريف، فكـان خطابـه شـاملًا؛ إذ شـمل بالرّحمـة المخلوقـات علـى وجـه الأرض كلّهـا، ولـم يقتصـر علـى كـائنٍ مـن دون الآخـر. وبهـذا الشّـمول نقـل الحـديث المعنـى مـن الإطـار القوميّ (بني إسرائيل)، إلى الإطار الإنسانيّ (من في الأرض عامتهم).

ومـن الأحاديـث الّتـي احتـوت علـى تنـاصٍّ بـالمعنى مـع الـنّصّ التّـوراتيّ مـع الاخـتلاف فـي الرّؤيـة الدّينيّـة، قولـه ﷺ: "مَـن كـانَ يُـؤْمِنُ بِـاللهِ واليَـومِ الآخِـرِ فَلْيَـفِ إذا وَعَـدَ"(٤)؛ إذ

(١) حكم النّبيّ الأعظم: ٤/ ٤٠٠ ، وينظر: كنز العمال: ٣/ ١٦٣.

(٢) العهد القديم، سفر الخروج ٢٢: ٢٠.

(٣) خلق المسلم، محمّد الغزاليّ: ٢٢٠.

(٤) حكم النّبيّ الأعظم: ٤/ ٥١٠ ، وينظر: بحار الأنوار: ٧٧/ ١٤٩.

يتناصّ الحديث تناصًّا غيرَ مباشرٍ مع النّصّ التّوراتيّ: "فأَنتبهوا لِئلاَّ تَنسَوا عَهدَ الرّبِّ إلهِكُمِ الّذي قطَعَهُ معَكُم"(١) .

يلتقي النّصّان في القيمة الأخلاقيّة ذاتها، فكلاهما يؤكّدان على الوفاء والصّدق بالعهد، وعدم نقضه. بيد أنّ لكلّ منهما سياق مختلف، فيتّفق النّصّان في القيمة الأخلاقيّة، ويختلفان في الرّؤية الدّينيّة.

فالنّصّ التّوراتيّ يوجّه تحذيرًا لمجموعةٍ محدّدةٍ من النّاس (بني إسرائيل)؛ محذرًا إيّاهم من نكث أو نسيان العهد الّذي قطعوه على أنفسهم مع الله تبارك وتعالى. أمَّا الحديث النّبويّ، فيقصر الوفاء بالعهد على مستوى فرديّ موجّه إلى المسلمين جميعهم. ثمّ يوسّع المعنى، فلا يقتصر على التّحذير من خيانة العهد فحسب، وإنَّما جعل الوفاء بالعهد علامةً على تقوى الفرد ودليلًا للإيمان بالله واليوم الآخر. فنكث "الوعد حرامٌ، والوفاء به واجبٌ، فينبغي للمؤمن أن لا يعد وإذا وعد أن يفي به"(٢) .

إنَّ الحديث المبارك نقل المعنى من التّحذير في النّصّ التّوراتيّ، إلى بناء رؤية أخلاقيّة إسلاميّة تقوّم السّلوك الإنسانيّ؛ إذ إنّ الحديث لا يحذّر، ولا يرسم عقوبة، وإنّما يستعمل صيغة الأمر فليفِ؛ ليحثّ على الوفاء النّابع من الإيمان، جاعلًا هذا الرّؤية سلوكًا يسير عليه الإنسان في تعاملاته الدّنيويّة. فبهذا الانتقال يسمو المعنى من التّحذير إلى علاقة إيمانيّة بين العبد وربّه.

ومن الشّواهد الّتي احتوت على تناصٍّ ضمنيّ (غير مباشرٍ) ودلّ هذا التّناصّ على معنى واحدٍ مشتركٍ بين الحديث النّبويّ والعهد القديم، قوله ﷺ: "إيّاكُم والرّشوَةَ فإنّها مَحضُ الكُفرِ، ولا يَشُمُّ صاحِبُ الرّشوةِ رِيحَ الجَنَّةِ"(٣)، فالحديث يتقاطع مع معنى النّصّ التّوراتيّ: "لا تأخُذوا رَشوَةً؛ لأنَّ الرَّشوَةَ تُعمي أبصارَ الحُكَماءِ وتُحَرِّفُ أقوالَ الصَّادِقينَ"(٤) .

---

(١) العهد القديم، سفر التّثنية ٤: ٢٣.

(٢) شرح أصول الكافي: ١٠/ ٢٤.

(٣) حكم النّبيّ الأعظم: ٥/ ٩ ، وينظر: بحار الأنوار: ١٠٤/ ٢٧٤.

(٤) العهد القديم، سفر التّثنية ١٦: ١٩.

يلتقي الحديث النّبويّ الشّريف والنّصّ التّوراتيّ في المعنى ذاته. فالنّصّان كلاهما يتضمّن مفهومًا أخلاقيًّا واجتماعيًّا ودينيًّا، يتعلّق بتحريم أخذ الرّشوة؛ لأنّ الرّشوة "إذا شاعت في المجتمع تفشّى فيه الظّلم، وأكل الحقوق، وغَلبة الباطل على الحقّ...والتهرّب من الواجب يصبح هو القاعدة...ويعيش النّاسُ حالةً من الغيظ والغضب الّذي يغلي في الصّدور، وتشيع نظرة الحقد والكراهيّة ضدّ كلّ إنسانٍ يشغل منصبًا ما، ولا يرضى العمل إلّا بالرّشوة"(١) .

فالنّصّ التّوراتيّ تضمّن خطابًا موجّهًا إلى القضاة، يحذّرهم فيه من الرّشوة. مستعملاً صيغة النّهي في ذلك التّحذير. ثمّ يوضّح لنا النّصّ التّوراتيّ أثر الرّشوة، وهي عُمي الأبصار وانحراف أقوال الصّادقين. أمَّا الحديث المبارك، فيوسّع الدّلالة السّابقة، ويربطها برؤيةٍ إسلاميّةٍ جديدةٍ؛ ترتفع بمفهومها لتصل إلى منزلة الإيمان والعقيدة. جاعلًا الرّشوة (كفر صريح)، يُحرم مرتكبها من ريح الجنّة.

إنَّ الحديث جاء بصيغةٍ تحذيريّةٍ مباشرةٍ (إيّاكم والرّشوة)، ممّا أضفى قوّةً بلاغيّةً للنّصّ، وتأثيرًا عاليًا في ذهن المتلقّي، ثمّ يوضّح جزاء هذا العمل بعقابٍ أخرويّ يتمثّل بحرمان آخذ الرّشوة من ريح الجنّة. والرّبط بين هذا السّلوك والعقاب الأخرويّ أضفى بُعدًا تصويريًّا له أثرٌ كبيرٌ في المتلقّي.

بيّن الحديث النّبويّ المبارك أنَّ الرّشوة ليست تهديدًا للمجتمع فحسب، وإنَّما هي تهديدٌ للإيمان الدّاخليّ للفرد، عند طريق نقله جريمة الرّشوة من جريمةٍ اجتماعيّةٍ إلى معصيةٍ دينيّةٍ تهدد إيمان الشّخص وتحطّم جوهره الأخلاقيّ، ومقاومة هذا التّهديد واجبٌ دينيٌّ حثَّ عليه الحديث الشّريف.

أمَّا تناصّ الحديث الشّريف مع الإنجيل (العهد الجديد)، فنجد شواهد متعددة يتقاطع الحديث النّبويّ مع معناها. ومن جملة تلك الأحاديث الشّريفة الّتي احتوت على تناصّ غير مباشر مع الإنجيل، قوله ﷺ: "لا يُؤمِنُ أحَدُكُم حَتّى يُحِبَّ لأَخيهِ ما يُحِبُّ لِنَفسِهِ"(٢)؛ إذ يتناصُّ الحديث الشّريف مع النّصّ الإنجيليّ: "أحِبَّ قريبَكَ مِثلَما تُحبُّ نفسَكَ"(٣)، تناصّاً في المعنى ذاته.

---

(١) الأعمال المانعة من دخول الجنّة، محسن عقيل: ٥٧٤.

(٢) حكم النّبيّ الأعظم: ١/ ٤٠٠ ، وينظر: صحيح مسلم: ١/ ١٤.

(٣) الإنجيل المقدّس، متّى ٢٢: ٣٩.

فالنّصّان كلاهما يشتركان في المعنى والموضوع ذاته، وهو حبّ الخير للآخرين كما نحبُّ الخير لأنفسنا. فقد وظّف الرّسول ﷺ المعنى ذاته؛ إذ أعاد الرّسول ﷺ بناء الفكرة الأخلاقيّة في سياقٍ مختلفٍ، وصياغةٍ جديدةٍ تتضمّن أبعادًا اجتماعيّةً ودينيّةً.

فالنّصّ الإنجيليّ أشار إلى الأخلاق بوصفها واجبًا إنسانيًّا بصورةٍ عامّة. أمّا الحديث النّبويّ المبارك، فقد وسّع دلالة الأخلاق إلى بُعدٍ دينيّ وروحيّ، عن طريق ربط الأخلاق بالعمق الإيمانيّ؛ إذ إنَّ الإيمان لا يكتمل إلّا بحبِّ الخير للآخرين؛ "لأنَّ الحبّ معناه الأخوة، والإنسانيّة، والتّكافل والتّضامن، والقوّة، والنّجاح، وبالحبّ ستقيم الحياة، ولا معنى لحياةٍ بلا حبٍّ، وأيضًا لا معنى للكراهيّة إلّا الحرب، والشّقاق، والفشل، والتّخلّف"(١) .

فالتّناصّ بين النّصّين يؤكّد وحدة الرّسالات السّماويّة وتأكيدها على القيم والمفاهيم الأخلاقيّة والإنسانيّة. فجاء النّصّ النّبويّ مؤكِّدًا للمعنى السّابق ورابطًا إيّاه بالعمل الدّينيّ والإيمانيّ.

ومن أمثلة التّناصّ بالمعنى الّذي يدلّ على فكرةٍ جوهريّةٍ واحدةٍ، قوله ﷺ: "المُسلِمُ مَن سَلِمَ المُسلمونَ مِن لِسانِهِ ويَدِهِ"(٢)، فالحديث يتناصُّ مع النّصّ الإنجيليّ: "مِنْ ثِمارِهِم تعرِفونَهُم. أيُثمِرُ الشَّوكُ عِنبًا، أم العُلَّيقُ تِينًا؟"(٣) .

فالتّناصّ واضحٌ وبيّنٌ بين النّصّين لاشتراكهما بالفكرة الجوهريّة ذاتها، الّتي تنطلق نحو تحقيق غايةٍ أخلاقيّةٍ، تُقاس بوساطتها قيمة الإنسان وإيمانه الحقيقيّ، فالمعيار الّذي يقاس منه إيمان الشّخص وقيمته الإنسانيّة هو الأخلاق الحسنة، والأعمال الصّالحة، وحسن التّعامل مع الآخرين؛ حتّى يؤمن النّاس من شرّه، ويفادوا من خيره.

إنَّ النّصّ الإنجيليّ يرسم صورةً يبيّن لنا فيها أنّ المؤمن يعرف من ثمره أي: ما يصدر عنه من أعمال صالحة أو طالحة، فثمرة الإنسان المؤمن أعماله الصّالحة وهي المقياس لإيمانه المحض؛ إذ نقل النّصّ الإنجيليّ المعنى هذا إلى المتلقّي بصورةٍ رمزيّةٍ ممّا جعل معنى النّصّ أكثر قربًا من ذهن المتلقّي. أمّا الحديث النّبويّ المبارك،

(١) في ظلال نهج البلاغة، محمّد جواد مغنية: ٥/ ٢١٤.
(٢) حكم النّبيّ الأعظم: ٢/ ٤٣٤ ، وينظر: كنز العمال: ١/ ١٤٩.
(٣) الإنجيل المقدّس، متّى ٧: ١٦.

فيستحضـر المعنـى ذاتـه؛ ليرسـم صـورةً مباشـرةً للمسـلم الصّـالح (سـلامة لسـانه ويـدّه) أي: حسـن مـا يصـدر منـه مـن فعـل أو قـول اتّجـاه الآخـرين "فسـلامتهم مـن لسـانه سـلامة أعراضهم، وسلامتهم من يده سلامة دمائهم وأموالهم"(١) .

فالحـديث الشّـريف يتفاعـل مـع الـنّصّ الإنجيلـيّ عـن طريـق استحضـار المعنـى وتجديـده بصـورةٍ أكثـر وضـوحاً، وفقًـا للرّؤيـة الإسـلاميّة للسّـلوك والأخـلاق. فقـد أكّـد الحـديث بتناصّـه مـع الـنّصّ الإنجيلـيّ علـى توحيـد الخطـاب الإلهـيّ اتّجـاه القـيم الأخلاقيّـة الإنسـانيّة. فالرّسـالات السّـماويّة تؤكّـد أنَّ الانتمـاء إلـى الـدّين لا يكـون لفظيًّـا؛ وإنَّمـا عـن طريـق تهـذيب السّلوك وحسن التّعامل.

ومـن جملـة الأحاديـث الّتـي تتنـاصُّ بـالمعنى مـع العهـد الجديـد، قولـه ﷺ: "سَـيّدُ القَـومِ خـادِمُهُم، وسـاقِيهم آخِـرُهُم شُـرباً"(٢)؛ إذ يتفاعـل الحـديث المبـارك مـع الـنّصّ الإنجيلـيّ التّـالي: "مَـنْ أرادَ أنْ يكـونَ عَظيمًـا فـيكُم، فلْـيكُنْ لكُـم خادِمًـا"(٣)، تفـاعلاً علـى مسـتوى المعنى، لا على مستوى الألفاظ.

فقد يـرتبط النّصّـان بمعنـى عـامٍّ واحـدٍ يـدلُّ علـى أنّ العظمـة والسّـيادة تكـون فـي التّواضـع وخدمـة الآخـرين، لا بـالقوّة أو التّسـلّط؛ لأنّ القيـادة فـي التّصـوّر الإلهـيّ لا تقـوم علـى القوّة؛ وإنّما بالتّضحية والسّخاء.

فالحـديث الشّـريف يتضـمّن المعنـى ذاتـه الموجـود فـي الـنّصّ الإنجيلـيّ؛ ولكـن بأسـلوبٍ بلاغـيّ عـالٍ يتّسـم بالإيجـاز والجـدّة. فالخدمـة هـي المعيـار المحـض للسـيادة، فـلا يكـون الشـخص سـيدًا علـى قومـه إلّا إذا كـان أكثـرهم تواضـعًا وخدمـة لأبنـاء قومـه؛ إذ "هـو الّـذي يُفـزع إليـه فـي النّوائـب فيتحمّـل الأثقـال عـنهم فلمّـا تحمّـل خـادمهم عـنهم الأمـور وكفـاهم مؤونتهم وقام بأعباء ما لا يطيقونه كان سيدهم بهذا الاعتبار"(٤) .

فالنّصّـان كلاهمـا يتطابقـان دلاليّـاً فـي مفهـوم القيـادة، فـلا تتحقّـق إلّا بالخدمـة والتّواضـع؛ بيـد أنّ الحـديث الشّـريف يوسّـع رؤيـة الـنّصّ الإنجيلـيّ للقيـادة ويطوّرهـا، مـن

(١) شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد: ١٠/ ٢٩.
(٢) حكم النّبيّ الأعظم: ٥/ ١٦٩ ، وينظر: كنز العمال: ٦/ ٧١٠.
(٣) الإنجيل المقدّس، متّى ٢٠: ٢٦.
(٤) فيض القدير شرح الجامع الصّغير: ٤/ ١٦١.

مستوى الفرد (من أراد أن يكون عظيمًا) إلى مستوى الجماعة (سيد القوم). عن طريق جعل التّواضع والسّخاء والإيثار بتقديم الخدمة مظهرًا من مظاهر القيادة في الجماعة.

ومن التّناصّ غير المباشر الّذي يشترك فيه النّصّان (الحديث النّبويّ والنّصّ الإنجيليّ) بالقصد والمعنى ذاته، قوله ﷺ: "الرّاحِمونَ يَرحَمُهُم الرّحمْنُ تبارَكَ وتعالى، ارحَمُوا مَن في الأرضِ يَرحَمْكُم مَن في السّماءِ"(١)؛ إذ يتناصُّ مع النّصّ الإنجيليّ التّالي: "كونوا رُحماء كما أنَّ اللهَ ... رحيمٌ"(٢) .

فالتّناصّ بين النّصّين يُعَدّ من أروع صور التّناصّ. فالحديث المبارك والنّصّ الإنجيليّ كلاهما يجمعهما مبدأ الرّحمة الإلهيّة، وكلاهما يتضّمن الدّعوة الإلهيّة في تأكيد قيمة الرّحمة والتّراحم بوصفها قيمةً إنسانيّةً جوهريّةً تتحكم بعلاقات البشر فيما بينهم.

فالسّيد المسيح يحثُّ أصحابه وأتباعه إلى التّجمّل بصفة الرّحمة عند التّعامل مع الآخرين؛ لأنّها من الصّفات الدّالة على الكمال الإنسانيّ. أمَّا الحديث النّبويّ، فيتفاعل مع النّصّ الإنجيليّ عن طريق أعادة المعنى ذاته؛ ولكن بصورةٍ أخرى، موسّعًا فيها مفهوم الرّحمة، فلا تقتصر الرّحمة بتجسيدها في العلاقات البشريّة (الرّحمة الأرضيّة) فحسب؛ وإنّما هنالك جزاءٌ إلهيّ (الرّحمة السّماويّة)، الّتي تتمثّل برحمته سبحانه وتعالى للرّحماء من عباده؛ لأنّ "الرّحمة في أفقها الأعلى وامتدادها المطلق صفة المولى تباركت أسماؤه"(٣) .

فالتّراحم في الأرض بعده جزاء من الله عزّ وجلّ؛ إذ إنّ الرّحمة أمرٌ متبادل بين العباد والخالق، وبين العباد أنفسهم،. فالحديث جعل من الرّحمة قاعدةً سلوكيّةً عمليّةً ننطلق منها في تعاملنا مع الآخرين.

ومن جملة الشّواهد في حِكَمه المباركة الّتي وردت بصيغةٍ موجزةٍ تحمل تناصًّا بالمعنى غير مباشرٍ، قوله ﷺ: "إنّ الله لا يَقبَلُ عَملاً فيهِ مِثقالُ ذَرَّةٍ مِن رياءٍ"(٤)؛ إذ

(١) حكم النّبيّ الأعظم: ٤/ ٤٠٠ ، وينظر: كنز العمال: ٣/ ١٦٣.
(٢) الإنجيل المقدّس، لوقا ٦: ٣٦.
(٣) خلق المسلم، محمّد الغزاليّ: ٢١٦.
(٤) حكم النّبيّ الأعظم: ٤/ ٦٥٦ ، وينظر: بحار الأنوار: ٧٢/ ٣٠٤.

يتناصُّ الحديث مع النّصّ الإنجيليّ: "إيَّاكُمْ أنْ تعمَلوا الخَيرَ أمامَ النَّاسِ ليُشاهِدوكُم، وإلاَّ فلا أجرَ لكُم عِندَ أبيكُمُ الّذي في السَّماواتِ"(١) .

يدور النّصّان حول معنى واحد وهو والتّحذير من الرّياء، وإخلاص النّيّة في العمل الصّالح من غير رياءٍ. فالنّصّ الإنجيليّ يقدّم رؤيةً تربويّةً أخلاقيّةً يحذّر فيها من ظاهرة الرّياء، ويهدف بوساطتها إلى تهذيب السّلوك الإنسانيّ. أمَّا الحديث النّبويّ، فيعالج هذه الظّاهرة من منظورٍ دينيّ جاعلًا الإخلاص في النّيّة شرطًا لقبول الأعمال الصّالحة(٢) .

فالحديث الشّريف يتناصُّ مع معنى النّصّ الإنجيليّ دون أن يقتبس ألفاظه، عن طريق إعادة المعنى الجوهريّ بصيغةٍ مختلفةٍ أكثر دقّةً وإيجازًا؛ ولكن وفقًا للعقيدة الإسلاميّة، فيعمّق الحديث الفكرة ويكثّفها بالمعاني الدّينيّة الإسلاميّة الّتي تجعل من النّيّة المحضة لوجه الله تعالى شرطًا جوهريًّا لقبول الأعمال الصّالحة مهما كانت صغيرةً أم كبيرةً؛ لأنّ "العبادة والعمل بدون الإخلاص في النّيّة معطّل ومهمل، كجسدٍ لا روحَ فيه وبذرٍ لا ثمرَ منه"(٣) .

فالنّصّ الإنجيليّ يحذّر من القيام بالأعمال الخيريّة أمام النّاس طلبًا للمدح؛ لأنّ هذا السّلوك غير مقبولٍ من الله تعالى. بينما الحديث النّبويّ المبارك لا يقتصر على التّحذير من هذا السّلوك السّيء فحسب؛ بل يربط التّحذير السّلوكيّ بصفاء النّيّة عند القيام بالأعمال الصّالحة؛ إذ حوّل الحديث المبدأ من تحذيرٍ سلوكيّ نوّه عليه النّصّ الإنجيليّ إلى رؤيةٍ إيمانيّةٍ تتعلّق بقبول الأعمال الصّالحة.

بعد عرض هذه النّصوص المتناصّة بين الحديث النّبويّ والكتب السّماويّة، وضمّ بعضها إلى بعض، يتبيّن لنا أنّ التّناصّ بين الحديث النّبويّ والكتب السّماويّة في معظمه يضمُّ المعاني الأخلاقيّة والاجتماعيّة، الّتي نادت بها جميع الأديان السّماويّة؛ إذ يؤكّد وحدة القيم الإلهيّة اتّجاه الإنسانيّة جمعاء.

وأنَّ تفاعل الأحاديث مع نصوص العهد القديم والإنجيل يخرج من دائرة الاقتباس النّصّيّ إلى دائرة تقاطع المعاني؛ ليقدّم نصوصًا تتّسم بالإبداع، والتّجديد، والتّوسّع في

(١) الإنجيل المقدّس، متّى ٦: ١.

(٢) ينظر: الكافي، الشّيخ الكلينيّ: ٨/ ٢٣٤.

(٣) تفسير القرآن الكريم، صدر الدّين محمّد الشّيرازيّ ١٠٥٠هـ: ٤/ ٦٢.

المعـاني والـدّلالات وفـق القـيم الإسـلاميّة ورؤاهـا الجديـدة. لتبـرّز لنـا العبقريّـة اللّغويّـة للحديث النّبويّ المبارك.

٢- تناصّ غير مباشر مع النّصّ القرآنيّ:

إنَّ اللّغـة النّبويّـة تمتـاز مزايـا لغويّـة جوهريّـة متعـددة جعلتهـا فـي أعلـى مراتـب البيـان والفصـاحة بعـد القـرآن الكـريم، فالحـديث النّبـويّ يُعَـدُّ امتـدادًا للغـة القـرآن الكـريم تلـك اللّغـة الإعجازيّة المنزّلة من الله عزّ وجلّ.

تشـكّلت لغـة الرّسـول ﷺ فـي ظـلّ التّـأثّر بلغـة الـوحي، ممّـا أضـفى عليهـا قدسـيّةً روحيّـة، وقـوةً بلاغيّـةً جعلتهـا تسـتمد معانيهـا وألفاظهـا مـن القـرآن الكـريم، فضـلًا عـن المجـازات والكنايـات، والتّشـبيهات، وغيرهـا مـن الأسـاليب البلاغيّـة الّتـي اسـتقاها الرّسـول ﷺ مـن القـرآن الكـريم؛ ليعيـد توظيفهـا فـي سـياقاتٍ مختلفـةٍ تتناسـب مـع المقـام الّـذي تُقال فيـه، محافظـةً بـذلك علـى فصـاحة وجزالـة الألفـاظ القرآنيّـة. فبهـذا التّـأثّر القرآنـيّ هـذّب الرّسـول ﷺ المفـردات والمعـاني تهـذيبًا قريبـاً مـن لغـة القـرآن الكـريم، فقـد أضـاف حديثـه المبـارك ثـروةً لغويّـةً أفـادت منهـا العربيّـة، عـن طريـق توظيـف المجـازات والاسـتعارات القرآنيّـة، والتّوسّـع فـي المعـاني والـدّلالات، واسـتعماله بعـض التّراكيـب الّتـي لـم يسـبقه إليهـا أحد[١] .

حظـي التّنـاصّ مـع الـنّصّ القرآنـيّ فـي حِكَمـه المباركـة بالنّصـيب الأكبـر والمكانـة العاليـة بـين صـور التّنـاصّ الأخـرى؛ إذ تفاعـل الحـديث النّبـويّ مـع الـنّصّ القرآنـيّ تفـاعلاً جعـل حديثـه عليـه الصّـلاة والسّـلام انعكاسـاً للغـة القـرآن، وأَنَّ دراسـة هـذا التّفاعـل وتسـليط الضّـوء عليـه هـو للبرهنـة علـى مـدى تـأثّر الأسـلوب النّبـويّ وتشـرّبه باللّغـة القرآنيّـة؛ وللوقـوف علـى المعـاني والألفـاظ الّتـي اسـتقاها الرّسـول ﷺ مـن القـرآن الكـريم وأعـاد صـياغتها بلغـةٍ بشـريّةٍ قريبـةٍ مـن ذهـن المتلقّـي. فنصـوص الحـديث النّبـويّ المبـارك هـي انعكـاسٌ لنصـوص القـرآن الكـريم؛ إذ "إنَّ كـلَّ نـصٍّ هـو عبـارةٌ عـن لوحـةٍ فسيفسـائيّةٍ مـن الاقتباسـات. وكـلّ نصٍّ هو تشرّبٌ وتحويلٌ لنصوص أخرى"[٢] .

---

(١) ينظر: إعجاز القرآن والبلاغة النّبويّة: ٣١٥-٣١٦.

(٢) الخطيئة والتّكفير من البنيويّة إلى التّشريحيّة، عبد الله محمّد الغذاميّ: ١٥.

فمـن شـواهد التّنـاصّ بـين الحـديث الشّـريف والقـرآن الكـريم، قولـه ﷺ : "حاسـبوا أنفُسَـكُم قَبـلَ أن تُحاسَـبوا، وزِنوهـا قَبـلَ أنْ تُوزَّنـوا، وتَجَهَّـزوا للعَـرْضِ الأكْبَـرِ"[١]؛ إذ يتنـاصُّ الحديث المبارك مع قوله تعالى: ﴿يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَلْتَنْظُرْ نَفْسٌ ما قَدَّمَتْ لِغَدٍ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِما تَعْمَلُونَ﴾[٢] .

إنَّ التّنـاصّ بـين الحـديث الشّـريف والـنّصّ القرآنـيّ تنـاصٌّ بـالمعنى (تنـاصّ غيـر مباشـرٍ)؛ إذ إنّ الحـديث المبـارك يسـتمد المعنـى مـن القـرآن الكـريم؛ ليعيـد صـياغته، وإنتاجه بأسلوبٍ تحفيزيّ يتضمّن إرشادًا وموعظةً بصورةٍ تربويّةٍ.

فالدّلالـة الّتـي يحتويهـا الـنّصّ القرآنـيّ المتمثّلـة بالنّـداء القرآنـيّ التّحـذيريّ (وَلْتَنْظُـرْ نَفْـسٌ مـا قَـدَّمَتْ لِغَـدٍ) يمتصّـها الـنّصّ النّبـويّ؛ ليعيـد إنتاجهـا بأسـلوب الموعظـة النّبويّـة؛ راسـمًا بوسـاطتها مفهومًـا إيمانيًّـا تطبيقيًّـا مسـتمرًا لمحاسـبة الـنّفس، عـن طريـق تحويـل هـذا النّـداء إلى توجيهٍ إرشاديّ تربويّ.

فقولـه ﷺ: (حاسـبوا أنفسـكم)، هـي تطبيـقٌ عملـيٌّ يرسـمه الحـديث لقولـه تعـالى: (وَلْتَنْظُـرْ نَفْسٌ مـا قَـدَّمَتْ لِغَـدٍ)، (ووزِنوهـا قَبـلَ أنْ تُوزَّنـوا) تشـير إلـى يـوم الحسـاب العظـيم. فالتّركيبان المتقابلان كلاهما يشتركان في قصديّةٍ واحدةٍ، ومعنى واحدٍ.

فالآيـة الكريمـة تحـثُّ علـى محاسـبة الـنّفس، والتّفكّـر فـي الأمـور الّتـي يقـوم بهـا الإنسـان، أي أنّ الـنّفس يجـب أن "تنظـر وتفكّـر مـا الّـذي تقدّمـه مـن الأفعـال ليـوم القيامـة مـن طاعـةٍ أو معصـيةٍ"[٣]. وقـد وردت (نفـس) فـي سـياق الأمـر التّحـذيريّ نكـرةً؛ للدّلالـة علـى العمـوم أيّ (كلّ نفسٍ) يجب أن تنظر ماذا تقدّم لغدٍ من أعمال[٤] .

أمَّـا الحـديث المبـارك يتـرجم دعـوة الآيـة القرآنيّـة بأسـلوبٍ مـوجزٍ يعمّـق معنـى الإصـلاح الذّاتيّ ومحاسبة النّفس، محوّلاً إيّاها تطبيقًا عمليًّا مستمرًا لمفهوم الإصلاح الذّاتيّ.

---

(١) حكم النّبيّ الأعظم: ٤/ ٣٨٥ ، وينظر: بحار الأنوار: ٧٠/ ٧٣.

(٢) سورة الحشر، آية: ١٨.

(٣) التّبيان في تفسير القرآن، الشّيخ الطّوسيّ: ٩/ ٥٧١.

(٤) ينظر: التّحرير والتّنوير: ٢٨/ ٩٩.

ومـن الأحاديـث النّبويّـة الّتـي تمـتصُّ المعنـى القرآنـيّ، ثّـم توسّـع الدّلالـة القرآنيّـة، قولـه ﷺ : "زَيـنُ أُمَّتـي فـي حُسـنِ السَّـمْت"(١)؛ إذ يتنـاصّ تناصًّـا غيـر مباشـرٍ مـع قولـه جـلّ وعلا: ﴿ سِيمَاهُـمْ فِي وُجُوهِهِـمْ مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ ﴾(٢) .

إنَّ الحـديث النّبـويّ المبـارك فـي هـذا الشّـاهد يسـتمدّ معنـاه العـامّ، وفكرتـه الجوهريّـة مـن القـرآن الكـريم؛ ليعيـد الحـديث إنتـاج المعنـى القرآنـيّ نفسـه؛ ولكـن بصـياغةٍ جديـدة، مـع التّوسّع في دلالة النّصّ القرآنيّ.

فالآيــة الكريمــة تصــف وجــوه المــؤمنين السّــاجدين الّتــي يظهــر عليهــا نــور الإيمــان الـدّاخليّ، و"الصّـفاء والإشـراق الّـذي يحـدث بالوجـه مـن أثـر العبـادة...لأنَّ العبـادة الخالصـة لوجهــه تعــالى تحــدث فــي نفــس العابــد المخلــص طُهــرًا وصــفاءً، تظهــر دلائلــه علــى صفحات الوجه تمامًا كما تظهر عليه دلائل الحزن والفرح"(٣) .

أمَّـا الحـديث الشّـريف، فيقتـبس الفكـرة ذاتهـا؛ ليعيـد إنتاجهـا بتعبيـرٍ دلالـيّ دقيـقٍ ومعـانٍ مكثّفـة، مـع توسّـع المفهـوم القرآنـيّ؛ ليشـمل مظهـر المـؤمن الخـارجيّ، الّـذي هـو انعكـاسٌ للإيمـان الـدّاخليّ لـه. مترجمًـا لنـا هـذا المفهـوم القرآنـيّ إلـى سـلوكٍ اجتمـاعيّ يميّـز الأمّـة الإسلاميّة من غيرها.

إنَّ الآيـة المباركـة تصـف جـزءًا مـن العبـادة (أثـر السّـجود) بينمـا الحـديث النّبـويّ يوسّـع دلالــة الــنّصّ عــن طريــق تحويــل ذلــك الوصــف إلــى صــورةٍ كلّيّــةٍ تظهــر الجمــال الإيمــانيّ للأمّـة الإسـلاميّة. إنَّ النّصّـين كليهمـا قـد صـرّحا عـن المعنـى بأسـلوبٍ مـوجزٍ، وبيّنـا عـن طريقـه العلامـة الّتـي تُظهـر النّـور الإيمـانيّ، ذلـك النّـور الّـذي يكـون مـن الله عـزّ وجـلّ ويخـصّ بـه عبـاده المـؤمنين وهـذه العلامـة تتمثّـل بلغـةٍ رمزيّـةٍ (السّـيماء، السّـمت) الّتـي تُميّـز العبد المؤمن وتزيّن أمّة رسول الله (٤) .

ومـن الأحاديـث النّبويّـة مـا يحمـل التّنـاصّ فيهـا تفسـيرًا للـنّصّ القرآنـيّ، نحـو قولـه ﷺ : "إنَّ النّـاسَ يَصِـيرُونَ يَـومَ القِيامَـةِ جُثـىً. كُـلُّ أُمَّـةٍ تَتبَـعُ نَبِيَّهـا، يَقولـونَ: يـا فُـلانُ، اشـفَع، يـا

(١) حكم النّبيّ الأعظم: ٤/ ٢٩٧ ، وينظر: بحار الأنوار: ٧١/ ٣٤٤.

(٢) سورة الفتح، آية:٢٩.

(٣) التّفسير الكاشف، محمّد جواد مغنية: ٧/ ١٠٣.

(٤) ينظر: التّفسير الكبير تفسير القرآن العظيم، الطّبرانيّ: ٦/ ٦٧.

فُـلانُ، اشـفَع، حتّـى تَنتَهِـيَ الشَّـفاعَةُ إلـى محمّـدٍ، فـذلكَ يَـومُ يَبعَثُـهُ الله المَقـامَ المَحمـودَ"[١]، فالحديث المبارك يتناصُّ مع قوله تعالى: ﴿وَمِنَ اللَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِ نَافِلَةً لَّكَ عَسَى أَن يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَاماً مَّحْمُودا﴾[٢] .

فالتّنـاصّ بـين الحـديث النّبـويّ المبـارك والآيـة القرآنيّـة الكريمـة تناصًّـا بـالمعنى، وإن تكـرّرت بعـض الألفـاظ؛ لكـنّ النّصّـين يشـتركان فـي معنـى مركـزيّ واحـد، وهـو بيـان مقـام الشّـفاعة (المقـام المحمـود) الّـذي خـصَّ اللهُ تبـارك وتعـالى بـه نبيـه محمّـد ﷺ تشـريفًا لـه في يوم العرض الأكبر.

إنَّ القـرآن الكـريم يجمـل المعنـى بأسـلوبٍ إخبـاريّ يحمـل فـي تضـاعيفه بشـارةً وتشـريفًا للرّسـول الكـريم، تتمثّـل بالمقـام المحمـود الّـذي وعـده الله بـه؛ ولكـن الـنّصّ القرآنـيّ لـم يفصّـل تلك البشارة أو يحدّد طبيعة المقام الّذي بشّره الله به.

بينمـا الحـديث النّبـويّ يتفاعـل مـع الـنّصّ القرآنـيّ؛ ليفصّـل ذلـك الإجمـال بأسـلوبٍ وصـفيّ؛ وليقـدّم تفسـيرًا يوضّـح حقيقـة تلـك البشـارة المتمثّلـة بالمقـام المحمـود، وهـو مقـامٌ "يقومـه ﷺ يـوم القيامـة للشّـفاعة للنّـاس ليـريحهم ربّهـم مـن عظـيم مـا هـم فيـه مـن شـدّة ذلـك اليـوم"[٣]. فالحـديث الشّـريف يوضّـح لنـا مضـمون الآيـة وطبيعـة المقـام بأنّـه مقـامُ شفاعةٍ يكون الرّسول الكريم فيه شفيعًا بين الأنبياء يوم القيامة [٤].

ومـن شـواهد التّنـاصّ الّتـي يـوجز الحـديث الشّـريف فيـه العبـارة القرآنيّـة، مـع الحفـاظ علـى المعنـى القرآنـيّ، قولـه ﷺ: "شَـرُّ المَآكِـلِ أكـلُ مـالِ اليتـيمِ ظُلمـاً"[٥]؛ إذ إنَّ الحـديث النّبـويّ المبـارك يتنـاصُّ مـع قولـه تعـالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَى ظُلْماً إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَاراً وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرا﴾[٦] .

---

(١) حكم النّبيّ الأعظم: ٢/ ٥٤٦ ، وينظر: كنز العمال: ١٤/ ٣٩٠.

(٢) سورة الإسراء، آية:٧٩.

(٣) جامع البيان عن تأويل آي القرآن، الطّبريّ: ١٥/ ١٧٩.

(٤) ينظر: معاني القرآن وإعرابه، الزجّاج: ٣/ ٢٥٦.

(٥) حكم النّبيّ الأعظم: ٧/ ٦٢٩ ، وينظر: كتاب من لا يحضره الفقيه: ٤/ ٣٧٧.

(٦) سورة النّساء، آية: ١٠.

فالحـديث النّبـويّ الشّـريف يشـترك مـع الآيـة الكريمـة فـي وحـدة المقصـد والموضـوع. فكلاهمـا يتضـمّن تحـذيرًا شـديدًا مـن التّجـاوز بغيـر حـقّ علـى مـال اليتـيم؛ إذ وضّـحت الآيـة المباركـة عقوبـة آكـل مـال اليتـيم فـي الآخـرة، وهـي النّـار الّتـي "سـتلتهب مـن أفـواههم، وأسماعهم، وآنافهم يوم القيامة، ليعلم أهل الموقف أنّهم أكلة أموال اليتامى"(١) .

أمَّـا الحـديث النّبـويّ الشّـريف، فيمـتصّ المعنـى القرآنـيّ؛ ليعيـد صـياغته بعبـارة مباشـرة ومـوجزة (شـرّ المآكـل)؛ لتقـبّح هـذا الفعـل دون الغـور فـي تفاصـيل العقوبـة الأخرويّـة؛ ولتقدّم قاعـدةً أخلاقيّـةً يـوجز مـن بوسـاطتها الحـديث دلالـة الـنّصّ القرآنـيّ. فالحـديث مـارس تحـوّلاً بلاغيًّـا نقـل فيـه التّفصـيل الّـذي احتوتـه الآيـة القرآنيّـة المباركـة إلـى إيجـازٍ كثّـف فيـه الفكرة مع محافظته على المعنى القرآنيّ.

فالتّنـاصّ يبـيّن لنـا أن اللّغـة النّبويّـة هـي امتـدادٌ للغـة القـرآن الكـريم؛ إذ تسـتعمل اللّغـة النّبويّـة المعـاني ذاتهـا لتعيـد صـياغتها فـي سـياقاتٍ أخـرى تهـدف إلـى إصـلاحٍ اجتمـاعيّ أو تربويّ.

ومـن الأحاديـث النّبويّـة الّتـي تتنـاصُّ مـع القـرآن الكـريم فتحـوّل المعنـى القرآنـيّ مـن أسـلوبٍ إلـى آخـر، قولـه ﷺ: "لَـيسَ مِنّـا مَـن خَـانَ بالأمانَـةِ"(٢)؛ إذ يتنـاصُّ مـع قولـه تعالى: ﴿يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَخُونُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ وَتَخُونُوا أَمَانَاتِكُمْ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾(٣) .

يتنـاصّ الحـديث الشّـريف مـع الـنّصّ القرآنـيّ تناصًّـا غيـر مباشـر. فالنّصّـان يشـتركان فـي التّأكيـد علـى صـون الأمانـة وحفظهـا، والتّحـذير مـن خيانتهـا؛ لأنّ خيانـة الأمانـة سـلوكٌ غيـرُ أخلاقـيّ يـؤدّي إلـى مخـاطر تـؤثّر علـى القـيم الدّينيّـة والاجتماعيّـة. فالأمانـة لهـا "شـأنٌ عظـيمٌ فـي اسـتقامة أحـوال المسـلمين، مـا ثبتـوا عليهـا وتخلّقـوا بهـا، وهـي دليـل نزاهـة الـنّفس واعتدال أعمالها"(٤).

(١) تفسير مجمع البيان، الشّيخ الطّبرسيّ: ٣/ ٢٧.

(٢) حكم النّبيّ الأعظم: ٤/ ٦٥١ ، وينظر: بحار الأنوار: ٧٥/ ١٧٢.

(٣) سورة الأنفال، آية: ٢٧.

(٤) التّحرير والتّنوير: ٩/ ٧٧.

استعمل القرآن الكريم للتّحذير من خيانة الأمانة صيغة النّهي (لا تخونوا)؛ ليحذّر المسلمين "من العصيان الخفي. بعد أن أمرهم بالطّاعة والاستجابة لله ولرسوله"(١)، مشيرًا بهذا التّحذير إلى أنَّ الأمانة لا تقتصر على السّلوك الدّنيويّ فحسب، وإنَّما الأمانة قد تكون أمرًا مضمرًا في قلب الإنسان ترتبط بتكليفٍ إلهيّ؛ لأنّ "خيانتهم الله ورسوله، كانت بإظهار من أظهر منهم لرسول الله ﷺ والمؤمنين الإيمانَ في الظّاهر والنّصيحةَ، وهو يستسرُّ الكفر والغشّ لهم في الباطن"(٢) .

أمَّا الحديث المبارك، فيستلهم المعنى القرآنيّ؛ ليعيد صياغته بمفهومٍ تحذيريّ موجزٍ، جاعلًا الأمانة الحدَّ الفاصل بين المؤمن وغير المؤمن، مركّزًا على الجانب الأخلاقيّ والاجتماعيّ عن طريق تحوّل المعنى من النّهي إلى التّبرؤ من الخائن، وعدّه خارج منظومة القيم الإيمانيّة؛ لأنّ الرّسول ﷺ جعل الأمانة علامةً على الإيمان(٣) .

ومن النّصوص النّبويّة الّتي تشترك في الوصف والمعنى مع النّصّ القرآنيّ، قوله ﷺ: "يَقومُ آكِلُ الرّبا مِن قَبرِهِ مَكتوبٌ بينَ عَينَيهِ: لا حُجَّةَ لَهُ عندَ اللهِ"(٤)؛ إذ يتناصّ مع قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَا لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسِّ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا إِنَّمَا الْبَيْعُ مِثْلُ الرِّبَا وَأَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبَا﴾(٥) .

إنَّ النّصّين كليهما يشتركان في المعنى ذاته، الّذي يدور حول التّحذير من الرّبا؛ لأنّه يُعَدّ من كبائر الذّنوب. وكلاهما يشتركان أيضاً في وصف قيام آكل الرّبا يوم القيامة. وهذا الاشتراك بين النّصّين يدلُّ على وحدة الخطاب الدّينيّ بين النّصّين، وهذه الوحدة تعزّز التّناصّ بين النّصّين.

فالآية القرآنيّة تصف لنا آكل الرّبا يوم العرض الأكبر بصورةٍ حسّيّةٍ، وكأنَّه قد مُسّ من الشّياطين، إشارةً إلى الاضطراب والذّلّ الّذي يكون عليه، وهذه هي "علامة أكلة

(١) التّحرير والتّنوير: ٩/ ٧٥.
(٢) جامع البيان عن تأويل آي القرآن، محمّد بن جرير الطّبريّ: ١٣/ ٤٨٠.
(٣) ينظر: التّحرير والتّنوير: ٩/ ٧٧.
(٤) حكم النّبيّ الأعظم: ٤/ ٦٦٥ ، وينظر: كنز العمال: ١٦/ ٦٥.
(٥) سورة البقرة، آية: ٢٧٥.

الرّبـا، يعرفـون بهـا يـوم القيامـة"[١]. وهـذه الصّـورة المذلـة تكـون "عنـد قيـامهم مـن قبـورهم، فيلحقهم العثار والزّلل والتّخبّل على سبيل العقوبة لهم"[٢] .

أمَّـا الحـديث المبـارك، فيتفاعـل مـع الـنّصّ القرآنـيّ مستحضـرًا المعنـى ذاتـه؛ ليعيـد توظيفـه بأسـلوبٍ بيـانيّ جديـد، يصـف فيـه موقـف (آكـل الرّبـا) يـوم الحسـاب بوصـفٍ مخـزٍ ومـذلٍّ؛ إذ يُكتب على جبينه علامة (لاحجّة له عند الله)، تجسّد عقوبته الأخرويّة المذلّة.

ومـن جملـة الأحاديـث الّتـي احتـوت علـى تنـاصٍّ غيـر مباشـرٍ حـوّل المعنـى القرآنـيّ مـن التّفصـيل إلـى التّعمـيم المـوجز، قولـه ﷺ: "إنَّ اللهَ تعـالى حَـدَّ لَكُـم حُـدوداً فـلا تَعْتَـدُوها"[٣]؛ إذ يتنـاصُّ مـع قولـه جلّ وعـلا: ﴿وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُ يُدْخِلْهُ نَارًا خَالِدًا فِيهَا وَلَهُ عَذَابٌ مُهِينٌ﴾[٤] .

إنَّ التّنـاصّ بـين الحـديث الشّـريف والآيـة الكريمـة تناصًّـا بـالمعنى، فالنّصّـان يشـتركان فـي معنـى واحـد، وهـو التّحـذير مـن تعـدّي حـدود الله، والحـثّ علـى الالتـزام بهـا، وتعـدّي الحـدود وتجاوزهـا يكـون بتجـاوز "فصـول طاعتـه الّتـي جعلهـا تعـالى فاصـلةً بينهـا وبـين معصيته"[٥] .

إنَّ الآيـة الكريمـة تفصّـل المعنـى القرآنـيّ لتبـيّن دلالتـه؛ إذ تـذكر فـي بـدايتها نـوع السّـلوك المُحـذّر منـه، ثـمّ توضّـح العقوبـة الأخرويّـة المرتبطـة بهـذا السّـلوك، لتنتقل بعـد ذلـك لتصـف لنـا تلـك العقوبـة بصـفة العـذاب المهين، موضّـحةً عـن طريـق هـذا الوصـف أنَّ هـذه العقوبـة ليسـت جسـديّة فحسـب، إنّمـا هـي عقوبـةٌ معنويّـةٌ مذلّـةٌ. واسـتعمال هـذه الصّـفة المذّلـة لوصـف جـزاء هـذا العمـل كـان لهـا الأثـر الأكبـر فـي نفـوس المتلقـين؛ لأنّ "العـرب أبـاة الضّيم، شمّ الأنوف، فقد يحذرون الإهانة أكثر ممّا يحذرون عذاب النّار"[٦] .

---

(١) التّفسير الكبير تفسير القرآن العظيم، الطّبرانيّ: ١/ ٤٩٣.

(٢) تفسير الشّريف المرتضى نفائس التّأويل: ٥٥٨.

(٣) حكم النّبيّ الأعظم: ٦/ ٥٥٣ ، وينظر: الأمالي، الشّيخ المفيد: ١٥٩.

(٤) سورة النّساء، آية: ١٤.

(٥) جامع البيان عن تأويل آي القرآن، محمّد بن جرير الطّبريّ: ٨/ ٧١.

(٦) التّحرير والتّنوير: ٤/ ٥٥.

فالحديث الشّريف استحضر ذلك المعنى القرآنيّ، ووظّفه في سياقٍ وأسلوبٍ جديدين، وجّه من خلالهما تحذيرًا أخلاقيًّا من التّجاوز على حدود الله، بعبارةٍ موجزةٍ وبليغةٍ، انتقل فيها إلى التّعميم، الّذي اختصر من خلاله تفصيل الآية الكريمة، عن طريق استعمال صيغةٍ جامعةٍ موجزةٍ (حدّ لكم حدودًا) شملت كلّ ما نهى الله تعالى عنه، وحثّت على الوقاية من هذا العمل. فقد برّز لنا ذلك الانتقال والإيجاز البعد التّربويّ في الحديث الشّريف.

إنَّ التّحوّل البلاغيّ من التّفصيل في الآية القرآنيّة إلى التّعميم الموجز مع الحفاظ على المعنى الجوهريّ المتمثّل بالتّحذير من معصية الله بتجاوز حدوده. أثبت أنّ اللّغة النّبويّة هي امتدادٌ بلاغيٌّ وبيانيٌّ للغة القرآن الكريم.

ومن أمثلة الأحاديث المتناصّة مع القرآن الكريم، ما يوضّح فيه التّناصّ جمال النّصّ القرآنيّ وبيان الحديث النّبويّ، قوله ﷺ: "إنَّ اللهَ حَرَّمَ الغِيبَةَ كما حَرَّمَ المالَ والدّمَ"[1]؛ إذ يتناصّ الحديث الشّريف مع قوله تبارك وتعالى : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ وَلَا تَجَسَّسُوا وَلَا يَغْتَبْ بَعْضُكُمْ بَعْضًا أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَنْ يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ رَحِيمٌ ﴾[2] .

يتّناصُّ بين الحديث النّبويّ والنّصّ القرآني تناصًّا بالمعنى (غير مباشرٍ)؛ إذ يشترك النّصّان في المعنى ذاته وهو تحريم الغيبة والنّهي عنها، والغيبة "أن يذكر الإنسان من خلفه بسوءٍ وإن كان فيه السّوء"[3] .

إنَّ النّصّ القرآنيّ يقدّم صورةً مجازيّةً بليغةً (أكل لحم الميّت)، تحمل في طياتها معنىً جوهريًّا، يدلّ على "أنَّ من دعي إلى أكل لحم أخيه فعافته نفسه، فكرهته من جهة طبعه، فإنَّه ينبغي إذا دعي إلى عيب أخيه فعافته نفسه من جهة عقله، فينبغي أن يكرهه؛ لأنَّ داعي العقل أحقّ بأن يتّبع من داعي الطّبع؛ لأنَّ داعي الطّبع أعمى وداعي

(١) حكم النّبيّ الأعظم: ٥/ ٧٣.

(٢) سورة الحجرات، آية: ١٢.

(٣) معاني القرآن وإعرابه، إبراهيم بن السّرّيّ بن سهل الزجّاج: ٥/ ٣٧.

العقل بصير"[1]. فهذه الصّورة المجازيّة أحدثت صدمةً ورهبةً للمتلقّي جعلته يمتنع عن الغيبة، كما يمتنع عن أكل لحم الميّت.

أمَّا الحديث الشّريف، فيستحضر المعنى التّشريعيّ والأخلاقيّ من النّصّ القرآنيّ؛ ليعيد إنتاجه بلغةٍ موجزةٍ ترسّخ حرمة الغيبة في نفوس المتلقين، محولاً الصّورة المجازيّة إلى بيانٍ نبويّ تشريعيّ مباشرٍ متمثّل بقوله ﷺ: (إنَّ اللهَ حَـرَّمَ الغِيبَـةَ)؛ إذ يتّجه الحديث للإيجاز فلا يصف بشاعة هذا السّلوك فحسب؛ وإنّما يتّجه لوضعه في دائرة المحرمات مساويًا له بحرمة سفك الدّماء، ونهب الأموال. فالتّناص بين النّصّين يرسم صورةً جوهريّةً متكاملةً يوضّح فيها جمال النّصّ القرآنيّ في استعمال الصّورة المجازيّة،

ب/ التّناصّ المباشر:

إنَّ اقتطاع النّصوص القرآنيّة من سياقاتها الّتي وردت فيها وتوظيفها في بيئةٍ نصّيّةٍ أخرى، وسياقاتٍ جديدةٍ، لا يكون ذلك بطريقةٍ عشوائيّةٍ، وإنّما المبدع هو الّذي يوجّه النّصّ الحاضر إلى التّعالق والتّفاعل مع النّصّ القرآنيّ. ممّا يجعل النّصّ الحاضر غنيًا بالمعاني العميقة المتّسعة في دلالاتها؛ لأنّ النّصّ القرآنيّ المقتبس يحمل ثراءً لغويًّا وثقافيًّا ضخمًا[2] .

فالرّسول ﷺ عندما يوظّف النّص القرآنيّ كان مدركًا أثره في خدمة حديثه الشّريف؛ لأنَّ النّصّ القرآنيّ يجعل الاتّصال مع المتلقّي اتّصالًا مقدّسًا زاخرًا بمعاني القرآن الكريم، فمن أمثلة ذلك قوله ﷺ: "ما كُنتُ لأَلقَى اللهَ عزّ وجلّ ببِدعَةٍ لم يُحدِثْ إلَيَّ فيها شيئاً ومَا أنا مِن المُتَكَلِّفِينَ"[3]. فالحديث النّبويّ المبارك يتناصُّ تناصًّا مباشراً مع قوله جلّ وعلا: ﴿ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُتَكَلِّفِينَ ﴾[4] .

إنَّ النّصّ القرآنيّ ينفي الابتداع والتّكلّف عن الرّسول الكريم؛ لأنّ التّكلّف هو "ما يشقُّ على المرء عمله والتزامه لكونه يحرجه أو يشقُّ عليه ... فالمتكلّف هو الّذي

(١) التّبيان في تفسير القرآن، الشّيخ الطّوسيّ: ٩/ ٣٥٠.

(٢) ينظر: الخطيئة والتّكفير من البنيويّة إلى التّشريحيّة، عبد الله محمّد الغذاميّ: ١٥.

(٣) حكم النّبيّ الأعظم: ٥/ ١١٩ ، وينظر: التّوحيد، الشّيخ الصّدوق: ٣٤٢.

(٤) سورة ص، آية : ٨٦.

يتطلّب ما ليس له أو يدعي علم ما لا يعلمه. فالمعنى هنا: ما أنا بمدّع النبوءة باطلًا من غير أن يوحى إليّ"[1] .

استعمل الرّسول الكريم ﷺ في حديثه التّركيب القرآنيّ ذاته، مع بقاء الدّلالة القرآنيّة؛ إذ أضفى الاستعمال النّبويّ للنّصّ القرآنيّ قدسيّةً على الحديث الشّريف عن طريق إسناد الحديث إلى مرجعيّةٍ إلهيّةٍ، وهذه القدسيّة تُشعر المتلقّي بروح الوحي في النّصّ النّبويّ.

كما أضاف النّصّ النّبويّ المبارك مفهومًا عمليًّا للمعنى القرآنيّ عن طريق الرّبط بين نفي التّكلّف عن الرّسول ﷺ ونفي ابتداع الرّسول للأمور الدّينيّة. فضلًا عن ذلك فإنّ الاقتباس القرآنيّ أدّى وظيفة توكيديّة للحديث الشّريف، فقد أكّد صدق الموقف النّبويّ عند نفيه الابتداع والتّكلّف. ممّا منح النّصّ النّبويّ الشّريف قوّةً بلاغيّةً تنبع من روح القرآن الكريم.

إنَّ التّناصَّ يعكس الصّورة الانسجاميّة بين الحديث النّبويّ والنّصّ القرآنيّ على المستوى اللّغويّ والأسلوبيّ، فانسجام النّصّ القرآنيّ داخل البنية التّركيبيّة للحديث الشّريف يؤكّد لنا مدى تأثّر اللّغة النّبويّة بلغة القرآن الكريم.

ومن الأحاديث الّتي اقتبست نصوصًا قرآنيّةً مباشرةً، وحافظت على المعنى القرآنيّ، قوله ﷺ: "يا أَبا ذَرٍّ: إِنَّ اللهَ تَبارَكَ وَتَعالى لَم يُوحِ إِلَيَّ أَن أَجمَعَ المالَ، وَلَكِن أَوحى إِلَيَّ أَن فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَكُن مِنَ السَّجِدِينَ وَأَعْبُدْ رَبِّكَ حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ"[2]، نلحظ في الحديث المبارك أَنَّه يتناصّ تناصًّا قرآنيًّا مباشراً؛ إذ اقتبس الرّسول الكريم ﷺ في الجزء الأخير من حديثه نصّ الآيتين الكريمتين: ﴿فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَكُنْ مِنَ السَّاجِدِينَ وَاعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ﴾[3]، فقد اشترك النّصّان في الحثِّ على الاستمرار بالعبادة والطّاعة لله عزّ وجلّ، والتّسبيح له وحده، وترك التّرف الدّنيويّ، وجمع المال، وغيرها من الملذات الّتي تُشغل العبد عن ذكر الله، فالنّصّ القرآنيّ يخاطب النّبيّ الأعظم ﷺ

(١) التّحرير والتّنوير: ٢٣/ ١٩٦.
(٢) حكم النّبيّ الأعظم: ٧/ ٦٠٢ ، وينظر: بحار الأنوار: ٧٧/ ٧٤.
(٣) سورة الحجر، آية: ٩٨-٩٩.

أن يتوجّـه بالشّـكر والصّـلاة والثّنـاء لله وحـده، وأن يسـتمر بالعبـادة والطّاعـة إلـى أن يأتيـه الموت[١] .

أمَّـا الحـديث الشّـريف، فيستحضـر معنـى وقصـديّة الـنّصّ القرآنـيّ؛ ليؤكّـد علـى جـوهر العبـادة وتـرك التّـرف الـدّنيويّ. حـاملًا بـذلك سـلوكًا أخلاقيًّـا وتربويًّـا واجتماعيًّـا يـدعو فيـه إلى التّقوى والورع والزّهد في الدّنيا.

زد علـى مـا تقـدّم أنَّ حضـور الـنّصّ القرآنـيّ بوضـوحٍ مـن دون تغييـر، وانسـجامه داخـل الخطـاب النّبـويّ، يعكـس لنـا تـأثّر الخطـاب النّبـويّ بلغـة القـرآن الكـريم علـى مسـتوى التّراكيب والدّلالة والإيقاع.

ومـن جملـة الأحاديـث الّتـي تضـمّنت تناصًّـا مباشـرًا مـع القـرآن الكـريم، قولـه ﷺ: "إنَّ الـرّزقَ لَيَنـزِلُ مِـنَ السَّـماءِ إِلَـى الأَرْضِ، عَلـى عَـدَدِ قَطـرِ المَطَـرِ، إلـى كُـلِّ نَفسٍ بِمـا قُـدِّرَ لَهـا. ولكِـن للهِ فُضـولٌ. فَاسـأَلُوا اللهَ مِـن فَضـلِهِ"[٢]، فالحـديث المبـارك يتنـاصُّ مـع قولـه جـلّ ثناؤه: ﴿وَلَا تَتَمَنَّوْا مَا فَضَّلَ اللَّهُ بِهِ بَعْضَكُمْ عَلَى بَعْضٍ لِلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِمَّا اكْتَسَبُوا وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِمَّا اكْتَسَبْنَ وَسْئَلُوا اللَّهَ مِنْ فَضْلِهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيماً﴾[٣] .

إنَّ التّنـاصَّ بـين النّصّـين تنـاصٌّ مباشـرٌ يتطـابق فيـه اللّفـظ والمعنـى فـي آنٍ واحـد. فالحـديث المبـارك يسـتعير العبـارة القرآنيّـة: (وَسْـأَلُوا اللَّهَ مِـنْ فَضْـلِهِ)؛ ليعيـد توظيفهـا فـي سـياقٍ جديـدٍ محافظـاً فيـه علـى المعنـى القرآنـيّ ذاتـه، الّـذي يـدور حـول الإيمـان المطلـق بتقـدير الله عـزّ وجـلّ لـلأرزاق، والحـثّ علـى الاعتمـاد علـى الـرّزّاق سـبحانه وتعـالى والتّوسّل به لطلب العون والرّزق، وعدم التّطلّع للآخرين بالتّمني والحسد[٤] .

إنَّ الحـديث المبـارك يغـرس فـي نفـوس المتلقـين عمـق الإيمـان بقضـاء الله وقـدره، والقناعـة بمـا قسّـمه الله، مسـتعملاً صـورة حسّـيّة يشـبّه فيهـا الـرّزق بنـزول المطـر فـي قولـه ﷺ: (الـرِّزقَ لَيَنـزِلُ مِـنَ السَّـماءِ إِلَـى الأَرْضِ، عَلـى عَـدَدِ قَطـرِ المَطَـرِ)، فقـد حوّلـت هـذه

(١) ينظر: جامع البيان في تأويل آي القرآن، الطّبريّ: ١٤/ ٩٩ ، ومعاني القرآن، النّحّاس: ٤/ ٤٧.
(٢) حكم النّبيّ الأعظم: ٥/ ٣٦٩ ، وينظر: بحار الأنوار: ٩٣/ ٢٨٨.
(٣) سورة النّساء، آية: ٣٢.
(٤) ينظر: غريب الحديث، أبو عبيد القاسم بن سلّام الهرويّ: ٢/ ١٤ ، ومعاني القرآن، النّحّاس: ٢/ ٧٣ ، ومختصر مجمع البيان، الشّيخ الطّبرسيّ: ١/ ٢٩٥.

الصّـورة الحسّـيّة الدّلالـة القرآنيّـة المجـرّدة إلـى دلالـةٍ محسوسـةٍ تتّسـم بالحركـة والإيحـاء، رسّخت المعنى في ذهن المتلقّي.

زد علـى مـا تقـدّم أنَّ التّـداخل النّصّـيّ مـع الـنّصّ القرآنـيّ مـنح الحـديث المبـارك قـوّةً بلاغيّـةً تكشـف لنـا عمـق تـأثّر اللّغـة النّبويّـة بـالقرآن الكـريم. وأضـفى بُعـدًا معنويًّـا، فقد مـنح النّصّ النّبويّ تصديقًا لحديثه بوصفه امتدادًا لخطاب الوحي.

ومـن النّصـوص النّبويّـة الّتـي تضـمّنت اقتباسًـا قرآنيًّـا مباشـرًا، حوّلـت فيـه الخطـاب مـن عـامّ إلـى فـرديّ مـع الحفـاظ علـى المعنـى القرآنـيّ، قولـه ﷺ: "يـا علـيُّ، لا تَحْلِـفْ بـاللهِ كاذِبـاً ولا صـادِقاً مِـن غَيـرِ ضَـرورَةٍ، ولا تَجْعَـلِ اللهَ عُرْضَـةً لِيَمينِـكَ؛ فـإنّ الله لا يَـرحَمُ ولا يَرعـى مَـن حَلـفَ باسـمِهِ كاذِبـاً"(١)؛ إذ اسـتعار الحـديث النّبـويّ العبـارة القرآنيّـة مـن الـنّصّ القرآنيّ: ﴿وَلَا تَجْعَلُوا اللَّهَ عُرْضَةً لِأَيْمَانِكُمْ أَنْ تَبَرُّوا وَتَتَّقُوا وَتُصْلِحُوا بَيْنَ النَّاسِ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾(٢) .

إنَّ النّصّـين كليهمـا يشـتركان فـي الفكـرة ذاتهـا مـع اخـتلاف المقـام والمخَاطـب، وهـي الـدّعوة إلـى حفـظ اسـم الله وصـونه مـن الحلـف الباطـل، والتّحـذير مـن الحلـف فـي غيـر حاجةٍ.

إنَّ الحـديث المبـارك يعيـد إنتـاج المعنـى القرآنـيّ فـي سـياقٍ جديـدٍ يتضـمّن أبعـادًا تربويّـةً وأخلاقيّـةً، عـن طريـق تحويـل المعنـى العـامّ فـي الـنّصّ القرآنـيّ إلـى توجيـهٍ فـرديّ؛ إذ يتوجّـه الرّسـول ﷺ بالنّصـح والإرشـاد والتّزكيـة الأخلاقيّـة إلـى الإمـام علـيّ (عليـه السـلام) مؤكّـدا علـى المعنـى القرآنـيّ الّـذي يحـثُّ علـى تجنـب الحلـف بـالله تعـالى، ويحـذّر مـن التّهـاون مـع اسم الله العظيم.

فالحـديث الشّـريف يسـتدعي الـنّصّ القرآنـيّ بوصـفه مرجعيّـةً تشـريعيّةً إلهيّـةً مؤكّـدًا بـذلك الاسـتدعاء المعنـى القرآنـيّ ذاتـه، ثـمّ يوسّـع لنـا الدّلالـة القرآنيّـة عـن طريـق النّهـي عـن الحلـف بـالله فـي حـال الصّـدق مـع اشـتراط عـدم وجـود ضـرورة للحلـف، فهـذا التّوسّـع الـدّلاليّ يبـيّن لنـا قـوّة اللّغـة النّبويّـة وقـدرتها علـى توظيـف النّصّـوص القرآنيّـة داخـل سـياقات جديدة تتضمّن أبعادًا تربويّةً وأخلاقيّةً.

(١) حكم النّبيّ الأعظم: ٤/ ٦٤١ ، وينظر: بحار الأنوار: ٧٧/ ٦٧.

(٢) سورة البقرة، آية: ٢٢٤.

ومـن النّصـوص النّبويّـة المتناصّـة مـع القـرآن الكـريم، الّتـي اتسـمت بالإيجـاز والتّفسـير للـنّصّ القرآنـيّ، قولـه ﷺ : "لـن يَغلِـبَ عُسـرَ يُسـرَينِ، إنَّ مَـعَ العُسـرِ يُسـراً إنَّ مَـعَ العُسـرِ يُسراً"(١)؛ إذ يُعَدّ التّناصّ فـي الحـديث تناصّـا مباشـرًا محضًـا مـع قولـه تعـالى: ﴿فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا﴾(٢) .

فالحـديث المبـارك يقتـبس الـنّصّ القرآنـيّ حرفيًّـا مـن سـورة الشّـرح، مـع تقـديم عبـارةٍ تفسـيريّةٍ فـي بدايـة الحـديث (لـن يغلـب عسـر يسـرين)، أسـهمت هـذه العبـارة فـي إبانـة المعنـى الخفـي للآيـة الكريمـة، وفسّـرته بأسـلوبٍ نبـويّ مـن دون أن يعـرّض أو يؤسّـس لمعنـى جديـد، والمعنـى "أنَّ نعـم الله تعـالى، وهـي اليسـر أكثـر مـن الشّـدائد، وهـي العسر"(٣) .

إنّ هـذا الاقتبـاس النّصّـيّ يؤكّـد المعنـى القرآنـيّ بأسـلوبٍ يفسّـر الوعـد الإلهـيّ الّـذي يبـيّن أنَّ كـلَّ شـدّةٍ وعسـرٍ معهمـا فـرجٌ ويسـرٌ مـن الله تبـارك وتعـالى. وأنّ العسـر الواحـد يرافقـه يسران لغلبتـه؛ "لأنَّـه حمـل العسـر فـي الآيتـين علـى أنَّـه واحـد لكونهـا بـالألف والـلّام، واليسـر منكـر فـي تثنيـة الفائـدة، والثّـاني غيـر الأوّل، والعسـر صـعوبة الأمـر وشـدته، واليسـر سهولته"(٤). وهذا الصّورة الإعجازيّة رسمت طمأنينةً وسكينةً في نفس متلقّي النّصّ.

(١) حكم النّبيّ الأعظم: ٣/ ٥٩٦ ، وينظر: كنز العمال: ٢/ ١٤.

(٢) سورة الشّرح، آية: ٥-٦.

(٣) إعراب القرآن، النّحّاس: ٥/ ١٥٧.

(٤) التّبيان في تفسير القرآن، الشّيخ الطّوسيّ: ١٠/ ٣٧٣.

المبحث الثّاني

معيار الإعلاميّة

أوّلًا: مفهوم الإعلاميّة:

تُعَدُّ الإعلاميّـة إحـدى المعـايير السّـبعة الّتـي نـادى بهـا بوجرانـد ودريسـلر للحُكـم علـى الـنّصّ بصـفة النّصّـيّة أو اللّانصّـيّة؛ إذ يسـهم هـذا المعيـار فـي فهـم وتحليـل النّصّـوص، ومعرفـة مـدى التّوقّـع أو عـدم التّوقّـع عـن طريـق العناصـر المتاحـة فـي الـنّصّ. وكـذلك معرفـة الطّريقـة الّتـي تنـتظم بهـا المعلومـات والأفكـار داخـل الـنّصّ، والطّريقـة الّتـي يـتمّ بهـا عـرض تلـك المعلومـات والأفكـار، واسـتخدامها لإثـارة انتبـاه المتلقّـي وإمتاعـه فكريّـاً، عـن طريق شدّ ذهنه للنّصّ.

حـدّها بوجرانـد بقولـه: "العامـل المـؤثّر بالنّسـبة لعـدم الجـزم Uncertainty فـي الحُكـم علـى الوقـائع النّصّـيّة، أو الوقـائع فـي عـالم نصّـيّ Textual فـي مقابلـة البـدائل الممكنـة. فالإعلاميّـة تكـون عاليـة الدّرجـة عنـد كثـرة البـدائل، وعنـد الاختيـار الفعلـيّ لبـديل مـن خـارج الاحتمـال. ومـع ذلـك نجـد لكـلّ نـصٍّ إعلاميّـة صـغرى علـى الأقـل تقـوم وقائعهـا فـي مقابـل عدم الوقائع"[١] .

إنَّ الإعلاميّـة داخـل الـنّصّ تتعلّـق بشـكلٍ كبيـرٍ بالمعلومـات الّتـي يقـدّمها النّـاصّ فـي بنيـة الـنّصّ، فتكـون متاحـة أمـام المتلقّـي، فـإنَّ كانـت هـذه المعلومـات والأفكـار يتوقعهـا المتلقّـي داخـل الـنّصّ كـان الـنّصّ أقـلّ إعلاميّـة، ومـن ثُـمّ يقـلُّ اهتمـام المتلقّـي بـالنّصّ. وعلـى العكـس مـن هـذا فـإنَّ كـان المتلقّـي أقـلّ توقعًـا لهـذه المعلومـات والأفكـار المتاحـة فـي بنية النّصّ كان أكثر إعلاميّة، ومن ثُمّ يزداد اهتمام المستقبل بالنّصّ[٢] .

فالإعلاميّـة إذًا هـي تنشـيطٌ لـذهن المتلقّـي، وإبعـادٌ لـه عـن الملـل والرّتابـة، عـن طريـق شـحن الـنّصّ بالمعلومـات الّتـي تتّصـف بجـدّة الأفكـار والقيمـة المعرفيّـة؛ لأنّ اسـتمرار النّـاصّ بتكـرار المعلومـات التّـي سـبق أن اطّلـع عليهـا المتلقّـي، وبثّهـا مجـدداً فـي بنيـة

(١) النّصّ والخطاب والإجراء:١٠٥.

(٢) ينظر: الدلالة والنّحو: ٢٣١.

الـنّصّ، يـؤدّي إلـى فقـدان الـنّصّ كفائتـه الإعلاميّـة، ومـن ثُـمّ يفقـد ميـزة التّواصـل الّتـي تُعَـدُّ العصب الرّئيس الّذي يحرّك العلاقة بين الملقي والمتلقّي.

إنَّ وضـوح الـنّصّ يـؤدّي دورًا مهمّـاً فـي الإعلاميّـة؛ إذ يعـدّ مقياسًـا مهمّـاً فـي تحديـد درجـة الإعلاميّـة فـي الـنّصّ، فكلّمـا ارتفـع الوضـوح فـي الـنّصّ قلّـت إعلاميّتـه، وعلـى العكس من ذلك فإنّ السّير بالنّصّ نحو الغموض اليسير يرفع من إعلاميّة النّصّ.

إنَّ لكـلّ نـصٍّ نصـيبًا مـن الإعلاميّـة، تمنحـه القـوّة والقـدرة الكافيـة لتـأثير فـي المتلقّـي. وتعمـل الإعلاميّـة علـى إبـراز قيمـة الـنّصّ "فمهمـا يكـن نصـيب الشّـكل والمحتـوى مـن التّوقـع، فإنَّـه لا مندوحـةَ عـن وجـود بعـض الوقـائع المتغيـرة الّتـي يتعـذّر التّنبـؤ بهـا بحـذافيرها. ومـن المحتمـل أن يـؤدّي ضـعف الإعلاميّـة بوجـهٍ خـاصٍّ إلـى الارتبـاك، وإلـى الملل، بل إلى رفض النّصّ في بعض الأحيان"[١] .

تـرتبط الإعلاميّـة ارتباطًـا وثيقـاً بالمعـايير السّـابقة مـن اتّسـاق وانسـجام؛ إذ إنّ الإعلاميّـة كمعيـارٍ نصّـيّ تتوقـف علـى تضـافر هـذه المعـايير جميعهـا، فـإذا تـمّ إتقـان المعـايير النّصّـيّة السّـابقة، وتضـافرت فـي إخـراج نـصٍّ متماسـك، تبـرز إعلاميّـة الـنّصّ بشـكلٍ يجـذب انتبـاه المتلقّـي، ومـن ثـمّ يحضـى الـنّصّ بمقبوليّـةٍ عاليـة مـن لدنـه؛ لأنّ مقبوليّـة الـنّصّ تتوقـف على ما يحمله النّصّ من إعلاميّة[٢] .

ثانيًا: مستويات الإعلاميّة:

أمَّا مستويات الإعلاميّة الّتي ركّز عليها لسانيو النّصّ، فهي على ثلاثة مستويات:

١- إعلاميّة الدّرجة الأوّلى (المنخفضة):

عنـدما تكـون المعلومـات والأفكـار الّتـي يتضـمّنها الـنّصّ، معروفـةً وواضـحةً ومتوقّعـةً مـن لـدن المتلقّـي، عنـدها تـنخفض الكفـاءة الإعلاميّـة للـنّصّ، فتصـبح المعلومـات الّتـي يرغـب النّـاصّ بإيصـالها أقـلّ تـأثيرًا وإمتاعًـا للمتلقّـي، وهـذا يحـدث عنـدما يلجـأ النّـاصّ إلـى الابتـذال، والأمـور البديهيّـة، فينقـاد الـنّصّ نتيجـة لـذلك إلـى الرّتابـة والملـل، ومـن ثُـمّ يمكـن أن يؤدّي ذلك إلى فقدان أهمّيّة النّصّ، وعدم تقبّله[٣] .

---

(١) مدخل إلى علم لغة النّصّ:٣٣.

(٢) ينظر: مدخل إلى علم لغة النّصّ: ١٨٥، ونظريّة علم النّصّ:٧٠.

(٣) ينظر: مدخل إلى علم اللّغة النّصّيّ: ٩٤ ، والنّصّ والخطاب والإجراء:٢٥٣.

ومثـال هـذه الإعلاميّـة قولنـا: (تشـرق الشّـمس مـن الشّـرق) نجـد أنّ الكفـاءة الإعلاميّـة فـي الـنّصّ منخفضـةٌ؛ كونـه تضـمّن معلومـةً عامّـةً، ومعروفـة مـن قبـل المتلقّـي؛ إذ إنّهـا لـم تحدث تأثيرًا أو دهشةً في ذهن المتلقّي؛ لأنّه أمرٌ طبيعيٌّ وواضحٌ ومتوقّع.

ومـن المفيـد أن نشـير إليـه أنَّ تكـرار المعلومـات ذاتهـا داخـل بنيـة الـنّصّ يـؤدّي إلـى النّفـور مـن الـنّصّ؛ لأنّـه يخفـض درجـة الإعلاميّـة فـي الـنّصّ. علـى أنّ التّكـرار الّـذي هدفـه توكيـد مضـمون مـا فـي سـطح الـنّصّ أو إيضـاحه، لا يُعَـدُّ خلـلًا فـي كفـاءة الـنّصّ الإعلاميّة.

٢- إعلاميّة الدّرجة الثّانية (المتوسطة):

عبّـر بوجرانـد عـن هـذا الضّـرب مـن الإعلاميّـة بأنَّهـا المحتـوى غيـر المحتمـل فـي التّركيـب المحتمـل أو المحتـوى المحتمـل فـي التّركيـب غيـر المحتمـل"[١]. أي عنـدما يتضـمّن الـنّصّ معلومـات وأفكـار تمتـاز بالجـدّة وغيـر متوقّعـة مـن لـدن المتلقّـي. وقـد تتّسـم هـذه المعلومـات بدرجـةٍ مـن الغمـوض يسـتطيع معهـا المتلقّـي فـكّ شـفرات الـنّصّ؛ علـى أنَّ المبالغة المفرطة في غموض النّصّ قد تؤدّي إلى الإضراب عن النّصّ وعدم تقبّله.

وهـذه الإعلاميّـة تتطلّـب مـن متلقّـي الـنّصّ جهـدًا ذهنيّـاً لتنشـيط الأفكـار، ومـن ثـمّ اختيـار البـدائل المناسـبة لتضـيف إمتاعًـا فكريّـاً للمتلقّـي عـن طريـق الـنّصّ، "ولعـلّ وجـود عناصـر واردة مِـن هـذه الدّرجـة الثّانيـة هـو المسـتوى العـادي للاتّصـال بطريـق الـنّصّ حتّـى لـيمكن عندئـذ إعـلاء مرتبـة العناصـر الـواردة مِـنَ الدّرجـة الـدُّنيا كمـا يمكـن خفـض مرتبـة العناصـر الـواردة مِـنَ الدّرجـة العليـا"[٢]. ويظهـر هـذا الضّـرب مـن الإعلاميّـة فـي النّصّـوص الأدبيّـة الشّـعريّة والنّثريّـة، علـى أنّ نصـوص هـذا الضّـرب تكـون الجـدّة فيهـا متوسـطة، وكفيلـة بإثار المتلقّي وإمتاع ذهنه.

٣- إعلاميّة الدّرجة الثّالثة (المرتفعة) :

حـدّها بوجرانـد بقولـه : "المحتـوى غيـر المحتمـل فـي التّركيـب غيـر المحتمـل فمـن شـأنه أن يكون صعب الصّياغة مثيرًا للجدل الحاد"[٣] .

---

(١) النّصّ والخطاب والإجراء:٢٤.

(٢) المصدر نفسه:٢٥.

(٣) النّصّ والخطاب والإجراء:٢٤.

وهذا الضّرب من الإعلاميّة محوجٌ إلى فضلِ تأمّل من المتلقّي؛ لأنّ النّصّوص الّتي تتضمّن إعلاميّةً مرتفعةً تحتاج إلى انتباهٍ وتركيزٍ أكثر لفكّ شفرات النّصّ؛ لأنّ الوقائع الّتي يتضمّنها النّصّ تكون خارج إطار الاحتمالات.

فالإعلاميّة المرتفعة كفيلةٌ بتنشيط ذهن المتلقّي وإمتاعه فكريّاً؛ إذ "إنَّ معالجة الوقائع ذات الاعلاميّة المرتفعة تتطلّب بذل جهد أكثر من الحالة الأخرى، بيد أنَّها أكثر إمتاعًا منها، وينبغي أنّ يلتزم المرء جانب الحيطة والحذر؛ كيلا تنوء قدرة المستقبلين على معالجة المعلومات بالعبء إلى حدّ تعريض الاتّصال للخطر"[١] .

ويفهم ممّا سُطِّر أنَّ هذا المعيار النّصّيّ، يهتمّ بشكلٍ كبيرٍ بالجدّة في المعلومات داخل النّصّ، والقيمة المعرفيّة غير المألوفة الّتي يقدّمها النّصّ للمتلقّي، وعلى قدر زيادة الإعلاميّة في النّصّ يكون اهتمام المتلقّي بالنّصّ، فالنّاصّ يتطلّب منه محاولة جادة لكسر توقّع متلقّي النّصّ، وإضافة الجدّة في العناصر، وصبغ هذه الجدّة بشيءٍ من الغموض الّذي لا يعرض الاتّصال إلى الانهيار. والإعلاميّة كمعيار نصّيّ تختلف من شخصٍ لآخر تبعًا لعمليّة الاستقبال الذّهنيّ الّتي يقوم بها المتلقّي عند تناوله النّصّ[٢] .

ومن المفيد أن نشير إليه أنّ للإيجاز دورًا بارزاً ومهمّاً لرفع الكفاءة الإعلاميّة في نصّ ما[٣]؛ لأنّ الإيجاز في مفهومه العامّ تأدية المعاني الكثير بألفاظٍ قليل[٤]؛ إذ يُحمّل الإيجاز النّصَّ كثيرًا من المعاني، يحسن الوقوف عندها، والتّأمّل في مضمونها. وسمة الإيجاز هذه هي السّمة الغالبة على الأحاديث النّبويّة الشّريفة الّتي هي مدار بحثنا.

فضلاً عن ذلك فإنَّ الأحاديث النّبويّة تتّسم بالأساليب البلاغيّة من تشبيهٍ ومجازٍ وغير ذلك من الأساليب الّتي لها دورٌ في رفع الكفاءة الإعلاميّة للأحاديث النّبويّة.

إنَّ اللّغة النّبويّة المتمثّلة بأحاديثه الشّريفة وحِكَمه البليغة، خيرُ مثالٍ تتجسّد فيه أبعاد الإعلاميّة؛ لأنّ كلامه ﷺ اتّسم بالجدّة وعدم التّوقع. ولا ننسى أنّ معجزة النّبيّ محمّد

(١) مدخل إلى علم لغة النّصّ: ٣٣.

(٢) ينظر: علم لغة النّصّ النّظريّة والتّطبيق:٦٨ ، ينظر: مدخل إلى علم لغة النّصّ: ٣٣.

(٣) ينظر: مهاد في لسانيات النّصّ:١٤٣.

(٤) ينظر: الطّراز المتضمّن لأسرار البلاغة: ٥٤٦

عليه الصّلاة والسّلام معجزةٌ بيانيّةٌ كلاميّةٌ محضة، قد أعجزت فصحاء العرب من مقاومتها بقرائحهم الفذّة، ومن الطّبعيّ أنّ تشكّل الأحاديث النّبويّة بأفكارها ومعانيها تجديدًا عمّا هو مألوفٌ عند العرب، وهذه الجدّة في الأفكار والمعلومات شكّلت نوعًا من الإعلاميّة في النّصّوص.

وعند مطالعة حِكَم النّبيّ الأعظم ﷺ نجد في الحكم الشّريفة مستويات الإعلاميّة الثّلاثة. منها ما يحمل معنى ظاهرًا، غير محوجٍ إلى التّأويل والتّفسير؛ لأنّه نصٌّ يسهل توقّع مضمونه، ومعرفة معناه بشكلٍ يسير، وبذلك تكون الإعلاميّة في الحديث الشّريف من الدّرجة الأوّلى.

ومنه قوله ﷺ : "إذا أكَلَ أحَدُكُم طَعاماً فَلَيَقُل: بِسمِ اللهِ، فَإن نَسِيَ في أوَّلِهِ فَلِيَقُل: بِسمِ اللهِ في أوَّلِهِ وَآخِرِهِ"(١) .

نلحظ في الحديث المبارك أنّه تضمّن إعلاميّة من الدّرجة الأوّلى (منخفضة)؛ إذ إنّ متلقّي الحديث الشّريف يمكنه فكّ شفرات النّصّ عند قراءته دون جهدٍ أو عناء؛ لأنّ المضمون الّذي يحمله النّصّ متوقّعٌ وواضحٌ للجميع، وتتّسم وقائع النّصّ بإمكانية الحدوث والتّوقّع؛ إذ إنّه لا يحتوي على جدّة في المعلومات أو غموض يتطلّب التّأمّل.

فالنّصّ لا يتطلّب عملياتٍ ذهنيّة، أو وقفةً لتأمّل مضمونه؛ إذ يفهمه النّاس بالدّرجة نفسها على اختلاف مستوياتهم الثّقافيّة، وخلفياتهم العلميّة. فقول (بسم الله) عند الأكل معلومةٌ واضحةٌ ومعروفةٌ من لدن المتلقّي.

فضلاً عن ذلك فإنَّ النّصّ يخلو من الصّور البلاغيّة كالتّشبيه أو المجاز وغيرها من الصّور الّتي ترفع الإعلاميّة في النّصّ. فقد جاءت تراكيب النّصّ واضحة ومباشرة، تخلو من تقديم معلومة جديدة، سوى أنّها ترسّخ في ذهن المتلقّي هذا السّلوك الدّينيّ وهو قول (بسم الله) عند بدء الطّعام.

ومن شواهد الإعلاميّة المنخفضة في حِكَم النّبيّ الأعظم، قوله ﷺ: "تَبَسُّمُكَ في وَجهِ أخيكَ صَدَقَةٌ"(٢)

(١) حكم النّبيّ الأعظم: ٧/ ٣٥٢ ، وينظر: سنن التّرمذيّ: ٣/ ٦١٣.
(٢) حكم النّبيّ الأعظم: ٤/ ٤٥٩ ، وينظر: كنز العمال: ٣/ ٤١٠.

فالحـديث الشّـريف ذو إعلاميّـةٍ منخفضـة؛ لأنَّ الفكـرة الّتـي يتضـمّنها الـنّصّ ويقـدّمها للمتلقّـي يسـيرةٌ ومألوفـةٌ مـن لدنـه، فلـم تكـن هنالـك جـدّةً فـي المعلومـات الّتـي يقـدّمها الـنّصّ. أمّـا تركيـب الـنّصّ، فلـم يكـن الـنّصُّ معقداً. بـل جـاء تركيبًـا واضـحًا، يوجّـه معلومـةً أخلاقيّـةً واضحةً ومباشرة.

فعـن طريـق الإعلاميّـة المنخفضـة قـدّم لنـا الـنّصّ مفهومًـا مبسـطًا عـن الأعمـال الصّـالحة وهـو أنّ الأعمـال الصّـالحة الّتـي يقـوم بهـا المسـلم، لا تنحصـر علـى التّصـدّق بـالأموال أو قيـام الصّـلاة فحسـب؛ بـل هنالـك تصـرفات صـغيرة يقـوم بهـا المسـلم فـي حياتـه اليوميّـة كالابتسـامة فـي وجـه أخيـه المسـلم؛ إذ إنّـه يـؤجر عليهـا كغيرهـا مـن الأعمـال الصّـالحة. فمـع كـون الحـديث المبـارك يوسّـع دلالـة ومفهـوم الصّـدقة، لكـن الفكـرة الّتـي يتضـمّنها لـم تكـن غريبـةً أو تحتـاج إلـى تفسـيرٍ أو تأمّـل؛ بـل كانـت مفهومـةً وواضـحةً. فهـذا الارتفاع في الوضوح قدّم لنا إعلاميّة منخفضة[1] .

ومـن الأحاديـث المباركـة مـا تكـون إعلاميّتـه مـن الدّرجـة الثّانيـة (متوسـطة)، أي تكـون الجـدّة والتّوقّـع فـي المعلومـات الّتـي يقـدّمها الـنّصّ متوسـطة، وكافيـة لإثـارة ذهـن المتلقّـي، وشـدّ انتبـاه للـنّصّ أكثـر. ومـن شـواهد هـذا المسـتوى، قولـه ﷺ: "إذا دَعـا أحَـدُكُم فَليَعـزِم فِي الدُّعاءِ، ولا يَقُل: اللَّهُمَّ، إن شِئتَ فَأَعطِني؛ فَإِنَّ اللهَ لا مُستَكرِهَ لَهُ"[2] .

نلحـظ أنَّ الحـديث المبـارك يتضـمّن إعلاميّـةً مـن الدّرجـة الثّانيـة (المتوسـطة)؛ إذ يحتـوي علـى معلومـةٍ وفكـرةٍ لـم تكـن مألوفـةً عنـد المتلقّـي، تمثّلـت بطـرح أسـلوبٍ جديـدٍ فـي الـدّعاء. أي أنّ هنالك جدّةٌ في الفكرة والمعلومات الّتي يطرحها النّصّ.

فالحـديث الشّـريف يقـوّم سـلوك المسـلم عنـد الـدّعاء؛ إذ يحثّـه علـى أن يكـون دعائـه قائمًـا علـى الثّقـة بـالله تعـالى، والتّوكّـل عليـه، والإيمـان بقدرتـه عـزّ وجـلّ، والابتعـاد عـن الـدّعاء الّذي يكون فيه ضعفٌ وارتخاءٌ في طلب الحاجة.

إنَّ "عـزم المسـألة (الشّـدّة فـي طلبهـا) والحـزم مـن غيـر ضـعفٍ فـي الطّلـب ولا تعليـقٍ علـى مشـيئةٍ ونحوهـا وقيـل هـو حسـن الظّـن بـالله تعـالى فـي الإجابـة ومعنـى الحـديث

(١) ينظر: خلق المسلم، محمّد الغزاليّ: ٨.

(٢) حكم النّبيّ الأعظم: ٥/ ٣٦٩ ، وينظر: صحيح مسلم: ٤/ ٢٠٦٣.

استحباب العزم في الطّلب وكراهة التّعليق على المشيئة قال العلماء: سبب كراهته إنَّه لا يتحقّق استعمال المشيئة إلّا في حقّ من يتوجّه عليه الاكراه والله تعالى منزّه عن ذلك وهو معنى قوله صلى الله عليه وسلم في آخر الحديث فإنّه لا مستكره له"[1] .

فإعلاميّة النّصّ ارتفعت؛ لأنّ النّصّ يتطلّب من المتلقّي بذل جهدٍ ذهنيٍّ لتأمّل مغزى الكلام، والوقوف على معناه؛ إذ جاء الحديث بفكرةٍ جديدةٍ في أدب الدّعاء مع الله عزّ وجلّ، وتقويم سلوك المسلم عند الدّعاء وطلب الحاجة. وكسر النّمط المعروف في الدّعاء. وهذه الجدّة، وكسر المتوقّع رفعت مستوى الإعلامية في النّصّ.

ومما ورد في حِكَم النّبيّ من شواهدَ ذات إعلاميّة متوسطة، قوله ﷺ: "وجَدْتُ الحَسَنةَ نُوراً في القَلبِ، وزَيْناً في الوَجْهِ، وقُوّةً في العَملِ. ووَجَدتُ الخَطيئةَ سَواداً في القَلبِ، ووَهْناً في العَملِ، وشَيْناً في الوَجْهِ"[2] .

نلحظ أنَّ إعلاميّة الحديث هي من الدّرجة المتوسطة (الثّانية). فقد خرج الحديث عن المألوف وكسر النّمط المتوقّع، عن طريق جمعه بين السّلوك الباطن للإنسان المتمثّل بالحسنة و والخطيئة، وبين الأثر الّذي يتركه ذلك السّلوك المتمثّل بالنّور والسّواد.

وهذا الخروج عن المألوف والجدّة في المعلومات رفع مستوى الإعلاميّة داخل النّصّ. كما أنّ رفع الإعلاميّة لم يقتصر على المعلومات الجديد فحسب؛ بل أنَّ التّركيب البيانيّ وتنوّعه أسهم في رفع درجة الإعلاميّة.

وكلّ ذلك خلق دهشةً عند المتلقّي، وإمتاعًا لذهنه، عن طريق حثّه على تأمّل النّصّ وما يحتويه من معنى يدور حول السّلوك الظّاهر والسّلوك الباطن وعلاقتهما بالأخلاق.

ومن الأحاديث النّبويّة الشّريفة ما يكون فيها مستوى الإعلاميّة من الدّرجة الثّالثة، وهذه الدّرجة غالبًا ما تظهر في النّصوص الّتي تتّسم بكثافة الأساليب البلاغيّة من إيجازٍ، وتشبيهٍ، ومجازٍ، أو وجود عنصر المفاجأة في النّصّ، وغير ذلك من السّمات الّتي ترفع إعلاميّة النّصّ. ومن شواهد هذا المستوى قوله ﷺ: "إنَّ هذَا الدِّينَ مَتينَ فَأَوغِلوا فيهِ بِرِفقٍ، ولا تُكَرِّهوا عِبادَةَ للهِ إلى عِبادِ اللهِ، فَتَكونوا كَالرَاكِبِ المُنبَتُ الَّذي لا سَفَراً قَطَعَ ولا ظَهراً أبقى"[3] .

---

(١) شرح صحيح مسلم، النّوويّ: ١٧/ ٧.

(٢) حكم النّبيّ الأعظم: ٤/ ٣٨٧ ، وينظر: كنز العمال: ١٦/ ١١٠.

(٣) حكم النّبيّ الأعظم: ٤/ ٢٤٢ ، وينظر: الكافي: ٢/ ٨٦.

فالحـديث المبـارك يقـع ضـمن المسـتوى الثّالـث مـن مسـتويات الإعلاميّـة؛ إذ تضّـمن صـورةً غيـرَ مألوفـةٍ، تـربط بـين الرّفـق بالـدّين ومـنهج الـدّين، وقـرن ذلـك الـرّبط بالتّشـبيه كالرّاكـب المُنبـت، فهـذه اسـتعارةٌ عاليـة البلاغـة. فالمُنبـت "هـو الّـذي يغـذّ السّـير، ويكـدّ الظّهـر، منقطعـاً مـن رفقتـه، و منفـرداً عـن صـحابته، فتَحْسُـرُ مطيّتـه، ولا يقطـع شـقّته، وهـذا مـن أحسـن التّمثـيلات، وأوقـع التّشـبيهات"[١]. فهـذا التّشـبيه البليـغ مـنح الـنّصّ جـدّةً مبتكـرةً عن طريق الجمع بين الجانب الدّيني والجانب الحسّيّ الملموس.

ووصـف الـدّين بالمتانـة مجـازٌ "والمـراد أنَّـه صـعبُ الظّهـر، شـديدُ الأسـر، مـأخوذٌ مـن مـتن الإنسـان: وهـو مـا اشـتدّ مـن لحـم منكبيـه. وإنّمـا وصـفه ﷺ بـذلك لمشـقة القيـام بشـرائطه، والأداء لوظائفـه"[٢]. فالمجـاز الّـذي ورد فـي الـنّصّ أسـهم فـي رفـع مسـتوى الإعلاميّـة؛ لأنّـه يُعَـدّ مـن جملـة السّـمات الّتـي ترفـع إعلاميّـة النّصّـوص؛ إذ "يمكـن للمجازات الأصيلة أن تكون عناصرًا من المرتبة الثّالثة"[٣] .

إنَّ فهـم الصّـورة الحسّـيّة وعلاقتهـا بالإيغـال بالـدّين، تتطلّـب جهـدًا ذهنيّـاً مـن المتلقّـي لفهـم الحـديث وتأويـل معنـاه. فالإيغـال هـو "السّـير السّـريع...والإمعـان فـي السّـير"[٤]، ولكـن معـرِض الحـديث لـيس عـن السّـير وإنّمـا الـدّين. فهـذه المفارقـة بـين المعنـى الحرفـيّ، والمعنـى المجـازيّ فـي الحـديث تحفّـز ذهـن المتلقّـي لتأمّـل الحـديث، وفـكّ شـفراته، والوقـوف علـى معنـاه، "ومـن هنـا يُظهـر المجـاز الأصـليّ مفارقـة قابلـة للحـلّ بـين المعلومـات الّتـي فـي الـنّصّ المعـروض والمعلومـات المختزنـة فـي وقـتٍ سـابق. ولا توجـد حاجـة إلـى تعبيـر حرفيّ معين يصل إلى نفس النّتيجة الّتي يصل إليها المجاز"[٥] .

إنَّ عنصـر المفاجـأة يسـهم فـي رفـع إعلاميّـة الـنّصّ عـن طريـق طـرح معلومـاتٍ وأفكـارٍ داخـل بنيـة الـنّصّ، لـم يكـن لأحـدٍ قـد عرضـها مـن قبـل، وهـذا يمثّـل إمتاعًـا للمتلقّـي عـن طريق تنشيط ذهنه وشدّه إلى النّصّ[٦] .

---

(١) المجازات النّبويّة:٢٤٤.

(٢) المصدر نفسه:٢٤٤.

(٣) النّصّ والخطاب والإجراء: ٢٥٨.

(٤) لسان العرب: ١٥/ ٣٥٢ (وغل) .

(٥) النّصّ والخطاب والإجراء: ٢٥٩.

(٦) ينظر: النّثر الصّوفيّ دراسة في لسانيّات النّصّ: ٢٢٨.

فمثـال علـى ذلـك، قولـه ﷺ: "النّـاس مَعـادِنُ؛ خِيـارُهُم فـي الجاهِلِيّـةِ خِيـارُهُم فـي الإسـلامِ إذا فَقِهـوا"(١). يقـع هـذا الحـديث ضـمن مسـتوى الإعلاميّـة الثّالـث الإعلاميّـة المرتفعة. وهذا الحديث من جملة الأحاديث الّتي لم يُسبق إليها الرّسول الأعظم(٢) .

قـدّم الـنّصُّ جـدّةً فـي المعنـى، فالنّـاس داخـل المجتمـع ليسـوا علـى قيمـة واحـدة، فهـم مختلفـون تمامـاً كـاختلاف قيمـة المعـادن. وتمثّلـت هـذه الجـدّة بـالطّرح الجديـد عـن طبيعـة الإنسـان، ومثّلـت جـدّة فـي المفـاهيم الاجتماعيّـة والفكـر الإنسـانيّ فـي زمـن الرّسـول ﷺ. ممّـا مـنح الـنّصّ عمقًـا ذا مسـتوى عـالٍ مـن المعرفـة، قـادرًا علـى تغييـر مفهومًـا اجتماعيّـاً سـائدًا داخـل المجتمـع العربـي آنـذاك، القـائم علـى العصـبيّة القبليّـة. فالتّفاضـل يكـون بـالعلم والتّفقّه بالدّين لا بالحسب والنسب.

رمـز الرّسـول الكـريم ﷺ إلـى حسـن الخلـق بالمعـدن الثّمـين، وهـذا التّرميـز نقلـةٌ بلاغيّـةٌ مبتكـرةٌ، شـكّلت مفاجـأةً للمتلقّـي، وعـدم توقّـع، وأسـهمت فـي رفـع إعلاميّـة الـنّصّ. وهـذا التّرميـز تحقّـق عـن طريـق الاسـتعارة؛ إذ شـبّه الرّسـول ﷺ "النّـاس بالمعـادن الّتـي تكـون فـي قـرارات الأرض، فـلا يحكـم علـى ظواهرهـا حتّـى يسـتخرج دفائنهـا...فيكـون منهـا اللُّجَـيْن والنُّضَـــار، ويكـــون منهـــا الـــنّفط والقـــار، فكـــذلك النّـــاس لا يجـــب أن يحكـــم علـــى مجـاليهم...حتّـى يخبـروا ويعرفـوا...فيخـرج البحـثُ جـواهرَهم، ويمحّـص الامتحـانُ مخـابرَهم، فيتبيّن حينئذٍ كرم النحائز، وطيب الغرائز، وتكشف منهم الطّرائق، ولئيم الخلائق"(٣) .

فكثافـة هـذه المعـاني، مـع قصـر الحـديث، واسـتعماله الرمـز، وإمتـاع ذهـن المتلقّـي، منحـت الـنّصّ مسـتوى عـالٍ مـن الإعلاميّـة. كانـت كفيلـة بإثـارة ذهـن المتلقّـي وإمتاعـه بالمعلومات والأفكار الجديدة.

ومـن جملـة الأحاديـث الّتـي احتـوت علـى إعلاميّـة عاليـة، قولـه ﷺ: "الـدُّنيا سِـجنُ المُؤْمِنِ، وجَنَّةُ الكافِرِ"(٤) .

---

(١) حكم النّبيّ الأعظم: ١/ ١٢٩ ، وينظر: صحيح البخاريّ: ٣/ ١٢٣٨.

(٢) ينظر: الشّفا بتعريف حقوق المصطفى :١٢١-١٢٣.

(٣) المجازات النّبويّة:١٣٦.

(٤) حكم النّبيّ الأعظم: ٣/ ٣٢٨ ، وينظر: من لا يحضره الفقيه: ٤/ ٣٦٣.

يقـع الحـديث ضـمن مسـتوى الإعلاميّـة العاليـة؛ إذ قـدّم معلومـة لـم يكـن المتلقّـي قـد اطّلـع عليهـا مسـبقاً، فقـد شـبّه الـدّنيا للمـؤمن بالسّـجن، وهـذه اسـتعارة، فـالمؤمن فـي الـدّنيا "قصّـر فيهـا خطـوه عـن اللّـذات، وكـبح لجامـه عـن الشّـهوات، وحصـر نفسـه عـن التّسـرّع إلـى مـا تـدعو إليـه الـدّواعي المخزيـة...وكـان...خائفـاً خـوف الجـاني المرعـوب، والطّريـد المطلوب"[1] .

وتشـبيه الـدّنيا بالجنّـة للكـافر مـن بـاب المجـاز أيضًـا. فالكـافر "مـن حيـث اسـتوعب فيهـا شـهواته، واسـتفرغ لذاتـه، وقضـى فيهـا الأوطـار، وتعجّـل المسـار، واسـتهواه عاجـل حطامهـا، وريّـق جمامهـا، فنسـي العاقبـة، واسـتهان بالمغبّـة، فكـان ميّـت الأحيـاء، كمـا كـان المـؤمن حيّ الأموات"[2] .

فقـد شـكّلت هـذه المعلومـات الجديـدة دهشـةً فـي ذهـن المتلقّـي، وإمتاعًـا لـه. وجـاءت علـى عكـس مـا هـو متوقّـعٌ. فصـوّرت الـدّنيا سـجنًا للمـؤمن الصّـالح، وجنّـةً مُترفـةً للكـافر الطّالح.

هـذا ظـاهر الحـديث، وأمّـا باطنـه، فإنّـه يمثّـل دلالـة مغـايرة لمـا هـو ظـاهر، فالـدّنيا مـع اتّسـاعها إلّا أنّهـا سـجن مؤقّـت للمـؤمن مقارنـة بـدار النّعـيم الّتـي هـي بانتظـاره، لا حـدود لهـا، ولا يخـرج منهـا أبـدًا. كـذلك هـي جنّـة مؤقّتـة مـع الكـافر وإن كانـت جنّـة؛ لكنهـا مؤقتـة مقارنـة بمـا ينتظـره مـن عـذاب سـرمديّ[3]. فقـد أسـهم هـذا التّحـوّل الـدّلاليّ برفـع إعلاميّـة الـنّصّ. فضـلاً عـن المقابلـة سـجن المـؤمن، جنّـة الكـافر الّتـي أسـهمت أيضًـا برفـع مسـتوى الإعلاميّة، محقّقة اقتصادًا لغويّاً في سطح النّصّ.

ومـن الأحاديـث المباركـة الّتـي تضـمّنت إعلاميّـة مـن المسـتوى الثّالـث، قولـه ﷺ: "لا تَكونـوا مِمَّـن خَدَعَتـهُ العاجِلَـةُ، وغَرَّتـهُ الأُمنِيَّـةُ، فَاسـتَهوَتهُ الخُدعَـةُ، فَـرَكَنَ إلـى دارٍ سَـوءٍ سَـريعَةِ الـزَّوالِ، وَشـيكَةِ الإنتِقـالِ. إنَّـهُ لَـم يَبْـقَ مِـن دُنيـاكُم هَـذِهِ فـي جَنـبٍ مـا مَضـى إلّا كَإناخَةِ راكِبٍ، أو صَرِّ حالِبٍ، فَعَلامَ تَعرُجونَ، وماذا تَنتَظِرونَ"[4] .

---

(١) المجازات النّبويّة:٧١-٧٢.

(٢) المصدر نفسه:٧٢ .

(٣) ينظر: الكوكب الوهّاج والرّوض البهّاج: ٢٦/ ٣٢٧-٣٢٨.

(٤) حكم النّبيّ الأعظم: ٣/ ٣٣٣ ، وينظر: بحار الأنوار: ٧٧/ ١٨٣.

فالحديث يقع ضمن المستوى الثّالث من الإعلاميّة الإعلاميّة العالية، فهو يقدّم أفكارًا جوهريّةً جديدةً، وهذه الأفكار لم تقع ضمن دائرة توقعات المتلقّي؛ لذا أسهمت هذه الأفكار والمعلومات في رفع إعلاميّة النّصّ.

كما أنّ النّصّ يقدّم تشبيهات تتّسم بالجدّة والابتكار، أسهمت برفع إعلاميّته ، وهي (دار سريعة الزّوال، استهوته الخدعة، إناخة راكب صرّ حالب)، فقد "شبّه وُضوح الأمر في الآخرة وتحقيق الحال فيها، بشيءٍ كان مُغَطًّى فكُشِف قناعُه، فظهر حالُه، وبانَ أمرُه، واتّضحت حقيقتُه"(١). فهذا التّشبيه الحيّ الّذي استدعاه الرّسول ﷺ من رحم البيئة العربيّة، كان له أثرٌ بَصَريٌّ في المتلقّي، ومثّل ابتكارًا بلاغيّاً، أسهم إسهامًا فعّالاً في رفع إعلاميّة النّصّ.

إنَّ هذه التّراكيب التّشبيهيّة المبتكرة جعلت المعاني كثيفةً في النّصّ، وشدّت ذهن المتلقّي للتفاعل مع النّصّ عن طريق تأمّل المعنى المضمر وراء هذا التّشبيه، فالمعنى المحوريّ للنّصّ يدور حول "ذم انبساط الأمل ونسيان الأجل"(٢)، عن طريق تنبيه المسلم من غرور الدّنيا، وسرعة زوالها.

بعد عرض شواهد من حِكَم النّبيّ الأعظم ﷺ يتّضح لنا أنّ معيار الإعلاميّة عنصرٌ أساسيٌّ وفعّالٌ في بناء النّصوص؛ لأنّها تدلّ على قيمة النّصّ من حيث احتوائه على عنصر الجدّة والابتكار وعدم التّوقّع. فالإعلاميّة هي من توجّه النّاصّ نحو استعمال تراكيبَ ومعانٍ تتّسم بالجدّة والابتكار؛ كي يشدّ عن طريق الجدّة والابتكار ذهن المتلقّي للنّصّ، بالتّضافر مع المعايير السّابقة الاتّساق، الانسجام، المقاميّة...؛ إذ تتضافر هذه العناصر فيما بينها لإيضاح المعنى الحقيقيّ الّذي يروم النّاصّ إيصاله عن طريق النّصّ، عبر كسر توقعات المتلقّي وجعل المألوف غريبًا، ممّا يؤدّي ذلك إلى رفع إعلاميّة النّصّ ودرجة الإبداع، ويخرج بالنّصّ من عالم الألفة إلى عالم الدّهشة(٣).

---

(١) الطّراز المتضمّن لأسرار البلاغة: ١٥٦.

(٢) الفتوحات المكّيّة، ابن عربيّ: ٤/ ٥٤٣.

(٣) ينظر: النّثر الصّوفيّ دراسة في لسانيّات النّصّ:٢٢٩.

الخاتِمة

الخاتِمة ونتائج البحث

الحمدُ للهِ الّذي هدانا لهذا وما كنّا لنهتدي لولا أن هدانا الله، والصّلاة والسّلام على نبينا الأمين وعلى آلهِ وصحبهِ المنتجبين ومن اتّبعهم إلى يوم الدّين.

بعد رحلةٍ طويلةٍ في رحاب اللّغة النّبويّة وحِكَمه المباركة، لزم الأمر أن أوجز أبرز النّتائج الّتي توصّلت إليها الدّراسة، وأهمّها:

١. إنَّ لغة الرّسول (ﷺ) مثّلت اللّغة العُلا في الكلام بعد كلام الله عزّ وجلّ، فقد جاءت على بناءٍ مُحكمٍ ومتجانسٍ، تتآلف فيه الأفكار مع الألفاظ، وتتجانس فيه المعاني مع الإيقاع.
٢. أثبتت الدّراسة أنَّ اللّغة النّبويّة هي انعكاسٌ للغة القرآن الكريم؛ إذ يقتبس الرّسول المعاني القرآنيّة؛ ليعيد إنتاجها بأساليب جديدة تتّسم بالجدّة والإيجاز، محافظًا على المعنى القرآنيّ ذاته، وعلى جزالة اللّفظة القرآنيّة وفصاحتها.
٣. أثبتت الدّراسة أنَّ لغة الرّسول ﷺ اتّسمت بالفصاحة والبلاغة والإيجاز، والدّقة في التّعبير، وجدّة المعاني والتّراكيب وأصالتهما.
٤. توصّلت الدّراسة إلى أنَّ اللّغة النّبويّة تحمل ثراءً لغويًّا قلّ نظيره في كلام البشر، وما هذا إلّا نتاج تأثّره بلغة القرآن الكريم.
٥. بيّنت الدّراسة أنَّ الألفاظ الّتي يستعملها الرّسول ﷺ هي ألفاظٌ عذبةٌ، سهلةٌ لطيفةٌ، تخلو من التّكلّف، مساويةٌ للمعنى، ملائمةٌ لمقام الحال، تصل السّامع من دون كدرٍ أو عي.
٦. بيّنت الدّراسة أنَّ انسجام النّصّوص القرآنيّة داخل الحديث الشّريف يكشف لنا عمق بلاغته، ومقدرته اللّغويّة على توظيف النّصّ القرآنيّ في تضاعيف حديثه ﷺ .
٧. بيّنت الدّراسة أنَّ الوسائل النّصّيّة الّتي استعملها الرّسول (ﷺ) أسهمت إسهامًا كبيراً في تماسك النّصّوص وانسجامها؛ إذ حقّقت تلك الوسائل استمراريّةً للنّصّوص، وقبولًا لدى المتلقّي.

٨. كشفت الدّراسة عن المعاني والدّلالات المشتركة بين الحديث النّبويّ الشّريف والكتب السّماويّة (التّوراة والإنجيل)، وبيّنت أنّ اشتراك المعاني وتقاطعها هو من باب الاشتراك بالمصدر الإلهيّ نفسه، على أنَّ هذه المعاني تخرج من دائرة الاقتباس النّصّيّ المباشر إلى دائرة التّناصّ الدّلاليّ الضّمنيّ (تقاطع المعاني).

٩. بيّنت الدّراسة أنَّ استعمال الرّسول المعاني المجازيّة، والتّشبيهات المبتكرة، والأفكار البليغة، أسهم برفع إعلاميّة النّصوص، ومثّل هذا الاستعمال امتاعًا لأذهان المتلقّين.

١٠. كشفت الدّراسة عن المعاني والدّلالات الّتي حملتها أبنية الأفعال المجرّدة والمزيدة الواردة في تضاعيف حديثه (ﷺ).

١١. استعمل الرّسول (ﷺ) أبنية الأسماء المجرّدة والمزيدة، وكان استعماله لتلك الأبنية لا يخرج عمّا أُشتهر استعماله على لسان العرب.

١٢. استعمل الرّسول (ﷺ) المشتقّات جميعها استعمالًا رائعاً ملائماً للسياق الذي يتحدّث عنه، وهذا يُنبئ عن المقدرة اللّغويّة البارعة للرّسول ﷺ .

١٣. بيّنت الدّراسة أنّ الرّسول (ﷺ) قد استعمل أنماطًا وتراكيبَ متنوّعةً من الجمل الخبريّة والطّلبيّة في حديثه المبارك.

١٤. كشفت الدّراسة أنَّ الرّسول (ﷺ) قد استعمل عباراتٍ قسميّة، ارتبطت بأسلوبه اللّغويّ، فلم تستعمل هذه العبارات قبله ولا بعده (ﷺ)؛ إذ مثّلت تلك العبارات ميزةً لغويّةً في حديثه (ﷺ) .

١٥. بيّنت الدّراسة أَنَّ ما قعّده النّحويّون من قواعد نحويّة، وما ذكره النّقّاد اللّغويّون من تصويبات لغويّة جاءت في أغلبها موافقةً لما ورد في كلام الرّسول الكريم ﷺ .

١٦. أثبتت الدّراسة أنَّ أسلوب الشّرط في الحديث النّبويّ الشّريف مثّل أسلوبًا لغويًّا بارزًا، استعمله الرّسول (ﷺ) لتوجيه تعاليم الدّين الإسلاميّ وأهدافه.

١٧. سجّل أسلوب التّوكيد في الحديث النّبويّ الشّريف حضورًا بارزًا، فقد تنوّعت أدواته ووسائله بتنوّع الجمل الّتي استعمل فيها.

١٨.كشفت الدّراسة أنَّ النّهي الموجّه إلى الجماعة هو الغالب على أنماط النّهي في الحديث النّبويّ الشّريف؛ إذ إنَّ الغاية منه التّعميم.

١٩.بيّنت الدّراسة إلى أنّ أسلوبي التّمنّي والتّرجّي والإغراء والتّحضيض أقلُّ الأساليب الطّلبيّة حضورًا في الحديث النّبويّ الشّريف.

وآخرُ دعْوَانا أنِ الحمدُ للهِ ربّ العالمين

ثبت المصادر والمراجع

المصادر والمراجع

- **القرآن الكريم.**

أوّلًا: الكتب المطبوعة:

- أبحاث صرفيّة، خديجة زبار الحمدانيّ، ط١، دار صفاء للنّشر والتّوريع، عمان، ١٤٣١هـ-٢٠١٠م.
- أبنية الصّرف في كتاب سيبويه، خديجة الحديثيّ، ط١، مكتبة النهضة، بغداد، ١٣٨٥م-١٩٦٥
- الإتقان في علوم القرآن، عبد الرّحمن بن أبي بكر جلال الدّين السّيوطّي (٩١١هـ)، تحـ محمّد أبو الفضل إبراهيم، الهيئة المصريّة العامّة للكتّاب، القاهرة، ١٣٩٤هـ-١٩٧٤م.
- الإحالة في نحو النّصّ، أحمد عفيفيّ، كتاب الكترونيّ، www.kotobarabia.com
- أدب الكاتب، أبو محمّد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدّينوريّ (٢٧٦هـ)، تحـ عليّ ناعور، ط١، دار الكتب العلميّة، بيروت- لبنان، ١٤٠٨هـ، ١٩٨٨م.
- أدوات النّصّ، محمّد تحريشيّ، منشورات اتحاد الكتّاب العرب، ١٤٢١هـ-٢٠٠٠م.
- ارتشاف الضّرب من لسان العرب، محمّد بن يوسف الشّهير بأبي حيّان الأندلسيّ (٧٤٥هـ)، تحـ رجب عثمان محمّد مراجعة رمضان عبد التّواب، ط١، مكتبة الخانجي، القاهرة، ١٤١٨هـ- ١٩٩٨م.
- إرشاد القلوب، الحسن بن محمّد الدّيلميّ من علماء القرن الثّامن الهجريّ، ط٢، دار الشّريف الرّضي، إيران، ١٤١٣هـ - ١٣٧٤ش.
- أساس البلاغة، أبو القاسم جارالله محمود بن عمر بن أحمد الزّمخشريّ(٥٣٨هـ)، تحـ محمّد باسل عيون السّود، ط١، دار الكتب العلميّة، بيروت- لبنان، ١٤١٩هـ-١٩٩٨م.
- الأساليب الإنشائيّة في النّحو العربيّ، عبد السّلام محمّد هارون، ط٢، مكتبة الخانجي، القاهرة، ١٣٩٩هـ- ١٩٧٩م.
- أساليب الطّلب عند النّحويّين والبلاغيّين، قيس إسماعيل الأوسيّ، دار الحكمة، بغداد، ١٩٨٨م.

- استراتيجيات الخطاب مقاربة لغويّة تداوليّة، عبد الهادي بن ظافر الشّهريّ، ط١، دار الكتاب الجديد، بيروت- لبنان، ٢٠٠٤م.
- أسرار البلاغة، أبو بكر عبد القاهر عبد الرحمن بن محمد الجرجانيّ (٤٧١هـ)، تحـ محمود محمّد شاكر، مطبعة المدنيّ، القاهرة، د.ت.
- أسرار العربيّة، أبو البركات عبد الرّحمن بن محمّد بن أبي سعيد الأنباريّ (٥٧٧هـ)، تحـ محمّد بهجت البيطار، المجمع العلميّ العربيّ بدمشق، دمشق، د.ت.
- إشكاليات النّصّ دراسة لسانيّة نصّيّة، جمعان عبدالكريم، ط١، الدّار البيضاء، بيروت، ٢٠٠٩م.
- إصلاح المنطق، أبو يوسف يعقوب بن إسحق السّكيت(٢٤٤هـ)، تحـ عبد السّلام محمّد هارون و أحمد محمّد شاكر، دار المعارف، مصر، ١٩٥٦م.
- أصول تحليل الخطاب في النّظريّة النّحويّة العربيّة، محمّد الشّاوش، ط١، المؤسسة العربيّة للتّوزيع، تونس، ١٤٢١هـ- ٢٠٠١م.
- الأصول دراسة إبستيمولوجيّة للفكر اللّغويّ عند العرب (النّحو- الفقه- البلاغة)، تمّام حسّان، عالم الكتب العلميّة، القاهرة، ١٤٢٠هـ- ٢٠٠٠م.
- الأصول في النّحو، أبو بكر محمّد بن سهل بن السّرّاج النّحويّ البغداديّ (٣١٦هـ)، تحـ عبد الحسين الفتليّ، ط٣، مؤسسة الرّسالة، بيروت، ١٤١٧هـ- ١٩٩٦م.
- إعجاز القرآن والبلاغة النّبويّة، مصطفى صادق الرّافعيّ، ط٩، دار الكتاب العربيّ، بيروت- لبنان، ١٣٩٣هـ- ١٩٧٣م.
- الأعمال المانعة من دخول الجنّة، محسن عقيل، ط١، دار المحجّة البيضاء، ٢٠٠٦م.
- الأمالي، أبو القاسم عليّ بن الحسين بن موسى بن محمّد الموسويّ المعروف بالشّريف المرتضى (٤٣٦هـ)، تحـ السّيد محمّد بدر الدّين النّعسانيّ الحلبيّ، ط١، منشورات مكتبة آية الله العظمى المرعشيّ النّجفيّ، ١٣٢٥ هـ - ١٩٠٧م.
- الأمالي، أبو عبدالله محمّد بن محمّد النّعمان بن عبد السّلام العكبريّ البغداديّ المعروف بالشّيخ المفيد (٤١٣هـ)، تحـ عليّ أكبر الغفاريّ وحسين الأستاذ ولي، ط٢، دار المفيد للطّباعة والنّشر، بيروت- لبنان، ١٤١٤هـ - ١٩٩٣م.
- الإنجيل المقدّس، التّرجمة العربيّة المشتركة من اللّغة الأصليّة، دار الكتاب المقدّس في الشّرق الأوسط، بيروت-لبنان، ١٩٩٧م.

- الإنصاف في مسائل الخلاف بين النّحويّين البصريّين والكوفيّين، أبو البركات عبد الرحمن بن محمّد بن أبي سعيد الأنباريّ (٥٧٧هـ)، تحـ محمّد محيي الدّين عبد الحميد، ط١، المكتبة العصريّة، ١٤٢٤هـ- ٢٠٠٣م.
- أوزان الأفعال ومعانيها، هاشم طه شلاش، مطبعة الآداب، النّجف الأشرف، ١٩٧١م.
- أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك، أبو محمّد عبد الله جمال الدّين بن يوسف بن أحمد بن عبدالله بن هشام الأنصاريّ(٧٦١هـ)، تحـ محمّد محيي الدّين عبد الحميد، المكتبة العصريّة، بيروت، د.ت.
- الإيضاح في علوم البلاغة، محمّد بن عبد الرّحمن بن عمر المعروف بالخطيب القزوينيّ (٧٣٩هـ)، تحـ محمّد عبد المنعم خفاجيّ، ط٦، دار الكتاب اللّبنانيّ، بيروت لبنان، ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م.
- الإيقاع في شعر الحداثة، محمّد سالمان ،ط١، دار العلم والإيمان للنّشر والتّوزيع، كفر الشّيخ-مصر، ٢٠٠٨م.
- بحار الأنوار، العلّامة أبو عبدالله محمّد بن باقر المجلسيّ (١١١١هـ)، تحـ يحيى العابديّ، ط٢، مؤسسة الوفاء، بيروت- لبنان، ١٤٠٣هـ -١٩٨٣م.
- البحر المحيط في التّفسير، محمّد بن يوسف الشّهير بأبيّ حيّان الأندلسيّ (٧٤٥هـ)، تحـ جميل صدقي محمّد، ط١، دار الفكر، بيروت- لبنان، ١٤٢٠هـ.
- البديع بين البلاغة العربيّة واللّسانيّات النّصّيّة، جميل عبد المجيد، الهيئة المصريّة العامّة للكتاب، ١٩٩٨م.
- البديع تأصيل وتجديد، منير سلطان، منشأة المعارف، الإسكندريّة- مصر، ١٩٨٦م.
- البرهان في علوم القرآن، أبو عبد الله بدر الدّين محمّد بن عبد الله الزّركشيّ (٧٩٤هـ)، تحـ محمّد أبو الفضل إبراهيم، ط١، دار إحياء الكتب العربيّة، ١٣٧٦هـ- ١٩٥٧م.
- بشارة المصطفى لشيعة المرتضى، محمّد بن أبي القاسم الطّبريّ (٥٢٥هـ)، تحـ جواد القيوميّ الأصفهانيّ، ط١، مؤسسة النشر الإسلاميّ، قم- إيران، ١٤٢٠هـ.
- البلاغة العربيّة أسسها وعلومها وفنونها، عبد الرحمن حسن جنّكة الميدانيّ، ط١، دار القلم، بيروت- لبنان، ١٤١٦هـ- ١٩٩٦م.

- البلاغة في السّنّة النّبويّة دراسة تحليليّة في الحديث النّبويّ، عزّة محمّد جدّوع، ط١، مكتبة الرّشيد، المملكة العربيّة السّعوديّة- الرّياض، ١٤٣٤هـ - ٢٠١٣م.
- البلاغة النّبويّة، محمّد رجب البيوميّ، ط٢، الدّار المصريّة اللّبنانيّة، ١٤٢٩هـ - ٢٠٠٨م.
- البلد الأمين والدّرع الحصين، الشّيخ إبراهيم بن عليّ بن حسن الكفعميّ (٩٠٥هـ)، مكتبة الصّدوق، طهران- إيران، ١٣٨٣هـ.
- بناء الجملة العربيّة، محمّد حماسة عبد اللّطيف، دار غريب للطّباعة والنّشر، القاهرة، ٢٠٠٣م.
- البناء اللّغويّ للشعر العربيّ الأصمعيّات نموذجًا، عصام كاظم الغالبيّ، ط١، دار الرّضوان للنّشر والتّوزيع، عمان- الأردن، ١٤٣٧هـ - ٢٠١٦م.
- بيان إعجاز القرآن، أبو سليمان حمد بن محمّد بن إبراهيم بن الخطاب المعروف بالخطابيّ (٣٨٨هـ)، تحـ محمّد زغلول سلام ومحمّد خلف الله، ط٣، دار المعارف، مصر، ١٩٧٦م.
- بيان السّعادة في مقامات العبادة، سلطان محمّد الجنابذيّ (سلطان عليّ شاه) (١٣٢٧هـ)، ط٢، مؤسسة الأعلميّ للمطبوعات، بيروت- لبنان، ١٤٠٨هـ.
- البيان المحمّديّ، مصطفى الشّكعة، الدّار المصريّة اللّبنانيّة، د.ت.
- البيان النّبويّ سمات ونصوص، عدنان زرزور، ط٤، دار الفاتح، ١٤٤٤هـ - ٢٠٢٣م.
- البيان والتّبيين، أبو عمر بن بحر بن محبوب المشهور بالجاحظ (٢٥٥هـ)، دار ومكتبة الهلال، بيروت - لبنان، ١٤٢٣هـ.
- تاج العروس من جواهر القاموس، محمّد مرتضى الحسينيّ الزّبيديّ، تحـ جماعة من المختصّين، المجلس الوطنيّ للثقافة والآداب، الكويت، ٢٠٠١م.
- تاريخ بغداد، أبو بكر أحمد بن عليّ بن ثابت المعروف بالخطيب البغداديّ (٤٦٣هـ)، تحـ مصطفى عبد القادر عطا، ط١، دار الكتب العلميّة، بيروت- لبنان، ١٤١٧هـ - ١٩٩٧م.
- التّبصرة والتّذكرة، أبو محمّد عبدالله بن عليّ بن إسحاق الصّيمريّ (من نحاة القرن الرّابع)، تحـ فتحي أحمد مصطفى عليّ الدّين، ط١، دار الفكر، دمشق، ١٤٠٢هـ - ١٩٨٢م.

- التّبيان في تفسير القرآن، شيخ الطّائفة أبو جعفر محمّد بن الحسن الطّوسيّ(٤٦٠هـ)، تحـ أحمد حبيب قيصر العامليّ، ط١، دار إحياء التّراث العربيّ، مكتبة الإعلام الإسلاميّ، ١٤٠٩هـ.
- تحف العقول عن آل الرّسول، ابن شعبة الحرانيّ من علماء القرن الرابع، تحـ عليّ أكبر غفاريّ، ط٢، مؤسسة النّشر الإسلاميّ، قم – إيران، ١٤٠٤هـ – ١٣٦٣ش.
- تحليل الخطاب، براون و يول، ترجمة منير التّريكيّ ومحمّد لطفي الزليطيّ، النّشر العلميّ والمطابع في جامعة الملك سعود، الرّياض– المملكة العربيّة السعوديّة، ١٤١٨هـ – ١٩٩٧م.
- تحليل الخطاب الشّعريّ (استراتيجية التّناصّ)، محمّد مفتاح، ط٣، المركز الثّقافيّ العربيّ، الدّار البيضاء، ١٩٩٢م.
- تحليل النّصّ دراسة الرّوابط النّصّيّة في ضوء علم اللّغة النّصّيّ، محمود عكاشة، ط١، مكتبة الرّشيد، ب.د، ١٤٣٥هـ – ٢٠١٤م.
- تذكرة الكاتب، أسعد خليل داغر، دار المقتطف، مصر، ١٩٢٣م.
- التّذييل والتّكميل في شرح كتاب التّسهيل، محمّد بن يوسف الشّهير بأبي حيّان الأندلسيّ (٧٤٥هـ)، تحـ حسن هنداويّ، ط١، دار القلم، دمشق، ١٤١٨هـ – ١٩٩٧م.
- التّرابط النّصّيّ في ضوء التّحليل اللّسانيّ للخطاب، خليل ياسر البطاشيّ، ط١، دار جرير للنشر والتوزيع، ١٤٣٠هـ – ٢٠٠٩م.
- التّراكيب اللّغويّة في العربيّة دراسة وصفيّة تطبيقيّة، هادي نهر، مطبعة الإرشاد، بغداد– العراق، ١٩٨٧م.
- التّرغيب والتّرهيب من الحديث الشّريف، عبد العظيم المنذريّ (٦٥٦هـ)، تحـ مصطفى محمّد عماره، دار الفكر للطّباعة والنّشر، بيروت– لبنان، ١٤٠٨ هـ – ١٩٨٨م.
- تسهيل الفوائد وتكميل المقاصد، جمال الدّين محمّد بن عبدالله ابن مالك الأندلسيّ (٦٧٢هـ)، تحـ محمّد عبد القادر عطا وطارق فتحي السّيّد، ط١، دار الكتب العلميّة، بيروت– لبنان، ١٤٢٢هـ – ٢٠٠١م.
- تصريف الأسماء والأفعال، فخر الدّين قباوة، ط٢، مكتبة المعارف، بيروت– لبنان، ١٤٠٨هـ – ١٩٨٨م.

- التّصوير الفنّيّ في الحديث النّبويّ الشّريف، محمّد لطفيّ الصّبّاغ، ط١، المكتب الإسلاميّ، بيروت– لبنان، ١٤٠٣هـ – ١٩٨٣م.
- التّطبيق الصّرفيّ، عبده الراجحيّ، ط١،، مكتبة المعارف، الرّياض– المملكة العربيّة السّعوديّة، ١٤٢٠هـ – ١٩٩٩م.
- التّطريز الصّوتيّ لسطح النّصّ، منال بنت إبراهيم الحلوة، جامعة الأميرة نورة بنت عبد الرّحمن، الرّياض، ١٤٣٣هـ – ٢٠١٢م.
- تطور دراسة الجملة العربيّة بين النحويّين والأصوليّين، صالح الظالميّ، ط٣، مطبعة النّجف الأشرف، النّجف الأشرف– العراق، ١٤٢٩هـ.
- التّطور النّحويّ للغة العربيّة، رمضان عبد التّواب، ط٢، مكتبة الخانجي، القاهرة– مصر، ١٤١٤هـ – ١٩٩٤م.
- تفسير التّحرير والتّنوير، الشّيخ محمّد الطّاهر ابن عاشور، ط١، مؤسسة الدّار العربيّ، بيروت– لبنان، ١٤٢٠هـ.
- تفسير الرّازيّ، أبو عبد الله محمّد بن عمر بن الحسن بن الحسين التّيميّ الرازي الملقب بفخر الدّين الرّازيّ (٦٠٦هـ)، ط٣، دار إحياء التّراث العربيّ، بيروت– لبنان، ١٤٢٠هـ.
- تفسير العياشيّ، محمّد بن مسعود العياشيّ (٣٢٠هـ)، تحـ السّيد هاشم الرّسوليّ المحلاتيّ، المكتبة العلميّة الإسلاميّة، طهران– إيران، د.ت.
- تفسير فرات الكوفيّ، فرات بن إبراهيم الكوفيّ (٣٥٢هـ)، تحـ محمد الكاظم، ط١، مؤسسة الطبع والنشر التابعة لوزارة الثقافة والإرشاد، طهران– إيران، ١٤١٠ هـ – ١٩٩٠م.
- تفسير القرآن الكريم، صدر الدّين محمّد الشّيرازيّ (صدر المتألهين) (١٠٥٠هـ)، تحـ خواجوي محمّد، ط٢، مطبعة بيدار، قم– إيران، ١٣٦١هـ.
- التّفسير الكاشف، محمّد جواد مغنية، ط٣، دار العلم للملايين، بيروت– لبنان، ١٩٨١م.
- التّفسير الكبير، أبو القاسم سليمان بن أحمد الطّبرانيّ (٣٦٠هـ)، ط١، دار الكتاب الثّقافيّ، أربد– الأردن،، ٢٠٠٨م.
- تفسير مجمع البيان، أبو عليّ الفضل بن الحسن الشّيخ الطّبرسيّ (٥٤٨هـ)، تحـ لجنة من العلماء، ط١، مؤسسة الأعلميّ للمطبوعات، بيروت– لبنان، ١٤١٥هـ – ١٩٩٥م.

- التّكملة، أبو عليّ الحسن بن أحمد بن عبد الغفار الفارسيّ (٣٧٧هـ)، تحـ كاظم بحر المرجان، ط٢، عالم الكتب، بيروت- لبنان، ١٤١٩هـ - ١٩٩٩م.
- التّلخيص في علوم البلاغة، محمّد بن عبد الرّحمن بن عمر المعروف بالخطيب القزوينيّ (٧٣٩هـ)، تحـ عبد الرّحمن البرقوقيّ، ط٢، دار الفكر العربيّ، ١٣٥٠هـ - ١٩٣٢م.
- تنبيه الخواطر ونزهة النّواظر، ورام بن أبي فراس المالكيّ الأشتريّ (٦٠٥هـ)، ط٢، دار الكتب الإسلاميّة، إيران، ١٣٦٨ش.
- تهذيب اللّغة، أبو منصور محمد بن أحمد بن الأزهريّ (٣٧٠هـ)، تحـ محمد معوض مرعب، ط١، دار إحياء التّراث العربيّ، بيروت.
- التّوحيد، أبو جعفر محمّد بن عليّ بن الحسين بن موسى بن بابويه القمّيّ المعروف بالشّيخ الصدوق (٣٨١هـ)، تحـ السّيد هاشم الحسينيّ الطّهرانيّ، مؤسسة النشر الإسلامي، قم- إيران، د.ت.
- توضيح المقاصد والمسالك بشرح ألفية ابن مالك، أبو محمّد بدر الدّين حسن بن قاسم المراديّ المعروف بابن أم قاسم (٧٤٩هـ)، تحـ عبد الرّحمن علي سليمان، ط١، دار الفكر العربيّ، القاهرة، ١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م.
- التّوقيف على مهمّات التّعاريف، عبد الرؤوف محمّد تاج العارفين المناوي (١٠٣١هـ)، تحـ جلال الأسيوطيّ، ط١، دار الكتب العلميّة، بيروت- لبنان، ٢٠١١م.
- تيسير المطالب في أمالي أبي طالب، أبو طالب يحيى بن الحسين الهارونيّ (٤٢٤هـ)، ط١، مؤسسة زيد بن عليّ الثّقافيّة، صنعاء- اليمن، د.ت.
- جامع أحاديث الشّيعة، السّيد البروجرديّ (١٣٨٣هـ)، دار الأولياء، بيروت- لبنان، ١٣٩٩هـ.
- جامع الأخبار (معارج اليقين في أصول الدّين)، الشّيخ محمّد الشّعيريّ السّبزواريّ من علماء القرن السّابع الهجريّ، تحـ علاء آل جعفر، ط١، مؤسسة آل البيت (ع) لإحياء التّراث، قم- إيران، ١٤١٠هـ - ١٩٩٣م.
- جامع البيان عن تأويل آي القرآن، أبو جعفر محمّد بن جرير الطّبريّ(٣١٠هـ)، تحـ صدقي جميل العطّار، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت- لبنان، ١٤١٥هـ - ١٩٩٥م.
- جامع الدّروس العربيّة، الشّيخ مصطفى الغلاييني، ط٢٨، منشورات المكتبة العصريّة، صيدا- بيروت، ١٤١٤هـ - ١٩٩٣م.

- جامع العلوم والحكم في شرح خمسين حديثًا من جوامع الكلم، أبو الفرج عبد الرّحمن أحمد البغداديّ الشّهير بابن رجب الحنبليّ (٧٩٥هـ)، تحـ عبده عليّ كوشك، ط١، دار البشائر الإسلاميّة، بيروت– لبنان، ١٤٣٦هـ – ٢٠١٥م.
- الجمل، لأبي بكرٍ عبد القاهر عبد الرّحمن الجرجانيّ (٤٧١هـ)، تحـ عليّ حيدر، مكتبة مجمع اللّغة العربيّة، دمشق، ١٣٩٢هـ – ١٩٧٢م.
- الجملة الإسميّة، عليّ أبو المكارم، ط١، مؤسسة المختار، القاهرة، ١٤٢٨هـ – ٢٠٠٧م.
- الجملة العربيّة تأليفها وأقسامها، فاضل صالح السّامرائيّ، ط٢، دار الفكر، عمان– الأردن، ١٤٢٧هـ – ٢٠٠٧م.
- الجملة العربيّة مكوناتها، أنواعها، تحليلها، محمّد إبراهيم عبادة، ط٢، مكتبة الآداب، القاهرة، ٢٠٠١م.
- الجملة العربيّة نشأةً وتطورًا وإعرابًا، فتحي عبد الفتّاح الدّجنيّ، ط٢، فتحي عبد الفتّاح الدّجنيّ، ط٢، مكتبة الفلاح، الكويت، ١٤٠٤هـ _ ١٩٨٧م.
- الجملة الفعليّة، عليّ أبو المكارم، ط١، مؤسسة المختار، القاهرة، ١٤٢٨هـ – ٢٠٠٧م.
- الجمل في النّحو، أبو القاسم عبد الرّحمن بن اسحاق الزّجّاجيّ (٣٤٠هـ)، تحـ عليّ توفيق الحمد، ط١، مؤسسة الرّسالة، بيروت– لبنان، ١٤٠٤هـ – ١٩٨٤م.
- جمهرة اللّغة، أبو بكر محمّد بن الحسن بن دريد الأزديّ (٣٢١هـ)، رمزي منير بعلبكيّ، ط١، دار العلم للملايين، بيروت – لبنان، ١٩٨٧م.
- جموع التّصحيح والتّكسير في اللّغة العربيّة، عبد المنعم سيد عبد العال، مكتبة الخانجيّ، القاهرة، د.ت.
- الجنى الدّاني في حروف المعاني، الحسن بن قاسم المراديّ (٧٤٩هـ)، تحـ فخر الدّين قباوة ومحمّد نديم فاضل، ط١، دار الكتب العلميّة، بيروت– لبنان، ١٤١٣هـ – ١٩٩٢م.
- جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع، أحمد الهاشميّ، مؤسسة هنداويّ، ٢٠١٩م.
- الجواهر الحسان في تفسير القرآن، أبو زيد عبد الرّحمن بن محمّد بن مخلوف الثّعالبيّ (٨٧٥هـ)، تحـ عليّ محمّد معوّض وعبد الفتّاح أبو سنّة، وعادل أحمد عبد الموجود، ط١، دار إحياء التّراث العربيّ، بيروت– لبنان، ١٤١٨هـ.

- حاشية الصّبّان على شرح الأشمونيّ لألفية ابن مالك، أبو العرفان محمّد بن عليّ الصّبّان (ت ١٢٠٦هـ)، ط١، دار الكتب العلميّة، بيروت-لبنان، ١٤١٧ هـ - ١٩٩٧م.
- الحدود في النّحو، عليّ بن عيسى بن عليّ بن عبد الله، أبو الحسن الرّمّانيّ، (٣٨٤هـ)، تحـ إبراهيم السّامرائيّ، دار الفكر، عمان- الأردن، د.ت.
- الحديث النّبويّ مصطلحه-بلاغته-كتبه، محمّد الصّبّاغ، ط٤، المكتب الإسلاميّ، بيروت، ١٤٠١هـ - ١٩٨١م.
- حكم النّبيّ الأعظم، محمّد الرّيشهريّ، ط١، دار الحديث، قم- إيران، ١٤٢٩هـ.
- حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، أبو نعيم أبو نُعيم أحمد بن عبد الله بن أحمد بن إسحاق الاصبهانيّ (٤٣٠هـ)، ط١، دار أم القرى، القاهرة- مصر، د.ت.
- الخصال، أبو جعفر محمّد بن عليّ بن الحسين بن موسى بن بابويه القمّيّ المعروف بالشّيخ الصدوق (٣٨١هـ)، تحـ عليّ أكبر الغفاريّ، مؤسسة النّشر الإسلاميّ، قمّ- إيران، ١٣٦٢هـ - ١٤٠٣ ش.
- الخصائص، أبو الفتح عثمان بن جنّيّ (٣٩٢هـ)، تحـ محمّد عليّ النّجّار، ط٤، الهيئة المصريّة العامّة للكتاب، د.ت.
- الخصائص البلاغيّة للبيان النّبويّ، محمّد أبو العلا الحمزاويّ، مكتبة الرّشيد، ١٤٢٨هـ - ٢٠٠٧م.
- الخطيئة والتّكفير من البنيويّة إلى التّشريحيّة، عبد الله الغذاميّ، ط٤، الهيئة المصريّة العامّة للكتاب، ١٩٨٨م.
- خلق المسلم، محمّد الغزاليّ، ط١٦، دار القلم، دمشق، ١٤٢٢هـ.
- دراسات لغويّة تطبيقيّة في العلاقة بين البنية والدّلالة، سعيد حسن بحيريّ، ط١، مكتبة الآداب، القاهرة، ١٤٢٥هـ - ٢٠٠٥م.
- الدّراسات اللّغويّة عند العرب إلى نهاية القرن الثالث، محمّد حسن آل ياسين، ط١، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت- لبنان، ١٤٠٠هـ - ١٩٨٠م.
- دراسة الصّوت اللّغويّ، أحمد مختار عمر، عالم الكتب، القاهرة، ١٤١٨هـ - ١٩٩٧م.
- الدّرّ المنثور في التّفسير بالمأثور، عبد الرّحمن بن أبي بكر جلال الدّين السّيوطّي (٩١١هـ)، دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت- لبنان، د.ت.

- دروس التّصريف، محمّد محيي الدّين عبد الحميد، المكتبة العصريّة، صيدا- بيروت، ١٤١٦هـ - ١٩٩٥م.
- الدّروع الواقية، رضي الدّين عليّ بن موسى بن جعفر المعروف بالسّيد ابن طاووس (٦٦٤هـ)، تحـ مؤسسة آل البيت (ع)، ط١، دار مؤسسة آل البيت (ع) لإحياء التّراث، قم- إيران، ١٤١٤هـ.
- الدّلالة والنّحو، صلاح الدّين صالح حسنين، ط١، مكتبة الآداب، د.ت.
- دلائل الإعجاز، أبو بكرٍ عبد القاهر عبد الرّحمن الجرجانيّ (٤٧١هـ)، تحـ محمود محمّد شاكر، مكتبة الخانجي، القاهرة، ١٩٨٤م.
- رصف المباني في شرح حروف المعاني، أحمد بن عبد النّور المالقيّ (٧٠٢هـ)، أحمد محمّد الخرّاط، مطبوعات مجمع اللغة العربيّة بدمشق، دمشق، ١٩٧٥م.
- روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، أبو الفضل شهاب الدّين السّيد محمود الألوسيّ البغداديّ (١٢٧٠هـ)، تحـ عليّ عبد الباري عطية، ط١، دار الكتب العلمية - بيروت، ١٤١٥هـ - ١٩٩٤م.
- رياض الصّالحين، أبو زكريا محيي الدّين يحيى بن شرف النّوويّ(ت ٦٧٦هـ)، تحـ ماهر ياسين الفحل، ط١، دار ابن كثير للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق، ١٤٢٨هـ - ٢٠٠٧م.
- زاد المعاد في هدي خير العباد، ابن قيم الجوزيّة (٧٥١هـ)، تحـ شعيب الأرنؤوط، ط١، مؤسسة الرّسالة، بيروت - لبنان، ١٤١٧هـ- ١٩٩٦م.
- سرّ الإسراء في شرح حديث المعراج، عليّ سعادت پرو، ط١، دار إحياء التّراث، طهران، ١٣٨٥ش.
- سرّ صناعة الإعراب، أبو الفتح عثمان بن جنّيّ (٣٩٢هـ)، تحـ حسن هنداويّ، ط٢، دار القلم، دمشق، ١٤١٣هـ - ١٩٩٣م.
- سنن ابن ماجه، أبو عبد الله محمّد بن يزيد القزوينيّ المعروف بابن ماجه (٢٧٣هـ)، تحـ محمّد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء الكتب العربيّة - فيصل عيسى البابي الحلبي، د.ت.
- سنن التّرمذيّ، أبو عيسى محمد بن عيسى بن سورة التّرمذيّ(٢٨٩هـ)، تحـ شعيب الأرنؤوط، ط١، دار الرّسالة العالميّة، ١٤٣٠هـ - ٢٠٠٩م.
- السنن الكبرى، أبو عبد الرّحمن أحمد بن علي بن شعيب النسائيّ (٣٠٣هـ)، تحـ عبد الغفار سليمان البنداريّ وسيد كسروي حسن، ط١، دار الكتب العلميّة، بيروت- لبنان، ١٤١١هـ - ١٩٩١م.

- سيد المرسلين، الشّيخ جعفر السّبحانيّ، مؤسسة النّشر الإسلاميّ، ط٤، قم- إيران، ١٤٢٩هـ.
- سير أعلام النّبلاء، أبو عبدالله محمّد بن عثمان بن قايماز الذّهبيّ (٧٤٨هـ)، تحـ شعيب الأرنؤوط وحسين الأسد، ط٩، مؤسسة الرّسالة، بيروت – لبنان، ١٤١٣هـ – ١٩٩٣م.
- شذا العرف في فنّ الصّرف، أحمد بن محمّد بن أحمد الحملاويّ، دار الكيان، د.ت
- شرح ابن عقيل على ألفيّة مالك، عبد الله بن عبد الرحمن العقيليّ الهمدانيّ المصريّ(٧٦٩هـ)، تحـ محمّد محيي الدين عبد الحميد، دار الطّلائع، القاهرة، ٢٠٠٩م.
- شرح الأشمونيّ على ألفيّة ابن مالك، عليّ بن محمّد بن عيسى، أبو الحسن، نور الدّين الأُشْمُونيّ (٩٠٠هـ)، تحـ محمّد محيي الدّين عبد الحميد، ط١، دار الكتاب العربيّ، بيروت– لبنان، ١٣٧٥هـ – ١٩٥٥م.
- شرح أصول الكافي، مولي محمّد صالح المازندرانيّ(١٠٨١هـ)، تحـ السّيد عليّ عاشور مع تعليقات الميرزا أبو الحسن الشّعرانيّ، ط١، دار إحياء التّراث العربيّ للطباعة والنّشر، بيروت– لبنان، ١٤٢١هـ – ٢٠٠٠م.
- شرح الأنموذج في النّحو، جار الله الزّمخشريّ (٥٣٨هـ)، تحـ حسني عبد الجليل يوسف، مكتبة الآداب، القاهرة، د.ت.
- شرح التّسهيل، تسهيل الفوائد وتكميل المقاصد، جمال الدّين محمّد بن عبدالله ابن مالك الأندلسيّ (٦٧٢هـ)، تحـ محمّد عبد القادر عطا و طارق فتحي السّيّد، ط١، دار الكتب العلميّة، بيروت– لبنان، ١٤٢٢هـ – ٢٠٠١م.
- شرح التّصريح على التّوضيح، الشّيخ خالد بن عبدالله الأزهريّ (٩٠٥هـ)، تحـ محمّد باسل عيون السّود، ط١، دار الكتب العلميّة، بيروت– لبنان، ١٤٢٢هـ – ٢٠٠١م.
- شرح تصريف العزّيّ، سعد الدين مسعود بن عمر بن عبدالله التفتازانيّ (٧٩١هـ)، تحـ محمّد جاسم المحمّد، ط١، دار المنهاج، جدّة– المملكة العربيّة السّعوديّة، ١٤٣٢هـ – ٢٠١١م.

- شرح جمل الزّجّاجيّ، أبو الحسن عليّ بن مؤمن بن محمّد بن عليّ ابن عصفور الإشبيليّ (٦٦٩هـ)، تحـ فوّاز الشّعّار و إميل بديع يعقوب، ط١، دار الكتب العلميّة، بيروت– لبنان، ١٤١٩هـ – ١٩٩٨م.
- شرح الحدود في النّحو، عبدالله بن أحمد الفاكهيّ النّحويّ (٩٧٢هـ)، تحـ المتولي رمضان أحمد الدميريّ، ط٢، مكتبة وهبة، القاهرة، ١٤١٤هـ – ١٩٩٣م.
- شرح رسالة الحقوق، الإمام زين العابدين (عليه السّلام)، تحـ حسن السّيّد عليّ القبانجيّ، ط٢، مؤسسة اسماعيليان للطباعة والنّشر، ١٤٠٦هـ.
- شرح الرّضيّ على الكافيّة، رضي الدّين محمّد بن الحسن الأستراباذيّ (٦٨٦هـ)، تحـ يوسف حسن عمر، ط٢، منشورات جامعة قار يونس، بنغازي، ١٩٩٦م.
- شرح شافيّة ابن الحاجب، رضي الدّين محمّد بن الحسن الأستراباذيّ (٦٨٦هـ)، تحـ محمّد محيي الدّين عبد الحميد، ومحمّد الزّفزاف، ومحمّد نور الحسن، دار الكتب العلميّة، بيروت– لبنان، ١٤٠٢هـ – ١٩٨٢م.
- شرح شذور الذّهب في معرفة كلام العرب، أبو محمّد عبدالله بن يوسف المعروف بابن هشام النّحويّ الأنصاريّ (٧٦١هـ)، تحـ محمّد أبو فضل عاشور، ط١، دار إحياء التّراث العربيّ، بيروت– لبنان، ١٤٢٢هـ – ٢٠٠١م.
- شرح صحيح البخاريّ، أبو الحسن عليّ بن خلف بن عبد الملك المعروف بابن بطّال (ت ٤٤٩هـ)، تحـ ابو تميم ياسر بن إبراهيم، ط٢، مكتبة الرّشيد، السّعوديّة، الرّياض، ١٤٢٣هـ–٢٠٠٣م.
- شرح صحيح البخاريّ، أبو القاسم إسماعيل بن محمّد الشّافعيّ (٥٣٥هـ)، تحـ عبد الرحيم بن محمد العزاويّ، ط١، دار أسفار، الكويت، ١٤٤٢هـ – ٢٠٢١م.
- شرح صحيح مسلم، أبو زكريا محيي الدّين يحيى بن شرف النّوويّ (٦٧٦هـ)، تحـ مجموعة من المختصّين، دار الكتاب العربيّ، بيروت– لبنان، ١٤٠٧هـ – ١٩٨٧م.
- شرح قطر النّدى وبلّ الصّدى، أبو محمّد عبدالله بن يوسف المعروف بابن هشام النّحويّ الأنصاريّ (٧٦١هـ)، تحـ محمّد محيي الدّين عبد الحميد، ط٧، مطبعة السّعادة، القاهرة، مصر، ١٣٧٤هـ – ١٩٥٤م.

- شرح المفصّل، مُوَفّق الدين يعيش بن عليّ بن يعيش (٦٤٣هـ)، تعليق مشيخة الأزهر، إدارة المطبعة المنيريّة، القاهرة، د.ت.
- شرح المقدّمة الجزوليّة الكبير، أبو عليّ عمر بن محمّد بن عمر الأزديّ الشّلوبين (٦٥٤هـ)، تحـ تركي بن سهوبن نزال العتبيّ، ط٢، مؤسسة الرّسالة، بيروت– لبنان، ١٤١٤هـ – ١٩٩٤م.
- شرح الملوكيّ في التّصريف، مُوَفّق الدين يعيش بن عليّ بن يعيش (٦٤٣هـ)، تحـ فخر الدّين قباوة، ط١، المكتبة العربيّة بحلب، ١٣٩٣هـ – ١٩٧٣م.
- شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد (٦٥٦هـ)، تحـ محمّد أبو الفضل إبراهيم، ط٢، مؤسسة إسماعيليان للطباعة والنشر والتوزيع، ١٣٨٧هـ – ١٩٦٧م.
- شرح نهج البلاغة، عباس عليّ الموسويّ، ط١، دار المحجّة البيضاء، ١٣٧٦هـ.
- شعب الإيمان، أحمد بن الحسين البهيقيّ (٤٥٨هـ)، تحـ محمّد سعيد زغلول، ط١، دار الكتب العلميّة، بيروت– لبنان، ١٤٢١هـ.
- الشّفا بتعريف حقوق المصطفى، العلامة القاضي أبي الفضل عياض بن موسى الحيصبيّ المعروف بالقاضي عياض (٥٤٤هـ)، تحـ عبده عليّ كوشك، ط٣، دار الفيحاء، بيروت، ١٤٤٢هـ – ٢٠٢١م.
- الصّاحبيّ في فقه اللّغة العربيّة ومسائلها وسنن العرب في كلامها، أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا الرّازيّ اللّغويّ (٣٩٥هـ)، تحـ عمر فاروق الطّبّاع، ط١، مكتبة المعارف، بيروت– لبنان، ١٤١٤هـ – ١٩٩٣م.
- الصّحاح تاج اللغة وصحاح العربيّة، أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهريّ (٣٩٣هـ)، تحـ أحمد عبد الغفور عطّار، ط٤، دار العلم للملايين، بيروت– لبنان، ١٩٩٠م.
- صحيح البخاري، أبو عبدالله محمّد بن إسماعيل البخاريّ الجعفيّ(٢٥٦هـ)، تحـ مصطفى ديب البغا، ط٥، دار ابن كثير، دمشق، ١٤١٤هـ – ١٩٩٣م.
- صحيح مسلم، أبو الحسين مسلم بن الحجاج القشيريّ النّيسابوريّ (٢٦١هـ)، تحـ محمّد فؤاد عبد الباقي، مطبعة عيسى البابيّ الحلبيّ، القاهرة، ١٣٧٤هـ – ١٩٥٥م.
- الصّرف الحديث في بيان القرآن والحديث، أحمد أمين الشّيرازيّ، ط١، مكتب الإعلام الإسلاميّ، قم– إيران، ١٤١٠هـ.

- الصّرف العربيّ أحكامٌ ومعانٍ، محمّد فاضل السّامرائيّ، ط١، دار ابن كثير، بيروت، ١٤٣٤هـ - ٢٠١٣م.
- الصّرف الكافي، أيمن أمين عبد الغني، ط٥، دار التّوفيقيّة للتراث، القاهرة، د.ت.
- الصّرف الواضح، عبد الجبار علوان النّايلة، جامعة بغداد، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م.
- الصّرف الوافي دراسات وصفيّة تطبيقيّة، هادي نهر، ط١، عالم الكتب الحديث، أربد- الأردن، ١٤٣١هـ - ٢٠١٠م.
- الصّرف، حاتم صالح الضامن، منشورات كلّيّة الدّراسات الإسلاميّة والعربيّة، دبي، د.ت.
- الصّناعتين (الشّعر والنّثر)، أبو هلال الحسن بن عبدالله بن سهل بن سعيد بن يحيى بن مهران العسكريّ (٣٩٥هـ)، تحـ عليّ محمّد البجاويّ ومحمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العصريّة، بيروت - لبنان، ١٤١٩هـ.
- الضّياء في تصريف الأسماء، مصطفى أحمد النّحّاس، ط٣، ١٤٠٤هـ - ١٩٨٣م.
- عبقريّة محمّد، عبّاس محمود العقّاد، نهضة مصر للطباعة والنشر، القاهرة، د.ت.
- علم البديع، عبد العزيز عتيق، دار النّهضة العربيّة، بيروت، لبنان، د.ت.
- علم البديع دراسة تاريخيّة وفنّيّة لأصول البلاغة ومسائل البديع، بسيوني عبد الفتاح فيّود، ط٢، مؤسسة المختار للنشر والتّوزيع، مصر، ١٤١٨هـ - ١٩٩٨م.
- علم البيان، عبد العزيز عتيق، دار النّهضة العربيّة، بيروت، ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م.
- علم الدلالة، أحمد مختار عمر، ط٥، عالم الكتب، القاهرة، ١٩٨٨م.
- علم الصّرف الصّوتيّ، عبد القادر عبد الجليل، دار أزمنة، ١٩٩٨م.
- علم اللّغة بين التّراث والمناهج الحديثة، محمود فهمي حجازيّ، الهيئة المصريّة العامّة للتأليف والنّشر، القاهرة، ١٩٧٠م.
- علم لغة النّصّ المفاهيم والاتجاهات، سعيد حسن بحيريّ، ط١، دار نوبار، القاهرة، ١٩٩٧م.

- علم لغة النّصّ النّظريّة والتّطبيق، عزّة شبل، ط٢، مكتبة الآداب، القاهرة، ١٤٣٠هـ – ٢٠٠٩م.
- علم اللّغة النّصّيّ بين النّظريّة والتّطبيق، صبحي إبراهيم الفقي، ط١، دار قباء، القاهرة، ١٤٣١هـ – ٢٠٠٠م.
- علم النّصّ، جوليا كريستيفا، ترجمة فريد الزّاهي، ط١، دار توبقال، الدّار البيضاء– المغرب، ١٩٩١م.
- عمدة القاري شرح صحيح البخاريّ، بدر الدّين أبي محمّد محمود بن أحمد العينيّ (٨٥٥هـ)، تحـ عبدالله محمود محمّد عمر، ط١، دار الكتب العلميّة، بيروت– لبنان، ١٤٢١هـ – ٢٠٠١م.
- العهد القديم، ترجمة مجموعة من العلماء الكتابيّين واللاهوتيّين، دار الكتاب المقدّس في الشّرق الأوسط، لبنان، ١٩٩٦م.
- عوالي اللّئاليّ، محمّد بن عليّ بن إبراهيم الشّيبانيّ البكريّ الأحسائيّ المعروف بابن أبي جمهور الإحسائيّ (٩١٠هـ)، تحـ آقا مجتبى العراقيّ، ط١، ١٤٠٥هـ – ١٩٨٥م.
- عون المعبود، العظيم آباديّ (١٣٢٩هـ)، ط٢، دار الكتب العلميّة، بيروت– لبنان، ١٤١٥هـ.
- عيون أخبار الرّضا، أبو جعفر محمّد بن عليّ بن الحسين بن موسى بن بابويه القمّيّ المعروف بالشّيخ الصّدوق (٣٨١هـ)، تحـ الشّيخ حسين الأعلميّ، دار مؤسسة الأعلميّ للمطبوعات، بيروت– لبنان، ١٤٠٤هـ – ١٩٨٤م.
- غريب الحديث، أبو عبيد القاسم بن سلام الهرويّ(٢٢٤هـ)، تح محمّد عبد المعيد خان، ط٤، دار الكتاب العربيّ، بيروت، ١٣٨٤هـ.
- غريب الحديث في بحار الأنوار، حسين الحسينيّ البيرجنديّ، ط١، وزارة الثّقافة والإرشاد الإسلاميّ، طهران– إيران، ١٣٧٩هـ.
- الفائق في غريب الحديث والأثر، أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الزّمخشريّ جار الله (٥٣٨هـ)، تحـ عليّ محمّد البجاويّ ومحمّد أبو الفضل إبراهيم، ط٢، دار المعرفة، لبنان، د.ت.
- فتح الباري، أحمد بن عليّ بن حجر العسقلانيّ (٨٥٢هـ)، تحـ محب الدّين الخطيب، ط١، دار المعرفة للطباعة والنّشر، بيروت– لبنان، د.ت.

- فتح المنعم شرح صحيح مسلم، موسى شاهين لاشين، ط١، دار الشروق، ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٢م.
- الفتوحات المكّيّة، محيي الدّين بن عربيّ (٦٣٨هـ)، تحـ نوّاف الجرّاح، ط٢، دار صادر، بيروت- لبنان، ١٤٢٨هـ - ٢٠٠٧م.
- فرائد السّمطين في فضائل المرتضى والبتول والسّبطين والأئمة من ذريتهم (ع)، ابراهيم بن سعد الدّين الشّافعيّ (٧٣٠هـ)، ط١، مؤسسة المحمود، بيروت- لبنان، ١٤٠٠هـ.
- الفروق اللّغويّة، أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل بن سعيد بن يحيى بن مهران العسكريّ (٣٩٥هـ)، تحـ محمّد إبراهيم سليم، دار العلم والثّقافة للنّشر والتّوزيع، القاهرة - مصر، د.ت.
- الفعل زمنه وأبنيته، إبراهيم السّامرائيّ، ط٣، مؤسسة الرّسالة، بيروت- لبنان، ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م.
- في التّحليل اللّغويّ منهج وصفيّ تحليليّ، خليل أحمد عمايره، ط١، مكتبة المنار، الزّرقاء- الأردن، ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م.
- في التّركيب اللّغويّ الشّعر العراقيّ المعاصر دراسة...لغويّة في شعر السّياب ونازك والبياتيّ، مالك يوسف المطلبيّ، منشورات وزارة الثّقافة والإعلام، العراق، ١٩٨١م.
- فيض القدير شرح الجامع الصّغير، محمّد عبد الرّؤوف بن تاج العارفين المناوي(١٠٣١هـ)، تحـ أحمد عبد السلام، ط١، دار الكتب العلميّة، بيروت- لبنان، ١٩٩٤م.
- في ظلال نهج البلاغة (محاولة لفهم جديد) محمّد جواد مغنية، وثق أصوله سامي الغريريّ، ط١، مؤسسة دار الكتاب الإسلاميّ، ٢٠٠٥م.
- في اللّسانيّات العربيّة المعاصرة دراسات ومثاقفات، سعد عبد العزيز مصلوح، ط١، عالم الكتب، القاهرة، ١٤٢٥هـ - ٢٠٠٤م.
- في اللّسانيّات ونحو النّصّ، إبراهيم محمود خليل، ط٢، دار المسيرة، عمان- الأردن، ١٤٣٠هـ - ٢٠٠٩م.
- في ميزان الجديد، محمّد مندور، ط١، مؤسسات عليّ بن عبدالله، تونس، ١٩٨٨م.
- في النحو العربيّ قواعد وتطبيق، مهديّ المخزوميّ، ط٢، دار الرّائد العربيّ، بيروت- لبنان، ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م.

- في النحو العربيّ نقد وتوجيه، مهديّ المخزوميّ، ط٢، دار الرّائد العربيّ، بيروت- لبنان، ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م.
- قضايا الحداثة عند عبد القاهر الجرجانيّ، د. محمد عبد المطلب، ط١، المكتب المصريّ الحديث، القاهرة، ١٩٩٥م.
- الكافي، أبو جعفر محمّد بن يعقوب الكلينيّ (٣٢٩هـ)، تحـ عليّ أكبر الغفاريّ، ط٥، دار الكتب الإسلاميّة، طهران، ١٣٦٣ش.
- الكافية في علم النحو، أبو عمرو جمال الدّين عثمان بن أبي بكرٍ ابن الحاجب(٦٤٦هـ)،تحـ مجموعة من المختصين، ط٢، مكتبة البشرى، كراتشي- باكستان، ١٤٣٢هـ - ٢٠١١م.
- الكامل في اللّغة والأدب، أبو العبّاس محمّد بن يزيد المبرّد (٢٨٥هـ)، تحـ محمد أبو الفضل إبراهيم، ط٣، دار الفكر العربيّ، القاهرة، ١٤١٧هـ - ١٩٩٧م.
- الكتاب، أبو بشر عمرو بن عثمان بن قنبر الملقب بسيبويه (١٨٠هـ)، تحـ عبد السلام محمّد هارون، ط٣، مكتبة الخانجي، القاهرة، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م.
- كتاب الأزهريّة في علم الحروف، عليّ بن محمّد النّحويّ الهرويّ (٤١٥هـ)، تحـ عبد المعين الملوحيّ، ط٢، مطبوعات مجمع اللّغة العربيّة بدمشق، دمشق، ١٩٨١م.
- كتاب الطّراز المتضمّن لأسرار البلاغة وعلوم حقائق التّأويل، يحيى بن حمزة بن عليّ بن إبراهيم العلويّ اليمنيّ (٧٤٩هـ)، تحـ محمّد عبد السّلام شاهين، ط١، دار الكتب العلميّة، بيروت- لبنان، ١٤١٥هـ - ١٩٩٥م.
- كتاب الطّهارة، أبو القاسم الخوئيّ، ط٢، مؤسسة آل البيت (ع) للطباعة والنّشر، قم- إيران، د.ت.
- كتاب العين، أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم الفراهيديّ البصريّ (١٧٠هـ)، تحـ مهديّ المخزوميّ، د إبراهيم السّامرائيّ، دار ومكتبة الهلال، د.ت.
- كتاب اللّامات، أبو القاسم عبد الرّحمن بن إسحاق الزّجّاجيّ (٣٣٧هـ)، تحـ مازن المبارك، ط٢، دار الفكر، دمشق، ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م.
- كتاب معاني الحروف، أبو الحسن عليّ بن عيسى الرّمّانيّ (٣٨٤هـ)، تحـ عبد الفتّاح إسماعيل شلبيّ، ط٢، دار الشّروق، جدّة، المملكة العربيّة السّعوديّة، ١٤٠١هـ - ١٩٨١م.

- الكشّاف عن حقائق غوامض التّنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، جار الله أبو القاسم محمود بن عمر الزّمخشريّ (٥٣٨هـ)، تحـ الشّيخ عادل أحمد عبد الموجود، والشّيخ عليّ محمّد معوض، وفتحي عبد الرّحمن أحمد حجازيّ، ط ١، مكتبة العبيكان، الرياض ١٩٩٨م.
- كشف المشكل من حديث الصّحيحين، ابن الجوزيّ أبو الفرج عبد الرّحمن بن عليّ بن محمّد البغداديّ (٥٩٧هـ)، تحـ عليّ حسين البواب، ط١، دار الوطن، الرياض – المملكة العربيّة السّعوديّة، ١٤١٨هـ – ١٩٩٧م.
- كنز العمّال، علاء الدين علي بن حسام الدين ابن قاضي خان القادري الشاذليّ المعروف بالمتقي الهنديّ (٩٧٥هـ)، تحـ بكري حيانيّ والشّيخ صفوة السّقا، مؤسسة الرّسالة بيروت لبنان، ١٤٠٩هـ – ١٩٨٩م.
- كنز الفوائد، أبو الفتح محمّد بن عليّ بن عثمان الكراجكيّ (٤٤٩هـ)، تحـ عبد الله نعمة، ط١، دار الذّخائر، قم– إيران، ١٤١٠هـ.
- الكواكب الدّراريّ في شرح صحيح البخاريّ، شمس الدّين محمد بن يوسف الكرمانيّ (٧٨٦هـ)، ط٢، دار إحياء التّراث العربيّ، بيروت_ لبنان، ١٣٠١هـ_ ١٩٨١م.
- الكوكب الوهّاج والرّوض البَهّاج في شرح صحيح مسلم بن الحجاج، محمد الأمين بن عبد الله الأُرَميّ الشّافعيّ، تحـ لجنة من العلماء برئاسة البرفسور: هاشم محمّد عليّ مهديّ، ط١، دار المنهاج، ١٤٣٠هـ – ٢٠٠٩م.
- لسان العرب، محمّد بن مكرم بن عليّ، أبو الفضل، جمال الدّين ابن منظور الأنصاريّ الإفريقى (٧١١هـ)، تحـ أمين عبد الوهاب ومحمّد صادق العبيديّ، ط٣، دار إحياء التّراث العربيّ، بيروت– لبنان، ١٤١٩هـ – ١٩٩٩م.
- لسانيّات الاختلاف، محمّد فكريّ الجزّار، الهيئة العامّة لقصور الثّقافة، القاهرة، ١٩٩٥م.
- لسانيّات التّوليد، مصطفى غلفان، ط١، عالم الكتب الحديث، إربد– الأردن، ١٤٣١هـ – ٢٠١٠م.
- لسانيّات النّصّ (مدخل إلى انسجام الخطاب)، محمّد الخطابيّ، ط١، المركز الثّقافيّ العربيّ، بيروت– لبنان، ١٩٩١م.
- لسانيّات النّصّ نحو منهج لتحليل الخطاب الشّعريّ، أحمد مداس، ط٢، عالم الكتب الحديث إربد– الأردن، ١٤٣٠هـ – ٢٠٠٩م.

- لسانيّات النّصّ النّظريّة والتّطبيق مقامات الهمذانيّ أنموذجًا، لينـدة قيّاس، ط١، مكتبة الآداب، القاهرة–مصر، ١٤٣٠هـ –٢٠٠٩م.
- لسانيّات النّصّ والخطاب الشّعريّ دراسة في شعر محمّد الماغوط، نعيمة سعديّة، دار الفارس العربيّ، ٢٠١٥م.
- اللّغة، فندريس. ترجمة عبد الحميد الدّواخليّ و محمّد القصاص، مكتبة الأنجلو المصريّة، د.ت.
- اللّغة العربيّة معناها ومبناها، تمّام حسّان، دار الثّقافة، الدّار البيضاء– المغرب، ١٩٩٤م.
- اللّغة والحضارة، إبراهيم السّامرائيّ، ط١، المؤسسة العربيّة للدراسات والنّشر، بيروت– لبنان، ١٩٧٧م.
- اللّمع في العربيّة، أبو الفتح عثمان بن جنّيّ(٣٩٢هـ)، تحـ سميح أبو مُغلي، دار مجدلاويّ، ١٩٨٨م.
- المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، ضياء الدّين بن الأثير، نصر الله بن محمد (٦٣٧هـ)، تحـ أحمد الحوفيّ وبدويّ طبانة، دار نهضة مصر للطباعة، القاهرة، د.ت.
- المجازات النّبويّة، محمّد بن حسين الشّريف الرّضي (٤٠٦هـ)، تحـ مهديّ هوشمند، ومهمديّ إمام وكريم أكبري، ط١، دار الحديث، ١٤٢٢هـ.
- مجاز القرآن، أبو عبيدة معمر بن المثنى التّيميّ البصريّ (٢٠٩هـ)، تحـ محمّد فؤاد سزگين، ط٢، مكتبة الخانجي، القاهرة، ١٣٩٠هـ – ١٩٧٠م.
- المجتنى، أبو بكر محمّد بن الحسن بن دريد(٣٢١هـ)، مطبعة مجلس دائرة المعارف النّظاميّة، حيدر آباد، ١٣٤٢هـ.
- مجموع رسائل الحافظ ابن رجب الحنبليّ، أبو الفرج عبد الرّحمن أحمد البغداديّ الشّهير بابن رجب الحنبليّ (٧٩٥هـ)، تحـ أبو مصعب طلعت بن فؤاد الحلوانيّ، ط٢، الفاروق الحديثة للطباعة والنشر، ١٤٢٤هـ – ٢٠٠٣م.
- المحجة البيضاء في تهذيب الأحياء، الفيض الكاشانيّ (١٠٩١هـ)، تحـ عليّ اكبر الغفاريّ، ط٢، دار الكتب الإسلاميّة، قم– إيران، د.ت.
- المحيط في أصوات العربيّة ونحوها وصرفها، محمّد الأنطاكيّ، ط٢، مكتبة دار الشّرق، بيروت– لبنان، ١٣٩٥هـ – ١٩٧٥م
- مختصر الصّرف، عبد الهادي الفضليّ، دار القلم، بيروت– لبنان، د.ت.

- مختصر مجمع البيان، أبو عليّ الفضل بن الحسن الطّبرسيّ (٥٤٨هـ)، تحقيق جماعة المدرسين في الحوزة العلمية بقمّ، ط٣، مؤسسة النشر الإسلاميّ، قم- إيران، ١٤١٣هـ.
- المخصص، أبو الحسن عليّ بن إسماعيل بن سيده المرسيّ (٤٥٨هـ)، خليل إبراهم جفال، ط١، دار إحياء التراث العربيّ، بيروت، ١٤١٧هـ - ١٩٩٦م.
- مدخل إلى دراسة الجملة العربيّة، محمود أحمد نحلة، دار النّهضة العربيّة، بيروت، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م.
- مدخل إلى علم لغة النّصّ، روبرت دي بوجراند و ولفغانغ دريسلر، ترجمة إلهام أبو غزالة، ط١، مطبعة دار الفكر، ١٤١٣هـ - ١٩٩٢م.
- مدخل إلى علم اللّغة النّصّيّ، فولفجانج هاينه من وديتر فيهفيجر، ترجمة فالح بن شبيب العجميّ، مطابع جامعة الملك سعود، الرّياض، ١٤١٩هـ.
- مدخل إلى علم النّصّ مشكلات بناء النّصّ، زتسيسلاف واورزنيال، ترجمة سعيد حسن بحيريّ، ط١، مؤسسة المختار، مصر، ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م.
- مدخل إلى علم النّصّ ومجالات تطبيقه، محمّد الأخضر الصّبيحيّ، الدّار العربيّة للعلوم ناشرون، د.ت.
- مدخل إلى مناهج النّقد الأدبيّ، مجموعة من الكتّاب الغربيّين، ترجمة رضوان ظاظا، مراجعة المنصف الشفنونيّ، عالم المعرفة، ١٩٩٧م.
- مرآة العقول في شرح أخبار الرّسول، العلّامة أبو عبدالله محمّد بن باقر المجلسيّ (١١١١هـ)، تحـ رسولي محلاتي هاشم، ط٢، دار الكتب الإسلاميّة، طهران- إيران، ١٤٠٤هـ.
- المزهر في علوم اللّغة وأنواعها، عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدّين السّيوطيّ (٩١١هـ)، تحـ فؤاد علي منصور، ط١، دار الكتب العلميّة، بيروت- لبنان، ١٤١٨هـ - ١٩٩٨م.
- المساعدة على تسهيل الفوائد، بهاء الدّين ابن عقيل (٧٦٩هـ)، تحـ محمّد كامل بركات، ط١، دار الفكر، دمشق، ١٤٠٢هـ - ١٩٨٢م.
- المستدرك على الصحيحين، أبو عبد الله محمّد بن عبد الله الحاكم النّيسابوريّ (٤٠٥هـ)، تحـ مصطفى عبد القادر عطا، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، ١٤١١هـ - ١٩٩٠م.

- مستدرك الوسائل، ميرزا حسين النّوريّ الطبرسيّ (١٣٢٠هـ)، تحـ مؤسسة آل البيت (ع) لإحياء التّراث، ط١، مؤسسة آل البيت (ع) لإحياء التّراث، بيروت – لبنان، ١٤٠٨هـ – ١٩٨٧م.
- المستقصى في علم التّصريف، عبد اللّطيف محمّد الخطيب، ط١، دار العروبة، الكويت، ١٤٢٤هـ – ٢٠٠٣م.
- مسند أبي يعلى، أحمد بن عليّ بن المثنى التميميّ، أبو يعلى الموصليّ (٣٠٧هـ)، تحـ حسين سليم أسد، دار المأمون للتراث، د.ت.
- مسند أحمد بن حنبل، الإمام أحمد بن حنبل (٢٤١هـ)، تحـ شعيب الأرنؤوط وأخرون، ط١، مؤسسة الرسالة، ١٤٢١هـ – ٢٠٠١م.
- مسند الشّاميين، سليمان بن أحمد بن أيوب بن مطير اللّخميّ الشّاميّ، أبو القاسم الطّبرانيّ (٣٦٠هـ)، تحـ حمدي بن عبد المجيد السّلفيّ، ط١، مؤسسة الرّسالة، بيروت– لبنان، ١٤٠٥هـ – ١٩٨٤م.
- المصباح المنير في غريب الشّرح الكبير، أبو العبّاس أحمد بن محمّد بن عليّ الفيوميّ (٧٧٠هـ)، تحـ عبد العظيم الشّناويّ، ط٢، دار المعارف ، القاهرة، د.ت.
- المصنّف، أبو بكر عبد الله بن محمّد بن أبي شيبة الكوفيّ (٢٣٥هـ)، تحـ سعيد اللّحام، ط١، دار الفكر للطّباعة والنّشر، بيروت – لبنان، ١٤٠٩هـ – ١٩٨٩م.
- معاني الأبنية في العربيّة، فاضل صالح السّامرائيّ، ط٢، دار عمار، عمان، ١٤٢٨هـ – ٢٠٠٧م.
- معاني القرآن، أبو جعفر أحمد بن محمّد النّحاس (٣٣٨هـ)، تحـ محمّد عليّ الصابونيّ، ط١، جامعة أمّ القرى، مكّة المكرمة، ١٤٠٩هـ.
- معاني القرآن، أبو زكريا يحيى بن زياد بن عبدالله بن منظور الدّيلميّ الفراء (٢٠٧هـ)، تحـ محمّد عليّ النّجّار وأحمد يوسف النجاتيّ وعبد الفتّاح إسماعيل الشّلبيّ، ط١، الدّار المصريّة للتأليف والترجمة، مصر، د.ت.
- معاني القرآن وإعرابه، إبراهيم بن السّري بن السّهل الزجّاج (٣١١هـ)، تحـ عبد الجليل عبده شلبي، ط١، عالم الكتب، بيروت، ١٤٠٨هـ – ١٩٨٨م.
- معاني النّحو، فاضل صالح السّامرائيّ، ط١، دار الفكر، عمان– الأردن، ١٤٢٠هـ – ٢٠٠٠م.

- معـايير تحليـل الأسـلوب، ميكائيـل ريفـاتير، ترجمـة حميـد الحمـدانيّ، ط١، دار النّجاح الجديد، الدّار البيضاء، ١٩٩٣م.
- معجـم الأفعـال المتعدّيـة بحـرف، موسـى بـن محمّـد الأحمـديّ، ط١، دار العلـم للملايين، بيروت، ١٩٧٩م.
- المعجـم الأوسـط، أبـو القاسـم سـليمان بـن أحمـد الطّبرانـيّ (٣٦٠هـ)، تحـ أبـو معـاذ طـارق بـن عـوض الله بـن محمّـد وأبـو الفضـل عبـد المحسـن بـن إبـراهيم الحسـينيّ، دار الحرمين، القاهرة– مصر، ١٤١٥ هـ – ١٩٩٥م.
- معجـم التّعريفـات، علـيّ بـن محمّـد السّـيّد الشّـريف الجرجـانيّ (٨١٦هـ)، تحـ محمّـد صدّيق المنشاوي، دار الفضيلة، القاهرة، د.ت.
- معجـم ديـوان الأدب، أبـو إبـراهيم إسـحاق بـن إبـراهيم بـن الحسـين الفـارابيّ (٣٥٠هـ)، تحـ أحمـد مختـار عمـر، مراجعـة إبـراهيم أنـيس، مؤسسـة دار الشّـعب، القاهرة، ١٤٢٤هـ – ٢٠٠٣م.
- معجـم الصّـواب اللّغـويّ، أحمـد مختـار عمـر، ط١، عـالم الكتـب، القـاهرة، ١٤٢٩هـ – ٢٠٠٨م.
- المعجـم الكبيـر، سـليمان بـن أحمـد بـن أيـوب بـن مطيـر اللّخمـيّ الشّـاميّ أبـو القاسـم الطّبرانـيّ (٣٦٠هـ)، تحـ حمـديّ عبـد المجيـد السّـلفيّ، ط٢، دار إحيـاء التّـراث العربيّ، د.ت.
- معجـم المصـطلحات النّحويّـة والصّـرفيّة، محمّـد سـمير نجيـب اللّبـديّ، ط١، مؤسسة الرّسالة، بيروت، ١٤٠٥هـ – ١٩٨٥م.
- المعجـم المفصّـل فـي علـم الصّـرف، راجـي الأسـمر، مراجعـة إميـل بـديع يعقـوب، دار الكتب العلميّة، بيروت، ١٤١٨هـ – ١٩٩٧م.
- المعجـم الوسـيط، تـأليف نخبـة مـن اللّغـويّين بمجمـع اللّغـة العربيّـة بالقـاهرة، مجمـع اللّغة العربيّة، القاهرة، ١٣٩٢هـ – ١٩٧٢م.
- معـدن الجـواهر، أبـو الفـتح محمّـد بـن علـيّ بـن عثمـان الكراجكـيّ (٤٤٩هـ)، تحـ السّيد أحمد الحسينيّ، ط٢، إيران، ١٣٩٤هـ.
- المغني الجديد في علم الصّرف، محمّد حنير حلوانيّ، دار الشّرق العربيّ، بيروت– لبنان، د.ت.
- المغني في تصريف الأفعال، محمّد عبد الخالق عضيمة، ط٢، دار الحديث، القاهرة، ١٤٢٠هـ – ١٩٩٩م.

- مغني اللّبيب عن كتب الأعاريب، أبو محمّد جمال الدّين ابن هشام الأنصاريّ (٧٦١هـ)، تحـ محمّد محيي الدّين عبد الحميد، المكتب العصريّة، صيدا- بيروت، ١٤١١هـ - ١٩٩١م.
- مفتاح العلوم، أبو يعقوب يوسف بن أبي بكر بن محمّد السّكاكيّ (٦٢٦هـ)، تحـ أكرم عثمان يوسف، ط١، مطبعة دار الرّسالة، بغداد، ١٤٠٢هـ - ١٩٨٢م.
- المفتاح في الصّرف، أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد الجرجانيّ (٤٧١هـ)، تحـ عليّ توفيق الحمد، ط١، مؤسسة الرّسالة، بيروت- لبنان، ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م.
- مفردات ألفاظ القرآن، أبو القاسم الحسين بن محمّد بن فضل المشهور بالرّاغب الأصفهانيّ (٤٢٥هـ)، تحـ صفوان عدنان داوووديّ، ط٤ ، دار القلم، دمشق، ١٤٣٠هـ - ٢٠٠٩م.
- المفصّل في صنعة الإعراب، جار الله أبو القاسم محمود بن عمر الزّمخشريّ (٥٣٨هـ)، تحـ عليّ بو ملحم، ط١، مكتبة الهلال، بيروت، ١٩٩٣م.
- المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم، أبو العباس أحمد بن عمر بن إبراهيم القرطبيّ (٦٥٦هـ)، تحـ محيي الدّين ديب وأحمد محمد السيد ويوسف عليّ بديوي ومحمود إبراهيم بزال، ط١، دار ابن كثير، بيروت، ١٤١٧هـ - ١٩٩٦م.
- المقاييس البلاغيّة عند الجاحظ في البيان والتبيين، فوزي السّيّد عبد ربه، مكتبة الأنجلو المصريّة، القاهرة، ٢٠٠٥م.
- مقاييس اللّغة، أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا الرّازيّ اللّغويّ (٣٩٥هـ)، تحـ عبد السّلام محمّد هارون، دار الفكر، ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م.
- المقتصد في شرح الإيضاح، أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد الجرجانيّ (٤٧١هـ)، تحـ كاظم بحر المرجان، دار الرّشيد، العراق، ١٩٨٢م.
- المقتضب، أبو العبّاس محمّد بن يزيد المبرّد (٢٨٥هـ)، تحـ محمّد عبد الخالق عظيمة، عالم الكتب، بيروت، ١٤١٥هـ - ١٩٩٤م.
- المقرّب، علي بن مؤمن بن محمّد الأشبيليّ المعروف بابن عصفور (٦٦٩هـ)، تحـ أحمد عبد الستار الجواريّ وعبدالله الجواريّ، ط١، مطبعة العاني، بغداد، ١٣٩٢هـ - ١٩٧٢م.
- مكارم الأخلاق، أبو عليّ الفضل بن الحسن الشّيخ الطّبرسيّ (٥٤٨هـ)، ط٦، منشورات الشّريف الرّضي، ١٣٩٢هـ - ١٩٧٢م.
- الممتع الكبير في تصريف، عليّ بن مؤمن بن محمّد الأشبيليّ المعروف بابن عصفور (٦٦٩هـ)، تحـ فخر الدّين قباوة، ط١، مكتبة لبنان ناشرون، لبنان، ١٩٩٦م.

- مناهج البحث اللّغويّ بين التّراث والمعاصرة، نعمة رحيم العزاويّ، مطبعة المجمع العلميّ العراقيّ، ٢٠٠١م.
- من بلاغة القرآن، أحمد أحمد بدويّ، نهضة مصر، مصر، ٢٠٠٥م.
- منحة الباري بشرح صحيح البخاريّ، أبو يحيى زكريا بن محمّد بن أحمد بن زكريا الأنصاريّ (٩٢٦هـ)، تحـ سليمان بن دريع العازميّ، ط١، مكتبة الرّشد للنّشر والتّوزيع، الرياض – المملكة العربية السّعوديّة، ١٤٢٦هـ – ٢٠٠٥م.
- المنصف، أبو الفتح عثمان بن جنّيّ (٣٩٢هـ)، تحـ إبراهيم مصطفى و عبدالله الأمين، ط١، دار إحياء التّراث القديم، ١٣٧٣هـ – ١٩٥٤م.
- من لا يحضره الفقيه، أبو جعفر محمّد بن عليّ بن الحسين بن موسى بن بابويه القمّيّ المعروف بالشّيخ الصّدوق (٣٨١هـ)، تحـ عليّ أكبر الغفاريّ، ط٢، مؤسسة النّشر الإسلاميّ، قمّ– إيران، د.ت.
- منهج التّربية في القرآن والسّنّة، عمر أحمد عمر، ط١، دار المعرفة، دمشق– سوريا، ١٤١٦هـ.
- مهاد في اللّسانيّات، خالد حوير الشّمس، ط١، مؤسسة دار الصّادق الثّقافيّة، بابل– العراق، ٢٠٢٤م.
- مهج الدعوات ومنهج العبادات، رضي الدّين عليّ بن موسى بن جعفر المعروف بالسّيد ابن طاووس (٦٦٤هـ)، كتابخانه سنائى، إيران، د.ت.
- المهذّب في علم التّصريف، صلاح مهديّ الفرطوسيّ وهاشم طه شلاش، ط١، مطابع بيروت الحديثة، بيروت، ١٤٣٢هـ – ٢٠١١م.
- المواهب اللّدنيّة بالمنح المحمديّة، أحمد بن محمّد القسطلانيّ (٩٢٣هـ)، تحـ مأمون بن محيي الدّين الجنّان، ط١، دار الكتب العلميّة، بيروت– لبنان، ١٤١٦هـ – ١٩٩٦م.
- النّاسخ والمنسوخ في القرآن العزيز، أبو عبيد القاسم بن سلّام الهرويّ (٢٢٤هـ)، تحـ محمّد بن صالح المديفر، ط٢، مكتبة الرّشيد، الرّياض، ١٤١٨هـ – ١٩٩٧م.
- نتائج الفكر في النّحو، أبو القاسم عبد الرّحمن بن عبدالله السّهيليّ(٥٨١هـ)، تحـ عادل أحمد عبد الموجود والشّيخ عليّ محمّد معوّض، ط١، دار الكتب العلميّة، بيروت– لبنان، ١٤١٢هـ – ١٩٩٢م.

- النّثر الصّوفيّ دراسة في لسانيّات النّصّ، خالد حوير الشّمس، مركز الكتاب الأكاديميّ، عمان، ٢٠٢٠م.
- النّحو العربيّ، إبراهيم بركات، ط١، دار النّشر للجامعات، مصر، ١٤٢٨هـ - ٢٠٠٧م.
- النّحو العربيّ نقد وبناء، إبراهيم السّامرائيّ، دار الصّادق، بيروت- لبنان، د.ت.
- النّحو المصفّى، محمّد عيد، ط١، مكتبة الشّباب، ١٩٧١م.
- نحو النّصّ اتجاه جديد في الدّرس النّحويّ، أحمد عفيفي، ط١، مكتب زهراء الشّرق، القاهرة، ٢٠٠١مً
- نحو النصّ إطار نظريّ ودراسات تطبيقيّة، عثمان أبو زنيد، ط١، عالم الكتب الجديد، الأردن، ١٤٣١هـ - ٢٠٠٤م.
- النّحو الوافي، عبّاس حسن، ط٣، دار المعارف، د.ت.
- نسيج النّصّ بحث في ما يكون به الملفوظ نصّاً، الأزهر الزّنَّاد، ط١، المركز الثّقافيّ العربيّ، بيروت- لبنان، ١٩٩٣م.
- النّصّ والخطاب، شتيفان هابشايد، ترجمة موفّق جواد المصلح، دار المأمون للترجمة، بغداد، ٢٠١٣م.
- النّصّ والخطاب قراءة في علوم القرآن، محمّد عبد الباسط عيد، ط١، مكتبة الآداب، القاهرة، ١٤٣٠هـ - ٢٠١٩م.
- النّصّ والخطاب والإجراء، روبرت دي بوجراند، ترجمة تمّام حسّان، ط١، عالم الكتب، القاهرة، ١٩٩٨م.
- النّصّ والسّياق، فان دايك، ترجمة عبد القادر قنيني، دارأفريقيا الشّرق، الدّار البيضاء- المغرب، ٢٠٠٠م.
- نظريّة علم النّصّ رؤية منهجيّة في بناء النّصّ النّثريّ، حسام أحمد فرج، ط١، مكتبة الآداب. القاهرة، ١٤٢٨هـ - ٢٠٠٧م.
- نظريّة المقام عند العرب في ضوء البراغماتيّة، منال محمد هاشم، ط١، عالم الكتب الحديث، إربد- الأردن، ٢٠٠١م.
- نظريّة النّصّ من بنية المعنى إلى سيمائيّة الدّال، حسين خمري، ط١، الدّار العربيّة للعلوم، بيروت، ١٤٢٨هـ - ٢٠٠٧م.
- نظم الدّرر في تناسب الآيات والسّور، إبراهيم بن عمر البقاعيّ (٨٨٥هـ)، تحـ عبد الرزاق غالب مهديّ، ط٣، دار الكتب العلميّة، بيروت- لبنان، ١٤٢٧هـ

- نفائس التّأويل، أبو القاسم عليّ بن الحسين بن موسى بن محمّد الموسويّ المعروف بالشّريف المرتضى (٤٣٦هـ)، تحـ موسويّ ومجتبى أحمد، ط١، مؤسسة الأعلميّ للمطبوعات، لبنان- بيروت، ١٤٣١هـ.
- النّكت في إعجاز القرآن، أبو الحسن عليّ بن عيسى الرّمّانيّ (٣٨٤هـ)، تحـ محمد خلف الله، ومحمّد زغلول سلام، ط٣، دار المعارف، مصر، ١٩٧٦م.
- النّكت والعيون، أبو الحسن عليّ بن محمّد بن حبيب البصريّ البغداديّ الشّهير بالماورديّ (٤٥٠هـ)، تحـ السيد ابن عبد المقصود بن عبد الرحيم، ط١، دار الكتب العلميّة، بيروت- لبنان، د.ت.
- النّهاية في غريب الحديث والأثر، مجد الدّين أبو السّعادات المبارك بن محمد بن عبد الكريم الشّيبانيّ الجزريّ ابن الأثير (٦٠٦هـ)، تحـ طاهر أحمد الزاوي - محمود محمّد الطّناحيّ، المكتبة العلميّة، بيروت- لبنان، ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م.
- نوادر الأصول في أحاديث الرّسول، أبو عبدالله محمّد بن عليّ بن الحسن المعروف بالحكيم التّرمذيّ (٣٢٠هـ)، تحـ عبد الرّحمن عميرة، دار الجيل، بيروت- لبنان، د.ت.
- نور الأنوار في شرح الصّحيفة السّجاديّة، السّيد نعمة الله الجزائريّ (١١١٢هـ)، ط١، دار آسيانا، قم- إيران. د.ت.
- همع الهوامع في شرح جمع الجوامع، جلال الدّين السّيوطيّ (٩١١هـ)، تحـ محمّد عبد السّلام هارون وعبد العال سالم مكرم، مؤسسة الرّسالة، ١٤١٣هـ - ١٩٩٢م.
- وحي الرّسالة، أحمد حسن الزّيّات، ط٥، مكتبة نهضة مصر، مصر، ١٣٨٤هـ - ١٩٦٤م.

ثانيًا: الرسائل والأطاريح:

- الاتّساق والانسجام في روايات كتاب التّوحيد للشّيخ الصّدّوق(٣٨١هـ)، زينب حمديّ محمّد الجزائريّ، رسالة ماجستير، بإشراف أ.د ليث قابل الوائليّ، كلّيّة التّربيّة للعلوم الإنسانيّة، جامعة كربلاء، ١٤٤٤هـ - ٢٠٢٢م.
- آليات التّماسك النّصّيّ في إعجاز القرآن والبلاغة النّبويّة لمصطفى صادق الرّافعيّ أنموذجًا، منور عائشة، أطروحة دكتوراه، بإشراف أ.د فريحي مليكة، كلّيّة الأدب العربيّ، جامعة مستغانم، الجمهوريّة الجزائريّة، ١٤٤٢هـ ٢٠٢٠م.

- بناء الجملة العربيّة في ديوان النابغة الذّبيانيّ، عبد الجليل عبد الحسين العانيّ، بإشراف أ.د محمود فهمي حجازي، رسالة ماجستير، كلّيّة الآداب، جامعة القاهرة، ١٣٩٧هـ - ١٩٧٧م.
- بناء الجملة في السّيرة النّبويّة لابن هشام، عبد الغني شوقي موسى الأدبعيّ، أطروحة دكتوراه، بإشراف أ.د طارق عبد عون الجنابيّ، كلّيّة اللّغات، جامعة صنعاء، ١٤٢٧هـ - ٢٠٠٦م.
- الجملة الخبريّة في مجموعات الشّعر العربيّ القديم (المفضليّات والأصمعيّات)، مجهد جيجان عبد الدّليميّ، أطروحة دكتوراه، بإشراف أ.د محمود عليّ مكّيّ، كلّيّة الآداب، جامعة القاهرة، ١٤٠٠هـ - ١٩٨٠م.
- الخطاب السّياسيّ في القرآن الكريم دراسة في ضوء علم اللّغة النّصّيّ، عدنان ناصر عبود، رسالة ماجستير، بإشراف أ.د عليّ حسن الدّلفيّ، كلّيّة التّربيّة للعلوم الإنسانيّة، جامعة واسط، ١٤٤٠هـ - ٢٠١٩م.
- الرّسائل والوصايا في نهج البلاغة (دراسة في ضوء علم لغة النّصّ)، ورود سعدون عبد، أطروحة دكتوراه، بإشراف أ.د تراث حاكم الزّياديّ، كليّة الآداب، جامعة القادسيّة، ٢٠١٦م.
- السّبك والحبك في جزء المجادلة، باقر محيسن فرج، رسالة ماجستير، بإشراف أ.د محمود عبد حمد اللاميّ، كلّيّة التّربيّة للعلوم الإنسانيّة، جامعة المثنى، ١٤٤٠هـ - ٢٠١٨م.
- المصادر والمشتقّات في معجم لسان العرب (دراسة صرفيّة دلاليّة)، خديجة زبار عنيزان، أطروحة دكتوراه، بإشراف أ.د هاشم طه شلاش، كلّيّة التّربيّة ابن رشد، جامعة بغداد، ١٩٩٥م.
- المعايير النّصّيّة في خطب نهج البلاغة، محمّد عزيز رهيّف العقابيّ، رسالة ماجستير، بإشراف أ.د سعد محمّد عليّ التّميميّ، كلّيّة التّربيّة الجامعة المستنصريّة، ١٤٣٤هـ - ٢٠١٣م.

ثالثًا: البحوث المنشورة:

- أثر التّكرار في التّماسك النّصّيّ مقاربة معجميّة تطبيقيّة في ضوء مقالات د. خالد المنيف، منال بنت إبراهيم الحلوة، مجلّة جامعة أم القرى لعلوم اللّغات وآدابها، العدد الثّامن، رجب ١٤٣٣هـ – مايو ٢٠١٢م.
- انتفاء التّرادف في أسماء الله الحسنى بين الدّلالة المعجميّة والدّلالة الصّرفيّة، أحمد مختار عمر، مجلّة كلية دار العلوم، جامعة القاهرة – كلية دار العلوم العدد ٢٠، ١٩٩٦م.
- الانسجام النّصّيّ وأدواته، الطّيب الغزاليّ قواوة، مجلّة المخبر أبحاث في اللّغة والأدب الجزائريّ، جامعة محمد خيضر –بسكرة– الجزائر، العدد الثامن، ٢٠١٢م.
- التّناصّ سبيلًا إلى دراسة النّصّ الشّعريّ وغيره، شربل داغر، مجلّة فصول، مصر، العدد الأوّل، ١٩٩٧م.
- الثّنائيّة القصديّة بين التّراث العربيّ والدّراسات الغربيّة، مريم أقرين، مجلّة دراسات في اللّغة العربيّة وآدابها، العدد الرّابع والعشرون، ١٣٩٥هـ – ٢٠١٧م.
- الجملة الشّرطيّة مبناها ومعناها قراءة في التّراث النّحويّ، محمّد أبو العزّ عبده، مجلّة تراثيّات، القاهرة، العدد الثّامن عشر، ٢٠١٥م.
- الحديث النّبويّ الشّريف بين النّصّيّة اللّغويّة والمصدريّة التّأسيسيّة، نادية توهامي، مجلّة الآداب والحضارة الإسلاميّة، مجلد ٢١، عدد٢، ٢٠٢٢م.
- الحياة الاجتماعيّة والاقتصاديّة للمدينة المنوّرة في عهد الرّسول (صلّى الله عليه وآله وسلم)، زمن محمود شاكر، وفاء عدنان حميد، مجلّة ديالى للبحوث الإنسانيّة، العدد الثّالث والتّسعون، ٢٠٢٢م.
- في مفهوم النّصّ ومعايير نصّيّة القرآن الكريم دراسة نظريّة، بشرى حمديّ البستانيّ، وسن عبد الغني المختار، مجلّة أبحاث كلّيّة التّربيّة الأساسيّة، جامعة الموصل، المجلّد ١١، العدد١، ٢٠١١م.
- المصاحبة اللّفظيّة ودورها في تماسك النّصّ مقاربة نصّيّة في مقالات د. خالد المنيف، نوال بنت إبراهيم بن محمّد الحلوة، مجلة الدّراسات اللّغويّة، المجلّد الرّابع عشر– العدد الثّالث– رجب ١٤٣٣هـ – أغسطس ٢٠١٢م.
- معالم البيان في الحديث النّبويّ، عبد المحسن بن عبد العزيز العسكر، مجلّة العلوم العربيّة، المملكة العربيّة السّعوديّة، العدد السّابع عشر، شوال ١٤٣١هـ.

- من لسانيّات الجملة إلى علم النّصّ، بشير إبرير، مجلّة التّواصل، الجمهوريّة الجزائريّة، عدد ١٤، ٢٠٠٥م.
- منير الجوادين، مجلّة تصدر عن العتبة الكاظميّة المقدّسة، قسم الشؤون الفكريّة والثّقافيّة، العدد ١٥١، السّنة السّادسة عشر، شعبان- رمضان ١٤٤٣هـ.
- نحو أجروميّة للنّصّ الشّعريّ (دراسة في قصيدة جاهليّة)، سعد مصلوح، مجلّة فصول، مصر، مجلّد ١٠، العدد (١، ٢)، ١٩٩١م.
- نظريّة التّناصّ، المختار حسني، مجلّة علامات في النّقد، السّعوديّة، العدد ٣٤، ديسمبر ١٩٩٩م.
- نظريّة التّناصّيّة، مارك دوبيازي، ترجمة الرّحوتيّ عبد الرحيم، مجلة علامات في النّقد، جزء ٢١، المجلد ٦، المملكة العربيّة السعوديّة، ١٩٩٦م.

رابعًا: المواقع الألكترونيّة:

- حديث نت، موقع تابع لمؤسسة دار الحديث الثقافيّة، https://hadith.net
- شبكة الفكر، thttp://alfeker.ne
- الشّيعة، موقع علميّ ثقافيّ وعقائديّ، ghttps://ar.al-shia.or
- كوديرست، mhttps://www.goodreads.co
- مركز الإسلام الأصيل للثقافة والإعلام، https://islamasil.com
- مفهوم التّناصّ بين الأصالة والحداثة، خالد عبد النّبيّ عيدان، موقع جامعة كربلاء كلّيّة العلوم الإسلاميّة https://cois.uokerbala.edu.qi
- مكتبة النّرجس، https://www.narjeslibrary.com
- موسوعة الإمامة والولاية (إمامة بيديا)، https://ar.imamatpedia.com
- الموسوعة الحرّة (ويكبيديا)، https://ar.wikipedia.org
- الموقع الإلكترونيّ لمكتب السّيد عليّ الخامنئيّ قدس سرّه، irhttps://arabic.khamenei.
- الموقع الإلكترونيّ لمكتب الشّيخ ناصر مكارم الشّيرازيّ، Khttps://www.makaremshirazi.net

Abstract

"This study, entitled 'Linguistic Structure in the Governance of the Greatest Prophet by Muhammad Rayshahr,' focuses on the prophetic language of the Prophet Muhammad (PBUH). The objective of this study is to identify the prominent stylistic and rhetorical features of the Prophet's language, as well as the key vocabulary used, as it represents the pinnacle of human speech, second only to the Holy Quran and surpassing all other human speech.

The study also aims to highlight the significant meanings shared between the Noble Hadith and the heavenly scriptures, in addition to understanding the structure of the Prophet's speech and the extent to which the recipients are influenced by this structure."

"The study is divided into an introduction and three chapters. The introduction covers the stylistic and rhetorical features of the Prophet Muhammad's Hadiths, along with a brief biography of the author. The first chapter focuses on word formation in the Prophet's speech, examining the structures of both triliteral and augmented verbs, as well as all noun structures. The second chapter examines sentence structure in the Prophet's traditions, analyzing both declarative and interrogative sentence structures. The third chapter presents a textual analysis of the Prophet's hadiths based on Robert de Beaugrande's textual standards. The most prominent finding indicates that the language of the Prophet Muhammad reflects the language of the Holy Quran. The Prophet incorporates Quranic meanings and reproduces them in a human language accessible to the recipients, demonstrating a highly structured linguistic form where meaning and wording perfectly harmonize".

Republic of Iraq
Ministry of Higher Education
And Scientific Research
Wasit University
College of Education For Humanities
Department of Arabic Language



The linguistic structure in the book "The General Wisdom of the Prophet" by Muhammad al-Rishahri

Thesis submitted by the student

Muhammad Ali Kamil Faza' al-Zubaidi

To the Council of the College of Education for Human Sciences, University of Wasit

It is part of the requirements for obtaining a Master's degree in Arabic Language and Literature

Under the supervision of Professor

Prof. Dr. Jassim Fareeh Daikh Al-Turabi

Prof. Dr. Suad Badie Mutair.

1448 A.H 2026 A.D